بغية الإيضاح

لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

١ - ٤

الناشر

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ٣٩٠٠٨٦٨٤

بغية الإيضاح

لتلخيص المفتاح

في علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدى

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الأول

من أول الإيضاح حتى القصر فى علم المعانى

تنبيه : قد وضعنا الإيضاح للخطيب القزوينى بأعلى الصفحة، ووضعنا شرحه « بغية الإيضاح » بأسفلها

طبعة نهاية القرن : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

الناشر : مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت : ٣٩٠٠٨٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم للشارح

أردتُ - قبل الشروع فى شرح كتاب « الإيضاح لتلخيص المفتاح » لأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزوينى (المتوفى ٧٣٩ هـ) ، بكتابى « بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح » - أن أضع هذا التقديم ، لأبيِّن فيه **منزلة كتاب الإيضاح بين كتب البلاغة ، ولماذا آثرتُه من بينها بشرحى له ؟**

والكلام فى هذا يرجع بى إلى **المدرسة التى ينتمى إليها كتابُ الإيضاح** من بين مدارس علوم البلاغة ، وهى **مدرسة الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجانى** (المتوفى ٤٧١هـ) الذى ذهب بالشهرة فى هذه العلوم ، حتى عدّوه بحق شيخَ البلاغة ؛ لأنه هو الذى وضع أساسها الصحيح بكتابيه - دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة - وكان يسمِّى مسائل البلاغة علْمَ البيان ، وقد ذكر أن هذا العلم لقى من الضيم ما لقى ، ودخلٍ على الناس من الغلَط فى معناه ما دخل ، فأراد أن يُوَفِّيه حقه ويقرّر قواعده تقريراً يليق به ، فوضع فيه هذين الكتابين .

وهو يسميه علم البيان بالمعنى الذى يشمل علومَ البلاغة الثلاثةَ الآتيةَ : المعانى ، والبيان ، والبديع - لأن البيان هو المنطق الفصيح المعْرب عما فى الضمير ، والعلوم الثلاثة لها تعلق بالكلام الفصيح تصحيحًا وتحسينًا ، على ما سيأتى من الفرق بينهما فى **ذلك** ، وإذا كان عبد القاهر لم يُفصح عن هذا الفرق بين مباحثها ، فقد أشار إليه بتخصيص كتابه « دلائل الإعجاز » لمباحث نَظْمِ الكلام ؛ من ذكر وحذف وتقديم وتأخير ونحوها ؛ فإنه لا يتعرض لغيرها فيه إلا نادراً ، وهذه المباحث هى : مباحث علم المعانى ، وبتخصيص كتابه « أسرار البلاغة » لمباحث الدلالة من الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة ونحوها ، وهذه المباحث هى مباحث علم البيان بمعناه الذى صار إليه أخيراً ، ثم ذكر المحسنات التى اختصَّ بها أخيراً علمَ البديع وأشار إلى منزلتها من البلاغة من رجوعها إلى التحسين لا غير ، فلا تُطلب فيها على سبيل الوجوب كما يُطلب ما يتعلَّق منها بالنظم والدلالة ، وقد ذهب إلى أن الحسن

لا يمكن أن يكون للفظ فى ذاته من غير نظر إلى المعنى ، حتى ما يُتوهم فى بدء الفكرة أن الحسن فيه لا يتعدَّى اللفظ والجرس كالتجنيس ؛ لأنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميداً ؛ ولهذا استُقبح قولُ أبى تمام :

ذهبتْ بمذهبه السَّماحةُ فالتوتْ فيه الظنونُ أمَذْهب أم مُذْهبُ !

لأنه لم يزد على أن أسمعك حروفًا مكرَّرة ؛ تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة .

وكان أسلوب عبد القاهر فى كتابيه أسلوبا بليغا ممتازاً ، يساعد على تربية ملَكة البلاغة ولا يفسدها ، ولا عيب فيه إلا أن يسرف فى العبارات المترادفة ؛ حتى تطغى على تقرير القواعد وعلى ما عُنى به من استخلاص أسرارها من الشواهد النثرية والشعرية ، وهو فيما عُنى به من الأمرين الناقدُ الأديبُ ، والبليغ الممتاز ، وقد طفر بهذا فى علم البلاغة طفرة لم يُسْبَق إليها ، ولم يأت بعده مَنْ سار على هديها حتى لا تقف عند هذا الحد ؛ لأن شمس العلم فى عصره كانت آخذة فى الأُفول ، كما يقول فى ذلك :

كبِّرْ على العلْـم يا خليلى ومِلْ إلى الجـهل مَيْلَ هائمْ
وعِشْ حماراً تَعِشْ سعيداً فالسَّعْدُ فى طالع البهائمْ

وإذا كان هذا حال عصره فإن حال ما بعده من العصور كان أسوأ ؛ فتقهقر علم البلاغة بعده ولم يتقدم .

* **ثم جاء أبو يعقوب السَّكاكىُّ بعد عبد القاهر** ، فلمح ما أشار إليه فيما سبق من الفروق الثلاثة بين مباحث علم البلاغة ؛ فميَّز بعضها عن بعض تمييزا تاماً ، وجعل لكل مبحث منها علماً خاصا ؛ فكان من هذه علومُ البلاغة الثلاثةُ السابقة ، ثم جاراه فى تقرير قواعدها ، وزاد عليه زيادات كثيرة فى تقريرها ، وهذا فى قسم البيان من كتابه « **مفتاح العلوم** » ، وقد جرى على ترتيبه لهذه المباحث مَن أتى بعده من المتأخرين ، فكان عمدتَهم فى هذا الترتيب ، ولم يستفيدوا إلا قليلا ممن كتب قبله أو بعده فى علم البلاغة ، ممن لم يَجْر فيها على منواله ، ولم يَنْحُ فيها نحوه .

ولا شك أن السكاكى بهذا يُعَدُّ إلى حَدٍّ ما من تلاميذ مدرسة عبد القاهر ، ولكنه كان ناقداً ولم يكن أديبًا ؛ لأن أسلوبه فى كتابه لم يكن أسلوب البليغ الممتاز مثل عبد القاهر ؛ لأن العجمة كانت غالبة على أسلوبه ، وكان الأسلوب التقريرى

الذى لا يُعنَى إلا بتقرير القواعد غالبًا عليه ، فكان فى أسلوبه كثيرٌ من الغموض والتعقيد وضعف التأليف ، ومثل هذا قد يفيد الناظر فيه علماً ، ولا يفيده أسلوبا بليغًا ، بل يفسد فيه ملكة البلاغة ، وبهذا يكون ضرره أكبر من نفعه .

وقد جاء بعد السكاكى عالمان كبيران أرادا أن يحذوا فى علم البلاغة حذوه ؛ أولهما : **بدر الدين ابن مالك** (المتوفى ٦٨٦ هـ) ابن النحوى المشهور ، فى كتابه « المصباح لتلخيص المفتاح » وثانيهما : **الخطيب القزوينى** (المتوفى ٧٣٩ هـ) فى كتابيه « تلخيص المفتاح » و« الإيضاح لتلخيص المفتاح » ؛ وثانيهما كالشرح للأول .

فأما **مصباح ابن الناظم** فإنه لم يهذب كثيراً من مفتاح السكاكى فى علم البلاغة ؛ لأن ملكة النحو كانت غالبة عليه ، وكان هذا سببًا فى إعراض المتأخرين عن كتابه .

وأما **تلخيص الخطيب** القزوينى فإنه هذب كثيرا من مفتاح السكاكى ؛ فقدم فى مباحثه وأَخَّر ، وزاد عليه ما تجب زيادته من كتب البلاغة ، وكان أسلوبه فيه أوضح من أسلوب السكاكىّ ، ولكنه جعله أسلوباً تقريريًا لا يُعْنَى إلا بجمع القواعد فى أوجز لفظ ؛ حتى أسرف فى الإيجاز إسراف عبد القاهر فى الإطناب ، وجعل من تلخيصه متناً يحتاج إلى شروحٍ وحواشٍ وتقاريرَ ، ولكن عيبه هذا كان موضع تقدير المتأخرين وإعجابهم .

* فلما فرغ من تلخيصه شعر هو أيضًا بحاجته إلى شرح ، فوضع كتابه **الإيضاح** كشرح له ، يجرى على ترتيبه فى إطناب يختصره أحيانا من كتابى عبد القاهر ، وأحيانا من كتاب السكاكى مع شىء من التهذيب فيه ، ومع كثير من النقد الذى يفصّله أحيانا ، ويرمز إليه أحيانا بقوله : وفيه نظر . وبهذا جاء الإيضاح وسطا بين إيجاز التلخيص ، وإسهاب عبد القاهر . **وكان بهذا هو الكتاب الممتاز على غيره من كتب البلاغة القديمة .**

ولكنه على هذا لم يُرْزَق من الحظوة عند المتأخرين ما رزق التلخيص ؛ لأنهم شُغفوا بالمتون حفظًا وشرحا . وقد نظروا إلى التلخيص على أنه متن من المتون ، فشَغفوا بحفظه وشرحه . وكان من السابقين إلى شرحه **سعد الدين التفتازانى** ، من علماء العَجَم ؛ فوضع له شرحا مطــولا سمّاه « المطوَّل » ، وشرحا مختصراً سماه « المختصر » . وكان سعد الدين من علماء العجم الذين تأثروا بالسكاكى فى طريقته التقريرية ، وفى ضعف أسلوبه لضعف سليقته العربية ؛ بل كان هو وأمثاله ممن أتى بعد السكاكى من علماء العجم أضعف منه ذوقاً أدبيًّا ، وسليقة عربية ؛ فمضوا فى الطريقة التقريرية إلى أن وصلوا إلى نهايتها فى البعد عن الذَّوق الأدبى ، ثم أخذوا

ينشرونها هنا وهناك إلى أن غزت علماء العرب ، وغزت جميع العلوم من عربية ، إلى دينية ، إلى غيرها من العلوم . وصارت عنايتها بتقرير عبارات المتون أكثر من عنايتها بتقرير مسائل العلوم .

* ثم تهافت المتأخرون من علماء البلاغة على شرحَيْ سعد الدين على التلخيص ، يضعون عليها الحاشية بعد الحاشية ، ويضعون على الحاشية التقرير بعد التقرير ، وشُغف المدرسون بتلك الكتب في الجامع الأزهر وغيره من الجامعات الإسلامية في الأقطار المختلفة ، يتعمَّقون في درسها إلى أقصى حدود التعمُّق ، وينتقلون في درسها من المتن إلى الحاشية إلى التقرير ، في استقصاء غريب ، وتفنن في الفهم والبحث . ولو أن كل هذا في صميم مسائل البلاغة لهان الخطْب ، ولكن أكثره في بحوث خارجة عن هذه المسائل ، وفي أسلوب ركيك يُفْسد ملكة البلاغة ؛ فإذا كانت فيه فائدة قليلة ؛ فإنها تضيع في هذا الخضمِّ الذي لا فائدةَ فيه .

* وقد تأبَّى كتاب « الإيضاح » وطريقته السابقة على المتأخرين من علماء البلاغة ؛ فلم يضعوا عليه من الشروح والحواشي والتقارير مثل ما وضعوا علي كتاب التلخيص اللهم إلا شرحاً ضعيفا للأقسرائي لا يزال مخطوطا بدار الكتب المصرية ، ومن الخير أن يبقى مخطوطا فيها ؛ لأنه يذهب مذهب غيره في الطريقة التقريريَّة . وينأى عن طريقة كتاب الإيضاح السابقة ؛ فيكون ضرره فيها أكثر من نفعه .

* ولَمَّا كان « التلخيص » كالأصل لكتاب « الإيضاح » ؛ كان هذا مما يدعو قارئه إلى أن يرجع في كثير من مسائله إلى ما وُضع على كتاب التلخيص من شروح وحواش وتقارير ؛ فإذا رجع إليها غرق في ذلك الخضمِّ من البحوث التي لا طائل تحتها ، وضاع به ما يكتسبه من كتاب الإيضاح من ذوق أدبي ؛ لأن تلك الشروح والحواشي والتقارير تغطِّي عليه .

فرأيتُ أن أنأى بقارئ كتاب الإيضاح عن تلك الشروح والحواشي والتقارير ؛ بوضع تعليقات عليه تشتمل على ما يأتي :

١ – اختيار ما تلزم إضافته إليه مما هو من صميم مسائل البلاغة من تلك الشروح والحواشي والتقارير . واختيار هذا من ذلك الخضَمِّ من المماحكات اللفظية ليس بالأمر السهل ؛ لأنه يحتاج إلى فهم صحيح لها ، وإلى ذوق أدبي يميز الصالح للاختيار من غيره .

٢ – شرح الشواهد النظمية شرحًا موجزًا ينسبها إلى قائليها ، ويفسر غريبها ويبين ما فيها من فوائد بلاغيَّة ، وموضع الشاهد فيها . ويعلم الله كم تعبت فى ذلك كله ، ولا سيَّما فى نسبتها إلى قائليها .

٣ – وضع عناوين كل باب من أبوابه لموضوعاته المختلفة ؛ ليسهل الرجوع إليها ، ووضع تمرينات آخر كل موضوع منها للاختبار فيها، ولفت طالب علوم البلاغة إلى أهم ناحية فيها .

٤ – نقد ما يجب نقده من مسائله . ولا سيَّما المسائل التى ينقلها عن السكاكى . وفيها من التكلُّفات والتعقيدات ما ينأى عن ذَوق الأدب والبلاغة .

٥ – صياغة التعليقات فى أسلوب لا يكون فيه تعقيد ولا تطويل مِملٌّ ، ولا إيجاز مُخِلٌّ ؛ حتى تكون ملائمة لذوق موضوعها من علوم البلاغة .

وقد سَمَّيْتُ ما وضعته من هذه التعليقات :

« بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح » .

والله أسأل النفع بها ، وأن تكون خطوة فى هذه العلوم لما بعدها .

عبد المتعال الصعيدى

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الإيضاح

قال الشيخ الإمام العالم العلاَّمة خطيب الخطباء مفتى المسلمين جلالُ الدين أبو عبد الله محمد ، ابن قاضى القضاة سعد الدين أبى محمد عبد الرحمن ، ابن إمام الدين أبى حفْص عُمرَ القَزْوِينىُّ الشافعى ، متَّع الله المسلمين بمحيَّاه ، وأحسن عُقْباه :

الحمد لله رب العالمين . وصلاته على محمد وعلى آل محمد أجمعين .

أما بعد . .

فهذا كتابٌ فى علم البلاغة وتوابعها ، ترجمته « بالإيضاح » ، وجعلته على ترتيب مُختصرى الذى سميتُه « تلخيص المفتاح » ، وبسطتُ فيه القول ليكون كالشرح له ، فأوضحت مواضعه المشكلة ، وفصَّلت معانيه المُجْمَلة ، وعمَدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه « مفتاح العلوم » ، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجانى رحمه الله فى كتابيه « دلائل الإعجاز » « وأسرار البلاغة » ، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما ؛ فاستخرجت زُبدة ذلك كله ، وهذبتها ورتبتها ، حتى استقر كل شىء منها فى محله ، وأضفت إلى ذلك ما أدَّى إليه فكرى ، ولم أجده لغيرى ؛ فجاء بحمد الله جامعًا لأشتات هذا العلم ، وإليه أرغب أن يجعله نافعا لمن نظر فيه مِن أولِى الفهم ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

* * *

مقـــدمة

فِي الكشف عن معنى الفصاحه والبلاغة ، وانحصارِ علم البلاغة فى علْمى المعانى والبيان (١) .

الخلاف فى تفسير الفصاحة والبلاغة :

للناس فى تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة (٢) ، لم أجد فيما بلغنى منها ما يصلح لتعريفهما به (٣) ، ولا يشير إلى الفرق بين كونِ الموصوف بهما الكلام

---

(١) إنما حصر علم البلاغة فى علم المعانى والبيان ؛ لأن علم البديع يبحث فى المحسنات التى تكون بعد رعاية وجوه البلاغة والفصاحة فى الكلام . وقدّم الكشفَ عن معنى الفصاحة والبلاغة على بيان انحصار علم البلاغة فى هذه العلوم ؛ لأن معرفة انحصاره فيها تتوقف على الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، وبهذا كان صنيعه أحسنَ من السكاكى ؛ لأنه ذكر الكلام على الفصاحة والبلاغة فى آخر علم البيان .

(٢) منها قول أكْثمَ بن صَيفى : « البلاغة الإيجاز » . وقول أرسطو : « البلاغة حسنُ الاستعارة » . وقول ابن المقفّع : « البلاغةُ قلةُ الحصر ، والجراءةُ على البشر » . وقول بعضهم : « البلاغةُ تصويرُ الحق فى صورة الباطل ، وتصوير الباطل فى صورة الحق » . والأول كقول محمد بن عبد الملك الزيات : « الرحمة خَوَر فى الطبيعة ، وضعف فى المُنّة » . والثانى كقول الحارث بن حلزة :

عيشــى بجـدٍّ لا يضرْ ... ك النوكُ ما لاقيت جدّا
والَعيــشُ خيرٌ فى ظلا ... لَ النَّوْك ممن عـاشَ كدَّا

وأقوالُ المتقدمين كثيرة فى البلاغة ، والظاهر أنَ جمهورهم لم يكن يفرِّق بينها وبين الفصاحة ، وقد نُقل عن أفلاطون أن : « الفصاحة لا تكون إلا لموجود ، والبلاغة تكون لموجودٍ ومفروض » . ولعله يعنى بالموجود اللفظ ، وبالمفروض المعنى . وقال العاص بن عدى : « الشجاعةُ قلبٌ ركين ، والفصاحة لسان رزين » . وهو يعنى باللسان اللفظ ، وبالرزين ما فيه فخامة وجزالة ، وقال بعضهم : الفصاحة تمام آلة البيان ، وهى عنده مقصورةٌ على اللفظ أيضاً ؛ لأن الآلة – وهى اللسان – تتعلق باللفظ دون المعنى .

(٣) لأن هذه الأقوال يُقصد منها ذكرُ أوصاف البلاغة والفصاحة ، ولا يقصد منها حقيقة الحدِّ والرسم ، وقد قصد بعض العلماء بعد هذه الأقوال إلى حقيقة الحد والرسم ، فقاربوا ولم يصلوا إليهما ، ومنهم أبو هلال العسكرى فى – الصناعتين . فعرّف البلاغة بأنها : كل ما تُبلغ به المعنى قلبَ السامع لتُمَكِّنَه فى نفسه لتَمكُّنه فى نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حَسَن . وذكر أنه اختُلف فى الفَصاحة ؛ فقيل : إنها مَأخوذةُ من قولهم :أفصحَ عما فى لسانه إذا أظهره ؛ وعلى هذا ترادف البلاغه . وقيل : إنها تمام آلة البيان ؛ فلا يكونان مترادفين ؛ لأن الفصاحة تكون حينئذ مقصورة على اللفظ،وكذلك كان السكاكى فى « المفتاح »كما سيأتى فى كلامه عليهما .

وكون الموصوف بهما المتكلم ؛ فالأولى أن نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين ؛ فنقول :

كل واحدة منهما تَقعُ صفةً لمعنيين : أحدهما الكلام ، كما فى قولك : « قصيدة فصيحة أو بليغة ، ورسالة فصيحة أو بليغة » ، والثانى المتكلم (١) كما فى قولك : « شاعر بليغ أو فصيح ، وكاتب فصيح أو بليغ » ، والفصاحة خاصَّةً تقع صفةً للمفرد؛ فيقال « كلمة فصيحةٌ» ولا يقال « كلمة بليغة » .

فصاحة المفرد

* **أما فصاحة المفرد** : فهى خلوصه من تنافر الحروف ، والغرابةِ ، ومخالفة القياس اللغوى .

فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية فى الثقل على اللسان وعُسْر النطق بها (٢) ؛ كما رُوِىَ أن أعرابيا سُئِلَ عن ناقته فقال : « تركتها ترعى الهُعخُع » (٣) ، ومنه ما هو دون ذلك ؛ كلفظ « مستشزر » فى قول امرئ القيس :

---

(١) يرى أبو هلال العسكرى أن البلاغة من صفة الكلام لا المتكلم ؛ ولهذا لا يجوز أن يسمَّى اللهُ تعالى بليغًا ؛ إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام ، وأما تسميةُ المتكلم بليغًا فتَوسُّعٌ ، وحقيقته أن كلامه بليغ ، ثم كثر استعمالُ ذلك حتى صار كالحقيقة ، ويَرى أيضًا أنه لا يجوز أن يسمَّى فصيحا ؛ لأن الفصاحة تتضمن معنى الآلة وهى اللسان ، هذا ، وقد اعتمد الخطيبُ فى ذلك التقسيم على ما جاء فى (حسن التوسل) لأبى الشفاء الحلبى ، وكذلك اعتمد عليه فى كثير من الموضوعات الآتية فى العلوم الثلاثة .

(٢) ذكر ابن الأثير أن المعول فى ذلك على الذوق الصحيح ، فما يَعده ثَقيلاً عسر النطق فهو متنافر ، سواء أكان ذلك من قرب مخارج الحروف أم من بعدها أم من غيرهما ، وذكر ابن سنان الخفاجى أن قرب المخارج يكون سببا فى قبح اللفظ ، وبُعدها يكون سببا فى حسنه ، وذلك غير صحيح ؛ لأن الكلمتين قد تتركبان من حروف واحدة وتكون إحداهما ثقيلة دون الأخرى ، وذلك مثل (عَلَم ومَلَعَ) ؛ فالأولى خفيفة على اللسان ولا ينبو عنها الذوق ، بخلاف الثانية ، مع اتحاد حروفهما ، وقد تتألف الكلمة من حروف متقاربة ولا ثقل فيها مثل (ذُقْتُهُ بفَمى) فالباء والفاء والميم أحرف شفوية متقاربة ولا ثقل فيها ، ولكن مع هذا لا يمكن إنكار ما لمخارج الحروف وصفاتها وهيئة تأليفها من الأثر فى خفة الكلمة وثقلها ، وإنما عُول على الذوق دونه ؛ لأنه لا يجرى على قاعدة معروفة ، وقد زعم الزّوزنى أن فى قوله تعالى – آية ٦٠ سورة يس : ﴿ ألمْ أعهدْ إليكم يا بنى آدم ﴾ ثقلا قريبا من التناهى لقرب مخرج الهمزة والعين والهاء ، مع أن الكلمة خفيفة فى الذوق ، وهى سقطة من الزوزنى .

(٣) قيل : إنه اسم شجر ، وقيل : إنه معاياة لا أصل لها . ومثله كل كلمة يجمع فيها بين العين والحاء أو بين العين والخاء أو بين الجيم والصاد أو بين الجيم والقاف أو بين الدال والزاى ونحو ذلك ، مثل عِقْجُق والظش والشصاصاء ونحوها .

* غدائِرُه مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلا * (١)

* **والغرابة** : أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها (٢) ؛ فيُحتاجُ في معرفته إلى أن ينقِّر عنها في كتب اللغة المبسوطة ؛ كما رُوِيَ عن عيسى بن عمر النحوى أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس ، فقال : « ما لكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذى جنَّة ؟! افْرنقعوا عنى » أى اجتمعتم ، تَفَسَّحوا . أو يُخرج لها وجه بعيد (٣) كما فى قول العجَّاج :

---

(١) هو من قول حُندج بن حجر الكندى المعروف بامرىء القيس فى معلقته :

وفرع يزين المَتْنَ أسودَ فاحـم أثيث كقنو النخلة المُتَعـــثكل

غدائره مستشزرات إلى العلا تضلُّ المدَارى فى مُثَنًّى ومُرسل

وفرع المرأة : شعرها، والمتن : الظهر ، والأثيثُ الكثير الشَّعر ، والقنوُ : العنقود ، والمتعثكل : المتراكم ، والغدائر : الذوائب ، والمستشزرات : المرتفعات ، والمدارى : الأمشاط جمع مدْرَى ، والمثنى : المفتول ، والمرسل : غير المفتول ، وسبب ثقل « مستشزر » توسط الشين المهموسة الرخوة بين التاء المهموسة الشديدة والزاى المجهورة . ومثل مستشزرات « اطْلَخَم » فى قول أبى تمام :

قد قلت لمَّا اطلخم الأمر وانبعثت عشواءُ تاليةً غُبسًا دهاريسَا

وكذلك « سويدواتها » فى قول المتنبى :

إن الكريمَ بلا كرامٍ منهمُ مثل القلوب بلا سوَيدَواتها

وقد نشأ ثقلها من طولها ، وهى مفردة أيضًا ؛ لأنها مركب إضافى .

(٢) عدم ظهور المعنى ينشأ عن وحشية الكلمة . ومعنى وحشيتها : كونها غير مأنوسة الاستعمال عند العرب الخُلَّص ؛ فلا يعول فى ذلك على غيرهم من المحْدثين الذين ظهروا بعد فساد اللغة ، ولا يَرِدُ على هذا متشابه القرآن ومجمله ؛ لأن المراد عدم ظهور المعنى الموضوع له ، والمعنى الوضعى فى المتشابه والمجمل ظاهر لا خفاء فيه ، وإنما الخفاء فى مراد الله تعالى منهما . ومن المتشابه فى القرآن قوله تعالى آية ١٠ سورة الفتح : ﴿ يدُ الله فوق أيديهم ﴾، ومنه فى الحديث قوله ﷺ : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » . ومنه فى الشعر قول أبى تمام :

وَلَهَتْ فأظْلَمَ كُل شىء دونها وأضاء منها كلُّ شىء مظلم

فالوله والظلمة والإضاءة ألفاظ ظاهرة المعنى ، ولكن البيت بجملته يحتاج فهمه إلى استنباط ، ومراده : أنها ولهت فأظلم ما بينه وبينها من جزعه لولهها ، وظهر له ما خفى عنه من حبها له .

* وإنى أرى أن الغرابة وحدها لا تُخلُّ بفصاحة الكلمة ، وقد بينت هذا فى كتابى « البلاغة العالية »، وكذلك أرى أن ابتذالها لا يعيبها ما دامت معانى الكلام جيدة ، وهو ما اختاره ابن شرف القيروانى ، وعليه بعض نقاد الإنجليز الذين يرون أن الابتذال يكون فى الفكرة لا فى الكلمة .

(٣) إنما يلجأ عندهم إلى تخريجها على وجه بعيد إذا وقعت من عربى عارف باللغة ؛ لأنه لا يصح حمل كلامه على الخطأ ، والحق أن العربى قد يخطئ فى لغته ، وأن الحمل على الخطأ خير من تكلف ذلك التخريج البعيد .

* وفاحمًا ومَرْسِنا مسَرَّجا (١) *

فإنه لم يُعْرَف ما أراد بقوله « مُسَرَّجا »؛حتى اختلف فى تخريجه (٢) ، فقيل : هو من قولهم للسيوف سُرَيجيَّة منسوبة إلى قين يقال له سُرَيْج ، يريد أنه فى الاستواء والدقة كالسيف السريجى . وقيل: من السراج ، يريد أنه فى البريق كالسراج . وهذا يقرب (٣) من قولهم: « سَرِجَ وجهه » بكسر الراء : أى حَسُنَ ، وسَرَّج الله وجهه : أى بهَّجَهُ وحسنه .

***ومخالفة القياس** (٤) كما فى قول الشاعر :

---

(١) هو لعبد الله بن رؤبة التميمى السعدى المعروف بالعجاج من قوله :

أيَّام أبدتْ واضحا مفَلَّجا أغَرَّ برَّاقا وطَرفـا أبرجَا

ومُقلةً وحاجبا مزجَّـجا وفاحما ومَرْسنا مُسرجا

والفاحمُ : الشعرُ الشديد السواد ، والمرسن : اسم لمحل الرَّسن وهو أنف البعير ، ثم أطلق وأريد به الأنف مطلقًا على سبيل المجاز المرسل .

وقيل : إن الشاهد لرؤبة بن العجاج .

(٢) سبب اختلافهم أن مسرجا اسم مفعول من – سرَّج – وصيغة فَعَّلَ تأتى للنسبة إلى مصدرها ، كما تقول « كرَّمتُه » بمعنى نسبته إلى الكرم ، ولما كان هذا غير ممكن فى « سَرَّجَ » تكلفوا له أصلاً ينسب إليه ؛ وهو السيوف السُّريجيَّة أو السراج . وهذا إلى أن – مسرجا – فى قول العجاج بمعنى شبيه بالسراج أو السيوف السريجية ، وهو فى أصل وضعه يدل على النسبة إلى أصله ، ولا يستفاد منه التشبيه إلا بتكلف .

* والحق أن أخذه من السراج لا غرابة فيه من جهة الاشتقاق والتشبيه ؛ لأن الاشتقاق من الاسم الجامد قد جاء فى كلام العرب . كما فى قول ابن المُفرَّع :

وبُرُودٍ مدنَّرات وَقَزٍّ ومُلاءٍ من أعْتَق الكتان

فالمعنى فى ذلك التشبيه ، أى : برود وَشْيُها .

(٣) إنما كان قول العجاج قريبًا من هذا الاستعمال ولم يكن منـه ؛ لأنه كما جاء فى « التاج » استعمال غريب أو مُولدٌ ، والعجاج شاعر إسلامى ، فلا يقال فى كلمته إنها مولدة .
*والحق أن هذا الاستعمال من الغريب لا المولد ؛ لأن العجاج شاعر إسلامى ، ولكن غرابته لا تكون من غرابة التخريج على وجه بعيد ، وإنما هى من القسم الأول .

ومن الكلمات الغريبة « الحلقَّدُ » بمعنى السيء الخُلُق ، و « الابتِشاك » بمعنى الكذب كما فى قول الشاعر :

وما أرضى لُمقْلته بحُلم إذا انتبهتْ تَوهَّمهُ ابتشاكا

(٤) المراد به القياس اللغوى كما سبق ، ومخالفته بأن تكون الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواضع ، وقد حمله بعضهم على القياس الصَّرْفى ، وهو خطأ ؛ لأن مخالفـة القياس الصرفى لا تخلُّ دائماً بالفصـاحة ؛ إذ توجد كلمات كثيرة فصيحـة على خلافه . وذلك مثـل =

* الحمدُ لله العَلىِّ الأجْلَل * (١)

فإن القياس : « الأجلّ » بالإدغام .

وقيل : هى خلوصه مما ذُكر ومن الكراهة فى السمع : بأن تُمَجَّ الكلمة ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة . فإن اللفظ من قَبِيل الأصوات ، والأصواتُ منها ما تستلذ النَّفْسُ سماعه ، ومنها ما تكره سماعه .

كلفظ « الجرشى » فى قول أبى الطيب :

* كريم الجرشى شريف النسب (٢) *

أى : كريم النفس . وفيه نظر (٣) .

= آل وماء ويأبى وعَورَ يعْوَرُ . ويدخل فى مخالفة القياس اللغوى ككل ما تنكره اللغة لمأخذ لغوى أو صرفى أو غيرهما . وذلك كالمقراض فى قول أبى الشيص :

وجناح مقصوص تحَيَّف رِيشَهُ   رَيْبُ الزمان تحَيُّف المقرَاضِ

لأنه لمْ يسمع فى كلامهم إلا مثنى خلافًا لسيبويه . وكالأيم فى قول أبى عبادة :

يشُقُّ عليه الريحُ كلَّ عشيَّة   جيوبَ الغمام بين بكْر وأيِّم

لأنه وضعها مكان الثيب مع أن الأيم هى التى لا زوج لها ولو كانت بكرًا . وكحذف النون من « لكنْ » فى قول النجاشى :

فلستُ بآتيه ولا أستطيعُهُ   وَلاكِ اسْقِنى إن كان ماؤك ذا فضلِ

أراد « ولكن اسقنى » .

(١) هو لأبى النجم الفضل بن قدامة العجْلى من قوله فى مطلع أرجوزته :

الحمدُ لله العَلى الأجلل   الواهب الفضْل الكريم المجزل

والذى ألجأه إلى فك الإدغام ضرورة الشعر ، ولكن ذلك لا يمنع الإخلال بالفصاحة؛ لأن من الضرورات الشعرية ما هو مستقبَح ، وقد روى مطلعها :

الحمدُ لله الوَهاب المجزل   أعطى فلم يبخلْ ولم يبخَّل

فلا يكون فيه شاهد لمخالفة القياس ، ومنه قول الشاعر :

مهلاً أعاذلُ قد جرَّبت من خُلُقى   أنى أجودُ لأقوام وإن ضَننُوا

(٢) هو لأحمد بن الحسين الجعفى الكندى المعروف بأبى الطيب المتنبى ، من قوله فى مدح سيف الدولة :

مُبَارَكُ الاســـم أغرُّ اللَّقَبْ   كريم الجِرشَّى شريف النَّسَبْ

وقد أخذ الدسوقى فى « حاشيته على المختصر » من قوله « شريف النسب » أن سيف الدولة من بنى العباس ، وهو خطأ ظاهر ؛ لأن سيف الدولة من تغلب .

(٣) وجه النظر أن الكراهة فى السمع لا تكون إلا من تنافر حروف الكلمة أو غرابتها ، فليست شيئاً آخر غيرهما ، والجرشى فى بيت المتنبى تدخل فى الغرابة .

*ثم علامة كون الكلمة فصيحةً أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيراً (١) ، أو أكثرَ من استعمالهم ما بمعناها (٢) .

فصاحة الكلام

وأما فصاحة الكلام : فهى خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات والتعقيد ، مع فصاحتها (٣) .

* **فالضعف** (٤) : كما فى قولنا « ضرب غلامُه زيداً » ؛ فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظًا ممتنع عند الجمهور ؛ لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظا ورتبةً ، وقيل : يجوز (٥) كقول الشاعر :

جزى ربُّه عنى عَدِىَّ بن حاتم   جزاء الكلاب العاويات ، وقد فَعَلْ (٦)

وأجيب عنه بأن الضمير لمصدر « جزى » أى رب الجزاء ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ اعْدِلوا هو أقْرب للتقوى ﴾ (٧) أى العدل .

---

(١) هذا إذا لم يكن لها مرادف .

(٢) هذا إذا كان لها مرادف ، ولكن هذا يقتضى نفي الفصاحة عن مرادفها مع أن مراتب الفصاحة متفاوتة ، فلا مانع من أن يكون كل منهما فصيحاً ولو كان أحدهما أكثر استعمالا ، فالأوْلى الاقتصار على الشق الأول من هذه العلامة .

(٣) أى مع فصاحة الكلمات ؛ لأن فصاحة الكلمة شرط من فصاحة الكلام ، فلو خلا من الثلاثة واشتمل على كلمة غير فصيحة لم يكن فصيحا ، وذلك كقول أبى الطيب :

مُبَارَكُ الاسم أغَرُّ اللقَبْ   كريم الجرشَّى شريف النسبْ

(٤) ضعف التأليف هو أن يكون تأليف الكلام على خلاف المشهور من قواعد النحو ، وإنما قيد الخلاف بالمشهور من القواعد ؛ لأن خلاف المجمع عليها خطأ لا ضعف تأليف .

(٥) هذا مقابل قوله « ممتنع عند الجمهور » فهو قول بعض النحاة أيضا ، وليس قولا لبعض علماء البلاغة ؛ لأنهم متفقون على أن ذلك ضعف تأليف .

(٦) هو لزياد بن معاوية « المعروف بالنابغة الذبيانى » ، وقيل : إنه لأبى الأسود الدؤلى . وقيل : إنه مولَّد مصنوع ، وجزاء الكلاب : الضربُ بالحجارة ، وجملة « جزى ربه » دعائية ، يعنى أنه يدعو عليه بذلك وقد حقق الله دعاءه ، ولا يخفى ما فى هذا من عدم التلاؤم ، والأوْلى أن يعود ضمير « فعل » إلى « عدى » ، والمراد ما فعله معه من الإساءة إليه ، والحق أن هذا البيت ليس للنابغة ، وإنما هو اشتباه بقوله :

جزى الله عبساً عبسَ آل بغيض   جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

(٧) آية ٨ سورة المائدة : وهذا قياس مع الفارق ؛ لأن الضمير فى الآية ظاهر العود =

* **والتنافر** : منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية فى الثقل على اللسان ، وعسر النطق بها متتابعةً ؛ كما فى البيت الذى أنشده الجاحظ :

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفْرُ وليس قُرْبَ قبرِ حربٍ قبرُ (١)

ومنه ما دون ذلك ، كما فى قول أبى تمام :

كريمٌ متى أمْدَحْه أمْدَحْه والورى مَعِى وإذا ما لُمتُه لمته وحْدِى (٢)

فإن فى قوله « أمدحه » ثقَلاً مَا ؛ لما بين الحاء والهاء من التنافر (٣) .

* **والتعقيد** : ألاَّ يكونَ الكلام ظاهر الدلالة على المراد به (٤) . وله سببان :

= إلى العدل ، أما البيت فضميره ظاهر العود إلى عدى ، ولا داعى إلى تكلف عوده إلى الجزاء .

ومن ضعف التأليف وقوع ضمير الوصل بعد « إلا » فى قول الشاعر :

وما علينا إذا ما كنت جارتنا ألاَّ يجاورنا إلاَّكِ ديَّارُ

ومنه حذف « أن » مع بقاء عملها ، كقول طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضرَ الوغَى وأنْ أشهدَ اللذات هل أنت مُخلدى

(١) هو فيما زعموا لبعض الجن ، وكان قد صاح على حرب بن أمية فى فلاة فمات بها ، والقفر : الخالى ، وهو مرفوع صفة لمكان على القطع ، أو خبر المبتدأ وهو قبر ، والمعنى أنه مع مكانه قفر ، وفى هذا الوجه تكلف .

(٢) هو لحبيب بن أوس الطائى المعروف بـ« أبى تمام » يمدح به موسى بن إبراهيم الرافقى ، والورى : الخلق ، ولا يخفى نبوُّ الشطر الثانى عن المدح ولاسيما مع « إذا » المفيدة للتحقق ، وأخذ عليه أيضاً مقابلة المدح باللوم لا الهجاء ، ولعله أراد أن ينزهه عنه .

(٣) الحق أنه لا تنافر فى ذلك ؛ لأنه ثقل محتمل ، وقد جاء فى قوله تعالى ﴿ فسبِّحه ﴾ . وقيل إن الذى أوجب التنافر فى البيت هو التكرير فى قوله (أمدحه) مع الجمع بين الحاء والهاء، ومع هذا لا يقال إن هذا التعليل يُقبل لو كان يتحدث عن تنافر الحروف ، ولكنه يُقبل بصدد الحديث عن تنافر الكلمات .

ومن تنافر الكلمات قول الشاعر :

وازورَّ مَن كـان له زائراً وعافَ عافى العرف عرفانه

(٤) أى لا الموضوع له كما فى الغرابة ، ولا يدخل فى التعقيد المتشابه والمجمل ؛ لأن عدم ظهور المراد فيهما ليس لاختلال النظم أو نحوه مما يأتى . وقد اختلف فى دخول اللغز والمعمَّى فى التعقيد ، فقيل : إنهما منه ، وقيل إنهما من المحسنات البديعية إن كانت الدلالة فيهما ظاهرة للفطن ، وكل منهما قول يدل ظاهره على خلاف المراد ، ولكن اللغز يكون على طريق السؤال ، كقول الحريرى فى الميل :

وما ناكحُ أختين سرًّا وجهرةً وليس عليه فى النكاح سبيلُ؟

أحدهما ما يرجع إلى اللفظ . وهو أن يختلَّ نَظْمُ الكلام (١) ولا يدرى السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ؛ كقول الفَرَزْدَق :

وما مِثْلُهُ فى الناس إلا مُملَّكا أبو أمّه حىٌّ أبوهُ يقاربُهْ

كان حقه أن يقول : وما مثله فى الناس حىٌّ يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه ؛ فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك بن مروان فقال : « وما مثله » يعنى إبراهيم الممدوح، « فى الناس حى يقاربه » أى أحد يشبهه فى الفضائل (٢) ، إلا « مملكا » يعنى هشاماً، « أبو أمّه » أى أبو أم هشام ، « أبوه » أى أبو الممدوح ، فالضمير فى « أمه » للمملك ، وفى « أبوه » للممدوح ؛ ففصل بين « أبو أمه » وهو مبتدأ و « أبوه » وهو خبره بـ « حى » ، وهو أجنبى ، وكذا فصل بين « حى » و« يقاربه »(٣) وهو نعت « حى » ، وقدَّم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما نراه فى غاية التعقيد (٤) .

فالكلام الخالى من التعقيد اللفظى : ما سلمَ نظمُه من الخلل ؛ فلم يكن فيه ما

---

(١) قد يكون اختلاله باجتماع أمور فيه توجب صُعوبة الوصول إلى معناه ، وإن كانت جائزة فى النحو ، وهذه الأمور كالتقديم والتأخير والحذف والإضمار ونحو ذلك ، وبهذا يكون التعقيد اللفظى غير ضعف التأليف ، ولكنهما قد يجتمعان فى مثال واحد ، كما فى بيت الفرزدق ، وينفرد ضعف التأليف فى مثل « ضرب غلامه زيداً » ، وينفرد التعقيد فى مثل « إلا عمراً الناس ضارب زيد » بتقديم المفعول والمستثنى وتأخير المبتدأ ، وهذا جائز فى النحو ، والأصل « زيد ضارب الناس إلا عمراً » .

(٢) هو لهمام بن غالب التميمى المعروف بالفرزدق ، وقيل إن البيت ليس له .

(٣) فيقاربه فى البيت بمعنى يضاهيه ويشبهه ، ويجوز أن يكون من قرب النسب .

(٤) حمله بعضهم على وجه لا تعقيد فيه ، فجعل الاستثناء من الضمير المستتر فى متعلق الجار والمجرور قبله ، وجعل قوله « حى » خبراً لقوله « أبو أمه » ، وكذلك قوله « أبوه » فهو خبر بعد خبر ، وجملة ذلك صفة لقوله « مملكا » وكذلك جملة « يقاربه » فهى صفة بعد صفة ، ويكون المعنى « إلا مملكا يقاربه أبو أمه حى » ، وهو أبو الممدوح ، ولا يخفى ما فى الإخبار بحى من التهافت .

ومن التعقيد اللفظى قول أبى تمام :

ولقد ثنى الأحشاءَ من برحائها أن صار بابك جار مازيّار

ثانيه فى كبد السماءِ ولم يكنْ كاثنين ثان إذْ هما فى الغار

يريد أنه لم يكن كثانى اثنين ، وقيل : إن « ثانيه »خبر ثان لصار ، و« ثان » اسم « يكن » و« كاثنين » خبره ، والأوْلى جعل « ثانيه » خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو .

يخالف الأصل ؛ من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلاَّ وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية ، كما سيأتى ذلك كله وأمثلته اللائقة به .

والثانى ما يرجع إلى المعنى ، وهو ألاَّ يكونَ انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو لازمه والمراد به ظاهراً (١) ؛كقول العباس بن الأحنف :

سأطلبُ بُعْدَ الدار عنكم لتَقْربُوا وتَسكُبُ عيناىَ الدموعَ لتَجْمُدا (٢)

كنى بسكب الدموع عمَّا يوجبه الفراق من الحزن (٣) ، وأصاب ؛ لأن من شأن البكاء أن يكون كنايةً عنه ؛ كقولهم « أبكانى وأضحكنى » ؛ أى ساءنى وسرنى ، وكما قال الحماسىُّ :

أبكانىَ الدهر ويا ربَّما أضحَكنى الدهرُ بما يُرْضِى (٤)

ثم طرد ذلك فى نقيضه ، فأراد أن يكنى عما يوجبه دوامُ التلاقى من السرور بالجمود ؛ لظنه أن الجمودَ خلوُّ العين من البكاء مطلقًا من غير اعتبار شىء آخر ، وأخطأ (٥) ؛ لأن الجمود خلو العين من البكاء فى حال إرادة البكاء منها ؛ فلا يكون كناية عن المسرة ؛ وإنما يكون كناية عن البخل ، كما قال الشاعر :

ألا إن عَيْنًا لمْ تَجُدْ يومَ واسطٍ عليك بجارِىَ دَمْعِها لَجَمودُ (٦)

---

(١) المعنى الأول : هو المعنى الأصلى ، والمعنى الذى هو لازمه : هو المعنى المجازى أو الكنائى .

(٢) قوله « وتسكب » بالرفع ، ونصبه بالعطف على « بعد » أو على « تقربوا » وهمٌ ، والحق أنه لا شىء فى عطفه على « تقربوا » ، والسين فى قوله « سأطلب » لمجرد التأكيد ، ومعنى الشطر الأول : أنه يفارقه رجاء أن يغنم فى سفره فيعود إليه فيطول اجتماعه به .

(٣) قيل : إنه لا حاجة إلى الكناية بسكب الدموع عن هذا ؛ لأنه يجوز أن يراد به حقيقةً .

(٤) هو لحطَّان بن المعلى من شعراء الحماسة ، وقد كنى فيه بإبكاء الدهر له عن إساءته وبإضحاكه له عن سروره .

(٥) أى فى نظر علماء البيان ، وإن كان لكلامه وجه من الصحة بأن يكون استعمل جمود العين وهو يبسها فى خلوها من الدموع وقت الحزن مجازاً مرسلا علاقته الملزومية ، ثم استعمله فى خلوها من الدموع مطلقًا مجازاً مرسلا من استعمال المقيد فى المطلق ، ثم كنى به عن دوام السرور ، وفى ذلك من البعد والتعقيد بكثرة الوسائط ما يجعله خطأً فى نظر علماء البيان .

(٦) هو لأفلح بن يسار وقيل مرزوق بن يسار المعروف بأبى عطاء الخراسانى فى رثاء ابن هبيرة ، وبعده :

عشيةَ قام النائحاتُ وشُقِّقتْ جيوبٌ بأيدى مأتمٍ وخدود

وواسط : مدينة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف ، وقد قتل ابن هبيرة فى معركة وقعت فيها ، وقد كنى فيه بجمود العين عن بخلها بالدمع فى الوقت الذى يجب فيه أن تدمع . =

ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء فى حال المسرة لجاز أن يُدعَى به للرجل ؛ فيقال : « لا زالت عينك جامدة » ، كما يقال : « لا أبكى اللهُ عينك » وذلك مما لا يُشكُّ فى بطلانه ، ومن ذلك قول أهل اللغة « سنَةٌ جمادٌ لا مطر فيها ، وناقة جماد لا لبن لها » ؛ فكما لا تُجعل السنة والناقة جماداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقَطرِ والناقة لا تسخو بالدَّر ، لا تجعل العينَ جمُوداً إلا وهناك ما يقتضى إرادة البكاء منها ، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأنها قد جادت ، وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضَنَّتْ .

فالكلام الخالى عن التعقيد المعنوى ما كان الانتقالُ من معناه الأول إلى معناه الثانى الذى هو المراد به ظاهراً ، حتى يخَيَّل إلى السامع أنه فهمه من حاقِّ اللفظ (١) كما سيأتى من الأمثلة المختارة للاستعارة والكناية .

وقيل : فصاحة الكلام هى خلوصه مما ذُكِرَ ، ومن كثرة التكرار وتتابع الإضافات ؛ كما فى قول أبى الطيب :

* سَبوحٌ لها منها عليها شواهِدُ (٢) *

وفى قول ابن بابَكَ :

* حَمامةَ جَرْعا حَومَةِ الجندلِ اسجَعِى (٣) *

= ومن التعقيد المعنوى قول أبى تمام :

من الهيف لو أنَّ الخلاخلَ صُيِّرتْ لها وشحًا جالتْ عليها الخلاخل

أراد وصفها بدقة الخصر ، فكنى عنه بأن الخلاخل لو جعلت لها وشحًا لجالت عليها ، وهذا لا يدل على مراده ، بل يدل على بلوغها غاية القصر ؛ لأنه أمكن أن تكون الخلاخل وشحًا لها ، والوشاح يضرب لها من العاتق إلى الكشح .

(١) حاق الشىء : وسطه .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى فى وصف فرسه :

وتُسْعدنى فى غمرةٍ بعدَ غمرة سبوحٌ لها منها عليها شواهد

والغمرة : الشدَة ، والسبوح : السريعة ، والشواهد : العلامات ، وهو فاعل قوله « لها » لاعتماده على الموصوف قبله أو مبتدأ مؤخر . والشاهد فى كثرة الضمائر وتكرارها .

(٣) هو لعبد الصمد منصور البغدادى المعروف بابن بابك من قوله :

حمامةَ جرْعا حوْمَةِ الجندل اسجَعى فأنت بمرْأى منْ سُعَاد ومَسمَعِ

والجرعاء : مؤنث الأجرع وهو المكان ذو الرمل لا ينبت شيئًا ، وحومة الشىء : معظمه ،=

وفيه نظر ؛ لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان ، فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم (١) ، وإلا فلا يُخلُّ بالفصاحة ، وقد قال النبى ﷺ :

« الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم »(٢) .

قال الشيخ عبد القاهر (٣) : قال الصاحب (٤) : « إياك والإضافات المتداخلة ؛ فإنها لا تَحْسُن » . وذكر أنها تستعمل فى الهجاء ، كقول القائل :

يا عَلىّ بن حمزة بن عمارهْ أنت واللهِ ثلجةٌ فى خِيارهْ (٥)

ثم قال الشيخ : « ولا شك فى ثقل ذلك فى الأكثر ، ولكنه إذا سلم من الاستكراه مَلُحَ ولطف . ومما حسن فيه قول ابن المعتز أيضًا (٦) :

وظلتْ تدير الرَّاحَ أيدى جآذرٍ عِتَاق دنَانير الوجوه مِلاحَ (٧)

ومما جاء فيه حَسنًا جميلا قول الخالدى يصف غلامًا له :

ويعرفُ الشعرَ مثلَ معرفتى وهو على أن يزيد مجْتهدُ

= والجندل : الحجارة ، ومرأى ومسمع : اسما مكان أى بمكان تراك منه سعاد وتسمعك . والشاهد فى إضافة حمامة إلى جرعا ، وجرعا إلى حومة ، وحومة إلى الجندل .

(١) يعنى بالتنافر .

(٢) فى الحديث كثرة تكرار، وهى ظاهرة ، وفيه تتابع إضافات ؛ لأن الإضافات تشمل المتداخلة كما فى قول ابن بابك ، وغير المتداخلة كما فى الحديث ، والمتداخلة هى التى يضاف فيها الأول للثانى ، والثانى للثالث .

(٣) ٧٠ – دلائل الإعجاز – المطبعة العربية .

(٤) هو إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب ؛ لصحبته ابن العميد .

(٥) لا يعرف قائله ، وفى قوله « ثلجة فى خياره » قلب ، والأصل خيارة فى ثلجة ، واعترض على الخطيب بأنه سيذكر هذا البيت فى الاطراد من أنواع البديع فكيف يعيبه هنا ؟! والحق أنه ليس فيه تتابع إضافات ، وإنما هذا اشتباه نظر من عبد القاهر ، وقد ترجم ياقوت لعلى بن حمزة فى الجزء الخامس من معجم الأدباء .

(٦) أى كما حسن فيما ذكره له قبل ذلك ، وهو قوله :

يا مسكة العطَّار وخَالَ وجْه النهار

(٧) هو لعبد الله بن المعتز . والراح : الخمر ، والجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية ، والعتاق : جمع عتيق بمعنى كريم ، وإضافة دنانير إلى الوجوه من إضافة المشبه به إلى المشبه ، والشاهد فى قوله « عتاق دنانير الوجوه » .

وصَيْرَفيٌّ القريضِ وَزَّانُ ديـ ـنارِ المعانى الدِّقاق منتقدُ (١)

فصاحة المتكلم :

وأما فصاحة المتكلم فهى مَلَكةٌ يُقتَدَرُ بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح ؛ فالملكة قسم من مَقولة الكيف التى هى هيئة قَارَّةٌ لا تقتضى قسمة ولا نسبة (٢) ، وهو مختص بذوات الأنفس راسخ فى موضوعه .

وقيل « ملكة » ولم يُقَلْ صفة؛ ليُشعرَ بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة ؛حتى لا يكون المُعَبِّرُ عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحًا إلا إذا كانت الصفة التى اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه ، وقيل « يقتدر بها » ولم يقل يُعَبِّرُ بها ؛ ليشمل حالتى النطق وعدمه ، وقيل « بلفظ فصيح » ليَعُمَّ المفرد والمركب .

بلاغة الكلام :

وأما بلاغة الكلام فهى مطابقته لمقتضَى الحال (٣) مع فصاحته (٤) . ومقتضى الحال مختلف ؛ فإنَ مَقَامات (٥) الكلام متفاوتة ؛ فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ،

---

(١) هما لأبى عثمان سعيد بن هاشم المعروف بالخالدى ، والصيرفى : المحتال فى الأمور ، والقريض : الشعر ، والمنتقد : فى الأصل الخبير بتمييز الدراهم ، ثم أطلق على تمييز الدراهم وغيرها ، والشاهد فى قوله « وزان دينار المعانى » .

(٢) خرج بهذا القيد مقولة الكَم؛ كالعدد ، وكذلك مقولة بالإضافة ، كالأبوة ، وهذا تعريف فلسفى للكيفية ، وهى صفة وُجُودية إن اختصت بالنفس الناطقة فهى نفسانية ، فإن رسخت بتوالى أمثالها فهى ملكة ، وهذا التعريف أليقُ بعلوم البلاغة .

(٣) الحال : هو الأمر الداعى للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدى به أصل المراد خصوصيةً ما ، ومقتضى الحال : هو تلك الخصوصية ، ومطابقة الكلام له بمعنى اشتماله عليه ، فإذا كان المخاطب ينكر قيام زيد مثلا ، فإنكاره حال يدعو المتكلم إلى أن يخبر بقيامه مؤكداً « إن زيداً قائم » وتأكيد الخبر هو مقتضى الحال .

(٤) فصاحته تكون بخلوه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد ، على ما سبق فى بيان فصاحة الكلام ، وهذا قيد يخرج به كل كلام غير فصيح ، فلا يكون بليغاً وإن كان مطابقاً لمقتضى الحال . ويجب عندى أن يزاد فيها قيد آخر أى : مع فصاحته وأصالته ؛ لأن المعنى إذا لم يكن أصيلا لم يكن بليغاً ، على نحو ما يأتى فى السرقات الشعرية آخر الكتاب ، وبهذا يكون الكلام فيها عندى من علم المعانى .

(٥) المقامات : جمع مقام وهو اسم مكان من « قام » ، والمراد به الحال السابق ؛ وذلك أن البلغاء كانوا يلقون خطبهم وأشعارهم وهم قيام ، فأطلق المقام على الحال الداعى إليها لأنه سبب فيه .

ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذَّكيِّ يباين خطاب الغبى ، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مَقام (١) ، إلى غير ذلك ، كما سيأتى تفصيل الجميع .

وارتفاع شأن الكلام فى الحُسنِ والقَبُول (٢) : بمطابقته للاعتبار المناسب ، وانحطاطه : بعدم مطابقته له ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب (٣) ، وهذا - أعنى تطبيق الكلام على مقتضى الحال - هو الذى يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم (٤) ؛ حيث يقول : النَّظمْ تَأخِّى (٥) معانى النحو (٦) فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يُصاغ لها الكلام .

---

(١) هذا كالفعل الّذى يقترن بالشرط ، فله مع « إنْ » مقام ليس له مع « إذا » وهكذا . ومن ذلك ما روى أن رجلا أنشد ابن هَرْمةَ قوله :

بالله ربكَ إن دخلتَ فقلْ لها هذا ابنُ هرمة قائمًا بالباب

فقَال له : ما هكذا قلتُ ، أكنتُ أتصدَّق ؟! قال : فقاعداً . قال : أكنت أبول ؟ قال : فماذا ؟ قال : واقفًا ، ليتك علمتَ ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى » . ولعل ابن هرمة يعنى من ذلك أن القيام يقتضى الدوام والثبوت بخلاف الوقوف ، تقول : وقف الحاج بعرفة ، ولا تقول : قام .

وتحقيق هذا أن الألفاظ المركبة فيها جمال وقبح كالألفاظ المفردة ؛ حتى إنه قد يحدث أن يتألف الكلام من ألفاظ جميلة فى ذاتها قبيحة فى تركيبها لفقدها ما يسمى جمال الانسجام ، وهذا هو ما يعنون بقولهم : ولكل كلمة مع صاحبتها مقام .

(٢) عطف القَبولَ على الحسنِ ليدلَّ على أن المراد الحسن الذاتى الداخل فى البلاغة لا الحسن العَرَضى الحاصل بالمحسنات البديعية .

(٣) أى الأمر الذى اعتبره المتكلم مناسبًا بحسب السليقة أو بحسب ما عرفه من أساليب البلغاء .

(٤) ٥٥ - دلائل الإعجاز .

(٥) تأخيت الشىء : تحريته وتتبَّعته .

(٦) يريد بمعانى النحو الخصوصيات التى هى مقتضى الحال من التقديم والتأخير وغيرهما ، والأغراض فى قوله « على حسب الأغراض » هى الأحوال الداعية إليها ، أو المعانى الثانوية التى يقصد من الخصوصيات إفادتها ، وقيل : إن عبد القاهر لا يقف فى هذا بالنحو عند وظيفته التى قصر أخيرًا عليها ، وهى الحكم بالصحة والخطأ فى المعانى الأصلية ، بل يجعل له حكما أيضًا فى المعانى الثانوية ، ولهذا عرّفه ابن جنِّى بأنه « انتحاء كلام العرب فى تصرفه من إعرابٍ وغيره ؛ ليلتحق من ليس من أهل العربية بأهلها فى الفصاحة » .

فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب (١) ، وكثيراً ما يسمى ذلك (٢) فصاحة أيضاً ، وهو مراد الشيخ عبد القاهر (٣) بما يكرره في « دلائل الإعجاز » من أن « الفصاحة صفةٌ راجعةٌ إلى المعنى دون اللفظ » كقوله في أثناء فصل منه : « علمتَ أن الفصاحةَ والبلاغةَ وسائر ما يجرى في طريقهما أوصافٌ راجعةٌ إلى المعانى ، وإلى ما يُدَلُّ عليه بالألفاظ دون الألفاظ أنفسها » (٤) . وإنما قلنا مراده ذلك ؛ لأنه صرح في مواضع من « دلائل الإعجاز » بأن فضيلة الكلام للَّفظ لا لمعناه ، منها أنه حكى قول مَن ذهب إلى عكس ذلك (٥) فقال : « فأنت تراه لا يُقَدِّم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة أو أدباً ، أو اشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر » (٦) ثم قال : « والأمر بالضدِّ إذا جئنا إلى الحقائق وما عليه المحصلون ؛ لأنّا لا نرى متقدما في البلاغة مُبَرِّزًا في شأوها إلا وهو ينكر هذا الرأى » . ثم نقل عن الجاحظ في ذلك كلاماً منه قوله : « والمعانى مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمى والعربى ، والقَرَوىُّ والبدوى ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرَج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك » . ثم قال (٧) : « ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذى يعبر عنه سبيل الشيء الذى يقع التصوير فيه ؛ كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم وأسوار ، فكما أنه مُحَال إذا أردتَ النظر في صوغ الخاتم وجودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك

---

(١) أى لا باعتبار أنه لفظ وصوت، ولا باعتبار الألفاظ المفردة والكلم المجردة ، والمراد بالمعنى الذى تعتبر به البلاغة المعنى الثانوى ، وهو مدلول الخصوصيات السابقة في علم المعانى ، والمعانى المجازية والكنائية في علم البيان ، أما المعنى الأصلى وهو مجرد ثبوت المسند للمسند إليه فلا تعتبر به البلاغة أصلا ، وقد تُطلق المعانى الثانوية على نفس الخصوصيات .

(٢) أى الوصف المذكور وهو البلاغة ، وعلى هذا تكون مرادفة للفصاحة .

(٣) فهو يريد بالفصاحة في كلامه البلاغة ؛ لأن الفصاحة بمعناها السابق ترجع في التنافر والغرابة ومخالفة القياس والتعقيد اللفظى إلى اللفظ وحده ، ولا ترجع إلى المعنى إلا في التعقيد المعنوى ، وكذلك يريد من رجوع الفصاحة بمعنى البلاغة إلى المعنى أنها صفة اللفظ باعتبار المعنى ، ولا يريد أنها لا ترجع إلى اللفظ أصلا .

(٤) ١٦٩ – دلائل الإعجاز .

(٥) عكسه هو أن فضيلة الكلام للمعنى لا للفظ .

(٦) ١٦٤ – دلائل الإعجاز .

(٧) ١٦٦ – دلائل الإعجاز .

الصـورة أو الذهب الذى وقع فيـه ذلك العـمل ؛ كـذلك مـحـال إذا أردتَ أن تـعـرف مكان الفـضـل والمزية فى الكلام أن تنظر فى مـجـرد معناه ، وكـمـا لو فَضَّلْنَا خـاتمًا على خاتم بأن تكون فضَّةُ هذا أجودَ أو فصُّه أنفَس لم يكن تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كـذلك ينبغى إذَا فضَّلنا بيتًا على بيت من أجل معناه ألاَّ يكونَ ذلك تفـضيلاً له من حيث هو شعر وكلام » . هذا لفظه ، وهو صريح فى أن الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضـيلة باعـتبـار شـرف معناه ، ولا شكَّ أن الفـصاحـةَ [١] من صـــفـاته الفاضلة ؛ فلا تكون راجعة إلى المعنى ، وقد صرَّحَ فيما سبق بأنها راجعة إلى المعنى دون اللفظ ، فالجمع بينهـمـا بما قدمناه يحـمل كـلامـه ؛ حيث نفى أنهـا من صـفـات اللفظ ، على نفى أنها من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب [٢] ، وحيث أثبت أنها من صفاته على أنها من صفاته باعتبار إفادته المعنى عند التركيب[٣] .

***وللبلاغة طرفان**: أعلى ، إليه تنتهى، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه [٤]. وأسفل ، منه تبتدئُ [٥] وهو ما إذا غيِّرَ الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات ، وإن كان صحيح الإعراب . وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة .

وإذ قد عـرفتَ معنى البلاغة فى الكلام وأقسامها ومـراتبـهـا ؛ فاعلم أنه يتبعـهـا وجوه كثيرة [٦] غـيـر راجـعـة إلى مطابقـة مـقـتضى الحال ولا إلى الفـصـاحـة ، تُورث الكلام حُسنًا وقبولاً [٧] .

---

(١) يريد من الفصاحة ما يرادف البلاغة ، جريًا على مذهب عبد القاهر .

(٢) أى من غير اعتبار ما يفيده التركيب من المعانى الثانوية .

(٣) فالمعنى الذى أرجع الفصاحة إليه هو المعنى الثانوى باعتبار استفادته من اللفظ عند التـركـيـب . والمعنى الذى نفى البـلاغـة عنه هو المعنى الأصلى للفظ المفـرد والكلام المجـرد عن الخصوصيات .

(٤) حدُّ الإعجاز : منتهاه ، لأن الحد فى اللغة : منتهى الشىء ، وما يقرب من الإعجاز هو ما دونه من مراتب الإعجاز ؛ لأن الحق أن القرآن متفاوت الإعجاز وليس كل آياته فى درجة واحدة من البلاغة ، وبهـذا يكون قـوله « ومـا يقـرب منه » مـعطوفًا على « حـد الإعـجـاز » ، وقـيـل : إنه معطوف على قوله « وهو » على معنى أن حد الإعجاز هو الطرف الأعلى وما يقـرب منه كما قال السكاكى ، ولكن حمل ما هنا عليه لا يخلو من تكلف .

(٥) من العلماء – كـالفـخـر الرازى – من يرى أن هذا ليس من البـلاغـة ، فـيلحق بأصـوات الحيوانات أيضًا ، والحق أنه منها ؛ لأنه لا بد من اشتمـاله على خُصوصية ما ، فيدخل فى تعريف البلاغة .

(٦) هى المحسنات البديعية الآتية فى علم البديع .

(٧) المراد بالقـبـول هنا مـا يرادف الحُسْنَ ، لا القَبُول بمعنى الصـحـة؛ لعـدم توقف صـحـة الكلام عليها .

بلاغة المتكلم :

وأما بلاغةُ المتكلمُ فهى ملكةٌ يُقتَدرُ بها على تأليف كلام بليغ .

حصر علوم البلاغة : وقد عُلمَ بما ذكرنا أمران :

أحدهما : أنّ كل بليغ – كلامًا كان أو متكلما – فصيحٌ ، وليس كلُّ فصيح بليغًا (١) .

الثانى : أن البلاغة فى الكلام مَرجعُها إلى الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد (٢) وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره (٣) . والثانى – أعنى التمييز – منه ما يتبين فى متن اللغة أو التصريف أو النحو أو يُدْرَكُ بالحسِّ وهو ما عدا التعقيد المعنوى (٤) ، وما يُحْتَرَزُ به عن الأول – أعنى الخطأ فى تأدية المعنى المراد – هو علم المعانى . وما يحترز به عن الثانى – أعنى التعقيد المعنوى – هو علم البيان . وما يُعْرَفُ به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مُقْتَضَى الحال وفصاحته هو علم البديع (٥) . وكثير من الناس يُسَمِّى الجميعَ علم البيان (٦) ، وبعضهم يسمى الأولَ علم المعانى ، والثانى والثالث علمَ البيان ، وبعضهم يسمِّى الثلاثة :علمَ البديع (٧) .

---

(١) مما هو فصيح وليس ببليغ قولُ نصيب :

فإنْ تصلى أصلك وإن تعودى ... لِهجرٍ بعدَ وصلك لا أبالى

لأنه نسيب ردىء . ومنه أيضا قول جميل :

فلو تركتْ عقلى معى ما طلبتها ... ولكن طلابها لما فاتَ من عقْلى

زعم أنه يهواها لذهاب عقله ، وأنه لو كان عاقلا ما طَلبها ، وأين هذا من قول بعضهم :

وما سرَّنى أنى خَلىٌّ من الهوَى ... ولو أنَّ لى من بين شرقى إلى غرب

فإن كانَ هذا الحبُّ ذنبى إليكم ... فلا غَفرَ الرحمانُ ذلك منْ ذنبِ

(٢) هو المعنى الثانوى ، والاحتراز عن الخطأ فيه بمراعاة مقتضى الحال .

(٣) لأن الفصاحة شرط فى البلاغة كما سبق ، وتمييز ذلك يكون بمعرفة الأمور المخلة بالفصاحة من التنافر والغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف وغير هذا مما سبق .

(٤) ما عدا التعقيد المعنوى ، هو الغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف، والتعقيد اللفظى، والتنافر ، والأول يعرف بعلم متن اللغة ، والثانى بالتعريف وغيره ؛ لأنه لا يختص به ، والثالث والرابع بالنحو ، والخامس يدرك بالحس والذوق ، وبهذا تتوقف علوم البلاغة على هذه العلوم ، وعلى تربية الحس والذوق بمطالعة كلام العرب .

(٥) بهذا تنحصرُ علومُ البلاغة فى العلوم الثلاثة ، وإنما لم تُجعل علوم اللغة والتصريف والنحو من علوم البلاغة مع توقف الفصاحة عليها أيضًا ؛ لأنها تُقصد لأغراض غيرَ الفصاحة ، ومعرفة بعض نواحى الفصاحة منها تأتى بطريق العَرَض .

(٦) لأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير ، وهذه العلوم لها تعلق بالكلام الفصيح تصحيحا وتحسينا .

(٧) إما لبداعة مباحثها ، أو لأنها يعرف بها أمور مبتدعة بالنسبة إلى تأدية أصل المراد الذى يعرفه الخاصة والعامة ، والظاهر أن الذى يسمى الثلاثةَ علمَ البديع بعضٌ آخر غير من ذهب إلى ما قبله .

تمرينات على الفصاحة والبلاغة

تمرين – ١

١ – **وازن بين هذين البيتين من جهة الفصاحة :**

لا يَرْقَعُ الناسُ ما أوْهَتْ أكُفُّهُمُ   عند الدفاع ولا يُوهُون ما رقعوا
فلا يُبرَمُ الأمرُ الذى هــو حاللٌ   ولا يُحْلَلُ الأمرُ الـذى هو يُبرَمُ

٢ – بَيِّنْ ما فى هذا البيت مما يُخلُّ بالفصاحة :

وشَوَّهَ تَرقيشُ المُرَقش رَقْشُهُ   فأشياعُهُ يشكونه ومَعَاشِرُهْ

تمرين – ٢

١ – قال بعض الشعراء :

خَلتِ البلادُ من الغزالة ليلَهَا   فأعاضهاكَ اللهُ كىْ لا تَحْزَنَا

وقال آخر :

فَكُلُّكمُ أتَى مأتَى أبيه   فَكُلٌّ فِعالِ كلِّكُمُ عجابُ

فبين ما فيهما مما يخل بالفصاحة .

٢ – لماذا كان عوْد الضمير على متأخر لفظا غير مخل بالفصاحة فى قول الشاعر:

جاء الخلافةَ أو كانت له قَدَراً   كما أتى رَبَّه موسى على قَدرِ

وكان مخلا بها فى قول الآخر :

ولو أن مجداً أخْلَدَ الدَّهْرَ واحداً   مِن الناس أبْقى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مطْعِما

تمرين – ٣

قال الأخطل فى مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل اللهُ الخلافةَ مِنْهمُ   لأبْلَجَ لا عارِى الخوان ولا جَدْبُ

فأخِذَ هذا عليه ، فبين ما ترجع إليه هذه المؤاخذة من البلاغة أو الفصاحة .

تمرين – ٤

١ – من أى التعقيدَيْن قول الشاعر :

أَنَّى يكون أبا البرَايَا آدمٌ   وأبوك والثَّقَلان أنت مُحَمَّدُ ؟!

٢ – قال قاض لرجل خاصمته امرأة : « أئنْ سألتكَ ثمنَ شكرها وشَبْرك أخَذْت تُطِلُّها وَتضهلُها » .

فبين ما فيه مما يخل بالفصاحة والبلاغة .

تمرين – ٥

١ – لماذا لم تُعَدَّ علوم اللغة والتصريف والنحو من علوم البلاغة مع توقف الفصاحة عليها ؟

٢ – ما الفرق بين القياس اللغوى والصرفى ؟ وأيهما تخل مخالفته بالفصاحة ؟

٣ – ما الذى يرجع إلى اللفظ من الفصاحة ؟ وما الذى يرجع منها إلى المعنى ؟

تمرين – ٦

١ – وازن بين لفظ « شىء » من جهة البلاغة فى هذه الأبيات :

ومِن مالىء عينيه من شىء غيره   إذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمَى

إذا ما تقاضَى المرءَ يــومٌ وليلةٌ   تقاضاه شــىء لا يَمَلُّ التَّقاضيا

لو الفُلكُ الدوَّارُ أبغضتَ سعيَه   لعوَّقه شــىءٌ عَــنِ الدورانِ

٢ – أى الأمرين أنفع : جمع علوم البلاغة تحت اسم واحد ، أم توزيع مسائلها على علومها الثلاثة ؟

* * *

الفن الأول : علم المعانى

تعريف علم المعانى : هو علم يُعرَف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال [١] . وقيل « يعرف » دون « يُعلم » رعايةً لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات والمعرفة بالجزئيات ، كما قال صاحب القانون [٢] فى تعريف الطب : الطب علم يُعرف به أحوال بدن الإنسان . وكما قال الشيخ أبو عمرو [٣] رحمه الله : « التصريف علم بأصول يُعرفُ بها أحوال أبنية الكلم » .

وقال السَّكاكىُّ [٤] « علم المعانى هو تتبُّع خواصِّ [٥] تراكيب الكلام فى الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره [٦] ؛ ليُحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحالُ ذكرَهُ » . وفيه نظر ؛ إذ التتبع ليس بعلم ولا

---

(١) **المراد بأحوال اللفظ** ما يشمل أحوال الجملة وأجزائها ، فأحوال الجملة : كالفصل ، والوصل ، والإيجاز ، والإطناب ، والمساواة . وأحوال أجزائها : كأحوال المسند إليه ، وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، وهذه الأحوال هى التى يقتضيها الحال فى اللفظ ، فهى بعينها مقتضى الحال ، وبهذا يكون فى التعريف تهافت ظاهر ، ويمكن أن يجاب عنه بأنه نظر إليها أولاً من حيث ذاتها لا من حيث إنها مقتضى حال ، وإنما قيد أحوال اللفظ بما يطابق بها مقتضى الحال لتخرج الأحوال التى ليست بهذه الصفة ؛ كالإعلال والإدغام والرفع والنصب وغير ذلك مما لا بد منه فى تأدية المعنى الأصلى ، وكذلك المحسنات البديعية ؛ لأنها تكون بعد رعاية المطابقة ، ويخرج أيضاً علم البيان ؛ لأنه لا يبحث فيه عن أحوال اللفظ من هذه الجهة ، وقد تبحث أبوابه من هذه الجهة ؛ فيكون ذلك من علم المعانى ؛ كما قال الأخطل فى مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافةَ منهمُ لأبلج لا عارى الخوان ولا جدب

فكنى بهذا عن كرمه ، وهو لا يليق فى مَدْحِ الملوك ، وإنما تُمدح الملوك بمثل قول الشاعر :

له هممٌ لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر

هذا وبعض الأحوال التى يبحث عنها فى علم المعانى قد يبحث عنها فى علم النحو؛ كالذكر والحذف ، ولكن علم النحو يبحث عنها من جهة صحتها وفسادها ، أما علم المعانى فيبحث عنها لبيان الأحوال التى يرجع بعضها على بعضٍ ، فلا تظهر المزية فيها إلا إذا احتمل الكلام وجهاً غير الوجه الذى جاء عليه فيكون الحال مرجحاً له .

(٢) هو كتاب فى الطب للحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا .

(٣) هو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب صاحب الشافية – فى التصريف .

(٤) ٨٦ – المفتاح . . المطبعة الأدبية .

(٥) المراد بها أحوال اللفظ فى تعريف الخطيب .

(٦) غير الاستحسان هو الاستهجان ، ويريد بذلك : أن تراكيب الكلام لها خواص مستحسنة وخواص مستهجنة ، وكل منهما يبحث فى علم المعانى .

صادق عليه ؛ فلا يصح تعريف شيء من العلوم به . ثم قال : « وأعنى بالتراكيب تراكيب البلغاء » . ولا شك أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة ، وقد عرَّفها فى كتابه [(١)] بقوله : « البلاغة هى بلوغ المتكلم فى تأدية المعنى حداًّ له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقَّها [(٢)] وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » [(٣)] . فإن أراد بالتراكيب فى حد البلاغة تراكيب البلغاء – وهو الظاهر – فقد جاء الدور [(٤)]، وإن أراد غيرها فلم يبينه، على أن قوله: « وغيره » مبهم لم يبين مراده به [(٥)] .

أبواب علم المعانى

ثم المقصود من علم المعانى منحصر فى **ثمانية أبواب** :

أولها : أحوال الإسناد الخبرى . وثانيها : أحوال المسند إليه .

وثالثها : أحوال المسند . ورابعا : أحوال متعلقات الفعل .

وخامسها : القصر . وسادسها : الإنشاء .

وسابعها : الفصل والوصل . وثامنها : الإيجاز والإطناب والمساواة .

* **ووجه الحصر** أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارجٌ [(٦)] تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ؛ الأول الخبر ، والثانى الإنشاء ، ثم الخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هى الأبواب الثلاثة الأولى .

ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو متصلاً به أو فى

---

(١) ٢٠٨ – المفتاح . (٢) هذا يكون بإيرادها مطابقة لمقتضى الحال .

(٣) بأن تكون خالية من التعقيد المعنوى ، وبهذا يرجع عنده علم البيان إلى البلاغة لا إلى الفصاحة كما ذكر الخطيب فى المقدمة ، وإنما لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام ليحترز به عن غير التعقيد أيضاً كما سبق فى تعريفها ؛ لأنه يرى أنها غير لازمة لها ، وسيأتى زيادة بيان لهذا فى آخر علم البيان .

(٤) لأن معرفة البلاغة على هذا تتوقف على معرفة البلغاء ، مع أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة .

(٥) يجاب عنه بأنه سبق بيان مراده به ، فلا شيء عليه فيه ، ومع هذا أرى أن تعريف السكاكى ركيك العبارة ، وأنه كان الأجدر بالخطيب إهماله .

(٦) المراد بالخارج الواقع ونفس الأمر ولو لم يكن له وجود خارجى .

معناه [1] كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع .

ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما إما يكون بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس .

والإنشاء هو الباب السادس .

ثم الجمله إذا قُرنت بأخرى؛ فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع .

ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدةٍ أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن .

تنبيه

انحصار الخبر فى الصادق والكاذب : اختلف الناس فى انحصار الخبر فى الصادق والكاذب [2] ؛ فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما ، ثم اختلفوا ؛ فقال الأكثر منهم : صدْقُه مطابقة حكمه للواقع ، وكذِبه عدمُ مطابقة حكمه له ، هذا هو المشهور ، وعليه التعويل .

وقال بعض الناس [3] : صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبِر صوابًا كان أو خطأً ، وكذبه عدم مُطابقة حكمه له [4] واحْتَجَّ بوجهين :

أحدهما : أن من اعتقد أمرًا فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال « ما كذب ، ولكنه أخطأ » كما رُوِىَ عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت فيمن شأنه كذلك : « ما كذب ، ولكنه وَهِمَ » . ورُدَّ بأن المنفىَّ تَعَمُّد الكذب ، لا الكذب؛ بدليل تكذيب الكافر ؛ كاليهودى إذا قال « الإسلام باطل » ، وتصديقه إذا قال « الإسلام حق » ؛ فقولها « ما كذب » متأوَّل بـ « ما كذب عمداً » .

الثانى قوله تعالى : ﴿ والله يَشهَد إنَّ المنافقينَ لكاذبونَ ﴾ [5] كذَّبهم فى

---

(١) يريد بالمتصل بالفعل : اسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، ويريد بما فى معنى الفعل : المصدر ؛ لأنه يدل على الحدث كالفعل .

(٢) مثل هذا لا يصح الاشتغال به فى علوم البلاغة ؛ لأنه لا فائدة فيه .

(٣) هو إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام .

(٤) أى لاعتقاده ، وهذا بأن يكون له اعتقاد يُخالفه أو لا يكون له اعتقاد أصلا ؛ فيدخل خبر الشاك عند النظام فى الكذب ، ويكون من يقول – محمد رسول – وهو شاك فيه ، كاذباً عنده ، وهو صادق عند الجمهور . وقيل : إن خبر الشاك ليس خبرًا ، فهو خارج عن المقسم ، ولكن هذا لا يأتى مع ما سيأتى عن الجاحظ .

(٥) سورة المنافقون : الآية ١ .

قولهم ﴿ إنَّك لرسولُ الله ﴾ وإن كان مطابقا للواقع ؛ لأنهم لم يعتقدوه . وأجيب عنه بوجوه : **أحدها** أن المعنى [(١)] : نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يترجم عنه : إن واللامُ وكونُ الجملة اسميةً [(٢)] في قولهم ﴿ إنك لرسول الله ﴾ ، فالتكذيب في قولهم ﴿ نشهد ﴾ وادعائهم فيه المواطأة ، لا في ﴿ إنك لرسول الله ﴾ ولدَفْع هذا التوهُّم وُسِّط بينهما قوله ﴿ واللهُ يَعْلَمُ إنك لَرسُولُه ﴾ . **وثانيها** أن التكذيب في تسميتهم إخبارهم شهادةً ؛ لأن الإخبار إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة ، **وثالثها** أن المعنى : لكاذبون في قولهم ﴿ إنك لرسول الله ﴾ عند أنفسهم ؛ لاعتقادهم أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه [(٣)] .

*وأنكر **الجاحظ** انحصار الخبر في القسمين ، وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ؛ لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عَدَمِه [(٤)] ، وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه [(٥)] . فالأول أي المطابق مع الاعتقاد [(٦)] هو الصادق . والثالث أي غير المطابق مع الاعتقاد [(٧)] هو الكاذب ، والثاني والرابع أي – المطابق مع عدم الاعتقاد [(٨)] وغير المطابق مع عدم الاعتقاد [(٩)] كلٌّ منهما ليس بصادق ولا كاذب [(١٠)] . فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده ، وغيرهما ضربان : مطابقته مع عدم اعتقاده ، وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ أفترى على الله

---

(١) يريد معنى قولهم : ﴿ نشهد إنك لرسول الله ﴾ .

(٢) لأن كل واحد من الثلاثة يفيد تأكيد الخبر كما سيأتي .

(٣) فيكون الكذب راجعًا إلى الواقع في زعمهم كما عليه الجمهور لا إلى الاعتقاد ، وعلى هذا يكون التكذيب في المشهود به لا في الشهادة كما في الوجه الثاني .

(٤) أي مع اعتقاد المخبر بأنه مطابق أو عدم اعتقاده بأنه مطابق .

(٥) أي مع الاعتقاد بأنه غير مطابق أو عدم الاعتقاد بأنه غير مطابق .

(٦) بأنه مطابق .   (٧) بأنه غير مطابق .

(٨) بأنه مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحته صورتان : ألاَّ يكون عنده اعتقاد أصلا ، وأن يكون عنده اعتقاد بأنه غير مطابق ، والصورة الأولى تأتي في خبر الشاك ، والثانية كقول المنافق : « محمد رسول الله » .

(٩) بأنه غير مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحته صورتان أيضا : عدم الاعتقاد أصلا ، والاعتقاد بأنه مطابق ، كقول الكافر : محمد غير رسول .

(١٠) بهذا يكون بين الصدق والكذب واسطة عند الجاحظ بخلاف الجمهور والنظام .

كـذبًا أمْ به جِنَّة ﴾ (١) فإنهم حصروا دعوى النبى ﷺ الرسالة فى الافتراء والإخبار حـال الجنون ، بمعنى امتناع الخلوِّ (٢) ،وليس إخبـاره حال الجنون كـذبًا ؛ لجعلهم الافتراء فى مقابلته ، ولا صدقًا لأنهم لم يعتقدوا صدقه ؛ فثبت أَنَّ من الخبر ما ليس بصادق ولا كـاذب ، وأجيب عنه بأن الافتـراء هو الكذب عن عـمـد ، فهـو نوع من الكذب ، فلا يمتنع أن يكون الإخبـار حال الجنون كذبًا أيضاً ؛ لجواز أن يكون نوعًا آخر من الكذب ؛ وهو الكذب لا عن عـمـد ، فـيكون التقـسـيم للخبـر الكاذب لا للخبر مطلقًا ، والمعنى أفترى أم لم يفتر ؟ وعبَّر عن الثانى بقوله « أم به جِنَّة » ؛ لأن المجنون لا افتراء له (٣) .

* * *

تنبيه آخر

وهو مما يجب أن يكون على ذكر الطالب لهذا العـلم ؛ قال **السـكاكى** (٤) : « ليس من الواجب فى صناعةٍ ، وإن كـان المرجع فى أصولهـا وتفاريعهـا إلى مجـرد العقل أن يكون الدخيل فيهـا كالناشىء عليهـا فى استفادة الذوق منهـا ، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية ، واعتبارات إلفية ؛ فلا على الدخيل فى صناعة علم المعانى أن يقلد (٥) صاحبه فى بعض فتاواه إن فاته الذوق هناك ، إلى أن يتكامل له على مَهَل موجبات ذلك الذوق » .

وكثيراً ما يشير الشيخ عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » إلى هذا ؛ كـما ذكر فى موضعٍ (٦) ما تلخيصُه هذا : « اعلم أنه لا يصادف القول فى هذا الباب موقعًا

---

(١) سورة سبأ : الآية ٨ .

(٢) أى والجمع ؛ لأن قوله « وليس إخباره حال الجنون كذباً » يدل على أنها مانعة جمع أيضاً – ولو كانت مانعة خلو فقط لجاز أن يكون إخباره حال الجنون كذبًا ؛ لأن مانعة الخلو تجوز الجمع ، فلا تثبت الواسطة بين الصدق والكذب .

(٣) رأيى فى هذه الخلافات بعد الانتهاء منها أنها خلافات لا طائل تحتها .

(٤) ص ٩٠ المفتاح .

(٥) خير له عندى ألاَّ يقلد فى ذلك إلى أن يتربى له الذوق فيذوق بنفسه ؛ لأن التقليد مذموم فى كل علم ، على أن دعواه أن هذه الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية لا تصح فى علم المعانى ، وإنما تصح فى علم النحو ، كما ذكره ابن الأثير فى المثل السائر .

(٦) ١٩٠ ، ١٩١ – دلائل الإعجاز .

من السامع ، ولا يجد لديه قبولا ؛ حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، ومَن تحدثه نفسه بأنَّ لِمَا تُومِىء إليه من الحسن أصلاً ، فيختلف الحال عليه عند تأمُّل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ، ويَعْرَى منها أخرى ، وإذا عجَّبتَه تعجَّب ، وإذا نبَّهته لموضع المزية انتبه ، فأما من كان الحالان [١] عنده على سواء وكان لا يتفقد من أمر النظم إلا الصحة المطلقة ، وإلا إعرابًا ظاهرًا ، فليكن عندك بمنزلة من عَدِمَ الطبع الذى يُدرِكُ به وزن الشعر ، ويُميِّزُ به مزاحفَه من سالمه ، فى أنك لا تتصدى لتعريفه ؛ لعلمك أنه قد عدم الأداة التى بها يَعْرِفُ [٢] . واعلم أن هؤلاء وإن كانوا هم الآفة العظمى فى هذا الباب ، فإن من الآفة أيضًا من زعم أنه لا سبيل إلى معرفة العلة فى شىءٍ ما لم تُعرَفْ المزية فيه ، ولا يعْلَم إلا أن له موقعًا من النفس وحظًّا من القبول [٣] . فهذا بتوانيه فى حكم القائل الأول [٤] . واعلم أنه ليس إذا لم يمكن معرفة الكل وجبَ ترك النظر فى الكل ، ولأنْ تعرفَ العلة فى بعض الصور فتجعله شاهداً فى غيره أحْرىَ منْ أن تَسدَّ باب المعرفة على نفسك ، وتُعوِّدها الكسل والهُوَيْنى . قال **الجاحظ** : وكلام كثيرٌ جرى على ألسنة الناس وله مضرة شديدة ، وثمرة مرة ، فمنْ أضرِّ ذلك قولهم : « لم يَدَع الأوَّلُ للآخِرِ شيئًا » . فلو أن علماءَ كلِّ عصر مُذ جَرَتْ هذه الكلمة فى أسماعهم تركوا الاستنباط لِما لم يَنْتَه إليهم عمَّن قبلهم ، لرأيت العلم مختلاً .

* *

---

(١) يعنى الحال التى توجب الأريحية والحال التى تعرى منها .

(٢) عبد القاهر فى هذا يخالف السكاكى فى تجويزه التقليد عند تعذر المعرفة .

(٣) فلا يعرف لذلك علة وسبباً ؛ لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك عنده ، وإنما هو ذوق لا غير .

(٤) هو من كانت الحالان عنده على سواء .

الباب الأول : القول فى أحوال الإسناد الخبرى

أغراض الخبر : من المعلوم لكل عاقل أنَّ قصد المخبر بخبره إفادة المُخاطَب إما نفْسَ الحكم ؛ كقولك « زيد قائم » لمن لا يعلم أنه قائم ، ويسمى هذا (١) فائدة الخبر ، وإما كوْنَ المخبر عالما بالحكم ؛ كقولك لمن زيدٌ عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك : « زيد عندك » ويسمى هذا (٢) : لازمَ فائدة الخبر .

قال السَّكاكى (٣) : « والأُولى (٤) بدون هذه (٥) تمتنع ، وهذه بدون الأولى لا تمتنع ؛ كما هو حكم اللازم المجهول المساواة » (٦) أى يمتنع ألاَّ يحصلَ العلم الثانى من الخبر نفسه عند حصول الأول منه ؛ لامتناع حصول الثانى قبل حصول الأول ، مع أن سماع الخبر من المُخبر كافٍ فى حصول الثانى منه (٧) . ولا يمتنع ألاَّ

---

(١) اسم الإشارة يعود إلى إفادة المخاطب نفس الحكم ؛ لأن هذا هو الذى يُسمى فائدة الخبر ، وقيل إنه يعود إلى نفس الحكم ، ورُدَّ بأن الحكم ركن من أركان الخبر ، وفائدة الشىء لا تكون جزءاً منه ، وهذه الفائدة هى المقصد الأول من مقاصد الإسناد الخبرى .

(٢) أى كون المخبر عالماً بالحكم ، وإنما سُمىَ هذا « لازم فائدة الخبر » ؛ لأنه يلزم من إفادة المخاطب الحكم إفادته أن عنده علماً أو ظنا به ، ولازم فائدة الخبر هو المقصد الثانى من الإسناد الخبرى .

* وللإسناد الخبرى مقاصد وأغراض أخرى : منها إظهار التحسر ، كما فى قوله تعالى : حكاية عن امرأة عِمْرَانَ ﴿ رَبِّ إِني وضعْتُها أنثى ﴾ الآية ٣٦ – آل عمران . ومنها إظهار الفرح ، كما فى قول الشاعر :

هَناءٌ مَحَا ذاك العزاء المُقدَّما   فما عَبَسَ المحزونُ حتى تبسما

ومنها إظهار الضعف والخشوع : كقول الآخر :

إلهى عَبْدُكَ العاصى أتاكا   مُقِرًّا بالذنوب وقد دعاكا

ومنها توبيخ السامع ، كقول الحماسية :

وأنتَ الذى أخلفتنى ما وعدتنى   وأشْمَتَّ بى مَن كان فيك يلوم

والغرض الأول وهو فائدة الخبر يستفاد من ذات الخبر ، وما عداه من الأغراض يدل عليها الخبر دلالة تبعية ؛ فهى من مُسْتَتْبعات الكلام ، ولا توصف بأنها حقيقة ولا مجاز ولا كناية .

(٣) ٨٨ – المفتاح .   (٤) هى فائدة الخبر .

(٥) اسم الإشارة يعود إلى لازم فائدة الخبر ، وقد أنثه باعتبار كونه فائدة أيضًا .

(٦) كلزوم الحيوانية للإنسانية ؛ لأن الحيوانية أعم ، فيلزم من العلم بالإنسانية العلم بالحيوانية، ولا يلزم من العلم بالحيوانية العلم بالإنسانية .

(٧) لأن من يخبر بشىء لا بد أن يكون عنده علم أو ظن به ؛ فالمراد بالعلم الثانى علم المخاطب بأن المخبر عالم بالحكم ، والمراد بالعلم الأول علمه بذلك الحكم .

يحصلَ الأول من الخبر نفسه عند حصول الثاني منه ؛ لجواز حصول الأول قبل حصول الثاني (١) وامتناع حصول الحاصل .

* وقد يُنزَّل العالمُ بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل ؛ لعدم جريه على مُوجَب العلم ؛ فَيُلْقَى إليه الخبر كمًا يُلْقى إلى الجاهل بأحدهما (٢) .

قال السكاكي (٣) « وإن شئتَ فعليك بكلام رب العزة : ﴿ ولقد علمُوا لَمَن اشتَراهُ مَا له في الآخرَة منْ خَلاقٍ ولبئْسَ ما شروْا به أنْفُسَهُمْ لو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(٤) كيف تجد صدرَه يصف أهل الكتاب بالعلم على سَبيل التوكيد القسَمي ، وآخرَه ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم . ونظيره في النفي والإثبات : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عَهْدهمْ وطَعنوا في دينكمْ فقَاتلُوا أئمة الكفْر إنهم لا أيْمانَ لهم لعَلهم ينتهون ﴾ (٦) .

هذا لفظه ، وفيه إيهام أن الآية الأولى من أمثلة تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلةَ الجاهل بهما ، وليست منها ، بل هي من أمثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهلِ به ؛ لعدم جريه على مُوجَب العلم ، والفرق بينهما ظاهر (٧) .

أضْربُ الخبر : وإذا كان غرض المخبر بخبره إفادة المخاطب أحد الأمرين فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة .

---

(١) بأن يكون المخاطب عالماً بالحكم قبل الإخبار به ، فيحصل بالخبر في هذه الحالة لازم فائدته دونها ، لامتناع تحصيل الحاصل .

(٢) من تنزيل العالم بالفائدة منزلة الجاهل بها قول الفرزدق لهشام بن عبد الملك حين تجاهل معرفة علي بن الحسين رضي الله عنهما :

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقيُّ النَّقيُّ الطاهر العَلَم
هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهلهُ ... بجدِّه أنبياءُ الله قد خُتمُوا

ومن تنزيل العالم بلازم الفائدة منزلة الجاهل به قولك لمن يؤذيك وهو يعلم أنك مسلم : « الله ربُّنا ومحمد نبينا » . وقد جعل السكاكي هذا من باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ؛ فهو عنده مثل تنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه مما يأتي ، وقيل : إن الخطيب لم يجعل ما هنا من ذلك الباب ؛ لأن الخبر لا يختلف في التأكيد وتركه في مخاطبة الجاهل بفائدة الخبر ولازمها ومخاطبة العالم بهما المنزَّل منزلة الجاهل ، أما تنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه فيختلف في ذلك كما سيأتي ، والخطب في هذا سهل .

(٣) ٩٢ – المفتاح . (٤) سورة البقرة : الآية ١٠٢ .

(٥) سورة الأنفال : الآية ١٧ . (٦) سورة التوبة : الآية ١٢ .

(٧) أجيب عن السكاكي بأن غرضه التنظير لتنزيل العالم بفائدة الخبر ولازمها منزلة الجاهل بهما ، وليس غرضه التمثيل له ؛ ولهذا ذكر أيضا قوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ وهو من تنزيل الموجود منزلة المعدوم ، وليس من تنزيل العالم منزلة الجاهل .

* فإن كان المخاطَب خاليَ الذهن من الحكم بأحد طَرَفَي الخبر على الآخر والتردُّد فيه ، استغْنى (١) عن مؤكدات الحكم ، كقولك « جاء زيد ، وعمرو ذاهب » فيتمكن في ذهنه ؛ لمصادفته إياه خاليا .

* وإن كان متصورًا لطرفيه مترددًا في إسناد أحدهما إلى الآخر طالبًا له حسن تقويته بمؤكِّد (٢) كقولك : « لَزَيْدٌ عارف » أو « إنّ زيداً عارف » .

* وإن كان حاكمًا بخلافه : وجب توكيده بحسب الإنكار (٣) فتقول : « إني صادق » لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره ، و : « إني لصادقٌ » لمن يبالغ في إنكاره ، وعليه قوله تعالى : ﴿ واضْرِبْ لهُمْ مَثلاً أصْحَابَ القرية إذْ جاءَها المرسَلونَ ، إذْ أرْسَلنَا إليْهِمُ اثْنَين فَكذَّبُوهُما فعزَّزْنَا بثَالث فقَالُوا إنا إليْكُم مُرسلونَ قالوا ما أنتم إلاَّ بَشَرٌ مثْلنا وما أنْزَلَ الرَّحمنُ منْ شيء إنْ أنْتُم إلاَّ تَكْذبُونَ ، قالوا ربُّنَا يعلمُ إنّا إليْكُم لَمُرْسَلونَ ﴾ (٤) حيث قال (٥) في المرة الأولى : ﴿ إنا إليكم مرسلون ﴾ ، وفي الثانية : ﴿ إنا إليكم لمرسلون ﴾ .

---

(١) مثله إذا كان المخاطب عالما بالحكم وأراد المخبر إفادته لازم فائدة الخبر ، أو إظهار التحسر ونحوه ، أو تنزيله منزلة الجاهل ، فيستغني في ذلك أيضاً عن المؤكدات .

(٢) أي واحد ليزيل تردده في الإسناد بالتوكيد ، ومثل التردد في الإسناد التردد في لازم فائدة الخبر ، وحسن التوكيد في ذلك إنما هو بالنظر إلى حال الإنكار ، وإلا فهو واجب أيضا ، ولا يراد إلا التمييز باللفظ بين الحالين ، وأن درجة الوجوب في التردد ليس كدرجة الوجوب في الإنكار ، والمراد بالمتردد ما يشمل الظان والمتوهم ، وقد ذهب عبد القاهر إلى أنه لا يحسن التأكيد إلا إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكم المتكلم ، وسيأتي قريبا ما يفيد جواز تعدد التوكيد في التردد كالإنكار .

ومن التأكيد للتردد في الحكم قوله تعالى : ﴿ فلمَّا أنْ جَاء البشيرُ ألقاهُ على وجْهِه فارْتد بصيرًا ؛ قالَ ألمْ أقُلْ لكمْ إني أعْلمُ من الله ما لا تعْلمون ﴾ سورة يوسف : الآية ٩٦ .

(٣) فيؤتى له بمؤكد واحد أو اثنين أو أكثر على حسب إنكاره في القوة والضعف ، وقيل : إنه لا يكتفى في الإنكار بمؤكد واحد ، ومثل إنكار الإسناد في هذا إنكار لازم فائدة الخبر ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ قالوا نشهد إنك لرسول الله ﴾ سورة المنافقون آية ١ ؛ لأنه ينكر علمهم بذلك فأكدوا له .

ومن أدوات التأكيد : إن ، والقسم ، ونونا التوكيد ، ولام الابتداء ، وأما الشرطية ، وحروف التنبيه ، وضمير الفصل ، وقد ، وأدوات الاستفتاح ، والحروف الزائدة .

(٤) سورة يس : الآيات ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

(٥) فأكد في المرة الأولى بإنَّ واسمية الجملة . وفي الثانية بهما وبالقسم واللام ، لأنهم بالغوا في الإنكار فقالوا : ﴿ ما أنتم إلا بشر مثلنا ... الآية ﴾ .

ويؤيد ما ذكرناه جوابُ أبى العباس للكنْدى (١) عن قوله : « إنى أجد فى كلام العرب حشواً ، يقولون : عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم – والمعنى واحد ! بأن قال : « بل المعانى مختلفة ؛ فعبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر » .

* ويسمى النوع الأول من الخبر ابتدائيا ، والثانى طلبيا ، والثالث إنكاريا ، وإخراجُ الكلام على هذه الوجوه (٢) إخراجًا على مقتضى الظاهر (٣) .

تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر : وكثيراً ما يخرَّج على خلافه (٤) فينزَّل غيرُ السائل منزلة السائل إذا قُدِّم إليه ما يُلوِّح له بحكم الخبر ، فَيَسْتَشْرِف له استشراف المتردد الطالب (٥) كقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُخَاطِبْنى فى الذينَ ظَلَمُوا إنهُمْ مُغْرَقون ﴾ (٦) وقوله : ﴿ ومَا أبرِّىء نفسى إنَّ النَّفْسَ لأمَّارة بالسُّوء ﴾ (٧) ، وقول بعض العرب :

فَغَنِّها وَهْىَ لك الفِدَاءُ إنَّ غِنَاءَ الإبلِ الحُدَاءُ (٨)

---

(١) أبو العباس: هو محمد بن يزيد المبرد ،والكندي:هو يعقوب بن إسحاق الفيلسوف .

(٢) هى الخلو عن التأكيد فى الأول ، وعن التقوية بمؤكد استحسانا فى الثانى ، ووجوبا فى الثالث .

(٣) أى يسمى إخراجا على مقتضى الظاهر : والمراد به ظاهر الحال . وهو الحال الداعى الذى له ثبوت فى الواقع ؛ كخلوِّ المخاطب من الحكم أو تردده أو إنكاره . والحال أعم من ظاهر الحال ؛ لأنه يشمل أمرين : أحدهما ما له ثبوت فى الواقع ، والثانى ما لا ثبوت له ؛ كتنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه مما سيأتى .

(٤) هذا باب من البلاغة أوقع فى النفس من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر ؛ لدقة مسلكه ، وحسن موقعه فى النفس . وقد قيل : إنه باب الكناية . وقيل : إنه من الاستعارة بالكناية والتخييل . وقيل : إنه من مستتبعات الكلام فلا يوصف بحقيقة ولا مجاز ولا كناية .

(٥) الحال هنا تقديم ما يلوح للمخاطب بالخبر . ومن نكت تنزيل غير السائل منزلة السائل أيضا الاهتمام بشأن الخبر لكونه مستبعداً ، والتنبيه على غفلة السامع ، وغير ذلك .

(٦) آية ٣٧ سورة هود . فإن قوله : ﴿ ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ﴾ يلوِّح باستحقاقهم العذاب .

(٧) آية ٥٣ سورة يوسف – فإن قوله : ﴿ وما أبرىء نفسى ﴾ يلوح بقبح نفسها ، ولا يخفى أن هنا توكيدين . وهذا يفيد جواز تعدد التوكيد فى المتردد وما ينزل منزلته . فيكون الفرق بينه وبين المنكر فى الوجوب والاستحسان فقط . وقيل : إن أحد التوكيدين لاستبعاد الخبر فى ذاته .

(٨) لا يُعلم قائله ، والضمير فى قوله « فغنها » للإبل أى : فغن لها ، والحداء : بضم =

* وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقةٌ وغموض ؛ روى عن الأصْمعى أنه قال : كان أبو عمرو بن العَلاء (١) وخَلَفٌ الأحمر يأتيان بَشَّاراً فيسلمان عليه بغاية الإعظام ، ثم يقولان : يا أبَا معاذ ، ما أحدثتَ ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له ، حتى يأتى وقت الزوال ، ثم ينصرفان . فأتياه يوما ، فقالا : ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى ابن قُتيبة ؟ قال : هى التى بَلَغَتْكُما . قالا : بلغنا أنك أكثرتَ فيها من الغريب؟! قال : نعم ، إن ابن قُتَيْبة يَتباصرُ بالغريب ؛ فأحببت أن أوردَ عليه ما لا يعرف . قالا : فأنشدناها يا أبا معاذ، فأنشدهما :

بَكِّرَا صاحبىَّ قبل الهَجيرِ إن ذاك النجاح فى التبكير (٢)

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « إن ذاك النجاح »: « بكرا فالنجاح » كان أحسن . فقال بشار : إنما بنيتُها أعرابيةً وحشية (٣) ؛ فقلت « إن ذاك النجاح » كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت « بكرا فالنجاح » كان هذا من كلام المولَّدين ولا يشبه ذلك الكلام (٤) ولا يدخل فى معنى القصيدة . قال : فقام خلف فقبَّله بين عينيه . فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبى عمرو بن العلاء – وهم من فُحُولة هذا الفن – إلا للُطف المعنى لذلك وخفائه ؟ .

* وكذلكَ يُنزَّلُ غير المنكرِ منزلة المنكر (٥) إذا ظهر عليه شىء من أمارات الإنكار ؛ كقوله :

= الحاء وكسرها مصدر « حدا الإبل » إذا ساقها وغنى لها . والشاهد فى أنه حين يقول « غنها » ليشتد سيرها يفهم السامع أن غناءها هو الحداء الذى تساق به ، فتستشرف له نفسه ، ومن هذا قول أبى نواس :

عليك باليأس من الناس إنّ غنى نفسك فى الياس

(١) رواية الأغانى : « كان خلف بن عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ... » وقد ساق القصة كما هنا .

(٢) هو لبشار بن برد . والهجير : من الزوال إلى العصر .. أو شدة الحر . والشاهد فى أن الشطر الأول يلوح بالثانى ؛ ولهذا أتى به مؤكداً .

(٣) وحشية : صفة كاشفة لأعرابية ، ولا يريد الوحشية المخلة بالفصاحة .

(٤) لأنه ليس فيه من دقة الإشارة إلى تنزيل غير السائل منزلة السائل ما فى قوله « إن ذاك النجاح » ؛ وإنما فيه تكرير الأمر بالتبكير لتأكيده على وجه ظاهره لا دقه فيه .

(٥) غير المنكر يشمل خالى الذهن من الحكم ، والمتردد ، والعالم به من غير إنكار ،ولكنه لا يعمل بعلمه ؛ كقولك للمسلم التارك للصلاة : إن الصلاة واجبة – ، وفائدة تنزيل المتردد منزلة المنكر : المبالغة فى توكيد الخبر له .

جاء شقيقٌ عارضاً رُمحَهُ   إنَّ بنى عمكَ فيهم رماح (١)

فإن مجيئه هكذا مُدلاً بشجاعته قد وضع رمحه عرضاً دليلٌ على إعجاب شديد منه واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بنى عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح .

* وكذلك يُنزَّل المنكر منزلة غير المنكر (٢) إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الإنكار ، كما يقال لمنكر الإسلام : « الإسلامُ حق » (٣) . وعليه قوله تعالى فى حق القرآن : ﴿ لا رَيْبَ فيه ﴾ (٤) .

ومما يتفرع على هذين الاعتبارين (٥) قوله تعالى : ﴿ ثم إنكمْ بعْدَ ذلكَ لميتونَ ، ثم إنكم يوم القيامة تُبعثونَ ﴾ (٦) أكد إثبات الموت تأكيدين وإن كان مما لا يُنكر ؛ لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ فى إنكار الموت ؛ لتماديهم فى الغفلة

---

(١) هو الحجل بن نضلة الباهلى ، وبعده :

هل أحدث الدهر لنا ذلةً ؟   أم هل رقت أمُّ شقيق سلاحْ ؟

وقوله « عارضاً رمحه » معناه أنه وضعه على عَرْضه ؛ بأن جعله على فخذيه بحيث يكون عرضه إلى جهتهم ، وكان هذا من أمارة عدم التصدى للحرب ، والشاهد فى قوله « إن بنى عمك فيهم رماح » ، وهو من تنزيل العالم منزلة المنكر .

(٢) المراد بغير المنكر : خالى الذهن من الحكم فقط ؛ لأنه لا فائدة لتنزيل المنكر منزلة المتردد ، وقيل : إن له فائدة فى تقليل التوكيد كما سيأتى فى قوله تعالى : ﴿ ثم إنكم يومَ القيامة تُبعثون ﴾ .

هذا وقد ترك تنزيل السائل منزلة غير السائل وهو أيضا مما يدخل فى باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وإنما ينزل السائل منزلة غير السائل إذا لم يكن هناك وجه لتردده .

(٣) أى من غير تأكيد ، واعترض على هذا بأنه جملة اسمية ، وأجيب بأن الجملة الاسمية إنما تفيد التوكيد إذا اعتبر تحويلها عن الجملة الفعلية ، نحو « زيد يقوم » فإنها يمكن اعتبارها محولة عن (يقوم زيد) .

(٤) آية ٢ سورة البقرة : فإن معناه أن القرآن ليس محل شك ، وهذا ينكره المخاطبون من الكفار ، فكان حقه فى الظاهر التأكيد ، ولكنهم نُزلوا منزلة غير المنكرين ؛ فترك التأكيد لهم ، وقيل : إن هذا ليس تمثيلا لتنزيل المنكر منزلة غير المنكر بناءً على أن المراد نفى الريب نفسه مع أنه واقع منهم تنزيلاً له منزلة عدمه ، فيكون هذا تنظيراً لتنزيل المنكر منزلة غيره لا تمثيل له ، ويؤيد هذا أن قوله فيما يأتى « وهكذا اعتبارات النفى » ظاهر فى أنه لم يسبق مثال منه .

(٥) يعنى اعتبار تنزيل غير المنكر منزلة المنكر ، واعتبار تنزيل المنكر منزلة غير المنكر .

(٦) سورة المؤمنون : الآيات ١٥ ، ١٦ .

والإعـراض عن العـمل لمَا بعـده ، ولهـذا قـيل ﴿ مـيـتـون ﴾ دون (تموتون) كـمـا سيـأتى الفرق بينهما (١) ، وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً وإن كان مما ينكر ؛ لأنه لما كانت أدلته ظاهره كان جديراً بألاَّ ينكرَ ، بل إما أنْ يُعْتَرف به أو يُترَدَّدَ فيه ، فنزِّل المخاطـبون منزلة المترددين فيه ؛ تنبيهًا لهم على ظهور أدلته ، وحـثًّا على النظر فيـها ، ولهذا جاء ﴿ تبعثون ﴾ على الأصل (٢) .

هذا كله اعـتبـارات الإثبات ، وقسْ عليه اعـتبـارات النفى ؛ كقـولك « ليس زيد » ، أو : « مـا زيـد منطلـقـا » ، أو : « بمـنطلق » ، « ووالله ليـس زيد » ، أو : « مـا زيد منطلقـا » أو بمنطلق ، ومـا ينطلق ؛ أو مـا إن ينـطلق زيد ، ومـا كـان زيد ينطـلق ، وما كان زيد لينطلقَ ، ولا ينطلق زيد ، ولن ينطـلق زيد ، ووالله ما ينطـلق أو ما إن ينطـلقُ زيد » (٣) .

* * *

---

(١) أى فى الكلام على المسند من أن ذكره قد يكون ليتعين كونه اسمًا فيُستفاد منه الثبوت ، أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد ؛ وبهذا يكون ما فى الآية من تنزيل العالم منزلة المنكر .

(٢) أى على الفعلية دون الاسمية ؛ لأن المعنى على التجدد ، لا الثبوت ، وبهذا يكون ما فى الآية من تنزيل المنكر منزلة المتردد .

(٣) هذا والتأكيد يأتى أيضًا فى الإنشاء كما يأتى فى الخبر ، كقول الشاعر :

هَلاَّ تَمُنِّنَ بوعد غير مُخلفةٍ   كما عهدْتُك فى أيام ذى سَلم

ولكن التأكيد لا يأتى فى الإنشاء لدفع التردد والإنكار؛ لأنهما لا يأتيان فيه ، وإنما يأتى لأغراض أخرى من أغراض التأكيد فى الخبر ؛ لأنها لا تنحصر فيما ذكر : فمنها الدلالة على استبعاد الحكم من المخبر ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إنَّ قوْمى كذَّبون ﴾ آية ١١٧ سورة الشعراء . ومنها الاعتناء بشأن الحكم ؛ كما فى قول أبى بكر : إن البلاء مُوكَّلٌ بالمنطق . ومنها تهيئة النكرة للابتداء بها ؛ كما فى قول الشاعر :

إنَّ دهراً يلفُّ شمْلى بسُعْدَى   لزَمانٌ يهُمُّ بالإحسان

ومنها إظهار صدق الرغبة فى الحكم وقصد ترويجه ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا آمنَّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنَّا مَعَكُم ﴾ سورة البقرة : الآية ١٤ . فلم يؤكدوا فى خطاب المؤمنين ؛ لعدم رواجه منهم عندهم ، وأكدوا فى خطاب إخوانهم ؛ لصدق رغبتهم فيهم .

تمرينات على أغراض الخبر وأضربه

تمرين – ١

بين الغرض من الخبر فيما يأتى :

١ – ذهب الذين يعاشُ فى أكنافــهم   وبقيتُ فى خَلْفٍ كجلد الأجرب

٢ – محا البينُ ما أبقتْ عيونُ المها مِنِّى   فشِبتُ ولم أقْضِ اللُّبانةَ من سِنِّى

٣ – قوله تعالى : ﴿ اقتربَتِ الساعةُ وانشقَّ القمر ﴾ آية ١ – سورة القمر .

تمرين – ٢

من أى أضرب الخبر ما يأتى :

١ – عليك باليــأسِ من النـــاسِ   إنَّ غِنَى نفســك فى اليَاسِ

٢ – لقد عظم البعيرُ بغـــير لُبٍّ   فلم يستغن بالعِـظَم البعيرُ

٣ – ما إنْ ندمتُ على سكوتى مرةً   ولقد ندمتُ على الكلام كثيرا

تمرين – ٣

بين ما جرى من أضرب الخبر على مقتضى الظاهر أو خلافه فيما يأتى :

١ – ترجو النجاةَ ولم تسلك مسالكها   إنّ السفينة لا تجرى على اليَبَس

٢ – قوله تعالى : ﴿ إنَّ قارونَ كانَ مِن قومِ موسى فبغَى عليهِمْ ﴾ آية ٧٦ سورة القصص .

٣ – قوله تعالى : ﴿ ألاَ إنَّ أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهمْ ولا همْ يحزنون ﴾ . آية ٦٢ سورة يونس .

تمرين – ٤

بين الغرض من التأكيد فيما يأتى :

١ – إن محلا وإن مرتَحــلاً   وإن فـــى السَّفْرِ إذا مَضوْا مَهَلاَ

٢ – قوله تعالى : ﴿ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهوقا ﴾ آية ٨١ سورة الإسراء .

٣ – إن البُغَاثَ بأرضنا يستنسر .

٤ – ألا إن أخلاق الفتى كَزمانِهِ   فمنهنَّ بِيضٌ فى العُيون وسُودُ

فصل

الحقيقة والمجاز العقليان : الإسناد منه حقيقة عقلية، ومنه مجاز عقلى (١) .

* أما **الحقيقة** فهى إسناد الفعل (٢) ـ أو معناه ـ إلى ما هو له (٣) عند المتكلم فى الظاهر (٤) .

والمراد بمعنى الفعل نحوُ المصدر واسم الفاعل (٥) . وقولنا « فى الظاهر » ليشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع وما لا يطابقه ؛ فهى **أربعة أضرب** :

أحدها : ما يطابق الواقع واعتقاده ، كقول المؤمن : « أنبت اللهُ البقلَ ، وشفى اللهُ المريضَ » .

---

(١) الحقيقة والمجاز العقليان يأتيان فى الإسناد الإنشائى أيضا ، وقيل إنهما يأتيان فى الإسناد الإضافى ونحوه ، كما فى قوله ﴿ مكرُ الليل والنهار ﴾ آية ٣٣ سورة سبأ ، ﴿ ذلك هو الضلال البعيدُ ﴾ آية ١٢ سورة الحج . وقيل : إن الإضافة قد تكون لمطلق الملابسة ، فتكون فى نحو « مكر الليل » حقيقة عقلية . ويسمى المجاز العقلى مجازاً حكميا ومجازا إسناديا أيضا ، ومن الإسناد ما لا يكون حقيقة ولا مجازا كما سيأتى .

(٢) المراد بالإسناد ما يشمل الإسناد الإيجابى والسلبى .

(٣) الإسناد إلى ما هو له يشمل الإسناد إلى الفاعل وإلى المفعول . ويريد بكونه له إذا كان فاعلا أن معناه قائم به ووصف له وحقه أن يسنَدَ إليه ، سواء أكان مخلوقاً لله تعالى كما يقول أهل السُّنة ، أم كان لغيره كما يقول المعتزلة ، والأفعال من هذه الجهة تنقسم إلى أفعال استأثر الله بها مثل الخلق والرزق ، وإلى أفعال لغيره كسبٌ فيها ، مثل « أحسن وأساء وقام وقعد » وإلى أفعال يراد من إسنادها مجرد الاتصاف بها ، مثل « صحَّ ومرض وعظَّم وتنزَّه » فالأولى إسنادها إلى الله حقيقى ولا يصح إسنادها إلى غيره إسناداً حقيقياً ، والثانية يصح إسنادها إلى غيره إسناداً حقيقيا ، ومنها ما لا يصح إسنادها إليه تعالى مثل « قام وقعد » ، والثالثة منها ما يسند إليه تعالى ، مثل « عظم وتنزه » ومنها ما يسند إلى غيره مثل « صح ومرض » ، هذا والمعول عليه عند الخطيب هو إسناد الفعل أو معناه ولو فى جملة اسمية ، كما سيأتى تحقيقه .

(٤) أى فى ظاهر حال المتكلم ، بألاَّ ينصبَ قرينة تدل على أنه غير ما هو له فى اعتقاده كما سيأتى .

(٥) مثلهما اسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظروف ؛ لأن المراد بالإسناد ما يشمل الإسناد عن جهة المفعولية كما سبق ، فيدخل فى ذلك إسناد اسم المفعول كما يدخل فيه إسناد الفعل إلى المفعول .

والثانى : ما يطابق الواقعَ دون اعتقاده ؛ كقول المُعْتَزلى لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه [١] : « خالق الأفعال كلها هو الله تعالى » .

والثالث : ما يطابق اعتقاده دون الواقع ، كقول الجاهل « شفى الطبيبُ المريضَ » معتقداً شفاء المريض من الطبيب ، ومنه قوله تعالى حكاية عن بعض الكفار : ﴿ وما يُهْلكنا إلا الدَّهْرُ ﴾ [٢] ولا يجوز أن يكون مجازاً ، والإنكارُ عليهم من جهة ظاهر اللفظ ، لما فيه من إيهام الخطأ [٣] بدليل [٤] قوله تعالى عقيبه : ﴿ وما لهُمْ بذلك منْ علم ، إنْ هُمْ إلا يظنون ﴾ والمُتجوِّزُ المخطىء فى العبارة لا يوصَفُ بالظن ، وإنما الظانٌّ من يعتقد أن الأمر على ما قاله .

والرابع : ما لا يطابق شيئا منهما ؛ كالأقوال الكاذبة التى يكون القائل عالما بحالها دون المخاطَب [٥] .

* وأما **المجاز** فهو إسناد الفعل [٦] ، أو معناه ، إلى مُلابس له [٧] ، غير ما هو له بتأوُّل [٨] .

وللفعل [٩] مُلابَسات شتى : يلابس الفاعلَ ، والمفعولَ به ، والمصدر ، والزمان ، والمكانَ ، والسببَ [١٠] .

---

(١) لأن الإسناد فى قوله حينئذ يكون إلى ما هو له فى ظاهر حاله ، ولا يخفى أن الجملة هنا مركبة من مبتدأ وخبر ، ولكن يصدق عليها أن فيها إسناد معنى الفعل لما هو له .

(٢) سورة الجاثية : الآية ٢٤ .

(٣) هذا تعليل للإنكار عليهم مع كونه مجازاً ؛ فقوله « لما » متعلق بالإنكار .

(٤) متعلق بقوله « ولا يجوز » .

(٥) قيل : إن الأقوال الكاذبة حقيقة عقلية ولو علم المخاطب بحالها ؛ لأن الفعل فيها مُسند إلى ما هو له بحسب وضع اللغة ، فهو بظاهره من شأنه أن يدل على ذلك وإن تخلفت الدلالة لمانع اعتقاد الكاذب ؛ وبهذا تنقسم الحقيقة العقلية إلى صادقة وكاذبة .

(٦) المراد بالإسناد هنا أيضا ما يشمل الإيجابى والسلبى ، والثانى كقوله تعالى ﴿ فما ربحت تجارتهُم ﴾ آية ١٦ سورة البقرة – وكذلك ما يشمل إسناده الفعل إلى الفاعل وإلى المفعول ؛ كما فى قولك : أجرى الله النهر .

(٧) يشير بهذا إلى أنه لا بد فيه من العلاقة كسائر المجازات ؛ فالعلاقة هنا هى الملابسة ، أى ملابسة العقل للفاعل المجازى من جهة وقوعه عليه أو فيه أو به أو نحو ذلك .

(٨) أى بقرينة صارفة عن إرادة الظاهر ؛ لأن التأول صرف اللفظ عن ظاهر إلى غيره ، فالمتبادر فى نحو : « أنبت الربيعُ البقل » أن الإسناد فيه إلى ما هو له والقرينة تصرفه عن ظاهره .

(٩) مثله ما فى معناه بقرينة التعريف .

(١٠) لم يذكر المفعول معه والحال ونحوهما ؛ لأن الفعل لا يسند إلى ذلك على سبيل المجاز العقلى .

فإسناده إلى **الفاعل** إذا كان مبنيا له حقيقةً ، كما مر ، وكذا إلى **المفعول** إذا كان مبنيا له [1] . وقولنا « ما هو له » يشملهما .

وإسناده إلى غيرهما – [2] لمضاهاته [3] ما هو له في ملابسة الفعل – مجازٌ ، كقولهم في المفعول به [4] : عيشةٌ راضية ، وماءٌ دافق [5] ، وفي عكسه : سيل مُفْعَم [6] ، وفي المصدر : شِعْرٌ شاعر [7] وفي الزمان : نَهَارُهُ صائم ، وليله قائمٌ [8] ، وفي المكان : طريق سائر ، ونهر جارٍ [9] ، وفي السبب : « بَنَى الأميرُ المدينةَ » . وقال :

---

(١) نحو أنبتَ البقلُ .

(٢) هذا يشمل إسناد ما هو للفاعل إلى المفعول به ؛ نحو : « عيشة راضية » ، وإسناد ما هو للمفعول إلى الفاعل ، نحو « سيل مفعَم » .

(٣) يريد بالمضاهاة في ذلك علاقة الملابسة السابقة ، ولا يريد أن العلاقة في ذلك المشابهة؛ لأن المشابهة علاقة المجاز بالاستعارة لا المجاز العقلي ، وقيل : إن العلاقة هنا المشابهة في الملابسة ، وهو تكلف يأباه أسلوب المجاز العقلي ؛ لأنه لا يلاحظ فيه ذلك أصلاً ، على أن علاقة المشابهة لا تكفي فيها هذه الملابسة .

(٤) أي في إسناد ما هو للفاعل إلى المفعول به ، والعلاقة فيه الملابسة بالمفعولية .

(٥) منه أيضا قول الشاعر :

دَعِ المكارم لا ترحلْ لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

يريد : المطعوم المكسوّ ، والأصل في ذلك : راض صاحبها ، ودافق ماؤه ، وطاعم وكاس : طاعمه وكاسيه .

(٦) منه أيضا قوله تعالى : ﴿ إنه كان وعده مأتيا ﴾ آية ٦١ سورة مريم ، أي : آتيا ، والعلاقة فيه الملابسة بالفاعلية ، والأصل مفعم واديه ، ومأتي مضمونه .

(٧) منه أيضا قول الشاعر :

سيذكرني قومي إذا جَدَّ جدُّهم ... وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

والأصل – في ذلك – شعرٌ شاعرٌ صاحبه ، وجَدَّ صاحبُ جدِّهم ، والعلاقة فيه الملابسة بالمصدرية .

(٨) منه أيضا قوله تعالى : ﴿ فذلك يومئذ يومٌ عسير ﴾ آية ٩ سورة المدثر ، والعلاقة فيه الملابسة بالزمانية ، والأصل : صائم فيه الخ .

(٩) العلاقة فيه الملابسة بالمكانية ، والأصل : سائر السائر فيه .. الخ .

إذا رَدَّ عَافى القِدْرِ مَنْ يستعيرها (١)

وقولنا « بتأول » يُخرج نحو قول الجاهل « شفى الطبيب المريض » ؛ فإن إسناده الشفاء إلى الطبيب ليس بتأول ، ولهذا لم يُحْمَلْ نحو قول الشاعر الحماسى :

أشابَ الصغير وأفنى الكبيـ ـرَ كَرُّ الغداة ومَرُّ العَشِيِّ (٢)

على المجاز ما لم يُعْلم أو يُظَن أن قائله لم يُرِدْ ظاهره (٣) ، كما استُدِلَّ على أن إسناد « ميَّز » إلى جذْب الليالى فى قول أبى النجم :

قد أصبحتْ أمُّ الخـــيار تدَّعى علىَّ ذنباً كلّه لم أصنعِ
مِنْ أن رأت رأسى كرأس الأصلع مَيَّز عنه قُنْزُعًا عَنْ قنزع
جَذْبُ الليالى أَبْطِئِى أو أسْرِعى (٤)

مجازٌ ؛ بقوله عقيبه :

أفناهُ قِيلُ اللهِ للشمس اطلُعِى حتى إذا وَارَاكِ أفْقٌ فارجعى (٥)

(١) هو لعوف بن الأحوص من قوله :
فلا تسألينى واسألى عن خليقتى إذا ردَّ عافى القدر من يستعيرها
وقد نسب فى « أساس البلاغة » للكميت . والعلاقة فى ذلك : الملابسة بالسببية ، والأصل : بنى البنَّاء المدينة بسببه وردَّ المغير القدر بسببه ، وعافى القدر : المرق الذى يبقى فيها فيكون سبباً فى رد المستعير لها؛ فإسناد الرد إلى عافى القدر من الإسناد إلى السبب ، وهذا كناية عن كلَب الزمان وكونه يمنع إعارة القدر لتلك البقية ، وقيل : إن عافى القدرهو الضيف ، والمعنى: أن المستعير يراه والقدر منصوبة له فلا يطلبها . وقيل : إن البيت لعبيد بن الأبرص . وقيل : إنه لمضَرس الأسدى .

(٢) هو لقُثَم بنْ خبيَّة المعروف بالصلتان العَبْدى ، وقيل : إنه للصلتان الضبى ، والغداة : أول النهار ، وكرها : رجوعها بعد ذهابها . والعشى : أول الليل .

(٣) جاء فى قصيدة الصلتان ما يدل على أنه لم يرد بذلك الإسناد ظاهره ، وهو قوله :
فملَّتُنا أننا مسلمونَ على دين صدّيقنا والنبى

(٤) هو للفضل بن قدامة المعروف بأبى النجم ، والقَنزع : الشَعرُ المجتمع فى نواحى الرأس، و (عن) الثانية بمعنى بعد ، والأصلع الذى سقط شعر مقدم رأسه ، وجملتا « أبطئى أو أسرعى » حال من الليالى على تقدير القول ؛ أى مقولا فيها ذلك ، بالنظر إلى اختلاف أحوالها فى المسرة والمساءة .

(٥) فقد أسند فيه إفناء شعر الرأس إلى الله ، فدلَّ على أن إسناده قبله إلى الليالى مجاز . قيلُ اللهِ : قوله ، واراك : بمعنى غيبكِ وسترك .

* وسُمِّىَ الإسنادُ فى هذين القسمين من الكلام عقليا ؛ لاستناده إلى العقل دون الوضع ؛ لأن إسناد الكلمة إلى الكلمة شىء يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة ، فلا يصير « ضَرَبَ » خبراً عن « زيد » بواضع اللغة ؛ بل بمن قصد إثبات الضرب فعلاً له ، وإنما الذى يعود إلى واضع اللغة أن « ضَرَبَ » لإثبات الضرب ، لا لإثبات الخروج ، وأنه لإثباته فى زمانٍ ماض ، وليس لإثباته فى زمان مستقبل ، فأما تعيين مَن ثبت له فإنما يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين ، ولو كان لغويًا لكان حُكْمُنا بأنه مجاز فى مثل قولنا : « خطٌّ أحسنُ مما وشَّى الربيع » ؛ من جهة أن الفعل لا يصح إلا من الحى القادر [1] حكمًا بأن اللغة هى التى أوجبت أن يختص الفعلُ بالحى القادر دون الجماد ، وذلك مما لا يُشك فى بطلانه [2] .

وقال **السكاكى** [3] : الحقيقة العقلية هى الكلام المُفَادُ به ما عند المتكلم من الحكم فيه ، قال : وإنما قلتُ « ما عند المتكلم » دون أن أقول « ما عند العقل » [4]؛ ليتناول كلام الجاهل إذا قال « شفى الطبيب المريض » رائيًا شفاء المريض من الطبيب ، حيث عُدَّ منه حقيقةً مع أنه غير مفيد لِما فى العقل من الحكم فيه [5] .

وفيه نظر ؛ لأنه غيرُ مطّرِدٍ ؛ لصدقه على ما لم يكن المُسْنَدُ فيه فعلاً ولا متصلا به [6] ، كقولنا : « الإنسان حيوان » مع أنه لا يسمى حقيقةً ولا مجازاً [7]

---

(١) أى : لا من الربيع .

(٢) يقصد بهذا الرد على قول بعضهم : إن الإسناد فى هذين القسمين لغوى لا عقلى . وقيل : إن جرينا على أن المركبات موضوعة فهو لغوى ، وإن لم نجر على هذا فهو عقلى ، وهذا خلاف لا طائل تحته .

(٣) ٢١١ – المفتاح .

(٤) أى كما قال عبد القاهر .

(٥) لأن العقل يرى إسناد ذلك إلى الله لا إلى الطبيب .

(٦) المتصل بالفعل هو اسم الفاعل ونحوه .

(٧) الحق أنه لا معنى للاعتراض بهذا على السكاكى ؛ لأنه يرى أن الحقيقة والمجاز العقليين يجريان فى كل إسناد ، ولا يخصهما بما خصه به الخطيب ، على أن الخطيب قد ذكر فى المجاز العقلى أمثلة مركبة من مبتدأ أو خبر ، مثل « نهاره صائم » ولا ينفع فى الجواب عنه أن المجاز عنده فى إسناد الخبر إلى ضمير المبتدأ لأن هذا الإسناد غير مقصود فى الكلام ، وإنما المقصود الإسناد إلى المبتدأ على أنه قد ذكر من أمثلة الحقيقة العقلية فيما سبق – خالق الأفعال كلها هو الله وهذا الجواب لا يأتى فيه ، وقد ذكر عبد القاهر من المجاز العقلى قول الخنساء : =

ولا منعكس لخروج ما يطابق الواقع دون اعتقاد المتكلم وما لا يطابق شيئًا منهما منه مع كونهما حقيقتين عقليتين كما سبق (١) .

وقال (٢) : « المجاز العقلى هو الكلام المُفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأوّل إفادةً للخلاف لا بوساطة وضع ، كقولك « أنبت الربيع البقل ، وشفى الطبيب المريض ، وكسا الخليفةُ الكعبةَ » قال : وإنما قلت « خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه » دون أن أقول : « خلاف ما عند العقل » ؛ لئلا يُمتنع طردُهُ بما إذا قال الدَّهرى (٣) عن اعتقاد جهل ، أو جاهلٌ غيره : « أنبت الربيع البقل » رائيا إنباته من الربيع ؛ فإنه لا يُسمى كلامه ذلك مجازاً وإن كان بخلاف العقل فى نفس الأمر ، واحتج ببيت الحماسة (٤) وقول أبى النجم على ما تقدم . ثم قال : ولئلا يمتنع عكسه بمثل « كسا الخليفةُ الكعبةَ ، وهزَم الأميرُ الجندَ » فليس فى العقلِ امتناع أن يكسو الخليفةُ نفْسُهُ الكعبةَ ، ولا أن يَهزم الأميرُ وحده الجندَ ، ولا يقدحُ ذلك فى كونهما من المجاز العقلى ، وإنما قلت « لضرب من التأول » ؛ ليُحْترَزَ به عن الكذب ؛ فإنه لا يسمى مجازاً مع كونه كلامًا مفيداً خلاف ما عند المتكلم ، وإنما قلت « إفادة للخلاف لا بواسطة وضع »؛ ليحترز به عن المجاز اللغوى فى صورة ، وهى إذا ادُّعِىَ أن « أنبت » موضوع لاستعماله فى القادر المختار أوْ وُضِعَ لذلك » (٥) .

وفيه نظر ؛ لأنا لا نُسَلِّم بطلانَ طرده بما ذكر ؛ لخروجه بقوله « لضربٍ من

= ترتَعُ ما رتعتْ حتى إذا ادَّكرَتْ فإنما هىَ إقبـــالٌ وإدبار

وهذا مبتدأ وخبر ، وإنما جعله مجازاً ؛ لأن كلا من الإقبال والإدبار لم يُحمل على الناقة حمل مواطأة وان كان وصفًا لها . وعبد القاهر حجة فى هذا الفن . وقد قيل : إنه مجاز مرسل من إطلاق الصفة وإرادة الموصوف ، وقيل : إنه على حذف مضاف تقديره : ذات إقبال ، والحق أنه لا داعى إلى هذا التكلف ؛ لأنها تقصد المبالغة بالإخبار بالمصدر من غير تأويل أو حذف ، ويمكن أن يؤخذ من اقتصار الخطيب على الاعتراض بمثل « الإنسان حيوان » أن الذى لا يسمى عنده حقيقةً ولا مجازاً هو الذى يكون الخبر فيه جامداً لا فعلاً أو فى معناه ، ولكنهم قالوا : إن مذهبه أعم من ذلك .

(١) لأنهما دخلا فى تعريفه لها بزيادته قيد « فى الظاهر » ، وقد أهمله السكاكى .

(٢) ٢٠٨ – المفتاح . (٣) هو من ينسب الأفعال إلى الدهر .

(٤) هو بيت الصلتان العبدى السابق .

(٥) الفرق بين الأمرين أن « أنبت » على الأول موضوع لإخراج النبات مطلقا ، ولكنه لا يستعمل إلا فى القادر المختار ، وعلى الثانى يكون موضوعا لإخراج القادرِ المختارِ النبَاتَ .

التأول » ولا بطلانَ عكسه بما ذكر ؛ إذ المراد بخلاف ما عند العقل خلاف ما فى نفس الأمر (١) . وفى كلام الشيخ عبد القاهر (٢) إشارة إلى ذلك ؛ حيث عَرَّف الحقيقة العقلية بقوله : « كلُّ جملة وَضَعْتَها على أن الحكم المُفَاد بها على ما هو عليه فى العقل واقعٌ موقعه » ؛ فإن قوله « واقع موقعه » معناه فى نفس الأمر، وهو بيان لما قبله (٣) . وكذا فى كلام الزّمخشريّ ، حيث عرَّفَ المجاز العقلى بقوله : « وأن يسْنَدَ الفعل إلى شيء يتلبس بالذى هو فى الحقيقة له » ، فإن قوله « فى الحقيقة » معناه فى نفس الأمر ، ونحو : « كسا الخليفة الكعبة » إذا كان الإسناد فيه مجازاً كذلك . ثم القول بأن الفعل موضوع لاستعماله فى القادر ضعيف ، وهو معترف بضعفه ، وقد رَدّهُ فى كتابه بوجوه : منها أن وضع الفعل لاستعماله فى القادر قيد لم يُنقل عن واحد منْ روَاة اللغة ، وتركُ القيد دليل فى العُرف على الإطلاق ، فقوله « إفادة للخلاف لا بواسطة وضع » لا حاجة إليه ، وإن ذُكِرَ فينبغى ألاّ يُذكرَ إلا بعد ذكر الحد على المذهب المختار ، على أن تمثيله بقول الجاهل : « أنبت الربيعُ البقل » ينافى هذا الاحتراز (٤) .

* *

تنبيه

قد تبين مما ذكرنا أن المسَمَّى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلى – على ما ذكره السكاكى – هو الكلام ، لا الإسناد (٥) . وهذا يوافق ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر فى مواضع من « دلائل الإعجاز (٦) » وعلى ما ذكرناه هو الإسناد لا الكلام ، وهذا

---

(١) فلا يخرج نحو « هزم الأميرُ الجندَ » ؛ لأنه خلاف ما فى نفس الأمر ، لأن الذى يهزم الجند جيشه .
(٢) ٤٢٩ – أسرار البلاغة – مطبعة الاستقامة .
(٣) يعنى قوله « على ما هو عليه فى العقل » وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر « أن » قبله ، وهذا بيان له .
(٤) لأنه لا يتفق ودعوى أن « أنبت » لا يستعمل إلا فى القادر المختار ، إذ لو صح هذا يكون مجازا لا حقيقة لإسناد الإنبات فيه إلى الربيع ، وهو ليس بقادر مختار ، هذا وقد أطال الخطيب هنا فى الرد على السكاكى بما لا يحتمله علم البلاغة .
(٥) قيل إن السكاكى يرى أن المسمى بهما هو الإسناد ، لأنه فى جميع الباب يقول : « إسنادُ حقيقة وإسناد مجاز » وما فى تعريفه لهما يمكن حمله على التساهل فى العبارة .
(٦) من هذا تعريفه للحقيقة العقلية وللمجاز العقلى أنهما كل جملة ... الخ . كما سبق فى تعريفه . ويمكن حمل كلامه فى هذا على التساهل أيضاً ؛ لتصريحه فى عدة مواضع بأنهما وصفان للإسناد .

ظاهر ما نقله الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله عن الشيخ عبد القاهر ، وهو قول الزَّمخشرى فى « الكشاف » وقول غيره ، وإنما اخترناه ؛ لأن نسبة المسمَّى حقيقة أو مجازاً إلى العقل على هذا لنفسه بلا وساطة شىء ، وعلى الأول لاشتماله على ما ينتسب إلى العقل : أعنى الإسناد .

أقسام المجاز العقلى :

ثم المجاز العقلى باعتبار طرَفيْه – أعنى المسندَ والمسْنَدَ إليه – **أربعة أقسام** لا غير :

* لأنهما إمَّا **حقيقتان** (١) كقولنا : « أنبت الربيع البقل » ، وعليه قوله :

* فنَامَ ليْلِى وتجَلَّى هَمِّى (٢) *

وقوله :

* وشيَّب أيامُ الفراقِ مَفارقى (٣) *

وقوله :

* ونمتُ وما ليلُ المَطِىِّ بنائم (٤) *

وإما **مجازان** (٥) كقولنا: « أحْيَا الأرضَ شبابُ الزمان » (٦) .

---

(١) أى لغويتان .

(٢) هو لرؤبة بن العجَّاج ، وقبله :

يا ربِّ قد فرَّجت عنى غمى   قد كنتُ ذا هَمٍّ وَرَاعى نجْم

وقوله « تجلى » بمعنى انكشف ، والشاهد فى قوله « نام ليلى » .

(٣) قيل إنه لجرير من قوله :

وشيَّبَ أيامُ الفراق مَفارقِى   وأنْشَزْن نفسى فوق حيثُ تكونُ

ولكنه لا يوجد فى ديوانه ، وقوله « أنشزن » بمعنى رفعن ، وقوله « تكون » مأخوذ من كان التامة ، والمعنى : أيام الفراق رفعت نفسه عن مكانها فى الجسم وبلغت بها الحلقوم ، والشاهد فى قوله « وشيب أيام الفراق » .

(٤) هو لجرير من قوله :

لقدْ لُمتنى يا أمَّ غيْلان فى السُّرى   ونمتُ وما ليلُ المطىِّ بنائم

وأم غيلان : ابنته ، والسرى : السير ليلا ، والشاهد فى قوله « وما ليل المطىّ بنائم » والمعنى : أنه لا يقطع السير بالليل ولا ينام .

(٥) أى لغويان .

(٦) فإحياء الأرض مجاز عن خصبها ، وشباب الزمان مجاز عن الربيع ، وفى اجتماع المجاز اللغوى والمجاز العقلى طرافة تجعل لذلك التقسيم فائدة .

* وإما **مختلفان** : كقولنا « أنبت البقلَ شبابُ الزمان » ، وكقولنا « أحيا الأرضَ الربيعُ » ، وعليه قول الرجل لصاحبه : « أحيتنى رؤيتك » أى آنستنى وسرَّتنى ؛ فقد جعل الحاصل بالرؤية من الأنس والمسرة حياة ، ثم جعل الرؤية فاعلة له . ومثله قول أبى الطيب :

وتُحيِى له المالَ الصوارمُ والقَنا ويقتل ما تُحيى التَّبسُّمُ والجَدَا (١)

جعل الزيادة والوُفورَ حياةً للمال ، وتفريقه فى العطاء قتْلاً له ، ثم أثبت الإحياءَ فعلاً للصوارم ، والقتلَ فعلاً للتبسم ، مع أن الفعل لا يصح منهما . ونحوه قولهم « أهلك الناسَ الدينارُ والدرهم » جُعلت الفتنة إهلاكا ، ثم أثبتَ الإهلاك فعلاً للدينار والدراهم .

وقوعه فى القرآن : وهو فى القرآن كثير (٢) كقوله تعالى : ﴿ وإذا تُليتْ عَلَيْهِمْ آياتهُ زَادَتهمْ إيماناً ﴾ (٣) نُسبت الزيادة التى هى فعل الله إلى الآيات لكونها سببا فيها ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وذ لكمُ ظنكم الذى ظَنَنْتُم بربِّكُمْ أرْدَاكُم ﴾ (٤)، ومن هذا الضرب قوله : ﴿ يُذَبِّحُ أبْنَاءهُمْ ﴾ (٥) فالفاعل غيره ، ونُسب الفعل إليه لكونه الآمر به ، وكقوله ﴿ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا (٦) ﴾ نُسبَ النزع الذى هو فعل الله تعالى إلى إبليس ؛ لأن سببه أكل الشجرة ، وسببُ أكلها وسوسته ومقاسمته إياهما إنه لهما لمن الناصحين ، وكذا قوله : ﴿ ألَمْ تَرَ إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قوْمَهُمْ دَارَ البَوار ﴾(٧) نسب الإحلال الذى هو فعل الله إلى أكابرهم ؛ لأن سببه كفرهم ، وسببُ كفرهم أمرُ أكابرهم إياهم بالكفر ، وكقوله تعالى : ﴿ يَوْماً يجْعلُ الولدَانَ شيبا ﴾(٨) نُسبَ الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه ، كقولهم « نهارُه صائم » وكقوله تعالى : ﴿ وأخْرَجَتِ الأرْض أثْقَالها ﴾ (٩) .

---

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى من قصيدة له فى مدح سيف الدولة ، والصوارم : السيوف القاطعة ، والقنا : الرماح ، واحدها قناة ، والجدا : العطاء .

(٢) يريد بالنص على وجود المجاز العقلى فى القرآن الرد على من ينكر وجود المجاز مطلقًا فى القرآن ؛ لأنه يوهم الكذب ، والقرآن منزه عنه ، ورُد بأنه لا إيهام مع وجود القرينة .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٢ . (٤) سورة فصلت : الآية ٢٣ .

(٥) سورة القصص : الآية ٤ . (٦) سورة الأعراف : الآية ٢٧ .

(٧) سورة إبراهيم : الآية ٢٨ . (٨) سورة المزمل : الآية ١٧ .

(٩) آية ٢ سورة الزلزلة فقد نسب فيه الإخراج إلى مكانه وهو الأرض مع أن الله هو المخرج للدفائن وهى الموتى . وقيل : إن الإسناد للمفعول ؛ لأنه على تقدير « من » أى أخرج الله من الأرض .

وهو غير مختص بالخبر [١] ؛ بل يجرى فى الإنشاء ، كقوله تعالى : ﴿ وقال فرْعَونُ يا هامانُ ابن لى صرْحاً ﴾ [٢] وقوله : ﴿ فأوقدْ لى ياهامانُ على الطين فاجعلْ لى صرحاً ﴾ [٣] وقوله : ﴿ فلا يُخْرجنكما من الجنَّة فتشْقى ﴾ [٤] .

تقسيم قرينته : ولا بُدَّ له من قرينة : إما **لفظية** ؛ كما سبق فى قول **أبى** النجم ، أو **غير لفظية** ؛ كاستحالة صُدور المسند من المسند إليه المذكور [٥] . أو قيامه به [٦] **عقلاً** ؛ كقولك « محبتك جاءت بى إليك » [٧] . أو **عادةً** ، كقولك « هزم الأمير الجند ، وكسا الخليفةُ الكعبة ، وبنى الوزيرُ القصرَ » ، وكصدور الكلام[٨] من الموَحِّد [٩] فى مثل قوله : « أشاب الصغير . . . »[١٠] البيت .

دقة مَسْلَكه : واعلم أنه ليس كلُّ شيءٍ يصلح لأن تتعاطى فيه المجاز العقلى بسهولة ، بل تجدك فى كثير من الأمر تحتاج إلى أن تهيِّيء الشيءَ وتصلحه له بشيء تتوخاه فى النظم ؛ كقول من يصف جَملاً :

---

(١) مثله الحقيقة العقلية كما سبق .

(٢) آية ٣٦ سورة غافر . والشاهد فى نسبة البناء لهامان ، وليس هو الذى يفعله ، وإنما يأمر به ؛ لأنه كان وزيراً لفرعون ، فيكون من الإسناد للسبب . والمجاز العقلى يجرى أيضا فى كل أنواع الإنشاء مع ملابسات الفعل السابقة .

(٣) آية ٣٨ سورة القصص . والشاهد فى نسبة الإيقاد لهامان لأنه بسببه .

(٤) آية ١١٧ سورة طه . والشاهد فى نسبة الإخراج لإبليس لأنه بسببه .

(٥) أى فى الكلام وهو المسند إليه المجازى ؛ لأنه هو الذى يذكر فى المجاز العقلى .

(٦) هذا معطوف على قوله « صدور » لأن الصدور الحدوث ، والقيام الاتصاف ، والأول مثل « ضربَ » والثانى مثل « قربَ وبعُد » .

(٧) لظهور استحالة قيام المجيء بالمحبة ، وهذا إنما يجرى على مذهب المبرد فى باء التعدية ، فهى تقضى عنده بمشاركه الفاعل للمفعول فى الفعل ، وهى عند سيبويه بمعنى همزة النقل فى نحو « أذهبت زيداً » أى جعلته ذاهبا ، فتكون المحبة عنده حاملة فقط على المجيء ، وليس فى هذا مجاز عقلى .

(٨) عطف على « كاستحالة » .

(٩) المراد به الموحد الكامل بخلاف المعتزلة ، والقرينة هنا حالية ، وإنما لم يكن هذا من الاستحالة العقلية ؛ لأن المراد بها الاستحالة الضرورية التى لا خلاف فيها ، وما هنا محل خلاف بين المؤمن والدهرى ، والمعتزلة من الموحدين يقولون بتأثير الأسباب العادية ، فلا يكون الإسناد إليها مجازاً عندهم .

(١٠) أى الصلتان العبدى فيما سبق .

تجوبُ له الظلماءَ عينٌ كأنها زجاجةُ شَرْبٍ غير ملأى ولا صفْرِ (١)

يريد أنه يهتدى بنور عينه فى الظلماء ، ويمكنه بها أن يخرقها ويمضى فيها ، ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذى لا يجد السائر شيئاً يفرجه به ، ويجعل لنفسه فيه سبيلا ، فلولا أنه قال « تجوب له » فعلق « له » بـ « تجوب » لما تبين جهة التجوز فى جعل الجوْب فعلاً للعين كما ينبغى ؛ لأنه لم يكن حينئذ فى الكلام دليل على أن اهتداء صاحبها فى الظلماء ومضيَّه فيها بنورها ، وكذلك لو قال « تجوب له الظلماءَ عينه » لم يكن له هذا الموقع ، ولانقطع السّلكُ من حيث كان يعيبه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به (٢) .

الخلاف فى استلزامه الحقيقة : واعلم أن الفعل المبنى للفاعل فى المجاز العقلى واجب أن يكون له فاعل فى التقدير ، إذا أسند إليه صار الإسناد حقيقةً ؛ لما يشعر بذلك تعريفه بما سبق (٣) ، وذلك قد يكون **ظاهراً** ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ فما ربحت تجارتُهم ﴾ (٤) أى فما ربحوا فى تجارتهم ، وقد يكون **خفياً** لا يظهرُ إلا بعد نظر وتأمل ؛ كما فى قولك « سرتنى رؤيتك » أي : سرنى الله وقت رؤيتك ، كما تقول : أصل الحكم فى « أنبُت الربيعُ البـقْلَ » : أنبت الله البـقْل وقت الربيع، وفى « شفَى الطبيب المريض » شفى الله المريض عند علاج الطبيب ، وكما فى قوله « أقدَمنى بلدك حقٌّ لى على فلان » أى : أقدمتنى نفسى بلدك لأجل حقٍّ لى على فلان ، أى قدمت لذلك، ونظيره « محبتك جاءت بى إليك » أى : جاءت بى نفسى

---

(١) لا يُعلم قائله ، وقبله :

تناسَ طلاب العامريـــة إذ نأتْ بأسجح مرقال الضحى قلق الضفر
إذا ما أحَسَّتْهُ الأفاعى تخيرت شواة الأفاعى من مكلـــمة سمر

والشرب : جمع شارب ، والصفر : الخالية ، والمجاز فى إسناد « تجوب » إلى العين ، وإنما قيد الزجاجة بكونها غير ملأى ولا صفر ؛ لأن العين إنما تشبهها فى هذه الحالة .

(٢) لأن تنكيرها هو الذى هيَّأ له وصفها به .

(٣) يردّ بهذا على ما يفيده ظاهر كلام عبد القاهر من أن الفعل المبنى للفاعل فى المجاز العقلى لا يجب أن يكون له فاعل حقيقى ، كما فى قولك « سرتنى رؤيتك »، والخلاف فى هذا لا ثمرة له ولا يصح الاشتغال به فى علم البلاغة ، ولا يريد عبد القاهر إلا أن العرف فى مثل هذا لم يجر بإسناد الفعل إلى الفاعل الحقيقى ؛ فلا يقال فيه : سرنى الله عند رؤيتك .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٦ .

إليك لمحبتك أى جئتك لمحبتك ، وإنما قلنا : إن الحكم فيهما مجاز ؛ لأن الفعلين فيهما مسندان إلى الداعى (١) ، والداعى لا يكون فاعلا . وكما فى قول الشاعر :

وصيَّرنى هَواكِ وبى ... لِحَيْنِى يُضْرَبُ المَثَلُ (٢)

أى : وصيرنى الله لهواك وحالى هذه ، أى أهلكنى الله ابتلاءً بسبب هواك .

وكما فى قول الآخر وهو أبو نُواس :

يَزيدك وجهُه حُسنًا ... إذا ما زدتَهُ نظرا (٣)

أى يزيدك الله حسنًا فى وجهه لما أُودعهُ من دقائق الجمال متى تأملتَ .

إنكار السكاكى له : وأنكر السَّكاكى (٤) وجود المجاز العقلى فى الكلام (٥) ،

---

(١) يعنى الداعى إلى الفعل وهو السبب .

(٢) هو - كما فى الأغانى - لأبى عبد الله محمد بن أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى ، وقيل : إنه لابن البواب ، وقبله :

أتيتكِ عائذاً بكِ منـــ ... ـكِ لمّا ضاقت الحيلُ

وبعده :

فإن ظَفَرتْ بكم نفسي ... فما لاقيتُه جَللُ

وإنْ قتل الهوى رجــلاً ... فإنى ذلك الرجلُ

والحين فى الأصل : الهلاك ، استعير لما وصل إليه من سوء الحال فى هواه .

(٣) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس . والمراد بالحسن : حسن الوجه وجماله وليس المراد به استحسان الناظر إليه . ورواية الديوان :

وجوهٌ عندنا تحـــكى ... بدارة وجهها القمــرا

يزيدك وجهها حـسناً ... إذا ما زدتَــــه نظرا

وقيل إن البيت لابن المعدل ، وقبله :

لِعُتبة صفحتا قمرٍ ... يفوق سناهما القمرا

يريد : وجهها .

(٤) ٢١٢ - المفتاح .

(٥) ذهب ابن الحاجب أيضا إلى أن المجاز فى لفظ « أنْبت » مثلاً من قولك « أنبت الربيع البقل » وهو يوافق السكاكى فى إنكار المجاز العقلى ، وذهب الفخر الرازى إلى إنكاره أيضا ، ولكنه يحمل نحو « أنبت الربيع البقل » على أنه تمثيل يورد ليتصور معناه وينتقل الذهن منه إلى إنبات الله تعالى ، فلا مجاز عنده فى الإسناد ولا فى طرفيه ، وذهب سيبويه إلى أنه من التوسع فى الكلام فيحتاج فيه إلى التأويل فقط ، كما يؤول « نام ليلى » بأنه على تقدير نمت فى ليلى ؛ فجملة المذاهب فى ذلك خمسة ، والخلاف بينهم فيها مما لا يصح الاشتغال به فى هذا العلم ، وأقربها إلى أسلوب اللغة جعل التجويز فى الإسناد ، كما ذهب إليه الخطيب ، وهو مذهب عبد القاهر إمام هذا الفن ؛ لأنه لا تكلف فيه كغيره من المذاهب .

وقال : « الذى عندى نظمُهُ فى سلك الاستعارة بالكناية ، بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقى [1] بواسطة المبالغة فى التشبيه ، على ما عليه مبنى الاستعارة ، كما سيأتى . وجعلَ نسبة الإنبات إليه قرينة للاستعارة ، ويجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزْم إليه قرينةً للاستعارة .

وفيما ذهب إليه نظر ؛ لأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة فى قوله تعالى : ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾[2] صاحب العيشة لا العيشة [3] ، وبـ« ماء » فى قوله : ﴿ خُلق من ماء دافق ﴾ [4] فاعل الدفق لا المنى [5] ؛ لما سيأتى من تفسيره للاستعارة بالكناية [6] ، وألاّ تصحّ الإضافة فى نحو قولهم « فُلانٌ نهارهُ صائمٌ وَليله قائم » لأن المراد بالنهار على هذا فلانٌ نفسهُ ، وإضافة الشىء إلى نفسه لا تصح . وإلا يكون الأمر بالإيقاد على الطين فى إحدى الآيتين [7] وبالبناء فيهما لهامان [8] مع أن النداء له [9] .

وأن يتوقف جواز التركيب فى نحو قولهم « أنبت الربيعُ البقلَ ، وسرتنى رؤيتُك » على الإذن الشرعى ؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية ، وكل ذلك منتفٍ ظاهر الانتفاء ، ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم « فلان نهاره صائم » ؛ فإن الإسناد فيه مجاز ، ولا يجوز أن يكون النهار استعارة بالكناية عن فلان ؛ لأن ذكر طرفى التشبيه يمنع من حمل الكلام على الاستعارة ، ويوجب حمله على التشبيه ، ولهذا عُدَّ نحو

---

(١) هو الله تعالى ، وإنما لم يصرح به ليبتعد عن سوء الأدب فى التشبيه من اللفظ . وما كان أغنى السكاكى عن ذلك المذهب الذى يحوج إلى هذا التكلف .

(٢) سورة الحاقة : الآية ٢١ .

(٣) وجه اللزوم أن ضمير « راضية » يعود إلى عيشة ، فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللازم ما فيه من ظرفية الشىء فى نفسه .

(٤) سورة الطارق : الآية ٦ .

(٥) لأن ضمير « دافق » يعود إلى ماء ، فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللازم ما فيه من إثبات خلق الإنسان من نفسه .

(٦) ما سيأتى هو أن مبناها عنده على دعوى أن المشَبَّه فرد من أفراد المشبه به .

(٧) أى السابقتين وهما : ﴿ يا هامانُ ابْن لى صرْحاً ﴾ . (الزمر : ٣٦) ﴿ فأوْقدْ لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا ﴾ آية ٣٨ سورة القصص .

(٨) بل يكون للعملة الذين شُبه هامان بهم .

(٩) فيكون الأمر له لئلا يلزم تعدد المخاطب فى كلام واحد .

قولهم : « رأيت بفلان أسداً ، ولقيني منه أسد » تشبيها لا استعارة ، كما صرّح السكاكي أيضاً بذلك في كتابه (١) .

* *

تنبيه

سبب عدم إيراد الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان :

إنما لم نورِد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه ؛ لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان (٢) .

* * *

(١) أجاب أصحاب الحواشي عن السكاكي بأجوبة أعرضنا عنها ؛ لأنها لا يصح التطويل بها في علم البلاغة ، والحق أن المجاز العقلي طريقه غير طريق الاستعارة بالكناية ؛ لأنها تقوم على علاقة المشابهة كغيرها من الاستعارات ، بخلافه ، فلا يصح حمله عليها .

(٢) بيان ذلك : أن الحقيقة والمجاز العقليين حالان من أحوال اللفظ ، وأنه يؤتى بهما لأحوال تقتضيهما ؛ لأن مُلابسات الفعل السابقة تقتضي الإتيان بالمجاز العقلي عند قصد المبالغة ، وعدمها يقتضي الإتيان بالحقيقة العقلية ، وبهذا يدخلان في تعريف علم المعاني ، وإنما لم يدخلا في تعريف علم البيان لأنهما ليسا من أحوال الدلالة ، وقد اعترض على هذا بأن الحقيقة والمجاز اللغويين حالان من أحوال اللفظ أيضا وكل منهما له أحوال تقتضيه كالحقيقة والمجاز العقليين ، وقد ذكرهما الخطيب كغيره في علم البيان ، فإذا أجيب بأنهما من أحوال الدلالة فيدخلان في علم البيان ، قيل : إنه يمكن جعل الحقيقة والمجاز العقليين من أحوال الدلالة أيضا ؛ لأن إثبات البقل مثلا يمكن أن يدل عليه بقولنا « أنبت الله البقل » على طريق الحقيقة ، وبقولنا « أنبت الربيع البقل » على طريق المجاز ، وهكذا ، ولكن هذا يتوقف على دخول دلالة الحقيقة في طرق الدلالة المذكورة في تعريف علم البيان .

تمرينات على الحقيقة والمجاز العقليين

تمرين - ١

بيِّن الحقيقة والمجاز العقليين والأحوال الداعية إليهما فيما يأتى :

(١) فدَعْها وسَلِّ الهمَّ عنها بحسرةٍ ذَمول إذا صام النهار وهجَّرا

(٢) إنى لَمِنْ مَعْشَرٍ أفنَى أوائلَهُمْ قيلُ الكماة ألا أين المحامونا

(٣) إن المنبتَّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى .

(٤) قوله تعالى : ﴿ واللهُ أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها إنَّ فى ذلك لآية لقومٍ يسمعون ﴾ آية ٦٥ سورة النحل .

تمرين - ٢

بين نوع الملابسة فيما يأتى من المجاز العقلى :

(١) هى الأمور كما شاهدتَها دولٌ مَن سرَّهُ زمنٌ ساءته أزمانُ

(٢) وكل امرىءٍ يولى الجميل محبَّبٌ وكلُّ مكان يُنبتُ العزَّ طَيِّبُ

(٣) قوله تعالى : ﴿ هُو الذى جعل لكم الليل لتسكُنوا فيه والنهار مُبْصراً ﴾ آية ٦٧ سورة يونس .

تمرين - ٣

(١) ما وجه من جعل الحقيقة والمجاز العقليين من علم المعانى ؟ ... وما وجه من جعلهما من علم البيان ؟ ... وهل لهذا الخلاف ثمرة فى البلاغة ؟

(٢) بين الخلاف فى كون الحقيقة والمجاز العقليين وصفين للكلام أو للإسناد ؟ وما هى ثمرة هذا الخلاف فى المقصود من علوم البلاغة ؟

* * *

الباب الثانى : القول فى أحوال المسند إليه

أغراض الحذف : أما حذفه فإمَّا لمجرَّد الاختصار (١) والاحتراز عن العبث بناءً (٢) على الظاهر ، وإما لذلك مع ضيق المقام (٣) ، وإما لتخييل (٤) أنّ فى تركه تعويلا على شهادة العقل وفى ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكم بينَ الشهادتين ! . و إما لاختبار تَنَبُّه السامع عند القرينة (٥) ، أو مقدار تنبهه (٦) ، وإما لإيهام أن فى تركه تطهيراً له عن لسانك أو تطهيراً للسانك عنه (٧) ، وإما ليكون لك سبيل إلى الإنكار إنْ مسَّتْ إليه حاجة (٨) ، وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقةً أو ادِّعاء (٩) ،وإما لاعتبارٍ آخر مناسب لا يهتدى إلى مثله

---

(١) الحذف هو حال المسند إليه ، وكذا ما سيأتى من الذكر والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير ، ومجرد الاختصار وما عطف عليه هى الأحوال الداعية إلى الحذف ، وهذا يقال فى الحذف مما يأتى ، وهذه الأحوال تسمى أغراضاً أيضاً .

والاختصار غرضٌ مطَّرد فى الحذف ؛ فتارة يكون وحده ، وتارة يكون مع غيره من أغراض الحذف ، وحذف المسند إليه يشمل حذف المبتدأ وحذف الفاعل مع إنابة المفعول عنه .

(٢) بناء : حال من العبث ، أى حال كون العبث مبنيا على الظاهر بأن تكون هناك قرينة تدل على المحذوف ؛ لأنه لا يصح حذفه من غير قرينة تدل عليه ، وظاهره أن الاختصار والاحتراز عن العبث غرضان لا ينفصل أحدهما عن الآخر .

(٣) ضيق المقام قد يكون بسبب شعر أو ضجر أو خوف فوات فرصة أو نحو ذلك .

(٤) إنما قال « تخييل » ؛ لأن الدالّ حقيقةً عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة ، وهذه نكتة فلسفية أتى بها السكاكى فى أغراض الحذف وليست فى شىء من البلاغة العربية .

(٥) هذا كأن يزورك رجلان سبقت لأحدهما صحبة لك ، فتقول لمن معك : « وَفِىٌّ » تريد : الصاحب وفى .

(٦) هذا كأن يزورك رجلان أحدهما أقدم صُحبةً من الآخر ، فتقول لمن معك : « جدير بالإحسان » تريد الأقدم صحبة جدير بالإحسان ، والفرق بين هذا وما قبله أن اختيار مقدار التنبه لا يكون إلا فى القرائن الخفية ، وهذا الغرض بقسميه من تكلفاتهم أيضاً .

(٧) قيل : إن لفظ « إيهام » هنا لا داعى إليه ، وكذلك لفظ « تخييل » فيما سبق ؛ لأن ذلك يقع حقيقةً لا تخييلا ولا إيهاما ، والأول كقولك « خاتم الأنبياء » أى محمد ﷺ ، والثانى سيأتى فى أمثلة الإيضاح .

(٨) هذا كقولك « فاجر » تريد رجلا معروفا ، فلا تذكره لتقول عند الحاجة ما أردته .

(٩) الأول كقوله تعالى : ﴿ عالمُ الغيبِ والشهادة ﴾ آية ٩ سورة الرعد ، والثانى كقولك « وهابُ الألوف » تريد كريما لا تذكره ادِّعاءً لتعينُّه وشهرته .

إلا العقلُ السليم والطبعُ المستقيم (١) .

كقول الشاعر :

قال لى : كيف أنت ؟ قلتُ علــيلٌ ... سهرٌ دائم وحزن طــــــويلُ (٢)

وقوله :

سأشكرُ عَمْراً إن تراخـــــتْ منيَّتى ... أيادى لم تُمْنَنْ وإنْ هــــــى جَلَّت

فتًى غيرُ محجوب الغِنَى عن صديقه ... ولا مُظْهِر الشكوى إذا النعلُ زلَّت (٣)

وقوله :

أضاءت لهم أحسابُهمْ ووجُوهــــهمْ ... دُجَى الليل حتى نظَّــمَ الجزعَ ثاقبُهْ

نجومُ سماءٍ كلما انقَـــــضَّ كوكبٌ ... بدا كوكبٌ تأوى إليه كــواكبُهْ (٤)

---

(١) من ذلك تعجيل المسرة أو المساءة كقولك للسائل : « دينار » . ومنه المحافظة على وزن أو سجع ، كقولهم « من طابت سريرتُه حُمدت سيرتُه » . فلو قيل « حمد الناس سيرته » لفات السجع ، وإنى أرى أن هذا غرض يراعى من أجل محسِّن بديعى ، فلا يفوت بتركه إلا ذلك المحسن ، ولا يكون مقامه فى البلاغة كغيره ، وقد ذكر بعضهم من أغراض الحذف اتباع الاستعمال الوارد على تركه ، كما فى قولهم « رمية من غير رام » أو على ترك نظائره ، كالرفع على المدح أو الذم فى النعت المقطوع ، واعترض عليه بأن الحذف فى ذلك ليس لأغراض بلاغية ، وإنما يرجع إلى اقتضاء العربية له ، وأجيب بأن هذا الحذف مع وجوبه عربيةً لا يصار إليه إلا لغرض بلاغى يقتضيه ، وهو جوابٌ ظاهر ؛ لأنه لا معنى لتوقف الحذف على الغرض البلاغى مع وجوبه فى ذاته ؛ إذ لابد منهُ وُجد هذا الغرض أو لم يوجد .

(٢) لا يُعْلَم قائله ، والشاهد فى قوله « عليل » ؛ لأن التقدير أنا عليل . وفى قوله « سهر دائم » ؛ لأن التقدير حالى سهر دائم ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الضجر والشعر .

(٣) هما لعبد الله بن الزبير الأسدى فى مدح عمرو بن عثمان بن عفان ، وقيل إنهما لإبراهيم بن العباس الصولى ، وقيل غير هذا فى نسبتهما ، وأيادى بدل اشتمال من عمرو ، والتقدير: أيادى له ، وهى جمع أيدى بمعنى النعم ، وأيدى جمع يد ، وقوله « لم تمنن » معناه لم تقطع أو لم تخلط بمنَّة . وقوله « إذا النعل زلت » كناية عن نزول الشر ، وزلت بمعنى زلقت ، والشاهد فى قوله « فتى » ؛ لأن التقدير هو فتى ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر ، وقد قيل إنه لصون المحذوف عن لسان المادح ، وقيل إنه لادّعاء تعينه ، وكلاهما ضعيف ؛ لأنه صرح باسمه قبله .

(٤) قيل : إنهما لحنظلة بن الشرقى المعروف بأبى الطمحان القينى وقيل : للقيط بن زُرارة ، فى مدح « بنى لأم » من طيىء، وهو الصحيح، وكان فى أسر بجير بن أوس الطائى فأطلقه =

وقول بعض العرب فى ابن عم له مُوسِر سأله فمنعه ، وقال : كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فيما لا يعنيك ، والله لا أعطيتك . فتركه حتى اجتمع القوم فى ناديهم وهو فيهم ، فشكاه إلى القوم وذمَّه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمه ، فأنشأ يقول :

سريعٌ إلى ابن العمِّ يلطم وجهه ... وليسَ إلى داعى النَّدى بسريع

حريصٌ على الدنيا مُضيعٌ لدينه ... وليس لما فى بيته بمضيع (١)

وعليه قوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكمٌ عُمْىٌ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وما أدراكَ ماهيهْ ، نارٌ حاميهْ ﴾ (٣) ، وقَيام القرينة شرطٌ فى الجميع (٤) .

أغراض الذكر : وأما ذكره؛ فإمَّا لأنه الأصل ولا مقتضى للحذف (٥) ، وإمَّا

= فمدحه بذلك ، والجزع : خرز فيه بياض وسواد ، والشاهد فى قوله « نجوم سماء » ؛ لأن التقدير هم نجوم سماء ، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر ، وقيل : إنه لصون المحذوف عن لسان المادح ، هذا وبعضهم يأخذ على البيت الأول ما فيه من المبالغة التى جاوزت الحد ، وبعضهم يعجب به ويقول : هو أمدح بيت قيل فى الجاهلية .

(١) هما للمغيرة بن عبد الله المعروف بالأقيشر الأسدى . والندى : الكرم ، والشاهد فى قوله « سريع إلى ابن العم » ؛ لأن التقدير هو سريع ، والحذف فيه لصون اللسان عن المحذوف مع الاختصار والاحتراز عن العبث .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨ .

(٣) سورة القارعة : الآيات ٩ ، ١٠ .

(٤) أى فى جميع أغراض الحذف ؛ لأنه لا يصح الحذف إلا معه ، واعتبار البلاغة إنما يكون بعد اعتبار الصحة ، وقد يغنى عن هذا قوله فيما سبق « بناء على الظاهر » .

هذا وقد ترك أمثلة حذف المسند إليه الفاعل مع إنابة المفعول عنه ، ومن ذلك هذه الأمثلة :

سُبقنا إلى الدنيا . فلو عاش أهلُها ... مُنحنا بها منْ جيئة وذُهُوب

نُبِّئْت أن أبا قابُوس أوْعدَنى ... ولا قرارَ على زأر من الأسد

أسرْتُ وما صَحْبى بعُزل لدَى الوغى ... ولا فرسى مهْر ولا ربُّه غُمر

لَئنْ كُنْتَ قد بُلِّغْتَ عنى خيانةً ... لَمُبْلغُكَ الواشى أغشُّ وأكذب

والحذف فى الأول للعلم بالمحذوف ، وفى الثانى للخوف عليه ، وفى الثالث لضيق المقام ، وفى الرابع لاحتقار المحذوف .

(٥) إنما قدمَ أغراضَ الحذف على أغراض الذكر ؛ لأن الأولى أهم فى البلاغة من الثانية ، والذكر الذى يبحث عن أغراضه هو الذى يصح الاستغناء عنه لوجود القرينة ، فوجودها شرط فى الذكر كما هو شرط فى الحذف ؛ لأنه مع فقدها يتعين الذكر ، وإنما يبحث فى هذا العلم عن الأغراض المرجحة كما سبق ، وقد اعترض على هذا الغرض بأنه مع وجود القرينة يكون مقتضى=

للاحتياط لضعف التعويل على القرينة (١) ، وإما للتنبيه على غباوة السامع (٢) ، وإما لزيادة الإيضاح والتقرير (٣) ، وإما لإظهار تعظيمه أو إهانته كما فى بعض الأسامى المحمودة أو المذمومة (٤) ، وإما للتبرك بذكره (٥) ، وإما لاستلذاذه (٦) ، وإما لبسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب ، كقوله تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام: ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾ (٧) ولهذا زاد على الجواب (٨) ، وإما لنحو ذلك (٩) .

= الحذف موجوداً ، ويكون الأصل الحذف ، لا الذكر ، وأجيب بأنه يريد لا مقتضى الحذف فى قصد المتكلم وإن كان موجوداً فى نفسه . وإنى أرى أنه متى وُجِدَت القرينة يتعين الحذف بلاغةً ، ولا يصح الذكر لمثل هذا الغرض ؛ فالأولى الاقتصار على ما بعده . وقيل : إن مراده أن الذكر هو الأصل عند فقد القرينة ؛ ويكون ما بعده من الأغراض عند وجودها ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب أيضاً .

(١) هذا عند خفاء القرينة ؛ كما تقول « من حضر ومن سافر ؟ فيقال : « الذى حضر زيد ، والذى سافر عمرو » ،ولا يقال زيد وعمر ؛ لأن السامع قد يجهل تعيين ذلك فى السؤال .

(٢) هذا عند ظهور القرينة ، كما تقول : من حضر ؟ ... فيقال « الذى حضر زيد » .

(٣) نحو قول الشاعر :

وقد علم القبائلُ من مَعَدٍّ ... إذا قُبَبٌ بأبطُحِها بُنينا
بأنَّا المطعمون إذا قدرنا ... وأنا المهلكون إذَا ابتُلينا
وأنَّا المانعون لما أرَدْنا ... وأنَّا النازلون بحيث شينا
وأنَّا التاركون إذا سخطنا ... وأنَّا الآخذون إذا رضينا

(٤) الأول نحو « أمير المؤمنين حاضر » ، والثانى نحو « السارق اللئيم حاضر » جوابًا لمن سأل عنهما .

(٥) كقولك لمن سألك : هل الله يرضى هذا ؟ : الله يرضاه .

(٦) نحو قول الشاعر :

بالله يا ظَبيات القَاع قلنَ لنا ... لَيلاىَ منكنَّ أم ليلَى من البشر

(٧) سورة طه : الآية ١٨ .

(٨) فقال : ﴿ أتوكأ عليها وأهشُّ بها على غنَمى ولىَ فيها مآربُ أخْرى ﴾ ، وكل هذا لأن الكلام مع رب العزة ، وإصغاء المخاطب فى مثل هذا مطلوب للمتكلم ، والإصغاء محال على الله تعالى ، ولكن كلامه يجرى على أساليب العربية ، بقطع النظر عن كونه كلامه .

وقد يطلب بسط الكلام لغير ذلك من مقامات المدح والرثاء والفخر ونحوها ؛ كقول الشاعر :

فَعَبّاسٌ يصُدُّ الخَطبَ عنّا ... وعبّاسٌ يُجيرُ من استجَارا

(٩) كالتسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الإنكار ، ومنه قول الفرزدق فى على بن الحسين رضى الله عنهما حين أنكر هشام بن عبد الملك معرفته :

هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهم ... هذا التّقى النقى الطاهر العَلَمُ =

قال **السكاكى** (١) : « وإما لكون الخبر عامَّ النسبة إلى كل مسند إليه ، والمراد تخصيصه بمعيَّن (٢) كقولك « زيدٌ جاء ، وعمرو ذهب ، وخالد فى الدار » وقوله :

اللهُ أنْجحُ ما طلبتَ بهِ   والبِرُّ خير حَقيبةِ الرّحْلِ (٣)

وقوله :

النفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتَها   وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنَعُ (٤) »

وفيه نظر ؛ لأنه إن قامت قرينةٌ تدل عليه إن حُذف ، فعمومُ الخبر وإرادة تخصيصه بمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره ، وإلا فيكون ذكره واجبًا (٥) .

* * *

= هذا ابنُ فاطمة إن كنتَ جاهله   بجدِّه أنبـياءُ الله قد خُتِمُوا

(١) ٩٥ – المفتاح .

(٢) أى ذكر مسند إليه خاص يُسندُ إليه الخبر ، فلا يريد بالتخصيص قصر الخبر عليه ؛ لأنه لا قصر فيما ذكره من الأمثلة ، وقيل : إنه يريد به القصر على ما سيأتى فى تقديم المسند إليه . ورُدَّ بأن هذا خلاف مذهب السكاكى ؛ لأنه يرى أن المبتدأ إذا كان اسمًا ظاهراً لا يفيد القصر كما سيأتى .

(٣) هو لامرىء القيس بن حندج بن حجر ، واختار صاحب الأغانى أنه لامرىء القيس ابن عابس . وأنجح : أفعل تفضيل من « أنجح الله طلبته » على مذهب سيبويه فى تجويز بنائه من المزيد ، و(ما) ، فى قوله « ما طلبت به » نكرة موصوفة ، بمعنى شىء ، والبر : الطاعة ، والحقيبة : ما يوضع فيه الزاد ونحوه ، والرحل : الرحيل .

(٤) هو لخويلد بن خالد المعروف بأبى ذُؤيْب الهذلى ، وقوله : رغبتها : بمعنى أطمعتها ، ورواية الجمهرة : « والنفس » بالواو .

(٥) أجيب عن هذا النظر بأنه لا مانع من أن يكون ذكره لعدم القرينة والتخصيص بمعين معاً ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب ؛ لما سبق من وجوب القرينة فى الذكر ، كالحذف .

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين – ١

لماذا حذف المسند إليه فى الأمثلة الآتية :

١ – وما المالُ والأهلــون إلا ودائعٌ ولا بُدَّ يوماً أنْ تُردَّ الودائـــع

٢ – ســـــألونى فـــى سَقامِى كيف حالـــى ؟ قلتُ : نِضْوُ

٣ – وإنى رأيتُ البخل يُزرى بأهله فأكرمتُ نفسى أن يُقال بخيلُ

تمرين – ٢

لماذا ذكر المسند إليه فى الأمثلة الآتية :

١ – وإنى لحلوٌ تعترينى مرارةٌ وإنى لترَّاكٌ لما لم أُعَوَّدِ

٢ – قـوله تعـالى : ﴿ فـأصـبح فى المدينة خـائفـاً يتـرقبُ فـإذا الذى استنصـره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوِىٌّ مبين ﴾ آية ١٨ سورة القصص .

٣ – قوله ﷺ : « أنا النبىُّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطلبْ » .

تمرين – ٣

بيِّن حال المسند إليه فى الذكر والحذف ، والداعى إليهما فيما يأتى :

١ – قوَّالُ مُحكمة نقَّاضُ مبرمة فتَّاحُ مبـــهمة حَبَّاسُ أوْرادِ

٢ – قــوله تعــالى : ﴿ قل هو الله أحــدٌ ، الله الصـــمــدُ ﴾ آية ١ ، ٢ ســـورة الإخلاص .

٣ – إن تُبتدرْ غايةٌ يومًا لمكرمةٍ تَلْقَ الســـــوابقَ منا والمصَلِّينا

٤ – قـوله تعـالى : ﴿ فـصبرٌ جـميـلُ واللهُ المسـتعـانُ على مـا تصـفـون ﴾ آية ١٨ سورة يوسف .

* * *

أغراض التعريف

أغراض التعريف : وأما تعريفه فلتكون الفائدة أتم (١) ؛ لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ، ومتى كان أقرب كانت أضعف ، وبُعدهُ بحسب تخصيص المسند إليه ، والمسندُ (٢) كلما ازداد تخصيصاً ازداد الحكم بُعداً ، وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قرباً ، وإن شئت فاعتبر حال الحكم في قولنا : « شيءٌ ما موجود » وفي قولنا « فلان بن فُلان يحفظ الكتاب » والتخصيص كمالُه بالتعريف .

أغراض التعريف بالإضمار : ثم التعريف مختلف ، فإن كان بالإضمار : فإما لأن المقامَ مقامُ التكلم (٣) كقول بشار :

أنا المُرَعَّث لا أخْـــفَى على أحد ... ذرَّتْ بيَ الشمسُ للقاصي وللداني (٤)

وإما لأن المقام مقام الخطاب ، كقول الحماسية :

وأنتَ الذي أخلفـتَني ما وعدتَني ... وأشْمَتَّ بي من كان فيكَ يلومُ (٥)

وإما لأن المقامَ مقامُ الغيبة لكون المسند إليه مذكوراً أو في حكم المذكور لقرينة (٦) كقوله :

---

(١) أي مع اقتضاء المقام له ، ولهذا آثر عليه التنكير في قوله تعالى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ آية ٢٠ سورة القصص .

(٢) المراد بالتخصيص التعيين ، وإنما كان التعيين سبباً في بعد الحكم ؛ لأن كل واحد يعلم حصول ضرب ما مثلا من أي إنسان ، ولا يعلم حصول ضرب معين من شخص معين ، فتكون الفائدة أتم في الحكم على المعين .

(٣) لا يخفى أن مقام التكلم يوجب ضمير المتكلم ، ومقام الخطاب يوجب ضمير الخطاب ، ومقام الغيبة يوجب ضمير الغيبة ، ومثل هذا لا يُبحث عنه في البلاغة كما سبق ، وإنما هي معان نحوية لا يصح ذكرها في علم البلاغة .

(٤) المرعث : المقرَّط لُقِّب به لرعثة كان يعقلها وهو صغير في أذنه . وقوله « ذرت » معناه طلعت ، وهو كناية عن شهرته ، والشاهد في قوله « أنا » لأن المقام للتكلم ، وقد علمت ما فيه . والحق أن ضمير التكلم يؤتى به في مقام الفخر ونحوه لما فيه من الإشعار بالاعتداد بالنفس .

(٥) هو لأمامة الخثعمية تخاطب ابن الدمينة الشاعر ، وكان يتغزل بها في شعره ، ثم تزوجها بعد ذلك ، وقد وردت في أكثر شعره أميمة بتصغير الترخيم .

(٦) بهذا يمتاز مقام ضمير الغيبة عن مقام الاسم الظاهر ؛ لأنه للغيبة أيضاً .

مِنَ البيضِ الوجوه بَني سِنانٍ لوَ أنَّك تستــضِي بِهِمُ أضـــاءوا
هُمُ حَلُّوا من الشرف المُعلَّـــى ومن حَسب العشيرة حيث شاءوا (١)

وقوله تعالى : ﴿ اعْدلوا هو أقربُ للتَّقوى ﴾ (٢) أى العدل ، وقوله تعالى : ﴿ ولأبويه لِكُلِّ واحدٍ منهما السُّدسُ ﴾ (٣) أى ولأبوى الميت (٤) .

وأصلُ الخطابِ أن يكون لمعيَّن ، وقد يترك إلى غير معين (٥)؛ كما تقول « فلانٌ لئيم إن أكرمته أهانك ، وإن أحسنتَ إليه أساء إليك » فلا تريد مُخاطباً بعينه بل تريد إن أُكْرِم أو أُحْسِنَ إليه ، فتُخْرِجه فى صورة الخطاب ليفيد العموم ، أى سوء معاملته غير مختصٌ بواحد دون واحد . وهو فى القرآن كثير ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرى إذِ المُجرمونَ ناكسو رءوسهم عند ربهمْ ﴾ (٦) أخرج فى صورة الخطاب لَمَّا أريد العموم للقصد إلى تفظيع حالهم ، وأنها تناهت فى الظهور حتى امتنع خفاؤها ؛ فلا تختص بها رؤية راءٍ ، بل كلُّ من يتأتى منه الرؤية داخل فى هذا الخطاب (٧) .

أغراضُ التعريف بالعَلَمية : وإن كان بالعلمية فإما لإحضاره بعينه فى ذهن السامع ابتداءً باسمٍ مُختص به (٨) كقوله تعالى : ﴿ قلْ هُوَ اللهُ أحدٌ ﴾ (٩) .

---

(١) هما لأبى البرج القاسم بن حنبل المرّى ، فى زفر بن أبى هاشم بن مسعود ، وقبلهما :

أرى الخلان بعد أبى حبيب بحجر فى جنابهم خفاءُ

وبياض الوجه كناية عن السيادة والشرف . والشاهد فى ضمائر الغيبة الأربعة فى البيتين .

(٢) سورة المائدة : الآية ٨ . (٣) سورة النساء : الآية ١١ .

(٤) المثالان فى الآيتين لعود الضمير على ما هو فى حكم المذكور ، والقرينة فى الأول لفظية وفى الثانى حاليَّة .

(٥) فيدلُّ على العموم البدلى بطريق المجاز أو الحقيقة . وقيل : إن ذلك من الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ ولو ترى ﴾ الظاهر فيه : ولو يرى أن كل أحد . ومثل هذا هو الذى يُعَدُّ من وجوه البلاغة فى هذا الباب ؛ لما فيه من تلك المزية الظاهرة ، ويمكن أن يعد منها الالتفات الآتى ، واستعمال ضمير الجمع فى الواحد ، ونحو ذلك مما لا يدخل فى المعانى النحوية للضمائر . (٦) سورة السجدة : الآية ١٢ .

(٧) منه أيضا قول الشاعر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقَّها هواناً بها كانت على الناس أهوَنا

وقول الآخر :

إذا ما كنتَ ذا قلب قَنـــوع فأنتَ ومالكُ الدنيا سَـــواءُ

(٨) هذا أيضاً من استعمال العلَم فى معناه الأصلى ،فلا يصح أن يعد من وجوه البلاغة .

(٩) آية ١ سورة الإخلاص . وإنما تكون الآية من تعريف المسند إليه بالعلمية إذا جعل لفظ الجلالة مبتدأ ثانيا لا خبراً عن الضمير .

وقول الشاعر :

أبو مالك قاصـــــــرٌ فقرَهُ   على نَفْسِــه ومُشيعٌ غناهُ (١)

وقوله :

اللهُ يعلمُ ما تركتُ قتالَهُمْ   حَتَّى عَلَوْا فرسى بأشقَرَ مُزْبد (٢)

وإما لتعظيمه أو لإهانته ، كما فى الكُنَى والألقاب المحمودة والمذمومة (٣) . وإما للكناية حيث الاسم صالح لها (٤) ، ومما ورد صالحاً للكناية من غير باب المسند إليه قوله تعالى : ﴿ تبَّتْ يدا أبى لهب ﴾ (٥) أى جهنمى .

وإما لإيهام (٦) استلذاذه ، أو التبرك به .

وإما لاعتبار آخر مناسب (٧) .

أغراض التعريف بالموصولية : وإن كان بالموصولية فإما لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة (٨) كقولك « الذى كان معنا أمس رجل عالم »،

---

(١) هو لمالك بن عويمر المعروف بالمتنخل الهذلى من قصيدة له فى رثاء أبيه ، وكان يكنى أبا مالك ، والكنية علم ، ومعنى قصره فقره على نفسه : أنه لا يسأل أحداً ، ومعنى إشاعة غناه أنه يعطى كل الناس .

(٢) هو للحارث بن هشام فى الاعتذار عن فراره عن أخيه أبى جهل يوم بدر ، والأشقر: لون يأخذ من الأحمر والأصفر ، ويريد به الدم ، والمزبد : الذى له زبد ، يعتذر بأنه لم يفر إلا بعد أن جرح ، فعلا دمه فرسه .

(٣) كقولك « أبو المعالى حضر ، وأنف الناقة ذهب » مثل الكنى والألقاب الأعلام المنقولة من معان محمودة أو مذمومة .

(٤) الفرق بين هذا وما قبله أن ما هناك مجرد إشعار ، وما هنا يقصد فيه المعنى اللازم وتنسى العلمية . وصلاح الاسم للكناية بالنظر إلى أصله قبل العلمية ، وقيل إنه لا يراد بالكناية هنا معناها الاصطلاحى الآتى فى علم البيان؛ لأنه لا يكنى بأبى لهب عن جهنمى باعتبار معناها المستعمل فيه وهو الذات المخصوصه ، وهذا لا بد منه فى الكناية الاصطلاحية .

(٥) سورة المسد : الآية ١ .

(٦) لا معنى لإقحام لفظ « إيهام » ؛ لأن التبرك والاستلذاذ حاصلان تحقيقا ، وذلك كقول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قُلن لنا   ليلاى منكن أم ليلى من البشر

(٧) كالتفاؤل والتطير . نحو : « سعد فى دارك ، والسفاح فى دار صديقك »

(٨) هذا أيضا معنى لغوى لاسم الموصول ، فلا يصح عدُّه فى وجوه البلاغة .

وإما لاستهجان التصريح بالاسم ، وإما لزيادة التقرير ، نحو قوله تعالى : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ (١) فإنه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء ، والمذكور أدلُّ عليه من امرأة العزيز وغيره (٢) .

وإما للتفخيم كقوله تعالى : ﴿ فغشيهم من اليمِّ ما غَشِيَهُم ﴾ (٣) .

وقول الشاعر :

مضى بها ما مضى منْ عقل شاربها وفى الزجاجة باقٍ يطلبُ الباقى (٤)

ومنه فى غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ فَغشَّاها ما غشَّى ﴾ (٥) .

وبيت الحماسة :

صَبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسَهُ فلما علاه قال للباطل : ابعدِ (٦)

وقول أبى نواس :

ولقد نهزتُ مع الغُواة بدلوهِمْ وأسَمْـتُ سَرْحَ اللحظ حيث أساموا

وبلغتُ ما بلغ امرؤٌ بشـبابه فإذا عُصـارةُ كـلِّ ذاك أثامُ (٧)

---

(١) سورة يوسف : الآية ٢٣ .

(٢) لأنه إذا كان فى بيتها وتمكن منها ولم يفعل كان هذا أقوى فى نزاهته ، والآية تصلح أيضاً مثالاً لغرض استهجان التصريح بالاسم لقبح الفعل المنسوب إليها ، ومما عُدِلَ فيه عن التصريح بالاسم لاستهجانه قول الشاعر :

قلتُ لتربْ عندها جالسـه فى قصـرها : هذا الذى أراد من

قلتُ : فتى يشكو الغرام عاشقٌ قالت : لمَنْ ، قالت : لمن ، قالت : لمن

والتكرار فى ذلك قبيح يخل بفصاحته وبلاغته .

(٣) سورة طه : الآية ٧٨ .

(٤) هو لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، وقيل : إنه لأبى نواس . والضمير فى قوله « بها » للخمر ، ومعنى البيت أنه مضى بالخمر قدر كبير من عقل شاربها ، ولا يزال الباقى من الخمر فى الزجاجة يطلب الباقى من عقله حتى يذهب به كله .

(٥) آية ٥٤ سورة النجم ، وإنما يكون ما فى الآية من غير هذا الباب ؛ إذا جُعلت « ما » مفعولا به ، فإذا جعلت فاعلا كانت منه .

(٦) هو لدريد بن الصمة ، وإنما لم يكن من هذا الباب لأن « ما » فيه مفعول به ، أى تعاطى الصبا الذى تعاطاه ، ويجوز أن تكون مصدرية ظرفية ، والصبا : الميل إلى الصبوة وهى جهلة الصبيان .

(٧) هما للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس ، ويقال : « نهز الدلو فى البئر »إذا =

وإما لتنبيه المخاطب على خطئه، كقول الآخر :

إن الذين تَرونهم إخوانكـــم يشفِى غليلَ صدورهم أن تُصرَعُوا [١]

وإما للإيماء إلى وجه بناء الخبر [٢] نحو : ﴿ إنَّ الذين يستكبرونَ عن عبادتى سيدْخلونَ جهنَّم دَاخرينَ ﴾ [٣] . ثم إنه [٤] ربما جُعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم لشأن الخبر [٥] كقوله :

إنَّ الذى سَمكَ السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ [٦]

أو لشأنٍ غيره [٧] نحو : ﴿ الذين كذَّبوا شُعيباً كانوا همُ الخاسرين ﴾ [٨] .

قال السكاكى [٩] : « وربما جُعل ذريعة إلى تحقيق الخبر » ؛ كقوله :

ضرب بها فى الماء لتمتلىء ، ويقال « أسام الماشية » إذا أخرجها إلى المرعى ، والكلام على التمثيل فى الموضعين . والإضافة فى « سرح اللحظ » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والسرح فى الأصل ذهاب الماشيه إلى المرعى ، والعصارة ما تحلَّب مما عُصر ، والمراد بها هنا الثروة والنتيجة ، والشاهد فى قوله « ما بلغ امرؤ » ؛ لأنه مفعول به .

(١) هو لعبدة بن الطبيب فى وعظ بنيه، وقيل لغيره ، وقوله « ترونهم » بمعنى تظُنونهم، والواو فيه فاعل لأنه مما يبنى على صـــورة المجهول ، وهو للفاعل ويجوز أن يكون من « أرىَ » المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ، والغليل : العطش الشديد أو الحقد . والشاهد فى أن الموصول فى البيت يفيد من تخطئتهم فى ظنهم ما لا يفيده إن فلاناً وفلانا .

(٢) أى طريق إسناده إلى الموصول من كونه مدحاً أو ذماً أو نحوهما ؛ بأن يذكر فى الصلة ما يناسب ذلك .

(٣) سورة غافر : الآية ٦٠ .

(٤) الضمير يعود إلى الإيماء إلى وجه بناء الخبر .

(٥) ربما جعل ذريعة أيضاً إلى الإهانة لشأنه ، كقولك « إن الذى لا يُحسن الفقه صنَّف فيه » ، أو شأن غيره ، كقولك : إن الذى يتبع الشيطان خاسر .

(٦) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يفتخر ببيته فى تميم على جرير؛ لأنه كان من ذوى الشرف فيهم ، وليس المراد بالبيت الكعبة كما ذكر الدسوقى فى حاشيته على المختصر ، وقوله « سمك » بمعنى رفع . والشاهد فى أن قوله « الذى سمك السماء » إيماء إلى أن الخبر المبنى عليه من جنس الرفعة والبناء ، وأعز وأطول أى من بيت جرير ، أو من كل عزيز وطويل ، أو من السماء المذكورة قبله ، أو بمعنى عزيزة طويلة ، فيكون أفعل التفضيل على غير بابه ، وقد حذفت « من » على الأول للدلالة على قوة الخبر .

(٧) كشعيب عليه السلام فى الآية ؛ لأن فيها إيماءً إلى الخبر يشعر بتعظيمه ، إذ جعل خسرانهم بسبب تكذيبه ، وفيها إيماء أيضاً إلى أن الخبر من جنس الخسران .

(٨) سورة الأعراف : الآية ٩٢ . (٩) ٩٧ – المفتاح .

إنَّ التى ضربتْ بيتًا مهاجرةً   بكوفة الجند غالتْ ودَّها غولُ (١)

وربما جُعلَ ذريعةً إلى التنبيه للمخاطب على خطأ ، كقوله * « إن الذين ترونهم ... » * البيت » .

وفيه نظر؛ إذ لا يظهر بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر فرق (٢) ، فكيف يجعل الأول ذريعة إلى الثانى ، والمسند إليه فى البيت الثانى ليس فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر عليه ، بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه عليه (٣) ؟ !

أغراض التعريف بالإشارة : وإن كان بالإشارة فإما لتمييزه أكمل تمييز لصحة إحضاره فى ذهن السامع بوساطة الإشارة حسّاً (٤) كقوله :

* هذا أبو الصقر فرداً فى محاسنه (٥) *

---

(١) هو لعبدة بن الطبيب . وكوفة الجند هى مدينة الكوفة ، وروى أبو زيد « بكوفة الخلد » على أنه موضع ، وقال الأصمعى : إنما هو « بكوفة الجند » والأول تصحيف . وقوله « غالت » بمعنى أكلت ، والغول : حيوان خرافى وقد يطلق على الداهية . والشاهد فى أن ضرب البيت بالكوفة والهجرة إليها فيه إيماء إلى أن طريق بناء الخبر أمر من جنس زوال المحبة ، وهو مع هذا يحقق زوال المودة ويقره حتى كأنه دليل عليه .

(٢) فرَّق بينهما بأن الإيماء إشعار بالخبر سواء أكان معه تحقيق له أم لا ، والأول كما فى بيت عبدة ، والثانى كما فى بيت الفرزدق ، فالإيماء إلى الخبر أعم من تحقيقه وإفادة الجزم به .

(٣) نقيضه : نفى الأخوة عنهم ، وهذا لا يخرجه فيما أرى عن كونه فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر ؛ لأنهم أطلقوا فيه ولم يقيدوه بشىء ، ومن هذا الإيماء قول أبى العلاء :

إن الذى الوحشةُ فى داره   تؤنسه الرحمة فى لحده

وربما يقصد بالإيماء تشويق السامع إلى الخبر ليتمكن فى نفسه ، كما فى قول الشاعر :

والذى حارت البريةُ فيه   حيوان مستحدَثٌ من جماد

ومن أغراض التعريف بالموصولية إخفاء الأمر عن غير المخاطب . كقول الشاعر :

وأخذتُ ما جادَ الأميرُ به   وقضيتُ حاجاتى كما أهوى

(٤) هذا أيضاً معنى أصلى لاسم الإشارة ، فلا يصح أن يُعَدَّ من وجوه البلاغة ، وإنما يعد منها أن يعنى بتمييزه أكمل تمييز لأن المقام مقام مدح أو نحوه ؛ لأن تمييزه أكمل تمييز يكون أعون على كمال المدح ، وأبعد من التقصير فى الاعتناء بأمر الممدوح .

(٥) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى فى مدح أبى الصقر الشيبانى وزير المعتمد من قوله :

هذا أبو الصقر فرداً فى محاسنه   منْ نَسْلِ شيبانَ بين الضال والسَّلَم

والضال : شجر السدْر البرِّى ، والسلم : شجر ذو شوك ، وقوله « بين الضال والسلم » كناية عن عزهم ؛ لأن هذه الأشجار بالبادية ، وهى مجد العرب وعزهم .

وقوله :

أولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أحسنوا البُنَى   وإنْ عاهَدوا أوفوا وإنْ عَقَدوا شَدُّوا (١)

وقوله :

وإذا تأمَّلَ شَخْـصَ ضيفٍ مُقْبِلٍ   مُتَسَـرْبِلٍ سربالَ ليلٍ أغبرِ

أوما إلى الكَـوْماء: هذا طارق   نحرتْنى الأعداء إنْ لم تُنحرى (٢)

وقوله :

ولا يقيمُ على ضَـيم يُرادُ به   إلاَّ الأذلان : عَيْرُ الحيِّ والوتَدُ

هذا على الخسف مربوطٌ برُمَّته   وذا يُشَجُّ فلا يَرْثى له أحَدُ (٣)

وإما للقصد إلى أن السامع غبِيٌّ لا يتميز الشيء عنده إلا بالحس ، كقول الفرزدق :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ (٤)

وإما لبيان حاله فى القرب أو البعد أو التوسط (٥) كقولك « هذا زيد وذلك عمرو وذاك بشر » ، وربما جعل القرب ذريعةً إلى التحقير (٦) كقوله تعالى : ﴿ وإذا رآك الذين كفروا إنْ يتخذونك إلا هزواً أهذا الذى يذكرُ آلهتكم ﴾ (٧) وقوله تعالى :

(١) هو الجرول بن أوس المعروف بالحطيئة ، وقوله « بنوا » يعنى به ما يبنونه من المكارم، والبنى بضم الباء يقال « بنا يبنى بناء وبنية بكسر الباء فى العمران ، وبنا يبنى بُنًى وبُنية بضم الباء فى الشرف . وقوله « عقدوا » معناه أبرموا أمراً من أمورهم .

(٢) قيل : إن البيتين لرجل يمدح حاتما ، وقيل : إنهما لحسان بن ثابت وقيل إنهما لابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم ، وفى مجموعة المعانى أنهما للعلوى صاحب الزنج ، وقوله « أوما » تخفيف أومأ بمعنى أشار ، والكوماء : الناقة الضخمة .

(٣) هما لجرير بن عبد المسيح الضبعى المعروف بالمتلمس ، والضمير فى « به » يعود إلى المستثنى منه المقدر وهو « أحد » مثلا ، والعير: الحمار ، والرمة : القطعة من الحبل البالى ، وقوله « هذا » يعود إلى العير . وقوله « ذا » يعود إلى الوتد .

(٤) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق ، والتعريض بالغباوة ناشيء من استعمال اسم الإشارة فى آبائه وهم غائبون لموتهم ، والأمر فى قوله « فجئنى » للتعجيز .

(٥) هذا أيضا من المعانى الأصلية لاسم الإشارة .

(٦) قد يجعل أيضاً ذريعة إلى التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ آية ٩ سورة الإسراء ، فينزل قربه من ساحة الحضور والخطاب منزلة قرب المسافة .

(٧) سورة الأنبياء : الآية ٣٦ .

﴿ وَمَا هذه الحياةُ الدُّنيا إلا لهوٌ ولعبٌ ﴾ (١) . وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلاً ﴾ (٢) وقول عائشة رضى الله عنها لعبد الله بن عمرو بن العاص : « يا عجبا لابن عمرو هذا » (٣) . وقول الشاعر :

تقولُ ودقَّتْ نحرَها بيمينها : أبَعْلِيَ هذا بالرَّحَا المتقاعس (٤)

وربما جُعل البعدُ ذريعةً إلى التعظيم ، كقوله تعالى : ﴿ الم * ذلك الكتابُ ﴾ (٥) ذهاباً إلى بُعْد درجته ، ونحوه : ﴿ وتلك الجنةُ التى أورثتُموها ﴾ (٦) ولذا قالت : ﴿ فذلكنَّ الذى لمتنننى فيه ﴾ (٧) لم تقل « فهذا » وهو حاضر (٨) رفعًا لمنزلته فى الحسن ، وتمهيداً للعذر فى الافتتان به . وقد يُجعل ذريعة إلى التحقير ، كما يقال : « ذلك اللعين فعل كذا » .

وإما للتنبيه – إذا ذُكر قبل المسند إليه مذكورٌ (٩) وُعقِّبَ بأوصافٍ – على أن ما يَردُ بعد اسم الإشارة المذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف ؛ كقول حاتم الطائى :

ولله صُعلوكٌ يساورُ هَمَّهُ ويَمضِى على الأحداث والدهرُ مقدما (١٠)
فتَى طَلبات لا يرى الخمصَ ترحةً ولا شبعةً إنْ نالها عَدَّ مَغْنَما (١١)
إذا ما رأى يوماً مكارمَ أعرضَتْ تيمَّم كبراهُن ثُمَّتَ صَمَّما (١٢)

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٤ . (٢) سورة البقرة : الآية ٢٦ .
(٣) تريد بهذا تخطئته فى فتواه بنقض النساء ذوائبهن فى الاغتسال .
(٤) هو للهذلول بن كعب العنبرى ، ويقال له الذهلول أيضاً ، وقيل : لغيره ، وكانت امرأته رأته يطحن بالرحا لأضيافه فأنكرت عليه ، وبعده :
فقلت لها : لا تعجبى وتبيَّنى بلائى إذا التفَّتْ علىَّ الفوارسُ
والمتقاعس : الذى يدخل ظهره ويخرج صدره ، ضد الأحدب ، والشاهد فى أن اسم الإشارة مسند لا مسند إليه .
(٥) سورة البقرة : الآية ١ ، ٢ . (٦) سورة الزخرف : الآية ٧٢ .
(٧) سورة يوسف : الآية ٣٢ . (٨) أى يوسف عليه السلام .
(٩) المسند إليه هو اسم الإشارة ، والمذكور هو المشار إليه قبلها .
(١٠) الصعلوك : الفقير ، وقوله « يساور » بمعنى يواثب .
(١١) الخمص : الجوع ، وشبعة : مفعول أول لعدَّ ، ومغنما : مفعول ثان .
(١٢) أعرضت : بمعنى ظهرت ، وتيمم : بمعنى قصد .

يرى رُمحه ونَبْله ومجَـــــنَّهُ وذا شُطَب عَضْب الضــريبة مخْذَمًا (١)
وأحـــــــناءَ سرْجٍ قاترٍ ولجامَهُ عتاد أخي هيجا وطِرْفاً مُســــوَّما (٢)
فذلك إن يَهلك فَحُســــنَى ثناؤُهُ وإنْ عاش لم يقعد ضعـــيفاً مُذمَّما (٣)

فَعـدَّد لَهُ – كـمـا تَرى – خـصـالا فـاضلة من المضـاء على الأحـداث مُقـدمـا ، والصبرِ على ألم الجوع ، والأنفة منْ عدِّ الشبعة مغنمًا ، وتيمُّم كبرى المكرمات ، والتأهب للحرب بأدواتها ، ثم عَقَّب ذلك بقوله « فَذَلكَ » ، فأفاد أنه جدير باتصافه بما ذُكر بعده ، وكذا قـــــوله تعالى : ﴿ أُولئك على هُدًى من ربِّهـم وأُولئكَ هُم الـمـفْلحُون ﴾ (٤) أفـاد اسمُ الإشـارة زيادةَ الدلالة على المقـصـود من اخـتـصـاص المذكورين قبله باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح .

وإما لاعتبارٍ آخر مناسب (٥) .

أغراض التعريف باللام : وإن كان باللام فإما للإشارة إلى معهود (٦) بينك وبين مخاطبك ؛ كما إذا قال لك قائل « جاءني رجل من قبيلة كذا » فتقول « ما فعل الرجل ؟ » وعليه قوله تعالى : ﴿ وليسَ الذَّكرُ كالأُنثَى ﴾ (٧) أي وليس الذكر الذي طلبتْ (٨) كالأنثى التي وُهبتْ لها .

---

(١) المجن : الترْسُ ، وشَطب السيف : الخطوط في متنه ، وضريبته : حدُّه ، والعضب : القاطع ، والمخذم : القاطع بسرعة .

(٢) أحناء السرج : جمع حنو وهو اسم لكل من قربوسيه المقدم والمؤخر . والقاتر : الجيد الوقوع على الظهر . وعتاد : عدة وهو مفعول « يرى » الثاني ، وهيجا مقصور هيجاء وهي الحرب ، والطرف : الجواد الكريم الأصل ، والمسوم : الذي يُرسل ليرعى أو للإغارة ، أي ويرى طَرفاً مُسوما كذلك .

(٣) الحسنى : مصدر كالبشرى أو اسمٌ للإحسان خبر مقدم ، وثناؤه مبتدأ مؤخر .

(٤) سورة البقرة : الآية ٥ .

(٥) كتنزيل الغائب منزلة الحاضر ، والمعقول منزلة المحسوس في نحو قوله تعالى : ﴿ تلك عُقبى الَّذين اتقوا وعُقبى الكافرينَ النارُ ﴾ آية ٣٥ سورة الرعد وقوله : ﴿ وذلكُم ظَنُّكم الذي ظننتم بربِّكم ﴾ آية ٢٣ سورة فصلت وقوله : ﴿ ذلكما ممَّا علَّمني ربِّي ﴾ آية ٣٧ سورة يوسف .

(٦) أي في الخارج مذكوراً أو غير مذكور ، ولهذا تُسَمَّى اللامُ فيه لامَ العهد الخارجي ، وهذا المعنى للام التعريف وما بعده من المعاني الأصلية لها ، فلا يصح ذكرها على نحو ما ذكره الخطيب وغيره .

(٧) سورة آل عمران : الآية ٣٦ .

(٨) في قولها قبله : ﴿ ربِّ إِني نذرْتُ لك ما في بَطني محَرَّراً فتقبَّل منِّي ﴾ ؛ لأن نذر =

وإما لإرادة نفس الحقيقة [1] كقولك « الرجل خير من المرأة ، والدينار خير من الدرهم » ومنه قول أبى العلاء المَعرى :

والخِلُّ كالماء يُبدِى لى ضمائرَهُ   مع الصفاء ويُخفيها مع الكدَرِ [2]

وعليه من غير هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شىء حى ﴾[3] أى جعلنا مبدأ كل شىء حى من هذا الجنس الذى هو الماء ؛ لما رُوى أنه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء ، والجن من نارٍ خلقها منه ، وآدم من تراب خلقه منه . ونحوه : ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ﴾[4] .

والمعرَّف باللام [5] قد يأتى لواحد [6] باعتبار عهديته فى الذهن [7] لمطابقته الحقيقة [8] كقولك (ادخل السوق) وليس بينك وبين مخاطبك سوق معهود فى الخارج ، وعليه قول الشاعر :

* ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى [9] *

= الأولاد لخدمة بيت المقدس كان مقصوراً عندهم على الذكور ، واللام فى (الذكر) عائدة إلى مذكور بالكناية على هذا الوجه ، واللام فى (الأنثى) عائدة إلى مذكور صريحاً فى قولها قبله ﴿ ربّ إنى وضعتُها أنثى ﴾ وقد تعود اللام إلى معهود غير مذكور ، كقوله تعالى : ﴿ إذْ يبايعونكَ تحتَ الشجرة ﴾ آية ١٨ سورة الفتح ، وتسمى اللام فيه لام العهد العِلْمى ؛ فأقسام لام العهد الخارجى ثلاثة : صريحى ، وكنائى ، وعلمى .

(١) هذه لام الجنس .

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، والخل : الصديق ، وضمائره : ما يضمره من المودة وغيرها ، وليس الحكم هنا على خل معهود ، وإنما هو على جنس الخل .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٣٠ .   (٤) سورة الأنعام : الآية ٨٩ .

(٥) يعنى لام الحقيقة لأنها هى التى يأتى فيها لام العهد الذهنى ، ولام الاستغراق . وقيل : إن لام العهد الذهنى ولام الاستغراق مقابلان للام العهد الخارجى ولام الحقيقة ، وعلى هذا تكون لام الحقيقة هى التى يراد منها الحقيقة بقطع النظر عن الأفراد ، ويقصر عليها اسم لام الجنس .

(٦) أى مبهم بخلاف لام العهد الخارجى فإنها لمعين .

(٧) تسمى اللام فيه لام العهد الذهنى .   (٨) يريد بمطابقته الحقيقة اشتمالها عليه .

(٩) هو لعميرة بن جابر الحنفى من قوله :

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّنى   فمضيتُ ثمَّتَ قلتُ لا يعنينى

وثمَّت : حرفُ عطف لحقها تاء التأنيث ، وقوله « أمر » مضارع بمعنى الماضى ؛ لاستحضار تلك الصورة العجيبة عنده ، ورواية الكامل « فأجوز ثم أقول لا يعنينى » والشاهد فى لام اللئيم ؛ لأن المراد منه واحد غير معين .

وهذا يقربُ في المعنى من النكرة (١) ؛ ولذلك يقدر « يسبنى » وصفاً للئيم لا حالاً (٢) .

وقد يفيد الاستغراق ؛ وذلك إذا امتنع حملُه على غير الأفراد وعلى بعضها دون بعض (٣) كقوله تعالى : ﴿ إن الإنسان لفى خُسر ، إلا الذين آمنوا ﴾ (٤) .

والاستغراق ضربان :

حقيقي (٥) : كقوله تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ (٦) أى كل غيب وشهادة ، **وعُرفى** (٧) كقولنا « جمع الأمير الصاغة » إذا جمع صاغة بلده أو أطراف مملكته فحسْبُ ، لا صاغة الدنيا (٨) .

واستغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع (٩) بدليل أنه لا يصدُق « لا رَجُلَ في الدار » في نفي الجنس (١٠) إذا كان فيها رجل أو رجلان ، ويصدق « لا رجالَ في

(١) قال « يقرب » ؛ لأن النكرة تدل على واحد غير معين من جمله الحقيقة ، والمعرف بلام العهد الذهنى يدل على نفس الحقيقة فى ذاته ولا يدل على الواحد المبهم إلا بوساطة القرينة ، كالدخول في قولك « ادخل السوق » فهما بالنظر إلى القرينة سواء ، وبقطع النظر عنها مختلفان .

(٢) لأن المعرف بلام العهد الذهنى فى معنى النكرة ، والجمل بعد النكرات صفات لا أحوال ، ولكن يُردُّ على هذا أنهم جعلوه كالنكرة فى المعنى فقط ، وأجروا عليه فى اللفظ أحكام المعارف ، على أن تقدير « يسبنى » حالا هو المناسب لقوله « فمضيت » ؛ لأنه ظاهر فى أن السب كان منه فى حال المرور فقط ، ولم يكن صفة لازمة له .

(٣) بأن تقوم قرينة على أنه ليس القصد الحقيقة من حيث هى ، ولا بعض الأفراد دون بعض بالاستثناء فى الآية ، فتكون اللام لاستغراق جميع الأفراد ، ولهذا تسمى لام الاستغراق .

(٤) سورة العصر : الآية ٢ ، ٣ .

(٥) هو الذى يتناول كل فرد بحسب وضع اللفظ . (٦) سورة الأنعام : الآية ٧٣ .

(٧) هو الذى يتناول كل فرد بحسب العرف العام ، أما العرف الخاص كعرف الشرع فيدخل الاستغراق بحسبه فى الاستغراق الحقيقى .

(٨) ال فى « الصاغة » معرفة لا موصولة ؛ لأنها إنما تكون موصولة فى اسم الفاعل إذا دل على الحدوث .

(٩) هذا صحيح فى استغراق النكرة المنفية ، أما استغراق المعرف باللام فالمفرد والجمع فيه سواء ، ولهذا كان قوله تعالى : ﴿ النَّبى أَوْلَى بالمؤمنين من أنفُسهم ﴾ آية ٦ سورة الأحزاب شاملا لكل مؤمن ، وليس خاصا بجماعات المؤمنين .

(١٠) بخلاف نفى الوحدة ، نحو « لا رجل فى الدار » فإنه يصدق إذا كان فيها رجلان أو أكثر ، ويكون لاستغراق الواحد كما يكون الجمع لاستغراق الجموع دون الأفراد .

الدار » ولا تَنافى بين الاستغراق وإفراد اسم الجنس (١) ؛ لأن الحرفَ إنما يدخل عليه مجرداً عن الدلالة على الوحدة والتعدد(٢) ، ولأنه بمعنى كلّ الإفرادى (٣) لا كل المجموعيِّ ؛ إذ معنى قولنا « الرجل » كل فرد من أفراد الرجال لا مجموع الرجال ، ولهذا امتنع وصفه بنعت الجمع (٤) ، وللمحافظة على التشاكل بين الصفة والموصوف أيضاً .

فالحاصل أن المراد باسم الجنس المعرَّف باللام : إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الأفراد ، وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه عَلَمُ الجنس « كأسامة »، وإما فرد معين ، وهو العهد الخارجي ، ونحوه العَلَم الخاص ؛ « كزيد » ، وإما فرد غير معين، وهو العهد الذهنى ، ونحوه : النكرة ؛ « كرجل » ، وإما كل الأفراد وهو الاستغراق ، ونحوه لفظ « كل » مضافا إلى النكرة ، كقولنا « كل رجل » .

وقد شكَّك السكاكى (٥) على تعريف الحقيقة والاستغراق بما خرج الجواب عنه مما ذكرنا (٦) ، ثم اختار (٧) بناءً على ما حكاه عن بعض أئمة أصول الفقه من

---

(١) هذا جواب عن اعتراض بعضهم بأن إفراد الاسم ينافى أن تكون الأداة الداخلة عليه للاستغراق ؛ لأن إفراده يدل على الوحدة ، والاستغراق يدل على التعدد .

(٢) لأنه قصد به الجنس الصالح لهما .

(٣) هو الذى يدل على كل فرد على طريق البدل ، وعلى هذا لا تنافى الدلالة على الوحدة الدلالة على التعدد .

(٤) هذا عند الجمهور ، وقد أجازه الأخفش لِمَا سمع من كلامهم « أهلكَ الناسَ الدينارُ الحمر والدرهم البيض » .

(٥) ١١٥ – المفتاح .

(٦) أما تشكيكه فى تعريف الحقيقة من حيث هى فبدعوى أنه لا فرق بين المراد منها والمراد من أسماء الأجناس النكرات كرجل ،وقيامه إن قصد منها الدلالة على الحقيقة من حيث هى ، فإن قصد منها الحقيقة باعتبار حضورها فى الذهن لم تفترق عن لام العهد الخارجى . وأما تشكيكه فى الاستغراق فبدعوى التنافى بينه وبين أفراد الاسم ، وقد أجاب الخطيب عن الأول بما أشار إليه من أن لام الحقيقة تدل على الحقيقة بقيد استحضارها فى الذهن ، ولام العهد الخارجى يقصد بها فرد معين ، وبهذا تمتاز لام الحقيقة عن أسماء الأجناس النكرات ،وعن لام العهد الخارجى ، وعن الثانى بدفع التنافى بين الاستغراق وأفراد اسم الجنس .

(٧) أى فى الجواب عن تشكيكه فى تعريف الحقيقة .

كون اللام موضوعة لتعريف العهد لا غير (١) أنَّ المراد بتعريف الحقيقة تنزيلها منزلة المعهود بوجه من الوجوه الخطابية ؛ إما لكوْن الشيء حاضراً فى الذهن لكونه محتاجا إليه على طريق التحقيق أو التهكم (٢) ، أو لأنه عظيم الخطر معقود به الهمم (٣) على أحد الطريقين (٤) ، وإما لأنه لا يغيب عن الحس (٥) على أحد الطريقين لو كان معهوداً (٦) . وقال (٧) : الحقيقة من حيث هى هى لا واحدة ولا متعددة؛ لتحققها مع الوحدة تارةً ومع التعدد أخرى ، وإن كانت لا تنفك فى الوجود عن أحدهما ، فهى صالحة للتوحد والتكثر ، فكونُ الحكم استغراقا أو غير استغراق إلى مقتضى المقام (٨) ؛ فإذا كان خطابيا (٩) مثل « المؤمن غرٌّ كريم ، والفاجر خبٌّ لئيم » حُملَ المعرَّف باللام – مفرداً كان أو جمعًا – على الاستغراق بعلة إيهام أن القصد إلى فرد دون آخر – مع تحقق الحقيقة فيهما – ترجيحٌ لأحد المتساويين ، وإذا كان استدلاليًّا حُملَ على أقل ما يحتملُ ، وهو الواحد فى المفرد والثلاثة فى الجمع (١٠) .

أغراض التعريف بالإضافة : وإن كان بالإضافة فإما لأنه ليس للمتكلم إلى إحضاره فى ذهن السامع طريق أخصر منها ؛ كقوله :

---

(١) أى لا الحقيقة ؛ فلا تأتى لتعريفها إلا بعد تنزيلها منزلة المعهود بوجه من الوجوه الآتية .

(٢) كقولهم « الدينار خير من الدرهم » ويمكن أن يكون من هذا فى التهكم قولهم « إن البُغاثَ بأرضنا يستنسرُ » .

(٣) كقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهُم الكتاب والحكم والنبوة ﴾ آية ٨٩ سورة الأنعام .

(٤) أى طريق التحقيق وطريق التهكم .

(٥) كقولك « الأرض مبسوطة » فى الأول ، وقولك « الطفيلى حضر » فى الثانى .

(٦) هذه الجملة الشرطية لا توجد فى كلام السكاكى . وفى نسخة « فكأنه معهود » .

(٧) أى فى الجواب عن تشكيكه فى الاستغراق ، وهذا هو الذى أجاب به الخطيب فيما سبق .

(٨) يعنى أن دلالة اللام على هذا ليست بمقتضى الوضع ، وإنما هى بمقتضى المقام .

(٩) المقام الخطابى هو الذى يكتفى فيه بالظن ، والمقام الاستدلالى هو الذى يطلب فيه اليقين .

(١٠) مثل « حصل الدرهم أو الدراهم » . هذا وكل ما ذكره السكاكى والخطيب فى التعريف باللام ليس فيه من البلاغة شىء ؛ لأنه لا يخرج عما تفيده بمقتضى دلالتها الوضعية ، وقد حاول السكاكى أن يجعل لذلك وجها من البلاغة ، ولكنه تكلف فيه على عادته .

هوايَ مع الرَّكْب اليمانين مُصْعِدُ   جَنيبٌ وجثمـــانى بمكةَ مُوثَقُ (١)

وإما لإغنائها عن تفصيلٍ متعذر أو مرجوح لجهة (٢) كقوله :

بنُو مَطَرٍ يومَ اللقاء كأنهـــــم   أسودٌ لها فى غِيل خَفَّانَ أشْبُلُ (٣)

وقوله :

قومى هُمُ قتلوا أُمَيْــــمَ أخى   فإذا رميتُ يُصيبنى سهـمى (٤)

وإما لتضمنها **تعظيمًا** لشأن المضاف إليه ؛ كقولك « عبدى حضر » فتعظِّم شأنك . أو لشأن المضاف ؛ كقولك « عبد الخليفة ركب » فتعظم شأن العبد ، أو لشأن غيرهما ؛ كقولك « عبد السلطان عند فلان » فتعظم شأن فلان . أو **تحقيراً** نحو : « وَلَدُ الحجَّام حضر » (٥) . وإما لاعتبارٍ آخر مناسب (٦) .

---

(١) هو لجعفر بن عُلْبة الحارثى ، وكان مسجونا بمكة فى جناية ، فزارته محبوبته مع ركب من قومها ، فلما رحلت قال فيها ذلك ، وآثر قوله « هواى » على نحو « الذى أهوى أو المهوىّ لى » لأن الإضافة أخصر وأنسب بما هو فيه من ضيق الصدر بالحبس ، وكذلك ضيق الشعر ، وقد أطلق الهوى على المهوىّ مجازاً مرسلا . واليمانين : جمع يمان ، وألفه عوض عن ياء النسب ، والمصعد : اسم فاعل من « أصعد » بمعنى أبعد فى السير . والجنيب : المستتبع من « جنب البعير » إذا قاده إلى جنبه .

(٢) يعنى أنه غير متعذر ، ولكنه مرجوح لجهة ، كما سيأتى فى الشاهد .

(٣) هو لأبى السمط مروان بن أبى حفصة فى مدح معن بن زائدة . وبنو مطر : قومه ، بطن من شيبان . والغيل : الشجر المجتمع . وخفان : مأسدة قرب الكوفة ، والأشبل : أولاد الأسود . والشاهد فى قوله « بنو مطر » ؛ لإغناء الإضافة فيه عن تفصيل متعذر .

(٤) هو للحارث بن وعْلة الجرمى ، وأميم : منادى مرخم أميمة ، وكانت تحضه على الأخذ بثأر أخيه ممن قتله من قومه . والشاهد فى قوله « قومى »؛ لإغناء الإضافة فيه عن تفصيلٍ تركُه أرجح لجهة هى خوف تغيرهم منه وحقدهم عليه إذا صرح بأسمائهم .

(٥) هذا مثال لإفادتها تحقير المضاف ، ومن إفادتها تحقير المضاف إليه قولك « ضاربُ بكرٍ حضر » ، ومن إفادتها تحقير غيرهما قولك « ولد الحجام جليس زيد » ، ومن إفادتها التعظيم والتحقير قول الشاعر :

أبوكَ حُبَابٌ سارقُ الضيف بُرده   وجَدِّى يا حَجاجُ فارسُ شَمَّرا

(٦) كالاستعطاف فى قوله تعالى : ﴿ لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ﴾ آية ٢٣٣ سورة البقرة ، وكتضمنها لطفاً مجازيا فى نحو قول الشاعر :

إذا كوْكبُ الخرقاء لاح بسحرة   سُهيلٌ أذاعت غزلها فى الأقارب

فأضاف الكوكب إلى الخرقاء لأدنى ملابسة ، وهى أنها لا تتذكر كسوة الشتاء إلا وقت طلوعه سحراً ، وهو لا يطلع سحراً إلا فى الشتاء . وسهيل : بدل من كوكب . =

أغراض التنكير

وأما تنكيره **فللإفراد** (١) كقوله تعالى : ﴿ وجاء رجلٌ من أقْصى المدينة يسعى ﴾ (٢) أى فرد من أشخاص الرجال ، أو **للنوعية** ، كقوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ (٣) أى نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس (٤) وهو غطاء التعامى عن آيات الله ، ومن تنكير غير المسند إليه للإفراد قوله تعالى : ﴿ ضربَ اللهُ مثلاً رجلا فيه شُركاءُ متشاكسون ، ورَجلاً سَلَماً لِرَجلٍ ﴾ (٥) وللنوعية قوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ (٦) أى نوع من الحياة مخصوص وهو الحياة الزائدة ، كأنه قيل « لتجدنهم أحرص الناس و إن عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم فى الماضى والحاضر حياة فى المستقبل » فإن الإنسان لا يوصف بالحرص على شىء ، إلا إذا لم يكن ذلك الشىء موجوداً له حالَ وصفه بالحرص عليه ، وقوله تعالى : ﴿ واللهُ خلق كلّ دابة منْ ماء ﴾ (٧) يحتمل الإفراد والنوعية أى خلق كل

= هذا ولا تختص هذه المزايا بالتعريف بالإضافة ، بل تأتى فى الإضافة إلى النكرة ، فتفيد التعظيم فى نحو قول امرأة من بنى عامر :

وحرب يضجُّ القومُ من نُفياتها ... ضَجيجَ الجمال الجلَّة الدّبرات
سيترُكَها قَومٌ ويَصْلَى بحَـرِّها ... بنو نَسْوةٍ للـثُّكَل مصـطبرات

وتفيد التقليل والتحقير في قول الشاعر :

إذا جاع لم يفرح بأكلة ساعة ... ولم يبتئس من فقدها وهو ساغب

(١) أى الدلالة على فرد منتشر ، وهذا عام فى كل نكرة ؛ فإذا كانت مفرداً دلت على واحد ، وإذا كانت مثنى دلت على اثنين ، وإذا كانت جمعًا دلت على ثلاثة ، وإذا كانت نوعا دلت على النوعية أى فرد سائر الأنواع ، ولا يخفى أن هذا معنى أصلى للنكرة لا يصح ذكره هنا ، وإنما يُعدُّ من البلاغة إذا دل بمعونة المقام على نوعية غريبة أو نحو ذلك مما يأتى ، وقد يقتضى المقام المعنى الأصلى للنكرة إذا كان لا يتعلق بتعيينها غرض ، وذلك نحو « رجل » فى الآية ، ومثل هذا قد يعدُّ وجهاً من وجوه البلاغة .

(٢) سورة القصص : الآية ٢٠ . (٣) سورة البقرة : الآية ٧ .

(٤) لهذا نكرت فى الآية ، ولو عرِّفت لانصرفت إلى ما يتعارفه الناس منها مع أنه ليس مرادا ، فلما أريد غيره نكرت ليبحثوا عنها فيعرفوها ، وإنما كان التنكير هنا للنوعية ؛ لأنه هو الذى يقابل أبصارهم المتعددة بخلاف تنكير الأفراد ، وقيل : إن التنكير فى الآية للتعظيم .

(٥) سورة الزمر : الآية ٢٩ . (٦) سورة البقرة : الآية ٩٦ .

(٧) سورة النور : الآية ٤٥ .

فـرد من أفـراد الدواب من نطفـة مـعـينـــة ، أو كل نـوع من أنواع الـدواب من نـوع من أنواع المياه .

أو **للتعظيم والتهويل أو للتحقير** : أى ارتفـاع شـأنه أو انحطاطه إلى حـدّ لا يمكن معه أن يُعرف ، كقول ابن أبى السمط :

له حاجـــب فى كل أمر يَشينهُ   وليس له عن طالبِ العُرْفِ حاجب (١)

أى له حاجب أىُّ حاجب ، وليس له حاجب ما .

أو **للتكثير** (٢) : كـقـولهم « إن له لإبلا ، وإن له لغنمـا » يريدون الكثـرة . وحمل الزَّمخشرىُّ التنكير فى قوله تعالى : ﴿ قالوا إنَّ لنا لأجراً ﴾(٣) عليه .

أو للتقليل (٤) كـقـوله تعـالى : ﴿ وعَدَ اللهُ المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عَدْنٍ ورضوانٌ من الله أكبرُ ﴾ (٥) أى : وشىء ما من رضوانه أكبر من ذلك كله ؛ لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح ، ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر فى نفسه مما وراءه من النعيم ، وإنما تهنأ له برضاه ، كما أنه إذا علم بسخطه تنغصت عليه ، ولم يجد لها لذة ، إن عظمتْ . وقد جاء للتعظيم والتكثير جميعاً ، كقوله تعالى : ﴿ وإنْ يكذِّبوكَ فقد كـذِّبتْ رسُلٌ من قـبلك ﴾ (٦) أى رسل ذوو عـدد كـثـيـر وآيات عظام (٧) ،وأعمار طويلة ونحو ذلك .

(١) هو كما فى « زهر الآداب » لأبى السمط مروان بن أبى حفصة ، ونسب فى « ديوان المعانى » لولى بن أبى السمط ، وهو أبو الطمحان القينى ، وقبله :

فتًى لا يبالى المدلجون بنوره   إلى بابه ألاَّ تضىء الكواكب

ومعنى البيت : أن ممدوحه له حاجب عظيم من نفسه يمنعه عن فعل ما يشينه ، وليس له حاجب ما عن طالب الندى ، فالحاجب الأول نفسى والتنكير فيه للتعظيم ، والحاجب الثانى حسِّى ، والتنكير فيه للتحقير على سبيل المبالغة فى النفى ، وفى قوله « وليس له عن طالب العَرف حاجب » قلب ، والأصل « وليس لطالب العرف حاجب عنه » .

(٢) فيفيد أنه كثير إلى حد لا يعرف ، وإنما أفاد التنكيرُ التكثيرَ مع أن الأصل فيه الدلالة على الوحدة ؛ لأنه لا تنافى بين الدلالتين كما سبق ، والفرق بين التكثير والتعظيم أن الأول ينظر فيه إلى الكميات والمقادير ، والثانى يُنظر فيه إلى علو الشأن ، وبهذا يعرف الفرق بين التقليل والتحقير .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١١٣ .   (٤) فيفيد أنه قليل إلى حد لا يعرف .

(٥) سورة التوبة : الآية ٧٢ .   (٦) سورة فاطر : الآية ٤ .

(٧) قد يقال : إن الذى فى الآية تنكير رسل ، فيدل على عظمهم لا على عظم الآيات وأجيب بأنه يشير بهذا إلى أنه هو المراد بعظم الرسل ، أو إلى أنه داخل فى عظمهم .

والسكاكى (١) لم يفرق بين التعظيم والتكثير ، ولا بين التحقير والتقليل ، ثم جعل التنكير فى قولهم « شرٌّ أهرَّ ذا ناب » للتعظيم ، وفى قوله تعالى : ﴿ ولئن مستهم نفحةٌ من عذاب ربك ﴾ (٢) لخلافه ، وفى كليهما نظر؛ أما الأول فلما سيأتى (٣) ، وأما الثانى فلأن خلاف التعظيم مستفاد من البناء للمرة ، ومن نفس الكلمة (٤) لأنها إما من قولهم « نفحت الريحُ » إذا هبت : أىْ هبةً ، أو من قولهم « نفحَ الطيبُ » إذا فاح : أى فوحة ، كما يقال شمة ، واستعماله بهذا المعنى فى الشر استعارة ؛ إذ أصله أن يستعمل فى الخير ؛ يقال « له نفحة طيبة » أى هبة من الخير . وذهب أيضاً إلى أن قوله تعالى : ﴿ يا أبت إنى أخافُ أن يمسَّك عذاب من الرحمن ﴾ (٥) بالتنكير دون (عذاب الرحمان) بالإضافة؛ إما للتهويل أو لخلافه (٦)، والظاهر أنه لخلافه ، وإليه ميل الزمخشرى ؛ فإنه ذكر أن إبراهيم ﷺ لم يُخْلِ هذا الكلامَ من حُسن الأدب مع أبيه ؛ حيث لم يصرح فيه أن العذاب لاحقٌ له لاصق به ، ولكنه قال : ﴿ إنى أخاف أن يمسَّكَ عذابٌ من الرحمن ﴾ فذكر الخوف والمس ونكَّر العذاب .

وأما التنكير فى قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ (٧) فيحتمل النوعية والتعظيم ؛ أى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة ؛ لمنعه عمَّا كانوا عليه من قتل جماعة بواحد متى اقتدروا ، أو نوع من الحياة وهو الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداع عن القتل للعلم بالاقتصاص ؛ فإن الإنسان إذا هَمَّ بالقتل تذكَّر الاقتصاص ، فارتدع ، فسلم صاحبه من القتل وهو من القوَد ، فتسبب لحياة نفسين .

ومن تنكير غير المسند إليه للنوعية : ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾(٨) أى

---

(١) المفتاح ١٠٣ . (٢) سورة الأنبياء : الآية ٤٦ .

(٣) من أن تقديم المسند إليه فى ذلك للتخصيص لا للتعظيم ؛ لأن المعنى ما أهرَّ ذا ناب إلا شرٌّ .

(٤) لا يخفى أن هذا لا يمنع أن يكون للتنكير دلالة عليه أيضاً ؛ لأن المعنى الواحد قد يجتمع فيه دلالتان وثلاث لغرض من الأغراض .

(٥) سورة مريم : الآية ٤٥ . (٦) خلاف التهويل هو التهوين .

(٧) سورة البقرة : الآية ١٧٩ . (٨) سورة الشعراء : الآية ١٧٣ .

وأرسلنا عليهم نوعًا من المطر عجيباً ، يعنى الحجـــارة ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ فساء مَطَرُ المنذَرين ﴾ [١] ، **وللتحقير** [٢] : ﴿ إن نظنُّ إلا ظنًّا ﴾ [٣] .

* * *

---

(١) أى فى الآية : نفسها ، لأن قوله « فساء » صيغة تعجب .

(٢) فالمعنى فى الآية : إلا ظنا ضعيفا ، وإنما حُمل على هذا ولم يجعل مصدراً مؤكِّداً ؛ لأن الاستثناء لا يصح فى المصدر المؤكد ، وعلى الأول يكون من المصدر المبيِّن لنوع فعله .

(٣) سورة الجاثية : الآية ٣٢ .

هذا ، وقد يأتى التنكير لأغراض أخرى :

منها قصد التجاهل فى قوله تعالى : ﴿ هلْ ندلُّكم على رجل ينبئكم إذا مُزِّقتم كل ممزَّق إنكم لفى خلق جديد ﴾ آية ٧ سورة سبأ .

ومنها أن يمنع مانع من التعريف كما فى قول الشاعر :

إذا سئمتْ مهنَّدهُ يمينٌ لطولِ الحمل بدَّلهُ شمالا

لم يقل « يمينه » ؛ لأنه كره أن ينسب ذلك إلى يمين ممدوحه ، فنكَّرها ولم يضفها إليه .

تمرينات على التعريف والتنكير

تمرين – ١

١ – قال الله تعالى : ﴿ كما أرسلْنا إلى فرعونَ رسولاً ؛ فعصَى فرعونُ الرسولَ ﴾ آية ١٥ ، ١٦ سورة المزمل ، فلماذا نكَّر رسولاً أوَّلاً وعرفه ثانيا ؟

ومن أى أقسام اللام لام الرسول ؟

تمرين – ٢

١ – قال تعالى : ﴿ فذلكَ الَّذى يَدُعُّ اليتيمَ ﴾ آية ٢ سورة الماعون ، فلماذا أتى باسم الإشارة للبعيد ولم يأت به للقريب ؟

٢ – لماذا أوثر اسم الموصول على غيره من المعارف فى قول الشاعر :

أعُبَّادَ الْمسيح يَخافُ صَحْبِى ونحن عبيدُ مَنْ خَلَقَ المسيحا

تمرين – ٣

١ – ما الغرض من تنكير المسند إليه فى قول الشاعر :

وفى السماء نجومٌ لا عدادَ لها وليس يكسفُ إلا الشمس والقمرُ

٢ – لماذا عُرِّف المسند إليه بالعلَمية وبالموصولية فى قوله تعالى :

﴿ محمد رسولُ الله والذينَ معه أشدَّاء على الكفارِ رحماءُ بينهُمْ ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح .

تمرين – ٤

١ – قال النبى ﷺ : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة » فلماذا نكَّر المسند إليه ولم يعرِّفه ؟

٢ – لماذا عرِّف المسند إليه بالإضافة فى قول الشاعر :

أخوك الذى إن تَدْعُه لِمُلمةٍ يُجِبْكَ وإنْ تَغْضَبْ إلى السيف يغْضبُ

تمرين – ٥

١ – قال الله تعالى : ﴿ إنَّ معَ العُسْرِ يُسْراً ، إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسراً ﴾ آية ٥ ، ٦ سورة الشرح . فلماذا عُرِّف « العسر » فى الموضعين ونُكر « يسراً » فيهما ؟ ومن أى أقسام اللام لام العسر ؟

٢ – ما الغرض من التنكير فى قول الشاعر :

شقَّت لمنظرك الجيوبَ عقائلٌ   وبَكتْكَ بالدمعِ الهَتونِ غَوانِ

تمرين – ٦

١ – قال الشاعر :

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهمٍ   وبِألفِ ألفٍ تُرزَقُ الأمواتُ !!

فلماذا عرَّف المسند إليه الأول بالإضافة والثانى باللام ولم يعكس فيهما ؟

٢ – بين الغرض من التنكير فى قول الشاعر :

ولله مِنِّى جانبٌ لا أضيعه   ولِلَّهوِ مِنِّى والخلاعةِ جانبُ

٣ – بين الغرض من التعريف والتنكير فى قول المتنبى :

أهُمُّ بشىءٍ والليالى كأنها   تطاردنى عن كونه وأطاردُ

* * *

أغراض الوصف

وأما وصفه فلكون الوصف تفسيراً له كاشفًا عن معناه (١) كقولك « الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله » ونحوه فى الكشف قول أوْس :

الألمعيُّ الذى يظنُّ بك الظنَّ كأنْ قد رأى وقد سمعا (٢)

حُكى أن الأصمعى سئل عن الألمعى ، فأنشده ولم يزد . وكذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ الإنسان خُلِقَ هلوعا . إذَا مَسهُ الشرُّ جزُوعا . وإذا مسَّه الخيرُ مَنوعا ﴾ (٣) قال الزمخشريُّ « الهلع سرعةُ الجزع عند مسّ المكروه ، وسرعةُ المنع عند مس الخير ، من قولهم « ناقة هلوع : سريعة السير » . وعن أحمد بن يحيى (٤) : قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر : ما الهلع ؟ قلت : قد فسره الله تعالى ... » انتهى كلام الزمخشرى .

أو لكونه مخصصاً له (٥) نحو : « زَيْدٌ التاجر عندنا » .

أوْ لكونه مدحاً له ، كقولنا : « جاء زيد العالم » حيث يتعين فيه ذكرُ زيد قبل ذكر العالم ، ونحوه من غيره (٦) قوله تعالى : ﴿ بِسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم ﴾ (٧) .

---

(١) هذا معنى أصلى للوصف ، فلا يصح ذكره فى وجوه البلاغة ، وكذلك كونه مخصصاً للموصوف .

(٢) هو لأوس بن حجر يرثى فضالة بن كلدة ، وقبله :

أيتها النفس أجملى جزعا إنّ الذى تحْذرين قد وقعا
إن الذى جمع الشجاعة والنجـ ـدَةَ والبرَّ والتقى جُمعا

فالألمعى بالرفع خبر « إن » ولهذا قال « ونحوه فى الكشف » لأنَه ليس مسنداً إليه ، وقد روى بالنصب على أنه وصف لاسم « إن » ، ويؤيد هذه الرواية إتيان خبر « إن » بعد هذا فى قوله :

أودَى فلا تنفع الإشاحة مِنْ أمر لِمرءٍ يحاول البدعا

(٣) سورة المعارج : الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٤) هو أبو العباس ثعلب ، من أئمة اللغة والنحو .

(٥) التخصيص : رفع الاحتمال فى المعارف وتقليل الاشتراك فى النكرات .

(٦) نحوه أيضا من المسند إليه قوله تعالى : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ [المؤمنون : آية ١٤] . وقول خرنق أخت طرفة :

لا يبعدن قومى الذين هم سمُّ العداء وآفة الجزر
النازلون بكل معتركٍ والطيبون معاقد الأزر

(٧) سورة الفاتحة : الآية ١ .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الخالقُ البارئُ المصوِّر ﴾ (١) .

أو لكونه ذمًّا له ؛ كقولنا « ذهب زيد الفاسق » حيث يتعين فيه ذكر زيد قبل ذكر الفاسق . ونحوه من غيره قوله تعالى : ﴿ فإذا قرأتَ القرآن فاستَعِذْ بالله مِنَ الشَّيطانِ الرجيم ﴾ (٢) .

أو لكونه تأكيداً له (٣) كقولك « أمس الدابر كان يومًا عظيما » .

أو لكونه بيانا له ، كقوله تعالى : ﴿ لا تَتخذُوا إلهين اثنين ، إنما هو إلهٌ واحدٌ ﴾ (٤) قال الزمخشرى : الاسم الحامل لمعنى الإفراد أو التثنية دالٌّ على شيئين : على الجنسية، والعدد المخصوص . فإذا أريدت الدلالة على أن المعنيَّ به منهما والذى يساق له الحديث هو العددُ شُفِعَ بما يؤكده فَدُلَّ به على القصد إليه والعناية به ، ألا ترى أنك لو قلتَ (إنما هو إله) ولم تؤكده بـ (واحد) لم يَحْسُنْ ، وَخُيِّلَ أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية ، وأما قوله تعالى : ﴿ ومَا مِنْ دابةٍ في الأرضِ ولا طَائر يطيرُ بجناحيه ﴾ (٥) فقال السكاكى (٦) :شفع « دابة » بـ« فى الأرض » و « طائر » « بيطير بجناحيه » لبيان أن القصد بهما إلى الجنسين (٧) . وقال الزمخشرى : « معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة (٨) كأنه قيل : « وما من دابة قَطُّ فى جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط فى جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه » .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٢٤ . (٢) سورة النحل : الآية ٩٨ .

(٣) أى لغويا لا اصطلاحياً ، ولا بد للوصف المؤكّد من حال يقتضيه ؛ كإظهار السرور أو التأسف فى المثال ، والتأكيد يقصد هنا زائداً على الوصفية بخلافه فى التوكيد بالنفس ونحوه مما يأتى .

(٤) سورة النحل : الآية ٥١ .

وقد ذكروا هنا فروقا بين الوصف المبين وغيره مما سبق ، وقيل : إن الوصف المبين يمكن جعله من الوصف المؤكد ، وإنما جُعل وصفا ، ولم يُجعل عطفَ بيان ؛ لأن عطف البيان لا يكون مشتقا ولا مؤوَّلا به .

(٥) سورة الأنعام : الآية ٣٨ . (٦) ١٠١ – المفتاح .

(٧) أى لا إلى العدد .

(٨) أما أصل التعميم فمستفاد من وقوع النكرة فى سياق النفى ، والزيادة لدفع احتمال إرادة دواب أرض واحدة أو طيور جو واحد ، وجعل الاستغراق حقيقيا فى جميع الدواب والطيور ، ولا يخفى أن كلام السكاكى يؤول إلى ذلك أيضاً ؛ لأنه عند قصد الجنس يكون الاستغراق حقيقيا .

واعلم أن الجملة قد تقع صفة للنكرة ، وشرطها أن تكون خبرية ؛ لأنها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر ، فلم يستقم أن تكون إنشائية مثله ؛ وقال السكاكي (١) : لأنه يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقُّق الوصف للموصوف ؛ لأن الوصف إنما يؤتَى به ليُمَيَّز به الموصوف مما عداه ، وتمييز المتكلم شيئاً من شيء بما لا يعرفه له مُحالٌ ، فما لا يكون عنده محققا للموصوف يمنع أن يجعله وصفاً له بحكم عكس النقيض (٢) ، ومضمون الجمل الطلبية كذلك لأن الطلب يقتضي مطلوبا غير متحقق لامتناع طلب الحاصل ، فلا يقع شيء منها صفة لشيء ، والتعليل الأول أهمُّ ؛ لأن الجملة الإنشائية قد لا تكون طلبية (٣) كقولنا : « نِعْمَ الرجل زيد ، وبئس الصاحب عمرو ، وربما يقوم بكر ، وكم غلامٍ ملكتَ ، وعسى أن يجيء بشر ، وما أحسن خالداً » ، وصِيَغُ العقود نحو : « بعتُ واشتريت » فإن هذه كلها إنشائية وليس شيء منها بطلبي . ولامتناع وقوع الإنشائية صفة أو خبراً ؛ قيل في قوله :

* جاءوا بمذقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطْ (٤) *

تقديره جاءوا بمذق مقول عنده هذا القول ، أي بمذق يَحمل رائيه أن يقول لمن يريد وصفه له : هل رأيت الذئب قط ؟ فهو مثله في اللون لإيراده في خيال الرائي لون الذئب لوُرقته (٥) وفي مثل قولنا : « زيد اضربهُ أو لا تضربهُ » تقديره : « مقول في حقه اضربه أو لا تضربه » (٦) .

---

(١) ١٠٠ ، ١٠١ – المفتاح .

(٢) أي لقوله « يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقق الوصف للموصوف » .

(٣) لا يخفى أن الجملة الإنشائية غير الطلبية كالإنشائية الطلبية فيما ذكره السكاكي ، ولا معنى للتطويل بهذه المماحكات اللفظية في هذا العلم ، ولا سيما أن ما ذكره من ذلك الشرط من مسائل علم النحو .

(٤) هو لعبد الله بن رؤبة التميمي المعروف بالعجاج ، والبيت :

حتى إذا جنّ الظلام واختلط جاءوا بمذق : هل رأيت الذئب قط

والمذق : اللبن المخلوط بالماء ، مصدر بمعنى اسم المفعول ، وقوله « جن الظلام » بمعنى أقبل أوله ، واختلاطه إنما يكون بعد ذهاب نور النهار كله ، يصف قوما أضافوه وأطالوا عليه ثم أتوه بهذا المذق .

(٥) الورقة : سواد في غبرة .

(٦) قد يأتي الوصف لأغراض أخرى ، منها الترحم في قول الشاعر :

إلهي ، عبدك العاصي أتاكا مقراً بالذنوب وقد دعاكا

ومنها قصد الإيهام ، نحو قولك « تصدقت صدقة كبيرة أو صغيرة » ومنها قصد التعميم ، مثل قولك « أكْرِمِ الناسَ الصغار والكبار » .

أغراض التوكيد

وأما توكيده **فللتقرير** ، كما سيأتى فى باب تقديم الفعل وتأخيره (١) .

أو **لدفع توهُّم التجوُّز أو السهو** (٢) كقولك « عرفتُ أنا ، وعرفتَ أنت ، وعرف زيد زيداً » أو عدم الشمول ، كقولك « عرفنى الرجلان كلاهما ، أو الرجال كلهم (٣) . قال السكاكى (٤) : ومنه « كل رجل عارف ، وكل إنسان حيوان » .

وفيه نظر ؛ لأن كلمة « كل » تارة تقع تأسيسًا وذلك إذا أفادت الشمول من أصله حتى لولا مكانها لما عُقلَ ، وتارةً تقع تأكيداً ، وذلك إذا لم تفده من أصله ، بل تمنع أن يكون اللفظ المقتضى له مستعمَلاً فى غيره .

أما الأول فهو أن تكون مضافة إلى نكرة (٥) كقوله تعالى : ﴿ كلُّ حزْب بما لديهم فرحونَ ﴾ (٦) وقوله : ﴿ وكلَّ شىء فصلناهُ تفصيلاً ﴾ (٧) وقوله ﴿ وهمْ من كُلِّ حدب ينْسلون ﴾ (٨) . وأما الثانى فما عدا ذلك ؛ كقوله تعالى : ﴿ فسجَد

---

(١) كقولك « هو يعطى الجزيل » فهو يفيد من تقوية الحكم ما لا يفيده قولك « يعطى زيد الجزيل » لتكرار الإسناد فى الأول ، ولا يخفى أن هذا ليس من توكيد المسند إليه ؛ فلا معنى لذكره هنا .

(٢) بأن يكون فى الكلام أو المقام ما يوهم ذلك فيؤتى بالتوكيد لدفعه ، وبهذا يمتاز نظر علم المعانى عن نظر علم النحو إلى التوكيد ، وهذا كما فى قولك « قطع الأمير نفسه السارق » فإنه لو قيل « قطع الأمير السارق » لتوهم أن القاطع غيره بأمره على ما جرت به العادة فى ذلك ، أما النحو فيجوز فيه أن يقال « قطع الأمير نفسه السارق ، وقطع الأمير السارق » بلا نظر إلى هذه الاعتبارات ، وعلى هذا ورد التوكيد فى قوله : ﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذَّب وأبى ﴾ آية ٥٦ سورة طه وقوله : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ آية ٣٠ ، ٣١ سورة الحجر . ففى هذا إشارة إلى فظاعة تكذيب فرعون واستكبار إبليس اللعين .

(٣) فإنه قيل التأكيد يحتمل أن أحد الرجلين أو بعض الرجال لم يجىء ، ولكنه لم يعتدّ به ، فأطلق الكل وأريد البعض على سبيل المجاز .

(٤) ١٠١ – المفتاح .

(٥) كذلك المضافة إلى معرفة ، كقوله تعالى : ﴿ كلُّ الطعام كان حِلاً لبنى إسرائيل ﴾ آية ٩٣ سورة آل عمران .

(٦) سورة المؤمنون : الآية ٥٣ .   (٧) سورة الإسراء : الآية ١٢ .

(٨) سورة الأنبياء : الآية ٩٦ .

الملائكةُ كلُّهم ﴾ (١) وهى فى قوله « كل رجل عارف ، وكل إنسان حيوان » من الأول لا الثانى ؛ لأنها لو حذفت منهما لم يُفهم الشمول أصلا .

أغراض عطف البيان :

وأما بيانه وتفسيره فلإيضاحه باسم مختصّ به (٢) كقولك « قدم صديقك خالد » .

أغراض البدل :

وأما الإبدال منه فلزيادة التقرير والإيضاح (٣) نحو « جاءنى زيد أخوك ، وجاء القوم أكثرهم ، وسُلِبَ عمرو ثوبه » (٤) ، ومنه فى غيره قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الحجر : الآية ٣٠ .

(٢) هذا معنى نحوى لعطف البيان ، وإنما يعد من البلاغة إذا كان للمسند إليه شأن يقتضى العناية بأمره كعظم شأنه أو حقارته ، فيكون عطف البيان لمدحه أو ذمه أو نحو ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ آية ٩٧ سورة المائدة وقوله : ﴿ ويسقى من ماء صديد ﴾ آية ١٦ سورة إبراهيم . وقد يكون عطف البيان غير مختص بمتبوعه ، ولكن يحصل الإيضاح والاختصاص بمجموعهما ، كما فى قول الشاعر :

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ... ركبان مكة بين الغيل والسند

ما إن أتيتُ بشىء أنت تكرهه ... إذن فلا رفعتْ سوطاً إلىَّ يدى

فالطير عطف بيان للعائذات ، وكل منهما غير مختص بصاحبه فى ذاته ، وإنما حصل هذا بمجموعهما .

(٣) يعنى أنه يؤتى به لهذين الأمرين زيادة على قصده بالحكم ، وهو المعنى النحوى للبدل ، أو أن فيه زيادة تقرير على التوابع السابقة ؛ لأنه على نية تكرار العامل ، فيكون إسناده أقوى من غيره .

(٤) لم يأت بمثال لعطف الغلط ؛ لأنه لا يقع فى فصيح الكلام إلا أن يكون بدل بداء؛ وهو أن تذكر المبدل منه عن قصد ثم تذكر البدل بعده فتوهم أنك غالط لقصد المبالغة والتفنن ، وشرطه أن يرتقى فيه من الأدنى إلى الأعلى ، كما فى قول الشاعر :

ألمعُ برقٍ سرَى أم ضوء مصباح ... أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

هذا وفى البدل من وجوه البلاغة وجه الإجمال ثم التفصيل والعناية بإثبات الحكم ، ولا يكون هذا إلا لمقام يقتضيه ، كما فى قول الشاعر :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

(٥) سورة الفاتحة : الآيات ٦ ، ٧ .

أغراض عطف النسق :

وأما العطف فلتفصيل المسند إليه مع اختصار (١) ؛ نحو : « جاء زيد وعمرو وخالد » .

أو لتفصيل المسند مع اختصار ؛ نحو « جاء زيد فعمرو » أو ثم عمرو ، أو « جاء القوم حتى خالد » (٢)ولا بد في « حتى » من تدريج ؛ كما ينبيء عنه قوله :

وكنتُ فتًى من جند إبليس فارتقى
بى الحالُ حتى صار إبليسُ مِنْ جُندى (٣)

أو لرد السامع عن الخطأ فى الحكم إلى الصواب (٤) ؛ كقولك : « جاءنى زيد لا عمرو » لمن اعتقد أن عمراً جاءك دون زيد ، أو أنهما جاءاك جميعا ، وقولك : « ما جاءنى زيد لكن عمرو » لمن اعتقد أن زيداً جاءك دون عمرو .

أو لصرف الحكم عن محكوم له إلى آخر ؛ نحو : « جاءنى زيد بل عمرو » و « ما جاءنى زيد بل عمرو » (٥) .

---

(١) هذا غير ما يفيده العطف من معناه النحوى ؛ كالدلالة على مطلق الجمع فى الواو . ووجه الاختصار فى المثال أنه فى معنى « جاء زيد وجاء عمرو وجاء خالد » وقد أشار به إلى أن تفصيل المسند إليه خاص بالواو .

هذا ، ولا بد لذلك من مقام يقتضيه ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ آية ٨ سورة القصص ، فذكر بالتفصيل فرعون وهامان ؛ لأنهما السبب فى الخطأ دون جنودهما .

(٢) أشار بهذا إلى أن تفصيل المسند خاص بالفاء وثم وحتى ، لأنها تبين أنه حصل بترتيب وتعقيب أو بترتيب وتراخ أو بترتيب ذهنى ، ووجه الاختصار فيها أنها تغنى عن « جاء زيد وعمرو بعده بيوم أو سنة أو نحو ذلك » ولا يخفى أنه يحصل فيه أيضا تفصيل المسند إليه ولكنه غير مقصود منها ؛ لأنه يكون معلوما قبلها فتساق لأجل تفصيل المسند وحده .

(٣) هو للحسن بن هانيء المعروف بأبى نواس ، و(حتى) فيه ليست عاطفة .

وإنما يقصد التمثيل به لإفادتها التدريج ، و إنما لم تكن عاطفة فيه لأن المشهور أنها لا تأتى فى عطف الجمل ، ولأن الجملة قبلها لا يستقل بها الكلام حتى يصح العطف عليها عند من يقول بصحة العطف بها فى الجمل .

(٤) أى مع الاقتصار على ما سبق ؛ لأن هذا هو الذى يعنى به فى هذا العلم .

(٥) فالمعنى فيه على نقل حكم النفى إلى عمرو على ما ذهب إليه المبرد ، والجمهور على أن « بل » تنقل حكم الإثبات لا النفى .

أو للشك فيه أو التشكيك [١] ؛ نحو : « جاءنى زيد أو عمرو ، أو إما زيد وإما عمرو ، أو إما زيد أو عمرو » .

أو للإبهام ، كقوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هُدى أو فى ضلال مبين ﴾[٢] .

أو للإباحة أو التخيير ، وهو أن يفيد ثبوت الحكم لأحد الشيئين أو الأشياء فحسب [٣] ، مثالهما قولك « ليدْخل الدار زيد أو عمرو » والفرق بينهما واضح ؛ فإن الإباحة لا تمنع من الإتيان بأحدهما أو بهما جميعاً .

أغراض ضمير الفصل :

وأما توسُّطُ الفصل بينه وبين المسند فلتخصيصه به [٤] ؛ كقولك : « زيد هو المنطلق ، أو هو أفضل من عمرو ، أو خير منه ، أو هو يذهب » [٥] .

---

(١) أى مع الاختصار أيضاً ، والشك من المتكلم ، والتشكيك للسامع ، والبلاغة فى التشكيك أعلى من البلاغة فى الشك ؛ لأن التشكيك يُجعل وسيلة إلى بلوغ اليقين ووصول الحق إلى المخالفين على وجه لا يثير غضبهم ، لينظروا فيه فيؤديهم النظر إلى العلم به ، وقد جعل السكاكى من هذا قوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم – الآية ﴾ . ولم يجعله للإبهام على السامع كما فعل الخطيب ، ومنه أيضاً قول الشاعر :

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر   لنفسى تُقاها ، أو عليها فجورها

وقيل : إن « أو » فيه بمعنى الواو .

(٢) سورة سبأ : الآية ٢٤ .

(٣) أى من غير قصد إلى تشكيك أو إبهام .

(٤) يعنى تخصيص المسند إليه بالمسند ، فالباء داخلة على المقصور ، وما قبلها هو المقصور عليه ، ومن أغراض الفصل أيضاً التأكيد ، وإنما يفيد التأكيد إذا حصل التخصيص بغيره بأن تكون الجملة معرَّفة الطرفين مثلا ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ آية ٥٨ سورة الذاريات . وقوله ﴿ فلما توفيتَنى كنتَ أنت الرقيب عليهم ﴾ آية ١١٧ سورة المائدة . وقوله : ﴿ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ آية ٢٠ سورة الحشر . وقد يكون لتخصيص المسند بالمسند إليه ؛ نحو « الكرم هو التقوى » ؛ لأنه بمعنى لا كرم إلا بالتقوى .

(٥) الحق أن هذا ليس ضمير فصل ، وإنما يعْرب توكيداً أو مبتدأ ثانيا ، لأنه يشترط فى ضمير الفصل أن يكون ما بعده خبراً معرفة أو كالمعرفة فى عدم قبول « ال » ، كلفظ خير ، ويشترط فيما قبله أن يكون مبتدأ ولو باعتبار الأصل ، وأن يكون معرفة ، ويشترط فيه نفسه أن يكون بصيغة المرفوع ، وأن يطابق ما قبله ، فلا يجوز « كنت هو الفاضل » .

تمرينات على التوابع

تمرين – ١

(١) بين الغرض من البدل فى قول الشاعر :

وكنتُ كذى رِجْلين : رِجلٌ صحيحةٌ   ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشُلَّتْ

(٢) هل يجوز بلاغةً كما يجوز نحواً أن يُجعل عطف البيان بدلا مطابقاً وبالعكس ، أو أن لكل منهما مقامًا خاصاً به ؟

(٣) بيِّن معنى « أو » ومنزلتها بلاغةً فى قول الشاعر :

نحن أو أنتم الأولى ألفوا الحقَّ   فَبُعْداً للمُبْطلين وسُحْقا

تمرين – ٢

(١) من أى أقسام البدل قوله تعالى : ﴿ ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهانا ﴾ آية ٦٨ ، ٦٩ سورة الفرقان . وأى غرض دعا إليه ؟ وما منزلته فى البلاغة ؟

(٢) أى غرض دعا إلى التوكيد فى قول الشاعر :

لكنه شاقه أنْ قيل ذا رَجَبٌ   يا ليت عِدَّةُ حولٍ كله رجبا

(٣) قال تعالى : ﴿ فَلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين ﴾ . آية ٣٦ سورة الجاثية . – فلماذا عطف فى الأول دون الثانى ؟

تمرين – ٣

(١) قال الله تعالى : ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ . آية ٨ سورة القصص . فما فائدة العطف بلاغةً فيه ؟ ولماذا أوثرت فيه الواو على غيرها ؟

(٢) أىُّ غرضٍ دعا إلى العطف بحتى فى قول الشاعر :

قهرناكم حتى الكماة فأنتمُ   تهابوننا حتى بَنينا الأصاغرا

(٣) ما الغرض من الوصف فى قول الشاعر :

ويأوى إلى نســـــوة عُطَّلٍ   وشعثاً مراضيعَ مثلَ السعالى

أغراض التقديم

وأما تقديمه فلكون ذكره أهمَّ ؛ إما لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه (١) ،

وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع ؛ لأن في المبتدأ تشويقا إليه ؛ كقوله :

والذى حارت البريَّةُ فيه حيوانٌ مستحدَثٌ من جماد (٢)

وهذا أوْلى من جعله شاهداً لكون المسند إليه موصولا كما فعل السكاكى (٣) .

وإما لتعجيل المسرة أو المساءة لكونه صالحًا للتفاؤل أو التطيُّر ؛ نحو « سعد في دارك ، والسفَّاح في دار صديقك » .

وإما لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر أو أنه يُستلَذُّ ، فهو إلى الذكر أقرب (٤) .

وإما لنحو ذلك (٥) .

قال السكاكى (٦) : « وإما لأن كونه متصفًا بالخبر يكون هو المطلوب لا نفس الخبر ؛ كما إذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فتقول : الزاهد يشرب ويطرب .

---

(١) هذا إذا كان المسند إليه مبتدأ أو نحوه لا فاعلا أو نحوه ، ولا يخفى أن هذه نكتة ضعيفة لا يعوَّل عليها هنا .

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرِّى ، وقوله « حارت » بمعنى اختلفت ، من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ، واسم الموصول مبتدأ وخبره حيوان على تقدير مضاف ، أى معاد حيوان كما يدل عليه سياق القصيدة – ويجوز أن يراد استحداث الحيوان من النطفة فلا يحتاج إلى تقدير مضاف .

(٣) ٩٨ – المفتاح ، ولا مانع من جعله شاهداً لهما معًا ، ومما يدخل في هذا الغرض أن يكون المسند إليه ضمير شأن أو قصة ، كما في قول الشاعر :

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى

(٤) كقول جميل :

بنيةُ ما فيها إذا تَبصَّرتْ مُعابٌ ولا فيها إذا نُسبت أشَبْ

(٥) كإظهار تعظيمه في نحو قوله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحماء بينهم ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح ، أو تحقيره في قولك « الدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة » .

(٦) ١٠٤ ، ١٠٥ – المفتاح .

وإما لأنه يفيد زيادة تخصيص كقوله :

متى تهزُزْ بنى قـطَن تجدهمْ سيوفاً فى عواتقهمْ سـيوفُ
جلوسٌ فى مجالسـهمْ رزانٌ وإنْ ضَيْفٌ ألَمَّ فهمْ خُفوفُ (١)

والمراد « هم خفوف » . وفيه نظر ؛ لأن قوله « لا نفس الخبر » يشعر بتجويز أن يكون المطلوب بالجملة الخبرية نفس الخبر ، وهو باطل (٢) لأن نفس الخبر تصوُّرٌ لا تصديق ، والمطلوب بها إنما يكون تصديقًا ، وإن أراد بذلك وقوع الخبر مطلقاً فغير صحيح أيضاً لما سيأتى (٣) أن العبارة عن مثله لا يُتَعرَّضُ فيها إلى ما هو مسند إليه ؛ كقولك « وقَعَ القيام » ثم فى مطابقة الشاهد الذى أنشده للتخصيص نظر (٤) ؛ لما سيأتى أن ذلك مشروط بكون الخبر فعليا ، وقوله « والمراد هم خفوف » تفسير للشىء بإعادة لفظه (٥) .

قال عبد القاهر (٦) : وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى إنْ وَلِىَ حرفَ النفى (٧) كقولك « ما أنا قلت هذا » أى لم أقله مع أنه مقول ؛ فأفاد نفى

---

(١) لا يعلم قائلهما ، وقوله « تهزز » بمعنى تهيجهم للحرب ، وقوله : « تجدهم سيوفا » معناه كالسيوف فى المضاء ، ورزان : جمع رزين ، وخفوف : مصدر خف بمعنى أسرع . يمدحهم بالنخوة فى قوله « متى تهزز إلخ » وبالعظمة والشرف فى قوله « جلوس . . . إلخ » وبالكرم فى قوله « وإن ضيف ألم » إلخ . وبعد البيتين :

إذا نزلوا حسبـتهمُ بدورا وإن ركبوا فإنهم حتوف

(٢) أجيب عنه فى هذا بأنه لا يريد نفس الخبر مجرداً عن الحكم حتى يلزمه ذلك ، فهو لا يقصد إلا أنه إذا علم تحقق المسند فى الجملة ولم يعلم المسند إليه قدِّم على المسند ، وهذا ظاهر لا اعتراض عليه .

(٣) فى أول الكلام على متعلقات الفعل .

(٤) أجيب عنه فى هذا بأنه لا يريد بالتخصيص هذا الحصر وإنما يريد التخصيص بالذكر ، ولا يخفى أن حمل التخصيص على ذلك بعيد ، على أنه سيأتى أن السكاكى يريد فى هذا ونحوه التخصيص بمعنى الحصر وأنه لا يشترط فيه كون الخبر فعليا .

(٥) لا يخفى أن السكاكى لا يريد بهذا تفسيره ، وإنما يريد بيان محل الشاهد ، وما كان أغنى الخطيب عن الإطالة فى هذه المماحكات اللفظية !!

(٦) ٨٤ – دلائل الإعجاز .

(٧) يعنى أنه فى هذه الحالة يفيد قصر نفى الخبر الفعلى على المسند إليه وإثباته لغيره على الوجه الذى نفى به من خصوص أو عموم على ما سيأتى فى الأمثلة ؛ فالباء داخلة هنا على المقصور ، والمراد بإيلائه حرف النفى إتيانه بعده ولو كان بينهما فاصل ، فيشمل نحو : ما زيداً أنا ضربت ، وما فى الدار أنا جلست .

الفعل عنك وثبوته لغيرك ، فلا تقول ذلك إلا فى شىء ثبت أنه مقول وأنت تريد نفى كونك قائلا له . ومنه قول الشاعر :

وما أنا أسقمتُ جسمي به ... ولا أنا أضرمتُ في القلب نارا (١)

إذ المعنى أن هذا السَّقْم الموجود والضرمَ الثابت ما أنا جالبًا لهما ؛ فالقصد إلى نفى كونه فاعلا لهما لا إلى نفيهما ؛ ولهذا لا يقال « ما أنا قلت ولا أحد غيرى » لمناقضة منطوق الثانى (٢) لمفهوم الأول (٣) بل يقال « ما قلت أنا ولا أحد غيرى » ولا يقال « ما أنا رأيت أحداً من الناس » ولا « ما أنا ضربت إلا زيداً » بل يقال « ما رأيت أو ما رأيت أنا أحداً من الناس ، وما ضربت أو ما ضربت أنا إلا زيداً » ؛ لأن المنفى فى الأول الرؤية الواقعة على كل واحد من الناس ، وفى الثانى الضرب الواقع على كل واحد منهم سوى زيد (٤) . وقد سبق أن ما يفيد التقديمُ ثبوته لغير المذكور هو ما نُفى عن المذكور ، فيكون الأول مقتضياً لأن إنسانا غير المتكلم رأي كُلَّ الناس ، والثانى مقتضيًا لأن إنسانًا غيرَ المتكلم قد ضرب مَنْ عدا زيداً منهم، وكلاهما محال ، وعلل الشيخ عبد القاهر والسكاكى (٥) امتناع الثانى بأنَّ نقض النفى بإلا يقتضى أن يكون القائل له قد ضرب زيداً ، وإيلاء الضمير حرف النفى يقتضى ألاَّ يكونَ ضربه ، وذلك تناقض . وفيه نظر ؛ لأنَّا لا نُسَلِّم أنَّ إيلاء الضمير حرف النفى يقتضى ذلك ، فإن قيل : الاستثناء الذى فيه مفرغ ، وذلك يقتضى ألاَّ يكون ضرب أحداً من الناس ،

---

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، وقوله « أضرمت » بمعنى أشعلت ، يعنى نار الحب ، ونحوه قول الشاعر :

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله ... ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر

وقوله ﷺ : « ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم » .

(٢) هو « ولا أحد غيرى » .

(٣) هو « ما أنا قلت » لأن مفهومه أن غيره قاله .

(٤) لا يخفى أن هذا ليس هو المنفى فى المثالين وإلا كانا من سلب العموم لا من عموم السلب ، وإنما المنفى فى الأول رؤية أى واحد من الناس وفى الثانى ضرب أى واحد سوى زيد ، وعلى هذا يكون مفهوم المثالين أن إنساناً غير المتكلم رأى واحداً من الناس وضرب أي واحد سوى زيد ، وهو صحيح لا شىء فيه ، وإنما الذى يؤدى إلى ما ذكره الخطيب أن يقال : ما أنا رأيت كل رجل ، وما أنا ضربت كل رجل إلا زيداً .

(٥) ٨٥ – دلائل الإعجاز ، ١٢٥ – المفتاح .

وذلك يستلزم ألاَّ يكون ضرب زيداً ، قلنا : إن لزم ذلك (١) فليس للتقديم لجريانه فى غير صورة التقديم أيضاً ؛ كقولنا : « ما ضربت إلا زيداً » .

هذا إذا وَلِىَ المسندُ إليه حرفَ النفى ، وإلا فـإن كـان مـعرفـةً ؛ كـقـولك « أنا فعلت » كان القصد إلى الفاعل (٢) **وينقسم قسمين** :

أحدهما : ما يفيد تخصيصه بالمسند (٣) للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ؛ كقولك « أنا كتبت فى معنى فلان ، وأنا سعيت فى حاجته » ؛ ولذلك إذا أردتَ التأكيد قلتَ للزاعم فى الوجه الأول « أنا كتبت فى معنى فلان لا غيرى » ونحو ذلك ، وفى الوجه الثانى « أنا كتبت فى معنى فلان وحدى » . فإن قلتَ : « أنا فعلت هذا وحدى » فى قوة « أنا فعلته لا غيرى » فلمَ اختصَّ كل منهما بوجه من التأكيد دون وجه ؟ قلتُ : لأن جدْوى التأكيد لَمَّا كانت إماطة شبهة خالجت قلب السامع ، وكانت فى الأول أن الفعل صدر من غيرك وفى الثانى أنه صدر منك بشركة الغير أكدتَ وأمطت الشبهة فى الأول بقـــولك « لا غيرى » وفى الثانى بقـــولك « وحدى » ؛ لأنه مَحَزُّهُ ، ولو عكستَ أخلْتَ (٤) .

ومن البيِّن فى ذلك (٥) المثلُ : « أتُعَلِّمُنى بضَبٍّ أنا حرَّشْتُه ؟! » (٦) . وعليه قوله تعالى : ﴿ ومن أهلِ المدينة مَرَدُوا على النفاق لا تَعْلَمُهُم نحن نعلمهُمْ ﴾ (٧) أى لا يعلمهم إلا نحن ولا يطَّلع على أسرارهم غيرنا؛ لإبطانهم الكفر فى سُويداوات قلوبهم .

الثانى : ما لا يفيد إلا تقوِّى الحكم وتقرُّره فى ذهن السامع وتمكُّنه ، كقولك « هو يعطى الجزيل » لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا أنْ تُعرِّض بإنسان ، ولكن تريد أن تقرر فى ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل ، وسبب تَقَوِّيه هو أن

---

(١) الحق أنه لا يلزم؛ لأن إيلاء الضمير حرف النفى إنما يقتضى نفى ما عدا المستثنى ، وما ذكره عبد القاهر والسكاكى إنما هو غفلة منهما .

(٢) أى لا إلى الفعل كما فى النفى .

(٣) يعنى قصر المسند عليه ، ويلزمه أيضاً تقوية الحكم كما فى القسم الثانى ، ولكنها تحصل هنا تبعاً لا قصداً .

(٤) يعنى حولت كلا منهما عن موضعه المناسب له ؛ لأن « لا غيرى » تدل صريحاً على نفى صدوره من غيرك ، أما « وحدى » فيدل عليه التزاما ، وكذلك « وحدى » يدل صريحا على نفى الشركة ، أما « لا غيرى » فيدل عليه التزاما .

(٥) أى فى إفادة التخصيص .

(٦) حرشته بمعنى صدته ، والمثل يضرب لمن يخبرك بشىء أنت أعلم به منه .

(٧) سورة التوبة : الآية ١٠١ .

المبتدأ يستدعى أن يستند إليه شيء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه إلى نفسه ، فينعقد بينهما حكم سواءٌ كان خاليا عن ضميره ؛ نحو « زيد غلامك » ، أو متضمناً له ، نحو « أنا عرفت ، وأنت عرفت ، وهو عرف أو زيد عرف » ، ثم إذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير إليه ثانيا ؛ فيكتسى الحكم قوة [1] .

* ومما يدل على أن التقديم [2] يفيد التأكيد أن هذا الضرب من الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكارٌ من منكره نحو أن يقول الرجل « ليس لى علم بالذى تقول » فتقول « أنت تعلم أن الأمر على ما أقول » وعليه قوله تعالى ﴿ ويقولونَ على الله الكذبَ ، وهمْ يعلمونَ ﴾ [3] لأن الكاذب لا سيما فى الدين لا يعترف بأنه كاذب ، فيمتنع أن يعترف بالعلم بأنه كاذب .

وفيما اعترض فيه شك : نحو أن تقولِ للرجل « كأنك لا تعلم ما صنع فلان ؟ » فيقول « أنا أعلم » .

وفى تكذيب مُدَّعٍ : كقوله تعالى : ﴿ وإذا جاءوكمْ قالوا آمنَّا وقد دخلوا بالكفر وهمْ قد خرجوا به ﴾ [4] فإن قولهم (آمنا) دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به .

وفيما يقتضى الدليل ألاّ يكون كقوله تعالى : ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلُقون شيئاً وهُم يُخلقون ﴾ [5] فإن مقتضى الدليل ألاّ يكونَ ما يُتخذُ إلهاً مخلوقاً .

وفيما يُستغرَبُ : كقولك « ألا تعجب من فلان يدَّعى العظيم وهو يَعيا باليسير » .

وفى الوعد والضمان : كقولك للرجل « أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر » ؛

---

(١) علله عبد القاهر بأن تقديم المسند إليه ينبه السامع لقصده بالحديث قبل ذكره تحقيقًا وتأكيداً له .

(٢) أى فى هذا القسم ، وبهذا يكون له مقام فى الكلام يباين مقام القسم الأول ؛ لأن المقصود منه التخصيص لا التأكيد كما سبق .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٧٨ . (٤) سورة المائدة : الآية ٦١ .

(٥) سورة النحل : الآية ٢٠ .

لأن من شأن من تَعِدُهُ وتضمن له أن يعترضه الشك فى إنجاز الوعد والوفاء بالضمان ، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد .

وفى المدح والافتخار : لأن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدَحُ به ويبعدهم عن الشبهة ، وكذلك المفتخر ، أما **المدح** فكقول الحماسى :

* هُمْ يَفرشـــون اللبْد كلَّ طِمرَّة (١) *

وقول الحماسية :

* هما يلبســان المجدَ أحسنَ لِبسة (٢) *

وقول الحماسى :

* فهُمْ يضربون الكبشَ يبرق بيضُه (٣) *

وأما **الافتخار** فكقول طرفة :

* نحن فى المشـــتاة ندعو الجَفَلى (٤) *

ومما لا يستقيم المعنى فيه إلا على ما جاء من بناء الفعل على الاســم قوله

---

(١) هو للمعذل بن عبد الله الليثى من قوله يمدح فتيان بنى عَتيك :

هم يفرشون اللبد كل طمرة وأجرد سبَّاح يَبذُّ المغاليا

وقبله :

جزى اللهُ فتيان العتيك وإنْ نأتْ بى الدارُ عنهم خير ما كان جازيا

والطمرة : الفرس الكريم ، والأجرد : القصير الشعر ، والسباح : اللين الجرى ، والمغالى : بضم الميم : السهم ، وبفتحها : جمع مغلى أو مغلاة وهى السهم أيضاً ، يعنى أنه أسرع منه .

(٢) هو لعمرة الخثعمية من قولها فى رثاء ابنيها :

هما يلبسان المجد أحسن لبسة شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

واللبسة : اسم هيئة من لبس ، والشحيح : الذى لا يفرط فيما فى يده . وقيل : إن البيت لدرعاء بنت سيار الجحدرية فى رثاء أخويها .

(٣) هو للأخنس بن شهاب التغلبى من قوله :

فهمُ يضربون الكبشَ يَبرقُ بيضه على وجهه من الدماء سبائبُ

وروى : « هم يضربون » والكبش : الشجاع ، والبيضَ : اللأمةَ ، والسبائب : الطرائق جمع سبيبة ، يعنى أنهم يضربونه فيسيل دمه كأنه طرائق حمر .

(٤) هو لعمرو بن العبد المعروف بطرفة .

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدبُ فينـــا ينتقر

والمشتاة : الشتاء وهو زمن الجدب عندهم ، والجفلى : الدعوة العامة ، والآدب : الداعى إلى المأدبة ، وقوله « ينتقر » معناه يدعو بعضا ويترك بعضا .

تعالى : ﴿ إنّ وليِّيَ اللهُ الذى نزَّل الكتابَ وهو يتولَّى الصالحين ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وقالوا أساطيرُ الأوَّلين اكتتبها فهى تُمْلَى عليه بُكرةً وأصيلا ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وحُشرَ لسليمانَ جنودهُ من الجنِّ والإنس والطير فهم يُوزعون ﴾ (٣) فإنه لا يخفى على من له ذوق أنه لو جىء فى ذلك بالفعل غير مبنى على الاسم لَوُجد اللفظ قد نبا عن المعنى ، والمعنى قد زال عن الحال التى ينبغى أن يكون عليها .

وكذا إذا كان الفعل منفيا (٤) كقولك « أنت لا تكذب » فإنه أشد لنفى الكذب عنه من قولك « لا تكذب » وكذا من قولك « لا تكذب أنت » لأنه لتأكيد المحكوم عليه لا الحكم ، وعليه قوله تعالى ﴿ والذين هُمْ بربهم لا يُشركون ﴾ (٥) فإنه يفيد من التأكيد فى نفى الإشراك عنهم ما لا يفيده قولنا « والذين لا يشركون بربهم » ولا قولنا « والذين بربهم لا يشركون » وكذا قوله تعالى ﴿ لقد حقَّ القولُ على أكثرهم فهم لا يُؤمنون ﴾(٦) وقوله تعالى : ﴿ فَعميتْ عليهم الأنباء يومئذ فهُمْ لا يتساءلون ﴾ (٧) وقوله تعالى : ﴿ إنَّ شرَّ الدَّوابِّ عندَ الله الذين كفَروا فهُمْ لا يؤمنُون ﴾ (٨) .

هذا كله إذا بُنى الفعل على مُعرَّف ؛فإن بُنى على مُنكَّر أفاد ذلك تخصيص(٩)

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٦ . (٢) سورة الفرقان : الآية ٥ .

(٣) سورة النمل : الآية ١٧ .

(٤) أى بحرف نفى مؤخر عن المسند إليه ، فهو يأتى كالمثبت تارة للتخصيص ، وتارة لتقوية الحكم ، ومن إتيانه للتخصيص قولك « أنا ما قلت هذا » أى وحدى ، تقوله لمن اعتقد أنه لم يقل مصيبا فى هذا ولكنه نسبه خطئا إلى غيرك ، وكل الأمثلة التى ذكرها الخطيب لإفادة تقوية الحكم .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ٥٩ . (٦) سورة يس : الآية ٧ .

(٧) سورة القصص : الآية ٦٦ . (٨) سورة الأنفال : الآية ٥٥ .

(٩) ظاهر هذا أن بناء الفعل على المنكر لا يفيد تقوية الحكم ، وقد ذكر السعد أنه قد يفيد ذلك ؛ كأن يقال « رجل جاءنى » فالمعنى أنه جاء ولا بد ، ثم ذكر أن هذا هو الذى يُشعر به كلام عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » ولكن رجعت إلى كلامه فيه فوجدته صريحاً فى أنه لا يفيد إلا التخصيص ؛ لأنه ذكر أنك إذا قلت « رجل جاءنى » لم يصلح حتى تريد أن تُعلم المخاطَب أن الذى جاءك رجل لا امرأة أو لا رجلان ، ويكون كلامك مع من عرف أن قد أتاك آت فإن لم ترد ذاك كان الواجب أن تقول « جاءنى رجل » . ولا شك أن ما ذكره السعد لا يصح عربية لعدم صحة الابتداء بالنكرة إلا عند إرادة التخصيص كما سيأتى ، وإذا لم يصحّ عربية لم يصح بلاغة .

الجنس أو الواحد [1] بالفعل ؛ كقولك « رجل جاءنى » أى لا امرأة أو لا رجلان ، وذلك لأن أصل النكرة أن تَكون للواحد من الجنس ، فيقع القصد بها تارة إلى الجنس فقط ؛ كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أنْ قد أتاك آت ، ولم يدر جنسه أرجل هو أو امرأة ؟ أو اعتقد أنه امرأة ، وتارة إلى الوحدة فقط ؛ كما إذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ، ولم يدر أرجل هو أم رجلان ؟ أو اعتقد أنه رجلان .

* **واشترط السكاكى** [2] فى إفادة التقديم الاختصاص [3] **أمرين** :

أحدهما : أن يجوز تقدير كونه فى الأصل مؤخراً بأن يكون فاعلاً فى المعنى فقط ؛ كقولك « أنا قمت » فإنه يجوز أن تُقدِّر أصله « قُمْتُ أنا » على أنّ « أنا » تأكيد للفاعل [4] الذى هو التاء فى قمت ، فَقُدِّمَ « أنا » وُجعلَ مبتدأ .

وثانيهما : أن يقدَّر كونه كذلك ، فإن انتفى الثانى دون الأول كالمثال المذكور إذا أُجرى على الظاهر ، وهو أن يقدَّر الكلام من الأصل مبنياً على المبتدأ والخبر ، ولم يقدر تقديم وتأخير ، أو انتفى الأول بأن يكون المبتدأ اسماً ظاهراً [5] فإنه لا يفيد إلا تَقوِّيَ الحكم .

واستثنى المُنَكَّرَ [6] كما فى نحو « رجل جاءنى » بأن قدّرَ أصله « جاءنى رجل » لا على أن « رجل » فاعل جاءنى ، بل على أنه بدل من الفاعل الذى هو الضمير المستتر فى جاءنى ، كما قيل فى قوله تعالى : ﴿ وأَسَرُّوا النَّجْوَى الذينَ ظَلَمُوا ﴾ [7] : إن ﴿ الذين ظلموا ﴾ بدل من الواو فى ﴿ أسَروا ﴾ ، وفرق بينه وبين

---

(١) هذا إذا كان المنكر مفرداً، فإذا كان مثنى أو جمعاً أفاد تخصيص الجنس أو المثنى أو الجمع .

(٢) ١١٩ ، ١٢٠ – المفتاح .

(٣) أما تقوية الحكم فلا خلاف فيها بين السكاكى وعبد القاهر : لأنها تأتى فى جميع صور التقديم وإن لم تكن مقصودة فى بعضها كما سبق .

(٤) أى وتأكيد الفاعل فى المعنى لا فى اللفظ .

(٥) نحو « زيد قام » فإنه إذا قدر تأخيره يكون فاعلاً فى اللفظ والمعنى ، لا فى المعنى فقط .

(٦) أى من ذلك الشرط ؛ فلم يشترطه فيه . (٧) سورة الأنبياء : الآية ٣ .

المعَرَّف بأنه لو لم يقدّر ذلك فيه انتفى تخصيصه ؛ إذ لا سبب لتخصيصه سواه ، ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ (١) بخلاف المعرف لوجود شرط الابتداء فيه وهو التعريف .

ثم قال : « وشرطُه (٢) ألاّ يمنعَ من التخصيص مانع (٣) كقولنا « رجل جاءني » أي لا امرأة أو لا رجلان ، دون قولهم « شَرّ أهرَّ ذا نَاب » أما على التقدير الأول (٤) فلامتناع أن يراد (المُهِرُّ شرٌّ لا خير) (٥) ، وأما على الثاني (٦) فلكونه نابيا عن مكان استعماله (٧) ، وإذ قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث تأوَّلوه بـ « ما أهر ذا ناب إلا شر »، فالوجه تفظيع شأن الشر بتنكيره كما سبق » (٨) . هذا كلامه ، وهو مخالف لِما ذكره الشيخ عبد القاهر (٩) لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يلي حرفَ النفي

---

(١) لأنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا إذا خُصصت ، فإذا كان لها مخصص غير ذلك من وصف أو نحوه لم يجب جعل التقديم للتخصيص .

(٢) أي شرط تقدير ذلك في المنكر ليفيد التخصيص .

(٣) يريد بالمانع انتفاء فائدة التخصيص من رد اعتقاد المخاطب في قيد الحكم مع تسليم أصله .

(٤) هو أن يكون لتخصيص الجنس .

(٥) لأنه لا يوجد من يتوهم أن الخبر يهر الكَلب حتى يُرَدَّ عليه بذلك .

(٦) هو أن يكون لتخصيص الواحد .

(٧) لأنه مَثل يقال في مقام الحث على شدة الحزم لدفع هذا الشر لعظمه ، فإذا أريد أن الذي أهره شر لا شران نافى القصد منه ؛ لأنه مما يوجب التساهل في دفعه .

(٨) من أن التنكير قد يأتي للتعظيم ، وبهذا يجمع بين قولهم بتخصيصه وقوله بعدمه . فقولهم بالتخصيص مبني على جعل التنكير للتعظيم ، والمعنى : شر عظيم أهر ذا ناب لا شر ضعيف ، فيكون التخصيص في الوصف لا في جنس الشر ، ويكون له فائدة ، وقوله بعده : التخصيص مبني على عدم إرادة ذلك من التنكير ، فيكون التقديم عنده لتقوية الحكم فقط .

(٩) من يرجع إلى كلام السكاكي في « المفتاح » يرى أنه حاكي عبد القاهر فيما يفيده تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي ، فقد رأى في النكرة أن البناء عليها لا يفيده إلا التخصيص كما يرى عبد القاهر ، ولم يخالفه إلا في توجيه ذلك بما لا يؤثر في موافقته له ، وقد رأى فيما يلي حرف النفي ما يراه عبد القاهر ، فلا يصح عنده مثله « ما أنا رأيت أحداً » ولا « ما أنا رأيت إلا زيداً » وكذلك لا يصح عنده « ما زيدا ضربت ولا أحداً من الناس ، ولا : ما أنا ضربت زيداً ولا أحد غيري » فالمضمر والمظهر عنده في ذلك سواء ، ولهذا لم يذكر شرط تقدير التأخير فيما يلي حرف النفي ، ولا يوجد في كلامه ما يُشعر بحمله على المثبت في هذا الشرط ، وقد رأى في المعرف المثبت أنه يحتمل التخصيص وتقوية الحكم كما يرى عبد القاهر ، ولكنه يرى أن البناء على المظهر ليس كالبناء على المضمر في احتمال هذين الاعتبارين على السواء ، فهو لا ينفي =

القطعُ بأنه يفيد التخصيص مضمراً كان أو مظهَراً ، معرَّفا أو منكَّراً من غير شرط ، لكنه لم يمثل إلا بالمضمر ، وكلام السكاكى صريح فى أنه لا يفيده إلا إذا كان مضمَراً أو منكراً بشرط تقدير التأخير فى الأصل ؛ فنحو « ما زيد قام » يفيد التخصيص على إطلاق قول الشيخ ولايفيده على قول السكاكى ، ونحو « ما أنا قمت » يفيده على قول الشيخ مطلقاً ، وعلى قول السكاكى بشرط ، وظاهر كلام الشيخ أن المعرّف إذا لم يقع بعد النفى وخبره مثبتٌ أو منفى قد يفيد الاختصاص مضمراً كان أو مظهراً ، لكنه لم يمثل إلا بالمضمر ، وكلام السكاكى صريح فى أنه لا يفيده إلا المضمر ؛ فنحو « زيد قام » قد يفيد الاختصاص على إطلاق قول الشيخ ، ولا يفيده عند السكاكى ، ثم فيما احتج به لما ذهب إليه نظر ؛ إذ الفاعل وتأكيده سواء فى امتناع التقديم ما دام الفاعل فاعلا والتأكيد تأكيداً ، فتجويز تقديم التأكيد دون الفاعل تحكُّمٌ ظاهر ، ثم لا نُسلِّم انتفاء التخصيص فى صورة المنكر لولا تقدير أنه كان فى الأصل مؤخراً فقُدِّم ، لجواز حصول التخصيص فيها بالتهويل كما ذكر (١) وغير التهويل ، ثم لا نسلم امتناع أن يراد : المُهِرُّ شرٌّ لا خير ، قال الشيخ عبد القاهر : إنما قدِّمَ « شر » لأن المراد أن يُعْلَمَ أن الذى أهرَّ ذا ناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير (٢) فَجرَى مجرى أن تقول « رجل جاءنى » تريد أنه رجل لا امرأة ، وقولُ العلماء : إنه إنما صلح لأنه بمعنى « ما أهر ذا ناب إلا شر » بيانٌ لذلك ، وهذا صريح فى خلاف ما ذكره .

= فيه الاختصاص ؛ بل يبعده . ولعل عبد القاهر لم يمثل إلا بالمضمر كما ذكر الخطيب لضعف اعتبار التخصيص فى المظهر ، ولعل الخطيب أشار بقوله « لأن ظاهر كلام الشيخ ... إلخ » إلى أنه يمكن الجمع بينهما .

فالحق أنه لا خلاف بين عبد القاهر والسكاكى فى ذلك كله إلا فى التوجيه فقط ، والخلاف فى التوجيه لا يؤثر فى اتفاقهما على ذلك بشىء ، وما كان أغنى الخطيب عن التطويل بما طوَّل به فى هذا الوضع !!

(١) أى فى قولهم « شر أهر ذا ناب » وغير التهويل كالتحقير والتكثير والتقليل » ولكن هذا لا يرد على السكاكى » ، لأنه إنما يقدر ذلك فى النكرة إذا لم يكن هناك سبب للتخصيص سواه ، نحو « رجل جاءنى » على إرادة الجنس أو الواحد ، فليس فيه احتمال تهويل ولا غيره .

(٢) ٩٤ – دلائل الإعجاز ، ولكن قد سبق أن التخصيص فى مثل هذا لا فائدة فيه ، وقيل : إن الكلب قد يهر فى الدفاع عن أصحابه وهو من جنس الخير ، فيكون على هذا فى التخصيص بجنس الشر فائدة ، ولا حاجة مع هذا إلى تسويغ التخصيص فيه بجعل التنكير للتعظيم كما سبق .

* ثم قال السكاكى (١) : ويقرب من قَبيل « هو عــرف » فى اعتبار تَقَوِّى الحكم (٢) : « زيد عارف » ، وإنما قلت « يقرب » دون أن أقول « نظيرهُ » لأنه لمّا لم يتفاوت فى التكلم والخطاب والغيبة فى « أنا عارف ، وأنت عارف ، وهو عارف » أشبه الخالى عن الضمير ؛ ولذلك لم يُحكم على « عارف » بأنه جملة ولا عومل معاملتها فى البناء (٣) حيث أعْربَ فى نحو « رجلٌ عارفٌ ، رجلا عارفا ، رجل عارفٍ » واتَّبَعه فى حكم الإفراد ، نحو « زيد عارف أبوه » يعنى اتبع « عارف » « عرَفَ » فى الإفراد ، إذا أسند إلى الظاهر مفرداً كان أو مثنىً أو مجموعا (٤) .

ثم قال : ومما يفيد التخصيصَ ما يحكيه عَلَتْ كلمته عن قوم شعيب عليه السلام : ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ (٥) أى العزيز علينا يا شعيب رهطك لا أنت (٦) لكونهم من أهل ديننا ، ولذلك قال عليه السلام فى جوابهم : ﴿ أرَهْطى أعزُّ عليكم من الله ﴾(٧) أى من نبىّ الله ، ولو كان معناه معنى « ما عززتَ علينا » لم يكن مطابقا . وفيه نظر ؛ لأن قوله : ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ من باب « أنا عارف » لا من باب « أنا عرفت » (٨) ، والتمسك بالجواب ليس بشىء ؛ لجواز أن يكون عليه السلام فهمَ كونَ رهطه أعز عليهم من قولهم : ﴿ ولوْلا رهطك لرجمناكَ ﴾ .

* وقال الزمخشرى : دلَّ إيلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام فى الفاعل لا فى الفعل ، كأنه قيل : « وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا » (٩) وفيه

---

(١) ١١٩ – المفتاح .

(٢) ظاهر هذا أنه لا يأتى للتخصيص عنده ، وقيل : إنه يأتى عنده أيضاً للتخصيص . ويدل على هذا ما سيأتى فى قوله تعالى : ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ وما سيأتى له فى باب القصر من إفادة « أنا عارف » الحصر .

(٣) المراد به عدم ظهور إعرابها ؛ لأنه لا يلزم البناء فيها .

(٤) فلا تلحقهما علامة التثنية ولا علامة الجمع .

(٥) سورة هود : الآية ٩١ .

(٦) فيفيد التخصيص مع تقوية الحكم .

(٧) هود : آية ٩٢ .

(٨) هذا لا يرد على السكاكى عند من يرى أنه لا فرق عنده بين البابين فى احتمال إفادة التخصيص وتقوية الحكم ، ولكن الحق خلاف ما ذهب إليه السكاكى من التسوية بين البابين ، بدليل أنه لو كان نحو « زيد عارف » يفيد تقوية الحكم لما صح خطاب الذهن به ، وهو خلاف ما سبق عن أبى العباس فى جواب الكندى فى باب الإسناد الخبري من الفرق بين « عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم » .

(٩) فيكون الزمخشرى فى هذا موافقاً للسكاكى ، ويرى مثله أن نحو « زيد عارف » من قبيل « هو عرف » فى إفادة التقوية والتخصيص .

نظر ؛ لأنا لا نسلّم أن إيلاء الضمير حرف النفى إذا لم يكن الخبر فعلياً يفيد الحصر ، فإن قيل : الكلام واقع فيه وفى رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه ، فكيف صح قوله : ﴿ أرهطى أعزُّ عليكم من الله ﴾ ؟ قلنا : قال السكاكى : معناه : من نبى الله ، فهو على حذف المضاف ، وأجود منه ما قال الزمخشرى : وهو أن تهاونهم به وهو نبى الله تهاونٌ بالله ، فحين عزّ عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ من يُطِعِ الرسول فقد أطاع الله ﴾ (١) .

ويجوز أن يقال : لا شك أن همزة الاستفهام هنا ليست على بابها ؛ بل هى للإنكار للتوبيخ ، فيكون معنى قوله : ﴿ أرهطى أعز عليكم من الله ﴾ إنكار أن يكون مانعهم من رجمه رهطَه لانتسابه إليهم دون الله تعالى مع انتسابه إليه أيضاً ، أى : أرهطى أعز عليكم من الله حتى كان امتناعكم من رجمى بسبب انتسابى إليهم بأنهم رهطى ، ولم يكن بسبب انتسابى إلى الله تعالى بأنى رسوله ؟! والله أعلم .

* ومما يُرَى تقديمه (٢) كاللازم لفظ « **مثل** » إذا استُعمِلَ كنايةً من غير تعريض (٣) كما فى قولنا « مثلك لا يبخل » ، ونحوه مما لا يراد بلفظ « مثل » غيرُ ما

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٠ .

هذا ، ومما ورد من الشعر فى إفادة التقديم التقويةَ أو التخصيص قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها مَرَضٌ ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبِّ حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله أركانا

وقول بعضهم :

كانت قناتى لا تلين لغامزٍ ... فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربى بالسلامة جاهداً ... ليُصحّنى ، فإذا السلامةُ داء

وقول الآخر :

لمستُ بكفى كفَّه أبتغى الغنَى ... ولم أدر أن الجود من كفه يُعْدى
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغنَى ... أفدتُ وأعدانى فأتلفتُ ما عندى

(٢) أى على الخبر الفعلى ، ويلحق بلفظ « مثل » ما هو بمعناه كلفظ « شبيه ونظير » وإنما كان التقديم فيها كاللازم ولم يكن لازماً لأنه لا شىء يوجبه من جهة القياس ولا من جهة الكناية ، وإنما هو مما يساعد على الغرض المقصود منها ، وهى حاصلة مع التقديم والتأخير ، فليس هذا اللزوم إلا فى استعمال البلغاء .

(٣) أى بغير ما أضيف إليها ، فلو أريد بها غيره لم يلزم تقديمها لأنها تخرج من الكناية إلى الحقيقة ، كما فى قول أبى إسحاق الصابى :
=

أضيف إليه ، ولكن أريدَ أن من كان على الصفة التى هو عليها كان من مقتضى القياس وموجبِ العُرْفِ أن يفعل ما ذكر أو ألاّ يفعلَ (١) ، ولكون المعنى هذا (٢) قال الشاعر :

ولم أقل مِثْلك أعنى به   سِوَاكَ يا فَرْدًا بلا مُشْبِهِ (٣)

وعليه قوله :

مثلُك يثنى الحُزنَ عن صَوْبه   ويستردُّ الدَّمعَ عن غَرْبه (٤)

وكذا قول القَبَعْثَرِىُّ (٥) للحجاج لما توعَّده بقوله « لأحملنك على الأدهم والأشهب » : « مثل الأمير حَمَل على الأدهم والأشهب » (٦) أى من كان على هذه الصفة من السلطة وبسطة اليد ، ولم يقصد أن يجعل أحداً مثله .

*وكذلك حُكم «غير» إذا سلك به هذا المسلك (٧) فقيل :«غيرى يفعل ذلك»

= تشابهَ دَمعى إذ جَرى ومدامتى   فمن مِثْلِ ما فى الكأسِ عَينى تَسْكُبُ

فليس المراد بالتعريض هنا التعريض المعدود من الكناية ، وإنما المراد به معناه اللغوى وهو الإشارة على وجه الإجمال .

(١) هذا يلزمه أنه هو نفسه يفعله أو لا يفعله ؛ فالكناية فى ذلك من إطلاق الملزوم وإرادته اللازم .

(٢) أى على أنه لا يراد بمثل غير ما أضيفت إليه .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، و« مثلك » فيه مفعول « أقل » على حكايته فى البيت الآتى بعده لأنه قبله فى القصيدة .

(٤) هو للمتنبى أيضاً من قصيدة له فى الرثاء ، وقوله « يثنى الحزن » بمعنى يكفه بالصبر ، والصوب : الجهة ، والغرب : عرق فى العين يجرى منه الدمع ، وفى رواية « يثنى المزن » وهو السحاب ، وهى خلاف رواية الديوان ، ولا تناسب مقام الرثاء .

(٥) الصواب (ابن القبعثرى) وهو الغضبان بن القبعثرى الشيبانى ، وكان ممن خرج على الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٦) الأدهم فى كلام الحجاج بمعنى القيد من الحديد ، وفى كلام الغضبان بمعنى الفرس الأسود ، وسيأتى هذا فى الكلام على تلقى المخاطب بغير ما يترقب .

(٧) فلم يقصد بها سوى ما أضيف إليها ، فإن قصد بها سوى ما أضيف إليها لم يلزم تقديمها ، كما فى قول الشاعر :

غيرى جَفَى وأنا المعاقَبُ فيكم   فكأننى سَبَّابَةُ المتَندِّمِ

ويعطى حكم « غير » فى ذلك ما بمعناها مثل « سوى وسواء ونحوهما » ومن ذلك قول ابن سناء الملك :

سواى يهابُ الموتَ أو يرهبُ الرَّدَى   وغيرى يهوَى أن يعيشَ مُخَلَّدا

على معـنى « أنى لا أفعـله » [١] من غير إرادة التعـريض بإنسـان [٢] .

وعليه قوله :

* غيرى بأكثر هذا الناس ينخدعُ [٣] *

فإنه معلوم أنه لم يُردْ أن يُعَرِّضَ بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع ؛ بل أراد أنه ليس ممن ينخدع . وكذا قول أبى تمام :

وغيرى يأكل المعروفَ سُحْتاً ويشحُبُ عنده بيضُ الأيادى [٤]

فإنه لم يُردْ أن يُعَرِّض بشاعر سواه فيزعم أن الذى قُرِف به عند الممدوح من أنه هجاه كان من ذلك الشاعر لا منه ، بل أراد أن ينفى عن نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة ويَلؤم لا غير .

* واستعمال « مثل وغير » هكذا مركوز فى الطباع ، وإذا تصفحتَ الكلام وجدتهما يُقدَّمان أبداً على الفعل إذا نُحِىَ بهما نحو ما ذكرناه ، ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يقدَّما ، والسر فى ذلك أن تقديمهما يفيد تقَوِّى الحكم كما سبق تقريره ، وسيأتى أن المطلوب بالكناية فى مثل قولنا « مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود » هو الحكم [٥] وأن الكناية أبلغ من التصريح فيما قُصِد بها ، فكان تقديمهما أعون للمعنى الذى جُلِبا لأجله .

قيـل [٦] : « ... وقَـدْ يُقَـدَّمُ [٧] لأنَّـهُ دَالٌّ علـى

---

(١) هذا أيضاً بطريق الكناية كما فى لفظ « مثل » وهى من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم أيضاً ؛ لأنه إذا كان غيره هو الذى يفعله لزم أنه هو لا يفعله بحكم المقابلة ، وإذا كان غيره لا يفعله لزم أنه هو يفعله ؛ لأنه لا بد له من محل يقوم به .

(٢) لا يعنى به التعريض الآتى فى الكناية ، وإنما يعنى به قصد إنسان غير المخاطب على طريق الحقيقة كما سبق .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى من قوله :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إنْ قاتلوا جبنوا أو حدَّثوا شجعوا

يريد أنهم جبناء فى قتالهم شجعان فى حديثهم ، فلا تصدق أفعالُهم أقوالَهم .

(٤) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، والسحت : الحرام ، ويعنى بذلك أنه لا يجحد المعروف فيأكله سحتا ، وقوله « يشحب » من الشحوب وهو فى الأصل تغير اللون ، والأيادى : النعم .

(٥) لأنه من قسم الكناية التى يطلب بها نسبة .

(٦) ١٣ – المصباح « لبدر الدين بن مالك » المطبعة الخيرية وانظر طبعة مكتبة الآداب .

(٧) أى المسند إليه على الخبر الفعلى .

العمــــوم (١) كما تقول « كل إنسان لم يقم » فيقدَّم ليفيد نفيَ القيام عن كل واحد من الناس ؛ لأن الموجبة المعدولة المهمَلة (٢) فى قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفى الحكم عن جملة الأفراد دون كل واحدة منها ، فإذا سُوِّرت بكلٍّ وجبَ أن تكون لإفادة العموم لا لتأكيد نفى الحكم عن جملة الأفراد ؛ لأن التأسيس خير من التأكيد (٣) ولو لم تقدِّم فقلت « لم يقم كل إنسان » كان نفيًا للقيام عن جملة الأفراد دون كل واحد منها (٤) ؛ لأن السالبة المهمَلة (٥) فى قوة السالبة الكلية (٦) المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها فى سياق النفى (٧) ، فإذا سوِّرت بكلٍّ وجب أن تكون لإفادة نفى الحكم عن جملة الأفراد ؛ لئلا يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس . وفيه نظر ؛ لأن النفى عن جملة الأفراد فى الصورة الأولى – أعنى الموجبة المعدولة المهملة – كقولنا « إنسان لم يقم ، وعـــن كل فرد فى الصورة الثانية – أعنى السالبة المهملة – كقولنا « لم يقم إنسان » إنما أفاده الإسناد إلى إنسان ، فإذا أضيف « كل » إلى إنسان وحُوِّل الإسناد إليه ، فأفاد فى الصورة الأولى نفيَ الحكم عن جملة الأفراد ، وفى الثانية نفيه عن كل فرد منها ، كان « كل » تأسيساً لا تأكيداً لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر ، وما نحن فيه ليس كذلك ، ولئن

---

(١) لا يخفى أن دلالة التقديم هنا على العموم دلالة لغوية لا وجه لذكرها هنا ، وإن كانت تدل على دقة العربية فى ترتيب كلامها ، وإنما ينظر هنا إلى أن نحو « كل إنسان لم يقم » يفيد تقوية حكم العموم ، بخلاف نحو « لم يقم إنسان » فهو داخل فى تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، وما كان أغنى الخطيب عن الإطالة فى هذا البحث الذى لا صلة له بهذا العلم ، وإنما هو أشبه بعلم المنطق !!

(٢) المعدولة هى التى وقع النفى جزءاً من موضوعها أو محمولها ، والمهملة هى التى لم تسوَّر بسور كلى أو جزئى ، والمراد بالموجبة المعدولة المهـــملة هنا جملة « إنسان لم يقم » قبل دخول « كل » عليها ، فهى فى قوة السالبة الجزئية أى « لم يقم بعض الإنسان » فكل منهما يفيد نفى الحكم عن جملة الأفراد لا عن كل واحد منها .

(٣) يريد بالتأسيس إفادة معنى جديد ، وبالتأكيد خلافه .

(٤) هذا باعتبار الغالب ، وقد يتقدم النفى على « كل » ويــكون المعنى على عموم النفى ، كما فى قوله تعالى : ﴿ والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ آية ٢٧٦ سورة البقرة، وقيل : إن دلالة هذا ونحوه على عموم النفى ليس بأصل الوضع ، وإنما هو بمعونة القرائن .

(٥) هى جملة – ولم يقم إنسان .   (٦) هى جملة « لا شىء من الإنسان بقائم » .

(٧) لأن النكرة فى سياق النفى تعم .

سلَّمنا أنه يسمى تأكيداً (١) كقولنا « لم يقم إنسان » إذا كان مفيداً للنفى عن كل فرد كان مفيداً للنفى عن جملة الأفراد لا محالة ؛ فيكون (كل) فى « لم يقم كل إنسان » إذا جعل مفيداً للنفى عن جملة الأفراد تأكيداً لا تأسيساً ، كما قال فى « كل إنسان لم يقم » ، فلا يلزم من جعله للنفى عن كل فرد (٢) ترجيح التأكيد على التأسيس (٣) . ثم جعُله قولنا « لم يقم إنسان » سالبة مهملة فى قوة سالبة كلية مع القول بعموم موضوعها لوروده نكرةً فى سياق النفى خطأ ؛ لأن النكرة فى سياق النفى إذا كانت للعموم كانت القضية التى جُعلت هى موضوعاً لها سالبة كلية ، فكيف تكون سالبة مهملة (٤) ؟! ولو قال « لو لم يكن الكلام المشتمل على كلمة (كل) مفيداً لخلاف ما يفيده الخالى عنها لم يكن فى الإتيان بها فائدة » لثبت مطلوبه فى الصورة الثانية دون الأولى ، لجواز أن يقال : فائدته فيها الدلالة على نفى الحكم عن جملة الأفراد بالمطابقة (٥) .

* واعلم أن ما ذكره هذا القائل من كون « كل » فى النفى مفيدةً للعموم تارةً وغير مفيدة أخرى مشهور (٦) ، وقد تعرض له الشيخ **عبد القاهر** ، وغيره .

وقال الشيخ (٧) : « كلمة « كل » فى النفى إن أدخلَتْ فى حيزه بأن قُدِّمَ عليها لفظاً ، كقول أبى الطيِّب :

---

(١) بألاَّ يراد للتأكيد الاصطلاحى ، وإنما يراد به أن « كل » أفادت معنى كان مستفاداً قبلها ، ويقصد الخطيب أنه إذا سلم هذا صح توجيهه فى الصورة الأولى دون الثانية .

(٢) أى لا يلزم من جعل « لم يقم كل إنسان » لعموم السلب مثل « لم يقم كل إنسان » .

(٣) إذ لا تأسيس مع هذا أصلاً ، وإنما يلزم ترجيح أحد التأكيدين على الآخر بلا مرجح وهو باطل ، ويكون هذا هو التوجيه الصحيح فى الصورة الثانية لا ما ذكره من لزوم ترجيح التأكيد على التأسيس .

(٤) أجيب عن هذا بأنه جرى على اصطلاح علم المنطق ؛ لأن هذه القضية خالية من سور السلب الكلى ، وهو « لا شىء » ونحوه ، فتكون مهملة لا سالبة كلية .

(٥) لأن قولنا « إنسان لم يقم » يدل بالمطابقة على نفى الحكم عن بعض الأفراد ، ولا يحتمل المجموع إلا بدلالة الالتزام ، أما « كل إنسان لم يقم » فإنه إذا جعل لنفى الحكم عن المجموع تكون دلالته عليه بالمطابقة .

(٦) فهو مسلم فى ذاته ، ولم يرد الخطيب بما سبق إلا إبطال توجيه ابن مالك له ؛ لأنه يرجع فى الحقيقة إلى أصل الوضع ، لا إلى تلك التكلفات المنطقية السابقة .

(٧) ١٨٦ – دلائل الإعجاز .

* ما كلُّ ما يتمنّى المرءُ يدركه (١) *

وقول الآخر :

* ما كل رأْيِ الفتى يدعو إلى رشد (٢) *

وقولنا : ما جاء القوم كلهم ، وما جاء كل القوم ، ولم آخذ الدراهم كلها ، ولم آخذ كل الدراهم ، أو تقديراً (٣) ؛ بأن قُدِّمتْ على الفعل المنفى وأعملَ فيها ؛ لأن للعامل رتبته التقدم على المعمول ، كقولك « كل الدراهم لم آخذ » توجَّهَ النفى (٤) إلى الشمول خاصةً دون أصل الفعل ، وأفاد الكلام ثبوته لبعض أو تعلقه (٥) ببعض .

وإن أُخرجتْ من حيزه بأنْ قُدمت عليه لفظًا ولم تكن معمولة للفعل المنفى تَوجَّه النفى إلى أصل الفعل ، وعَمَّ ما أضيف إليه « كل » كقول النبى ﷺ لما قال له ذو اليدين (٦) : « أقُصرتِ الصلاةُ أم نسيتَ يا رسول الله ؟ » : « كلُّ ذلك لم يكن » أى لم يكن واحد منهما : لا القصر ولا النسيان . وقول أبى النجم :

قد أصبحتْ أمُّ الخيار تدَّعى   علىَّ ذنبا كلُّهُ لم أصنعِ (٧)

ثم قال : وعلة ذلك أنك إذا بدأتَ « بكل » كنتَ قد بنيت النفى عليه وسَلَّطْتَ الكلية على النفى وأعملتها فيه ، وإعمال معنى الكلية فى النفى يقتضى ألاَّ يَشِذَّ شىء عن النفى ، فاعرفه . » هذا لفظه ، وفيه نظر (٨) .

---

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى من قوله :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

والمشهور رواية « كل » بالرفع ، وقد جوز ابن جنى نصبها على الاشتغال .

(٢) هو لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبى العتاهية من قوله :

ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد   إذا بدا لك رأى مشكل فَقِفِ

(٣) معطوف على « لفظا » .   (٤) هذا جواب – إن .

(٥) إفادة الثبوت فيما يكون « كل » فيه فاعلاً فى المعنى ، وإفادة التعليق فيما يكون فيه مفعولاً فى المعنى .

(٦) هو الحرباق أو العرباض بن عمرو .

(٧) هو للفضل بن قدامة المعروف بأبى النجم ، والرواية برفع « كله » على أنه مبتدأ خبره جملة « لم أصنع » ، والرابط محذوف أى لم أصنعه .

(٨) لعل وجه النظر ما قيل إن تمثيله بما جاء القوم كلهم ليس بجيد ؛ لأن « كلهم » هنا ليس مسنداً ولا مسنداً إليه بل هو تأكيد ، ولكن سلب العموم هنا فى الألف واللام فى =

وقيل : إنما كان التقديم مفيداً للعموم دون التأخير لأن صورة التقديم تُفهم سلبَ لحوق المحمول للموضوع [(١)] وصورة التأخير تفهم سلب الحكم من غير تعرض للمحمول بسلب أو إثبات . وفيه نظر أيضا ؛ لاقتضائه ألاّ تكون « ليس » في نحو قولنا « ليس كل إنسان كاتباً » مفيدةً لنفي كاتب ، هذا إنْ حُمِل كلامه على ظاهره ، وإنْ تُؤوِّلَ بأنَّ مراده أن التقديم يفيد سلب لحوق المحمول عن كل فرد ، والتأخير يفيد سلب لحوقه لكل فرد ، اندفع هذا الاعتراض ، لكن كان مصادرة على المطلوب [(٢)] .

واعلم أن المُعْتَمدَ في المطلوب الحديثُ وشعرُ أبي النجم ، وما نقلناه عن الشيخ عبد القاهر وغيره لبيان السبب ، وثبوتُ المطلوب لا يتوقف عليه ، والاحتجاج بالخبر من وجهين : أحدهما أن السؤال بـ(أم) عن أحد الأمرين لطلب التعيين بعد ثبوت أحدهما عند المتكلم على الإبهام ، فجوابه إما بالتعيين أو بنفي كل واحد منهما [(٣)] . وثانيهما ما رُويَ أنه لما قال رسول الله ﷺ : « كل ذلك لم يكن » قال له ذو اليدين : « بعض ذلك قد كان » ، والإيجاب الجزئي نقيضه السلب الكلي ، وبقول [(٤)] أبي النجم ما أشار إليه الشيخ عبد القاهر ، وهو أن الشاعر فصيح « والفصيح الشائع في مثل قوله نصبُ كُلّ [(٥)] وليس فيه ما يكسر له وزنا ، وسياق كلامه أنه لم يأت بشيء

= القوم ، ومثله في هذا تمثيله بلم آخذ الدراهم كلها ، وإني أرى أن المثالين من باب عموم السلب لا من باب سلب العموم ، و « كل » فيهما تفيد شمول النفي كما تفيد شمول الإثبات في نحو « جاء القوم كلهم » لأن الغرض من التوكيد واحد فيهما ، وهو إفادة الشمول في النسبة إثباتا كانت أو نفيا .

(١) المراد بالموضوع لفظ (إنسان) في قولنا « كل إنسان لم يقم » ، وليس « كل إنسان قائماً » لا لفظ « كل » وهذا اصطلاح أهل المنطق ، إنما أفادت صورة التقديم ذلك لاتصال النفي فيه بالمحمول دون الحكم ؛ لأنها موجبة معدولة المحمول .

(٢) لأن الدليل حينئذ يكون عين المطلوب .

(٣) والجواب لم يحصل بالتعيين ، فتعين أنه بنفي واحد منهما ، وهذا هو عموم السلب .

(٤) معطوف على قوله « بالخبر » ، فهو متعلق بالاحتجاج مثله .

(٥) لأن في الرفع تهيئة العامل للعمل ثم قطعه عنه ، وذلك ضعيف غير فصيح ، بل ذهب ابن هشام وغيره إلى منعه ، وقد أجازه سيبويه احتجاجا بقول الشاعر :

ثلاث كلهن قتلت عمداً

هذا ومما جاء فيه تقديم « كل » على النفي وتأخيرُها عنه قول دعبل الخزاعي : =

مما ادَّعت عليه هذه المرأة ؛ فلو كان النصب مفيداً لذلك والرفع غير مفيد لم يعدل عن النصب إلى الرفع من غير ضرورة .

ومما يجب التنبه له في فصل التقديم أصلٌ ؛ وهو أن تقديم الشىء على الشيء [1] **ضربان** :

تقديمٌ على نية التأخير ، وذلك في شيء أقرَّ مع التقديم على حكمه الذى كان عليه ؛ كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل ؛ كقوله « قائم زيد ، وضرب عمرا زيد » فإن « قائم وعمرا » لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا مسنداً ومرفوعا بذلك ، وكون هذا مفعولاً ومنصوباً من أجله .

وتقديمٌ لا على نية التأخير ، ولكن على أن ينقلَ الشيء عن حكم إلى حكم ، ويُجْعَل له إعراب غير إعرابه ، كما في اسمين يحتمل كل منهما أن يجعل مبتدأ والآخر خبراً له ، فَيُقَدَّمُ تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا ؛ كقولنا « زيد المنطلق ، والمنطلق زيد » فإن المنطلق لم يقدم على أن يكون متروكا على حكمه الذى كان عليه مع التأخير ؛ فيكون خبر مبتدأ كما كان ؛ بل على أن ينقل عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ ، وكذا القول في تأخير زيد .

أغراض التأخير : وأما تأخيره فلاقتضاء المقام تقديم المسند [2] .

= فوالله ما أدرى بأى سهامها ... رمتنى وكلٌّ عندنا ليس بالمكدى
أبالجيد أم مجرى الوشاح وإننى ... لأتهم عينيها مع الفاحم الجَعدِ

وقول أبى الأسود :

وما كل ذى لب بمؤتيك نُصحَهُ ... وما كُلَّ مؤتٍ نُصحه بلبيبِ

وقول الآخر :

إن المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يُكرَما

(١) هذا تقسيم قد مهد به عبد القاهر في « دلائل الإعجاز » للكلام على التقديم والتأخير ، وهو عام في تقديم المسند إليه وتقديم المسند وتقديم غيرهما ، وتقديم المسند إليه يكون دائما من القسم الثاني ؛ لأن رتبته التقديم فلا يأتي فيه تقديم على نية التأخير .

(٢) سيأتي في الكلام على المسند بيان أغراض تقديمه ، وذلك كتخصيصه بالمسند إليه في نحو قوله تعالى : ﴿ لكم دينكم وليَ دين ﴾ آية ٦ سورة الكافرون ، وكالتشويق إلى ذكر المسند في قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ... شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقمرُ

تمرينات على التقديم والتأخير

تمرين – ١

١ – لماذا قدم المسند إليه فى قول الشاعر :

أنا لا أختارُ تَقبيل يدٍ　　قطعُها أجملُ من تلك القبل

٢ – لماذا أخِّر المسند إليه أولاً وقُدم ثانيا فى قوله تعالى : ﴿ لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون ﴾ آية ٤٧ سورة الصافات .

تمرين – ٢

١ – أى الأمرين « التخصيص وتقوية الحكم » يقصد من قول الشاعر :

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى　　وأسمعتْ كلماتى مَن به صمَمُ

٢ – لماذا أخر المسند إليه أولاً وقدم آخراً فى قول الشاعر :

وكالنار الحياةُ فمِن رمادٍ　　أواخرها وأوّلها دخانُ

تمرين – ٣

١ – ماذا تدل عليه « سوى » من الكناية أو الحقيقة فى قول الشاعر :

وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشْتَرَى　　فسِواكَ بائعُها وأنتَ المشترِى .

٢ – ماذا تدل عليه « كل » من سلب العموم أو عموم السلب فى قولهم « ما كل سوداء تمرة ، وما كل بيضاء شحمة » .

تمرين – ٤

١ – لماذا أخر « كل » على النفى فى قول الشاعر :

فيالك مِن ذى حجة حيلَ دونها　　وما كل ما يهوَى امرؤٌ هُوَ نائِلُهْ

٢ – لماذا قدم المسند إليه فى قول الشاعر :

خيرُ الصنائع فى الأنامِ صـــنيعةٌ　　تنبو بحاملـــــها عن الإذلال

تمرين – ٥

١ – لماذا قدمت « سوى وغير » فى قول الشاعر :

سواى بتحنان الأغاريد يطرَبُ   وغيرى باللذات يلهو ويلعبُ

٢ – لماذا أخر المسند إليه فى قول الشاعر :

إذا نطق السفيه فلا تُجِبْهُ   فخيرٌ مِن إجابته السكوتُ

تمرين – ٦

١ – ما أحسنُ طريقٍ يُختار فى إثبات إفادة « كل » عموم السلب إذا وقعت قبل النفى ، وسلب العموم إذا وقعت بعده ؟

٢ – أىُّ فائدة لتقسيم عبد القاهر التقديم إلى تقديم على نية التأخير وتقديم لا على نية التأخير ؟

تمرين – ٧

قال بعض الشعراء :

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهـــمٍ   وبألفِ ألفٍ تُرزق الأمواتُ !!

١ – فلماذا أتى بالشطر الأول جملة اسمية خبرها فعلى دون الثانى ؟

٢ – من أى قسمى التقديم قوله تعالى : ﴿ قال أراغبٌ أنت عن آلهتى يا إبراهيم ﴾ آية ٤٦ سورة مريم ٠

تمرين – ٨

١ – لماذا أخر المسند إليه فى قول الشاعر :

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل   عفافٌ وإقدامٌ وحـزمٌ ونائل

٢ – لماذا قُدِّم المسند إليه فى قول الشاعر :

وما أنا ممن تأسِر الخـمرُ لبَّهُ   ويملك سمعيه اليراعُ المثقَّبُ

* * *

تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر

وضع المضمر موضع المظهر :

هذا كله مُقْتَضَى الظاهر [1] وقد يُخَرَّج المسند إليه على خلافه ؛ فَيُوضع المضمر موضع المظهر ، كقولهم ابتداءً من غير جرْيِ ذكْر لفظاً أو قَرِينَة حال : « نعْمَ رجلا زيد ، وبئس رجلا عمرو » مكان « نعم الرجل وبئس الرجل » ، على قول من لا يرى الأصل « زيد نعم رجلا ، وعمرو بئس رجلا » [2] وقولهم « هو زيد عالم ، وهو عمرو شجاع » [3] مكان « الشأن زيد عالم ، والقصة عمرو شجاع » ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه [4] ؛ فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقى مُنتظراً لعُقبَى الكلام كيف تكون ؟ فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن ، وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أحدٌ ﴾ [5] وقال : ﴿ إنّه لا يُفلح الكافِرُون ﴾ [6] وقال : ﴿ فإنَّها لا تَعْمَى الأَبْصَارُ ﴾ [7] .

---

(١) أى مقتضى ظاهر الحال على ما سبق فى باب الإسناد الخبرى ، واسم الإشارة يعود إلى كل ما سبق من الكلام على أحوال المسند إليه ، وقيل إنه يستثنى منه توجيه الخطاب لغير معين ؛ لأنه من تخريجه على خلاف مقتضى الظاهر .

(٢) من لا يراه يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ؛ فيكون الضمير الفاعل عائداً على معقول معهود فى الذهن ، وأما الذى يرى أن الأصل « زيد نعم رجلا » فلا يكون عنده من التخريج على خلاف مقتضى الظاهر ؛ لأنه يجعل المخصوص مبتدأ مؤخراً ، وما قبله خبراً عنه ، فيكون الضمير الفاعل عائداً على مذكور متقدم رتبةً .

(٣) الأوْلى أن يذكر بدله « وهى هند مليحة » لأن ضمير القصة لا بد معه من أن يكون فى الكلام مؤنث غير فضلة أو شبيه بها ، فلا يقال « إنها بنيت عرفة » ولا « إنها كان القرآن الكريم معجزة » .

(٤) هذا هو الاعتبار الذى اقتضى تخريج المسند إليه فى ذلك على خلاف مقتضى الظاهر ، ولكنه لا يأتى فى باب « نعم » لأنه لا يعلم أن فيها ضميراً قبل سماع مفسره ، ومثل ضمير « نعم » وضمير الشأن فى ذلك كل ضمير يتقدم مرجعه حكماً ويتأخر لفظاً ورتبة ، كما فى قولك « رُبَّه فتى » وكما فى قوله تعالى : ﴿ وأسرّوا النجوى الذين ظلموا ﴾ آية ٣ سورة الأنبياء ، وكما قال الشاعر :

جفونى ولم أجفُ الأخلاء إننى ... لغَير جميلٍ من خليلى مهمل

(٥) سورة الإخلاص : الآية ١ . (٦) سورة المؤمنون : الآية ١١٧ .

(٧) سورة الحج : الآية ٤٦ .

وضع المظهَر موضع المضمَر :

وقد يُعكس فَيُوضَعُ المظهر موضع المضمر ، فإن كان المظهر اسم إشارة فذلك إما لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكمٍ بديع كقوله :

كم عاقلٍ عاقلٍ أعْيتْ مذاهبهُ ... وجاهلٍ جاهلٍ تلـقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الأوهامَ حائرةً ... وصيَّر العَالِمَ النِّحْريرَ زِنْديقَا (١)

وإما للتهكم بالسامع : كما إذا كان فاقدَ البصر أو لم يكن ثَمَّ مشار إليه أصلاً (٢) ؛ وإما للنداء على كمال بلادته بأنه لا يدرِك غير المحسوس بالبصر ، أو على كمال فطانته بأنّ غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره ، وإما لادعاء أنه كمل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر . ومنه فى غير باب المسند إليه قوله :

تعاللتِ كى أشْجَى وما بكِ علةٌ ... تريدين قتلى ، قد ظفرتِ بذلكِ (٣)

وإما لنحو ذلك (٤) .

* وإن كان المظهَرُ غيرَ اسم إشارة فالعدول إليه عن المضمَر إما لزيادة

---

(١) هما لأحمد بن يحيى المعروف بابن الرَّاوندى ، وكان يرمى بالزندقة ، وقيل إنه كان من المتصوفة ، وكل من « عاقل » الثانية و « جاهل » الثانية صفة للأولى منهما على معنى كامل العقل وكامل فى الجهل ، وليس ذلك من التأكيد اللفظى ؛ لأنه إنما يكون لدفع توهم سهو أو نحوه وهو غير محتمل هنا ، وقوله - « أعيت مذاهبه » بمعنى أعجزته طرق معاشه أو أعيت عليه متعدية أو لازمة ، والأوهام يراد بها العقول من تسمية المحل باسم الحال على المجاز المرسل ، والنحرير من « نحر الأمور علماً » أتقنها ، والزنديق الذى يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، والشاهد فى اسم الإشارة لأنه يعود إلى الحكم السابق عليه ، وهو كون العاقل محروما والجاهل مرزوقا ؛ فالمقام للضمير لأن هذا الحكم غير محسوس ، واسم الإشارة موضوع للمحسوس والحكم البديع الذى أسند إلى اسم الإشارة هو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا .

(٢) كأن يقول لك أعمى : أتشهد أن زيداً ضربنى ؟ فتقول له : نعم ، ذلك الذى فى جانبك » سواء أكان فى جانبه أم لم يكن .

(٣) هو كما رواه المبرد لمرة بن عبد الله الهلالى ، وقوله « تعاللت » بمعنى ادعاء العلة . وقوله « أشجى » بمعنى أحزن ، والشاهد فى وضع اسم الإشارة موضع الضمير لأن الظاهر أن يقال قد ظفرت به أى بالقتل ، والداعى إلى ذلك هو ادعاء كمال ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر .

(٤) كالإشارة إلى بُعده ، ويمكن أن يحمل عليه ما فى البيت السابق أيضاً ؛ بأن يكون مراده به الإشارة إلى بعد قتله لكمال شجاعته .

التمكين (١) كقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحدٌ ، الله الصمدُ ﴾ (٢) ونظيره من غيره قوله : ﴿ وبالحقِّ أنزلناهُ وبالحقِّ نزل ﴾ (٣) ، وقوله ﴿ فبدَّلَ الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا ﴾ (٤) .

وقول الشاعر :

* إن تسألوا الحقَّ نُعطِ الحقَّ سائلهُ (٥) *

بدل « نعطيكم إياه » .

وإما لإدخال الرَّوْع فى ضمير السامع وتربية المهابة ، وإما لتقوية داعى المأمور (٦) . مثالهما قول الخلفاء : « أمير المؤمنين يأمرك بكذا » . وعليه من غيره : ﴿ فإذا عزمتَ فتوكَّلْ على الله ﴾ (٧) .

وإما للاستعطاف ، كقوله :

* إلهى عبدُك العاصى أتاكا * (٨)

---

(١) هذا إذا كان المقام يقتضى الاعتناء بالمسند إليه .

(٢) سورة الإخلاص : الآية ١ ، ٢ . (٣) سورة الإسراء : الآية ١٠٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٥٩ .

(٥) لعبد الله بن عنمة الضبى من قوله :

إن تسألوا الحق نعط الحق سائله والدرع محقبة والسيف مقروب

والمحقبة : المشدودة فى الحقبة ، والمقروب : الموضوع فى قرابه ، وسيأتى هذا البيت مع بيت قبله فى شواهد الالتفات .

(٦) أى إلى امتثال ما أمر به .

(٧) آية ١٥٩ سورة آل عمران ؛ لأنه لم يقل فيه « فتوكل علىّ » ولكنه من باب تقوية داعى المأمور إلى الامتثال ، لا من باب إدخال الروع فى ضمير السامع ؛ لأن الاطمئنان بالتوكل لا يناسبه الروع من المطمأن إليه .

(٨) هو لإبراهيم بن أدهم من مقطوعة مطلعها :

هجرتُ الخلق طراً فى هواكا وأيتمتُ العيال لكى أراكا

إلى أن يقول :

إلهى عبدك العاصى أتاكا مقراً بالذنوب وقد دعاكا

فإنْ تَغفر فأنتَ لذاك أهلٌ وإن تطرد فمَنْ يرحَمْ سواكا

والشاهد فى قوله « عبدك » فلم يقل أنا أتيتك .

وإما لنحو ذلك (١).

الالتفات :

قال السكاكي (٢) : هذا (٣) غير مختص بالمسند إليه ، ولا بهذا القدر (٤) ، بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقا (٥) يُنقل كل واحد منها إلى الآخر ، ويُسَمَّى هذا النقل « **التفاتاً** » عند علماء المعاني (٦) كقول ربيعة بن مَقْرُوم :

بانت سعادُ فأ مسى القلبُ معموداً وأخلفتكَ ابنةُ الحُرِّ المواعيدا (٧)

فالتفت كما ترى حيث لم يقل « وأخلفتني » . وقوله :

تذكرتَ والذكرى تَهيجُكَ زينبا وأصبحَ باقي وَصْلها قد تَقَضَّبَا
وَحَلَّ بفَلْجٍ فالأبَاترِ أهلُنا وشطّتْ فَحَلَّتْ غَمْرةً فمُثَقَّبا (٨)

---

(١) كأن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف ، نحو قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم ﴾ إلى أن قال : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ﴾ آية ١٥٨ سورة الأعراف ، وكأن يكون المعنى على الإظهار هو المراد ؛ نحو قول الله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ﴾ آية ٧٧ سورة الكهف ؛ لأن جملة ﴿ استطعما أهلها ﴾ صفة قرية وليست صفة أهل ؛ لأنه مَسوق للتحدث عن القرية وجدارها لا عن أهلها ، وليست أيضاً جوابا لإذا ؛ لأن جوابها قوله بعد : ﴿ قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ فوضع المظهر موضع المضمر لأن الصفة جارية على غير من هي له .

(٢) ١٠٦ – المفتاح .

(٣) أي النقل من الحكاية إلى الغيبة .

(٤) أي ولا النقل مطلقا مختص بهذا القدر ، وهو النقل من الحكاية إلى الغيبة ، وإنما أُولت عبارته هذا التأويل لما في ظاهره من التهافت .

(٥) أي في المسند إليه وغيره ، وحيث سبق التعبير بأحدها ثم عبر بالآخر على خلافه أو لم يسبق ، كما سيأتي .

(٦) بعضهم يجعل منه التعبير بالمضارع عن الماضي وعكسه ، والانتقال من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجماعة إلى الآخر منها .

(٧) المعمود : الحزين ، وابنة الحر : هي سعاد من وضع المظهر موضع المضمر ، ويجوز أن يكون الخطاب في قوله « وأخلفتك » تجريداً لا التفاتا على ما هو الجلي من الفرق بينهما ؛ لأن مبنى التجريد على المغايرة لأنه يجرد من الشخص شخصاً آخر ، ومبنى الالتفات على اتحاد المعنى ، وكذلك يقال في كل ما أشبه هذا الخطاب .

(٨) هما لربيعة بن مقروم أيضا ، وقوله « والذكرى تهيجك » معترض بين الفعل =

فالتفتَ فى البيتين .

* والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها (١) . وهذا أخص من تفسير السكاكى ؛ لأنه أراد بالنقل أنْ يُعَبَّر بطريق من هذه الطرق عما عُبِّرَ عنه بغيره ، أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها (٢) ؛ فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس (٣) .

مثال الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ وما لِىَ لا أعبدُ الذى فطرنى وإليه ترجعون ﴾ (٤) .

= ومفعوله وقوله « تقضب » بمعنى انقطع ، وفلج والأباتر وغمرة ومثقب : مواضع ، وقوله « شطت » بمعنى بعُدت ، والالتفات فى البيت الأول من التكلم إلى الخطاب ، ويجوز حمله على التجريد كما سبق ، والالتفات فى البيت الثانى من الخطاب إلى التكلم .

(١) يجب فيه أيضا أن يكون التعبير الثانى على خلاف ما يقتضيه ظاهر السياق وإن كان موافقا لظاهر المقام ؛ فلا يُعد منه الخطاب الثانى فى قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ آية ٥ سورة الفاتحة ، وإنما حصل الالتفات بالأول فقط وجرى الثانى على سياقه ، وكذلك لا يعد منه الانتقال من التكلم إلى الغيبة فى قول الشاعر :

نحن اللذون صبَّحوا الصباحا يومَ النُّخَيْل غارةً ملحاحا

لأن الموصول من الاسم الظاهر وهو يدل على الغيبة ، ومقتضى سياقه أن يعود الضمير عليه من الصلة بطريق الغيبة أيضاً ، ويعد منه الانتقال من الغيبة إلى الخطاب فى قوله تعالى : ﴿ عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزَّكى ﴾ آية ١ و ٢ و ٣ سورة عبس ، وإن كان الخطاب ظاهر المقام ؛ لأنه خلاف ظاهر السياق .

(٢) يعنى : أو لم يعبر عنه بغيره وكان مقتضى الظاهر إلخ . وهذا الشق الثانى هو الذى ينفرد فيه الالتفات عند السكاكى عن الالتفات عند الجمهور ؛ كالالتفات من التكلم إلى الخطاب فى الشاهدين السابقين لربيعة بن مقروم ، والجمهور يجعلونه من التجريد لا من الالتفات ، والخطب فى هذا سهل .

(٣) أى لغوى لا منطقى لصحة العكس المنطقى هنا بخلاف اللغوى ؛ لأنه يؤدى إلى أن يكون كل التفات عند السكاكى التفاتا عند الجمهور ، وهو باطل .

(٤) آية ٢٢ سورة يس . فالسياق يقتضى « وإليه أرجع » وإن كان الخطاب هو ظاهر المقام ؛ لأن قوله ﴿ وما لى لا أعبد ﴾ تعريض بالمخاطبين ، والمراد « وما لكم لا تعبدون » . وقيل : إنه لا التفات فى قوله ﴿ وإليه ترجعون ﴾ لأنه يجوز إرادة المخاطبين فلا يكون فى معنى « وإليه أرجع » ، وقيل : إن فى قوله ﴿ وما لى ﴾ التفاتا ، والحق أنه من التعريض لا من الالتفات . ومن الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ قُلْ إنى أمرتُ أنْ أكونَ أوَّلَ منْ أسلمَ ولا تكوننَّ من المشركين ﴾ آية ١٤ سورة الأنعام ، وهو أظهر من الآية السابقة .

ومن التكلُّم إلى الغيبة (١) قولُه تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ، فصَلِّ لربك وانْحَرْ ﴾ (٢) .

ومن الخطاب إلى التكلم قول علقمة بن عبدة :

طَحَا بكَ قلبٌ فى الحسان طَروبُ بُعَيْدَ الشباب عَصْرَ حان مَشيبُ
يكلِّفُنى ليْلَى وقد شَطَّ وَلْيُها وعادتْ عوادٍ بيننا وخطوبُ (٣)

ومن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى : ﴿ حتى إذا كُنتم فى الفلك وجرَيْن بهم ﴾ (٤) .

ومن الغيبة إلى التكلم قوله تعالى : ﴿ واللهُ الذى أرْسَل الرِّياح فتُثيرُ سحابا فسُقْناه ﴾ (٥) .

ومن الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿ مالكِ يوم الدين إياك نعبُدُ ﴾ (٦) . وقول عبد الله بن عَنمة :

ما إن ترى السّيد زيداً فى نفوسهمُ كما يراه بنو كُوز ومرهوبُ
إنْ تسألوا الحقَّ نعطِ الحقَّ سائله والدّرعُ مُحْقَبَةٌ والسيفُ مقروبُ (٧)

---

(١) المراد بالغيبة ما يشمل الاسم الظاهر كما فى الآية ، وكان السياق فيها أن يقال : « فصل لنا وانحر » .

(٢) سورة الكوثر : الآية ١ و ٢ .

(٣) قوله « طحا » بمعنى ذهب وأتلف . وطروب بمعنى أن له طربا ونشاطا فى طلبهم ، وقوله « يكلفنى » ضميره يعود إلى القلب ، وروى « تكلفنى » فيجوز أن يكون فاعله القلب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ويجوز أن يكون فاعله « ليلى » بمعنى أنها تكلفه شدائد فراقها . وقوله « شط وليها » بمعنى بعد قربها ، وقوله « عادت عواد » بمعنى رجعت عوائق كانت تحول بيننا إلى ما كانت عليه ، ويجوز أن تكون « عادت » من المعاداة . والشاهد فى قوله « يكلفنى » لأن الأصل « يكلفك » على مقتضى السياق ، أما قوله « طحا بك » فهو التفات أو تجريد على ما سبق .

(٤) سورة يونس : الآية ٢٢ . (٥) سورة فاطر : الآية ٩ .

(٦) سورة الفاتحة : الآية ٤ و ٥ .

(٧) السيد وزيد وكوز ومرهوب : أحياء من ضبة قوم الشاعر . يريد أن السيد لا يوجبون لزيد فى نفوسهم من الحرمة والنصرة ما يوجبه كوز ومرهوب ، والضمير فى قوله « تسألوا » لزيد وفيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، والمحقبة : المشدودة فى الحقيبة ، والمقروب : الموضوع فى قرابه ، وبعد البيتين :

وإن أبيتم فإنا معشر أنف لا نطعمُ الخَسْفَ إن السمَّ مشروب

وأما قول امرىء القيس :

تَطَاوَلَ ليلُكَ بالأثمــد ونامَ الخَلىُّ ولَــمْ ترقُدِ
وباتَ وباتتْ له ليــلةً كليلة ذى العــاثر الأرْمَدِ
وذلك من نبأٍ جــاءنى وُخبِّرتُه عن أبى الأسودِ (١)

فقال الزمخشرىُّ « فيه ثلاث التفاتات » (٢) وهذا ظاهر على تفسير السكاكى لأن على تفسيره فى كل بيت التفاتة ، لا يقال : الالتفات عنده من خلاف مقتضى الظاهر ؛ فلا يكون فى البيت الثالث التفات لوروده على مقتضى الظاهر ؛ لأننا نمنع انحصار الالتفات عنده فى خلاف المُقْتَضى (٣) لما تَقدَّم (٤) ؛ وأما على المشهور (٥) فلا التفات فى البيت الأول ، وفى الثانى التفاتة واحدة ، فيتعين أن يكون فى الثالث التفاتتان ، فقيل : هما فى قوله « جاءنى » إحداهما باعتبار الانتقال من الخطاب فى البيت الأول ، والأخرى باعتبار الانتقال من الغيبة فى الثانى . وفيه نظر ؛ لأن الانتقال إنما يكون من شىء حاصل مُلْتَبَس به ؛ وإذ قد حصل الانتقال من الخطاب فى البيت الأول إلى الغيبة فى الثانى لم يبق الخطاب حاصلاً ملتبَسًا به ؛ فيكون الانتقال إلى التكلم فى الثالث من الغيبة وحدها لا منها ومن الخطاب جميعاً ؛ فلم يكن فى البيت الثالث إلا التفاتة واحدة ، وقيل : إحداهما فى قوله « وذلك » لأنه التفات من الغيبة

---

(١) هى لامرىء القيس حندج بن حجر ، وقيل : إنها لامرىء القيس بن عابس فى رثاء ابن عمه أبى الأسود . والأثمد : اسم موضع ، وقوله « وبات وباتت له ليلة » بات الأولى فيه تامة ، والثانية يجوز أن تكون ناقصة وأن تكون تامة ، والعاثر : قذى العين ، وأبو الأسود : كنية أبيه حجر ملك بنى أسد ، والخبر الذى خُبره عنه خبرُ قتلهم له .

(٢) الالتفات الأول فى قوله « ليلك » من التكلم إلى الخطاب ، وكافها مفتوحة أو مكسورة على ما سيأتى ، وهو الذى يأتى على مذهب السكاكى ، والالتفات الثانى فى قوله « وبات » من الخطاب إلى الغيبة ، والالتفات الثالث فى قوله « جاءنى » من الغيبة إلى التكلم .

(٣) يعنى خلاف مقتضى ظاهر المقام .

(٤) من أن الالتفات عنده ينقسم إلى ما يجرى على خلاف ظاهر المقام وإن لم يجر على خلاف السياق ، وهو يخالف فيه الجمهور ، وإلى ما يجرى على خلاف السياق ، وإن لم يخالف ظاهر المقام ، وهو الذى يوافق فيه الجمهور .

(٥) قد ذكروا أن مذهب السكاكى فى الالتفات هو مذهب الزمخشرى؛ فلا معنى لتكلف تحقيق الالتفات الذى ذكره فى البيتين على مذهب الجمهور؛لأن مذهبه يخالف مذهبهم.

إلى الخطاب (١) والثانية فى قوله : « جاءنى » لأنه التفات من الخطاب إلى التكلم ، وهذا أقرب .

* واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام، ووجهُ حُسنه على ما ذكر الزمخشرى هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب (٢) كان ذلك أحسن تطريةً (٣) لنشاط السامع وأكثر إيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد (٤) .

وقد تختص مواقعه بلطائف (٥) كما فى سورة الفاتحة (٦) ؛ فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاكرة لما هو فيه بقــوله : ﴿ الحمدُ لله ﴾ الدال على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق به ، وجد من نفسه لا مَحالة محركا للإقبال عليه ، فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله ﴿ رَبِّ العالمين ﴾ الدَّالِّ على أنه

---

(١) الالتفات فى « ذلك » متكلف ، لأنه لا دليل على أنه يعنى بالخطاب فيها نفسه ، بل الظاهر أن المعنيَّ بها غير المتكلم ، ولهذا لم ينظر إليها قبل هذا التكلف .

(٢) إنما خص بيان محاسن الالتفات بما فيه نقل من أسلوب إلى أسلوب لأنه هو الغالب فيه ، أما الالتفات الذى انفرد به السكاكى فوجه حسنه أن المخاطب إذا سمع خلاف ما يترقب نشط وأصغى إليه ، وقد قيل : إن الالتفات على هذا يكون من المحسنات البديعية ، فلا يصح ذكره هنا لأن حُسنه يرجع إلى ما ذكره الزمخشرى ، ولا يرجع إلى اقتضاء المقام ، وأجيب بتسليم أنه من المحسنات البديعية ، ولكن هذا لا يمنع من إدخاله فى علم المعانى عند اقتضاء المقام لفائدته من طلب مزيد الإصغاء لكون الكلام دعاء أو مدحا أو نحوهما ، والحق أن مثل هذا يكون شرطا لحسنه ولا يقتضى وجوبه فى البلاغة ، فلا يصح أن يُعَدَّ به من علم المعانى .

(٣) أى تجديداً ، تقول « طَريتُ الثوب » إذا عملت ما يجعله طريا كأنه جديد .

(٤) أورد ابن الأثير على ما ذكره الزمخشرى من ذلك أنه لو كان صحيحاً لما حسن الالتفات إلا فى الكلام الطويل ، مع أنه قد أتى فى القرآن حيث لا يمكن أن يقال إن الكلام قد طال ، ثم ذكر أن الالتفات لا يكون إلا لفائدة اقتضته ، وأن تلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، ولكنها لا تُحد ولا تُضبط بضابط ، وإنما يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها ، كما سيأتى فى سورة الفاتحة ، ولكنه عاد فذكر أنه لا ينكر أن فى الانتقال من أسلوب إلى أسلوب اتساعا وتفننا فى أساليب الكلام ، مع أنه قد يكون لمقصد آخر معنوى هو أعلى وأبلغ ، ولا يخفى أن مثل هذا لا يخالفه فيه الزمخشرى ؛ لأنه فيما ذكره من ذلك لم يُرِدْ إلا بيان وجه عام لحسن الالتفات ، ولا يمنع أن تختص مواقعه بلطائف أخرى خاصة .

(٥) قيل : إنه يلزم أن يلتمس ذلك فى كل التفات ، وقيل : إنه لا يلزم أن يكون له فى كل مقام نكتة خاصة .

(٦) سورة الفاتحة : الآية ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

مالك للعالمين لا يخرج منهم شيء عن ملكوته وربوبيته ، قوىَ ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ الدال على أنه منعم بأنواع النعم : جلائلها ودقائقها تضاعفت قوة ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام وهي قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ الدَّال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء تناهت قوته ، وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات [1] .

وكما في قوله تعالى : ﴿ ولوْ أنهم إذ ظلمُوا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفرَ لهمُ الرسولُ ﴾ [2] لم يقل « واستغفرت لهم » وعدل عنه إلى طريق الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله ﷺ ، وتعظيماً لاستغفاره ، وتنبيهاً على أن شفاعة مَن اسمُهُ الرسول من الله بمكان .

وذكر السكاكي [3] لالتفات امرىء القيس في الأبيات الثلاثة على تفسيره وجوهًا : أحدها أن يكون قصد تهويل الخطب واستفظاعه ، فنبَّه في التفاته الأول على أن نفسه وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهتْ ولَهَ الثكلى ، فأقامها مقام المصاب الذي لا يتسلى بعض التسلي إلا بتفجع الملوك له ، وتحزُّنهم عليه ، وخاطبها « بتطاول ليلك » [4] تسليةً ، أو على أنها لفظاعة شأن النبأ أبدت قلقا شديداً ولم تتصبر فعل الملوكَ ؛ فشكَّ في أنها نفسه ، فأقامها مقام مكروب وخاطبها بذلك تسليةً . وفي الثاني على أنه صادق التحزُّن خاطب أوْ لا ، وفي الثالث على أنه يريد نفسه .

أو نبه [5] في الأول على أن النبأ لشدته تركه حائراً ، فما فطن معه لمقتضى الحال ؛ فجرى على لسانه ما كان ألِفَهُ من الخطاب الدائر في مجارى أمور الكبار أمراً ونهياً ، وفي الثاني على أنه بعد الصدمة الأولى أفاق شيئاً فلم يجد النفسَ معه ، فبنى الكلام على الغيبة ، وفي الثالث على ما سبق .

أو نبَّه [6] في الأول على أنها حين لم تتثبت ولم تتبصر غاظه ذلك ؛ فأقامها

---

(١) يعنى خطابه بقوله : ﴿ إياك نعبدُ وإياك نستعينُ ﴾ .
(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ . (٣) ١٠٧ – المفتاح .
(٤) فكافها مكسورة ، ويصح فتحها نظراً إلى كون النفس يراد بها شخصه .
(٥) هذا هو الوجه الثاني ، وكان المناسب لسياقه أن يقول : وثانيها .
(٦) هذا هو الوجه الثالث .

مقام المستحق للعتاب ، فخاطبها على سبيل التوبيخ والتعيير بذلك ، وفى الثانى على أن الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب وسكن عنه الغضب بالعتاب الأول ولّى عنها الوجْهَ وهو يُدَمْدِم قائلا « وبات وباتت له » وفى الثالث على ما سبق . هذا كلامه ، ولا يَخْفَى على المنصف ما فيه من التعسف [1] .

الأسلوب الحكيم : ومن خلاف المقتضى ما سمّاه السكاكى [2] الأسلوبَ الحكيم [3] وهو تلَقِّى المخاطب [4] بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهًا على أنه الأَوْلَى بالقصد ، أو السائلَ بغير ما يتطلب [5] بتنزيل سؤاله منزلة غيره ؛ تنبيهًا على أنه الأوْلى بحاله أو المهم له .

أما الأول فكقول القبعثرى [6] للحَجاج لما قال له متوعداً بالقيد : « لأحملنك على الأدهم » : « مثْلُ الأمير يحمل على الأدهم [7] والأشهب » . فإنه أبرز وعيده فى معرض الوعد ، وأراه بألطف وجه أن من كان على صفته فى السلطان وبسطة اليد فجدير بأن يُصفدَ لا أن يَصفدَ [8] وكذا قوله له لما قال له فى الثانية « إنه حديد »

---

(١) لأنه يحمِّل امرأ القيس ما لا يمكن أن يكون قد خطر بباله من ذلك ، ولا يخفى أن كثيراً من اللطائف التى تلتمس للالتفات فيها مثل هذا التعسف ، وأن ذلك يرجع إلى أنها غير مضبوطة ، لأنها لو كانت مضبوطة لأمكن الرجوع إلى أمر ظاهر مقرر منها .

(٢) ١٧٥ – المفتاح .

(٣) أكثر العلماء يذكره فى علم البديع ، على أن الخطيب سيذكر فى علم البديع القول بالموجب ، ويقسمه إلى قسمين ، والقسم الثانى هو الأسلوب الحكيم بعينه ، ولا شك أن مراعاة ذلك مما يورث الكلام حُسناً ، ولا يصل تركه إلى إخلال بفصاحة أو بلاغة ، فاللائق به أن يعد فى علم البديع . وقد ذكر السعد أنه لما انجرَّ الكلام إلى ذكر خلاف مقتضى الظاهر أورد عدة أقسام منه ، وإن لم تكن من مباحث المسند إليه ، وهى : الأسلوب الحكيم ، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضى الخ .

(٤) بكسر الطاء أى المتكلم من إضافة المصدر لمفعوله ، وهذا أوْلى من فتح الطاء لما فيه من التعقيد .

(٥) الفرق بينه وبين ما عطف عليه أن فيه سؤالا ، فهو أخص منه بهذا الاعتبار ، ولكنه أعم منه باعتبار آخر ، وهو أنه لا يشترط فيه حمل كلام سابق على خلاف ظاهره كما يشترط فى الأول .

(٦) الصواب ابن القبعثرى كما سبق فى ص ١٠٢ .

(٧) أراد الحجاج بالأدهم القيد ، فحمله على غير مراده وهو الفرس الذى غلب سواده على بياضه ، وعطف عليه الأشهب وهو الفرس الذى غلب بياضه على سواده .

(٨) أى جدير بأن يعطى لا أن يقيد ؛ لأن الإصفاد : الإعطاء من الصفد وهو العطاء ، =

: « لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً » (١) . وعن سلوك هذه الطريقة فى جواب المخاطِب عَبَّر من قال مفتخراً :

أَتتْ تشتكى عندى مُزَاولة القِرَى ... وقد رأتِ الضيفان يَنْحُون منزلى

فقلتُ كأنى ما سمعتُ كلامها : ... همُ الضيف جِدِّى فى قِراهم وعَجِّلى (٢)

وسمَّاه الشيخ عبد القاهر « مغالطة » (٣) .

وأما الثانى؛ فكقوله تعالى : ﴿ يَسألونك عن الأهلَّة قُلْ هى مَواقيتُ للنَّاس والحَجّ ﴾ (٤) قالوا : « ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ، ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلىء ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ؟ » (٥) وكقوله تعالى : ﴿ يَسألونكَ ماذا يُنفقُون قُلْ ما أنفقتمْ منْ خير فللوالدين والأقربينَ واليتامى والمسَاكين وابنِ السَّبيلِ ﴾ (٦) سألوا عن بيان ما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصرف (٧) .

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى :ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى (٨)

= ويقال ـ صَفده يصفده ـ بمعنى قيده ، ولهذا يسمى القيد صفاداً .

(١) أراد الحجاج بقوله « أنه حديد » أنه قيد حديد ، فحمله على الحدة ، والمعنى « لأن يكون العطاء حديداً » .

(٢) لا يعلم قائلهما ، والقرَى : طعام الضيف ، وقوله « ينحون » بمعنى يقصدون ، والشاهد فى أنه أجابها بغير ما تتطلب من الشكوى ، ولهذا قيل : إن هذا من القسم الثانى لا الأول ؛ لأنه ليس فيه حمل كلام على خلاف ظاهره ، وإنما هو من تلقى السائل بغير ما يتطلب للتنبيه على أن الأوْلى بها الاستعداد لهم لا الشكوى منهم .

(٣) ص ٩٢ – دلائل الإعجاز ، وقيل : إن الأسلوب الحكيم بقسميه يسمَّى مغالطة ، لا القسم الأول وحده .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

(٥) فأجابهم ببيان حكمته تنبيها على أنه هو الأوْلى بحالهم لا السؤال عن سببه .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢١٥ .

(٧) للتنبيه على أنه هو المهم لهم .

ومن هذا أيضا أجوبة موسى لفرعون فى قوله تعالى : ﴿ قال فرْعَونُ وما ربُّ العالمين ، قال رَبُّ السَّمَوات والأرْض ومَا بَينهمَا إنْ كُنتمْ مُوقنينَ * قال لمنْ حَولَهُ ألا تَستمعُونَ * قال ربُّكُم وربُّ آبائكم الأوَّلينَ * قال إن رَسولكُمُ الَّذى أُرْسل إليكمْ لمجْنونٌ * قال ربُّ المشرِقِ والمغْربِ وما بَينهُما إنَ كنتُمْ تَعقلُون ﴾ آيات (٢٣ – ٢٨) سورة الشعراء .

(٨) مثله التعبير عن الماضى بلفظ المضارع استحضاراً لصورته العجيبة كقوله تعالى : =

تنبيها على تحقق وقوعه ، وأن ما هو للواقع كالواقع ، كقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّور فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّموات وَمَنْ فِي الأرض إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (١) وقوله : ﴿ ويومَ نُسَيِّرُ الجبال وترى الأرضَ بارزةً وحشرناهُمْ فلمْ نُغادرْ منهمْ أحداً ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ ونَادى أصحابُ النار ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ ونادى أصحاب الأعراف ﴾ (٤) جعل المتوقَّع الذى لا بُدَّ من وقوعه بمنزلة الواقع . وعن حسَّان أن ابنه عبد الرحمن اسمه زُنبور وهو طفل فجاء إليه يبكى فقال له : يا بنيَّ ما لك ؟ قال : لسعنى طُوَيِّرٌ كأنه ملْتفٌّ فى بُرْدَىْ حِبَرةٍ (٥) . فضمَّه إلى صدره وقال : يابُنيَّ قد قلتَ الشعر .

ومثله التعبير عنه باسم الفاعل (٦) كقوله تعالى : ﴿ وإنَّ الدِّين لواقع ﴾ (٧) وكذا اسم المفعول ؛ كقوله تعالى : ﴿ ذلك يومٌ مجموعٌ لهُ الناسُ وذلك يومٌ مشهود ﴾ (٨) .

القلب : ومنه القلب (٩) كقول العرب : « عرضتُ الناقة على الحوض » (١٠)

= ﴿ واللَّهُ الَّذى أرْسلَ الرياحَ فتثيرُ سحابا ﴾ آية ٩ سورة فاطر ، أى فأثارت ، ولا يخفى أن النوعين من المجاز المرسل أو الاستعارة ، فلا معنى لذكرهما فى علم المعانى ؛ لأنه لا فرق بينهما وبين غيرهما من أنواع المجاز فيما فعلا به من خلاف مقتضى الظاهر .

(١) سورة الزمر : الآية ٦٨ . (٢) سورة الكهف : الآية ٤٧ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٠ . (٤) سورة الأعراف : الآية ٤٨ .

(٥) طوير : تصغير طائر ، والحبرة : ضرب من برود اليمن ، والشاهد فى قوله « قد قلت الشعر » لأنه بمعنى متقَوَّل .

(٦) لأن كلا من اسم الفاعل واسم المفعول حقيقة فى المتلبس بالفعل فى الحال اتفاقا ، وفى الماضى على قول ضعيف ، فيكون استعماله فى المستقبل مجازاً .

(٧) سورة الذاريات : الآية ٦ . (٨) سورة هود : الآية ١٠٣ .

(٩) هو فى الاصطلاح أن يجعل جزء من الكلام مكان آخر يجعل مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر ، فليس منه نحو – فى الدار زيد ، وضرب عمراً زيد – وهو قسمان : لفظى ومعنوى ، وسيأتى بيانهما فى أمثلته .

(١٠) هذا من القلب المعنوى ؛ لأن المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور واختيار لأجل أن يميل إلى المعروض أو يُحجم عنه ، ولكن لما كان المعتاد فى ذلك أن يؤتى بالمعروض إلى المعروض عليه وكانت الناقة هى التى يؤتَى بها إلى الحوض نُزِّل كلٌّ منهما منزلة الآخر ، وقيل : إنه لا قلب فى ذلك وإنما القلب فى « عرضت الحوض على الناقة » ؛ لأن المعروض عليه هو المستقر .

وردَّه مطلقًا قومٌ (١) ، وقبله مطلقًا قوم (٢) منهم السكاكى (٣) . والحقُّ أنه إن تضمن اعتباراً لطيفا (٤) قُبلَ وإلا رُدَّ .

أما الأول (٥) فكقول رؤبة :

ومهْمَهٍ مُغبرة أرجاؤهُ كأنّ لونَ أرضه سماؤه (٦)

أى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيهَ للمبالغة .

ونحوه قول أبى تمام يصف قلم الممدوح :

لُعابُ الأفاعى القاتلات لُعابهُ وأَرْىُ الجنَى اشتارتهُ أيْدٍ عواسلُ (٧)

وأما الثانى (٨) فكقول القطامى :

* كما طيَّنتَ بالفَدَنِ السِّياعا (٩) *

---

(١) لأنه عكسُ المطلوب ونقيض المقصود ، وقيل : إنه لا يكاد أحد يمنعه مطلقًا لوروده فى القرآن وفصيح الكلام ، ولعلهم يردّون القلب اللفظى دون المعنوى .

(٢) لأن قلب الكلام مما يحوج إلى التنبه للأصل ، وذلك مما يورث الكلام ملاحظةً ولطفًا .

(٣) ١١٣ – المفتاح .

(٤) أى غير تلك الملاحة التى احتج بها مَن قبله مطلقاً ، وذلك كالاعتبار السابق فى قولهم « عرضت الناقة على الحوض » وكالاعتبارات الآتية فى باقى الأمثلة وإنما لم يقبل القلب إلا بهذا لأنه من غيره يكون عدولا عن مقتضى الظاهر من غير نكتة يعتد بها ؛ إذ لا يعتد فيه بتلك الملاحة العامة وحدها ، ولا يخفى أن القلب بتلك الملاحة يكون من المحسنات البديعية ، فالأليق ذكره فى علم البديع ؛ لأن تلك الاعتبارات التى يقبل بها فى علم المعانى ليست محدودة ولا مضبوطة ، وهى مع هذا شرطٌ لحسنه ولا توجبه .

(٥) هو المقبول .

(٦) هو لرؤبة بن عبد الله بن رؤبة ، والمهمه : المفازة ، والأرجاء : جمع رجا وهو الناحية ، والقلب فى هذا معنوى أيضاً ، وهو من التشبيه المقلوب الآتى فى علم البيان ، والاعتبار اللطيف فيه بقصد المبالغة .

(٧) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، وأرْىُ الجنى : العسل من إضافة الموصوف إلى الصفة ، وقوله – اشتارته – بمعنى جنته ، والأيدى العواسل : العارفة بجنيه ، والأولى صفة للقلم مع الأعداء ، والثانية صفته مع الأصدقاء ، والشاهد فى شطره الأول ، وهو من القلب المعنوى أيضا ؛ لأنه من التشبيه المقلوب ، والاعتبار اللطيف فيه قصد المبالغة .

(٨) هو المردود .

(٩) هو لعُمَير بن شُيَيم المعروف بالقطامى من قوله : =

وقول حسان :

* يكون مِزاجها عسلٌ وماء (١) *

وقول عُرْوَةَ بن الوَرْد :

* فديتُ بنفسه نَفْسِي ومالي (٢) *

وقول الآخر :

* ولا يَكُ موقفٌ منكِ الوداعا (٣) *

= فلما أن جرى سِمَن عليها كما طيَّنتَ بالفدَن السياعَا
أمرتُ بها الرجالَ ليأخذوها ونحْن نَظُنُّ أنْ لنْ تُستَطَاعا

يصف بذلك ناقته ، والفدن : القصر ، والسياع : الطين المخلوط بالتبن أو الآلة التى يطين بها ، يعنى أنها صارت ملساء من السمن كالقصر المطين بالسياع ، وفى ذلك قلب معنوى ؛ فإن حمل السياع على الآلة لم يتضمن اعتباراً لطيفا ، وفيه الشاهد ، وإن حمل على الطين فيجوز أن يكون المقصود المبالغة فى سمنها ؛ لأنه يقصد تشبيهها بالسياع الذى صار لكثرته كأنه الأصل والفدن هو الفرع ، فيكون هو أيضا مثله مع أصله من العظم ونحوه ، ولكنه لا يخلو من تكلف . وروى « كما بطنت بالفدن السياعا » وهو على القلب أيضاً ، والمعنى كما طينت الفدن بالسياع .

(١) هو لحسان بن ثابت الأنصارى من قوله :

كأن سبيئةً من بيت رأسٍ يكون مزاجَها عسلٌ وماء
على أنيابها أو طَعْمُ غضٌّ من التفاح عَصَّرَهُ اجتناءُ

والسبيئة : الخمر المشتراه للشراب ، وبيت رأس : بلد بالشام بين رملة وغزة ، والغض : الطرى ، وقوله « عصره » بمعنى أساله كناية عن إدراكه وقت نضجه ، شبه ريق محبوبته بخمر مُزجت بعسل . والقلب فى قوله « يكون مزاجها عسل » قلب لفظى ؛ لأنه لا قلب فى المعنى ، وإنما القلب فى اللفظ ؛ لأنه نكرَ ما هو فى موضع المبتدإ وعرَّف الخبر ، والأصل فيهما العكس ، ويروى برفع « مزاجها » على أن اسم يكون ضمير الشأن ، فلا يكون فيه قلب .

(٢) هو من قوله :

فلو أنِّى شهدتُ أبا سعادٍ غَدَاةَ غَدَا لمُهْجته يَفوقُ
فديت بنفسه نفسى ومالى وما آلُوكَ إلا ما أطيقُ

وقد رواه المرتضى فى أماليه وابن الأنبارى فى « الأضداد » للعباس بن مرداس . يقال « فاق بمهجته ،ولمهجته يفوق » إذا أشرفت نفسه على الخروج أو خرجت ، وقوله « وما آلوك » بمعنى لم أقصِّرْ فيك ، والقلب فيه معنوى ، والأصل « فديت نفسه بنفسى ومالى » وليس فى قلبه اعتبار لطيف لأنه يوهم خلاف المراد .

(٣) هو لعُمير بن شييم المعروف بالقطامى من قوله : =

وقد ظهر من هذا أن قوله تعالى : ﴿ وَكَم منْ قرية أهلكناهَا فَجاءهَا بأسُنَا ﴾ (١) ليس وارداً على القلب (٢) إذ ليس فى تقدير القلب فيه اعتبار لطيف ، وكذا قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دنا فتَدَلى ﴾ (٣) وكذا قوله تعالى : ﴿ اذْهبْ بِكتابِى هذَا فألْقهْ إليهِمْ ثُمَّ تَولَّ عنهُمْ فانْظرْ ماذا يَرجعون ﴾ (٤) فأصل الأول أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا أى إهلاكنا ، وأصل الثانى : ثم أراد الدنو من محمد ﷺ فتدلَّى فتعلق عليه فى الهواء ، ومعنى الثالث : تَنحَّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه؛ ليكون ما يقولونه بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون فيقال : إنه دخل عليها من كُوَّة فألقى الكتاب إليها وتوارى فى الكوّة . وأما قول خداش :

* وتشقَى الرماحُ بالضياطرةِ الحمرِ (٥) *

فقد ذُكر له سوى القلب (٦) وجهان : أحدهما : أن يُجْعَلَ شقاءُالرماح بهم استعارةً عن كسرها بطعنهم بها ، والثانى : أن يجعل نفس طعنهم شقاء لها تحقيراً لشأنهم وأنهم ليسوا أهلاً لأن يُطعنوا بها ، كما يقال « شقِىَ الخَزُّ بجسم فلان » إذا لم يكن أهلاً للبسه .

وقيل فى قول قَطَرِىٍّ بن الفجاءَة :

= قفى قبل التفرق يا ضباعا ولا يَكُ موقفٌ منك الوداعا

وألف « ضباعا » للإطلاق ، وهو مرخم ضباعة اسم بنت له أو امرأة غيرها ، والقلب فى قوله « ولا يك موقف منك الوداعا » لفظى كالقلب فى بيت حسان السابق .

(١) سورة الأعراف : الآية ٤ .

(٢) يردُّ بهذا على من زعم أن أصله « جاءها بأسنا فأهلكناها » .

(٣) آية ٨ سورة النجم . وعلى تقدير القلب فيه يكون أصله : ثم تدلى فدنا .

(٤) آية ٢٨ سورة النمل ، وعلى تقدير القلب فيه يكون أصله : فانظر ماذا يرجعون ثم تولّ عنهم .

(٥) هو لخداش بن زهير من قوله :

وتَلْحَقُ خيلٌ لا هَوَادَةَ بينها وتشْقَى الرماحُ بالضياطرةِ الحمر

والهوادة : اللين والرفق أو ما يرجى به الصلاح بين القوم ، وعلى هذا يكون المراد لا هوادة بين أصحابها ، والضياطرة : جمع ضيطر وهو الضخم اللئيم العظيم الاست ، والحمر : جمع أحمر اللون ، وقيل : هو الذى لا سلاح معه ، وقد روى « وتُركبُ خيل » .

(٦) على أنه من القلب ؛ يكون أصله « وتشقى الضياطرة بالرماح » ، وليس له اعتبار لطيف .

ثم انصرفتُ وقد أَصَبْتُ ولم أصَبْ   جذَعَ البصيرة قارحَ الإقدامِ (١)

إنه من باب القلب (٢) على أن « لم أصب » بمعنى لم أجْرَحْ ، أى قارح البصيرة جذع الإقدام (٣) كما يقال « إقدام غرٍّ ورأىُ مجرِّب » وأجيب عنه (٤) بأن « لم أصب » بمعنى لم ألف بهذه الصفة بل وُجدت بخلافها جذع الإقدام قارح البصيرة ، على أن قوله « جذع البصيرة قارح الإقدام » حال من الضمير المستتر فى « لم أصب » فيكون متعلقاً بأقرب مذكور ، ويؤيد هذا الوجه قوله قبله :

لا يَركَنَنْ أحد إلى الإحجام   يوم الوَغَى مُتخوِّفاً لحِمام (٥)
فلقد أرانى للرماح دَرِيئةً   مِن عن يمينى مَرَّة وأمامى (٦)
حتى خَضَبْتُ بما تحدَّرَ مِن دَمى   أكناف سرجى أو عنان لجامى (٧)

فإن الخضاب بما تحدر من دمه دليل على أنه جُرِحَ ، وأيضا فَحْوَى كلامه أن مراده أن يدل على أنه جرح ولم يمت ، إعلاماً أن الإقدام غير علة للحمام ، وحثّاً على الشجاعة وبغض الفرار .

* * *

(١) جذع البصيرة : بمعنى غير مجرب للأمور ، وقارح الإقدام : بمعنى إقدام أصحاب السن القديمة ، يقال « فلان جذع إذا كان حديث السن » ، وقارح إذا كان قديما .

(٢) لأنه يقصد التمدح بذلك ، وإنما يتمدح بعكسه لا به .

(٣) على هذا يكون « جذع البصيرة قارح الإقدام » حالين من فاعل انصرفت .

(٤) هذا جواب يجعل كلامه لا قلب فيه ؛ لأنه قلب غير مقبول لما فيه من إيهام خلاف المراد ، وقيل أيضا : إنه يريد تشبيه بصيرته بالجذع فى عدم الاختلاط والتزلزل من الهول ، وتشبيه إقدامه بالقارح فى الصبر والاحتمال ، وعلى هذا لا قلب أيضاً .

(٥) الإحجام : التأخر ، والوغى : الحرب ، والحمام : الموت .

(٦) الدريئة : حلقة يتعلم عليها الطعن ، شبه نفسه بها ، وهى من الدرء بمعنى الدفع أو من الدرى بمعنى الختل ، فتكون درية ، بالياء المشددة .

(٧) أكناف السرج : جوانبه ، والعنان : سير اللجام .

تمرينات

على تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر

تمرين – ١

بين ما يحتمل الالتفات والتجريد وما يتعين فيه الالتفات مما يأتى :

(١) قوله تعالى : ﴿ يا عبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهمْ لا تقنطوا مِنْ رحمة الله ﴾ آية ٥٣ سورة الزمر .

٢ – هل غادرَ الشعراءُ من متردم   أم هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ ؟

تمرين – ٢

١ – بين الالتفات فى قوله تعالى : ﴿ أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه سبحانهُ وتعالى عمَّا يشركون ﴾ – آية ١ سورة النحل – ومن أى قسم من أقسام الالتفات هو ؟ .

٢ – هل يُعد من الالتفات أو لا يُعدُّ قول الشاعر :

أأنت الهلالىُّ الذى كنتَ مرةً   سمعنا به والأرحبىُّ المغلبُ ؟

تمرين – ٣

١ – من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :

وميَّةُ أجمل الثقلين جِيداً   وســالفةً وأحسنهُ قذالا

٢ – هل يُقبل القلب أو لا يُقبل فى قول الشاعر :

رأينَ شيخاً قد تحنّى صلبُه   يمشى فيقعس أو يكبُّ فيعثرُ

تمرين – ٤

١ – من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :

فَرَجِّى الخيرَ وانتظرى إيابى   إذا ما القــارظُ العنزِىُّ آبا

٢ – هل يُعدُّ من القلب أو لا يُعدُّ ما فى قول الشاعر :

وعذلتُ أهل العشق حتى ذقتُهُ   فعجبتُ كيف يموتُ من لا يعشقُ !!

تمرين – ٥

١ – من أى نوعى الأسلوب الحكيم ما فى قول الشاعر :

وقالوا : قد صفتْ منّا قلوبٌ   نعم ٠٠ صدقوا ولكنْ عن ودادى

٢ – من أى أنواع الالتفات ما فى قول الشاعر :

سألتُ نسيمَ أرضكِ حين وافى   وقلتُ : صِفِ القوَام ولا تُحاشى

تمرين – ٦

١ – من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :

كلوا فى بعض بطنكم تعفُّوا   فإن زمانكم زمنٌ خميصُ

٢ – متى يكون من خلاف مقتضى الظاهر ما فى قول الشاعر :

نعم امرأً هَرِمٌ لم تعرُ نائبةٌ   إلا وكان لمرتاعٍ بها وزرًا

تمرين – ٧

١ – بين ما فى قوله تعالى : ﴿ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدْنا عليه آباءنا وتكونَ لَكُما الكبرياء فى الأرْض ﴾ (آية ٧٨ سورة يونس) من الخروج على مقتضى الظاهر ٠

٢ – بين ما فى قوله تعالى : ﴿ يأيها النبيُّ إذا طلقتمُ النساء ﴾ (آية ١ الطلاق) من الخروج على مقتضى الظاهر ٠

٣ – بين ما فى قوله تعالى : ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوَّآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكمْ قبلة ﴾ آية ٨٧ سورة يونس من الخروج على مقتضى الظاهر ٠

* * *

الباب الثالث : القول فى أحوال المسند

* **أغراض الحذف** : أما تركه فلنحو ما سبق فى باب المسند إليه (١) من تخييل العدول إلى أقوى الدليلين ، ومن اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة أو مقدار تنبهه ، ومن الاختصار والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر (٢) ؛ إما مع ضيق المقام كقوله :

* فإنى وَقيَّار بها لَغريبُ (٣) *

أىْ وقيار كذلك (٤) . وكقوله :

نحن بما عندنا وأنت بما عندكَ راضٍ والرأىُ مختلف (٥)

أى نحن بما عندنا راضون . وكقول أبى الطيب :

---

(١) أى فى الكلام على حذفه ، والتعبير بالترك هنا بدل الحذف هناك من التفنن فى العبارة .

(٢) كان الأحسن أن يذكُر هذا الغرض فى أول الأغراض ليجعله مطرداً فى جميعها كما صنع فى حذف المسند إليه .

(٣) هو لضابىء بن الحارث البُرْجمى من قوله :

ومن يَكُ أمسى بالمدينة رحْلهُ فإنى وقيَّار بها لغريبُ

وكان عثمان رضى الله عنه حبسه فى المدينة لهجائه قوماً فى شعره ، والرحل : المنزل والمأوى ، وقيار: اسم فرسه أو غلامه ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما بعد الفاء عليه ، وتقديره « فقد حسنت حاله وساءت حالى » .

(٤) فهو من عطف الجمل ، ولا يصح جعل « قيار » معطوفاً على محل اسم « إن » لامتناع العطف على محل اسمها قبل مُضِىِّ خبرها ، ولا يصح أن يكون « غريب » خبراً عن « قيار » والمحذوف خبر « إن » لاقترانه بلامِ الابتداء ، وخبر المبتدأ لا يقترن بها فى الفصيح إلا إذا كان منسوخا . وضيق المقام فى البيت بسبب الشعر والسجن .

(٥) هو لعمر بن امرىء القيس الخزرجى ، أو لقيس بن الخطيم ، وقبله :

يا مال والسيد المعمَّم قد يبطره بعض الرأى والسرفُ

يخاطب مالك بن العجلان حين رد قضاءه فى واقعة للأوس والخزرج ، وأراد بـ« والرأى مختلف » أن يتبع كل منهما رأيه على اختلافهما ؛ لرضا كل منهما برأيه وعدم انقياده لصاحبه . وضيق المقام هنا بسبب الشعر وعدم استعداد المخاطب لقبول الكلام ، وقد حذف فى هذا البيت من الأول لدلالة الثانى على عكس البيت السابق .

قالتْ وقد رأت اصفراري : مَنْ به وتنهَّدتْ فأجبْتُها : المتنهدُ [١]

أى المتنهـدُ هو المطالَبُ به [٢] دون : المطالبُ به هو المتنهـد – إن فُسـر بمن المطالب به ؟ لأن مطلوب السائلة عن هذا الحُكم على شخص معين بأنه المطالب به ليتعين عندها ، لا الحكم على المطالب به بالتعيين ، وقيل : معناه من فعل به ؟ فيكون التقدير : فعل به المتنهد [٣] .

وإما بدون الضيق ، كقوله تعالى : ﴿ واللهُ ورسولُهُ أحقُّ أن يُرْضُوه ﴾ [٤] على وجه ؛ أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، ويجوز أن يكون جملة واحدة ، وتوحيد الضمير لأنه لا تَفَاوُت بين رضا الله ورضا رسوله ، فكانا فى حكم مرضيٍّ واحد ، كقولنا « إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر منِّى » [٥] وكقولك « زيد منطلق وعمرو » أى وعمرو كذلك ، وعليه قوله تعالى : ﴿ واللائى يَئِسْنَ من المَحِيض من نسائكم إنِ ارْتَبْتمْ فعدَّتهنَّ ثلاثةُ أشْهُر واللائى لمْ يَحِضْنَ ﴾ [٦] أى واللائى لم يحضن مثلهن ، وقولك « خرجت فإذا زيد » [٧] . وقولك لمن قال : هل لك أحد إن الناس إلب عليك ؟ : « إن زيداً وإن عمراً » أى إن لى زيداً وإن لى عمرا [٨] . وعليه قوله :

---

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى : وقد عنى اصفراره مما يلقاه من حبها ، وقوله « به » متعلق بمحذوف تقديره المطالب ، وقوله « وتنهدت » يعنى به أنها تنهدت لما رأته من اصفراره .

(٢) فيكون من حذف المسند لا المسند إليه ، وقد أجاز السكاكى كلا من التقديرين ؛ لأنه إذا جعلت « من » مبتدأ على مذهب سيبويه والمحذوف خبراً فالأحسن أن يقدر – المتنهد هو المطالب به هو المتنهد ، ليطابق الجواب السؤال . وإذا جعلت « من » خبراً مقدما فالأحسن أن يقدر – المطالب به هو المتنهد ليطابق الجواب السؤال أيضاً .

(٣) هو من حذف المسند أيضاً ولكنه فعل على هذا التقدير .

(٤) سورة التوبة : الآية ٦٢ .

(٥) فإفراد الضمير فيه لأن إحسانه وإجماله بمعنى واحد .

(٦) سورة الطلاق : الآية ٤ .

(٧) أى موجود أو حاضر أو بالباب أو ما أشبه ذلك ، والحذف هنا لاتباع الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن العبث ؛ لأنه يطرد حذف المسند إليه بعد « إذا » الفجائية ؛ لأنها تدل على مطلق وجود ، وقد توجد معها قرائن تدل على نوع خصوصية كلفظ الخروج فى المثال .

(٨) الحذف فيه أيضاً لاتباع الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن العبث ؛ لأنه يطَّرد حذف المسند مع تكرير « إن » وتعدد اسمها .

* إنَّ مَحلاً وإنَّ مرتحلا (١) *

أى إن لنا محلا فى الدنيا وإن لنا مرتحلا عنها إلى الآخرة . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لو أنْتمْ تملكون خَزائنَ رحمةِ ربِّى ﴾ (٢) تقديره لو تملكون تملكون مكرراً لفائدة التأكيد ، فأضمر « تملك » الأول إضماراً على شريطة التفسير ، وأبدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضميرٌ منفصلٌ وهو « أنتم » لسقوط ما يتصل به من اللفظ؛ فأنتم فاعل الفعل المضمر ، و « تملكون » تفسيره . قال الزمخشرى : هذا ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان (٣) فهو أن ﴿ أنتم تملكون ﴾ فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (٤) . ونحوه قول حاتم : « لو ذات سوار لطمتنى » (٥) . وقول المتلمس :

* ولو غير إخوانى أرادوا نقيصَتى (٦) *

---

(١) هو لميمون بن قيس المعروف بالأعشى من قوله :

إنَّ مَحلاً وإن مُرْتَحــــلاَ   وإنَّ فى السَّفر إذ مضَوْا مَهَلاَ

محلا ومرتحلا : مصدران ميميّان بمعنى الحلول والارتحال ، والسفر: اسم جمع بمعنى المسافرين وقد أراد بهم الموتى ، والمهل : مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة ، والمعنى : إن فى غيبة الموتى طولا وبعداً ؛ لأنهم مضوا مضياً لا رجوع معه إلى الدنيا . وروى : « إذ مضوا مثلا » والحذف هنا لاتباع الاستعمال وضيق المقام مع الاختصار والاحتراز عن العبث .

(٢) سورة الإسراء : الآية ١٠٠ .

(٣) يعنى بعلم البيان ما يشمل علم المعانى .

(٤) رُدَّ هذا على الزمخشرى بأن الاختصاص إنما يكون فى الجملة الاسمية التى يقدم فيها المسند إليه على خبره الفعل كما سبق ، وما هنا ليس كذلك لأنه من الجملة الفعلية ، وبأنه على تسليم ذلك يكون معناه لو اختصصتم بملك تلك الخزائن لأمسكتم ، هذا لا يقتضى اختصاصهم بالشح ، وإنما يقتضى ذلك أن يقال « أنتم لو تملكون ذلك لأمسكتم » .

(٥) رواه الأصمعى « لو غير ذات سوار لطمتنى » على أن حاتما مر ببلاد عنزة فناداه أسير لهم : يا أبا سَفانة ، أكلنى الإسار والقمل ولم يكن مع حاتم شىء فساومهم به . ثم قال : أطلقوه واجعلوا يدى فى القيد مكانه ، ففعلوا ، ثم جاءته امرأة ببعير ليقصده فنحره ، فلطمته ، فقال لها ذلك ، يعنى أنه لا يقتص من النساء . وقيل : إن التى ضربته كانت أمة لهم فقال لها « لو ذات سوار لطمتنى » يعنى حرة من النساء ، وهو أظهر لتأنيث الفعل .

(٦) هو لجرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمس من قوله :

ولو غيرُ إخوانى أرادوا نقيصتى   جعلتُ لهم فوق العرانين ميسما

والعرانين : جمع عرنين وهو الأنف كله أو ما صَلُبَ منه ، والميسم : العلامة ، وهو على تقدير : ولو أراد غير إخوانى . إلخ .

وذلك لأن الفعل الأول (١) لما سقط لأجل المفسِّر برز الكلام فى صورة المبتدأ والخبر .

وكقوله تعالى : ﴿ أفمنْ زُيِّنَ لهِ سوءُ عمله فرآهُ حسناً ﴾ (٢) أى كمن لم يزين له سوء عمله ، والمعنى : أفمن زُين له سوء عمله من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما « الذين كفروا والذين آمنوا » كمن لم يزين له سوء عمله ؟ ثم كأن رسول الله ﷺ لما قيل له ذلك قال : لا ، فقيل ﴿ فإن اللهَّ يُضلُّ من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذْهب نفسُكَ عليهم حسرات ٍ﴾ وقيل : المعنى : أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرات ؟ فحذف الجواب (٣) لدلالة ﴿ فلا تذهبْ نفسك عليهم حسرات ٍ﴾ أو : أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله ؟ فحذف لدلالة ﴿ فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ .

وأما قوله تعالى : ﴿ بَل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلُ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ سورةٌ أنزلناها ﴾ (٥) وقوله : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهمْ ليخرُجُنَّ قُل لا تُقسموا طاعةٌ معروفةٌ ﴾ (٦) فكل منهما يحتمل الأمرين : حذف المسند إليه وحذف المسند ، أى فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجمل (٧) ، وهذه سورة أنزلناها أو فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها ، وأمركم أو الذى طلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب ، كطاعة الخُلَّص من المؤمنين الذين طابق باطنُ أمرهم ظاهرَهُ ، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها ، أو : طاعتكم طاعة معروفة ، أى بأنها بالقول دون الفعل ، أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة .

ومما يحتمل الوجهين قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تقولوا ثلاثة ﴾ (٨) قيل : التقدير ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، ورُدّ بأنه تقرير لثبوت آلهة ؛ لأن النفى إنما يكون

---

(١) فى قوله تعالى : ﴿ لو أنتم تملكون ﴾ ، وهذا تعليل لإفادة الاختصاص .

(٢) سورة فاطر : الآية ٨ . (٣) على هذا تكون « من » شرطية .

(٤) سورة يوسف : الآية ١٨ . (٥) سورة النور : الآية ١ .

(٦) سورة النور : الآية ٥٣ .

(٧) أى من الصبر الذى ليس بجميل بأن يكون معه شكاية ، ولكنه مع هذا خير من عدمه ، فيصح تفضيل الصبر الجميل عليه .

(٨) سورة النساء : الآية ١٧١ .

للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ ، كما تقول « ليس أمراؤنا ثلاثة » فإنك تنفى به أن تكون عدة الأمراء ثلاثة دون أن تكون لكم أمراء ، وذلك [1] إشراك ، مع أن قوله تعالى بعده : ﴿ إنما اللهُ إلهٌ واحدٌ ﴾ يناقضه ، والوجه أن (ثلاثة) صفة مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ محذوفٌ مميزُه ، لا خبر مبتدأ ، والتقدير « ولا تقولوا لنا في الوجود آلهةٌ ثلاثةٌ أو ثلاثةٌ آلهة » [2] ثم حذف الخبر كما حذف من لا إله إلا الله ، وما من إله إلا الله – ثم حذف الموضوع أو المميز كما يحذفان في غير هذا الموضع ، فيكون النهى عن إثبات الوجود لآلهة ، وهذا ليس فيه تقرير لثبوت إلهين ، مع أن ما بعده أعنى قوله : ﴿ إنما الله إله واحد ﴾ ينفى ذلك ، فيحصل النهى عن الإشراك والتوحيد من غير تناقض ، ولهذا يصح أن يُتبعَ نفيُ الاثنين فيقال « ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثةٌ ولا إلهان » لأنه كقولنا « ليس لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان » وهذا صحيح ، ولا يصلح أن يقال على التقدير الأول« ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ، ولا اثنان » لأنه كقولنا « ليست آلهتنا ثلاثة ولا اثنين » وهذا فاسد ، ويجوز أن يقدَّر « ولا تقولوا الله والمسيح وأمه ثلاثة [3] أى لا تعبدوهما كما تعبدونه » لقوله تعالى : ﴿ لَقدْ كفرَ الذين قالوا إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثة ﴾ [4] فيكون المعنى ثلاثة مستوون في الصفة والرتبة ، فإنه قد استقر في العرف أنه إذا أريد إلحاق اثنين بواحد في وصف وأنهما شبيهان له أن يقال « هم ثلاثة » كما يقال إذا أريد إلحاقُ واحد بآخر وجعله في معناه : هما اثنان .

* واعلم أن الحذف لا بد له من قرينة ، كوقوع الكلام جواباً عن سؤال : إما محقق [5] كقوله تعالى : ﴿ ولَئنْ سَألتَهُمْ مَنْ خَلقَ السَّموات والأرضَ ليقولُنّ اللهُ ﴾ [6] وقوله : ﴿ ولئن سَألتَهُمْ مَنْ نزَّلَ مِنَ السّماء ماءً فأحيَا به الأرضَ مِنْ بَعدِ موتها ليقُولنَّ اللهُ ﴾ [7] وإمّا مُقدَّر ، نحو :

---

(١) أى تقدير ثبوت آلهة .

(٢) التقدير الأول على أنها صفه مبتدأ ، والثانى على أنها مبتدأ محذوف مميزه .

(٣) فيكون من حذف المسند إليه ، والمعنى صحيح بخلاف التقدير الذى أبطله ، وقد أجيب عنه بأن السالبة تحتمل نفى موضوعها كما تحتمل نفى محمولها وحده ، فيكون المعنى عليه محتملا لنفى الثلاثة والاثنين أيضاً ، ولكن الحمل على هذا نادر .

(٤) سورة المائدة : الآية ٧٣ .

(٥) السؤال المحقق هو المذكور فى الكلام ، والمقدر بخلافه .

(٦) سورة لقمان : الآية ٢٥ . (٧) العنكبوت : الآية ٦٣ .

* لِيُبْكَ يزيد ضارعٌ لخصومه (١) *

وقراءة من قرأ ﴿ يُسبَّحُ لهُ فيهَا بالغُدُوِّ والآصال ، رجالٌ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ كـذَلكَ يُوحَى إليْكَ وإلى الذينَ منْ قَبلكَ اللهُ العَزيزُ الحكيم ﴾ (٣) ببناء الفعل للمفعول (٤) . وفضل هذا التركيب على خلافه أعنى نحو « ليبك يزيدَ ضارعٌ » ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد من وجوه : أحدها أن هذا التركيب يفيد إسناد الفعل إلى الفاعل مرتين إجمالا ثم تفصيلا ، والثانى أن نحو « يزيد » فيه ركن الجملة لا فضلة (٥) ، والثالث أن أوله غير مطمع للسامع فى ذكر الفاعل فيكون ورود ذكره كمن تيسرت له غنيمة من حيث لا يحتسب ، وخلافه بخلاف ذلك .

ومن هذا الباب – أعنى الحذف الذى قرينته وقوع الكلام جواباً عن سؤال مقدر – قوله تعالى : ﴿ وَجعلُوا لله شركاء الجنَّ ﴾ (٦) على وجه (٧) ؛ فإن ﴿ لله شركاء ﴾ إنْ جُعلاَ مفعولين لجعلوا، فالجن يحتمل وجهين : أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر(٨) من أن يكون منصوبا بمحذوف دل عليه سؤال مقدر ، كأنه قيل : من

---

(١) هو للحارث بن ضرار النهشَلى أو الحارث بن نهيك من قوله فى رثاء يزيد بن نهشل :

لِيبكِ يزيد ضارعٌ لخصومهِ ومختَبطٌ مما تُطيحُ الطّوائحُ

وقبله :

سقى جدثًا أسمى بدوحة ثاويا من الدلو والجوزاء غادٍ ورائح

قوله « ليبك » بالبناء للمفعول ، والضارع : الذليل ، والمختبط : الذى يأتى إليك للمعروف من غير وسيلة ، وقوله « تطيح » بمعنى تذهب وتهلك ، والطوائح : جمع مطيحة على غير القياس، وقياسه مطاوحُ أو مطيحات ، والشاهد فى حذف فعل « ضارع » إذ التقدير : يبكيه ضارع . يصفه بأنه كان ملجأ الذليل وعون المحتاج .

(٢) سورة النور : الآية ٣٦ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٣ .

(٤) فيكون كل من لفظ الجلالة ورجال فى الآيتين فاعلا لفعل محذوف تقديره يوحى ويسبِّح .

(٥) كونه ركن الجملة يفيد الاعتناء بشأنه ، ويناسب مقام رثائه .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٠٠ .

(٧) هو الوجه الذى سينقله عن عبد القاهر لا الوجهان المذكوران بعده .

(٨) ١٨٧ ، ١٨٨ – دلائل الإعجاز .

جعلوا لله شركاء؟ فقيل : الجن ، فيفيد الكلام إنكار الشرك مطلقاً ، فيدخل اتخاذ الشريك من غير الجن فى الإنكار دخول اتخاذه من الجن ، والثانى ما ذكره الزمخشرى ، وهو أن ينتصب ﴿ الجن ﴾ بدلاً منه شركاء ، فيفيد إنكار الشريك مطلقا أيضا كما مر [١] وإن جعل ﴿ لله ﴾ لغواً [٢] كان ﴿ شركاء الجن ﴾ مفعولين قُدِّم ثانيهما على الأول، وفائدة التقديم استعظام أن يُتَّخَذَ لله شريك مَلَكاً كان أو جنياً أو غيرهما ، ولذلك قدّم اسم الله على الشركاء ، ولو لم يُبن الكلام على التقديم . وقيل : « وجعلوا الجن شركاء لله » لم يفد إلا إنكار جعل الجن شركاء ، والله أعلم .

ومنه ارتفاع المخصوص فى باب « نعم وبئس » على أحد القولين [٣] .

أغراض الذكر : وأما ذكره فإما لنحو ما مر فى باب المسند إليه من زيادة التقرير، والتعريض بغباوة السامع ، والاستلذاذ ، والتعظيم ، والإهانة ، وبسط الكلام[٤] .

وإما ليتعين كونه اسماً فيستفاد منه الثبوت [٥] ، أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد [٦] ، أو كونه ظرفا [٧] فيورث احتمال الثبوت والتجدد [٨] ، وإما لنحو ذلك .

قال السكاكى [٩] : وإما للتعجيب من المسند إليه بذكره ؛ كما إذا قلت « زيد

---

(١) لأنه يكون بدل بعض من كل ، والتقدير : الجن منهم .

(٢) أى جارا ومجرور متعلقا بشركاء مقدما عليه .

(٣) هو قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر ، فيكون التقدير فى قولك « نعم الرجل زيد » زيد الممدوح ، وهو واقع جواب سؤال مقدر أيضاً ، كأنه قيل : من الممدوح ؟ وقيل : إنه خبر مبتدأ محذوف . وقيل : إنه بدل من الفاعل قبله . فالأقوال أربعة لا اثنان .

(٤) زيادة التقرير كما فى قوله تعالى : ﴿ ولئنْ سألتهم من خلق السمٰوات والأرض ليقُولنَّ خلقَهنَّ العزيزُ العليمُ ﴾ – آية ٩ سورة الزخرف ، والتعريض بغباوة السامع كما فى قولك « محمد نبينا » فى جواب سؤال : من نبيكم ؟ والاستلذاذ كما فى قولك « هى سعاد » فى جواب : هل هذه سعاد ؟ وهكذا ، ولا بد فى الذكر من قرينة كما سبق فى ذكر المسند إليه .

(٥) أى الدلالة على النسبة من غير تقييد بزمان .

(٦) أى الدلالة على الحدوث بعد العدم .

(٧) أو جاراً أو مجروراً .

(٨) لأن نحو « زيد فى الدار » تقديره زيد مستقر أو استقر فى الدار . وهذا وما قبله معان أصلية للاسم والفعل والظرف ، فليست فى شىء من البلاغة .

(٩) ١١١ – المفتاح .

يقاوم الأسد » مع دلالة قرائن الأحوال (١) ، وفيه نظر ؛ لحصول التعجيب بدون الذكر إذا قامت القرينة (٢) .

* * *

(١) بأن يكون جواب سائل : « مَنْ يقاوم الأسد ؟» .

(٢) أجيب عنه بأن القرينة على المسند لا على التعجيب ، وإنما يحصل التعجيب بذكره مع الاستغناء عنه .

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين - ١

١ - لم حذف المسند فى قول الشاعر :

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهمُ　　الجودُ يُفْقِرُ والإقدام قتَّالُ

٢ - لمَ ذكر المسند بعد « بل » فى قوله تعالى : ﴿ قالوا أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيمُ ، قال بلْ فعلَهُ كبيرُهم هذا فاسألوهمْ إن كانوا ينطقون ﴾ . آية ٦٢ ، ٦٣ سورة الأنبياء .

تمرين - ٢

١ - لم حذف المسند الأول وأعيد ذكر الثانى فى قول الشاعر :

لولا التُّقَى لجعلتُ قبرك كعبتى　　وجعلتُ قولك سُنتى وكتابى

٢ - لم حذف المسند فى قوله تعالى : ﴿ ولما ضُربَ ابنُ مريم مثلاً إذا قومكَ منهُ يصدُّون ﴾ آية ٥٧ سورة الزخرف .

تمرين - ٣

١ - لم حذف المسند أولاً ثم المسند إليه ثانياً فى قول الشاعر :

والناسُ هذا حظهُ مالٌ وذا　　علمٌ وذاك مكارم الأخلاق

٢ - بين المحذوف والداعى إلى حذفه فى قول الشاعر :

والطيرُ أقعدَها الكرَى　　والناسُ نامتْ والوُجودْ

تمرين - ٤

١ - لماذا حذف المسند فى قولهم « أحَشَفاً وسُوء كيلة » ؟

٢ - لماذا أعيدَ ذكر المسند فى قول الخنساء :

أعينىَّ ، جُودَا ولا تَجْمُدَا　　ألا تَبْكيَانِ لصَخْرِ النَّدَى ؟!

ألا تبكيان الجوادَ الجميلَ　　ألا تبكيان الفتى السَّيدا ؟!

* * *

أغراض الإفراد

وأما إفراده فلكونه غير سببى مع عدم إفادة تقوِّى الحكم (١) كقولك « زيد منطلق ، وقام عمرو » والمراد بالسببى نحو « زيد أبوه منطلق » (٢) .

قال السكاكى (٣) : وأما الحالة المقتضية لإفراده فهى إذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوِّى الحكم ، وأعنى بالمسند الفعلى ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه ، كقولك « أبو زيد منطلق ، والكر (٤) من البُرِّ بستين ، وضرب أخو عمرو ، ويشكرك بكر إن تعطه ، وفى الدار خالد » إذ تقديره « استقر أو حصل فى الدار » على أقوى الاحتمالين (٥) لتمام الصلة بالظرف ، كقولك « الذى فى الدار أخوك » (٦) . **وفيه نظر** من وجهين :

أحدهما أن ما ذكره فى تفسير المسند الفعلى يجب أن يكون تفسيراً للمسند مطلقاً (٧) ، والظاهر أنه إنما قصد به الاحتراز عن المسند السببى ، إذ فسر المسند السببى بعد هذا بما يقابل تفسير المسند الفعلى ، ومثَّله بقولنا « زيد أبوه منطلق أو انطلق ، والبُرُّ الكُرُّ منه بستين » فجعل كما ترى أمثلة السببى مقابلة لأمثلة الفعلى مع الاشتراك فى أصل المعنى (٨) . والثانى أن الظرف الواقع خبراً إذا كان مقدراً

(١) نحو « زيد قائم » وإنما يكون ذلك عند اقتضاء المقام له بأن يكون المخاطب خالى الذهن من الحكم ؛ فلا يؤتى له بصورة تفيد تقويته ، وهى صورة تقديم الاسم على الخبر الفعلى كما سبق فى المسند إليه ، وإنما اختص إفراده بذلك لأنه إذا كان سببًا أو مفيداً للتقوى كان جملة لا مفرداً .

(٢) فالسببى كل جملة علقت على مبتدأ بعائد لا يكون مسنداً إليه فى تلك الجملة ؛ لأنه إذا كان مسنداً إليه فيها كان من صورة تقوية الحكم نحو « زيد ينطلق » ، والسببى نسبة إلى السبب وهو ضمير الربط .

(٣) ١١١ – المفتاح .

(٤) هو مكيال مقداره أربعون أردبا ، وقيل غير ذلك .

(٥) الاحتمال الثانى تقديره اسما أي مستقر أو حاصل .

(٦) فإن تقديره : الذى استقر أو حصل فى الدار أخوك ، ولا يصح تقدير حاصل أو مستقر فيه ؛ لأن الصلة لا تتم به ، ولكن تعيُّن هذا فى الصلة لا يوجب أرجحيته فى غيرها .

(٧) لأنه يشمل المسند إذا كان فعلا أو غيره ، نحو انطلق زيد ، وزيد منطلق ، وزيد أبوه منطلق .

(٨) يعنى به المعنى الذى ذكره للفعلى ؛ لأنه يشمل كل مسند كما سبق ، فيدخل فيه السببى ، وإذا كان داخلا فى معنى الفعلى لم تصح المقابلة بين أمثلتهما .

بجملة ـ كما اختاره ـ كان قولنا « الكر من البر بستين » تقديره « الكر من البر استقر بستين » ، فيكون المسند جملةً ويحصل تقوِّى الحكم كما مرّ ، وكذا إذا كان « فى الدار خالد » تقديره « استقر فى الدار خالد » كان المسند جملة أيضاً ، لكون « استقر » مسندا إلى ضمير خالد لا إلى خالد على الأصح ؛ لعدم اعتماد الظرف على شىء (١) .

أغراض كون المسند فعلاً أو اسماً : وأما كونه فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يمكن (٢) مع إفادة التجدّد (٣) .

وأما كونه اسمًا فلإفادة عدم التقييد (٤) والتجدد ، ومن البيِّن فيهما قول الشاعر :

لا يألفُ الدرهَمُ المضْروبُ صُرَّتَنا　　　لكنْ يَمرُّ عليها وهْوَ منطلقُ (٥)

وقوله :

أوَكلَّما وردتْ عكاظَ قبيلةٌ　　　بعثوا إلىَّ عريفَهم يتوسَّمُ (٦)

---

(١) مقابل الأصح يجعل خالداً فاعلا لمتعلق الظرف ، فلا تكون جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، وهذا إنما يأتى فى الأصح إذا اعتمد الظرف على نفى أو شبهه نحو : أوَ فى الدار خالد ؟

(٢) نكتة الاختصار هى فى الحقيقة مرجع البلاغة فى هذا الغرض ؛ لأن دلالة الفعل على الأزمنة الثلاثة بأصل وضعه ، ووجه الاختصار بأن قولك « قام زيد أو زيد قام » يفيد مع الاختصار معنى قولك « زيد حصل منه القيام فى الزمن الماضى » ولكن هذا الاختصار لا يكاد يمتاز به بليغ عن غيره ، والذى يدخل منه فى معنى البلاغة دلالته على الاستمرار التجددى كما سيأتى .

(٣) المراد بالتجدد حصول الشىء بعد عدمه ، والفعل يدل عليه بأصل وضعه أيضاً ، وإنما تعرَّض لإفادته ذلك لأن من الأسماء ما يشارك الفعل فى الدلالة على أحد الأزمنة ، كاسم الفاعل ، فإنه حقيقة فى الحال مجاز فى الاستقبال .

(٤) أى بأحد الأزمنة لأنه يدل على الثبوت فقط ، وهى دلالة وضعية لا يصح عَدُّها من وجوه البلاغة ، وإنما الذى يصح عده دلالته على الدوام بمعونة القرائن إذا كان المقام يقتضى كمال المدح أو الذم ونحوهما ، وكما سيأتى فى البيت الآتى .

(٥) هو للنضر بن جؤَيَّةَ ، . والمشهور نصب « صرتنا » على أنه مفعول ، ولكن الأحسن نصب الدرهم ليكون عدم الإلف من جانب الصرة ، فيدل على غناهم وإنفاقهم ، أما الأول فيحتمل أن عدم إلف الدرهم صرتهم لفقرهم ، مع أنه يقصد التمدح بغناهم وجودهم ، ولهذا حمل بعضهم الجملة الاسمية « وهو منطلق » على إفادة الدوام ليكون المدح أكمل .

(٦) هو لطريف بن تميم العنبرى ، وعكاظ : سوق بين نخلة والطائف ، والعريف : القَيِّم الذى يقوم بأمر القوم ، يريد أنهم يبعثون إليه عريفهم من أجل شهرته وعظمته .

إذ معنى الأول على انطلاق ثابت للدرهم مطلقا من غير اعتبار تجدده وحدوثه ، ومعنى الثانى على توسُّمٍ وتأمُّل ونظر بتجدد [1] من العريف هناك .

أغراض تقييد الفعل بمفعول ونحوه ، وترك تقييد الفعل :

وأما تقييد الفعل بمفعول ونحوه فلتربية الفائدة [2] كقولك « ضربت ضربا شديداً ، وضربت زيداً ، وضربت يوم الجمعة ، وضربت أمامك ، وضربت تأديباً ، وضربت بالسوط ، وجلست والسارية ، وجاء زيد راكباً ، وطاب زيد نفسا ، وما ضرب إلا زيد ، وما ضربت إلا زيداً [3] » .

والمقيد فى نحو « كان زيد قائما » هو « قائما » لا « كان » [4] .

وأما ترك تقييده فلمانع من تربية الفائدة [5] .

أغراض تقييد الفعل بالشرط : إن وإذا ولو : وأما تقييده [6] بالشرط

---

(١) يريد به الدوام التجددى ، والفعل إنما يدل عليه بمعونة القرائن لأن التجدد الذى يدل الفعل عليه بأصل وضعه هو حصول الشىء بعد عدمه ، والبلاغة فى الفعل إنما تكون بدلالته على الدوام التجددى ، ومما يتبين الفرق فيه بين المسند الفعلى والمسند الاسمى قوله تعالى : ﴿ الله يستهزىء بهم ﴾ بعد قوله : ﴿ إنما نحن مُستهزئونَ ﴾ آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة لأن دلالة الأول على الاستمرار التجددى ، وهو أبلغ .

(٢) أى تكثيرها ، ولا يخفى أن تقييد الفعل بذلك من أحوال متعلقات الفعل ، فلا معنى لذكره هنا ، ولا يخفى أيضاً أن هذا التقييد يرجع إلى أصل معانى تلك المتعلقات ، فيجب أن يكون اعتبار ذلك هنا عند وجود القرينة التى تغنى عن ذكرها ، كما اعتبر وجود القرينة فى ذكر المسند إليه والمسند ، ومثال ذلك هنا أن يقال لك : هل تحب هندا ؟ فتقول : أحب هندا .

(٣) الاستثناء فى الأول من الفاعل وفى الثانى من المفعول ، وقيد الفعل فيهما هو المستثنى لأنه فى الحقيقة منسوب إلى المستثنى منه المحذوف ، فيكون المستثنى قيداً فيهما وإن كان فى الأول هو الفاعل فى الظاهر .

(٤) لأن « قائما » هو المسند ، فهو الذى يدل على الحدث المراد إسناده ، و (كان) تدل على زمانه ؛ فكأنك قلت : زيد قائم فى الزمان الماضى .

(٥) كخوف انقضاء فرصه ، أو ضيق مقام ، أو نحو ذلك من أغراض الحذف ، وبهذا يرجع اعتبار التقييد وتركه إلي اعتبارَى الحذف والذكر . ومن ترك التقييد لخوف انقضاء فرصة : قول الصائد لمن معه « حبس الصيد » فلا يقول « فى الشرك » ليبادر إليه قبل فواته بالفرار أو موته قبل ذبحه .

(٦) أى الفعل مسندا فى الجزاء ، فالشرط قيد لحكم الجزاء كالمفعول ونحوه ؛ لأن قولك : « إن جئتنى أكرمك » بمنزلة : أكرمك وقت مجيئك .

فلاعتبارات لا تُعرَف إلا بمعرفة ما بين أدواته من التفصيل ، وقد بُيِّن ذلك في علم النحو [١] ولكن لا بد من النظر ههنا في « إن ، وإذا ، ولو » .

أما « **إن وإذا** » فهما للشرط في الاستقبال [٢] ، لكنهما يفترقان في شيء : وهو أن الأصل في « إن » ألا يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه [٣] كما تقول لصاحبك : « إن تكرمني أكرمك » وأنت لا تقطع بأنه يكرمك .

والأصل في « إذا » أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه [٤] كما تقول : إذا زالت الشمس آتيك . ولذلك كان الحكم النادر موقعاً لإنْ ؛ لأنّ النادر غير مقطوع به في غالب الأمر ، وغلب لفظ الماضي مع « إذا » لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظراً إلى اللفظ [٥] قال تعالى [٦] : ﴿ فإذا جاءتهم الحسنةُ قالُوا لنَا هَذه وإنْ تُصبهمْ سَيئةٌ يَطَّيَّرُوا بمُوسى ومَنْ مَعهُ ﴾ أتى [٧] في جانب الحسنة بلفظ « إذا » لأن المراد بالحسنة الحسنةُ المطلقة التي حصولها مقطوع به . ولذلك عُرِّفَتْ تعريف الجنس [٨] . وجوَّز السكاكي [٩] أن يكون تعريفها للعهد ، وقال : « وهذا أقضى لحق البلاغة ، وفيه

---

(١) لا يخفى أن تلك الاعتبارات اعتبارات نحوية ، وليست في شيء من اعتبارات البلاغة إلا أن ينظر إلى دلالة أدوات الشرط على تعليق الجزاء بالشرط في أخصر عبارة ، فتكون نظير حروف العطف فيما سبق ، وذلك وجه ضعيف من وجوه البلاغة .

(٢) أي لتعليق حصول الجزاء بحصول الشرط في الاستقبال .

(٣) بأن يتردد في وقوعه أو يظن عدم وقوعه ، أما القطع بعدم وقوعه لاستحالته فلا تستعمل فيه « إن » إلا لنكتة كما سيأتي في قوله تعالى : ﴿ قل إنْ كان للرحمن ولد ﴾ آية ٨١ سورة الزخرف ، ومثل « إن » في دلالتها على ذلك باقي أدوات الشرط كما ذكره الدسوقي في حاشيته على المختصر .

(٤) مثل القطع في ذلك ظنٌّ وقوعه ، ولا يخفى أن الأداتين تدلان على ذلك بأصل الوضع ، ولكن إيثار إحداهما على الأخرىَ في موضع يصلح لهما قد يكون لاعتبارات دقيقة كما سيأتي في أمثلتهما .

(٥) إنما كان هذا بالنظر إلى اللفظ لأن الماضي معها ينقل إلى الاستقبال .

(٦) سورة الأعراف : الآية ١٣١ .

(٧) هذه الاعتبارات تأتي في كلام الله تعالى لأنه وارد على أساليب كلام البشر ، وإن لم يتصور فيه جزم ولا عدمه ، فيراعى فيه ذلك على فرض أنه لمخلوق يجوز عليه الجزم والتردد .

(٨) يعني الحقيقة في ضمن فرد مبهم ، بدليل إسناد المجيء إليها .

(٩) ١٣٠ – المفتاح .

نظر (١) ، وأتى فى جانب السيئة بلفظ « إنْ » لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ، ولذلك نكّرت (٢) .

* ومنه قوله (٣) تعالى : ﴿ وإذا أذقْنا النَّاسَ رحمةً فَرحُوا بها وإنْ تُصبهُمْ سَيِّئةٌ بمَا قدَّمتْ أيديهمْ إذا هُمْ يقنطُونَ ﴾ أتى بإذا فى جانب الرحمة . وأما تنكيرها فجعله السكاكى (٤) للنوعية نظراً إلى لفظ الإذاقة . وجعْلُهُ للتقليل نظراً إلى لفظ الإذاقة - كما قال - أقرب (٥) . وأما قوله تعالى: ﴿ وإذا مسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ﴾ (٦) بلفظ « إذا » مع الضُّر فللنظر إلى لفظ المس ، وإلى تنكير الضر المفيد فى المقام التوبيخى القصدَ إلى اليسير من الضر ، وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم كل ضرر ، وللتنبيه على أن مساس قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء حقُّه أن يكون فى حكم المقطوع به ، وأما قوله تعالى: ﴿ وإذا مسَّهُ الشرُّ فذو دعاء عريض ﴾ (٧) بعد قوله عز وجل: ﴿ وإذا أنْعمنا على الإنسان أعرضَ ونَأى بجانبه ﴾ أى أعرض عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبّرَ وتعظم ؛ فالذى تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير فى « مسه » للمُعرض المتكبر ، ويكون لفظ (إذا) للتنبيه على أن مثله يحق أن يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا به .

* قال الزمخشريُّ : وللجهل بموْقع « إن وإذا » يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ؛ ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان (٨) كيف أخطأ بهما الموقع فى قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ، ثم شُفعَ له فيها فقضاها :

---

(١) وجهه أنه ذكر أن المراد الحسنة المطلقة ، والإطلاق ينافى العهد ، وأجيب عنه بأنه يريد العهد على مذهبه من تنزيل الحقيقة منزلة المعهود لاعتبارات ، والذى ينافى الإطلاق العهد الحقيقى الذى يراد فيه فرد معين ، وإنما كان ذلك أقضى لحق البلاغة لأن المعهود أقرب إلى التحقق من الجنس الذى لا عهد فيه ، ولكن هذا لا يخلو من تكلف .

(٢) لأن التنكير فى أصله يفيد التقليل لدلالته على الوحدة ، بخلاف « ال » الجنسية .

(٣) سورة الروم : الآية ٣٦ . (٤) ١٣٦ - المفتاح .

(٥) لأن الإذاقة أثرها أضعف من غيرها ، وقد اعترض على هذا بأنه ينافى ما ذكره فى الآية السابقة من أن إطلاق الحسنة المفيد للتكثير هو الذى يناسب « إذا » فلا يكون التقليل هنا فى الرحمة مناسبا لها .

(٦) سورة الروم : الآية ٣٣ . (٧) سورة فصلت : الآية ٥١ .

(٨) قيل إن هذه القصة وما فيها من الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان .

ذُممْتَ ولم تُحْمَد وأدْركتُ حاجَتى ... تولَّى سواكم أجْرَها واصْطناعَها
أبَى لك كسبَ الحمد رأىٌ مُقَصِّر ... ونفسٌ أضَاق الله بالخير باعَهَا
إذا هى حثَّتْهُ على الخير مرة ... عصاها وإن هَمَّتْ بشرٍّ أطاعَها

فلو عكسَ لأصاب » (١) .

وقد تستعمل « إن » فى مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة :

كالتجاهل لاستدعاء المقام إياه (٢) .

وكعدم جزم المخاطب ؛ كقولك لمن يكذِّبك (٣) فيما تخبر : إن صدقتُ فقل لى ماذا تفعل ؟ » .

وكتنزيله منزلة الجاهل (٤) لعدم جريه على مُوجب العلم ، كما تقول لمن يؤذى أباه : « إن كان أباك فلا تؤذه » .

وكالتوبيخ على الشرط ، وتصوير أن المقام لاشتماله على ما يقلعه عن أصله لا يصلح إلا لفرضه كما يُفرضُ المُحال لغرض (٥) كقوله تعالى : ﴿ أفنضربُ عنكم الذِّكرَ صفحاً إنْ كنتم قوْماً مسرفينَ ﴾ (٦) فيمن قرأ « إن » بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل فى ارتكاب الإسراف ، وتصوير أن الإسراف من العاقل فى هذا المقام واجب الانتفاء ، حقيقٌ ألاَّ يكونَ ثبوته له إلا على مجرد الفرض .

وكتغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به (٧) ، ومجىء قوله تعالى :

---

(١) يعنى بالعكس أن يقول « إن هى حثته ، وإذا همت » ووجه الصواب فيه أنه هو المناسب لما يقصده من الهجاء ، وأجيب عنه بأنه يقصد فى « إذا » إثبات حث نفس الوالى له على الخير وأنه مع ذلك يعصيها ، وهو أبلغ فى الذم ، وبأنه يقصد فى « إن » أنه يبادر إلى الشر بمجرد توهم نفسه له ، وهو أبلغ فى الذم أيضاً .

(٢) كأن يسأل خادم عن سيده : هل هو فى الدار ؟ وهو يعلم أنه فيها ، فيقول « إن كان فيها أخبرك » فيتجاهل خوفاً من سيده .

(٣) أى لمن يجوِّز كذبك ؛ لأن المقام فى عدم جزم المخاطب .

(٤) يعنى به الشاك لأنه هو الأصل فى استعمال « إن » ، والفرق بين هذا وما قبله أن الشك غير حقيقى هنا ، وفيما قبله حقيقى .

(٥) كإرخاء العنان لإلزام الخصم .

(٦) سورة الزخرف : الآية ٥ . بقراءة : « أن كنتم » .

(٧) يعنى تغليب المشكوك فى اتصافه بالشرط على المجزوم باتصافه به ، ولا يعنى تغليب المجزوم بعدم اتصافه به على المجزوم فيه بذلك ؛ لأن كلا منهما ليس هو المقام الأصلى لها ، والمراد تغليب مقامها الأصلى على غيره .

﴿ وإنْ كُنْتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾[1] بـإن ، يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها عن أصلها ، ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم [2] ؛ فإنه كان فيهم من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً [3] وكذلك قوله تعالى : ﴿ إنْ كُنْتمْ فى رَيبٍ منَ البَعثِ ﴾ [4] .

استطراد إلى التغليب : والتغليب باب واسع [5] يجرى فى فنون كثيرة [6] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣ .

(٢) اعترض على هذا بأن ما هنا جمع بين مرتاب يقينا وغير مرتاب يقينا ، وكل منهما لا تستعمل فيه « إن » ؛ فالوجه أن يجعل من تغليب من يشك فى ارتيابه كالمنافقين على غيرهم . ويمكن أن يجعل من تغليب غير المرتابين على المرتابين على أنه بعد التغليب صار الجميع بمنزلة غير المرتابين ، فصار الشرط قطعيَّ الانتفاء ، فاستعمل « إن » فيه على سبيل الفرض للتبكيت والإلزام، ولا يخفى ما فى هذا من التكلف .

(٣) هؤلاء هم غير المرتابين .

هذا وكما تستعمل « إن » فى مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة ، تستعمل فى مقام القطع بعدم وقوعه لنكتة أيضاً ، وذلك كالتبكيت وإلزام الخصم والمبالغة ونحو ذلك ، ومن هذا الاستعمال قوله تعالى : ﴿ قُل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدينَ ﴾ آية ٨١ سورة الزخرف .

وقد تستعمل « إذا » فى مقام الشك لنكتة ، كالإشعار بأن الشك فى الشرط لا ينبغى أن يكون ، كقولك لمن قال : لا أدرى هل يتفضل علىَّ الأمير ؟ : إذا تفضل عليك فكيف يكون شكرك ؟ للإشعار بأن الأمير لا ينبغى الشك فى تفضله . وقد تستعمل فى ذلك أيضاً لتغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به ، ولكن استعمال « إذا » فى مقام الشك نادر ، بخلاف استعمال « إن » فى مقام الجزم .

(٤) سورة الحج : الآية ٥ .

(٥) لا يخفى أن التغليب معدود فى المحسنات البديعية ، فلا معنى لذكره هنا ، وهو إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بجعله موافقا له فى الهيئة أو المادة . فالأول كقوله تعالى : ﴿ وكانتْ منَ القانتين ﴾ والثانى كالأبوين للأب والأم ، وكالقمرين للقمر والشمس ، وقيل إن التغليب من المجاز المرسل لعلاقة المجاورة ، أو من باب عموم المجاز ، بأن يراد من (القانتين) مثلا الذوات المتصفة بالقنوت ، ويصح بهذا أن يلحق التغليب بعلم البيان ، والحق أنه ليس من المجاز ؛ لأن المجاز نقل اللفظ من معنى إلى آخر ، أما التغليب فهو كالمشاكلة الآتية فى البديع ، فإنما ينقل فيه المعنى من لباس إلى لباس لا اللفظ ، وهذا إلى أنه لا علاقة فيه من مجاورة أو غيرها ؛ لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلولَى اللفظين لا بين اللفظين .

(٦) أى يجرى فى أساليب من الكلام لاعتبارات مختلفة غير محدودة ولا مضبوطة ، وشأنه فى ذلك شأن غيره من المحسنات البديعية .

كقوله تعالى : ﴿ لَنُخرِجنكَ يا شُعيبُ والذينَ آمنُوا معكَ منْ قَريتنَا أو لَتعودنَّ فى ملَّتنَا ﴾(١) أدخل شعيب عليه السلام فى : ﴿ لتعودن فى ملتنا ﴾ بحكم التغليب إذ لَم يكن شعيب فى ملتهم أصلا ، ومثله قوله تعالى : ﴿ إنْ عُدنَا فى ملَّتكمْ ﴾(٢) وكقوله تعالى : ﴿ وَكانتْ منَ القانتينَ ﴾(٣) عُدَّت الأنثى من الذكور بحكم التغليب (٤) وكقوله تعالى : ﴿ فَسَجدُوا إلاَّ إبْليسَ ﴾ (٥) عُدَّ إبليس من الملائكة بحكم التغليب ، وكقوله تعالى : ﴿ بلْ أنْتمْ قومٌ تَجهلونَ ﴾ (٦) بتاء الخطاب ، غُلبَ جانب (أنتم) على جانب (قوم) (٧) . ومثله ﴿ وَما ربُّكَ بغَافلٍ عمَّا تعْمَلونَ ﴾ (٨) فيمن قرأ بالتاء (٩) وكذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها النّاسُ اعْبدُوا ربَّكُم الذى خلقكم والذينَ منْ قَبْلكُمْ لَعلكمْ تتَّقونَ ﴾ (١٠) غلّب المخاطبون فى قوله﴿ لعلكم تتقون ﴾ على الغائبين(١١) فى اللفظ،والمعنى على إرادتهما جميعاً ؛ لأن (لعل) متعلقة بـ(خلقكم)لا بـ(اعبدوا)(١٢)،وهذا من غوامض التغليب. وكقوله تعالى :﴿ جَعلَ لكمْ منْ أنفسكُم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكمْ فيه ﴾(١٣)فإن الخطاب فيه(١٤)شامل للعقلاء والأنعام،فغلب فيه المخاطبون(١٥) على

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٨٨ . (٢) سورة الأعراف : الآية ٨٩ .

(٣) سورة التحريم : الآية ١٢ .

(٤) هذا على أن « من » تبعيضية ، ويجوز جعلها ابتدائية على أن المراد بالقانتين آباؤها الأولون كإبراهيم وإسحاق ، والأول أبلغ لما فى التغليب من الإشعار بأنها بلغت فى طاعتها مبلغ أولئك الرجال القانتين حتى عُدَّتْ منهم .

(٥) سورة البقرة : الآية ٣٤ . (٦) سورة النمل : الآية ٥٥ .

(٧) قيل : إن ذلك التفات من الغيبة إلى الخطاب ، ورُدَّ بأن الخطاب فيه مسبوق بخطاب مثله ، فلم يجر على خلاف السياق حتى يكون التفاتا .

(٨) سورة هود : الآية ١٢٣ .

(٩) غلب فيها خطاب النبى فى قوله تعالى قبل ذلك : ﴿ فاعْبدهُ وتوكلْ عَليه ﴾ على من ورد ذكرهم قبله فى قوله : ﴿ وُقلْ للَّذينَ لا يُؤمنونَ اعملُوا عَلى مَكانتكُم إنّا عَاملون ﴾ .

(١٠) سورة البقرة : الآية ٢١ .

(١١) فى قوله : ﴿ والذين من قبلكم ﴾ . والمخاطبون هم الناس فى قوله : ﴿ يأيها الناس ﴾ وهم أمة دعوة النبى ﷺ .

(١٢) فلو تعلقت به لم يكن ذلك من التغليب ؛ لأنه يراد به المخاطبون وحدهم .

(١٣) سورة الشورى : الآية ١١ .

(١٤) أى فى قوله (يذرؤكم) .

(١٥) أى فى قوله (وجعل لكم) .

الغُيَّب (١) والعقلاء (٢) على الأنعام (٣) . وقـــوله تعـــالى : ﴿ يذرؤُكم فيه ﴾ أى يبثُّكم ويكثركم فى هذا التدبير ، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل ، فجـعل هذا التدبير كالمنـبع والمعدن للبثِّ والتكثير ، ولذلك قيل ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ ولم يُقلْ « به » كمـــا فى قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ (٤) .

واعلم أنه لما كانت هاتان الكلمتان لتعليق أمر بغيره – أعنى الجزاء بالشرط – فى الاستقبال (٥) ، امتنع فى كل واحدة من جملتيهما الثبوت وفى أفعالهما المضىُّ ؛ أعنى أن يكون كلتا الجملتين أو إحداهما اسمية ، أو كلا الفعلين أو أحدهما ماضيا – ولا يخالَفُ ذلك لفظًا (٦) نحو : « إن أكرمتنى أكرمتك ، وإن أكرمتنى أكرمك ، وإن تكرمنى أكرمتك ، وإن تكرمنى فأنت مكرم ، وإن أكرمتنى الآن فقد أكرمتك أمس » إلا لنُكتةٍ ما (٧) مثل إبراز غير الحاصل فى صورة الحاصل ؛ إما لقوة الأسباب المتآخذة فى وقوعه ، كقولك « إن اشترينا كذا » حال انعقاد الأسباب فى ذلك . وإما لأن ما هو للوقوع كالواقع ، كقولك « إن متُّ كان كذا وكذا » كما سبق ، وإما

---

(١) هم الأنعام .　　　　　　(٢) هم المخاطبون .

(٣) لأنه جمع ما لا يعقل ؛ فالأفصح فيه إفراد الضمير العائد عليه ، لكنه غلب عليه العقلاء فجمع الضمير .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٧٩ ، فقد جعل القصاص كالمنبع للحياة .

(٥) متعلق بمحذوف تقديره كائنين فى الاستقبال ، ولا يتعلق بالمصدر وهو « تعليق » لأنه حاصل فى الحال لا فى الاستقبال .

(٦) أما فى المعنى فالاستقبال باق على حاله ، ولو قلت « إن أكرمتنى الآن فقد أكرمتك أمس » لأن معناه إن تعتد بإكرامى الآن أعتد بإكرامك أمس ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يكذِّبوكَ فقد كُذِّبتْ رُسُلٌ منْ قَبْلك ﴾ آية ٤ سورة فاطر؛ لأن جواب الشرط فيه محذوف تقديره فاصبر . وقد تستعمل « إنْ » فى الماضى لفظاً ومعنى باطراد مع « كان » كقوله تعالى ﴿ إن كنتُ قلتهُ فقدْ علمتهُ ﴾ آية ١١٦ سورة المائدة ، وعلى قلة مع غيرها ، كقول أبى العلاء :

فيا وطنى إن فاتنى بك سابقٌ　　مِنَ الدهر فلينعَمْ لساكنك البالُ

وقد تستعمل « إذا » فى الماضى كذلك ، كما فى قوله تعالى : ﴿ حَتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ﴾ آية ٩٦ سورة الكهف ، وهذا استعمال لغوى لهما لا يحتاج إلى نكتة كاستعمالها فى الماضى لفظاً فقط .

(٧) المثال الأخير على تقدير « إن تعتد بإكرامى الآن أعتد بإكرامك أمس » كما سبق .

للتفاؤل ، وإما لإظهار الرغبة فى وقوعه (١) نحو « إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام » فإن الطالب إذا تبالغتْ رغبتُه فى حصول أمر يكثر تصوُّره إياه ، فربما يخيَّل إليه حاصلا ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ولا تُكرهوا فتياتكمْ على البغاء إنْ أردنَ تحصُّناً ﴾ (٢) وقد يَقوَى هذا التخييل عند الطالب حتى إذا وجد حكم الحس بخلاف حكمه غلَّطهُ تارة ، واستخرج له محملاً أخرى ، وعليه قول أبى العلاء المعرِّى :

ما سِرْتُ إلا وطيفٌ منك يَصْحَبنى سُرًى أمامى وتأويباً على أثرى (٣)

يقول : لكثرة ما ناجيتُ نفسى بك انتقشتَ فى خيالى ، فأعُدُّك بين يدى مغالطًا للبصر بعلة الظلام إذا لم يدركك ليلاً أمامى ، وأعدُّك خلفى إذا لم يتيسر لى تغليطه حين لا يدركك بين يدىَّ نهاراً .

وإما لنحو ذلك .

قال السكاكى (٤) : أو للتعريض (٥) ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ لئن أشركتَ ليَحبطَنَّ عملُكَ ﴾ (٦) وقوله تعالى : ﴿ ولَئِنِ اتبعتَ أهواءهم من بعْدِ ما جاءكَ من العلمِ إنَّكَ إذاً لمن الظالمين ﴾ (٧) وقوله : ﴿ فإنْ زللتمْ منْ بعدِ ما جاءتكم البَيناتُ ﴾ (٨) .

---

(١) التفاؤل للسامع وهو ذكر ما يسُرُّه ، والرغبة من المتكلم ، والمثال المذكور صالح لهما .

(٢) آية ٣٣ سورة النور . ومعنى إظهار الرغبة فى حقه تعالى إظهار كمال رضاه لتنزهه تعالى عن الرغبة .

(٣) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، والطيف : الخيال ، السرى : السير ليلا ، والتأويب : السير نهاراً مشتق من الأوب ؛ لأن الغالب أنهم يسيرون ليلاً ويؤوبون إلى منازلهم نهاراً ، وفى البيت تعقيد ظاهر .

(٤) ١٣٣ – المفتاح .

(٥) معطوف على ما ذكره السكاكى من الأسباب السابقة لإبراز غير الحاصل فى صورة الحاصل ، وإنما صرح الخطيب باسم السكاكى فى هذا السبب مع أن ما سبق منقول عنه ؛ لأن التعريض يحصل فى ذلك ، ولو عبرَ بالمضارع بدل الماضى ، فلا يصح نكتة للتعبير بالماضى دونه كالأسباب السابقة ، وأجيب عن السكاكى بأن ذكر المضارع فى ذلك لا يفيد التعريض لكونه على أصله . والحق أنه يفيده لأن مبنى التعريض فيه على نسبة الفعل إلى من لا يصح وقوعه منه ، وهى حاصلة فى المضارع كالماضى .

(٦) سورة الزمر : الآية ٦٥ . (٧) سورة البقرة : الآية ١٤٥ .

(٨) سورة البقرة : الآية ٢٠٩ .

ونظيره في التعريض قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لا أعْبُدُ الذى فطرَني وإليه تُرجعون ﴾ (١) . المراد : وما لكم لا تعبدون الذى فطركم ، والمنبَّه عليه (٢) ﴿ ترجعون ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أأتخذُ منْ دُونه آلهة إنْ يُردن الرَّحمنُ بضُرٍّ لا تُغنِ عني شفاعتهمْ شيئاً ولا يُنقذُون * إني إذاً لَفِي ضلال مُبين ﴾ (٣) إذ المراد — أتتخذون من دونه آلهة إن يردكم الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئاً ، ولا ينقذوكم إنكم إذاً لفي ضلال مبين ، ولذلك قيل (٤) ﴿ آمنتُ بربكم ﴾ دون (بربي) وأتبعه ﴿ فاسمعون ﴾ .

ووجهُ حُسنه (٥) تَطلبُ إسماع المخاطَبين — الذين هم أعداء المُسْمِع — الحقَّ على وجه لا يورثهم مزيد غضب ، وهو ترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل ومواجهتهم بذلك ، ويعين على قبوله (٦) ، لكونه أدخلَ في إمحاض النصح لهم ، حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، ومن هذا القبيل قوله : ﴿ قُلْ لا تُسألونَ عمَّا أجْرمنا ولا نُسألُ عمَّا تعملون ﴾ (٧) — فإن من حق النسق من حيث الظاهر « قل لا تسألون عما عملنا ولا نُسأل عما تجرمون » وكذا ما قبله : ﴿ وإنَّا أو إياكُم لعلى هدًى أوْ في ضلال مبين ﴾ (٨) — قال السكاكي رحمه الله (٩) : وهذا النوع من الكلام يسمَّى المُنْصِفَ .

ومما يتصل بما ذكرناه أن الزمخشري قدَّر قوله تعالى : ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ (١٠) عطفًا على جواب الشرط في قوله : ﴿ إن يَثقفوكمْ يكونوا لكم أعداء ويبسطو إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ووَدّوا لو تكفرون ﴾ ،

---

(١) آية ٢٢ سورة يس . وإنما كان نظيره ولم يكن منه لخلوه عن أداة الشرط .

(٢) لأنه لولا التعريض لكان المناسب للسياق « وإليه أرجع » ، وقد سبق التمثيل بالآية للالتفات ، ولا منافاة بينه وبين التعريض .

(٣) سورة يس : الآيات ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) في قوله تعالى بعد الآيتين ٢٣ ، ٢٤ السابقتين : ﴿ إني آمنت بربكم فاسمعون ﴾ .

(٥) أي حسن هذا التعريض في قوله تعالى : ﴿ وما ليَ لا أعبد الذى فطرني ﴾ وما بعده . أما التعريض في قوله : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ فيفيد نسبته إليهم على وجه أبلغ من التصريح بنسبته إليهم .

(٦) أي قبول الحق . (٧) سورة سبأ : الآية ٢٥ .

(٨) الضمير في قوله « قبله » يعود إلى قوله ﴿ قل لا تسألون ﴾ الآية .

(٩) ١٣٣ — المفتاح .

(١٠) سورة الممتحنة : الآية ٢ .

وقال : الماضى وإن كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع فى علم الإعراب (١) فإن فيه نكتة ، كأنه قيل : وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم ؛ يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضارّ الدنيا والدين جميعاً من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردُّكم كفاراً . وردُّكم كفاراً أسبقُ المضار عندهم وأولها ؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم ؛ لأنكم بذّالون لها دونه ، والعدوُّ أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه . هذا كلامه ، وهو حَسن دقيق ، لكن فى جعْل ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ عطفاً على جواب الشرط نظر ؛ لأن ودادتهم أن يرتدوا كفاراً حاصلة وإن لم يظفروا بهم ؛ فلا يكون فى تقييدها بالشرط فائدة ؛ فالأوْلى أن يُجعلَ قوله : ﴿ وودّوا لو تكفرُون ﴾ عطفًا على الجملة الشرطية كقوله تعالى : ﴿ وإنْ يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ (٢) .

لو : وأما « لو » فهى للشرط فى الماضى مع القطع بانتفاء الشرط ؛ فيلزم انتفاء الجزاء (٣) كانتفاء الإكرام فى قولك « لو جئتنى لأكرمتك » ولذلك قيل : هى لامتناع الشيء لامتناع غيره (٤) ، ويلزم كونُ جملتيها فعليتين وكونُ

---

(١) لأنه ينقلب فيه من المضى إلى المستقبل .

(٢) آية ١١١ سورة آل عمران فإن قوله : ﴿ لا ينصرون ﴾ معطوف على الجملة الشرطية .

(٣) يعنى أن « لو » موضوعة للدلالة على امتناع الجزاء ، وعلى أن امتناعه ناشيء عن امتناع الشرط ، ولا يريد أن دلالتها على امتناع الشرط بالوضع وعلى امتناع الجزاء باللزوم ، فلا يُعترض عليه بأن الشرط سبب فى الجزاء ، ولا يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب ؛ لأنه يجوز أن يكون له سبب آخر غيره ، وإذا كان هذا معنى « لو » بالوضع فإنه يلزمه أن العلم بامتناع الشرط لأجل العلم بامتناع الجزاء ، وبهذا يكون لها معنيان : أحدهما وضعى ، وهو الشائع فى القرآن والحديث وأشعار العرب ، كقول الحماسى :

ولو طار ذو حافرٍ قبلها ... لطارتْ ولكنه لم يَطِرْ

وقول أبى العلاء :

ولو دامت الدُّولاتُ كانوا كغيرهم ... رعايا ولكنْ ما لَهُنَّ دوام

وثانيهما عقلى ، وهو المعتمد فى علم المنطق والشائع فى مقام الاستدلال العقلى ، وعليه قوله تعالى : ﴿ لوْ كان فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لفسدتا ﴾ آية ٢٢ سورة الأنبياء ؛ لأن الغرض منه الاستدلال بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة دون العكس .

(٤) أى لامتناع الجزاء لامتناع الشرط ؛ لأن « لو » فى كلامهم إنما تستعمل فى الشرط الذى لا سبب سواه لجزائه ، فإذا حصل حصل ، وإذا انتفى انتفى .

الفعل ماضيا (١) ؛ فدخولها على المضارع (٢) في نحو قوله تعالى : ﴿ لوْ يُطيعكمْ في كثير منَ الأمر لعنتُّمْ ﴾ (٣) لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتاً (٤) ، كما في قول الله تعالى : ﴿ اللهُ يستهزىء بهمْ ﴾ (٥) بعد قوله : ﴿ إنما نحن مُستهزئُون ﴾ (٦) وفي قوله تعالى : ﴿ فويلٌ لهمْ مما كتبتْ أيديهمْ وويلٌ لهم مما يكسبُونَ ﴾ (٧) .

ودخولها عليه في نحو قوله : ﴿ ولوْ ترى إذ المُجرمُون ناكسُو رءوسهمْ ﴾(٨) وقوله تعالى : ﴿ ولوْ ترى إذ الظالمُون موقوفُونَ عندَ ربِّهمْ ﴾ (٩) لتنزيله منزلة الماضي لصدوره عَمَّن لا خلاف في إخباره ، كما نزِّل ﴿ يودُّ ﴾ منزلة « ودَّ » في قوله تعالى : ﴿ ربما يودُّ الذين كفروا ﴾ (١٠) . ويجوز أن يُردَّ الغرض من لفظ « ترى ويود » إلى استحضار صورة (١١) رؤية المجرمين ناكسي الرءوس قائلين لما يقولون ، وصورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم متقاولين بتلك المقالات ، وصورة ودادة

---

(١) ذهب المبرد إلى أنها قد تستعمل وضعاً في المستقبل ، فلا يلتمس لها فيه نكتة ، كقول الشاعر :

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا … من دون رَمْسَيْنا من الأرض سبسب
لظلَّ صدى صوتي وإن كنتُ رمةً … لصوت صدى ليلى يَهَشُّ ويطربُ

(٢) هذا هو الذي يدخل في معنى البلاغة من استعمال « لو » وغيرُه استعمالٌ وضعي لا بلاغي .

(٣) سورة الحجرات : الآية ٧ .

(٤) فيكون المعنى في الآية أن امتناع عنتهم بسبب امتناع استمراره على إطاعتهم .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٥ .

(٦) فلم يقل « الله مستهزئ بهم » كما قالوا « نحن مستهزءون » لأن المضارع يفيد استمرار الاستهزاء على سبيل التجدد ، وهو أبلغ من الاستمرار والثبوت الذي تفيده الجملة الاسمية .

(٧) آية ٧٩ سورة البقرة . إذ لم يقل « مما كسبوا » كما قال « مما كتبت أيديهم » لأن كسبهم يتجدد ، بخلاف ما كتبوه .

(٨) سورة السجدة : الآية ١٢ .

(٩) سورة سبأ : الآية ٣١ .

(١٠) آية ٢ سورة الحجر ؛ لأن الفعل الواقع بعد « رب » المكفوفة يجب أن يكون ماضيا عند ابن السراج وأبي علي ، والجمهور لا يوجبون ذلك .

(١١) الحق أن هذا إنما يكون في حكاية الحال الماضية ، كما في قوله تعالى : ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ آية ١٨ سورة الكهف . ولم يثبت في كلامهم حكاية الحال المستقبلة كما هنا ، وقيل : إن ما هنا من حكاية الحال الماضية بعد تنزيل المضارع منزلة الماضي ، وهو تكلف ظاهر .

الكافرين لو أسلموا كما فى قوله تعالى : ﴿ واللهُ الذى أرسلَ الرِّياح فتثير سحابا فسقناهُ إلى بلد ميت فأحيينا به الأرضَ بعد موتها ﴾ (١) إذ قال ﴿ فتثير سحابا ﴾ استحضاراً (٢) لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة ، من إثارة السحاب مسخراً بين السماء والأرض ، تبدو فى الأول كأنها قطنٌ مندوف ، ثم تتضامُّ متقلبة بين أطوار حتى يعدنَ رُكاما . وكقول تأبط شراً (٣) :

ألا مَنْ مُبلغٌ فتيان فَهْم ... بما لاقيتُ عند رحا بطان (٤)

بأنى قد لقيتُ الغولَ تهوى ... بسهب كالصحيفة صحْصحان (٥)

فقلتُ لها كلانا نضْو أرض ... أخو سفر فخلِّى لى مكانى (٦)

فشدَّتْ شدَّةً نحوى فأهوتْ ... لها كفِّى بمصقول يمَانى

فأضربهُا بلا دَهَشٍ فخرَّتْ ... صريعًا لليدين وللجران (٧)

إذ قال « فأضربها » ليصور لقومه الحالة التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يُبَصرهم إياها ، ويتطلب منهم مشاهدتها تعجيبًا من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدمَ خلقهُ منْ تُراب ثمَّ قال لهُ كنْ فيكونُ ﴾ (٨) إذ قال : ﴿ كنْ فيكونُ ﴾ دون « كن فكان » وكذا قوله تعالى : ﴿ ومن يُشركْ بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطَفهُ الطيرُ أو تهوى به الريحُ فى مكان سحيق ﴾ (٩) .

* * *

---

(١) سورة فاطر : الآية ٩ .

(٢) هذا من استحضار الحال الماضية ، فلا يصح قياس ما سبق عليه .

(٣) هذا لقب غلب عليه ، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان ، وقيل : إن الأبيات لأبى الغول الطهوى .

(٤) فهم : قبيلة تأبط شراً ، ورحا بطان : موضع .

(٥) قوله « تهوى » بمعنى تسرع ،والسهب : الفلاة، والصحصحان : ما استوى من الأرض.

(٦) النضو : المهزول من كل شيء ، فعل بمعنى مفعول ، كأنه نُضى وأخرج عن لحمه من جدبها .

(٧) صريعاً : فعيل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والجران : فى الأصل مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره .

(٨) سورة آل عمران : الآية ٥٩ . (٩) سورة الحج : الآية ٣١ .

تمرينات على
إفراد المسند واسميته وفعليته وتقييده وترك تقييده

تمرين - ١

١ - بين الداعى إلي فعلية المسند وظرفيته في قوله تعالى : ﴿ يَمحُو اللهُ ما يشَاءُ ويُثبت وَعندهُ أمُّ الكتابِ ﴾ آية ٣٩ سورة الرعد .

٢ - لِمَ أتى المتنبى بالمسند فعلاً ثم ظرفًا فى قوله :

تُدبِّر شَرْقَ الأرض والغرب كفُّه   وليس لها يوماً عن الجود شاغلُ

تمرين - ٢

بين ما يستفاد من اسمية المسند وفعليته فى قول الشاعر :

١ - سلامٌ على القبر الذى لا يجيبنا   ونحن نحيِّى ترْبهُ ونخَاطبُهْ

٢ - يـــــهوَى الثناءَ مُبرِّز وَمقصِّرٌ   حُبُّ الثناء طبيعةُ الإنسانِ

تمرين - ٣

١ - افرق بين الدوام الذى تفيده اسمية المسند بمعونة القرائن ، والدوام الذى تفيده فعليته بمعونة القرائن .

٢ - أيهما أحسن فى تقدير متعلق الظرف والجار والمجرور ؟ وهل يدخل هذا فى البلاغة أو لا يدخل ؟

تمرين - ٤

١ - لِمَ عَبَّرَ بإِن فى قـوله تعـالى : ﴿ وإِنْ يَرَوْا آيةً يُعْرِضُوا ويقُولُوا سِحْرٌ مُستمرٌّ ﴾ آية ٢ سورة القمر .

٢ - لم عُبِّرَ بإذا فى قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نَصرُ اللهِ والفتحُ * ورأيتَ الناس يدْخلونَ فى دين الله أفْواجاً * فسبِّحْ بحمدِ ربكَ واسْتغفرْهُ ﴾ آية ١ - ٣ سورة النصر .

* * *

أغراض التنكير

وأما تنكيره : فإما لإرادة عدم الحصر والعهد (١) كقولك « زيد كاتب ، وعمرو شاعر » ، وإما للتنبيه على ارتفاع شأنه أو انخفاضه على ما مر فى المسند إليه كقوله تعالى : ﴿ هُدًى للمُتَّقينَ ﴾ (٢) أى : هُدًى لا يُكْتَنَهُ كنهه (٣) .

أغراض التخصيص بالإضافة والوصف وتركه : وأما تخصيصه بالإضافة أو الوصف فلتكون الفائدةُ أتمَّ كما مرَّ (٤) ، وأما ترك تخصيصه بهما فظاهر مما سبق (٥) .

غرض التعريف : وأما تعريفه (٦) فلإفادة السامع إمَّا حكمًا على أمر معلوم له

---

(١) لأن تعريف المسند إذا كان بأداة عهدية أو بمضمر أو اسم إشارة أفاد العهد ، وإذا كان بأداة جنسية أو بموصول أفاد الاستغراق المستلزم للحصر ، وقد يفيد فى هذا غير الحصر كما سيأتى .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢ .

(٣) فالتنكير فى ذلك للتعظيم ، ومن التنكير للتحقير قول قيس بن جروة يخاطب عمرو ابن هند :

غدرتَ بأمر كُنتَ أنت دعوتنا إليه وبئس الشِّيمةُ الغَدرُ بالعهد
وقد يترك الغدرَ الفتى ، وطعامهُ إذا هو أمسى ، حلْبةٌ من دَم الفصد

(٤) من أن زيادة الخصوص توجب تمام الفائدة ، وإنما ذكر الإضافة هنا مع الوصف لاتحادها معه فى ذلك الغرض ، وقد ذكر السعد أن جعل معمولات المسند كالحال ونحوه من التقييد ، وجعل الإضافة والوصف من التخصيص إنما هو مجرد اصطلاح ؛ لأنه لا فرق بينهما فى ذلك ، ولا يخفى أن أغراض الإضافة والوصف فى المسند إليه تأتى هنا أيضاً . – ومن التخصيص بالإضافة قول الشاعر :

حَميَ الحَديدُ عليهمُ فكأنَّهُ ومضَانُ برْق أو شعاع شموس

ومن التخصيص بالوصف قول الشاعر :

وكنْت امرأ لا أسمَحُ الدهر شُبعة أُسَبُّ بها إلاّ كشفتُ غطاءها

(٥) أى فى ترك تقييد المسند من أنه يكون لمانع من تربية الفائدة ، وذلك كقصد الإخفاء عن السامعين ونحو ذلك .

(٦) أخره هنا عن الكلام على التنكير ، وذكر بينهما للتخصيص بالإضافة والوصف ، ولا يخفى أن أغراض الإضافة من أغراض التعريف ، وأن أغراض الوصف من أغراض التوابع ، وما كان أحسن لو رتب الكلام هنا كما رتبه فى باب المسند إليه .

بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له كذلك (١) ، وإمّا لازمَ حكم بين أمرين كذلك (٢) – تفسير هذا أنه قد يكون للشيء صفتان من صفات التعريف ويكون السامع عالماً باتصافه بإحداهما دون الأخرى (٣) – فإذا أردت أن تخبره بأنه متصف بالأخرى تعْمد إلى اللفظ الدال على الأولى وتجعله مبتدأ ، وتعمد إلى اللفظ الدال على الثانية وتجعله خبراً ، فتفيد السامع ما كان يجهله من اتصافه بالثانية كما إذا كان للسامع أخ يسمَّى زيداً وهو يعرفه بعينه واسمه ، ولكن لا يعرف أنه أخوه ، وأردتَ أن تعرِّفه أنه أخوه ، فتقول له « زيد أخوك » سواء عرف أن له أخا ولم يعرف أن زيداً أخوه ، أو لم يعرف أنَّ له أخا أصلا (٤) ، وإن عرف أن له أخاً في الجملة (٥) وأردت أن تُعينهُ عنده قلت « أخوك زيد » ، أما إذا لم يعرف أن له أخا أصلا فلا يقال ذلك ؛ لامتناع الحكم بالتعيين على من لا يعرفه المخاطب أصلاً ؛ فظهر الفرق بين قولنا « زيد أخوك » وقولنا « أخوك زيد » .

وكذا إذا عرف السامع إنسانا يسمى زيداً بعينه واسمه ،وعرف أنه كان من إنسانٍ انطلاقٌ ، ولم يعرف أنه كان من زيد أو غيره ، فأردت أن تُعرفهُ أن زيداً هو ذلك المنطلق (٦) فتقول « زيد المنطلق » ، وإن أردت أن تعرفه أن ذلك المنطلق هو زيد قلت : « المنطلق زيد » (٧) .

---

(١) لا يقال : إنه يلزم من علم السامع بكل منهما أن يكون هذا إخباراً بمعلوم له ؛ لأن المراد أنه يعلم كلا منهما ويجهل إسناد أحدهما إلى الآخر ، وإنما جعل الحكم في ذلك على أمر معلوم لوجوب تعريف المسند إليه عند تعريف المسند ، ولهذا حُكِمَ بالقلب في قول القطامي السابق : * ولا يكُ موقف منك الوداعا * .

(٢) لازم الحكم هو ما سماه في باب الإسناد الخبري لازم فائدة الخبر ؛ كأن تقول لمن مدحك أمس في غيبتك : أنت المادح لي أمس .

(٣) هذا لا يمنع علمه بالأخرى في ذاتها كما سبق .

(٤) هذا ينافي ما سبق له من وجوب أن يعرف السامع كلا من المسند إليه والمسند بإحدى طرق التعريف ؛ لأن هذا يلزمه أن يعرف أن له أخا في الجملة ، فإذا لم يعرف ذلك قيل له « زيد أخ منك » بالتنكير .

(٥) أي وكان يعرف زيداً بعينه واسمه .

(٦) على هذا تكون « ال » في المنطلق للعهد الذهني ، أما فيما بعده فهي فيه للجنس كما صرح به .

(٧) ضابط هذا أن ما يعرف السامع اتصاف الذات به منهما يجب تقديمه وجعله مسنداً إليه ، وقد اختلف النحويون في إعراب ذلك على أربعة مذاهب : فقيل وهو المشهور : إن الأول =

وكذا إذا عرف السامع إنسانا يسمى زيداً بعينه واسمه ، وهو يعرف معنى جنس المنطلق ، وأردتَ أن تعرِّفَهُ أن زيداً متصف به ، فتقول « زيد المنطلق » ، وإن أردت أن تعين عنده جنس المنطلق قلت « المنطلق زيد » .

لا يقال : « زيد » دالٌّ على الذات فهو متعين للابتداء تقدم أم تأخر ، والمنطلق دالٌّ على أمر نسبى فهو متعين للخبرية ، تقدَّم أو تأخَّر ؛ لأنَّا نقول : المنطلق لا يُجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذى له الانطلاق ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً وزيد لا يُجْمل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد ، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ ، ثم التعريف بلام الجنس [1] قد لا يفيد قصر المعرَّفِ على ما حُكم عليه به كقول الخنساء :

إذا قَبُحَ البكاء على قتيلٍ رأيتُ بُكاءك الحسنَ الجميلا [2]

وقد يفيد قصرَه [3] إما تحقيقاً ، كقولك « زيد الأمير » إذا لم يكن أمير سواه ، وإما مبالغةً لكمال معناه فى المحكوم عليه [4] كقولك « عمرو الشجاع » ، أى الكامل فى الشجاعة ، فتُخرج الكلام فى صورة توهمُ أن الشجاعة لم توجد إلا فيه ؛ لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال .

= هو المبتدأ ، وقيل : إن المبتدأ أعرفهما ، وقيل : إن المبتدأ هو المعلوم عند السامع منهما ، وقيل : إن كلا منهما يجوز أن يكون مبتدأ وخبراً .

(١) أى فى المسند ؛ لأن الكلام فيه . وإن كان التعريف بلام الجنس فى المسند إليه يفيد القصر أيضا كما سيأتى .

(٢) هو لتماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء ، وتريد بقولها « على قتيل » كل قتيل بقرينة المقام ؛ لأن النكرة فى سياق الإثبات لا تعم فى أصل الوضع ، وإنى أرى أنه لا حاجة إلى هذا العموم ، ويكفى أن يراد « إذا قبح البكاء على أى قتيل » . وإنما لم يفد تعريف « الحسن » القصر لأن كلامها للرد على من يتوهم قبح البكاء على قتيلها كغيره ، والرد عليه يكفى فيه إخراج البكاء على قتيلها من القبح إلى الحسن ، وإنما يصح القصر إذا كان الكلام للرد على من يسلِّم حسن البكاء على قتيلها ، ولكنه يدعى أن بكاء غيره حسن أيضا ، وهذا لا يلائمه أول البيت ، وفائدة تعريف « الحسن » ادعاء أنه معلوم لا ينكره أحد ، لأن « ال » الجنسية تفيد هذا كما سبق .

(٣) أى قصره على المسند إليه .

(٤) فالأول قصر تحقيقى والثانى ادِّعائى ، وتعريف المسند إليه بلام الجنس يفيد القصر كما سبق ، ولكنه يفيد قصر المسند إليه على المسند ، كقولك « الأمير زيد ، والشجاع عمرو » وتعريف المسند بالمسند بالعكس كما سبق ، ولهذا لا يتفاوت المعنى فيهما من جهة القصر .

ثم المقصور قد يكون نفسَ الجنس مطلقًا ، أى من غير اعتبار تقييده بشىء كما مر ، وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره ، كقولك « هو الوفىُّ حين لا تظن نفسٌ بنفسٍ خيراً » فإن المقصور هو الوفاء فى هذا الوقت لا الوفاء مطلقا . وكقول الأعشى :

هو الواهبُ المائة المُصْطفا ةَ إما مخاضاً وإما عِشاراً [١]

فإنه قصر هبة المائة من الإبل فى إحدى الحالتين ، لا هبتها مطلقاً ، ولا الهبة مطلقا . وهذه الوجوه الثلاثة – أعنى العهد ، والجنس للقصر تحقيقًا ، والجنس للقصر مبالغةً – تمنع جواز العطف بالفاء ونحوها [٢] على ما حكم عليه بالمُعرَّف بخلاف المُنكَّر ، فلا يقال « زيد المنطلق وعمرو » ولا « زيد الأمير وعمرو » ولا « زيد الشجاع وعمرو » .

أغراض كون المسند جملة : وأما كونه جملةً [٣] فإما لإرادة تقوِّى الحكم بنفس التركيب كما سبق [٤]، وإما لكونه سببيا ، وقد تقدم بيان ذلك [٥] ، وفعليتها لإفادة التجدد [٦]،واسميتها لإفادة الثبوت؛ فإن من شأن الفعلية أن تدل على التجدد، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت ، وعليهما قول رب العزة : ﴿ وإذا

---

(١) هو لميمون بن قيس المعروف بالأعشى فى مدح قيس بن معديكرب أبى الأشعث الكندى ، والمخاض : الحوامل من النوق اسم جمع ،والعشار : جمع عشراء وهى من النوق كالنفساء من النساء ، أو التى مضى لحملها عشرة أشهر .

(٢) أى مما يفيد الجمع من حروف العطف كالواو وثم ، وإنما امتنع العطف بذلك لأنه ينافى القصر .

(٣) هذا يقابل قوله فيما سبق « وأما إفراده » ،وقد وسَّط بينهما الأحوالَ السابقة لدخولها فى حال الإفراد .

(٤) أى فى الكلام على الخبر الفعلى فى تقديم المسند إليه ، نحو « هو يعطى الجزيل » .

(٥) أى بيان كونه سببيا عند قوله « وأما إفراده » وقيل : إن كل ما خبره جملة يفيد التقوِّى ولو كانت اسمية ، وعلى هذا تكون الجملة المسببية مفيدة للتقوى أيضا ، فيفيد قولك « زيد أبوه منطلق » تقوى الحكم بخلاف « أبو زيد منطلق » ولا يردّ على الحصر فى الغرضين أن خبر ضمير الشأن جملة وليس للتقوى ولا للسببية ؛ لأن جملة الخبر عن ضمير الشأن فى حكم المفرد لتفسيرها له ، وقيل : إنها تفيد التقوى لما فيها من البيان بعد الإبهام .

(٦) الضمير فى قوله « وفعليتها » يعود إلى الجملة الواقعة مسنداً ، فليس فى هذا تكرار مع ما سبق ؛ لأنه كان فى الفعل الواقع مسنداً ، وهو مفرد لا جملة ، وفى هذا إشارة إلى أن الجملة الاسمية إذا كان خبرها فعليا تفيد التجدد .

لقُوا الذين آمنوا قالوا آمنَّا وإذا خلوا إلى شياطينهمْ قالوا إنا معكم ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ قالوا سلاما ، قال سَلامٌ ﴾ (٢) إذ أصل الأول « نُسَلِّمُ عليك سلاما » وتقدير الثانى : سلام عليكم ، كأن إبراهيم عليه السلام قصد أن يُحَيِيهم بأحسن مما حيوه به (٣) أخذاً بأدب الله تعالى فى قوله تعالى : ﴿ وإذا حُييتم بتحية فحيُّوا بأحسنَ منها ﴾ (٤) وقد ذُكرَ له وجه آخر فيه دقة غير أنه بأصول الفلاسفة أشبه ، وهو أن التسليم دعاء للمسلَّم عليه بالسلامة من كل نقص ، ولهذا أُطلق ، وكمال الملائكة لا يُتصور فيه التجدد لأن حصوله بالفعل مقارن لوجودهم ، فناسبَ أن يُحيُّوا بما يدل على الثبوت دون التجدد ، وكمال الإنسان متجدد لأنه بالقوة وخروجه إلى الفعل بالتدرج ، فناسب أن يُحَيَّا بما يدل على التجدد دون الثبوت . وفيه نظر (٥) . وقوله تعالى : ﴿ سواءٌ عليكُمْ أدعوتموهمْ أمْ أنتمْ صامتون ﴾ (٦) أى أأحدثتم دعاءهم أم استمر صمتكم عنه؟ فإنه كانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعائهم ، فقيل : لم يفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم . وقوله تعالى : ﴿ قالُوا أجئتنا بالحقِّ أمْ أنت من اللاعبين ﴾(٧) أى أأحدثت عندنا تعاطىَ الحق فيما نسمعه منك أم اللعب أى أحوال الصبا بَعْدُ مستمرة عليك ؟ وأما قوله ﴿ وما هُمْ بمؤمنينَ ﴾ فى جواب ﴿ آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ (٨) فلإخراج ذواتهم من جنس المؤمنين مبالغةً فى تكذيبهم ،

---

(١) آية ١٤ سورة البقرة . ويريد بهذا وما بعده الاستشهاد على إفادة الفعلية التجدد ، والاسمية الثبوت بقطع النظر عن أصل الموضوع ؛ لأن أصله فيهما إذا كانا مسندين ، وهما فيما ذكره من الشواهد ليسا كذلك ، والشاهد فى قوله (آمنا) وقوله (إنا معكم) .

(٢) سورة هود : الآية ٦٩ .

(٣) لأن الجمله الاسمية فى ذلك تفيد الثبوت والدوام بخلاف الفعلية .

(٤) سورة النساء : الآية ٨٦ .

(٥) وجهه أن إبراهيم لم يكن يعلم وقت السلام أنهم ملائكة ، بدليل قوله : ﴿ قال سلامٌ قومٌ منكَرُون ﴾ على أن ذلك يقتضى أن يكون رفع « سلام » فى تحية البشر بعضهم لبعض غير بليغ ، ولا يقول بهذا أحد .

(٦) سورة الأعراف : الآية ١٩٣ .

(٧) سورة الأنبياء : الآية ٥٥ .

(٨) سورة البقرة : الآية ٨ .

ولهذا أطلق قوله : ﴿ مؤمنين ﴾ وأكد نفيه بالباء [١] ، ونحـوه : ﴿ يريدون أنْ يخرجوا من النار وما هُمْ بخارجينَ منها ﴾ [٢] .

وشرطيتها لما مرّ [٣] ، وظرفيتُها لاختصار الفعلية ؛ إذ هي مقدرة بالفعل على الأصح [٤] .

* * *

(١) فكل هذا كان له أثره في أنه لم يقل « ولم يؤمنوا » مع أنه هو المطابق لقولهم (آمنا) .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣٧ .

(٣) أي في الكلام على تقييد المسند إذا كان فعلاً بالشرط ، ولا تكرار في هذا أيضا مع ما سبق ؛ لأن الكلام هنا في شرطية الجملة الواقعة مسنداً ، وفيما سبق في تقييد الفعل إذا كان مسنداً بالشرط .

(٤) كان الأحسن (إذ الظرف) ؛ لأن ظاهر عبارته يقتضي أن الجملة الظرفية مقدرة باسم الفاعل في غير الأصح ، ولا يخفى فساده ، وقد سبق توجيه الأصح في الكلام على إفراد المسند .

تمرينات على تعريف المسند وتنكيره وكونه جملة

تمرين - ١

١ - لِمَ نكِّر المسند فى قول الشاعر :

آراؤه وعطاياه ونعمتُهُ   وعفوه رحمةٌ للناس كلهمُ

٢ - لم عُرّف المسند بالإضافة أولاً ونكر ثانيا فى قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسولُ الله والَّذينَ معهُ أشدَّاء علَى الكفار رُحماءُ بينهُم ﴾ آية ٢٩ سورة الفتح .

تمرين - ٢

١ - لم كان المسند جملة اسمية فى قوله تعالى : ﴿ الله لا إلهَ إلاَّ هُوَ الحىُّ القيُّومُ ﴾ آية ٢ سورة آل عمران .

٢ - لم كان المسند جملةً فعليةً فى قوله تعالى : ﴿ الرَّحمنُ على العرش استوَى ﴾ آية ٥ سورة طه .

تمرين - ٣

١ - لم نكر المسند فى قول الشاعر :

لئن صدفتْ عنَّا فرُبَّتَ أنْفُسٍ   صَوادٍ إلى تلك النفوس الصوادفِ

ولم جاءت الجملة الأولى فيه فعلية والجملة الثانية اسمية ؟

٢ - بين الغرض من تعريف المسند بال فى قول الشاعر :

وإنَّ سنام المجد من آل هاشمٍ   بنو أمّ مخزوم ، ووالدُك العبْدُ

تمرين - ٤

١ - لَم نكر المسند وأضيف فى قوله تعالى : ﴿ ما كانَ مُحمدٌ أبا أحد مِنْ رِجالكُم وَلكنْ رسولَ اللهِ وخاتمَ النبّيينَ ﴾ آية ٤٠ سورة الأحزاب .

- ولم عرف بالإضافة فى المعطوف بعد تنكيره فى المعطوف عليه ؟

٢ - بين المسند والمسند إليه فى قول الشاعر :

أبوكَ حُبابٌ سارِقُ الضَّيف بُرْدهُ   وجدِّىَ يا حجَّاجُ فارسُ شَمَّرا

تمرين – ٥

١ – ما هو الضابط الذى يميز بين المسند والمسند إليه فى حال تعريفهما ؟ وما الفرق بين نظر علم المعانى وعلم النحو فى هذه الحالة ؟

٢ – لم عرف المسند فى قول الشاعر :

كُلْثمُ ، أنتِ الهَـــمٌّ يا كـلثمُ وأنتِ دائـــى الــذى أكتمُ

ولم نكر فى قول الآخر :

خيرُ الصنائع فى الأنامِ صــنيعةٌ تنبو بحاملهــا عــن الإذلالِ

وقول الآخر :

وكنتُ فتًى من جُند إبليس فارتقى بى الحال حتى صار إبليسُ من جندِى

* * *

أغراض التأخير والتقديم

أغراض التأخير : وأما تأخيره فلأن ذكر المسند إليه أهم كما سبق [١] .

أغراض التقديم : وأما تقديمه فإما لتخصيصه بالمسند إليه [٢] كقوله تعالى : ﴿ لكمْ دينُكم ولى دين ﴾ [٣] وقولك « قائم هو » لمن يقول « زيد إما قائم أو قاعد » فيردده بين القيام والقعود من غير أن يخصصه بأحدهما ، ومنه قولهم « تميمىٌّ أنا »، وعليه قوله تعالى : ﴿ لا فيها غَوْلٌ ولا هُمْ عنها يُنزَفونَ ﴾ [٤] أى بخلاف خمور الدنيا فإنها تغتال العقول [٥] ، ولهذا لم يُقدّم الظرف فى قوله تعالى : ﴿ لا ريب فيه ﴾ [٦] لئلا يفيد ثبوت الريب فى سائر كتب الله تعالى [٧] .

وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت [٨] كقوله :

له هممٌ لا منتهى لكبارها وهمَّتهُ الصغرى أجلٌّ من الدهْرِ [٩]

---

(١) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه ، فأغراض تأخير المسند هى ما سبق من أغراض تقديم المسند إليه .

(٢) الباء داخلة على المقصور ، فيكون المسند إليه فى ذلك مقصوراً والمسند مقصوراً عليه .

(٣) سورة الكافرون : الآية ٦ . (٤) سورة الصافات : الآية ٤٧ .

(٥) فالمعنى أن عدم الغول مقصور على الكون فى خمور الجنة ، أو أن الغول مقصور على عدم الحصول فيها ، وهذا على ما قيل من اعتبار النفى فى جانب المسند أو المسند إليه .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢ .

(٧) لأنها المعتبرة فى مقابلة القرآن ، والقصر إنما يكون باعتبار النظير الذى يتوهم فيه المشاركة ، والمراد أن التقديم يوهم ذلك باعتبار الغالب ؛ لأنه قد يكون للاهتمام لا للتخصيص ، ومن تقديم المسند للتخصيص قول الشاعر :

رضينا قسمةَ الجبارِ فينا لنا علمٌ وللأعداء مالُ

وقول الآخر :

لك القلمُ الأعلى الذى بشَباته يصابُ من الأمر الكُلَى والمفاصل

(٨) لأن النعت لا يتقدم على المنعوت بخلاف الخبر مع المبتدأ .

(٩) هو لبكر بن النطاح فى مدح أبى دلف العجلى وقيل : إنه لحسان بن ثابت فى مدح النبى ﷺ ، والشاهد فى قوله « له همم » لأنه لو عكس لأوهم أن الجار والمجرور صفة ، والجملة بعده هى الخبر ، مع أن الكلام مسوق لمدحه لا لمدح هممه ، ويصح أن يكون التقديم لإفادة التخصيص ، وهو أبلغ .

وقوله تعالى : ﴿ ولكُمْ في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ (١) .

وإما للتفاؤل (٢) .

وإما للتشويق إلى ذكر المسند إليه ، كقوله :

ثلاثةٌ تشرق الدنيا ببهجتها ... شمسُ الضحَى وأبو إسحاق والقمرُ (٣)

وقوله :

وكالنار الحياةُ فمِنْ رمادٍ ... أواخِرُها وأوّلُها دُخانُ (٤)

قال السكاكى رحمه الله (٥) : « وحقُّ هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند (٦) وإلا لم يحسن ذلك الحسن » .

* * *

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٤ .

(٢) كقول ابن الرومي :

يَمَّنَ الله طلعةَ المهرجانِ ... كلُّ يمنٍ على الأمير الهجانِ

وقول الآخر :

سعدتْ بغُرَّة وجهك الأيامُ ... وتزينتْ ببقائك الأعوام

(٣) هو لمحمد بن وهيب في مدح أبى إسحاق المعتصم ، وإنما لم يجعل (ثلاثة) مبتدأ وشمس الضحى وما عطف عليه خبراً ، لأنه لا يخبَر بمعرفة عن نكرة .

(٤) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، يعنى أن أول الحياة وآخرها وهو الصبا والشيب ، وليسا بشيء ، وأن وسطها وهو الشباب هو المعتد به ، وقد شبهها فى ذلك بالنار فى أحوالها الثلاث .

(٤) ١١٩ – المفتاح .

(٥) كما فى بيت ابن وهيب ، وكما فى قوله تعالى : ﴿ إنّ فى خلق السَّمٰوات والأرضِ واختلاف الليل والنهارِ لآياتٍ لأولي الألباب ﴾ آية ١٩٠ سورة آل عمران . وقد يكون تقديم المسند لمجردَ الاهتمام ، كقول الشاعر :

سلامُ الله يا مطرٌ عليها ... وليس عليك يا مَطَرُ السلامُ

وقد يكون لإظهار التألم ، كقول المتنبي :

ومِنْ نَكدِ الدنيا على الحرّ أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بُدُّ

تنبيه

كثير [١] مما في هذا الباب والذى قبله غير مختص بالمسند إليه والمسند ، كالذكر والحذف وغيرهما مما تقدمت أمثلته ،والفَطِن إذا أتقن اعتبار ذلك فيهما لا يَخْفَى عليه اعتباره فى غيرهما [٢] .

* * *

(١) أما القليل منه فيختص بالبابين ؛ كضمير الفصل وكون المسند فعلا ، والذى لا يختص بهما لا يلزم أن يجرى فى كل ما عداهما ؛ كالتعريف ، فإنه لا يجرى فى الحال والتمييز .

(٢) أى من المفعولات ونحوهما ، وسيأتى بيان شىء من هذا فى أحوال متعلقات الفعل .

تمرينات على التقديم والتأخير وغيرهما

تمرين – ١

١ – لماذا قدم المسند فى قولهم : « ثلاثة يُذهبن الغم والحزَن : الماء والخضرة والوجه الحسن » .

٢ – لماذا عبر بإن دون « إذا » فى قول الشاعر :

إنْ دام هذا ولم تَحدث له غِيَرٌ لم يُبكَ مَيْتٌ ولم يُفرحْ بمولود

تمرين – ٢

١ – هل تأخير المسند للتخصيص أو لتقوية الحكم فى قول الشاعر :

ريمٌ على القاع بين البان والعلم أحلَّ سفكَ دمى فى الأشهر الحرُم

٢ – لماذا قدم المسند فى قول الشاعر :

ثلاثةٌ ليس لها إيابُ الوقتُ والجمالُ والشبابُ

تمرين – ٣

١ – هل تقديم المسند للتخصيص أو لمجرد الاهتمام فى قول الشاعر :

وليس بمغنٍ فى المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الضلوع شفيع

٢ – لماذا قدم المسند فى قوله تعالى : ﴿ ولم يكنْ له كفواً أحدُ ﴾ آية ٤ سورة الإخلاص .

تمرين – ٤

١ – هل تقديم المسند للتخصيص أو لمجرد الاهمام فى قوله تعالى : ﴿ وإنْ كذبوك فقلْ لِى عملى ولكمْ عملكم ﴾ آية ٤١ سورة يونس .

٢ – لماذا قدم المسند فى قول الشاعر :

إذا نطق السفيه فلا تُجبْه فخيرٌ من إجابته السكوتُ

تمرين – ٥

١ – لماذا عبر بإذا دون « إن » فى قوله تعالى : ﴿ وإذا الموءودةُ سئلت بأى ذنب قتلت ﴾ آية ٨ و ٩ سورة التكوير .

٢ – كيف صحت التثنية فى قوله ﷺ : « اللهم أعزّ الإسلام بأحبِّ العمرين إليك » مع أنها تثنية عمر وعمرو ؟ ولماذا أوثرت تثنية الأول على الثانى ؟

* * *

الباب الرابع : القول فى أحوال متعلّقات الفعل [1]

حال الفعل مع المفعول والفاعل : حال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل [2] فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه ، لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط ، كذلك إذا عدَّيته إلى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى أن عملَ الفعل فيهما إنما كان ليُعلم التباسه بهما ، فعملُ الرفع فى الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه ، والنصب فى المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه . أما إذا أريد الإخبار بوقوعه فى نفسه من غير إرادة أنْ يُعلم ممن وقع فى نفسه [3] أو على من وقع ، فالعبارة عنه أن يقال : كان ضربٌ ، أو وقعَ ، أو وجد ، أو نحو ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرَّدَ .

أغراض حذف المفعول به : وإذا تقرر هذا فنقول :

الفعل المتعدى إذا أسند إلى فاعله ولم يُذكر له مفعول فهو على ضربين :

الأول أن يكون الغرض إثبات المعنى فى نفسه للفاعل على الإطلاق أو نفيه عنه كذلك ، وقولنا « على الإطلاق » من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه ، فيكون المتعدى حينئذ بمنزلة اللازم ، فلا يُذكر له مفعول ، لئلا يتوهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول [4] ، ولا يقدَّر أيضا لأن المقدر فى حكم المذكور [5] .

---

(١) يلحق بالفعل ما فى معناه كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما .

(٢) يريد بهذا أن يمهد للكلام على المفعول به . وقد ذكر فى هذا الباب ثلاثة أحوال لمتعلقات الفعل : **أولها** حذف المفعول به ، ومثله فى ذلك باقى المتعلقات فى المفعولات ، والحال والتمييز وغيرها ، **وثانيها** تقديم المفعول ونحوه من المتعلقات على الفعل ، **وثالثها** تقديم بعض معمولات الفعل على بعض . وقد ترك الكلام على غير هذه الأحوال الثلاثة اكتفاء بما ذكره فى التنبيه الواقع فى آخر القول فى أحوال المسند ؛ فقد ذكر فيه أن أمرها يجرى فى غير المسند إليه والمسند كما يجرى فيهما .

(٣) لا داعى إلى لفظ « فى نفسه » هنا ، ولهذا حذفها السعد فى شرحه على التلخيص .

(٤) مع أنه فى هذا الضرب يقصد إثباته فى نفسه من غير اعتبار تعلقه بمفعول ، ولكل منهما مقام خاص به ، فإذا قيل : فلان يعطى ؛ كان هذا لمن يجهل إعطاءه ، وإذا قيل : فلان يعطى الدنانير ، كان هذا لمن يعلم إعطاءه ويجهل أنه يعطى الدنانير .

(٥) قيل إنه فى هذه الحالة لا يسمى المفعول محذوفا ، ولكن هذه نظرة نحوية ، أما هنا فيعد محذوفا ويبحث عن نكتته ، بدليل أنه لا يبحث عن مثل هذا فى اللازم .

وهذا الضرب قسمان (١) : لأنه إما أن يجعل الفعلَ مطلقًا كنايةً (٢) عن الفعل متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة ، أوْ لا (٣) .

الثانى (٤) كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هل يَستوى الذينَ يعلمونَ والذينَ لا يعلمونَ ﴾ (٥) أى مَن يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث .

قال السكاكى (٦) : ثم إذا كان المقام خطابيا لا استدلاليا (٧) أفاد العموم فى أفراد الفعل بعلة إيهام أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما تحكُّمٌ ، ثم جعل قولهم فى المبالغة « فلانٌ يعطى ويمنع ، ويصل ويقطع » محتملاً لذلك (٨)، ولتعميم المفعول (٩) كما سيأتى .

وعدَّه الشيخ عبد القاهر (١٠) مما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير إشعار بشىء من ذلك (١١) .

---

(١) جرى عبد القاهر على حصر هذا الضرب فى القسم الثانى ، وجعل القسم الأول من الضرب الثانى الآتى ؛ لأن له عنده مفعولا مقصوداً محذوفا لدلالة الحال ونحوه عليه ، ولا يؤثر فى ذلك محاولة المتكلم أن ينسيه نفسه لغرض من الأغراض الآتية ، فلا يرى عبد القاهر فيه من الكناية ما يراه الخطيب ، كما يأتى .

(٢) الكناية فى هذا من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم على سبيل الادعاء لأن المقيد لا يكون لازما للمطلق إلا على هذا التقدير .

(٣) يعنى أوْ لا يجعل الفعل كذلك .

(٤) أى من الضرب الأول ، وهو الذى لا يجعل الفعل فيه مطلقا ، كناية عن الفعل ، متعلقا بمفعول مخصوص .

(٥) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٦) ١١٦ و ١٢٣ المفتاح .

(٧) المقام الخطابى هو الذى يكتفى بالظن كالمدح والفخر ونحوهما ، والاستدلالى هو الذى يُطلب فيه اليقين .

(٨) أى لتعميم أفراد الفعل ، فيكون المعنى يفعل كل إعطاء وكل منع وكل صلة وكل قطع .

(٩) فى قوله تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ آية ٢٥ سورة يونس من الضرب الثانى ، أى كل أحد ، فيكون المعنى عليه فى ذلك يعطى كل أحد ... إلخ .

(١٠) ١٠١ ، ١٠٢ – دلائل الإعجاز .

(١١) أى من شمول أفراد الفعل أو المفعول ، وهذا هو المختار ؛ لأنه المفهوم فيما بين الناس ، وما ذكره السكاكى تكلف لا وجه له .

والأول (١) كقول البحترى يمدح المعتز ويعرِّض بالمستعين بالله :

شَجْوُ حسَّاده وغيظُ عداهُ   أنْ يرَى مبصرٌ ويسمعَ واعى (٢)

أى أن يكون ذا رؤية وذا سمع ، يقول : محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصر لكثرتها واشتهارها ، ويكفى فى معرفة أنها سبب لاستحقاقه الإمامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع ، لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد ، فحساده وأعداؤه يتمنون ألاَّ يكون فى الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع بها كى يخفَى استحقاقه للإمامة فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها ، فجعل كما ترى مطلق الرؤية كنايةً عن رؤية محاسنه وآثاره ، ومطلق السماع كناية عن سماع أخباره (٣) .

وكقول عمرو بن مَعْديكرب :

فلو أنَّ قومى أنطقتنى رماحُهُم   نطقتُ ولكنَّ الرماحَ أجرَّتِ (٤)

لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهو أنها أجرّته (٥) .

وكقول طُفيل الغنَوى لبنى جعفر بن كلاب :

جزَى اللّهُ عنا جعفراً حين أزلقتْ   بنا نعـــلُنا فى الواطئـــين فزلَّتِ

أبوْا أن يَمَلــُّونا ولو أنَّ أمَّنـــا   تُلاقِى الذى لاقـــوهُ منا لَمــَلَّتِ

(١) أى من الضرب الأول وهو الذى يجعل الفعل فيه مطلقا ، كناية عن الفعل ، متعلقا بمفعول مخصوص .

(٢) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى ، والشجو : الحزن ، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل ليصح حمل الخبر عليه .

(٣) هذا بادعاء الملازمة بينهما كما سبق ، وفائدة ذلك الإشارة إلى شهرة محاسنه مبالغةً فى مدحه ، ومثل هذا يفوت بالتصريح بالمفعول وترك الكناية بذلك عنه ، وعلى مذهب عبد القاهر فى هذا القسم لا يكون فى البيت كناية ، وإنما يكون قصده من أول الأمر أن يرى مبصر محاسنه ، ولكنه حذفها ادعاءً لشـــهرتها وأن رؤية البصر لا تقع إلا علـيها ، وهو معنى حسن أيضا .

(٤) قوله « أجرت » من الإجرار ، وهو فى الأصل شق لسان الفصيل لئلا يرضع ، والمراد أنها حبست لسانه عن مدحهم ، على سبيل الاستعارة ، وإنما حبست لسانه عن مدحهم لأنها لم تبل فى الحرب بلاء حسنا .

(٥) قال عبد القاهر فى بيان معناه على مذهبه : إنه يقصد أجرتنى ، ولكنه حذف المفعول لتتوافر العناية على إثبات الفعل للفاعل ، ويوهم أن إجرارها كان عامًّا له ولغيره .

همُ خلطونا بالنفوس وألجأوا	إلى حجرات أدفأتْ وأظلَّت (١)

فإن الأصل « لَمَلَّتنا ، وأدفأتنا » إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية (٢) فإن قلت لا شك أن قوله « ألجأوا » – أصله ألجأونا فلأى معنى حذف المفعول منه ؟ قلت : الظاهر أن حذفه لمجرد الاختصار ؛ لأن حكمه حكم ما عطف عليه ، وهو قوله « خلطونا » (٣) .

الضرب الثانى (٤) : أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول ، فيجب تقديره بحسب القرائن (٥) .

ثم حذفه من اللفظ : إما للبيان بعد الإبهام ، كما فى فعل المشيئة إذا لم يكن فى تعلقه بمفعوله غرابة (٦) كقولك : لو شئتُ جئتُ ، أو لم أجىء . أى لو شئت المجىء أو عدم المجىء ، فإنك متى قلت « لو شئت » علم السامع أنك علقت المشيئة بشىء ، فيقع فى نفسه أن هنا شيئا تعلقت به مشيئتك بأن يكون أوْ لا يكون ، فإذا قلت « جئت أو لم أجىء » عُرف ذلك الشىء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلو شاء لهداكُم أجمعينَ ﴾ (٧) وقوله تعالى : ﴿ فَإنْ يشأ اللهُ يختم على قلبك ﴾ (٨) وقوله تعالى : ﴿ من يشأ الله يُضْلله ﴾ (٩) وقول طرفة :

فإنْ شئتُ لم تُرقلْ ، وإن شئتُ أرقلتْ	مخافة ملويٍّ من القدِّ محصد (١٠)

---

(١) هى لطفيل بن عوف الغنوى يمدح بنى جعفر ، وقوله « أزلقت » بمعنى زلت ولم تثبت ، وعلى هذا يتحد معناه ومعنى قوله : فزلت . ويجوز أن يكون المراد زلق ما تحتها ، فيتغايران ، وكلاهما كناية عن سوء حالهم .

(٢) جعل عبد القاهر حذف المفعول فى ذلك لتتوفر الغاية على إثبات الفعل للفاعل .

(٣) جعله عبد القاهر مثل الحذف فى « وأدفأت وأظلت » . وما ذهب إليه الخطيب أقوى وأدق .

(٤) أى من الفعل المتعدى الذى لم يذكر له مفعول .

(٥) يشير بهذا إلى أن حذف المفعول لا بد فيه من قرينة تدل عليه .

(٦) مثله فعل الإرادة والمحبة ونحوهما ، نحو « لو أحب لأعطاكم » ولا يلزم أن يكون شرطا كما ذكر فى هذه الأمثلة ، ومن مجيئه غير شرط قوله تعالى : ﴿ ولا يحيطونَ بشىء من علمه إلا بما شاء ﴾ آية ٢٥٥ سورة البقرة ، ولكن الظاهر أن الحذف فى الآية ليس للبيان بعد الإبهام . (٧) سورة الأنعام : الآية ١٤٩ . (٨) سورة الشورى : الآية ٢٤ .

(٩) سورة الأنعام : الآية ٣٩ .

(١٠) هو لعمرو بن العبد المعروف بطرفة ، وقوله : لم ترقل ، بمعنى لم تسرع ، والضمير لناقته ، والملوى : السوط المفتول ، والقد : الجلد المشقوق ، والمحصد : المفتول المحكم .

وقول البحترى :

لو شئتَ عدتَ بلاد نجد عودةً   فحللتَ بين عقيقه وزَرُوده (١)

وقوله :

لو شئتَ لم تفسد سماحةَ حاتم   كرماً ولم تهدم مآثر خالد (٢)

فإن كان فى تعلق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره فى نفس السامع وتؤنسه به ، يقول الرجل يخبر عن عزه : لو شئت أن أردَّ على الأمير رددت ، وإن شئتُ أن أَلْقَى الخليفة كل يوم لَقيتُه . وعليه قول الشاعر :

ولو شئتُ أنْ أبكِى دماً لبكيتُهُ   عليه ولكن ساحةُ الصبر أوْسَعُ (٣)

فأما قول أبى الحسين على بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب ابن عَبَّاد :

فلم يُبْقِ منى الشوقُ غيرَ تفكُّرى   فلو شئتُ أن أبكى بكيتُ تفكُّرا

فليس منه ؛ لأنه لم يرد أن يقول : فلو شئت أن أبكى تفكراً بكيت تفكراً ، ولكنه أراد أن يقول : أفنانى النحول فلم يبق منى وفىَّ غير خواطر تجول حتى لو شئت البكاء فمريت جفونى وعصرت عينى ليسيل منها دمع لم أجده ، ولخرج منها بدل الدمع التفكر ؛ فالمراد بالبكاء فى الأول الحقيقى ، وفى الثانى غير الحقيقى ، فالثانى لا يصلح لأن يكون تفسيراً للأول (٤) .

---

(١) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى ، وقوله : عدت بلاد نجد – بمعنى عدت إليها ، وعقيق نجد وزروده : موضعان به ، وخطابه للسحاب الوارد فى قوله قبل هذا البيت فى مطلق القصيدة :

يا عارضاً متلفعاً ببروده   يختال بين بروقه ورعوده

(٢) هو للبحترى أيضا ، والمراد بحاتم : حاتم الطائى ، وبخالد : خالد بن إصبع النبهانى الذى نزل عليه امرؤ القيس الشاعر .

(٣) هو لأبى يعقوب إسحاق بن حسان الخريمى « بالراء » فى رثاء أبى الهيذام عامر بن عمارة الخريمى كما فى « البيان والتبيين ونهاية الأرب » وهو من قصيدة له مطلعها :

قضى وطراً منك الحبيبُ المودعُ   وحلّ الذى لا يستطاع فيدفع

والشاهد فى قوله « لو شئت أن أبكى دماً » لأن بكاء الدم غريب .

(٤) لهذا ذُكر الأول ولم يُحذف .

وإما لدفع أن يتوهم السامع فى أول الأمر إرادة شىء غير المراد ، كقول البحترى :

وكم ذُدْتَ عنّى مِنْ تحامل حادث   وسَوْرة أيام حَزَزْنَ إلى العظم (١)

إذ لو قال « حززن اللحم » لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحز كان فى بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا الوهم ، ويصور فى نفسه من أول الأمر أن الحز مضى فى اللحم حتى لم يردَّه إلا العظم (٢) .

وإما لأنه أريد ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه (٣) كقول البحترى أيضاً :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السُّو   دُدِ والمجد والمكارم مثلا (٤)

أى قد طلبنا لك مثلا فى السؤدد والمجد والمكارم ، فحذف المثل إذ كان غرضه أن يوقع نفىَ الوجود على صريح لفظ المثل (٥) ولأجل هذا المعنى بعينه عكس ذو الرُّمة فى قوله :

ولم أمدحْ لأرضيَهُ بشعرى   لئيماً أن يكون أصاب مالا (٦)

---

(١) هو للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى يمدح أبا الصقر الشيبانى ، وقوله ذدت : بمعنى دفعت ، وكم خبرية فى موضع نصب مفعول به مقدم ، ومميزها « من تحامل حادث » وقيل : إن التقدير كم مرة ، فتكون « من » زائدة فى الإثبات على قول بعض النحاة ، والسورة : الشدة والصولة .

(٢) لاشك أنه يمكن تأدية هذا الغرض بتأخير المفعول ، بأن يقول حززن إلى العظم اللحم ، ولكن تأخير المفعول لا يجعل لذكره فائدة .

(٣) هذه نكتة الإتيان بصريح اسم المفعول ثانيا ، وأما نكتة حذفه أولاً فهى لزوم التكرار مع ذكره ثانيا .

(٤) المثل : الشبيه والنظير ، والبيت من قصيدة له فى مدح المعتز .

(٥) إنما كان هذا غرضه لأنه آكد فى كمال المدح ، ولو عكس فصرح أولا وأضمر ثانيا لفات هذا الغرض ؛ لأنه قد يتوهم عود الضمير على غيره .

(٦) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة يمدح بلال بن أبى بردة ، وبعده :

ولكن الكرام لهم ثنائى   فلا أجزى إلى ما قيل قالا

والضمير فى قوله « لأرضيه » يعود إلى لئيما ، وقوله « أن يكون » فى تأويل مصدر مجرور بلام التعليل المحذوفة .

فإنه أعمل الفعلَ الأول الذى هو « أمدَح » فى لفظ اللئيم ، والثانى الذى هو « أرضى » فى ضميره ؛ إذ كان غرضه إيقاع نفى المدح على اللئيم صريحاً دون الإرضاء . ويجوز أن يكون سبب الحذف فى بيت البحترى قَصْدَ المبالغة فى التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل ؛ فإن العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده (١) .

وإما للقصد إلى التعميم (٢) فى المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار ، كما تقول « قد كان منك ما يؤلم » أى ما الشرط فى مثله أن يؤلم كل أحد وكل إنسان (٣) ، وعليه قوله تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ (٤) أى يدعو كل أحد (٥) .

وإما لرعاية الفاصلة (٦) كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ والضُّحى ، والليل إذا سجى ما ودَّعك ربُّك وما قلى ﴾ (٧) أى وما قلاك (٨) .

وإما لاستهجان ذكره ، كما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

« ما رأيتُ منه ولا رأى منى » (٩) تعنى العورة .

وإما لمجرد الاختصار، كقولك « أصغيت إليه »: أى أذنى ، «وأغضيت عليه» : أى بصرى . ومنه قوله تعالى : ﴿ أرنى أنظر إليك ﴾ (١٠) أى ذاتك . وقوله تعالى:

---

(١) يجوز أيضاً أن يكون الحذف فيه لقصد البيان بعد الإبهام .

(٢) التعميم يؤخذ فى الحقيقة من قرينة المقام ، ولا يؤخذ من الحذف لوجوده مع الذكر ، ولكن الحذف له فيه تأثير فى الجملة ؛ لأن تقدير مفعول خاص فيه دون آخر ترجيح بلا مرجح ، وبهذا يحمل على العموم ، وهذا إلى ما فيه من الاختصار كما ذكره بعد .

(٣) بقرينة أن المقام مقام مبالغة . (٤) سورة يونس : الآية ٢٥ .

(٥) الآية تفيد العموم تحقيقا ، والمثال يفيده مبالغة .

(٦) لا يخفى أن هذا يقصد لمحسن بديعى فيكون مطلوبا من أجله ، ويقدَّر فى البلاغة بقدره .

(٧) سورة الضحى : الآية ١ ، ٣ .

(٨) سيأتى أنه حذف أيضا لصونه عن نسبة (قلى) إليه ، وهذا إلى أن ذكره فى (ودعك) يغنى عن ذكره فى (قلى) فلا يكون حذفه لمجرد ذلك المحسن البديعى .

(٩) هو من قولها : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ، فما رأيت منه ولا رأى منى » .

(١٠) سورة الأعراف : الآية ١٤٣ .

﴿ أهذا الذى بعث الله رسولا ﴾ (١) أى بعثه . وقوله تعالى : ﴿ فلا تجْعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمونَ ﴾ (٢) أى أنه لا يماثَل أو ما بينه وبينها من التفاوت ، أو أنها لا تفعل كفعله ، كقوله : ﴿ هلْ منْ شركائكم من يفعل من ذلكمْ من شىء ﴾ (٣) ويحتمل أن يكون المقصود نفس الفعل من غير تعميم، أى وأنتم من أهل العلم والمعرفة (٤) ثم ما أنتم عليه فى أمر ديانتكم – من جعل الأصنام لله أنداداً – غاية الجهل .

ومما عدَّ السكاكى (٥) الحذفَ فيه لمجرد الاختصار قوله تعالى : ﴿ ولمَّا ورد ماء مدينَ وجدَ عليه أمَّةً من الناس يسقون ، ووجد منْ دُونهم امرأتين تذودان ، قال ما خطبكما ؟ . . قالتا لا نسقى حتى يُصدرَ الرعاءُ ، وأبونَا شَيخ كبيرٌ فَسقى لهما ﴾ (٦) والأوْلى أن يُجعل لإثبات المعنى فى نفسه للشىء على الإطلاق كما مر (٧) وهو ظاهر قول الزمخشرى ، فإنه قال : ترك المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ، ألا ترى أنه رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقى ، ولم يرحمهما لأن مَذودهما غنم ومسقيَّهم إبل مثلاً ، وكذلك قولهما : ﴿ لا نسقى حتى يصدر الرعاء ﴾ المقصود منه السقْىُ لا المسقىُّ .

* واعلم أنه قد يشتبه الحال فى أمر الحذف وعدمه لعدم تحصل معنى الفعل ، كما فى قول تعالى : ﴿ قل ادعُوا اللّهَ أو ادعُوا الرَّحمن أيًّا مَا تدعُوا فله الأسماء الحسنَى ﴾ (٨) فإنهُ يُظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء فلا يقدَّر فى الكلام محذوف ، وليس بمعناه ؛ لأنه لو كان بمعناه لزم إما الإشراك أو عطف الشىء على نفسه ؛ لأنه إن كان مسمى أحدهما غير مسمى الآخر لزم الأوَّلُ ، وإن كان مسماهما واحداً لزم الثانى ، وكلاهما باطل ، تعالى كلام الله عز وجل عن ذلك ؛ فالدعاء فى الآية بمعنى

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٤١ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٢ .
(٣) آية ٤٠ سورة الروم ، والكاف للتنظير للوجه الأخير وهو أنها لا تفعل كفعله .
(٤) فيكون من القسم الثانى من الضرب الأول .
(٥) ١٣٣ – المفتاح .
(٦) آية ٢٣،٢٤ سورة القصص ، ومحل الشاهد فيه (يسقون ، تذودان ، نسقى) .
(٧) فيكون من القسم الثانى من الضرب الأول ، وجعله عبد القاهر مما قصد فيه إلى مفعول خاص ثم حذف لتتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل .
(٨) سورة الإسراء : الآية ١١٠ .

التسمية التى تتعدى إلى مفعولين ، أى سموه الله أو الرحمن أيًّا ما تسموه فله الأسماء الحسنى (١) كما يقال « فلان يُدْعَى الأمير » أى يسمى الأمير » وكما فى قراءة من قرأ : ﴿ وقالت اليهودُ عزير ابنُ الله ﴾ (٢) بغير تنوين على القول بأن سقوط التنوين لكون الابن صفة واقعة بين علمين كما فى قولنا « زيد بن عمرو قائم » فإنه قد يظنُّ أن فعل القول فيه لحكاية الجملة كما هو أصله (٣) فقيل : تقدير الكلام « عزير بن الله معبودنا » ، وهذا باطل ؛ لأن التصديق والتكذيب إنما ينصرفان إلى الإسناد لا إلى وصف ما يقع فى الكلام موصوفا بصفة ، كما إذا حكيت عن إنسان أنه قال : « زيد بن عمرو سيد » ثم كذبته فيه ، ولم يكن تكذيبك أن يكون زيدٌ بْنَ عمرو ، ولكن أن يكون زيد سيداً ، فلو كان التقدير ما ذكر لكان الإنكار راجعاً إلى أنه معبودهم وفيه تقرير أنَّ عزيراً ابن الله ، تعالى عن ذلك ، فالقول فى الآية بمعنى الذكر (٤) لأن الغرض الدلالة على أن اليهود قد بلغوا فى الرسوخ فى الجهل والشرك إلى أنهم كانوا يذكرون عزيراً هذا الذكر ، كما تقول فى قوم تريد أن تصفهم بالغلو فى أمر صاحبهم وتعظيمه : « إنى أراهم قد اعتقدوا أمراً عظيما ؛ فهم يقولون أبداً : زيد الأمير » تريد أنه كذلك يكون ذكرهم له إذا ذكروه .

واعلم أن لحذف التنوين من « عزير » فى الآية وجهين (٥) :

أحدهما أن يكون لمنعه من الصرف لعجمته وتعريفه كعازَرَ (٦) .

والثانى أن يكون لالتقاء الساكنين كقراءة (٧) من قرأ : ﴿ قلْ هو الله أحدُ . اللهُ الصمدُ ﴾ بحذف التنوين من (أحد)، وكما حكى عن عمارة بن عقيل أنه قرأ : ﴿ ولا الليل سابق النهارَ ﴾(٨) بحذف التنوين من (سابق) ونصب (النهار)

---

(١) الحذف فيه لمجرد الاختصار .

(٢) آية ٣٠ سورة التوبة ، وهذا من باب التنظير فى اشتباه الحال فى أمر الحذف وعدمه ؛ لأن ما هنا ليس من حذف المفعول به .

(٣) أى كما هو الأصل فى القول لأن الأصل فيه أن يكون لحكاية الجملة .

(٤) أى على قراءة (ابن) بغير تنوين ، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير محذوف فى ذلك ليكون جملة .

(٥) أى غير الوجه السابق وهو أن حذف تنوينه لكون الابن صفة واقعة بين علَمين فيحذف تنوين العلم قبله . فتكون الوجوه فى ذلك ثلاثة .

(٦) من يصرف عزيراً مع عجمته وتعريفه يرى أن خفته عارضت ذلك فصرفته .

(٧) آية ١ ، ٢ سورة الإخلاص .   (٨) سورة يس : الآية ٤٠ .

فقيل له : وما تريد ؟ » .. فقال : « سابقٌ النهار » . فالمعنى على هذين الوجهين كالمعنى على إثبات التنوين ، فعزير مبتدأ وابن الله خبره ، و « وقال » على أصله (١) . والله أعلم .

* * *

(١) من الدخول على الجملة ، ولا حاجة إلى تأويله بمعنى الذكر ، كما أوِّل به فى الوجه السابق الذى جعل فيه الابن صفةً لا خبراً .

هذا ، وقد يكون حذف المفعول لأغراض أخرى : منها إخفاؤه خوفاً عليه ، ومنها تعينه حقيقةً أو ادعاء ، ومنها صونه عن اللسان أو صون اللسان عنه . وقد قيل فى قوله تعالى آية ٣ سورة الضحى ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ إنه يجوز أن يكون حذف مفعول (قلى) لصونه ﷺ عن التصريح بتعلقه به وإن كان جهة النفى ، وهذا بخلاف (ودعك) لأنه يدل على الترك فقط ، ولا يدل على البغض كما يدل عليه (قلى) ، وقد تقول « نحمد ونشكر » أى الله ، فتحذفه لتعيُّنه ، وتقول « لعن الله وأخزى » أى الشيطان ، فتحذفه لصون لسانك عنه .

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين – ١

١ – لماذا حذف المفعول فى قوله تعالى : ﴿ لينذر بأسًا شديداً مِنْ لدنه ويبشر المؤمنين الذينَ يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا ﴾ آية ٢ سورة الكهف ٠

٢ – من أى ضربَىْ حذف المفعول قول الشاعر :

بَرِّدْ حشاىَ إن استطعتَ بلفظةٍ   فلقد تضرُّ إذا تشاء وتنفع

تمرين – ٢

١ – لماذا ذكر الحال فى قوله تعالى : ﴿ فتبسَّمَ ضاحكًا مِنْ قولها ﴾ آية ١٩ سورة النمل ٠

٢ – من أى ضربَىْ حذف المفعول حذفه أولاً وثانيًا فى قوله تعالى : ﴿ إنك لا تَهْدِى من أحببتَ ، ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ آية ٥٦ سورة القصص ٠

تمرين – ٣

١ – لماذا ذكر المفعول المطلق فى قوله تعالى : ﴿ لقد استكبروا فى أنفسهمْ وعتوا عتُوًّا كبيراً ﴾ آية ٢١ سورة الفرقان ٠

٢ – لماذا حذف وصف المضاف إلى المفعول فى قوله تعالى : ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصْباً ﴾ آية ٧٩ سورة الكهف ٠

٢ – لماذا حذف المفعول فى قول الشاعر :

إذا بعدتْ أبْلَتْ وإن قربتْ شَفَتْ   فهجرانها يُبْلِى ولقيانها يَشْفى

تمرين – ٤

١ – من أى ضربَىْ حذف المفعول حذفه فى قول الشاعر :

وإذا المنيةُ أنْشبت أظفارها   ألفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

٢ – لماذا حذف المفعول فى قول الشاعر :

لولا المشقةُ ساد الناسُ كلهمُ   الجودُ يُفقر والإقدام قتَّالُ

* * *

أغراض تقديم المتعلقات

أغراض تقديم المتعلقات على الفعل : وأما تقديم مفعوله ونحوه [١] عليه فلردِّ الخطأ فى التعيين [٢] كقولك « زيداً عرفت » لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا وأنه غير زيد ، وأصاب فى الأول دون الثانى ، وتقول لتأكيده وتقريره « زيداً عرفت لا غيره » ولذلك لا يصح أن يقال « ما زيداً ضربت ولا أحداً من الناس » ؛ لتناقض دلالتى الأول والثانى [٣] ولا أن تعقب الفعل المنفى بإثبات ضده ، كقولك « ما زيداً ضربت ولكن أكرمته » ؛ لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ فى الضرب فتردَّه إلى الصواب فى الإكرام ، وإنما هو على أن الخطأ فى المضروب حين اعتقد أنه زيد ، فردَّه إلى الصواب أن تقول : ولكن عمراً [٤] .

وأما نحو قولك : زيداً عرفته [٥] فإن قدِّر المفسر المحذوف قبل المنصوب ؛ أى عرفت زيداً عرفته . فهو من باب التوكيد ، أعنى تكرير اللفظ ، وإن قدر بعده أى زيداً عرفت عرفته ، أفاد التخصيص ، وأما نحو [٦] قوله تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ [٧] فيمن قرأ بالنصب [٨] فلا يفيد إلا التخصيص ؛ لامتناع تقدير : أما فهدينا ثمود [٩] .

---

(١) من كل متعلقات الفعل التى يجوز تقديمها عليه ، وذلك كالظرف والجار والمجرور والحال ونحوها .

(٢) أو فى اعتقاد الشركة ، وذلك كقولك « زيداً عرفت وحده » كما سبق فى تقديم المسند إليه .

(٣) يريد بالأول « ما زيداً ضربت » وبالثانى « ولا أحداً من الناس » لأن الثانى يناقض ما يفيده الأول من ضرب غير زيد من الناس ، وإنما لا يصح أن يقال إذا كان التقديم للتخصيص لا لمجرد الاهتمام .

(٤) هذا أيضا على أن التقديم للتخصيص لا لمجرد الاهتمام .

(٥) نحوه كل ما يكون التقديم فيه من باب الاشتغال ، وقد ذهب الزمخشرى إلى أن التقديم فيه للتخصيص مطلقا ، وإني أرى أنه لا يفيد إلا التوكيد لأنه يفيد التخصيص من غير الاشتغال ، فالعدول إليه لا يكون إلا لغرض غير التخصيص ، ولأنه يجب تقدير الفعل قبل الاسم الظاهر ليوافق مفسره فى تقدمه على الضمير .

(٦) يريد بهذا تقييد ما ذكره من حكم التقديم فى الاشتغال .

(٧) سورة فصلت : الآية ١٧ . (٨) يعنى نصب (ثمود) .

(٩) لوجوب الفصل بين أما والفاء ، وإنما التقدير : أما ثمود فهدينا هديناهم ، وقد =

وكذلك إذا قلت « بزيد مررت » أفاد أن سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد ، فأزلت عنه الخطأ مخصصاً مرورك بزيد دون غيره (١) .

والتخصيص فى غالب الأمر لازم للتقديم ، ولذلك يقال في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبدُ وإياكَ نستعينُ ﴾ (٢) معناه نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ، ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك . وفى قوله تعالى : ﴿ إن كُنتم إيَّاه تعبدُونَ ﴾ (٣) معناه إن كنتم تخصونة بالعبادة . وفى قوله تعالى : ﴿ لتكونوا شهداء على النَّاس ويكون الرسولُ عليكم شهيداً ﴾ (٤) أخرت صلة الشهادة فى الأول وقدمت فى الثانى ؛ لأن الغرض فى الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفى الثانى اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم ، وفى قوله تعالى : ﴿ لإلىَ اللهِ تحشرون ﴾ (٥) معناه إليه لا إلى غيره ، وفى قوله تعالى : ﴿ وأرسلناك للناس رسولا ﴾(٦) معناه لجميع الناس من العرب والعجم ؛ على أن التعريف للاستغراق ، لا لبعضهم المعين على أنه للعهد ، أى للعرب ، ولا لمسمى الناس على أنه للجنس ؛ لئلا يلزم من الأول (٧) اختصاصه بالعرب دون العجم لانحصار الناس فى الصنفين ، ومن الثانى (٨) اختصاصه بالإنس دون الجن لانحصار من يتصور الإرسال إليهم من أهل الأرض فيهما . وعلى تقدير الاستغراق لا يلزم شيء من ذلك ؛ لأن التقديم لما كان مفيداً لثبوت الحكم للمقدَّم ونفيه عما يقابله كان تقديم (للناس) على (رسولا) مفيداً لنفى كونه رسولا لبعضهم خاصة (٩) ؛ لأنه هو المقابل لجميع الناس ، لا لبعضهم مطلقا ولا لغير جنس الناس (١٠) .

= يقال : إن هذا إنما يقتضى امتناع ذكره لامتناع تقديره ؛ لأن كثيراً مما يقدر يمتنع ذكره ولا يمنع تقديره ، كالضمير المستتر وجوبا ونحوه ، والحق أن التقديم فى ذلك لإصلاح اللفظ لا للتخصيص ؛ لأن غير ثمود مثلها فى ذلك الحكم .

(١) مثل تقديم الجار والمجرور فى ذلك : تقديم غيره ، كقولك : يوم الجمعة سرت ، وتأديبا ضربت ، وماشيا حججت ، ومن تقديم الجار والمجرور للتخصيص قوله تعالى : ﴿ إلى ربك يومئذ المساقُ ﴾ آية ٣٠ سورة القيامة .

(٢) سورة الفاتحة : الآية ٥ . (٣) سورة البقرة : الآية ١٧٢ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٤٣ . (٥) سورة آل عمران : الآية ١٥٨ .

(٦) سورة النساء : الآية ٧٩ . (٧) هو أنه للعهد .

(٨) هو أنه للجنس .

(٩) يعنى قومه من العرب ؛ لأنهم هم الذين يتوهم أنه أرسل إليهم دون غيرهم .

(١٠) لأن كلاً منهما لا يقابل جميع الناس ، وإنما يقابل الأول تعريف العهد ، =

وكذلك يُذهب فى معنى قوله تعالى [١] : ﴿ وبالآخرة هُمْ يوقنون ﴾ إلى أنه تعريض بأن الآخرة التى عليها أهل الكتاب فيما يقولون « إنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وإنه لا تمسهم النار إلا أياما معدودات ، وإن أهل الجنة لا يتلذذون فى الجنة إلا بالنسيم والأرواح العَبِقة والسماع اللذيذ [٢] » ليست الآخرة [٣] وإيقانهم بمثلها ليس من الإيقان بالتى هى الآخرة عند الله فى شىء ، أى بالآخرة يوقنون لا بغيرها كأهل الكتاب .

ويفيد التقديم فى جميع ذلك - وراء التخصيص - اهتماماً بشأن المقدَّم ؛ ولهذا قدر المحذوف فى قوله ﴿ بسم الله ﴾ مؤخَّراً ، وأورد قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ [٤] فإن الفعل فيه مقدم ، وأجيب بأن تقديم الفعل هناك [٥] أهم لأنها أول سورة نزلت . وأجاب السكاكى [٦] بأن ﴿ باسم ربك ﴾ متعلق باقرأ الثانى [٧] ، ومعنى الأول : افعل القراءة وأوجِدها ، على نحو ما تقدم فى قولهم « فلان يعطى ويمنع » يعنى إذا لم يُحمل على العموم [٨] . وهو بعيد [٩] .

أغراض تقديم بعض المعمولات على بعض :

وأما تقديم بعض معمولاته على بعض فهو :

= ويقابل الثانى تعريف الجنس . هذا ويجوز أن يكون (للناس) متعلقا بقوله (وأرسلناك) فلا يكون فيه تقديم ، ولا تعين اللام فيه للاستغراق وإن كان هو الظاهر .

(١) سورة البقرة : الآية ٤ .

(٢) لأنهم ينكرون أن تكون فيها لذائذ جسمانية .

(٣) جملة (ليس) واسمها وخبرها خبر (أن) فى قوله - بأن الآخرة الخ .

(٤) سورة العلق : الآية ١ .   (٥) أى فى قوله ﴿ اقرأ بسم ربك ﴾

(٦) ١٢٧ - المفتاح .

(٧) فى قوله بعده ﴿ اقرأ وربك الأكرمُ ﴾ .

(٨) أى العموم فى المفعول ، فإن السكاكى يجعله محتملا للعموم فى المفعول ، وللعموم فى أفراد الفعل ، وعلى هذا يكون (اقرأ) الأول منزَّلا منزلة اللازم .

(٩) لأنه خلاف ظاهر نظم الآيتين ، لبعد ما بين (اقرأ) الثانى والجار والمجرور الذى يراد تعليقه به .

هذا ، وقد يأتى التقديم لأغراض أخرى : منها مجرد الاهتمام ، وقصد التبرك ، والالتذاذ ، وموافقه كلام السامع ، ونحو ذلك ، كقولك « العلم طلبت ، ومحمداً اتبعت . وليلى أحببت » ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاقَ ويعقوبَ ، كلاًّ هدينا ، ونوحًا هدينا من قبل ﴾ آية ٨٤ سورة الأنعام .

إما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه (١) كتقديم الفاعل على المفعول (٢) نحو « ضرب زيد عمراً » وتقديم المفعول الأول على الثانى ، نحو : أعطيت زيداً درهما .

وإما لأن ذكره أهمُّ والعناية به أتمُّ (٣) .

فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه ؛ كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث فى البلاد وكثر منه الأذى فَقُتل وأردت أن تخبر بقتله ، فتقول « قتل الخارجيَّ فلانٌ » ؛ بتقديم « الخارجى » ؛ إذ ليس للناس فائدة فى أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذى يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره .

ويقدَّم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه ، لا وقوعه على من وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يُقَدَّرُ فيه أن يَقتل ، فقتَل رجلا وأردت أن تخبر بذلك ، فتقول « قتل فلانٌ رجلا » بتقديم القاتل ؛ لأن الذى يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ، ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل من حيث كان واقعاً ممن وقع منه .

وعليه قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادَكْم من إملاق نحنُ نرزقكم وإيَّاهم ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحنُ نرزقهم وإيَّاكم ﴾ (٥) قدم المخاطَبين (٦) فى الأولى دون الثانية ؛ لأن الخطاب فى الأولى للفقراء ، بدليل قوله تعالى ﴿ من إملاق ﴾ فكان رزقهم أهمّ عندهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب فى الثانية للأغنياء بدليل قوله ﴿ خشية إملاق ﴾ فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان رزق

---

(١) قد سبق أن مثل هذا لا يصح أن يعد فى وجوه البلاغة ؛ لأن الكلام معه لا يفيد معنى ثانويّا يعتد به .

(٢) تقديم الفاعل على المفعول لا يدخل فى تقديم المعمولات ؛ فذكره هنا استطراد ، ولبيان اختلاف الغرض عند تقديم كل منهما على الآخر .

(٣) لا بد أن يكون هذا لغرض من الأغراض كما سيأتى فى الأمثلة ، لأنه لا يكفى كما ذكر عبد القاهر أن يقال قُدّم للعناية من غير معرفة وجهها .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٥١ . (٥) سورة الإسراء : الآية ٣١ .

(٦) يعنى غيرَهم فى قوله : « نرزقكم » فى الأولى ، وقوله « وإياكم » فى الثانية .

أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل ، فكان (١) أهمَّ ، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

وإما لأن فى التأخير إخلالا ببيان المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ (٢) فإنه لو أخر ﴿ من آل فرعون ﴾ عن ﴿ يكتم إيمانه ﴾ لتوهم أن ﴿ من ﴾ متعلقة بـ ﴿ يكتم ﴾ ، فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون (٣) .

أو التناسب كرعاية الفاصلة ، نحو ﴿ فأوجس فى نفسه خيفةً موسى ﴾ (٤) .

وإما لاعتبار آخر مناسب(٥) .

وقسَّم السكاكى (٦) التقديم للعناية مطلقاً (٧) قسمين :

أحدهما أن يكون أصل ما قدِّم فى الكلام هو التقديم ولا مقتضى للعدول عنه ، كالمبتدأ المعرَّف (٨) فإن أصله التقديم على الخبر نحو « زيد عارف » ، وكذا الحال المعرَّف فإن أصله التقديم على الحال ؛ نحو « جاء زيد راكبا » ، وكالعامل فإن أصله التقديم على معموله ، نحو « عرف زيدٌ عمراً ، وكان زيد عارفاً ، وإن زيداً عارف » ، وكالفاعل ؛ فإن أصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز ، نحو « ضرب زيد الجانى بالسوط يوم الجمعة أمام بكر ضرباً شديداً تأديبا له ممتلئا من الغضب ، وامتلأ الإناء ماء » وكالذى يكون فى حكم المبتدأ من مفعولى باب علمت (٩) نحو « علمتُ زيداً منطلقا » ، أو فى حكم الفاعل من مفعولَىْ باب أعطيت وكسوت (١٠) ؛ نحو « أعطيت زيداً درهما وكسوت عمراً

---

(١) أى رزق أولادهم .   (٢) سورة غافر : الآية ٢٨ .

(٣) فالتقديم فى ذلك لدفع اللبس ؛ لأن الأصل عند اختلاف النعوت تقديم النعت المفرد ثم الظرف ثم الجملة .

(٤) آية ٦٧ سورة طه ، وقد سبق أن مثل هذا إنما يفوت به محسِّن بديعى ، فتكون منزلته فى البلاغة بقدر الغرض منه ،، ويمكن أن يكون تقديم (فى نفسه) على (خيفه) لأنه لو أخر عنه لتوهم تعلقه به لا بقوله (فأوجس) وهو المقصود .

(٥) كإفادة التخصيص فى نحو « جاء راكبا زيد » كما ذهب إليه ابن الأثير ، وهو خلاف مذهب الجمهور .

(٦) ١٢٧ – المفتاح .   (٧) أى فى المعمولات وغيرها .

(٨) أما المنكر فإنه يتقدم عليه الخبر لتسويغ الابتداء به ، وكذلك صاحب الحال المنكَّر .

(٩) بابه كل مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .

(١٠) بابه كل مفعولين أولهما فاعل فى المعنى .

جبة (١) ، وكالمفعول المتعدَّى إليه بغير واسطة فإن أصله التقديم على المتعدى إليه بواسطة ، نحو « ضربت الجانى بالسوط » ، وكالتوابع فإن أصلها أن تُذكر بعد المتبوعات (٢) .

ثانيهما أن تكون العناية بتقديمه والاعتناء بشأنه لكونه فى نفسه نصْبَ عينك ، والتفات خاطرك إليه فى التزايد ، كما تجدك قد مُنيت بهجر حبيبك وقيل لك : ما تتمنى ؟ ... تقول « وجه الحبيب أتمنى » وعليه قوله تعالى : ﴿ وجعلُوا لله شركاء ﴾(٣) أى على القول (٤) بأن ﴿ لله شركاء ﴾ مفعولا (جعلوا) .

أو لعارض يورثه ذلك (٥) : كما إذا توهمتَ أنَّ مخاطبك ملتفت الخاطر إليه ينتظر أن تذكره ، فيبرز في معرض أمر يتجدد فى شأنه التقاضى ساعةً فساعة ، فمتى تجد له مجالا للذكر صالحاً أوردتَه ، نحو قوله تعالى : ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى ﴾(٦) قُدم فيه المجرور لاشتمال ما قبله على سوء معاملة أهل القرية الرسلَ من إصرارهم على تكذيبهم ، فكان مظنة أن يلعن السامعُ – على مجرى العادة – تلك القرية ، ويبقى مجيلا فى فكره : أكانت كلها كذلك أم كان فيها قُطر– دانٍ أم قاص – منبت خير ؟ منتظراً لإلمام الحديث به ، بخلاف ما في سورة القصص (٧) .

أو كما إذا وُعدتَ (٨) ما تستبعد وقوعه من جهتين ؛ إحداهما أدخَلُ فى تبعيده من الأخرى ، فإنك حال التفات خاطرك إلى وقوعه باعتبارهما تجد تفاوتا فى

---

(١) فكل من زيد وعمرو فى حكم الفاعل ؛ لأن زيداً هو الآخذ ، والدرهم مأخوذ ، وعمرو هو اللابس والجبة ملبوسة .

(٢) فلا تتقدم عليها ولا يتقدم عليها غيرها بعدها ؛ كالحال فى نحو « جاء زيد الطويل راكبا » .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٠٠ .

(٤) هناك قول فى هذه الآية : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾ بأن « شركاء الجن » هما المفعولان ، والجار والمجرور متعلق بشركاء ، ولا يخفى أن الاستشهاد جارٍ عليه أيضا ؛ لأن الشاهد فى تقديم « الله » لكونه فى نفسه مما يلتفت إليه .

(٥) معطوف على قوله : لكونه فى نفسه . والمقابلة ظاهرة .

(٦) سورة يس : الآية ٢٠ .

(٧) هو قوله تعالى فى قصة موسى : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ آية ٢٠ سورة القصص . وقد جاء الكلام فيها على أصله من تأخير الجار والمجرور لأنه ليس فيها من ذلك ما يقتضى تقديمهما في الآية الأولى لتبكيت أولئك القوم بكون البعيد عما شاهدوا ينصح لهم ما لم ينصحوه لأنفسهم .

(٨) معطوف على قوله : كما إذا توهمت .

إنكارك إياه قوةً وضعفًا بالنسبة ، ولامتناع إنكاره بدون القصد إليه يستتبع تفاوته ذلك تفاوتا فى القصد إليه والاعتناء بذكره ، فالبلاغة توجب أنك –إذا أنكرت– تقول فى الأول (١) : شيء حاله فى البعد عن الوقوع هذه أنَّى يكون ؟ . . . لقد وُعدت هذا أنا وأبى وجدى : فتقدِّم المنكَّرَ على المرفوع (٢) وفى الثانى : لقد وعدت أنا وأبى وجدى هذا : فتؤخر ، وعليه قوله تعالى فى سورة النمل : ﴿ لقدْ وُعدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾(٣) وقوله تعالى فى سورة المؤمنون : ﴿ لقد وُعدنا نحنُ وآباؤنا هذا ﴾(٤) فإن ما قبل الأولى : ﴿ أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرَجون ﴾ وما قبل الثانية : ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً وعظاما أئنا لمبعوثونَ ﴾ فالجهة المنظور فيها هناك كونهم أنفسهم وآباؤهم ترابا ، والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاما ، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم فى تبعيد البعث (٥) .

أو كما إذا عرفت فى التأخير مانعًا (٦) كما فى قوله تعالى فى سورة المؤمنون : ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفرُوا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهمْ ﴾ (٧) بتقديم المجرور على الوصف (٨) لأنه لو أخر عنه – وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل فى صلة الموصول ، وتمامه ﴿ وأترفناهُم فى الحياة الدُّنيا ﴾ – لاحتمل أن يكون من صلة الدنيا ، واشتبه الأمر فى القائلين ، أنهم من قومه أم لا . بخلاف قوله تعالى فى موضع آخر منها : ﴿ فقَالَ الملأ الذين كفروا من قومه ﴾ (٩) فإنه جاء على

(١) أى فى الحال الأول ، وهو ما كانت جهته أدخل فى تبعيد ذلك ، فتجعل العناية بذكره أهم ، والثانى هو ما كانت جهته أضعف فى تبعيد ذلك ، فلا تكون هناك عناية بذكره قبل غيره .

(٢) المنْكَر هو اسم الإشارة « هذا » لأنه هو المستبعد ، والمرفوع هو مؤكد نائب الفاعل « أنا » وما عطف إليه .

(٣) سورة النمل : الآية ٦٨ . (٤) سورة المؤمنون : الآية ٨٣ .

(٥) لأنهم صاروا فيها إلى تراب ولم يبق لهم فيها عظام ، وقد قيل فى سر التقديم والتأخير فى الآيتين : إن قوله : ﴿ لقد وُعدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾ جاء على أسلوبه ما قبله ﴿ أإذا كنا ترابا وآباؤنا ﴾ فقدم المفعول الثانى لـ(وعد) ، كما قدم خبر كان على المعطوف على اسمها ، ولا شك أن الخبر كمفعول لها .

(٦) معطوف على قوله : كما إذا أوعدت .

(٧) سورة المؤمنون : الآية ٣٣ . (٨) المجرور « قومه » ، والوصف « الذين » .

(٩) سورة المؤمنون : الآية ٢٤ .

الأصل (١) لعدم المانع ، وكان في قوله تعالى في سورة طه : ﴿ آمنَّا بِرَبِّ هارون وموسى ﴾(٢) للمحافظة على الفاصلة بخلاف قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ ربِّ موسى وهارونَ ﴾ (٣) .

وفيما ذكَرَه نظرٌ من وجوه :

أحدها : أنه جعل تقديم (لله) على (شركاء) للعناية والاهتمام ، وليس كذلك؛ فإن الآية مسوقة للإنكار التوبيخي، فيمتنع أن يكون تعلق (جعلوا) بـ (الله) منكَراً اعتبار تعلقه بشركاء ؛ إذ لا يُنْكَر أن يكون جعلُ « ما » متعلقًا به ، فيتعين أن يكون إنكار تعلقه به باعتبار تعلقه بشركاء ، وتعلقه بشركاء كذلك منكر باعتبار تعلقه بالله ، فلم يبق فرق بين التلاوة وعكسها (٤) .

وقد علم بهذا أن كل فعل متعد إلى مفعولين لم يكن الاعتناء بذكر أحدهما إلا باعتبار تعلقه بالآخر إذا قدم أحدهما على الآخر لم يصح تعليل تقديمه بالعناية .

وثانيها : أنه جعل التقديم للاحتراز عن الإخلال ببيان المعنى والتقديم للرعاية على الفاصلة من القسم الثاني ، وليسا منه (٥) .

---

(١) من تقديم الصفة على الحال وهو الجار والمجرور لأنه متأخر الرتبة على التابع .

(٢) سورة طه : الآية ٧٠ . (٣) سورة الشعراء : الآية ٤٨ .

(٤) يعني من هذه الجهة ، فلا ينافي هذا ما سبق له في الكلام على حذف المسند وهو أن تقديم « لله » على « شركاء » لإفادة استعظام أن يتخذ له شريك ملكًا كان أو جنا أو غيرهما . ويمكن الجواب عن السكاكي بأنه جعل تقديم « لله » لكونه نصب العين ، وهذا يوجب تقديمه عنده ، وإن كان ما سيقت له الآية من الإنكار التوبيخي يحصل عند تأخيره .

(٥) لأن المراد به تقديم ما حقُّه التأخير ، والجار والمجرور في قوله : ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا ... ﴾ الآية ، حال من الملأ ، واسم الموصول صفة لقومه لا للملأ كما ذهب إليه السكاكي . فلا يكون الحال حقه في التأخير عنها ؛ لأنها ليست صفة لصاحبه ، وكذلك تقديم هارون علي موسى في قوله : ﴿ آمنا برب هارون وموسى ﴾ لأن المتعاطفين بالواو ليس من حق أحدهما التأخر عن الآخر . وقد أجيب عن السكاكي بأن تقسيمه التقديم للعناية مبنيٌّ على أن العناية في القسم الأول ترجع إلى مجرد أن التقديم فيه هو الأصل ، وفي القسم الثاني ترجع إلى الأمور التي ذكرها ، وليس مبنياً على أن التقديمَ في القسم الأول تقديمُ ما أصله التقديم ، وفي القسم الثاني تقديم ما حقه التأخير حتى يصح الاعتراض عليه بذلك .

وثالثها : أن تعلق (من قومه) بـ (الدنيا) على تقدير تأخُّره غيرُ معقولِ المعنى إلا على وجه بعيد [١] .

* * *

(١) أجيب عن هذا بأن احتمال ذلك فيه ، ولو كان بعيداً ، يكفى فى إثبات ما ذكره السكاكى فى نكتة تقديمه ، ولكن الأوجَهَ من هذا أن يجعل المانع من تأخيره طول الصفة بالصلة وما عطف عليها ، فلو أخّر عنها لطال الفصل بين ضمير « قومه » ومرجعه .

تمرينات على التقديم والتأخير

تمرين – ١

(١) لماذا قدم الظرف على الفعل فى قول الشاعر :

أبعدَ المشيب المنقضى فى الذوائبِ تحاوِلُ وَصْلَ الغانيات الكواعب

٢ – هل تقديم الجار والمجرور للتخصيص أو لمجرد الاهتمام فى قول الشاعر :

على الأخلاق خُطُّوا المُلْكَ وابنُوا فليس وراءها للعِزِّ رُكْنُ

تمرين – ٢

(١) لماذا قدم المفعول الثانى على نائب الفاعل فى قول الشاعر :

أفى الحقِّ أنْ يُعْطَى ثلاثون شاعراً ويُحْرَمُ ما دون الرضا شاعرٌ مِثْلِى ؟!

(٢) لماذا قدم الجار والمجرور على متعلقه وعلى الفاعل فى قوله تعالى : ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ آية ٩١ سورة طه .

تمرين – ٣

(١) ما الغرض من تقديم المفعول على الفعل فى قول الشاعر :

صهوةَ الجوِّ اعتلوا تحسَبهم جَمْعَ أفلاك على الخيل تسامَى

(٢) ما الغرض من تقديم الجار والمجرور على الفعل فى قول الشاعر :

إذا شئتَ يوماً أنْ تَسودَ عشيرةً فبالحلم سُدْ لا بالتسرع والشتْمِ

تمرين – ٤

(١) لماذا قدم المفعول على الفعل فى قوله تـعالى : ﴿ وربَّك فَكبِّرْ * وثيابَك فطهِّرْ ﴾ آية ٣ ، ٤ سورة المدثر .

(٢) هل تقديم الجار والمجرور للاهتمام أو للتخصيص فى قول الشاعر :

بِكَ اقتدت الأيامُ فى حَسناتِها وشيمتها لولاك هَمٌّ وتكريبُ

(٣) ما الغرض من تقديم بعض المعمولات على بعض فى قول الشاعر :

ألقتْ مقاليدَها الدنيا إلى رجلٍ ما زال وقْفاً عليه الجودُ والكرمُ

* * *

(تم بحمد الله الجزء الأول من بغية الإيضاح)

مباحث الجزء الأول

الموضوع | الصفحة

رقم الإيداع : ١٤٥٨٤ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 241 - 287 - X

بغية الإيضاح
لتلخيص المفتاح
فى علوم البلاغة

تأليف
عبد المتعال الصعيدى
الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثانى

من القصر فى علم المعانى إلى آخر علم المعانى

طبعة نهاية القرن : ١٤٢٠ - ١٤٢١ هـ / ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م

الناشر مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا ـ القاهرة ت ٣٩٠٠٨٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس
القول فى القصر

أقسام القصر :

القصرُ حقيقىٌّ ، وغيرُ حقيقى[1] . وكل واحد منهما ضربان :

---

(١) القصر فى اللغة: الحبس، وفى الاصطلاح: تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص، والشىء الأول هو المقصور ، والثانى هو المقصور عليه ، والطريق المخصوص هو أدوات القصر ، والمراد بتخصيص الشىء بالشىء إثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره ، وبهذا تكون جملة القصر فى قوة جملتين ، ويكون القصر طريقًا من طرق الإيجاز ، ويكون الإيجاز من أهم أغراضه . وقد يصرح فى القصر بالجملتين معًا كما سيأتى فى القصر بلكن وبل وليس . ومن أغراض القصر أيضًا أنه قد يقصد به تمكين الكلام وتقريره فى الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أو شك ، ولا يخفى أن هذه المزايا إنما هى للقصر بأدواته الآتية ، وبهذا يبطل ما ذهب إليه بعض مؤلفى عصرنا من التعميم فى تعريف القصر ، ليشمل نحو قول الشاعر :

أروى أُمَّةً بلغتْ مُناها ... بغير العِلْم أو حَدّ اليَمانى

وقوله تعالى : آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿ والله يختص برحمته من يشاءُ ﴾ وقولك : « زيد مقصور على الكتابة » مع أن القصر فى الآية والمثال معنى أوَّلى لا ثانوى ، والبيت من الاستثناء فى الإثبات ، وسيأتى .

والقصر الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لكل ما عدا المقصور عليه ، كقولك « ما خاتم الرسل إلا محمد » . والقصر غير الحقيقى هو ما يكون فيه النفى لبعض ما عدا المقصور عليه ، كقولك « زيد كاتب لا شاعر » فهو يفيد نفى الشعر فقط لا كل ما عدا الكتابة من أكل وشرب وغيرهما ، القصر غير الحقيقى هو الذى يُسَمَّى القصر الإضافى .

قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف[1] . والمرادُ الصفة المعنوية[2] لا النعت .

والأول من الحقيقى كقولك « ما زيد إلا كاتب » إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة ، وهذا لا يكاد يوجد فى الكلام ؛ لأنه ما من متصوَّر إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر[3] .

والثانى منه كثير ؛ كقولنا « ما فى الدار إلا زيد »[4] . والفرق بينهما ظاهر ؛

---

(١) قصر الموصوف على الصفة هو ما لا يتجاوز فيه الموصوف صفته وإن جاز أن تكون لموصوف آخر ، وقصر الصفة على الموصوف هو ما لا تتجاوز فيه الصفة موصوفها وإن جاز أن يكون له صفة أخرى .

(٢) هى كل أمر قائم بغيره ، وكذلك يراد بالموصوف كل ما قام به غيره ، وإن كان هو صفة فى نفسه ؛ فيدخل فى ذلك نحو « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » من قصر الموصوف على الصفة ، أى ما الصبر إلا الكائن عند هذه الصدمة ، وكذلك قوله تعالى : آية ٣ سورة الزمر ﴿ ما نعبدُهم إلاَّ ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وإنما لم يكن المراد بالصفة النعت النحوى ؛ لأنه لا يتأتى قصرٌ بينه وبين موصوفه لخلوّهما عن الحكم ، ولا يمكن أن يخرج قصرٌ عن كونه قصرَ موصوف على صفة أو صفة على موصوف ، سواء أكان قصر مبتدأ على خبر أم كان قصر فاعل على مفعول أم كان غيرهما ، فقصر الفاعل على المفعول معناه فى الحقيقة قصر الفعل الصادر من الفاعل على المفعول ، لا قصر ذات الفاعل عليه ، وإذا كان كلٌّ من المبتدأ والخبر يدل على ذات نحو « ما الباب إلا ساج » أوِّلَ فى أحدهما حتى يكون صفة ، فالمراد فى هذا المثال قصر الباب على الاتصاف بكونه ساجًا ، وهكذا .

(٣) قد يوجد هذا النوع من القصر فى الكلام عند قصد الادعاء والمبالغة فى مقام المدح والفخر ونحوهما ، كقوله تعالى فى آية ٩٠ سورة المائدة : ﴿ إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشيطان ﴾ وقول الشاعر :

هَلِ الجودُ إلاَّ أنْ تَجودَ بأنفسٍ ... على كل ماضى الشفرتين صقيل

وقد تكلَّفوا هذا المثال - إنما الله تعالى متصّف بكل كمال منزَّه عن كل نقص - لقصر الموصوف على الصفة قصراً تحقيقيًا صادقًا .

(٤) يعنى من البشر ، لأنه هو المقصود فى مثل هذا ، وإلا فالدار يوجد فيها متاعها وغيره ، ولكن مثل هذا لا ينظر إليه فى ذلك الكلام ، فلا يجعله من القصر الإضافى ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولا ينال العُلا إلا فتًى شَرُفَتْ ... خِلالُه فأطاع الدهرُ ما أمرا

فإن الموصوف فى الأول لا يمتنع أن يشاركه غيرهُ فى الصفة المذكورة ، وفى الثانى يمتنع ، وقد يُقصد به[1] المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور ، فينزَّل منزلة المعدوم .

والأول من غير الحقيقى : تخصيص أمر بصفة دون أخرى[2] أو مكانَ أخرى ، **والثانى منه** : تخصيص صفة بأمر دون آخر[3] أو مكانَ آخر . فكل واحد منهما ضربان ، والمخاطَب بالأول من ضربَىْ كلٍّ (أعنى تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر) مَن يعتقد الشركة[4] ، أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعًا فى الأول ، واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعًا بتلك الصفة فى الثانى ؛ فالمخاطَب بقولنا : « ما زيد إلا كاتب » من يعتقد أن زيدًا كاتب وشاعر ، وبقولنا « ما شاعر إلا زيد » من يعتقد أن زيدًا شاعر لكن يدَّعى أن عمرًا أيضًا شاعر ، وهذا يسمَّى قصر إفراد ؛ لقطعه الشركة بين الصفتين فى الثبوت للموصوف ، أو بين الموصوف وغيره فى الاتّصاف بالصفة .

والمخاطَب بالثانى من ضربَى كل (أعنى تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر) إما من يعتقد العكس ؛ أى اتصافَ ذلك الأمر بغير

---

(١) أى بقصر الصفة على الموصوف ، وهذا يسمَّى قصرًا ادعائيًا ، أما قصر الموصوف على الصفة فلا يوجد إلا على سبيل الادّعاء ، كما سبق ، والمراد المبالغة فى كمال الصفة فى الموصوف بها ، ومن قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقيًا ادعائيًا قول الله تعالى آية ٢٨ سورة فاطر : ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العُلماءُ﴾ ؛ لأن غيرهم قد يخشاه أيضًا ولكن لا اعتداد بخشيته ، وكذلك قول الفرزدق :

أنا الذائد الحامى الذّمارَ وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مِثْلى

(٢) أى دون صفة أخرى ، والمعنى دون جنسها ؛ فيشمل الصفة الواحدة ، ويشمل أيضًا ما فوقها بشرط أن يكون على التفصيل ؛ ليفترق القصر الإضافى عن الحقيقى ، فلا يكون من الإضافى نحو « إنما زيد كاتب لا شاعر » ولا غير ذلك من الصفات - والباء فى التعريف داخلة على المقصور عليه .

(٣) أى دون موصوف آخر ، والمعنى دون جنسه ، فيشمل الموصوف الواحد ويشمل أيضًا ما فوق ذلك بشرط أن يكون على التفصيل أيضًا ؛ فلا يكون من الإضافى نحو « إنما الكاتب زيد لا غيره من الناس » .

(٤) مثل اعتقاد الشركة فى ذلك ظنها وتجويزها مطلقًا ، وكذلك يقال فى اعتقاد العكس الآتى ؛ لأن كل هذا يقابل التساوى الآتى فى قصر التعيين .

تلك الصفة عوضًا عنها فى الأول ، واتصاف غير ذلك الأمر بتلك الصفة عوضاً عنه فى الثانى ، وهذا يُسمَّى قصرَ القلب ؛ لقلبه حُكم السامع ، وإما من تساوى الأمران عنده ؛ أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها فى الأول ، واتصافه بها واتصاف غيره بها فى الثانى ، وهذا يُسَمَّى قصر تعيين ؛ فالمخاطب بقولنا « ما زيد إلا قائم » من يعتقد أن زيداً قاعد لا قائم ، أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم ولا يعلم أنه بماذا يتصف منهما بعينه، وبقولنا « ما قائم إلا زيد » من يعتقد أن عمراً قائم لا زيداً ، أو يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما ، لكن لا يعلم من هو منهما بعينه[1] .

* وشرط قَصْرِ الموصوف على الصفة إفرادًا عدم تنافى الصفتين[2] ؛حتى تكون المنفية فى قولنا « ما زيد إلا شاعر » كونه كاتبًا أو منجّمًا أو نحو ذلك ، لا كونه مفحَمًا لا يقول الشعر ؛ ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما · وشرط قصره قلبًا تحققُ تنافيهما ؛ حتى تكون المنفية فى قولنا « ما زيد إلا قائم » كونه قاعدًا أو جالسًا أو نحو ذلك ، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك ؛ ليكون إثباتها مشعرًا بانتفاء

---

(١) على هذا يكون قصر التعيين كقصر القلب من الضرب الثانى فى القصر الإضافى ، وهو التخصيص بشىء مكان شىء ، وقد جعل السكاكى قصر التعيين من الضرب الأول وهو التخصيص بشىء دون شىء ، فجعله شاملاً لقصر الإفراد وقصر التعيين ، وجعل الضرب الثانى خاصًا بقصر القلب ، والخطب فى ذلك سهل ·

هذا والمقام الداعى إلى القصر فى الأقسام الثلاثة هو الرد على المخاطب فى قصر الإفراد والقلب ، وتعيين المبهم عند المخاطَب فى قصر التعيين ، وإنما لم تجر هذه الأقسام فى القصر الحقيقى ؛ لأن القصر فيه باالنسبة إلى كل ما عدا المقصور عليه على الإطلاق فلا يُتصور فيه اعتقاد شركة أو غيرها ، وقد تكلف بعضهم تقسيم الحقيقى إلى ذلك أيضا ، والقصر الادعائى لا يجرى فى الإضافى كما جرى فى الحقيقى ؛ لأنه فيما قيل لم يقع فى كلام البلغاء ، وإن لم يكن هناك مانع عقلى من إتيانه فى الإضافى، ويمكن أن يكون من الإضافى الادعائى قول الشاعر :

هَلِ الجودُ إلا أن تجود بأنفس ... على كل ماضى الشفرتين صقيلِ

إذا كان يريد قصر الجود على الجود بالنفس لا الجود بالمال على سبيل المبالغة ، والرد على من يعتقد خلاف ذلك ·

(٢) لم يذكر هذا الشرط فى قصر الصفة على الموصوف ؛ لأن الموصوفات لا تكون إلا متنافية ·

غيرها[١] . وقصر التعيين أعمّ ؛ لأن اعتقاد كون الشيء موصوفًا بأحد أمرين معينين على الإطلاق لا يقتضي جواز اتصافه بهما معًا ولا امتناعه ، وبهذا عُلم أن كل ما يصلح أن يكون مثالاً لقصر الإفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالاً لقصر التعيين ، من غير عكس[٢] . وقد أهمل السكاكى[٣] القصرَ الحقيقى ، وأدخل قصر التعيين فى قصر الإفراد[٤] ، ولم يشترط فى قصر الموصوف إفرادًا عدمَ تنافى الصفتين[٥] ، ولا فى قصره قلبًا تحقُّقَ تنافيهما[٦] .

* * *

---

(١) تكون فائدة القصر مع ذلك ما فيه من التنبيه على رد الخطأ فى اعتقاد العكس ؛ لأن ذلك الإشعار لا يستفاد منه هذا التنبيه .

(٢) أى لغوى ، وهو أن كل ما يصلح أن يكون مثالاً لقصر التعيين يصلح أن يكون مثالاً لقصر الإفراد أو القلب .

(٣) ص ١٥٦ - المفتاح .

(٤) لأنه جعله لمن يعتقد الشركة ومن لا يعتقد شيئًا ، وقد سمى ذلك قصر إفراد ، ولم يتعرض لما يدخل فيه مما سماه غيره قصر تعيين ، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحةَ فيها .

(٥) لدخول ما يسمى قصر التعيين عند غيره فى قصر الإفراد عنده ، وقصر التعيين لا يشترط فيه ذلك .

(٦) لأنه قد يأتى فى نحو « ما زيد إلا شاعر » لمن اعتقد أنه كاتب لا شاعر ، ولا تَنافى بين الشعر والكتابة ، وما ذكره الخطيب فى تعليل ذلك الشرط مردود بأن أداة القصر فيها ذلك الإشعار ؛ فلا حاجة إلى إفادته بذلك الشرط .

تمرينات على أقسام القصر

تمرين -١

(١) هل القصر فى البيت الآتى حقيقى أو إضافى ؟

قد علمتْ سَلمَى وجاراتُها ما قطَّر الفـــــارسَ إلا أنا

(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى حقيقى وغير حقيقى ؟ وما فائدة هذا التقسيم بلاغةً؟ ولماذا أهمله السكاكى ؟

تمرين - ٢

(١) من أى القصرين - قصر الموصوف على الصفة أوالعكس ؟ - قول الشاعر

وما المرءُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسب فى الهالكين عريق

(٢) بأى اعتبــار ينقسم القصر إلى قــصر صفة على موصــوف وبالعكس ؟ وما فائدة ذلك بلاغةً ؟

تمرين - ٣

(١) هل القصر فى البيت الآتى قصر إفراد أو قصر تعيين ؟

فإن كان فى لبس الفتى شرفٌ لهُ فما السيفُ إلا غمده والحمائلُ

(٢) بأى اعتبــار ينقسم القصر إلى قصــر إفراد وقصر قلب وقصــر تعيين ؟ وما فائدة ذلك بلاغةً ؟ وما هو الحال ومقتضى الحال فى الأقسام الثلاثة ؟

تمرين - ٤

(١) هل من القصر الحقيقى أو الادّعائى قول الشاعر ؟

وما البأسُ إلا حملُ نفسٍ على السُّرَى وما العجزُ إلا نومةٌ وتشَمُّسِ

(٢) هل يأتى القصر الادّعائى فى القصر الإضــافى ؟ وأيهما أبلغ : الحقيقى أم الادعائى ؟

طُرُق القصر

وللقصر طرق ؛ منها :

١ - **العطف**[١] كقولك في قصر الموصوف على صفة إفرادًا : « زيد شاعر لا كاتب » ، أو « ما زيد كاتبًا بل شاعر »[٢] وقلبًا : « زيد قائم لا قاعد » ، أو « ما زيد قاعدًا بل قائم » (٣) ، وفي قصر الصفة على الموصوف إفرادًا أو قلبًا بحسب المقام : «زيد قائم لا عمرو » أو « ما عمرو قائمًا بل زيد »[٤] .

---

(١) إنما قدم العطف لأنه أقوى دلالةً على القصر للتصريح فيه بالإثبات والنفي ، ويليه النفي والاستثناء ، فإنما ، فالتقديم . وإنما كان التقديم آخرها ؛ لأن دلالته على القصر ذوقية لا وضعية كما يأتي . ولا تنحصر طرق القصر في هذه الطرق التي ذكرها ؛ لأن منها ضمير الفصل وتعريف المسند بال الجنسية كما سبق في الكلام عليه في الجزء الأول .

(٢) إنما ذكر « بل » بعد النفي لأنها بعد الإثبات تجعل ما قبلها في حكم المسكوت عنه فقط ، فلا تفيد بعده القصر كما تفيده بعد النفي .

(٣) جرى في هذا على مذهبه من اشتراط التنافي بين الصفتين في قصر القلب واشتراط عدمه في قصر الإفراد ؛ فلا يمكن اجتماعهما في مثال واحد ، والخطْب في ذلك سهلٌ .

(٤) إنما جمع قصر الصفة على الموصوف إفرادًا أو قلبًا في مثال واحد ؛ لأنه لا يشترط في قصر الإفراد فيه عدم تنافي الاتصافين اتفاقًا ، فلا يتنافى هو وقصر القلب في ذلك ، ويصح اجتماعهما بحسب المقام في مثال واحد ، وإنما لم يذكر مثالاً لقصر التعيين في الموضعين؛ لأن كل ما يصلح مثالاً لقصر الإفراد أو القلب يصلح مثالاً له كما سبق ، وقد ادعى عبد القاهر أن قصر التعيين لا يأتي في طريق العطف ، وذكر عبد القاهر أن « لا » لا تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل ، بل تنفي عنه أنه قد كان منه دون الأول: فهي عنده لقصر القلب دون الإفراد . والحق أن أنواع القصر الثلاثة تأتي كلها فيما ذكر من حروف العطف ، وأن القصر الحقيقي يأتي فيها أيضاً ، كما تقول : « محمد خاتم الأنبياء لا غيره » ، وأن « لكن » العاطفة تفيد القصر أيضًا ، نحو : « ما الشاعر أبو تمام والمتنبي لكنِ البحتري » وقد تأتي لكن للاستدراك كما في قول الشاعر :

إن ابنَ ورقاء لا تُخْشَى بوادرهُ   لكنْ وقائعهُ في الحربِ تُنتظرُ

لأنها لا تعطف جملة على جملة . وكذلك « بلْ » قد تأتي للإضراب لا العطف ولكنهما مع هذا يحملان في إفادة القصر على « بل ولكن » العاطفتين كما ذكره ابن يعقوب ؛ لإفادتهما معنى العطف أيضًا . ولا يخفى أن مزية الإيجاز في القصر تتضاءل في طريق العطف . =

٢ - النفى والاستثناء :

ومنها النفى والاستثناء[١] كقولك فى قصر الموصوف على الصفة **إفرادًا** : « ما زيد إلا شاعر »، **وقلبًا** : « ما زيد إلا قائم »، **وتعيينًا** كقوله تعالى : ﴿ وما أنزَل الرحمنُ من شىء إنْ أنتـم إلا تكذِبونَ ﴾[٢] أى لستم فى دعـواكم للرسالة عندنـا بين الصدق والكذب[٣] كمـا يكون ظاهر حال المدعِى إذا ادَّعى ، بل أنتم عندنـا كاذبون فيـها . وفى قصر الصفة على الموصـــــوف بالاعتبارين[٤] : « ما قائمٌ » أو « ما مِنْ قائم » أو « لا قائمَ إلا زيد » .

وتحقيق وجه القصر فى الأول[٥] أنه متى قيل « ما زيد » توجَّه النفى إلى صفته

= للتصريح فيه بالإثـبات والنفى ، فتكون بلاغة القصر فيه أقل منهـا فى غيره ، وإن كانت فائدة التأكيد فيه أقوى . ومما ورد فى الشعر من القصر بالعطف هذه الأبيات :

ليس اليـتيمُ الذى قـد مـات والدُه ... بل اليتـيمُ يتـيم العـــلـم والأدب
إنَّ الجديـدين فى طول اختـلافهـما ... لا يفـسـدان ولكن يفسـد الناسُ
كأن دثـــــــاراً حلَّتْ بِلَبـونـه ... عُقاب تنُوفى لا عـقـاب القواعلِ

(١) بخلاف الاستثناء من الإثبات فإنه ليس بقصر عندهم ، وقيل : إنه قصر أيضًا ، لأنك إذا قلت « قام القوم إلا زيداً » قصرت عدم القيام على زيد ، ومن يذهب إلى أنه ليس بقصر يرى أنه قيد مصحح للحكم لا غير . فكأنك فـى هذا المثال قلت « جاء القوم المغايرون لزيد » ، كما تقول « جاء القوم الصالحون » ، وهذا بخـلاف قولك « ما جاءنى إلا زيد » فإن الغرض منه النفى والإثبات المحـقّقان للقصر ؛ ولهـذا يستعمل النفى والاسـتثناء عند الإنكار بخلاف الاسـتثناء من الإثبات .

(٢) آية ١٥ سورة يس .

(٣) أى مترددين بينهما ، ولهذا كان القصر على الكذب قصر تعيين ، ولكن هذا لا يَصِح إلا بتنزيل المشركين للرسل منزلة المترددين مبالغةً فى إنكارهم لدعواهم وإعراضهم عنها ، والظاهر أن القصر فى ذلك قصر قلب لا تعيين .

(٤) كان عليه أن يكتفى أيضاً فى قصر الموصوف على الصفة بمثال واحد للاعتبارين ؛ لأن المنفى فى النفى والاستثناء غير مصرح به ، فـيجوز فى قولك « ما زيد إلا شاعر » أن يكون لنفى أنه كاتب فيكون قصـر إفراد ، وأن يكون لنفى أنه مفحَم فيكون قصـر قلب ، وكذلك القصر فى إنما وفى التقديم الآتيين .

(٥) أى قصر الموصوف على الصفة .

لا ذاته ؛ لأن أنفُسَ الذوات يمتنع نفيُها وإنما تنفى صفاتها كما بُيِّن ذلك فى غير هذا العلم ، وحيث لا نزاع فى طوله وقصره وما شاكلَ ذلك ، وإنما النزاع فى كونه شاعرًا أو كاتبًا تناولهما النفى ، فإذا قيل « إلا شاعر » جاء القصر[١] .

وفى الثانى[٢] أنه متى قيل « ما شاعر » فأدخل النفى على الوصف المسلَّم ثبوته- أعنى الشعر - لغير مَن الكلامُ فيهما كزيد وعمرو مثلاً توجه النفى إليهما فإذا قيل « إلا زيد » جاء القصر[٣] .

٣ - إنما :

ومنها إنما ؛ كقولك فى قصر الموصوف على الصفة **إفرادًا**[٤] « إنما زيد كاتب»، **وقلبًا** « إنما زيد قائم »،وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين « إنما قائم زيد ». والدليل على أنها تفيد القصر كونها متضمنة معنى « ما وإلا »[٥] لقول المفسرين[٦] فى

---

(١) لتحقق النفى والإثبات المحقق للقصر .

(٢) أى قصر الصفة على الموصوف .

(٣) لتحقق النفى والإثبات كما سبق ، ولا يخفى أن دلالة النفى والإثبات على القصر بالوضع ، فلا يحتاج إلى تكلف ما ذكره فى تحقيق إفادته القصر ، هذا ولا فرق فى إفادة النفى والاستثناء القصرَ بين أداة وأداة ، ومن ذلك قول الشاعر فى « ما » ، « ولا » ، « وإلا » :

وما الخوف إلاَّ ما تخوفَهُ الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنًا

وقول الآخر فى « لا وغير » :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهمْ بهنَّ فلول من قراع الكتائبِ

(٤) يرى عبد القاهر أن « إنما » لا تستعمل فى الكلام البليغ إلا فى قصر القلب . والحق أنها تستعمل فيه وفى غيره ، ومن قصر الإفراد فيها قوله تعالى : آية ٦٠ سورة التوبة ﴿ إنما الصدقات للفقراء .. الآية) إذ ليس هناك من يعتقد عدم استحقاق الفقراء ونحوهم الصدقة ؛ فلا يكون القصر فى ذلك قصر قلب .

(٥) لا يخفى أن دلالة « إنما» على القصر بالوضع،فلا يُحتاج إلى دليل فى دلالتها عليه ، وإنما جعلها متضمنة معنى« ما وإلا »ولم يجعلها مرادفة لهما ، لما سيأتى من الفرق بينها وبينهما ، وشرطُ المترادفين أن يكونا متحدين معنًى وإفرادًا وتركيبًا .

(٦) أى من الذين يحتج بهم فى اللغة كابن عباس ومجاهد ونحوهما من الصحابة والتابعين .

قوله تعالى: ﴿ إنما حَرَّم علـيكمُ الميتةَ والدَّم ﴾[١] بالنصب: معناه مـا حرم عليكم إلا الميتة، وهو المطابق لقراءة الرفع[٢] لما مَرَّ في باب « المنطلق زيد »، ولقول النحاة[٣]: « إنما » لإثبات مـا يذكر بعدها ونفي مـا سواه، ولصحـة انفصال الضـمير معـها[٤] كقولك: « إنما يضرب أنا » كما تقول: « ما يضرب إلا أنا »، قال الفرزدق:

أنا الذائدُ الحامي الذِّمارَ وإنَّما يُدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلي[٥]

وقال عمرو بن معْديكرب:

قد علمتْ سَلْمَى وجاراتُها ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنا[٦]

قال السكاكي[٧]: ويُذكرُ لذلك وجـه لطيف يُسنَد إلى علي بن عيـسى الرَّبعيِّ وهو أنه لما كانت كلمة « إن » لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها « ما » المؤكِّدَةُ لا النافـية - كمـا يظنه من لا وقوف له على علم الـنحو - ناسَبَ أن يُضَمَّن

---

(١) آية ١٧٣ سورة البقرة.

(٢) هي قراءة ﴿ إن مـا حَرُمَ عليكم الميتةُ ﴾ وعليـها يتعين أن تكون « ما » مـوصولة اسم إن؛ أي إن الذي حرم عليكم الميتـةُ، وهي جملة مُعرَّفة الطرفين فتـفيد القصر كمـا مر في الجزء الأول في نحو « المنطلق زيد » وهناك قراءة أخرى بالرفع على بناء « حُرِّم » للمـفعول، وهي غير مرادة له؛ لأن «ما» فيها يصح أن تكون كافة وأن تكون موصولة، فلا يتم بها الدليل الذي يريده.

(٣) أي الذين أخذوا اللغة من كلام العرب مشافهةً، وبهذا يحتج بقولهم.

(٤) فلا يجب فصله خـلافًا لابن مالك. بدليل قوله تعالى: آية ٨٦ سورة يوسف ﴿إنما أشكو بثي وحُزني إلى الله ﴾ والحق أن الضمير إذا كان محـصوراً فيه وجب فصله وتأخيره، وإلا أُتي به متـصلاً كمـا في الآية؛ لأن الجار والمجرور فـيها هو المحـصور فيـه لا الضميـر، ووجه الاستدلال بذلك أن وصل الضمير ممكن في إنمـا، والانفصال إنما يجوز عند تعذُّر الاتصال، ولا تعذر هنا إلا بكونها في معنى « ما »، و « إلا ».

(٥) هو لهمَّام بن غالب المعروف بالفرزدق، والذائد: من الذوذ وهو الدفع. والذمار: ما يلزم الشخص حـمايته من أهل ومال ونحوهما، مأخـوذ من الذمر وهو الحث؛ لأن ما تجب حمايته كانوا يتذامرون أي يحث بعضهم بعـضًا على حمايته، والأحساب: جمع حسب وهو ما يعده الشـخص من مفاخر نفـسه وآبائه، والمراد أنه لا يدفع عن أحسابهم إلا هو؛ ولـهذا فصل الضمير وأخَّره لأنه المحصور فيه.

(٦) قوله « قطر » مضـعف قطر كنصر بمعنى صرعه صرعة شـديدة. والشاهد في فصله الضمير بعد « إلا »، وأن « إنما » يفصل الضمير بعدها مثلها.

(٧) ص ١٥٨ - المفتاح.

معنى القصر ؛ لأن القصـر ليس إلا تأكيداً على تأكيد[1] ؛فإن قـولك « زيد جاء لا عمرو » ـ لمن يردد المجيء الواقع بيـنهما ـ يفيد إثباتـه لزيد فى الابتداء صريحًا وفى الآخر ضمنا ·

٤ – **التقديم** : ومنها التقديم[2] كقولك فى قصر الموصوف على الصفة **إفرادًا** : « شاعر هو » لمن يعتـقده شاعراً وكاتبًا ، **وقلبًا** : « قائم هو » لمن يعتـقده قاعداً[3] ، وفى قصر الصـفة على الموصوف **إفرادًا** : « أنا كَفَـيت مُهِمَّك » بمعنى وحـدى ، لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتماه مهمه ، **وقلبًا** : « أنا كفيت مُهِمَّك » بمعنى لا غيرى ، لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم[4] ·

---

(١) رُدّ هذا بأنه لو كان اجتماعُ تأكيدين يفـيد القصر لإفاده نحو « إن زيداً لقائم » واللازم باطل ؛ فبطل اللازم ·

هذا وقد اختلف فى إفادة « أنما » بفـتح الهمزة القصر ؛ فقيل : إنها تفـيده مثل المكسورة الهمزة ، وقد اجـتمعا فى قوله تعالى : آية ١١٠ سـورة الكهف ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إلهٌ واحدٌ ﴾ وهو من القصر الإضـافى ، والمعنى: ما أوحى إلىّ إلا التوحيد أى لا الشرك · ومن القصر بإنما قول الشاعر :

وإنما المرء حديثٌ بعده ... فكن حديثاً حسنًا لمن وعى

وقول الآخر :

وما لامرىء طول الخلود وإنما ... يخلّده طول الثناء فيخلُد

(٢) هو ثلاثة أقسـام : أولها تقديم المسند إليـه على نحو ما سـبق فى بابه فى الجزء الأول كقول المتنبى :

وما أنا أسقمتُ جسمى به ... ولا أنا أضرمتُ فى القلب ناراً

وثانيها تقديم المسند على نحو ما سبق فى بابه فى الجزء الأول، كقول عمرو بن كلثوم :

لنا الدنيا ومَنْ أضحى عليها ... ونبطش حين نبطش قادرينا

وثالثها تقديم بعض القيود على نحو ما سبق فى باب متعلقات الفعل ، كقول الشاعر:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى ... أرى الأرضَ تبقى والأخلاّء تذهبُ

وأما تقديم بعض المعـمولات على بعض فقد سـبق الخلاف فى إفادته القصر بين الجـمهور وابن الأثير فى الجزء الأول ·

(٣) المثالان من تقـديم الخبر على المبتـدأ ، وهو إنما يفيـــد القصـر إذا كان المبتدأ مـعرفة والخبر نكرة ·

(٤) فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى فى الجزء الأول ·

فروق طرق القصر : وهذه الطرق تختلف من وجوه :

الأول : أن دلالة الثلاثة الأولى بالوضع دون الرابع(١) .

الثانى : أن الأصل فى الأول أن يدل على المثبَت والمنفىِّ جميعًا بالنص ؛ فلا يُترَكُ ذلك إلا كراهة الإطناب فى مقام الاختصار ، كما إذا قيل : « زيد يعلم النحو والتصريف والعَروض والقوافىَ » ، أو « زيد يعلم النحو وعمروٌ وبكرٌ وخالد » فتقول فيهما « زيد يعلم النحو لا غير »(٢) ، وفى معناه « ليس إلا » أى لا غير النحو أو لا غير زيد . وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفى(٣) .

الثالث : أن النفى(٤) لا يجامع الثانى ؛ لأن شرط المنفى بـ (لا) ألاّ يكون منفيًا قبلها بغيرها ، ويجامع الأخيرين ، فيُقال : « إنما زيد كاتب لا شاعر ، وهو يأتينى لا عمرو » لأن النفى فيهما غير مصرح به(٥) كما يقال « امتنع زيد عن المجىء لا عمرو» .

---

(١) فدلالته على القصر بالذوق والبحث فى سر التقديم حتى يُفهم بالقرائن الحالية أنه للتخصيص لا لغيره من أغراض التقديم ، ولا تُنافى الدلالة الوضعية فى الثلاثة الأولى البحثَ عنها فى علم المعانى ؛ لأنه لا يُبحث فيه عن دلالتها على القصر وإنما يبحث فيه عن مزايا القصر وأحواله وعن المقامات التى تدعو إليها ولا شك أن هذا من صميم علم المعانى .

(٢) ببناء « غير » على الضم ، وقيل : إنها لا تستعمل كذلك إلا بعد « ليس » وهو مردود بقول الشاعر :

جوابًا به تنجو اعتمدْ فوربِّنا ... لعنْ عملٍ أَسْلفتَ لا غير تُسألُ

وقيل : إن « لا » فى ذلك لنفى الجنس لا للعطف ، وخبرها محذوف أى لا غيره معلوم أو عالم فى المثالين ، وتكون مع هذا للقصر حملاً على « لا » العاطفة لأنها بمعناها .

(٣) أى بحسب الأصل ، وقد تجىء على خلافه ، كما تقرأ فى التقديم : « ما أنا قلت هذا» بالنص على المنفى دون المثبت ، وكما يقال فى النفى والاستثناء: « ما قام القوم إلا زيد » بالنص على المثبت والمنفى معًا ، والاستثناء المفرَّغ هو الأصل فى القصر .

(٤) يعنى النفى « بلا » كما يؤخذ من توجيهه له ، ولأن المراد أن طريق القصر بلا – لا يجامع طريق النفى والاستثناء ، وقد جاء ذلك فى كلام المولدين كقول الحريرى :

لعَمرُك ما الإنسان إلا ابن يومه ... على ما تجلَّى يومُه لا ابن أَمْسه

أما النفى بغير « لا » فيجامع النفى والاستثناء ولا وجه للفرق بينهما إلا السَّماع .

(٥) بخلاف الثانى لأنه يصرح فيه بأداة النفى ، وإن لم يصرح فيه بالمنفى .

قال السكاكى[1] : « شـرطُ مجـامـعتـه للثـالث ألاَّ يكون الوصف مـختـصًا بالموصوف[2] كقوله تعالى ﴿ إنما يستجيبُ الذين يسمعون ﴾[3] فإنَّ كل عاقل يعلم أن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع · وكـذا قولهم « إنما يُعَجِّلُ من يخشى الفوت » ، قال الشيخ عبد القاهر[4] : « لا تحسن مجـامعته له فى المخـتص كما تحسن فـى غير المختص ، وهذا أقرب[5] ، قيل : ومجامعته له إمـا مع التقديم كقوله تعالى :﴿ إنما أنت مذكِّرٌ ، لستَ عليهم بمسيطرٍ ﴾[6] ، وإما مع التأخير ، كـقولك : « ما جاءنى زيد وإنما جاءنى عمرو» وفى كون نحو هذين مما نحن فيه نظر[7] .

الرابع : أن أصل الثانى أن يكون مـا استُعملَ له مما يجـهله المخاطب وينكره[8] كقولك لصاحبك وقد رأيتَ شبحًا من بعيد: « ما هو إلا زيد » إذا وجدته يعتقده غير زيد ويُصِرُّ على الإنكار،وعليه قوله تعالى:﴿وما منْ إله إلا الله ﴾[9] وقد يُنزَّل المعلوم منزلة المَجهول لاعتبار مناسـب فيُستعمل له الثانى **إفرادًا**،نحو:﴿وما محمَّدٌ إلا رسولٌ قد خلَتْ من قـبْله الرُّسلُ ﴾[10] أى أنه ﷺ مقـصور على الرسالة لا يتـعداها إلى

---

(١) ص ١٥٩ المفتاح ·

(٢) أى بالنظر إلى الوصف فى نفـسه وإن كـان مختـصًا بالموصـوف بحسب المقـام الذى اقتضى قصره عليه ·

(٣) آية ٣٦ سورة الأنعام ·

(٤) ص ٢٢٩ - دلائل الإعجاز ·

(٥) لأنه لا دليل على امتناع ذلك عند قصد زيادة التـأكيد ، هذا والسكاكى يناقض هنا ما سبق له فى الكلام على تقديم المسنـد إليه ؛ لأنه هنا أجاز التخصيص مع اخـتصاص الوصف فى نفسه بالموصـوف ، وهناك منعه فى نحو قولهم « شـر أهرّ ذا ناب » لأن المهرّ لا يكون إلا شرًا ، أى لأن الوصف فى نفسه مختص بالموصوف ؛ فلا فائدة فيه للتخصيص ·

(٦) آية ٢١ ، ٢٢ سورة الغاشية ·

(٧) لأن النفى فيهما بغير « لا » ·

(٨) المراد بذلك أن يكون شأنه مما يجـهله المخاطب وينكره ، لا الجهل بالفـعل لأن الجهل بالفعل شرط فى القصر مطلقًا ·

(٩) آية ٦٢ سورة آل عمران ·

(١٠) آية ١٤٤ سورة آل عمران ·

التبرِّى من الهلاك ؛ نزَّل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه[١] . ونحوه : ﴿ وما أنتَ بمسمعٍ مَنْ فى القبور ، إن أنت إلا نذيرٌ ﴾[٢] ؛فإنه ﷺ كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان ولا يرجع عنها ، فكان فى معرض من ظنَّ أنه يملك مع صفة الإنذار إيجاد الشىء فيما يمتنع قبوله إياه ، أو **قلبًا** ؛ كقوله تعالى حكايةً عن بعض الكفار: ﴿ إنْ أنتمْ إلا بشرٌ مثلُنا ﴾[٣] أى أنتم بشر لا رسل ، نزّلوا المخاطبين[٤] منزلة من ينكر أنه بشر لاعتقاد القائلين[٥] أن الرسول لا يكون بشراً مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة . وأما قوله تعالى[٦] حكاية عن الرسل: ﴿ إنْ نحنُ إلا بشرٌ مثلُكمْ ولكنَّ الله يَمُنُّ على من يشاء من عباده ﴾ فمن مجاراة الخصم للتبكيت والإلزام والإفحام[٧]؛ فإن من عادة من ادّعى عليه خصمه الخلاف فى أمر هو

(١) فكأنهم يعتقدون الشركة بين الرسالة والتبرّى من الهلاك ، وبهذا كان القصر على الرسالة قصر إفراد، والاعتبار المناسب فى ذلك هو الإشعار بعظم ذلك الأمر فى نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه بينهم ، وقيل : إن ذلك قصر قلب ؛ لأن محطَّ القصر هو الجملة الواقعة بعد المستثنى لكونها صفة له ، والمعنى أنه رسول يخلو كما خلت الرسل من قبله ، لا رسول لا يخلو كما هو لازمُ استعظامهم هلاكه .

(٢) آية ٢٢ ، ٢٣ سورة فاطر . (٣) آية ١٠ سورة إبراهيم .

(٤) هم الرسل لأنهم مخاطبون فى الآية ﴿ قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ .

(٥) هم المشركون ، وهذا هو الاعتبار المناسب فى الآية لتنزيل المعلوم فيها عندهم منزلة المجهول ؛ فصفة الرسالة تنافى عندهم صفة البشرية ، ولهذا كان القصر فى كلامهم قصر قلب ، وقد روعى فيه حال المتكلم مع المخاطب على خلاف الأصل فى القصر من مراعاة حال المخاطب فقط ، وقيل : إن ذلك يمكن ألاَّ يكون من تنزيل المعلوم منزلة المجهول ، بأن يجعل قصر إفراد على معنى أنَّ الرسل لم تجتمع لهم الرسالة والبشرية كما يدَّعون فى زعمهم ، أو قصر قلب على معنى ما أنتم إلا بشر مثلنا ، أى لا بشر أعلى منا بالرسالة .

(٦) أى بعد قول المشركين السابق - آية ١١ سورة إبراهيم .

(٧) مجاراة الخصم على وجهين : أحدهما اعتراف المجارى بمقدمة فاسدة ليرتب عليها ما يخالف مقصود الخصم ، وثانيهما اعترافه بمقدمة صحيحة ليبين أنها لا تستلزم مقصود الخصم ، وما هنا من الوجه الثانى . - القصر فى قول الرسل ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ قصر صورىّ يقصد منه المشاكلة اللفظية لقول المشركين لتكون أقوى فى المجاراة ، ولا يراد منه إلا أصل الإثبات على سبيل التجرد ، وقيل : إنهم يريدون حقيقة القصر ، لأن المشركين يريدون من قصرهم أن الرسل بشر لا ملائكة ، فجاراهم الرسل بتسليم أنهم كذلك ، ويكون المقصود من القصر هذه المجاراة لا الرد عليهم ؛ لأنهم لا ينكرون بشرية الرسل بل هى ثابتة عندهم .

لا يخالف فيه ؛ أن يـعيد كلامه على وجهه ، كـما إذا قال لك من يناظرك : « أنت من شأنك كَيْتَ وكَيْتَ » فتقول : « نعم أنا من شأنى كيت وكيت ، ولكن لا يلزمنى من أجل ذلك ما ظنـنتَ أنه يلزم » ، فالرسل عليهم الـسلام كأنهم قـالوا : « إن ما قلتم مِن أنّا بشـر مـثلكم هو كمـا قلتم لا ننكـره ، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله تعـالى قد مَنَّ علينـا بالرسالة » . وأصلَ الثـالث أن يكون مـا استُعـملَ له مما يعلمـه المخـاطَب ولا ينكره ، على عكـس الثـانى ، كـقـولك « إنما هو أخـوك ، وإنما هو صاحبك القديم » لمن يعلم ذلك ويُقِرُّ به، تريد أن ترقّقه عليه وتنبهه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب[١] وعليه قول أبى الطيب :

إنما أنت والد والأبُ القَا طعُ أحنَى مِن واصل الأولاد[٢]

لم يُرِدْ أن يُعْلِمَ كافـورًا أنه بمنزلة الوالد ، ولا ذاك مما يحـتاج كـافور فـيه إلى الإعلام ، ولكنه أراد أن يُذكّره منه بالأمر المعلوم ليبنى عليه استدعاء ما يوجبه .

وقد ينزَّل المجـهولُ منزلة المعلوم لادّعاء المتكلم ظهـوره فيُستـعملُ له الثـالث[٣] نحو : ﴿ إنما نحـن مُصلحون ﴾[٤] ادَّعوا أنَّ كـونَهم مصلحين ظاهر جَلِيّ ، ولذلك جاء ﴿ ألا إنهمْ همُ المفسِدون ﴾[٥] للردّ عليهم مؤكدًا بما ترى: من جعْل الجملة اسميةً وتعريف الخبر باللام وتوسيط الفصل[٦] والتصدير بحرف التنبيه[٧] ثم بـ «إنَّ » .

---

(١) هذا هو المقصود من « إنما » التعريض به ، وتكون فائدة القـصر المبالغة فى الترقيق لما فيه من زيادة التأكيد .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبّى ، والخطاب لكافور الإخـشيدى ، يعنى أنه بمنزلة الولد لمولاه ابن الإخـشيد . والأب القـاطع: هو الذى لا يصل أولاده ، وإنما كان أحنَى من الأولاد الواصلين لأبيـهم لأن حنوَّ الأب على أولاده أشـد من حنو الأولاد على أبيـهم بمقتضى الفطرة والطبيعة .

(٣) يقصـد من استعمـاله هنا الرد على المخاطب كغـيره من أدوات القصر ولا يقـصد منه التعريض كما قصد منه فى أصل استعماله .

(٤) آية ١١ سورة البقرة . (٥) آية ١٢ سورة البقرة .

(٦) هو « هم » .

(٧) هو « ألا » .

ومثله قول الشاعر :

إنما مُصْعبٌ شهابٌ من الله تجلَّتْ عن وجهه الظّلماءُ[١]

ادَّعى أن كونَ مصعب كما ذهب جَلِيٌّ معلوم لكل أحد على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدَّعوا في كل ما يصفون به ممدوحيهم الجلاء ، وأنهم قد شُهروا به حتى إنه لا يدفعه أحد؛ كما قال الآخر :

وتعذلُنى أفناءُ سعدٍ عليهمُ وما قلتُ إلا بالتى علمتْ سعدُ[٢]

وكما قال البحترى :

لا أدَّعى لأبى العلاء فضيلةً حتى يُسلِّمها إليه عِداهُ[٣]

واعلم أنَّ لطريق « **إنما** » مزيَّة[٤] على طريق العطف ، وهى أنه يُعقلُ منها إثباتُ الفعل لشيء ونفيُه عن غيره دفعةً واحدة بخلاف العطف ، وإذا ما استقريتَ وجدتها أحسن ما تكون موقعًا إذا كان الغرض بها التعريض بأمرٍ هو مقتضى معنى الكلام بعدها[٥] كما في قوله تعالى: ﴿ إنما يتذكر أولو

---

(١) هو لعبد الله بن قيس الرُّقَيَّات فى مدح مصعب بن الزبير بن العوام . وقوله « تجلت » بمعنى تكشفت ، وهذا من أبلغ المدح ، ولذلك فضله عبد الملك بن مروان على مدحه له بقوله :

يأتلج التاجُ فَوْقَ مَفْرِقه على جبينٍ كأنه الذهبُ

(٢) هو الحطيئة جرول بن أوس فى مدح بغيض بن شماس وقومه بنى أنف الناقة وذم الزبرقان بن بدر وقومه ، وجميعهم ينتمون إلى سعد بن مناة ، والأفناء جمع فنن : وهو الجماعة، والشاهد فى دعواه أن ما قاله فى حق ممدوحيه لا يدفعه أحد من سعد ، وقيل : إن الرواية « أبناء سعد » لأن أفناء الناس أخلاطهم ، ولا يريده الحطيئة ، وكذلك روى « الذى » بدل « التى » والشاهد في دعواه عليهم بذلك .

(٣) هو للوليد بن عُبيد المعروف بالبحترى من أبيات له فى مدح أبى العلاء صالح بن مخلد وابنه أبى عيسى ، والشاهد فيه كالذى قبله .

(٤) توجد هذه المزية أيضًا فى طريق النفى والاستثناء وطريق التقديم .

(٥) هذا إنما يكون إذا استعملت فى أصلها وهو ما يعلمه المخاطب ولا ينكره كما سبق ؛ لأنه إذا كان ذلك معلومًا له فلا يهم المتكلم إفادته له ، وإنما يهمه المعنى الآخر الملوَّح إليه بالتعريض ؛ لأنه هو الذى يجهله المخاطب ويُصِرُّ على إنكاره .

هذا وقد قيل : إن عبد القاهر يرى أن « إنما » يقصد منها دائمًا التعريض ولو استعملت =

الألباب ﴾[1] فإنه تعريض بذم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم فى حكم مَنْ ليس بذى عقل ؛ فأنتم فى طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع فى ذلك من غير أولى الألباب ، وكذا قوله تعالى : ﴿ إنما أنت مُنذرُ مَنْ يخشاها ﴾[2] وقوله : ﴿ إنما تنذرُ الذين يخشوْن ربهم بالغيب ﴾[3] المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع ، وقلب يعقل ، فالإنذار معه كلا إنذار ، قال الشيخ عبد القاهر[4] ومثال ذلك من الشعر قوله :

أنا لم أُرزَق محبتها ... إنما للعبد ما رُزِقا[5]

فإنه تعريض بأنه قد علم أنه لا مطمع له فى وصلها ، فيئس من أن يكون منها إسعاف به · وقوله :

وإنما يَعْذرُ العشَّاقَ من عَشِقا[6]

يقول : ينبغى للعاشق ألاَّ يُنكر لومَ من يلومه ؛ فإنه لا يعلم كُنْه بلوى العاشق ، ولو كان قد ابتُلى بالعشق مثله لعرف ما هو فيه فيعذره · وقوله :

ما أنتَ بالسبب الضعيفِ وإنما ... نُجْحُ الأمور بقوة الأسباب

= فى المجهول المنزَّل منزلة المعلوم ، ولا يقصد منها الرد على المخاطب إذا استعملت هذا الاستعمال ، مع أن عبد القاهر قد ذكر أنها تأتى فى كثير منها الكلام والقصد بالخبر بعدها أن تُعلم السامع أمرًا قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج إلى معرفته ، ولكن لا بد مع ذلك من أن يدعى هناك فضل انكشاف وظهور فى أن الأمر كالذى ذُكر ·

(١) آية ١٩ سورة الرعد ·

(٢) آية ٤٥ سورة النازعات ·

(٣) آية ١٨ سورة فاطر ·

(٤) ٢٣٠ دلائل الإعجاز ·

(٥) هو للعبَّاس بن الأحنف ، وفى رواية « مودتكم » بدل « محبتها » ، والإضافة فى ذلك من إضافة المصدر إلى فاعله ، وقبل البيت :

كان لى قلبٌ أعيش به ... فاصطلى بالنار فاحترقا

(٦) هو من قول العباس بن الأحنف أيضًا :

يلوم فى الحب مَن لم يَدْرِ طعمَ هوى ... وإنما يعــــــــذرُ العشاقَ من عشقا

فاليومَ حاجَتُنا إليك وإنمـــــــا يُدْعَى الطبيبُ لساعة الأوصاب(١)

يقول فى البيت الأول : إنه ينبغى أن أنجح فى أمرى حين جعلتك السبب إليه ، وفى الثانى : إنا قد طلبنا الأمر من جـهته حين استعنا بك فيمـا عرض لنا من الحاجة وعوّلنا على فضلك ، كمـا أن من يعول على الطبيب فيما يعـرض من السقم كان قد أصاب فى فعله .

ثم القصـر كما يقـع بين المبتدأ والخـبر كمـا ذكرنا(٢) يقع بين الفـعل والفـاعل وغيرهما(٣) ؛ ففى طريق النفى والاستـثناء يؤخر المقصور عليه مع حـرف الاستثناء ، كقولك فى قصر الفاعل على المفعول إفراداً أو قلبًا بحسب المقام : « ما ضرب زيد إلا عمرًا » (٤) وعلى الثانى لا الأول قـوله تعالى : ﴿ ما قلت لهم إلا مـا أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربَّكم ﴾(٥) لأنه ليس المعنى أنى لم أزدْ على ما أمـرتنى به شيئًا ؛ إذ ليس الكلام فى أنه زاد شـيئًا على ذلك أو نقصَ منه ، ولكن المعنى أنـى لم أترك ما أمرتنى به أن أقولـه لهم إلى خلافه(٦) لأنه قاله فى مـقام اشتـمل على معنى أنك يا عيسـى تركت ما أمرتك أن تقوله إلى مـا لم آمرك أن تقوله ؛ فإنى أمـرتك أن تدعوَ

(١) هما كمـا فى - معجم الشعراء - لمحمـد بن أحمد العمروانى فى عبـيد الله بن يحيى ابن خاقان ، وقيل : إنهما للزبير بن بكار ، وقيل : إنهما للباخَرْزى . والسبب : كل ما يُتوصل به إلى غيره ، والأوصاب : جمع وصب وهو المرض .

هذا وإنما ترك الكلام على أصل الطريق الأول والطريق الـرابع من جهة استـعمـالها فيـما يجهله المخاطب أو يعلمه؛ لأنهما كما قال صاحب الأطول: مستويا النسبة إلى المعلوم والمجهول .

(٢) فى التمثيل لأقسام القصر وطرقـه ؛ لأن ما ذكره فى ذلك من باب المبتدأ والخبر إلا ما ندر .

(٣) مما سيذكـره وما يذكره كالتميـيز والظرف وسائر المتعلقات إلا المصـدر المؤكِّد والمفعول معه .

(٤) يجوز فى هذا ونحوه أن يكون الفعل المسند إلى الفاعل مقصوراً على المفعول ، فيكون من قصر الصفة على الموصوف ، وأن يكون الفاعل مقـصوراً على الفعل المتعلق بالمفعول ، فيكون من قصر الموصوف على الصفة ، وكذلك يقال فى قصر المفعول على الفاعل ونحوهما .

(٥) آية ١١٧ سورة المائدة .

(٦) بهذا يكون قصر قلب لا إفراد .

الناس إلى أن يعبدونى ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا غيرى ، بدليل قوله تعالى ﴿ أأنت قلت للناس اتخذونى وأمىَ إلهين من دونِ الله ﴾[1] .

وفى قصر المفعول على الفاعل : «ما ضربَ عمرًا إلا زيد » .

وفى قصر المفعول الأول على الثانى فى نحو[2] « كسوت وظننت » ، « ما كسوت زيدًا إلا جبة » ، و « ما ظننت زيدًا إلا منطلقًا » .

وفى قصر الثانى على الأول « ما كسوتُ جبة إلا زيدًا » ، و « ما ظننت منطلقًا إلا زيدًا » . وفى قصر ذى الحال على الحال[3] : « ما جاء زيد إلا راكبًا » .

وفى قصر الحال على ذى الحال : « ما جاء راكبًا إلا زيد » .

والوجه فى جميع ذلك[4] أن النفى فى الكلام الناقص - أعنى الاستثناء المفرّغ - يتوجه إلى مقدَّر هو مستثنى منه عام[5] مناسب للمستثنى فى جنسه وصفته ، أما توجهه إلى مقدَّرٍ هو مستثنى منه فلكون « إلا » للإخراج واستدعاء الإخراج مُخرَجًا منه ، وأما عمومه فليتحقق الإخراج منه ؛ ولذلك قيل : تأنيث المضمر فى « كانت » على قراءة أبى جعفر المدنىِّ : ﴿ إنْ كانتْ إلا صيحةٌ ﴾[6] بالرفع ، وفى « ترى » مبنيا للمفعول فى قراءة الحسن ﴿ فأصبحوا لا تُرْىَ إلا مساكنُهم ﴾[7] برفع مساكنهم، وفى « بقيت » فى بيت ذى الرمة :

* فما بقيتْ إلا الضلوعُ الجراشعُ[8] *

---

(١) آية ١١٦ سورة المائدة .

(٢) نحو « كسوت » كلُّ فعل ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر، ونحو « ظننت » كل فعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .

(٣) هو من قصر الموصوف على الصفة ، فيقال فى هذا المثال : إن زيدًا قصر على المجيء حال الركوب ، وقيل : إن المجيء هو الذى قصر على الركوب ، أما قصرَ الحال على ذى الحال فهو من قصر الصفة على الموصوف .

(٤) هذا عودٌ إلى ما سبق من توجيه إفادة النفى والاستثناء القصرَ ، وقد سبق أن دلالته على القصر بالوضع ، فلا تحتاج إلى توجيهها بما ذكر .

(٥) لا فرق فى هذا بين القصر الحقيقى والإضافى إلا بأن الإضافى يقدَّر فيه عام يراد به الخاص الذى يكون القصر بالإضافة إليه .

(٦) آية ٢٩ سورة يس . (٧) آية ٢٥ سورة الأحقاف .

(٨) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة من قوله :

طوى النحزُ والأجرازُ ما فى غروضها
فما بقيتْ إلا الضلوعُ الجراشعُ =

للنظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شىء من الأشياء. وأما مناسبته فى جنسه وصفته فظاهرة ؛ لأن المراد بجنسه أن يكون فى نحو « ما ضرب زيد إلا عمراً » : أحداً[1] ، وفى نحو قولنا « وما كسوت زيداً إلا جبة » لباساً، وفى نحو : « ما جاء زيد إلا راكبًا » كائنًا على حال من الأحوال ، وفى نحو « ما اخترت رفيقًا إلا منكم»: من جماعة من الجماعات .ومنه قول السيد الحِميْرىّ :

لو خُيِّر المِنْبَرُ فرسانه　　ما اختار إلا منكمُ فارساً[2]

لما سيأتى إن شاء الله تعالى أن أصله : ما اختار فارسًا إلا منكم .

* والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً أو ذا حال أو حالا، وعلى هذا القياس، إذا كان النفى متوجهًا إلى ما وصفناه فإذا أوجِب منه شىء جاء القصر[3] .

* ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما على المقصور ، كقولك « ما ضرب إلا عمراً زيد ، وما ضرب إلا زيد عمراً ، وما كسوت إلا جبة زيداً ، وما ظننت إلا زيداً منطلقًا ، وما جاء إلا راكبًا زيد ، وما جاء إلا زيد راكبًا». وقولنا «بحالهما » احتراز عن إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن المقصور عليه ؛ كقولك فى الأول: « ما ضرب عمراً إلا زيد » فإنه يختل المعنى[4] ؛ فالضابط

= يصف بذلك ناقته . وقوله « طوى » بمعنى أضمر ، « والنحز » الدفع والنخس ، و«الأجراز » جمعُ جرز وهى الأرض اليابسة التى لا نبات فيها ، و « الغروض » جمع غرض وهو الحزام ، والجراشع : المتنفخة الغليظة جمع جُرْشُع .

(١) هو خبر يكون ، وكذلك نظائره مما بعده .

(٢) هو لإسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميرى ، وتقدير الشطر الثانى :« ما اختار فارسًا من جماعة من الجماعات إلا فارسًا منكم » والفارس ، فى الأصل : راكب الفرس، استعير فى البيت لخطيب المنبر ، وإسناد الاختيار إلى المنبر مجاز عقلى ، وكان السفَّاح العباسى قد خطب يومًا فأحسن ، فمدحه بذلك .

(٣) لتحقق النفى والإثبات المحقِّقَين لمعنى القصر .

(٤) لأنه ينقلب المقصور مقصوراً عليه ، وهو خلاف المراد ، ومن تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء قول الشاعر :

الناسُ إلْبٌ علينا فيك ليس لنا　　إلا السيوفُ وأطراف القنا زُرُدُ

أن الاختصاص إنما يقع فى الذى يلى إلا[١] ولكن استعمال هذا النوع - أعنى تقديمها- قليل؛ لاستلزامه قصرالصفة قبل تمامها[٢] كالضرب الصادر من زيد فى « ما ضرب زيد إلا عمرًا » والضرب الواقع على عمرو فى « ما ضرب عمرًا إلا زيد » وقيل[٣]: «إذا أُخّر المقصور عليه والمقصور عن « إلا » ، وقُدّم المرفوع كقولنا « ما ضرب إلا عمرو زيدًا » فهو على كلامين ، و« زيدًا » منصوب بفعل مضمر ؛ فكأنه قيل « ما ضرب إلا عمْرو » أى ما وقع ضرب إلا منه ، ثم قيل : مَنْ ضَرَبَ ؟ فقيل « زيدًا » أى ضرب زيدًا . وفيه نظر ؛ لاقتضائه الحصْرَ فى الفاعل والمفعول جميعًا[٤] .

* وأما فى « **إنما** » فيؤخَّر المقصور عليه[٥] ، تقول « إنما زيد قائم ، وإنما ضرب زيد ، وإنما ضرب زيد عمرًا ، وإنما ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة ، وإنما ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة فى السوق » أى « ما زيد إلا قائم ، وما ضرب إلا زيد ، وما ضرب زيد إلا عمرًا ، وما ضرب زيد عمرًا إلا يوم الجمعة ، وما ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة إلا فى السوق » ؛ فالواقع أخيرًا هو المقصور عليه أبدًا[٦] ولذلك تقول : «إنما هذا لك ، وإنما لك هذا » أى ما هذا إلا لك ، وما لك إلا هذا ، حتى إذا

---

(١) فيكون هو المقصور عليه تأخرا معًا أو تَقَدَّما معًا .

(٢) إنما جاز التقديم مع استلزامه ذلك ؛ لأنه فى نية التأخير ، فكأنه مؤخر فعلاً .

(٣) على هذا لا يلزم قصر الصفة قبل تمامها ، ولا يكون فى الكلام تقديم وتأخير .

(٤) أجيب عن هذا بأنه إنما يُلزم من يُجوز أن يُستثنَى شيئان أو أكثر بأداة واحدة دون عطف ، ولعل من قال إن نحو « ما ضرب إلا عمرو زيدًا » على كلامين لا يُجوز ذلك ، فلا يقتضى ما ذهب إليه الحصر فى الفاعل والمفعول جميعًا ويؤيد هذا أنه لو كان ممن يجوّز ذلك لم يحتجْ إلى تقدير الفعل ثانيًا ، بدليل أن من لا يجوّز ذلك يرى فى قوله تعالى : آية ٢٧ سورة هود ﴿ وما نراكَ اتَّبعك إلا الذينَ همْ أَراذلُنا بادى الرأيِ ﴾ أنه لم يستثنِ فيه الموصول والظرف جميعًا بإلا . وإنما الظرف منصوب مضمر تقديره اتبعوك بادى الرأى ، والراجح أن الكلام على التقديم والتأخير وليس على تقدير كلامين ؛ لما يظهر فيه من التكلُّف .

(٥) فلا يجوز تقديمه لئلا يلتبس بالمقصور ،وقد يَعْرِض ما يُوجب تقديم المقصور عليه فيتقدم ، كقولك « إنما قمت » قصر فيه المتكلم على القيام ، فقدم الفعل مع أنه هو المقصور عليه لعدم صحة تقديم الفاعل عليه .

(٦) إنما يكون الواقع أخيرًا هو المقصور عليه إذا كان جزءًا مستقلاً فى آخر الكلام ولو كان فضلة ؛ فالمقصور عليه فى قولك « إنما جاء الذى أكرمته يوم الجمعة » ، هو الموصول مع =

أردت الجمع بين إنما والعطف فقل « إنما هذا لك لا لغيرك ، وإنما لك هذا لا ذاك ، وإنما أخذ زيد لا عمرو ، وإنما زيد يأخذ لا يعطى »[١] . ومن هذا تعثر على الفرق بين قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾[٢] وقولنا « إنما يخشى العلماءُ من عباد الله اللهَ »؛ فإن الأول يقتضى قصر خشية الله على العلماء ، والثانى يقتضى قصر خشية العلماء على الله[٣] .

=صلته ، وفى قولك « إنما جاءنى رجل عالم » هو الموصوف مع صفته ، وهكذا . وقد اعتُرض على ذلك بمواضعَ لا يظهر فيها أن الواقع أخيراً هو المقصور عليه . كقوله ﷺ : « إنما يأكل آل محمد من هذا المال ليس لهم فيه إلا المأكل » أى لا يقع إلا أكلهم منه ، وليس المعنى لا يأكلون إلا منه ، وكقوله تعالى : آية ٩١ سورة المائدة ﴿ إنما يريدُ الشيطانُ أنْ يوقعَ بينكمُ العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ﴾ ويمكن أن يجاب عن هذا بأن هذه المواضع جاءت على خلاف الأصل فى « إنما » ؛ لأمن اللبس فيها بقرينة من القرائن ، كقوله فى الحديث « ليس لهم فيها إلا المأكل » فإنه يدل على أن المراد أنه لا يقع إلا أكلهم منه .

(١) لأنه إذا اجتمع طريقُ « إنما » وطريق العطف يكون القصر مستفادًا من « إنما » والعطف مؤكِّدًا له ، ولا ينسب القصر إليه لأنه تابع من التوابع ، وعلى هذا يكون المقصور عليه هو الواقع أخيراً قبل العطف ، وقد ذهب بعض مؤلفى عصرنا إلى أن القصر ينسب فى ذلك إلى العطف لأنه الأقوى ؛ فأجاز أن يقال « إنما محمود شاعر لا علىّ » بتقديم المقصور عليه ، وإنى أرى أن الحجة فى ذلك يجب أن يعتمد فيها على أساليب البلغاء لا على نحو هذا المثال ، على أن كون العطف أقوى من غيره فى الدلالة على القصر لا يذكر مع ما له من رتبة التابع فى الكلام ؛ لأن هذا يجعله تابعًا فى إفادته بلا نزاع .

وقد يجتمع طريق « إنما » وطريق التقديم ، فقيل : إن الذى يفيد القصر فى هذه الحالة التقديم ، وقيل إن الذى يفيده « إنما » ؛ وهذا كما فى قول الشاعر :

ألا فليمُتْ مَن شاء بعدك إنما ... عليك من الأقدار كان حذاريا

وقول الآخر :

أساميًا لم تَزِدْه معرفةً ... وإنما لذةً ذكرناها

والمقصور عليه فى ذلك هو المقدَّم كما هو ظاهر .

(٢) آية ٢٨ سورة فاطر ، وقرىء برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء فتكون الخشية مجازاً بمعنى الإجلال لا بمعنى الخوف ، كما قال الشاعر :

أهابُك إجلالاً وما بك قدرةٌ ... علىَّ ولكنْ ملءُ عينٍ حبيبُها

(٣) هذا والمقصور عليه فى العطف « **ببل ولكنْ** » هو ما بعدهما ، وفى العطف « **بلا** » هو المعطوف عليه قبلها ، وفى « **التقديم** » هو المقدم ، وقد يجتمع العطف والتقديم ، كقولك =

* واعلم أن حُكمَ « غـير »[1] حُكمُ « إلا » فى إفـادة القصـرَين ؛ أى قصـر الموصوف على الصـفة وقـصر الصفـة على الموصوف ، وفى امـتناع مجامـعة « لا » العاطفة ؛ تقول فى قـصر الموصوف إفرادًا : « ما زيد غيـر شاعر » ، وقلبًا : « ما زيد غير قائم » ، وفى قصـر الصفة بالاعتبارين بحسب المقـام : « لا شاعر غير زيد » · ولا تقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا شاعر غير زيد ولا عمرو ·

* * *

=هو يأتينى لا أخوه » فينسب القصر فى ذلك إلي التقديم لأن العطف تابع كما سبق ، وقيل هنا أيضًا : إنه ينسب إلى العطف ، وإنه يجوز على هذا أن يقال « فى الدار سعـيد لا محمود » وهو مردود بمثل ما سبق ·

(١) مثلها « سوى » ونحوه من أدوات الاستثناء ؛ لأنه لا فرق بينها جميعًا فى إفادة القصر كما سبق ، ومثال ذلك فى « سوى » قول الشاعر :

أأترك ليلى ليس بينى وبينها سِوَى ليلةٍ إنى إذنْ لصبورُ !!

تمرينات على طرق القصر

تمرين – ١

(١) بيّن لماذا أوثر القصر بالعطف على غيره فى قوله تعالى : آية ٤٠ سورة الأحزاب ﴿ ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ منْ رجالكمْ ولكنْ رسولَ اللهِ ﴾ ، وبين ما فيهِ من مزايا القصر .

(٢) بين طريق القصر ، والمقصور ، والمقصور عليه فى قول الشاعر :

بكَ اجتمع الملْكُ المبدَّدُ شملُهُ　　وضُمَّتْ قواصٍ منه بعد قواصى

تمرين – ٢

(١) لماذا أوثر القصر بإنما فى قول الشاعر :

وإنما الأُممُ الأخلاقُ ما بقيتْ　　فإن هُمُ ذهبتْ أخلاقهمْ ذهبوا

(٢) من أى طرق القصر قول الشاعر :

وإنَّ سنَامَ المجد مِن آل هاشم　　بنو أم مخزوم ووالدك العبدُ

وما هو المقصور فيه ؟ وما هو المقصور عليه ؟

تمرين – ٣

(١) لماذا لم يفد تعريف المسند بـ (ال) القصرَ فى قول الخنساء :

إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيلٍ　　وجدتُ بكاءَك الحسَنَ الجميلا

(٢) لماذا أوثر القصر بالنفي والاستثناء فى قوله تعالى : آية ١٨ سورة العنكبوت ﴿ وإن تكذِّبوا فقد كذَّب أممٌ منْ قبلكمْ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ وبإنما فى قوله : آية ٢١ سورة الغاشية ﴿ فذكِّر إنما أنتَ مذكِّر ﴾ .

تمرين – ٤

(١) ما هو طريق القصر ؟ وما هو المقصور عليه فى قول الشاعر :

ما افترينا فى وصفه بل وصفْنا   بعْضَ أخلاقهِ وذلك يكفِى

(٢) بين كيف اختصت المزايا البلاغية بالقصر بطرقه من العطف وغيره ؟ .

تمرين – ٥

(١) لماذا قال الله تعالى : آية ١٠٥ سورة البقرة ﴿ والله يختصُّ برحمته مَنْ يشاءُ ﴾ ولم يُفد الاختصاص بطريق من طرقه المعروفة .

(٢) يأتى التوكيد لدفع التردد فى نحو « إن زيداً شاعر » ، ويأتى قصر التعيين لدفع التردد فى نحو « إنما زيد شاعر » ، فما هو الفرق بين دفع التردد فيهما ؟ .

تمرين – ٦

(١) لماذا قدم المقصور عليه فى قول الشاعر :

وما لِىَ إلا آلَ أحمدَ شيعَةٌ   وما لِىَ إلا مَذهبَ الحقّ مذهبُ

(٢) بين موقع المقصور عليه فى جملتيه فى قول الشاعر :

ما بِعتُكمْ مهجتى إلا بِوَصْلكمُ   ولا أُسَلِّمُها إلا يداً بِيَد

تمرين – ٧

(١) هل من قصر الفعل على الفاعل أو من قصر المفعول عليه قول الشاعر :

فى ليلةٍ لا نرى بها أحداً   يَحْكى علينا إلا كواكبُها

(٢) بين الذى أفاد القصر من التقديم أو العطف فى قول الشاعر :

لِلفَتَى مِنْ ماله ما قدَّمتْ   يداه قَبْلَ موته لا ما اقْتَنى

(٣) هل من القصر قول الشاعر :

وكلُّ أخٍ مفارقُه أخوه   لَعَمْرُ أبيك إلا الفَرْقدانِ

(٤) اختُلف فى إفادة الاستثناء من الإثبات بالقصر ، فبيِّن ما تختاره فى ذلك .

* * *

الباب السادس
القول فى الإنشاء

أقسام الإنشاء : الإنشاء ضربان : طلب ، وغير طلب ٠

الطلب يستدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب ؛ لامتناع تحصيل الحاصل(١)، وهو المقصود بالنظر ههنا(٢) ٠ وأنواعه كثيرة :

أنواع الطلب :

التمنى : منها التمنى(٣) ، واللفظ الموضوع له « **ليت** » ، ولا يشترط فى التمنى الإمكان ، تقول : « ليت زيدًا يجىء ، وليت الشباب يعود » ، قال الشاعر :

---

(١) إذا استعمل الطلب فيما هو حاصل وجب تأويله ، كقوله تعالى آية ١٣٦ سورة النساء : ﴿ يأيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله ﴾، وقوله : آية ١ سورة الأحزاب ﴿ يأيها النبىُّ اتَّقِ اللهَ ﴾ فالمعنى فيهما على طلب دوام الإيمان والتقوى للترقى فى مراتب الكمال فيهما ٠

(٢) أما الإنشاء غير الطلبى فلا يقصد بالنظر ها هنا ؛ لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به ، ولأن أكثر أنواعه فى الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء ، **ومن الإنشاء غير الطلبى الترجى** ، ويرى كثير من العلماء أنه من الإنشاء الطلبى ، والحق أنه لا طلب فيه بدليل أنه يأتى فى المكروه ، نحو « لعل الحبيب مريض » ولا طلب فى مكروه ، وإنما فيه مجرد ترقب وإشفاق ، ومنه **أفعال المدح والذم** ، كنعمَ وبئس ، **وأفعال التعجب** ، فهى لإنشاء المدح والذم والتعجب ، وقيل: إنها أخبار تحتمل الصدق والكذب ؛ ولهذا بُشّر أعرابى ببنت فقيل له : نعمت المولودة ، فقال : والله ما هى بنعمت المولودة ٠ ومنه **القَسَم وصيغ العقود** كبعت واشتريت ، ومنه « **رُبَّ** » و « **كم** » الخبرية ؛ لدلالتهما على إنشاء التكثير أو التقليل ، وقيل : إنهما خبر لا إنشاء ٠

(٣) هو طلب المحبوب الذى لا طمع فيه ؛ بأن يكون غير ممكن أو يكون بعيد الحصول ؛ فالأول كقول الشاعر :

لَيْتَ الكواكبَ تدنو لى فأنظِمَها ... عقودَ مدحٍ فما أرضى لكُمْ كَلِمِى

والثانى كقول الآخر :

فيا ليتَ ما بينى وبينَ أحبَّتى ... مِن البعد ما بينى وبين المصائبِ

* يا ليت أيامَ الصِّبا رواجعا[1] *

* وقد يُتمنى بـ « **هل** »[2] كقول القـائل « هل لى مِنْ شفيعٍ » فى مكان يعلم أنه لا شفيـع له فيه[3] لإبراز المتـمنَّى - لكمـال العناية به - فى صـورة الممكن[4] . وعليه قولـه تعالى حكايةً عن الكفار : ﴿ فهل لنا من شُفَـعاءَ فيشـفعوا لنا ﴾[5] وقد يتمنى بـ « **لو** » [6] كقولك « لو تأتينى فتحدثنى » بالنصب[7] .

قال السكاكى[8] : وكأن حـروف التنديم والتحضـيض « هلاَّ ، وألاَّ بقلب الهاء همزة ، ولولا ، ولوما » مـأخوذة منهما[9] مركـبتين مع« لا » و « مـا » المزيدتين ، لتضمينهما معنى التمنى[10] ليتولد منه فى الماضى التنديمَ ، نحو « هلا أكرمت زيدًا » وفى المضارع التحضيضَ ، نحو « هلاَّ تقوم » .

---

(١) هو من أرجوزة لعبـد الله بن رؤبة المعروف بالعجاج ، وقـد نصب الجزأين بليت على مذهب الكوفـيين ، والبصريون على أن خبـرها محذوف وتقديره « أقـبلن رواجعــًا » ، أو تكون رواجعًا » .

(٢) استعمالها فى التمنى مجاز بالاستعارة التبعية كما سيأتى فى علم البيان .

(٣) فتـحمل على التمنى ؛ لأن الاسـتـفهام لا يكون مع الجـزم بانتـفاء الشىء ، بل مع الجهل به .

(٤) هذا هو الحال الداعى إلى استعمال « هل » فى التمنى .

(٥) آية ٥٣ سورة الأعراف .

(٦) استعمالها فى التمنى مجاز أيضًا ، ونكتته الإشعار بعزة المتمنى بإبرازه فى صورة ما لم يوجد ؛ لأن « لو » فى أصلها حرف امتناع لامتناع ، ومن ذلك قول مهلهل :

فلو نُشِر المقابرُ عن كليب فيخْبَرَ بالذئاب أى زيرِ

(٧) أى نصب « تحدث » لأنه إنما يكون بعد الطلب .

(٨) ١٦٦ - المفتاح .

(٩) أى من « هل ولو » اللتين للتمنى ، وهذا تكلف من السكاكى ، والنحويون على أنها موضوعة للتحضيض والتنديم من أول الأمر .

(١٠) يريد بتضمينهما ذلك : جعلهما دالَّين عليه مطابقةً لا تضمنًّا .

وقد يتمنى بـ « **لعل** » فتعطى حكم ليت[1] نحو « لعلى أحج فأزورَك » بالنصب ، لبعد المرجوّ عن الحصول[2] ، وعليه قراءة عاصم[3] فى رواية حفص: ﴿ لعلِّىَ أبلغُ الأسبابَ ، أسبابَ السموات فأطَّلعَ إلى إله موسى ﴾ بالنصب .

الاستفهام : ومنها الاستفهام[4] .

والألفاظ الموضوعة له: « **الهمزة** »، و « **هل** »، و « **ما** »، و « **مَنْ** »، و «**أى** »، و« **كم** » ، و« **كيف** » ، و« **أين** » ، و« **أنَّى** » ، و« **متى** » ، و« **أيَّان** » .

● **فالهمزة** لطلب التصديق[5] كقولك « أقام زيد ؟ وأزيد قائم ؟ » . أو التصور[6] كقولك : « أدِبْس فى الإناء أم عسل ؟ » أو : « أفى الخابية دبسك أم فى الزِّقّ ؟ » ولهذا لم يقبح « أزيد قام ؟ » و « أعمرًا عرفت ؟ »[7] .

---

(١) هو نصب المضارع بالفاء بعدها . وهذا مبنى على مذهب البصريين لأنهم لا ينصبونه بعد الترجى ، واستعمالها فى التمنّى مجاز أيضًا ، ومنه قول الشاعر :

أسِرْبَ القطا ، هل مَن يُعيرُ جناحه ... لعلى إلى من قد هويتُ أطيرُ ؟

(٢) لا يخفى أن « لعل » لا تدل على بُعْد المرجوّ حتى يشار بها إلى ذلك ، فالأحسن أن تجعل نكتته إظهار المتمنَّى فى صورة الممكن المتوقع الحصول لشدة الرغبة فيه .

هذا ولا يخفى أن الحروف السابقة بعضها يستعمل فى التمنى حقيقةً ، وبعضها يستعمل فيه مجازاً ، وعلى هذا لا يكون هناك محلٌّ لذكرها فى علم المعانى ، وما ذكر لذلك من النكت والأعراض شأنه فيها كشأن سائر المجازات .

(٣) آية ٣٦ ، ٣٧ سورة غافر .

(٤) هو طلب حصول صورة الشىء فى الذهن بأدوات مخصوصة ؛ كالهمزة ونحوها مما يأتى .

(٥) فى هذه الحال لا يذكر معها معادل، وإذا جاءت (أَمْ) بعدها كانت منقطعة بمعنى «بل»، كقول الشاعر :

ولستُ أبالى بَعْدَ فقدىَ مالكا ... أموتِىَ ناء أمْ هُوَ الآن واقعُ

(٦) ذكرَ له مثالين : أحدهما لطلب تعيين المسند إليه ، والثانى لطلب تعيين المسند ، وقد يكون المطلوب تعيين المفعول أو نحوه من متعلقات الفعل كما سيأتى فى الأمثلة ، ويكون الجواب هنا بتعيين المسئول عنه ، وفى طلب التصديق بنعَمْ ، أو لا .

(٧) لأنه إذا كان التقديم للتخصيص استدعى حصول التصديق بنفس الفعل ويكون المسئول عنه زيداً بخصوصه وعمراً بخصوصه ، وذلك تصورٌ ، وإذا كان لتقوية الحكم كان المسئول عنه التصديق به ، وكل منهما تصلح له الهمزة ، وهذا بخلاف « هل » كما سيأتى .

المسئـول عنه بها هو ما يـليها ، فـتقول « أضـربت زيدًا ؟ » إذا كان الشك فى الفعل نفسه وأردتَ بالاستفهام أن تعلم وجوده[١] ، وتقول « أأنت ضـربت زيدًا ؟ » إذا كـان الشك فى الفـاعل من هو ؟ وتقول « أزيدًا ضـربت ؟ » إذا كـان الشك فى المفعول من هو ؟[٢] .

● و « **هل** » لطلب التصديق فـحسب ، كقولك « هل قـام زيد ؟ وهل عمرو قاعد ؟ » ؛ ولهذا امتنع « هل زيد قام أم عمرو ؟ »[٣] وقبُح « هل زيدًا ضربت ؟ » ؛ لما سبق أن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل والشّك فيما قُدّم عليه[٤] . ولم يقبح « هل زيداً ضربته ؟» ؛ لجواز تقدير المحذوف المفسَّر مقدّما كما مرَّ ، وجعل السكاكى[٥] قُبْحَ نحو « هل رجل عرف » لذلك، أى لما قبح له « هل زيداً ضربت» ، ويلزمه ألاّ يقبح نحو « هل زيد عرف » ؛ لامتناع تقدير التـقديم والتأخير فيه عنده لما سبق[٦] . وعلَّل غيرُهُ[٧] القبحَ فيهما بأنَّ أصل « **هل** » أن تكون بمعنى « **قد** » إلا أنهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها فى الاستفهام .

(١) على هـذا تكون إذا وليـها الفـعل لطلب التصـديق ، وقد تقوم فى ذلك قـرينة على خلافه ؛ كـذكر المعادل فى نحو « أجـاء زيد أم عمرو ؟ » ، فيكون المطلوب بهـا التصور ويكون المسئول عنه غير ما يليها .

(٢) أما إذا وليتها جملة اسمية خبـرها ليس فعلاً فيكون المطلوب بها التصديق نحو « أزيد قائم ؟ » .

هذه أبيات للهمزة فى هذه الأحوال :

ألا اصطبار لسلمى أمْ لها جَلَـدٌ ؟ ... إذن ألاقى الذى لاقـاه أمثـالى
فوالله ما أدرى وإن كنتُ داريـا ... بسبـع رمَين الجمـر أم بثمانِ ؟
أفى الحَق أن يُعطَى ثلاثون شـاعـرًا ... ويُحـرم ما دون الرضا شاعر مثلىَ؟!
فدع الوعيدَ فما وعيـدُكَ ضائرى ... أطنينُ أجنحـة الذباب يضير؟!

(٣) لأن وقوع المفرد فيه بعد « أم » دليل على أنها متصلة يطلب بها تعيين أحد الشيئين مع العلم بثبوت الحكم ، فـلا يصح اجتماعهـا و« هل » ، ويصح اجتماعهـا و « أمْ » المنقطعة لأنها بمعنى « بل » كقول الشاعر :

ألا ليتَ شعرى هل تغيرت الرَّحا ... رحا الحرب أم أضحت بفَلْج كما هيا

(٤) إنما لم يمتنعَ لجـواز أن يكونَ « زيدًا » مفـعولاً لفـعل محذوف ، أو أن يكون تـقديمه للاهتمام لا للتخصيص . (٥) ١٦٧ - المفتاح .

(٦) فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، فيكون التقديم عنده فيه للاهتمام لا للتخصيص ، ولا يخفى أن كل ما ذكر هنا أحكام نحوية لا يصح ذكرها فى هذا العلم .

(٧) هو الزمخشرى فى المفصَّل .

و « **هل** » تخصص المضارع بالاستقبال ؛ فلا يصح أن يقال « هل تضرب زيدًا وهو أخوك؟ »[١] كما تقول « أتضرب زيدا وهو أخوك؟ » ولهذين[٢] - أعني اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال - كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيًا أظهر ، كالفعل[٣]، أما الثانى[٤] فظاهر ، وأما الأول[٥] فلأن الفعل لا يكون إلا صفة ، والتصديق حكمٌ بالثبوت أو الانتفاء ، والنفى والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات لا الذوات ؛ ولهذا[٦] كان قوله تعالى : ﴿ فهَلْ أنْتم شاكرُونَ ﴾[٧] أدلَّ على طلب الشكر من قولنا: « فهل تشكرون؟» وقولنا: « فهل أنتم تشكرون؟»[٨] لأن إبرازَ ما سيتجدد فى معرض الثابت أدلُّ على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله[٩]

---

(١) أى على أن الضرب واقع فى الحال كما يفهم عُرفًا من تقييده بالأخوة لأنها حالية لا مستقبلة .

(٢) لا يخفى أن كون « **هل** » لها مزيد اختصاص بالفعل يرجع فيه إلى استعمال العرب ، ولا حاجة إلى تكلف تعليله بذلك ؛ لأنه فى الحقيقة لا تأثير له فيه .

(٣) الكاف فى ذلك استقصائية ؛ لأن الفعل وحده هو المقصود بذلك الحكم .

(٤) هو تخصيصها المضارع بالاستقبال ، والمراد أن اقتضاءه لاختصاصها بالفعل ظاهر .

(٥) هو اختصاصها بالتصديق .

(٦) أى لكونها لها مزيد اختصاص بالفعل .

(٧) آية ٨٠ سورة الأنبياء .

(٨) مع ما فيه من التأكيد بالتكرير ؛ لأنه على تقدير « فهل تشكرون » ، ثم حذف الفعل الأول فانفصل ضميره .

(٩) يمكن أن يؤخذ من هذا أن « **هل** » لا يُعدل بها عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية إلا لهذه النكتة ، وهذا هو الذى له صلة بعلم المعانى من كل هذه المباحث التى لا صلة لها به ، ومثله فى ذلك ما قيل فى الفرق بين الاستفهام بالهمزة وبهل ؛ من أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس فى النفس إثبات ما يستفهم عنه ، أما « **هل** » فإنه لا يترجح فيها إثبات ولا نفى ، ويمكنك أن تدرك هذا السؤال بهل فى هذه الأبيات :

هل بالطلول لسائلٍ ردٌّ ... أم هل لها بتكلُّم عَهْدُ
ألا أبلغ الأحلافَ عنى رسالة ... وذبيانَ هل أقسمتم كلَّ مُقْسَم
ليتَ شِعْرى هل ثَمَّ هل آتينَهم ... أو يحولنَّ دون ذاك حِمامُ

· وكذا من قولنا : « أفأنتم شاكرون » وإن كانت صيغته للثبوت ؛ لأن « **هل** » أدعى للفعل من الهمزة ، فتركه معها أدل على كمال العناية بحصوله ، ولهـذا لا يحسن « هل زيد منطلق ؟ » إلا من البليغ[1] .

*و **هى قسمان** : **بسيطة** ؛ وهى التى يطلب بها وجود الشىء ؛ كقولنا « هل الحركة موجودة ؟ » · **ومركَّبة** ، وهى التى يطلب بها وجود شىء لشىء ؛ كقولنا « هل الحركة دائمة ؟ » [2] .

● والألفاظ الباقية لطلب التصور فقط[3] .

أما « **ما** » فقيل : يطلب به إما شرح الاسم[4] كقولنا « ما العنقاء ؟ » ، وإما ماهية المسمَّى ؛ كقولنا « ما الحركة ؟ » · والقسم الأول يتقدم على قسمَىْ « هل » جميعًا ، والثانى يتقدم على « **هل** » المركبة دون البسيطة ؛ فالبسيطة فى الترتيب واقعةٌ بين قسمَىْ « ما »[5] .

وقال السكاكى[6] : يُسأل بما عن الجنس[7] ؛ تقول « ما عندك ؟ » أى أىُّ أجناس

---

(١) لأنه هو الذى يراعى دقائق النكت ، ويأتى بالكلام على مقتضى المقام ·

(٢) الحق أن هذا التقسيم لا يختص بهل ؛ لأن الهمزة مثلها فيه ، على أن البحث فيه لا شان لعلم المعانى به ·

(٣) لكنه تصورٌ مَشوب بشىء من التصديق ؛ لأن هذا شأن التصور المطلوب فى الاستفهام ، ولهذا يصح الجواب عنه أحيانًا بالتصديق ، كقوله تعالى آية ١٤ سورة الصف: ﴿كما قال عيسى ابن مريمَ للحواريينَ من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريونَ نحن أنصار الله ﴾ ·

(٤) أى بيان مدلوله الإجمالى الذى يعرف منه حقيقته ·

(٥) فيطلب أولاً شرح الاسم ، ثم وجود المفهوم فى نفسه ، ثم حقيقته ، ثم ما يعرض لها ، وهو الذى يُسأل عنه بهل المركبة ، وقد قال بعضهم : إن هذا الترتيب مستحب لا واجب ؛ لأنه لا مانع مثلا من طلب وجود المفهوم قبل معرفته ·

(٦) ١٦٧ - المفتاح ·

(٧) يعنى به الحقيقة الكلية ، فيشمل جميع أقسام ما يقال فى جواب « ما هو؟ » من النوع والجنس والحقيقة الإجمالية والتفصيلية · كما يشمل الجنس من ذوى العلم وغيرهم ·

الأشياء عندك[1] ؟ وجوابه : إنسان أو فرس أو كتاب أو نحو ذلك . كذلك تقول: «ما الكلمة؟ وما الكلام؟ » وفي التنزيل ﴿ فما خَطْبُكم ﴾[2] أي: أيُّ أجناس الخطوب خطبكم ؟ وفيه ﴿ ما تعبدونَ من بعدى؟﴾[3] أى أى من فى الوجود تؤثرونه للعبادة ؟ أو عن الوصف[4] تقول : ما زيد ؟ وما عمرو ؟ وجوابه : الكريم أو الفاضل، ونحوهما[5] . وسؤال فرعون ﴿ وما ربُّ العالمين ﴾[6] إما عن الجنس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أنْ لا موجودَ مستقلاً بنفسه سوى الأجسام ، كأنه قال : أى أجناس الأجسام هو ؟ وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف[7] للتنبيه على النظر المؤدى إلى معرفته ، لكن لمّا لم يطابق السؤالَ عند فرعون عجَّبَ الجهلة الذين حَوْله من قول موسى بقوله لهم ﴿ ألا تستمعون ﴾ ثم لما وجدهُ مصراً على الجواب بالوصف إذ قال فى المرة الثانية ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ؛ استهزأ به وجنَّنه بقوله ﴿ إن رسولكم الذى أُرسِل إليكم لمجنون ﴾ ، وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفطنوا لذلك فى المرتين ، غلَّظ عليهم فى الثالثة بقوله : ﴿ إنْ كنتمْ تعقلون ﴾ . وإما عن الوصف[8] طمعًا فى أنْ يسلك موسى عليه السلام فى الجواب معه مسلك الحاضرين[9] ولو كانوا هم المسئولين مكانه ؛ لشهرته بينهم برب العالمين إلى درجة

(١) فى هذه العبارة تساهل من وجهين : **أولهما** أن « ما » يسأل بها عن جنس واحد لا عن جمع من الأجناس؛ فالمراد أى جنس من أجناس الأشياء عندك ؟ **وثانيهما** أن السؤال بما غير السؤال بأى ، ففى تفسيرها بها تساهل .

(٢) آية ٥٧ سورة الحجر .

(٣) آية ١٣٣ سورة البقرة .

(٤) هذا خلاف ما عليه علماء المنطق؛ لأن الذى يسأل به عن الوصف عندهم هو « **أى** »، ولعل السكاكى ينظر فى ذلك إلى أصل اللغة ؛ لأنها لا تمنع أن يسأل « بما » عن الوصف على سبيل الحقيقة أو المجاز ، والفرق بين مذهب السكاكى فى « **ما** » وما قيل فيها قبله أنها على ما قبله يُطلب بها شرح الاسم ولو كان جزئيًا ، ولا يسأل بها عن الوصف ، أما عنده فيسأل بها عن الوصف ولا يطلب بها إلا الكلّى .

(٥) الأحسن أن يقال فى الجواب : كريم أو فاضل بالتنكير .

(٦) آية ٢٣ سورة الشعراء والآيات الآتية تقع بعدها فى الترتيب .

(٧) هو قوله تعالى ﴿ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتمْ موقنين ﴾ .

(٨) معطوف على قوله « إما » عن الجنس .

(٩) فيجاب بأن فرعون رب العالمين مثلهم .

دعت السحرة إذ عَرَفوا الحق أن عقَّبوا قولهم : ﴿ آمنَّا بربِّ العـــالمينَ ﴾[1] بقولهم : ﴿ رب موسى وهارون ﴾ نفـيًا لاتهامهم أنـهم عنَوْه ، ولجهله[2] بحال مـوسى إذ لم يكن جمعَهمـا قبل ذلك مجلسٌ ؛ بدليل[3] : ﴿ قال أولَو جئـتُك بشيء مُبين ، قال فأتِ به إن كنتَ من الصادقين ﴾[4] فحين سمع الجواب تعدّاه عجّبَ وجنَّنَ وتفيهق بما تفهيق من قوله : ﴿ لئن اتخذت إلهًا غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾[5].

● وأما « مَنْ » فقال السكاكى[6] : هو للسـؤال عن الجنس من ذوى العلم[7] تقول « مَنْ جبريل ؟ بمعنى أبشرٌ هو أم ملكٌ أم جنّى؟»وكذا: « مَن إبليس ؟ ومَن فلان ؟ » ومنه قوله تعالى حكايةً عن فـرعون : ﴿ فَمَنْ ربكما يا موسى ﴾[8] أى أملَكٌ هو أم بشر أم جنى ؟ مُنْكِرًا لأن يكون لهما ربٌّ سواه ؛ لادّعـائه الربوبيةَ لنفسه ، ذاهبًا فى سؤاله هذا إلى معنى« ألكما رب سواى ؟ » فأجاب موسى عليه السلام بقوله : ﴿ربنا الذى أعطى كل شىء خَلْقَهُ ثم هدَى﴾كأنه قـال: نَعَمْ لنا رب سواك هو الصانع الذى إذا سلكت الطريق الذى بَيَّن بإيجاده لما أوجَدَ ،وتقديره إياه على ما قدره،واتبعْتَ فيه الخرِّيت الماهر،وهو العقل الهادى عن الضلال؛لزمك الاعترافُ بكونه ربّا،وأنْ لا ربَّ سواه،وأن العبادة له مِنِّى ومِنكَ ومن الخلق أجمع حقٌّ لا مَدفعَ له .

وقيل : هو للسؤال عن العـارض المُشخِّص لذى العِلْم[9] ، وهذا أظهر ؛ لأنه

---

(١) آية ٤٧ ، سورة الشعراء .

(٢) معطوف على قوله « لشهرته بـينهم » يعنى جهله بعلوّ شأن موسى ، والظاهر أنه فى جعل السؤال عن الوصف يكون مراده سؤال موسى عن صـفة ربه ، كما أنه فى جعل السؤال عن الجنس كان مراده سؤاله عن جنسه ، وما ذكره السكاكى هنا فى غاية التكلف .

(٣) يستدل بهذا على أنهما لم يجمعهما قبل هذا مجلس .

(٤) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الشعراء .   (٥) آية ٢٩ سورة الشعراء .

(٦) ١٦٨ - المفتاح .

(٧) أى العقل ، والمراد بالجنـس ما يشمل النوع والصنف ؛ لأنه يطلـق عليهمـا فى اللغة اسم الجنس .

(٨) آية ٤٩ سورة طه .

(٩) أى العقل ، يريد بذلـك ما يتعلق به من علمه ووصـفه الخاص به ، فـإذا قيل : من فلان ؟ صحَّ فى جوابه (زيد) كما ذكره ، وصح أن يجاب بوصف خاص به .

إذا قيل « من فلان ؟ » يجاب « بزيد » ونحوه مما يفيد التشخيص ، ولا نسلِّم صحةَ الجواب بنحو : بشر أو جنى كما زعم السكاكى[1] .

● أما « أىٌّ » فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما[2] ؛ يقول القائل « عندى ثياب » فتقول : « أى الثياب هى ؟ » فتطلب منه وصفًا يميزها عندك عمَّا يشاركها فى الثوبية ، وفى التنزيل : ﴿ أى الفريقين خيرٌ مقامًا ﴾[3] أى أنحن أو أصحاب محمد عليه السلام ؟[4] وفيه : ﴿ أيكمْ يأتينى بعرشها ﴾[5] أى الإنسىُّ أم الجنىُّ ؟ .

● وأما « كم » فللسؤال عن العدد ؛ فإذا قلت « كم درهمًا لك ؟ وكم رجلاً رأيتَ ؟ » فكأنك قلتَ « أعشرون أم ثلاثون أم كذا كذا ؟ » وتقول : « كم درهمك؟ وكم مالك ؟ أى كم دانقًا[6] أو كم دينارًا ؟ وكم ثوبك ؟ أى كم شبرًا أو كم ذراعًا ؟ وكم زيد ماكث ؟ أى كم يومًا أو كم شهرًا ؟ وكم رأيتك ؟ أى كم مرة ؟ وكم سرْتَ؟ أى كم فرسخًا، أو كم يومًا ؟ قال الله تعالى: ﴿ قال قائلٌ منهم كم لبثتُمْ ﴾[7] أى كم يومًا أو كم ساعة ؟ وقال : ﴿ كم لبثتُمْ فى الأرض عدد سنين ﴾[8] وقال: ﴿ سَلْ بنى إسرائيل كم آتيناهُمْ من آية بينةٍ ﴾[9]. ومنه قول الفرزدق :

---

(١) أما قول الشاعر :

أتوا نارى فقلتُ مَنُون أنتمْ فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلام

فيحتمل أنه من أسلوب الحكيم ، وذلك أنه سأل عن مشخِّصهم لظنه أنهم من البشر ، فأجابوه بذلك لتخطئته فيه ، فلا يكون إذن السؤال بها عن الجنس فى البيت ولكن لا يخفى ما فى حمل ذلك على الأسلوب الحكيم من البعد .

(٢) هو مضمون ما تضاف إليه كالثوبية فى المثال الأول ، فيكون السؤال بها عن الوصف المميز لهما ، ومثل المتشاركين المتشاركون والمتشاركات .

(٣) آية ٧٣ سورة مريم .

(٤) فى هذا تساهل ؛ لأن السؤال عن الوصف المميز لأفضل الفريقين لا عن ذات كل منهما .

(٥) آية ٣٨ سورة النمل .

(٦) يشير بهذا وما بعده إلى أن الشىء قد يكون واحدًا والتمييز لأجزائه ، وإلى أن المميز قد يحذف للعلم به .

(٧) آية ١٩ سورة الكهف . (٨) آية ١١٢ سورة المؤمنون .

(٩) آية ٢١١ سورة البقرة .

كم عمةً لك يا جريرُ وخالةً   فَدْعاءَ قد حَلَبتْ عليَّ عشارى[١]

فيمن روى بالنصب ، وعلى رواية الرفع تحتمل الاستفهامية والخبرية[٢] .

● وأما « **كيف** » فللسؤال عن الحال ، إذا قيل « كيف زيد ؟ » فجوابه : صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك .

● وأما « **أين** » فللسؤال عن المكان . إذا قيل « أين زيد ؟ » فجوابه فى الدار أو فى المسجد أو فى السوق أو نحو ذلك .

● وأما « **أنَّى** » فتستعمل تارة بمعنى « كيف » قال الله تعالى « ﴿ فأتوا حرثكم أنَّى شئتم ﴾[٣] أى كيف شئتم ، وأخرى بمعنى « من أين »[٤] قال الله تعالى : ﴿أنَّى لكِ هذا ﴾[٥] أى من أين لك هذا .

● وأما « **متى ، وأيان** » ، فللسؤال عن الزمان إذا قيل « متى جئت؟ » ، أو أيان جئتَ ؟ » قيل : يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا ، وعن على بن عيسى الربعى : أن « أيان » تستعمل فى مواضع التفخيم[٦] كقوله تعالى : ﴿ يسألُ أيان يومُ القيامة ﴾ [٧]وقال تعالى : ﴿ يسألونَ أيَّان يوم الدين ﴾[٨] .

ثم **هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل فى معان غير الاستفهام** بحسب ما يناسب

---

(١) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق . والفدعاء : مشتقة من الفَدَع وهو عوج فى المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ، والعشار : جمعُ عَشَراء وهى النفَساء أو الناقة التى مضى لحملها عشرة أشهر .

(٢) وعلى رواية الجر تتعين للخبرية ، وقيل : إن « كم » الخبرية تنصب المميز أيضًا .

(٣) آية ٢٢٣ سورة البقرة .

(٤) الفرق بين « أين » و « من أين » : أن« أين » للسؤال عن المكان الذى حل فيه الشىء ، و « من أين » للسؤال عن المكان الذى برز منه .

(٥) آية ٣٧ سورة آل عمران .

(٦) كذلك تستعمل فى الاستبعاد ، وهو الأظهر فى الآيتين ؛ لأن السؤال فيهما ممن لا يؤمن بيوم القيامة ولا بيوم الدين ؛ فالظاهر فى سؤاله الاستبعاد لا التفخيم .

(٧) آية ٦ سورة القيامة .

(٨) آية ١٢ سورة الذاريات .

المقام[1] منها **الاستبطاء**[2] نحو « كم دعوتك ؟ » وعليه قوله تعالى : ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ﴾ [3] .

ومنها **التعجب**[4] نحو قوله : ﴿ ما لِيَ لا أرى الهدهد ! ﴾[5] .

ومنها **التنبيه على الضلال**[6] نحو : ﴿ فأينَ تذهبون ﴾[7] .

ومنها **الوعيد**[8] كقولك لمن يُسيئ الأدب : « ألم أؤدب فلانًا ؟ » ، إذا كان عالمًا بذلك ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ألمْ نُهلك الأوّلين ﴾[9] .

---

(١) لأن دلالتها عليها من قبيل المجاز ، ولكل مجاز مقام يناسبه ، وإرجاع هذه المعانى إلى ما يناسبها من المقام هو الذى يجعل لها صلةَ المعانى ، وهى صلة ضعيفة كما سبق فى نحو ذلك ، وقيل : إن دلالتها على هذه المعانى من الكناية ، وقيل : إنها من مستتبعات الكلام .

(٢) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن الاستفهام عن عدد الدعاء مثلاً مسبب عن تكرير الدعوة ، وتكريرها مسبب عن الاستبطاء فى إجابتها .

(٣) آية ٢١٤ سورة البقرة .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن سؤال العاقل فى الآية عن حال نفسه مثلاً يستلزم جهله به ، وجهله به يستلزم التعجب منه .

(٥) آية ٢٠ سورة النمل .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضًا ؛ لأن الاستفهام عن الطريق فى الآية مثلاً يستلزم تنبيه المخاطب إليه ، وتنبيهه إليه يستلزم تنبيهه على ضلاله فى غفلته عن ذلك الطريق وسلوكه طريقًا واضح الضلالة ، وقيل : إنه يجوز أن يكون اللفظ مستعملاً فى الاستفهام ليتوصل به إلى ذلك على طريق الكناية . وقيل : إنه يجوز أن يجعل من مستتبعات الكلام ، ولا يخفى أن الحمل على ذلك يجوز فى كل هذه المعانى كما سبق .

(٧) آية ٢٦ سورة التكوير .

(٨) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضًا ؛ لأن الاستفهام فى المثال ينبه المخاطب إلى جزاء إساءة الأدب ، وهذا يستلزم وعيده لاتصافه بها .

(٩) آية ١٦ سورة المرسلات .

ومنها **الأمر**[١] نحو قوله تعالى[٢] : ﴿ فهل أنتمْ مسلمون ﴾ ونحو : ﴿ فهل من مُدَّكر ﴾[٣] .

ومنها **التقرير**[٤] : ويشترط فى الهمزة أن يليها المقرَّر به[٥] كقولك : أفعلت ؟ إذا أردتَ أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وكقولك ، « أأنتَ فعلتَ ؟ » إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، وذهب الشيخ عبد القاهر والسكاكى[٦] وغيرهما إلى أن قوله : ﴿ أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيمُ ﴾[٧] من هذا الضرب؛ قال الشيخ[٨] : لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقرَّ لهم بأن كَسْرَ الأصنام قد كان ، ولكن أن يقرَّ بأنه منه كان ، وكيف وقد أشاروا له إلى الفعل فى قوله : ﴿ أأنت فعلت هذا ﴾ وقال عليه السلام : ﴿ بل فعله كبيرُهم هذا ﴾ ولو كان التقرير بالفعل فى قولهم : ﴿ أأنت فعلت ﴾ لكان الجواب « فعلتُ أو لم أفعل »[٩] وفيه نظر ؛ لجواز أن تكون الهمزة فيه على أصلها[١٠] ؛ إذ ليس فى السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذى كسر الأصنام ، وكقولك « أزيدًا ضربت ؟ » إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد .

---

(١) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد على سبيل المجاز المرسل ؛ لأن الاستفهام طلب الإقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم ، فاستعمل فى مطلق الطلب ، ثم استعمل فى الطلب على سبيل الاستعلاء وهو الأمر .

(٢) آية ١٤ سورة هود . (٣) آية ١٥ سورة القمر .

(٤) دلالتها عليه من باب الإطلاق والتقييد أيضًا ؛ وذلك باستعمال الاستفهام فى مطلق طلب الإقرار ، ثم طلب الإقرار من غير سبق جهل .

(٥) بخلاف « هل » فإنها للتقرير بالنسبة ، وبخلاف باقى الأدوات فإنها للتقرير بما يطلب تصوره بها .

(٦) ١٧٠ المفتاح .

(٧) آية ٦٢ سورة الأنبياء .

(٨) ص ٧٨ دلائل الإعجاز .

(٩) أى ولم يكن ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ .

(١٠) من الاستفهام ، وقد أجيب عن هذا النظر بأن قوله قبل كسرها : ﴿ لأكيدنَّ أصنامكم ﴾ وقولهم : ﴿ سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴾ فيهما دلالة على علمهم بأنه هو الذى كسرها ؛ فلا يصح حمل استفهامهم على حقيقته .

ومنها **الإنكار**[1] إمّا للتوبيخ بمعنى - ما كان ينبغى أن يكون[2] نحو « أعصيت ربك؟ » ، أو بمعنى لا ينبغى أن يكون ؛[3] كقولك للرجل يضيع الحق « أتنسى قديم إحسان فلان ؟ » وكقولك هذا للرجل يركب الخطر : أتخرج فى هذا الوقت ؟ أتذهب فى غير الطريق ؟ والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل مَا همَّ به · وإما للتكذيب بمعنى « لم يكن » كقوله تعالى : ﴿ أفَأَصْفَاكُمْ ربّكُم بالبنين واتَّخذ من الملائكة إناثًا ﴾[4] وقوله : ﴿ أصْطفى البنات على البنين ﴾[5] أو بمعنى - لا يكون ، نحو : ﴿ أنُلْزِمُكمُوها وأنتم لها كارهون ﴾[6] وعليه قول امرىء القيس[7] :

أيقتلنى والمشرفىُّ مُضاجِعى ... ومسنونةٌ زُرقُ كأنياب أغوال ؟!

فيمن روى « أيقتلنى ؟ »[8] · وقول الآخر :

أأترك أن قلَّتْ دراهمُ خالدٍ ... زيارته ؟ إنى إذن للئيمُ[9] !!

* والإنكار كالتقرير يشترط أن يلىَ المنكَرُ الهمزةَ ، كقوله تعالى : ﴿ أغيرَ الله تدعونَ ﴾[10] ﴿ أغير الله أتخذُ وليًا ﴾[11] ﴿ أبشرًا منا واحدًا نتبعه ﴾[12] وكقوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رجل من القريتين عظيمٍ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾[13] أى ليسوا هم المتخيِّرينَ للنبوة مَنْ يصلح لها ، المتولِّينَ لِقَسْمِ رحمة

---

(١) دلالتها عليه من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ؛ لأن إنكار الشىء يستلزم عدم توجه الذهن إليه ، وهذا يستلزم الجهل به والجهل به يستلزم الاستفهام عنه ·

(٢) إذا كان الموبخ عليه قد وقع فى الماضى ·

(٣) إذا كان الموبخ عليه واقعًا فى الحال أو بصدد الوقوع فى المستقبل ·

(٤) آية ٤٠ سورة الإسراء (٥) آية ١٥٣ سورة الصافات · (٦) آية ٢٨ سورة هود ·

(٧) هو لحندج بن حُجر المعروف بامرىء القيس ، والمشرفى: السيف المنسوب إلى مشارف الشام ، والمسنونة : السهام المحدودة النصال ، والزرق : الصافية فى خضرة ·

(٨) لعل الرواية الأخرى « ليقتلنى » كما فى البيت قبله ·

(٩) هو لعمارة بن عقيل ، « أن قلت » يجوز روايته « أن وإن » وتقديره على الأول: «لأن قلت» وهو الأظهر ، والمراد بخالد : خالد بن يزيد بن مَزيد الشيبانى ·

(١٠) آية ٤٠ سورة الأنعام · (١١) آية ١٤ سورة الأنعام ·

(١٢) آية ٢٤ سورة القمر · (١٣) آية ٣١ ، ٣٢ سورة الزخرف ·

الله التى لا يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ، وعدَّ الزمخشرى قوله : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾[1] وقوله : ﴿ أفأنت تُسمعُ الصُّمَّ أو تهدى العمى ﴾[2] من هذا الضرب ، على أن المعنى : أفأنت تقدر على إكراههم على الإيمان ؟ أو أفأنت تقدر على هدايتهم ؟ على سبيل القصر والإلجاء أى : إنما يقدر على ذلك الله لا أنت . وحمل السكاكى[3] تقديم الاسم فى هذه الآيات الثلاث[4] على البناء على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر[5] فى نحو « أنا ضربت » فلا يفيد إلا تقوِّىَ الإنكار[6].

ومن مجىء الهمزة للإنكار نحو قوله تعالى : ﴿ أليس اللهُ بكافٍ عبدَه ﴾[7]

وقول جرير :

ألستُمْ خير مَنْ ركِبَ المطايا   وأندى العالمين بُطونَ راح[8]

أى : الله كاف عبده ، وأنتم خير من ركب المطايا ؛ لأن نفى النفى إثبات ، وهذا مراد مَن قال إن الهمزة فيه للتقرير، أى للتقرير بما دخله النفى لا للتقرير بالانتفاء[9]. وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى[10] وهى نحو قولك: «أزيدًا ضربتَ أم عمرًا؟» لمن يدعى أنه ضرب إما زيدًا وإما عمرًا دون غيرهما؛ لأنه إذا لم يتعلق الفعل

---

(١) آية ٩٩ سورة يونس . (٢) آية ٤٠ سورة الزخرف . (٣) ١٧٠ ، ١٧١ المفتاح .

(٤) هى آية ﴿ أهم يقسمون ﴾ والآيتان بعدها .

(٥) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٦) على هذا لا يكون للتخصيص كما ذهب إليه الزمخشرى .

(٧) آية ٣٦ سورة الزمر .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح عبد الملك بن مروان ، وأندى: أفعل تفضيل من الندى ، والراح : واحده راحة وهى باطن الكف ، ويجوز أن يراد بها الكف على سبيل المجاز كما فى البيت ، بقرينة إضافة بطون إليها .

(٩) لأن التقرير فى مثل هذا لا يجب أن يكون بالحكم الذى دخلت الهمزة عليه ، وإنما يكون بما يعرفه المخاطب فيه من إثبات أو نفى ، كقوله تعالى آية ١١٦ سورة المائدة ﴿ أأنت قلت للنَّاس اتخذونى وأمى إلهين منْ دون الله ﴾ .

(١٠) هذه الصورة لا يكون الفعل فيها واليًا للهمزة كالصور السابقة ، ومع هذا يكون هو المنكر ، وهذه الصورة أبلغ فى نفى الفعل كما سيأتى تقريره .

بأحدهما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة، وعليه قوله تعالى : ﴿ قل آلذكرين حرَّم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحامُ الأنثيين ﴾[1] أخرج اللفظ مُخرجه ؛ إذ كان قد ثبت تحريمٌ فى أحد الأشياء ثم أريد معرفة عين المحرَّم ، مع أن المراد إنكار التحريم من أصله . وكذا قوله ﴿ آللهُ أذن لكم ﴾[2] إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذنٌ فيما قالوه ، من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله ، إلا أن اللفظ أُخرج مُخرجه إذا كان الأمر كذلك ؛ ليكون أشدَّ لنفى ذلك وإبطاله ؛ فإنه إذا نفى الفعل عما جُعِل فاعلاً له فى الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله .

قال السكاكى رحمه الله[3]: « وإياك أن يزول عن خاطرك التفصيل الذى سبق[4] فى نحو : أنا ضربت ، وأنت ضربت ، وهو يضرب - من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى فى الوجهين ، فلا تحمل نحو قوله تعالى : ﴿ آلله أذن لكم ﴾ على التقديم ، فليس المراد أن الإذن يُنكر من الله دون غيره[5] ؛ ولكن احمله على الابتداء مرادًا منه تقويةُ حكم الإنكار » .

وفيه نظر ؛ لأنه إن أراد أن نحو هذا التركيب - أعنى ما يكون الاسم الذى يلى الهمزة فيه مظهراً - لا يفيد توجُّه الإنكار إلى كونه فاعلاً للفعل الذى بعده فهو ممنوع[6] ، وإن أراد أنه يفيد ذلك إن قُدِّر تقديم وتأخير وإلا فلا على ما ذهب إليه فيما سبق، فهذه الصورة مما مَنع هو ذلك فيه على ما تقدم[7] .

---

(١) آية ١٤٣ سورة الأنعام .

(٢) آية ٥٩ سورة يونس .

(٣) ١٧١ : المفتاح .

(٤) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٥) لأنه بهذا يكون مفيدًا للتخصيص ، وليس مراداً .

(٦) لأن المعنى على هذا قطْعًا فى المظهر والمضمر .

(٧) لأن البناء فيها على المظهر فلا تحتمل تقدير التقديم والتأخير ، والحق أن السكاكى لا يخالف غيره فى توجه الإنكار فى الآية إلى الفاعل على أن المراد منه إنكار الفعل ، وإنما ينكر أن يكون التقديم فى ذلك للتخصيص ، وهذا موافق لمذهبه السابق فى الفرق بين البناء على المضمر والبناء على المظهر ، وما ذكره فى منع تقدير التقديم هنا لا يمنع أنه ممنوع عنده أيضًا لأن البناء فيه على المظهر .

لا يقال : قد يلى الهمزةَ غيرُ المنكَر فى غير ما ذكرتم ، كما فى قوله :

* أيقتلنى والمشرفى مضاجعى[١] *

فإن معناه أنه ليس بالذى يجىء منه أن يقتل مثلى[٢] بدليل قوله :

يغطُّ غطيطَ البكر شُدَّ خناقه ليقتلنى والمرءُ ليس بقتّال[٣]

لأنا نقول : ليس ذلك معناه ؛ لأنه قال « والمشرفى مضاجعى » فذكر ما يكون منعًا من الفعل ، والمنع إنما يُحتاج إليه مع مَن يتصور صدور الفعل منه دون من يكون فى نفسه عاجزًا عنه .

ومنها التهكم[٤] نحو : ﴿ أصلاتُك تأمُرك أنْ نتركَ ما يعبُد آباؤنا أو أنْ نفعلَ فى أموالنا ما نشاء ﴾[٥].

ومنها التحقير[٦] كقولك : مَن هذا ؟ وما هذا ؟ .

ومنها التهويل[٧] كقراءة ابن عباس[٨] رضي الله عنهما : ﴿ ولقد نجَّينا بنى إسرائيلَ من

---

(١) انظر ص ٤٠ .

(٢) فيكون لإنكار الفاعل لا الفعل .

(٣) هذا البيت قبل البيت السابق ، والبكر : الفتى من الإبل ، وغطيطه : هديره فى شقشقته ، والخناق : ما يخنق به من حبل ونحوه .

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم ؛ لأن الاستفهام عن الشىء يستلزم الجهل به ، وبفائدته ، والجهل بذلك يستلزم التهكم به .

(٥) آية ٨٧ سورة هود .

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم ؛ لأن الاستفهام عن الشىء يستلزم الجهل به ، والجهل به يستلزم تحقيره ، والفرق بين التحقير والتهكم أن التهكم قد يكون بمن هو عظيم فى نفسه بخلاف التحقير ، ومن التحقير قول الشاعر :

مِن أية الطُّرق يأتى نحوك الكرمُ أين المحاجم يا كافور والجَلَمُ ؟

(٧) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب ؛ لأن الاستفهام عن الشىء ينشأ عن الجهل به ، والجهل به ينشأ عن كونه هائلاً لا يُدرَك كنهه .

(٨) آية ٣٠ ، ٣١ سورة الدخان .

العذاب المُهين . مَنْ فرعون ﴾ بلفظ الاستفهام ، لمَّا وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدته وفظاعة شأنه أراد أن يصور كنهه فقال : ﴿ من فرعون ﴾ أى أتعرفون من هو فى فرط عتوه وتجبره ؟ ما ظنكم بعذابٍ يكون هو المعذِّب به ؟ ثم عرَّف حاله بقوله . ﴿ إنه كان عالياً مِنَ المسرفين ﴾ .

ومنها الاستبعاد(١) نحو : ﴿ أنَّى لهم الذِّكْرى وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ . ثمّ تولوا عنه وقالوا معلَّمٌ مجنون ﴾(٢) .

ومنها التوبيخ والتعجيب جميعاً(٣) كقوله تعالى: ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتُكم ثم يُحيِيكم ثم إليه ترجعون ﴾(٤) أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة ؟ أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال يُنبىء عن الانهماك فى الغفلة أو الجهل . وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى ألاَّ يكون للعاقل علم بالصانع ، وعلمه به يأبى أن يكفر . وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ، ونظيره : ﴿ أتأمرون الناسَ بالبرِّ وتنسون أنفُسكم وأنتم تتلون الكتابَ أفلا تعقلون ﴾(٥) .

* * *

---

(١) دلالتها عليه كدلالتها على الاستبطاء السابق للقرب بين معنييهما ، والفرق بينهما أن الاستبطاء يتوقَّع ما يتعلق به بخلاف الاستبعاد .

(٢) آية ١٣ ، ١٤ سورة الدخان .

(٣) دلالتها عليهما كدلالتها على الإنكار من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ؛ لأنهما يستلزمان إنكار الموبخ عليه والمتعجَّب منه ، وإنكارهما يستلزم عدم توجه الذهن إليهما ، وهذا يستلزم الجهل بهما ، والجهلُ بهما يستلزم الاستفهام عنهما .

هذا ولا يخفى أنَّ البحث هنا عن الاستفهام وأدواته كالبحث عن التمنى وأدواته ، فليس له كبير علاقة بعلم المعانى ، ولا وجه للاشتغال به فيه .

(٤) آية ٢٨ سورة البقرة .

(٥) آية ٤٤ سورة البقرة .

تمرينات على التمنى والاستفهام

تمرين - ١

(١) لماذا آثر الشاعر فى التمنى « **ليت** » على غيرها فى قوله :

ليتَ الكواكب تدنو لى فأنظِمَها

عُقودَ مدحٍ فما أرْضَى لكم كَلِمِى

(٢) لماذا أوثرت « **لو** » فى التمنى على « **ليت** » فى قوله تعالى : آية ١٠٢ سورة الشعراء ﴿ فلو أنَّ لنا كرَّةً فنكونَ من المؤمنين ﴾ .

تمرين - ٢

(١) بيِّن ما تدل عليه « **هل** » فى قوله تعالى حكايةً عن أهل النار آية ٤٤ سورة الشورى ﴿ هل إلى مَرَدٍ من سبيل ﴾ ؟ وما الداعى إلى إيثارها على غيرها فيه ؟ .

(٢) بين معنى الاستفهام في قول الشاعر :

أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا ... لِيوم كريهةٍ وسدادِ ثغر

تمرين - ٣

(١) هل الإنكار بالاستفهام فى البيت الآتى للتوبيخ أو للتكذيب ؟ وهل المقصود به الفعل أو غيره ؟ .

أَعندى وقد مارستُ كلَّ خفيَّة ... يُصدَّق واشٍ أو يُخيَّبُ سائلُ

(٢) بيِّن ما يدلُّ عليه الاستفهام فى قول الشاعر :

فدَعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضائرى ... أطنينُ أجنحةِ الذُّباب يَضيرُ !!

تمرين - ٤

(١) بيِّن معنى « **هل** » فى قول الشاعر :

هَلِ الدَّهْرُ إلا ساعةٌ ثم تنقضى ... بما كان فيها مِن بَلاءٍ ومِنْ خَفَض

(٢) بين معنى « **ليت** » فى قول الشاعر :

فليتَ لى بهمُ قوماً إذا ركبوا ... شنُّوا الإغارةَ فرساناً وركبانا

الأمــــــر

الأمر : ومن أنواع الإنشاء الأمر ، والأظهر أن صيغته - من المقترنة باللام ؛ نحو : « لِيَحْضُرْ زيد » وغيرها ، نحو « أكرِمْ عمراً » و « رُوَيْد بَكرًا » - موضوعة لطلب الفعل استعلاء ؛ لتبادُر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة. **قال السكاكى**[1] : « ولإطباق أئمة اللغة على إضافتها إلى الأمر بقولهم «صيغة الأمر ومثال الأمر ولام الأمر » . **وفيه نظر** لا يخفى على المتأمل[2].

* ثم إنها - أعنى صيغة الأمر - قد تستعمل في غير طلب الفعل استعلاءً بحسب مناسبة المقام[3] **كالإباحة**[4] كقولك فى مقام الإذْن : « جالسِ الحسن أو ابنَ سِيرين » . ومن أحسن ما جاء فيه قول كُثَير :

أَسيئى بنا أو أحسِنى لا مَلومةٌ لدينا ولا مقلِيةٌ إن تقَلَّت[5]

أى لا أنت ملومة ولا مقلية ، ووجه حسنه: إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أى مهما اخترت فى حقى من الإساءة والإحسان فأنا راض به غاية الرضا ، فعامليني بهما وانظرى هل تتفاوت حالى معك فى الحالين ؟

---

(١) ١٧١ - المفتاح .

(٢) لأن ائمة اللغة لا يريدون بالأمر فى هذا طلب الفعل استعلاءً ، وإنما يريدون الأمر فى نحو : قم وليقم ، ولو لم يكن على جهة الاستعلاء؛ لأنهمْ يقولون ذلك فى مقابلة الماضى والمضارع .

(٣) استعمالها فى ذلك مجاز إنْ مَنعت قرينة من إرادة الأمر، وإلا فكناية، وتبعية ذلك للمقام هى التى تجعل له صلةً بعلم المعانى ، وهى صلة لا تقتضى ذكره فيه كما سبق فى التمنى والاستفهام .

(٤) استعمالها فيها يكون فى مقام يتوهم السامع فيه حظر شيء عليه ؛ لاشتراكها هى والأمر فى مطلق الإذن ؛ فهو مجاز مرسل من إطلاق اسم الأخص على الأعم .

(٥) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزّة ، والخطاب لعزة محبوبته ، وملومة : خبر مبتدأ تقديره لا أنت ملومة ، والمقلية : اسم مفعول من القلى وهو البغض ،وقوله « تقلت » فعل ماض منه مسند إلى ضمير المؤنث المستتر، وأصله « تقلَّيتَ » فالتفت من الخطاب إلى الغيبة ، ومفعوله محذوف أى تقلّتنا .

والتهديد[1] كقـولك لعبد شتم مـولاه وقد أدبته : « اشتم مـولاك » . وعليه قوله تعالى : ﴿ اعمَلوا ما شئْتمُ ﴾[2] .

والتعجيز[3] كقـولك لمن يدَّعى أمرًا تعتـقد أنه ليس فى وسـعـه : « افعـله »، وعليه : ﴿ فأتُوا بسُورةٍ مِن مثْله﴾[4] .

والتسخير[5] نحو : ﴿ كُونوا قردةً خاسئين ﴾[6] .

والإهانة[7] نحو : ﴿ كُونوا حـجارةً أو حديدًا﴾[8] وقوله تعـالى : ﴿ ذُقْ إنك أنت العزيزُ الكريم ﴾[9] .

والتسوية[10] كـقوله تعـالى : ﴿ أنفقُوا طوعًا أو كـرهًا لن يُتقـبَّل منكم ﴾[11] وقوله تعالى : ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾[12] .

---

(١) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام عدم الرضا بالمأمور به ، واستعمالها فيه مجاز لعلاقة شبه التضاد بينه وبين الأمر .

(٢) آية ٤٠ سورة فصلت .

(٣) تستعمل فيـه صيغة الأمر فى مقام إظهار عجز مَن يـدعى القدرة على ما يعجز عنه ، واستعمالها فيه لعلاقة شبه التضاد أيضًا .

(٤) آية ٢٣ سورة البقرة .

(٥) تستعمل فيه صيغة الأمر فى مقام انقياد المأمور للأمر من غير قدرة له فيه ، واستعمالها فيه لعلاقة المشابهة بينه وبين الأمر فى مطلق الإلزام .

(٦) آية ٦٥ سورة البقرة .

(٧) تستعمل فيها صيغة الأمر فى مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور ، واستعمالها فيها لعلاقة اللزوم ؛ لأن طلب الشىء من غـير قصـد حصوله لعـــدم القدرة عليه مع خـسته يـستلزم إهانة المأمور ، والفرق بين الإهانة والتسخير أن الإهانة لا يحصل فيها المأمور به بخلاف التسخير .

(٨) آية ٥٠ سورة الإسراء .

(٩) آية ٤٩ سورة الدخان .

(١٠) تستـعمل فيـها صيـغة الأمر فى مـقام توهم رجـحان أحد الأمـرين على الآخر ، واستعمالها فيه لعلاقة التضاد بينها وبين الأمر ، وقيل : إن صيغة التسوية خبر لا إنشاء .

(١١) آية ٥٣ سورة التوبة .

(١٢) آية ١٦ سورة الطور .

والتمنى[١] كقول امرىء القيس :

* ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِى[٢] *

والدعاء : إذا استُعملت فى طلب الفعل على سـبيل التضرع[٣] نحو : ﴿ ربِّ اغْفر لى ولوالدىَّ ﴾[٤] .

والالتماس : إذا استعملت فيـه على سبيل التلطف[٥] كقـولك لمن يساويك فى الرتبة : « افعل » بدون الاستعلاء .

والاحتقار[٦] نحو : ﴿ أَلقُوا ما أنتمْ مُلْقون ﴾[٧] .

ثم الأمر : قال السكاكى[٨] : « حقُّه الفَوْرُ ؛ لأنه الظاهر من الطلب ، ولتـبادُر الفهم عند الأمـر بشىءٍ بعد الأمـر بخلافه إلى تغـيير الأمـر الأول دون الجمع وإرادة التراخى » والحقُّ خلافه لما تبين فى أصول الفقه[٩] .

* * *

---

(١) تستـعمل فيـه صيـغة الأمر فى مـقام طلب شىء محـبوبٍ لا قدرة للـطالب عليه ، واستعمالها فيه لعلاقة التضاد أيضًا .

(٢) هو لحندج بن حُجْر المعروف بامرىء القيس من قوله :

ألا أيها الليل ألا انجل　　بصبح وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ

وقوله « انجلِى » بمعنى انكشف ، والأمثل : الأفضل ، وإنما طلب انجلاء الليل مع هذا لأن فى تغير الزمن راحة على كل حال .

(٣) هو طلب الأدنى من الأعلى ، وقيل : إن استعمال صيغة الأمر فيه حقيقة لا مجاز ، وكذلك استعمالها فى الالتماس .

(٤) آية ٢٨ سورة نوح .　　(٥) هو الطلب مع المساواة .

(٦) هو قريب من الإهانة أو هما بمعنى واحد .

(٧) آية ٤٣ سورة الشعراء .

(٨) ١٧٢ المفتاح .

(٩) الحق أنه لا معنى لذكر مثل هذا هنا ؛ لأنه من خلط مسائل علم بمسائل علم آخر .

النَّهْـــــــىُ

ومنها **النهى**، وله حرف واحد؛ وهو « **لا** » الجازمة فى نحو قولك « لا تفعلْ »؛ وهو كالأمر فى الاستعلاء ، وقد يستعمل فى غير طلب الكفِّ أو الترك[1] كالتهديد[2] كقولك لعبد لا يمتثل أمرك: « لا تمتثل أمرى » .

* واعلم أن هذه الأربعة - أعنى التمنى والاستفهام والأمر والنهى - تشترك فى كونها قرينة دالة علـى تقدير الشرط بعدها[3] كـقولك « ليت لى مـالاً أُنفـقْه » أى إنْ أُرْزَقْه ، وقولك: « أين بيتك أزرْك » أى إنْ تُعرِّفْنيـه ، وقولك : « أكرمنى أكرمْك » أى إن تكرمنى ، قال : ﴿ فـهبْ لِى منْ لدنك وليّاً يرثْنى ﴾[4] بالجزم ، فأما قراءة

---

(١) يشـير بهـذا إلى الخلاف بين أهل السنة والمعـتزلة فـى أن المطلوب فى النهى الكف أو الترك ، وهو خلاف أصولى لا معنى لذكره هنا .

(٢) استعمـال النهى فيه مجاز مرسل عـلاقته السببيـة ؛ لأن النهى عن الشىء يترتب عليه التخويف على مخالفته .

وقد يستعمل النهى فى **الدعاء** ، كقوله تعالى آية ٢٨٦ سـورة البقرة ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا ﴾ وفى الالتماس : كقول الشاعر :

لا تطويا السر عنى يوم نائبة   فإنَّ ذلك ذنب غير مغتفَر

وفى **التمنى** كقول الشاعر :

يا ليلُ ، طُلْ ، يا نوم ، زُلْ   يا صبح ، قِفْ لا تَطْلَعِ

وفى **الإرشاد** ، كقول بشار :

ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً   فإن الخوافيِ قوةٌ للقـــــــــوادمِ

وذكرُ لنهى فى علم المعانى كذكر التمنى والاستفهام والأمر .

(٣) **وجه ذلك** : أن الحـامل على الطلب إما كون المطلوب مقصـوداً لذاته أو لغيره لتوقفه عليـه ، أى على ذلك المطلوب ، فإذا كـان مقـصوداً لغـيره وذكـره بعده : تبـادر إلى الذهن أن المطلوب شرط فيه ، فيكون الطلب متضـمنًا لشرطه ومغنيًا عن ذكره ، ولا يخفى أن ذكر هذا فى باب الإيجاز الآتى أليقُ من ذكره هنا .

(٤) آية ٥ سورة مريم .

الرفع فقد حملها الزمخشرى على الوصف[1] ، وقال السكاكى[2] الأَوْلى حَمْلُها على الاستئناف دون الوصف ؛ لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما السلام، وأراد بالاستئناف أن يكون جواب سؤال مقدر تضمنه ما قبله، فكأنه لما قال : ﴿ فهب لى من لدنك وليًّا ﴾ قيل : ما تصنع به ؟ فقال (يرثنى) فلم يكن داخلاً فى المطلوب بالدعاء[3] . وقولك: « لا تشتم يكن خيراً لك » ؛ أى إلا تشتم .

* وأما **العَرْضُ** كقولك لمن تراه لا ينزل « ألا تنزل تُصبْ خيراً » أى إن تنزل ، فمولَّد من الاستفهام[4] وليس به؛ لأن التقدير أنه لا ينزل؛ فالاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل، وهو محال .

* وتقدير الشرط فى غير هذه المواضع لقرينة جائز أيضًا ؛ كقوله تعالى: ﴿ فالله هوَ الوليُّ ﴾ أى إن أرادوا أولياء بالحق فالله هو الوليُّ بالحق لا وليَّ سواه[5] وقوله : ﴿ ما اتخَذَ الله منْ ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذنْ لذهب ﴾[6] أى لو كان معه إله إذن لذهب .

* * *

(١) أى للنكرة قبله .

(٢) ١٧٢ المفتاح .

(٣) فلا يقدح تخلفه فى دعائه عدم إرثه له مع أنه نبى مستجاب الدعاء . أو قد أجاب عن ذلك من حملها على الوصف بأن المراد بالإرث إرث العلم والنبوة ، وقد حصلا ليحيى فورث قبل موته أباه فيهما .

(٤) فهو مثله فى كونه قرينة دالة على شرط ، والترجِّى فى ذلك أيضًا مثل التمنى ، والدعاء ونحوه مثل الأمر والنهى .

(٥) لأنه من قوله تعالى : آية ٩ سورة الشورى ﴿ أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى ﴾ وقيل : إن قوله : ﴿ أم اتخذوا ﴾ إنكار وتوبيخ بمعنى أنه لا ينبغى لهم أن يتخذوا من دونه أولياء لأن الله هو الولى ، فتكون الفاء للتعليل لا للشرط ، وهو ضعيف لأن المألوف فى ذلك أن يقال - والله هو الولى - كما يقال - أتضرب زيدًا وهو أخوك ؟ .

(٦) آية ٩١ سورة المؤمنون . وتمام الآية : ﴿ كلُّ إله بما خلقَ ﴾ .

النـــــــداء

ومنها **النداء**[1]: وقد تستعمل صيغتُه في غير معناه ؛ **كالإغراء** في قولك لمن أقبل يتظلم[2]: يا مظلوم ٠

والاختصاص[3] في قولهم « أنا أفعل كذا أيها الرجل[4] ونحن نفعل كذا أيها

---

(١) هو طلب الإقبال بحرف نائب منابَ أدعو ؛ وهو « يا» أو إحدى أخواتها ، ودلالة النداء على الطلب التزامية ؛ لأنه بمقتضى تعريفه في معنى « أدعو » وهو فعل مضارع لا أمر ، ولكن الدعاء يتضمن طلب الإقبال ، فلهذا جعل النداء من أقسام الطلب ، وقيل : إنه مجرد تنبيه لا طلب فيه ، وقيل : إنه بمعنى « أَقْبِلْ » فيدل على الطلب مطابقةً لا التزامًا ٠

(٢) بهذا لا تكون « يا » في ذلك للنداء ؛ لأن الإقبال حاصل فلا معنى لطلبه ، بل يكون المراد بها الإغراء على طلب الأمر الذي ينادي له ٠ واستعمال النداء في الإغراء مجاز مرسل علاقته الإطلاق والتقييد ٠

(٣) استعمال النداء فيه مجاز مرسل علاقته كعلاقة الإغراء ، وهو في الحقيقة صورة نداء كما سيأتي ٠

(٤) يريد بالرجل نفسَه ، فهو في الحقيقة صورة نداء لا نداء ، ولكن أداة الاختصاص لما كثر استعمالها مع أدوات النداء نزلت منزلتها ، وقيل إن الاختصاص نداء حقيقي لا مجازي ؛ لأنه لا مانع من نداء الشخص نفسَه ؛ كما قال عمر ﷺ : كل الناس أفقه منك يا عمر ٠ فنادى نفسه : وقد تستعمل صيغة النداء في الاستغاثة ، كقول الشاعر :

يا للرجال ليوم الأربعاء أمَا ينفكّ يحدث لي بعد النهى طربًا

وفي التعجب ، كقول الشاعر :

يا لكِ من قُبَّرة بمعمر خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري !!

وفي التحسر والتوجع ، كقول الشاعر :

أيا منازلَ سلمى ، أين سلماكِ من أجل هذا بكيناها بكيناكِ

وذكر النداء في علم المعاني كذكر التمني والاستفهام والأمر والنهي ، ومما له صلة وثيقة منه بعلم المعاني استعمال نداء القريب في البعيد وبالعكس لتنزيل كل منهما منزلة الآخَر ، كما قيل في نداء القريب المنزَّل منزلة البعيد :

يأيها السادر المزورُّ من صَلَفٍ مهلاً فإنك بالأيام منخدعُ

وكما قيل في نداء البعيد المنزل منزلة القريب :

أسكانَ نعمان الأراك تيقنوا بأنكُمُ في رَبع قلبيَ سكّانُ

القوم ، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة »؛ أى متخصصًا من بين الرجال ، ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب .

* **ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء**[1] إما للتفاؤل، أو لإظهار الحرص فى وقوعه كما مر[2] ، والدعاء بصيغة الماضى من البليغ يحتمل الوجهين[3] ، أو للاحتراز عن صورة الأمر؛ كقول العبد للمولى إذا حوَّل عنه وجهه « ينظر المولى إلىَّ ساعةً » ، أو لحمل المخاطب على المطلوب ؛ بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يكذِّب الطالب[4] أو لنحو ذلك[5] .

* * *

---

(١) استعمال الخبر إذا كان ماضيًا فى الطلب مجازٌ مرسل علاقته الضدية ، أو استعارة بتشبيه غير الحاصل بالحاصل للتفاؤل أو الحرص على وقوعه ، واستعماله إذا كان مستقبلاً فى الطلب مجاز أيضًا ، ويجوز أن يكون كناية بجعل حصول الفعل فى المستقبل لازمًا لطلبه فى الحال، ثم يطلق اللازم ويراد الملزوم ، وقيل : إنه لا يصح أن يكون كناية ؛ لأنه عليها يكون خبرًا لفظًا ومعنًى مع أنه قد جعل إنشاءً بصيغة الخبر .

(٢) فى الكلام على الشرط فى باب المسند .

(٣) يعنى التفاؤل ، وإظهار الحرص فى الوقوع . ومن ذلك قول الشاعر :

إن الثمانين - وبُلِّغتها - قد أحوجتْ سَمْعِى إلى ترجمان

(٤) كأن تقول لصاحبك « تأتينى غدًا » بدل ائتنى ، لتحمله بلطف على الإتيان ؛ لأنه إذا لم يأتك صرت كاذبًا وهو لا يحب تكذيبك .

(٥) كالتنبيه على سرعة الامتثال فى قولك « أخذت عليكم عهدًا لا تختلفون فى أمركم » مكان (لا تختلفوا) .

وقد يقع الإنشاء موقع الخبر لأغراض : منها الاهتمام بالشىء ، كقوله تعالى : آية ٢٩ سورة الأعراف ﴿ قلْ أمرَ ربِّى بالقسط وأقيمُوا وجوهكم عندَ كل مسجدٍ ﴾ ومنها الرضا بالواقع حتى كأنه مطلوب كقوله ﷺ : « من كذَبَ علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار » . ومنها الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق ، كقوله تعالى : آية ٥٤ سورة هود ﴿ قالَ إنى أُشهدُ اللهَ واشهدُوا أنِّى برىءٌ مما تشركونَ منْ دونه ﴾ .

ولا يخفى أن مثل هذا يمكن ذكره فى أحوال الإسناد الخبرى .

تنبيـــه

ما ذكرناه فى الأبواب الخمسة السابقة ليس كله مخصصًا بالخبر ، بل كثير منه حُكمُ الإنشاء فيه حكمُ الخبر[1] يظهر ذلك بأدنى تأمل ، فليعتبره الناظر ٠

* * *

(١) كالذكر والحذف ونحوهما ، وقليل منه يختلف فيه حكم الإنشاء والخبر كالتأكيد ونحوه ؛ فإنه لا يكون فى الإنشاء للشك أو الإنكار من المخاطب ، وإنى أرى أن ذلك الكثير هو الذى يعد فى الإنشاء من علم المعانى ، أما الكلام على أنواعه فهو قليل الجدوى فيه ؛ فالأحسن الاستغناء عن هذا الباب من أبوابه ، وأن يلحق ما ذكره فيه بما يليق به من علم البيان وغيره ٠

تمرينات على الأمر والنهى والنداء

تمرين - ١

(١) ما يراد بالنهى فى قول الشاعر ؟ .

لا تحسب المجدَ تمرًا أنت آكِلُهُ   لن تبلغ المجدَ حتى تلعق الصبرا !!

(٢) ما يراد بالأمر فى قول الشاعر؟ :

أرينى جوادًا مات هزلاً لعلنى   أرى ما ترينْ أو بخيلا مُخلَّدا

تمرين - ٢

(١) ما يراد بالنداء فى قول الشاعر ؟ :

يا دُرَّةً نُزِعتْ من تاج والدها   فأصبحتْ حِلْيَةًفى تاج رضوان

(٢) لماذا أُتى بنداء القريب فى قول الشاعر ؟ :

أَأُبَىٌّ لا تبعدْ وليس بخالدٍ   حىٌّ ومَن تُصبِ المُنونُ بعيدُ

تمرين - ٣

(١) لأى شيء استعمل الأمر باللام فى قوله تعالى : آية ٩ سورة النساء ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهِم ذرّيةً ضعافًا خافوا عليهم ﴾ ؟ .

(٢) لماذا أتى بنداء البعيد فى قوله تعالى : آية ٧٧ سورة الزخرف ﴿ ونادْوا يا مالك ليقضِ علينا ربُّك قالَ إنكمْ ماكثونَ ﴾ وما يراد بالأمر فيه ؟

تمرين - ٤

(١) لماذا عبِّر بالخبر عن الطلب فى قوله تعالى : آية ٨٤ سورة البقرة ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكمْ لا تسفِكونَ دماءكم ولا تخرِجون أنفسكمْ من دياركم ﴾ ؟ .

(٢) ما يراد بالأمر فى قول الشاعر :

أولئك آبائى فجِئْنى بمثلهمْ   إذا جمعتْنا يا جريرُ المجامعُ

الباب السابع : القول فى الوصل والفصل

تعريف الوصل والفصل :

الوصلُ: عطفُ بعضِ الجمل على بعض ، **والفصل** : تركُه[1] · وتمييز موضع

(١)جرى الخطيب فى جعل كل من الوصل والفصل خاصًا بالجمل على ما جرى عليه عبد القاهر فى « دلائل الإعجاز » والعلوى « فى الطراز » وابن قيم الجوزيَّة فى « الفوائد » بل الذى جرى عليه علماء البلاغة أن كلاً منهما خاص بالعطف بالواو وتركه دون غيره من حروف العطف ، وبالجمل التى لا محل لها من الإعراب ؛ لأن دقة الوصل والفصل إنما تظهر فى ذلك ، أما عطف المفرد على المفرد فإنه يأتى للتشريك فى الحكم ، فأمره سهل ، وكذلك الجمل التى لها محل من الإعراب لوقوعها موقع المفرد ، ومثلها العطف بغير الواو لأنه يأتى لمعانيه النحوية المعروفة ، وليس كذلك العطف بالواو فى الجمل التى لا محل لها من الإعراب ؛ لأنك إذا قلت – زيد قائم ، وعمرو قاعد – لم يكن معك حكم تدَّعى أن الواو أشركت بين الجملتين فيه ، فيشكل فى ذلك أمرُها ، وتحتاج إلى اعتبار آخر من الاعتبارات الآتية ، وظاهر كلام عبد القاهر أن واو الوصل يؤتَى بها لاعتبارات الوصل فقط ، وأنها تفيد من ذلك غيرَ ما تفيده واو العطف ·

وقد ذهب السكاكى إلى أن كلاً من الوصل والفصل يأتى فى عطف الجمل والمفردات ، وفى العطف بالواو وغيره من حروف العطف ، وأن المعوَّل عليه فى ذلك هو الجهة الجامعة ؛ فمتى وُجدت صح العطف فى الجمل وغيرها ؛ كما تقول « الشمس والقمر والسماء والأرض والجن والإنس كلُّ ذلك مُحْدَثٌ » · ومتى فقدت امتنع العطف ، فلا تقول « الشمس ومرارة الأرنب ودين المجوس كلها محدثة » · وقد انتصر للسكاكى فى هذا بعض مؤلفى عصرنا ، والحق ما جرى عليه عبد القاهر وغيره ؛ لأنه إذا كان هناك اشتراك فى الحكم بين المفردات وأردت أن تخبر عنه لم يجز أن يمنعك من ذلك فقدُ الجهة الجامعة بينها ، وقد يُشتبه فى ذلك بما حكى عن نُصَيب أنه اجتمع بالكُمَيت فأنشده :

أَمْ هل ظعائنُ بالعلياء واقعةٌ   وإن تكامل فيها الدَّل والشنبُ

فعقد نصيب واحدة ، فقال الكميت : ماذا تُحصِى ؟ فقال : خطأك ، فإنك تباعدت فى القول ، أين الدل من الشنب ؟! ألا قلت كما قال ذو الرّمَّة :

لمياء فى شفتيها حُوَّة لعَسٌ   وفى اللثات وفى أنيابها بَردُ

فالدل يُذكر مع الغنج وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه ، ولكن ما ذكره نصيب يرجع إلى محسِّن بديعى يسمى مراعاة النظير · وعلم المعانى لا شأن له بالمحسنات البديعية، ولهذا لم يعطف ذو الرمة (حوة) على (لعس) مع المناسبة بينهما ·

أحدهمـا من موضع الآخر على مـا تقتضـيه البلاغة · وهو فن مـنها عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقـيق المأخذ ، لا يعرفـه على وجهه ولا يحـيط علمًا بكُنهه إلا من أوتيَ فى فهم كـلام العرب طبـعًا سليمًا ، ورُزق فى إدراك أسـراره ذوقًا صحـيحًا ، ولهذا قصَر بعض العلماء الـبلاغةَ على معرفة الفصل من الوصل ، ومـا قصرَها عليه لأن الأمر كذلك[1] ؛ وإنما حاول بذلك التـنبيه على مـزيد غموضـه ، وأن أحدًا لا يكمل فيـه إلا كمل فى سائر فنونهـا ؛ فوجب الاعتناء بتـحقيقـه على أبلغ وجه فى البيان ، فنقول والله المستعان :

أحوال الوصل والفصل للاشتراك فى الحكم :

إذا أتت جملة بعد جملة فالأولى منهـما إما أن يكون لها محل من الإعراب أوْ لا ، وعلى الأول إن قُصد التـشـريك بينها وبـين الثانيـة فى حكم الإعـراب عُطفتْ عليها[2] · وهذا كـعطفِ المفرد على المفـرد[3] لأن الجـملة لا يكون لهـا مـحل من الإعـراب حتى تكون واقـعـة موقع المفـرد ، فكمـا يُشتـرط فى كـون العطف بالواو ونحوه[4] مقبولاً فى المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليـه جهةٌ جامعةٌ[5] كما

(١) أى لأن الأمر فى البـلاغة مقصـور على معرفـة الوصـــل والفصل ؛ لأنه لا يقتـصر عليها ، بل يشمل الإيجاز ونحوه من فنونها ·

(٢) أى وجوبًا ·

(٣) فإنه واجب عند قصـد الشريك ، ولكن يجوز تركه فى الأخبار والصـفات المتعددة ، وقد بين هذا فى علم النحو ·

(٤) **قيل** : إنه يريد بنحـو الواو ما يدل على التشـريك كالفـاء ، وثم ، وحتى ، ورُدَّ بأن هذا الحكم مختص بالواو ؛ لأن لكل من الفاء وثم وحتى معنى محصلاً غير التشريك ، فإنْ تحقق هذا المعنى حَسُنَ العطفُ وإنْ لم توجـد جهة جامـعة ؛ كمـا تقول « إن تخرج من المنزل فـتمطر السماء تبتلّ » . أما الواو فلا بد فيه من تلك الجهة ، **وقيل**: إنه يريد بنحو الواو ما يأتى بمعناه من حروف العطف ، وذلك نحو « أو» فى قول توبة :

وقد زعمتْ ليلى بأنّيَ فاجـــرٌ ‏ ‏ ‏ لنفسى تُقاها أو عليها فُجورُها

وربما يؤيد هذا ما سيأتى من تفرقتـه بين الواو وغيره فى عطف الجمل التى لا محل لها من الإعراب ·

(٥) المراد بالجهة الجامعة الجامـع الآتى بيانه، واشتراط ذلك فى عطف المفرد على المفرد إنما يوافق مذهب السكاكى، ولا يوافق ما سبق له فى تعريف الوصل والفصل من تخصيصهما بالجمل.

فى قوله تعالى[1] : ﴿ يَعلمُ ما يلِج فى الأرض وما يخرُج منهـا وما ينزل من السماء وما يعــرجُ فيها ﴾ يشــترط فى كون العطف بالواو ونحــوه مقبــولا فى الجملة ، ذلك كقــولك : « زيد يكتب ويَشْعُر ، أو يعطى ويمنع » وعليــه قوله[2] : ﴿ والله يقبضُ ويبسطُ وإليه ترجعون ﴾ ولهذا عِيب على أبى تمام قوله :

لا والذى هو عالِمٌ أنَّ النّوى صَبِرٌ وأنَّ أبا الحسين كريمُ[3] .

إذ لا مناسبةَ بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى، ولا تعلُّق لأحدهما بالآخَر[4] .

الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم :

وإن لم يقــصدْ ذلك تُرِك عطفــها عليــها[5] كــقــوله تعــالى: ﴿ وإذا خَلَوا إلى شياطينــهمْ قالوا إنَّا معكم إنما نحنُ مســتهزئون * الله يستــهزىء بهم﴾ [6] لم يعطف

---

(١) آية ٢ سورة سبأ ، والجهة الجامعة فيه التقابل بين « ما يلج وما يخرج » وبين -ما ينزل وما يعرج - وقد تكون شبه التماثل ، كقول الشاعر :

ثلاثة تُشرق الدنيــــــا ببهجتها شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقمرُ

ومثل هذا يدخل فى المحسنات البديعية عند من يرى قصز الوصل والفصل على الجمل .

(٢) آية ٢٤٥ سورة البقرة .

(٣) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، وقوله « لا » نفى لما ادعته محبوبته فى البيت قبله :

زعمتْ هواك عفا الغداةَ كما عفَا عنها طلولٌ باللِّوَى ورسومُ

والنوى : الفراق ، والصَّبِرُ : عصارة شجر مُرٍّ ، وأبو الحسين : هو محمد بن الهيثم الذى مدحه أبو تمام بهذه القصيدة ، ويصح أن يكون ما فى البيت من عطف المفرد .

(٤) أجيب عن أبى تمام بــأن الجامع بين الأمرين شــبه التضــاد ؛ لأن مرارة النوى كــالضد لحلاوة الكرم ، وهو إلى هذا تحيُّل للتخلص من النسيب إلى المدح .

(٥) لا يخفى أنَّ ترك العطف لهذا يكون لمانعٍ نحــوى لا لوجه بلاغى ، فلا يصح أنْ يُعَدَّ من أحوال الفصل الذى هو باب من أبواب البلاغة .

فالحق أنه لا يصح البحث عن الداعى إلى الفصل فى ذلك من هذه الجهة النحوية .

وإنما يبحث عن الداعى إلى الفصل فيه بالنظر إلى جملة « قالوا » أو جملة الشرط وجوابه كما يأتى فى الفصل لعدم الاشتراك في القيد وشبه كمال الانقطاع .

(٦) آية ١٤ ، ١٥ سورة البقرة .

﴿الله يستهزىء بهم﴾ على ﴿إنا معكم﴾ لأنه لو عطف عليه؛ لكان من مقول المنافقين؛ وليس منه، وكذا قوله تعالى[١]:

﴿وإذا قيل لهمْ لا تفسدوا فى الأرضِ قالوا إنما نحنُ مصلحُون * ألا إنهم هُم المفسدُون﴾ وكذا قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لَهمْ آمنوا كما آمنَ النَاس قالوا أنُؤمنُ كما آمن َالسفهاء ألا إنهم هُم السفهاء ولكن لا يَعلمون﴾[٢].

الوصل بغير الواو من حروف العطف:

وعلى الثانى إن قُصدَ بيان ارتباط الثانية بالأولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عُطفتْ عليها بذلك الحرف[٣] فتقول « دخل زيد فخرج عمرو » إذا أردتَ أن خروج عمَرو كان بعد دخول زيد من غير مهلة، وتقول « خرجت ثم خرج زيد » إذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك بمهلة، وتقول «يعطيك زيد ديناراً أو يكسوك جبة » إذا أردت أن تخبر أنه يفعل واحداً منها لا بعينه، وعليه قوله تعالى[٤]: ﴿سَننظرُ أصَدقتَ أمْ كنتَ من الكاذبين﴾.

الفصل لعدم الاشتراك فى القيد:

وإن لم يقصَد ذلك، فإن كان للأول حكمٌ ولم يقصد إعطاؤه للثانية تعيَّن الفصل[٥] كقوله تعالى[٦]: ﴿وإذا خَلوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن

---

(١) آية ١١، ١٢ سورة البقرة.

(٢) آية ١٣ سورة البقرة.

(٣) أى من غير اشتراط جهة جامعة، فلا يشترط ذلك فى عطف هذه الحروف للجمل، كما لا يشترط فى عطفها للمفردات، وعلى هذا يصح أن تقول « خرجت من المنزل فأمطرت السماء » مع أنه لا يصح فيه العطف بالواو؛ لعدم الجهة الجامعة وقيل: إنْه تشترط الجهة الجامعة فى عطف الجمل بهذه الحروف؛ بدليل أنه لا يصح أن تقول « جالينوس طبيب، ثم سورة الإخلاص من القرآن، ثم إن القرد يشبه الآدمى » ولا يخفى أن فساد هذا ليس لفقد الجهة الجامعة الآتية » لأنه لا يصح من غير العطف أيضًا، وهذا لأن كل كلام لا بد فيه من ارتباطٍ ما بين أجزائه، ثم يأتى بعد ذلك اعتبار الوصل والفصل بالنظر إلى الجامع الخاص الآتى وغيره من الاعتبارات الآتية.

(٤) آية ٢٧ سورة النمل.

(٥) أى بلاغةً لا نحواً؛ لأن العطف يقتضى التشريك فى حكم الإعراب لا فى القيود فإذا قيل « ضربت زيداً يوم الجمعة وعمراً » لا يلزم أن يكون ضرب عمر يوم الجمعة أيضًا، ولكن ذلك هو الظاهر من العطف وإن لم يقتضه، فلهذا تعين الفصل بلاغةً فيما هنا دفعًا لإرادة ذلك الظاهر.

(٦) آية ١٤، ١٥ سورة البقرة.

مستهزئون * الله يستهزىء بهم ﴾ لم يعطف ﴿ الله يسـتهزىء بهم ﴾ على ﴿ قالوا ﴾ لئلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف المقدم(١) وهو قوله: ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ فإن استـهزاء الله بهم - وهو أن خذلهم فخلاَّهـم وما سولت لهم أنفسهم مـستدرجًا إياهم من حيث لا يشعرون - متصل لا ينقطع بكل حال ، خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم ، وكذلك فى الآيتين الأخيرتين(٢) فإنهم مفسدون فى جميع الأحيان قيل لهم لا تفسدو أو لا ، وسفهاء فى جميع الأوقات قيل لهم آمنوا أو لا .

أحوال أخرى للفصل :

وإنْ لم يكن للأولى حكمٌ كـما سبق ، فـإن كان بين الجملتين كـمال الانقطاع وليس فى الفصل إيهـام خلاف المقصود كمـا سيأتى ، أو كمـال الاتصال ، أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى،أو بمنزلة المتـصلة بها - فكذلك يتعين الفصل(٣)؛ أما فى الصورة الأولى فلأن الواو للجمع والجـمعُ بين الشيئين يقتضى مناسبةً بينهـما كما مر، وأما فى الثـانية فلأن العطف فيها بمنزلة عطـف الشىء على نفسه مع أن العطف يقتـضى المغايرة بين المعطوف والمعـطوف عليه(٤)، وأما فى الثـانية والرابعـة فظاهر مما مَرَّ(٥).

---

(١) لأن هذا هو ظاهر العطف وإن لم يقتضـه كما سبق ، والمراد باختـصاصه بالظرف أنه قيد فيه لكونه شرطًا له ، والشرط قيد فى الجواب كما هو معلوم .

(٢) هما قـوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفـسدُوا فى الأرض ﴾ الآية - وقـوله : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴾ الآية ، والمراد أنهمـا أخيرتان باعتبار ترتيبهما فـيما ذكره سابقًا ، وإن كانتا فى التنزيل قبل هذه الآية .

(٣) هذه أربع حالات للفصل : كمال الانقطاع بلا إيهام ، وكمال الاتصال ، وشبه كمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال ، ويضاف إليها الحـالة السابقة التى تتناسب فيها الجملتان ويوجد فى أولاهما حكـم لا يقصد إعطاؤه للثـانية ، وتسـمَّى التوسط بين الكمالين مـع وجود المانع من العطف فيكون الفصل خمس حالات .

(٤) ولا يرد على هذا عطـف التفـسـيـر ؛ لأنه ليس من أسـلوب البلغـاء ، وإنما هو من أسلوب المؤلفين وأشباههم ، وقيل : إن الواو فيه حرف تفسير لا عطف وقد وردت هذه الواو فى قول الشاعر : وقَددْت الأديم لراهشيه وألفَى قولها كذبًا ومينًا

فإن كانت لـلتفسير فـأمرها ظاهر ، وإن كانت للعطف فـذلك حشو كما سـيأتى فى باب الإيجاز والإطناب والمساواة .

(٥) لأن حكم كل واحدة منهما حكم ما هى بمنزلته من كمال الانقطاع أو الاتصال .

الأول : كمال الانقطاع :

وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد ، أو إلى طرفيه :

الأول : أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاءً **لفظًا ومعنى** ؛ كقولهم « لا تدنُ من الأسد يأكلك » ، « وهل تُصلح لى كذا أدفعُ إليك الأجرة ؟ » بالرفع فيهما .

وقول الشاعر :

وقال رائدهم : ارْسُــــوا نزاولها فكلُّ حتفِ امرئ يجرى بمقدار[(١)]

أو **معنًى** لا **لفظاً** ؛ كقولك « مات فلان رحمَه اللهُ »[(٢)] .

أما قول اليزيدى :

ملَّكتُه حَبْلى ولكنَّــــــــهُ ألقاه من زُهــــد على غاربى

وقال : إنى فى الهوى كاذبُ انتقم اللهُ منَ الكَــاذب[(٣)]

فعدَّه السكاكى[(٤)] - رحمه الله - من هذا الضرب ، وحمله الشيخ عبد القاهر[(٥)] رحمه الله على الاستئناف بتقدير « قلت »[(٦)] .

---

(١) كما نسبه سيبويه إلى الأخطل غياث بن غوث ولكنه لا يوجد فى ديوانه . والرائد: هو من يتقدم القوم لطلب الماء ونحوه، والمراد به عريفهم وقائدهم، وقوله «أرسوا» بفتح الهمزة أو ضمها من أرسى أو رسا بمعنى أقيموا، وقوله « نزاولها » بمعنى نحاولها، والضمير للحرب . والحتف: الهلاك ، والمقدار: مصدر بمعنى القدر . وفى العبارة قلب ؛ والأصل: فحتف كل امرئ ، وقيل : إنه لا قلب فيها لأن الحتف يتنوَّع بتنوُّع أسبابه ، والشاهد فى قوله « ارسوا نزاولها » ، ويجوز أن يكون الفصل فيه لشبه كمال الاتصال، لجواز كون الجملة الثانية « نزاولها » مبنية على سؤال مقدر ، والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى ما قبل تسليط القول عليه .

(٢) فإذا اختلفتا لفظًا لا معنى ، لم يكن عندهم من كمال الانقطاع كما سيأتى فى أحوال الوصل .

(٣) هو ليحيى بن المبارك المعروف باليزيدى ، وقيل إنه لإبراهيم بن المدثر . والحبل فى الأصل الرباط أو الرسَنُ والمراد به عهد الود ، والغارب: الكاهل ، والمراد بإلقاء عهد الود عليه: تركه له ، والشاهد فى البيت الثانى بين جملة « قال » وجملة « انتقم » على ما سيأتى .

(٤) ١٤٦ المفتاح . (٥) ١٥٥ - دلائل الإعجاز .

(٦) أى قلت : انتقم الله ، فيكون من شبه كمال الاتصال ، ورجح هذا بأن ما ذهب إليه السكاكى لا يأتى إلا بجعل « انتقم الله من الكاذب » من كلام المحكى عنه وهو بعيد ، ويمكن أن يجاب عنه بأن الفصل عنده أيضًا بين جملة « انتقم الله » وجملة « قال إنى فى الهوى كاذب» لا=

الثانى : ألاّ يكون بين الجملتين جامعٌ كما سيأتى(١) .

= جملة « إنى فى الهوى كاذب » من غير « قال » ولكنه لا يقدر قلت ، ولا مانع من الجمع بين كونه لكمال الانقطاع والاستئناف .

* هذا وإنى أرى أن ترك العطف فى هذا الضرب لمانع نحوى ؛ فلا يصح أن يُعدَّ من الفصل المعدود من أبواب البلاغة، على أن سيبويه يجيز العطف فى نحو « هذا زيد ومَنْ عمرو؟» مع اختلافهما خبراً وإنشاء ، ومن ذلك قوله تعالى آية ١٧٣ سورة آل عمران : ﴿ حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ ﴾ .

(١) انتفاء الجامع بين الجملتين قد يكون بسبب انتفائه عن المسند إليه فيهما ؛ كقولك « زيد طويل ، وعَمْرٌو قصير » إذا لم يكن بينهما جامع من صداقة ونحوها ، وقد يكون بسبب انتفائه عن المسند فيهما ؛ كقولك « زيد طويل وعمرو نائم » فى حال وجود صداقة بينهما ، وهذا ما يريده القوم بكمال الانقطاع فى هذا الضرب ، فلا يريدون به إلا انتفاء الجامع الخاص الآتى ، ولا يعنون به أن يتفكك الكلام بحيث لا يكون فيه ارتباطٌ ما يجمع بين أجزائه ، وإذا كان هذا هو ما يريدونه من ذلك فلا معنى لاعتراض بعض مؤلفى عصرنا عليهم فى تلك التسمية ، ولا لما ذكروه من أنها توهم جواز تفكيك الكلام ، ولا لما بناه على ذلك من وجوب أن يكون ما يسمونه كمال الانقطاع وشبه كمال الانقطاع وغيرهما وجوه ارتباط واتصال بين الجمل ، ولا ضَيْرَ بعد هذا فى كون الاتصال بالواو أو بتركه . ولست أدرى كيف يكون الاتصال بترك الواو ؟! ولا كيف يكون الاختلاف خبراً وإنشاءً مثلاً وجهًا من وجوه الارتباط ؟! ولا أية فائدة للاشتغال بمثل هذا فى علم المعانى ؟! وكل ما أتى به لم يغير شيئاً من مواضع الوصل ، ولا شيئًا من مواضع الفصل . وهذه أبيات من الشعر يتبين منها كيف يوجد كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحى فى الكلام ، وهو مع هذا متسق تتلاقى أجزاؤه فى غرض من الأغراض :

سَلِمْتِ وما الديارُ بسالماتٍ ... على عنَت البلى يا دار هِنْدِ
ولاَ زالتْ مفَوَّقةُ الغوادى ... تُصيب رُبَاكِ مِنْ خَطَأ وعَمْدِ
على أنِّى متى مَطرتُكِ ... ففضلٌ ما سقاكِ الغيث بعدِى

* * *

أرى بصرى عن كلِّ يومٌ وليلة ... يكلُّ وخَطْوِىْ عن مَدى الخطو يَقْصُرُ
ومَنْ يَصْحب الأيام تسعين حِجَّةً ... يُغَيِّرنه ، والدهرُ لا يتغيَّرُ
لعَمْرى لئن أمسيتُ أمشى مقيَّداً ... لما كنتُ أمشى مطلقَ القيد أكثر

وقد يبلغ من تلاقى الجملتين مع ما بينهما من كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحى أن تكون الثانية منهما مفرَّعةً على الأولى ، وفى هذه الحالة يصحُّ عطف الثانية على الأولى بالفاء ، ويصح الاكتفاء بالإتيان بها بعدها من غير عطف كقول الشاعر :

الشيب كُرْهٌ وكُره أنْ يفارقنى ... عجَبٌ لشيءٍ على البغضاء مردود

وقد روى بالفاء : « فاعجب لشىء » .

الثاني : كمال الاتصال :

وأما كمال الاتصال **فيكون لأمور ثلاثة :**

الأول : أن تكون الثانية مؤكِّدةً للأُولى ، والمقتضِي للتأكيد دفعُ توهم التجوُّز والغلط . **وهو قسمان :**

أحدهما : أن تُنزَّل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوى من متبوعه فى إفادة التقرير مع الاختلاف فى المعنى[1] كقوله تعالى[2] : ﴿ الم ، ذلكَ الكتابُ لا ريبَ فيه ﴾ فإن وِزانَ ﴿ لا ريب فيه ﴾ فى الآية وزانُ « نفسه » فى قولك: « جاءنى الخليفةُ نفسُه »[3] ؛ فإنه لما بولغ فى وصف الكتاب ببلوغه الدرجةَ القُصوى من الكمال بجعل المبتدأ « ذلك » وتعريف الخبر باللام[4] كان عند السامع قبل أن يتأمله مَظنَّة أن يُرْمَى به جزافًا من غير تحقق[5] فأتبعهُ ﴿ لا ريب فيه ﴾ نفيًا لذلك[6] إتباعَ الخليفة « نفسُه » إزالةً لما عسى أن يتوهم السامع أنك فى قولك « جاءنى الخليفة » مُتجوِّز أوَ ساه ، وكذا قوله : ﴿ كأن لمْ يسمعها كأنَّ فى أذنيه وقرًا ﴾[7] ؛ الثانى مقرر لما أفاده

---

(١) **ضابط ذلك**: أن يختلف مفهوم كل منهما ولكن يلزم من ثبوت معنى إحداهما ثبوتُ معنى الأخرى ، ومقتضى تنزيله منزلة التأكيد المعنوى أنه ليس منه وإنما هو تأكيد لغوى لا اصطلاحى ، وقيل : إن المراد تنزيله منزلة التأكيد فى المفرد ؛ فيكون من التأكيد الاصطلاحى .

(٢) آية ١ ، ٢ سورة البقرة .

(٣) هذا إنما يأتى بجعل ﴿ الم ﴾ طائفة من الحروف أو جملة مستقلة حذف أحد جزءيها ، وجَعْل ﴿ ذلك الكتاب ﴾ جملة ثانية ، وجعل ﴿ لا ريب فيه ﴾ جملة ثالثة . ويجوز أن يجعل ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ جملة واحدة ، وعلى هذا لا شاهد فيه للتأكيد المعنوى بين جملتين .

(٤) لأن « ذلك » إشارة إلي بُعد المنزلة ، وتعريف الخبر باللام يقتضى الحصر ، أى: ذلك الكتاب لا غيره .

(٥) هذا بقطع النظر عن كونه كلام الله تعالى ؛ لأنه يجرى فى ذلك على أساليب البشر .

(٦) فكأنه قيل : لا ريب فى بلوغه تلك الغايةَ من الكمال ، وهذا المعنى يخالف معنى ﴿ ذلك الكتاب ﴾ لكنهما متلازمان كما هو ظاهر .

(٧) آية ٧ سورة لقمان .

الأول[١] ، وكذا قـوله : ﴿ إنَّا معكم إنما نحنُ مُستـهزءون ﴾[٢] لأن قـولـه : ﴿ إنا معكم﴾ معناه الثـبات على اليهودية ، وقوله : ﴿ إنما نحن مسـتهزئون ﴾ ردٌّ للإسلام ودفعٌ له منهم ؛ لأن المستهزىء بالشيء المستخِفَّ به منكرٌ له ودافع له لكونه غير معتدٍّ به ، ودفعُ نقيض الشيء تأكيـدٌ لثباته[٣] . ويحتمل الاستئناف[٤] أى : فما بالكم إنْ صحَّ أنكم معنا توافقون أصحاب محمد ؟ .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيـد اللفظى من متبوعه فى اتحاد المعنى[٥] كقوله تعالى : ﴿ ذلك الكتـابُ لا ريب فيه هدًى للمتقين ﴾[٦] فإنَّ ﴿ هدى للمتقين ﴾ معناه أنه فى الهداية بالغٌ درجةً لا يدرَك كُنهـها حتى كأنه هداية محضة [٧] وهذا معـنى قوله : ﴿ ذلك الكتـابُ ﴾ ؛ لأن معناه - كـما مرَّ - الكتـابُ الكاملُ ، والمراد بكماله كماله فى الهداية[٨] ؛ لأن الكتب السـماوية بِحَسْبها تتفاوت فى درجات

(١) لأن معنى الجملة الأولى أنه لم يسمعها مُصادفـةً أو قصداً إلى عدم سماعها ، ومعنى الثانية أنه لم يسمـعها لفساد سمعه ، والمقـصود من التشبيهين فى الجملتين هو عـدم التأثر بسماع الآيات . وهذا هو ما يتلازمان فيه مع اختلاف مـعناهما ، وعلى هذا تكون الجملتان مستأنَفَتين ، وقد قيل : إن قوله : ﴿ كأن لم يسمعها ﴾ حالٌ من قوله قبله ﴿ ولَّى مستكبراً ﴾ وقوله : ﴿ كأن فى أذنيه وقراً ﴾ حـالٌ من قوله : ﴿ لم يسمعـها ﴾ وعلى هذا يكون لها مـحل من الإعراب فلا يكونان مما نحن فيه ، وهُما الجملتان اللتان لا محل لهما من الإعراب .

(٢) آية ١٤ سورة البقرة .

(٣) هذا والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعـراب منظور فيه إلى حاله قبل الحكاية ؛ لأنه فى محل نصب بقوله قبله ﴿ قالوا ﴾ .

(٤) فيكون من شبه كمال الاتصال .

(٥) مع هذا قد يختـلفان فى اللفظ كما فى الأمـثلة التى ذكرها ، وقد يتـحدان فى المعنى واللفظ كما فى قوله تعالى : آية ١٧ سورة الطارق ﴿ فـمهِّل الكافرينَ أمهلهُمْ رُويداً ﴾ واستحسن بعضهم قـصر التأكيد اللفظى على ما اتحـد لفظه ومعناه ، فيكون كل ما اختلف لفظه من الـتأكيد المعنوى ، والخطب فى ذلك سهل .

(٦) آية ٢ سورة البقرة .

(٧) هذا مـأخوذ من تنـكير « هدى » وأنه لم يقـل هادٍ ، وهدى على هذا خبـر مـبتـدأ محذوف تقديره « هو » .

(٨) يجوز أن يراد به الـكمال الأعم ، فيكون ذلك مـن التأكيـد المعنوى لاختـلاف معنى الجملتين .

الكمـال ، وكذلك قوله تـعالى [١] : ﴿ سـواءٌ عـليـهمْ أأنذرتهمْ أم لـم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ فإن معنى قوله : ﴿ لا يؤمنون ﴾ معنى ما قبله[٢] ، وكذا ما بعده [٣] تأكيدٌ ثانٍ ؛ لأن عـدم التفـاوت بين الإنذار وعـدمه لا يصح إلا فـى حق من ليس له قلب يخلُص إليه حقٌّ ، وسمعٌ تدرَكُ به حجَّةٌ ، وبـصرٌ تثبت به عِبرةٌ ، ويجـوز أن يكون ﴿ لا يؤمنون ﴾ خبرًا لـ (إنَّ) [٤] فالجملة قبلها اعتراض .

الثانى[٥] : أن تكون الثانية بدلاً من الأُولى ، والمقتضِى للإبدال كونُ الأولى غيرَ وافيةٍ بتمام المراد بخلاف الثانية ، والـمَقام يقتضى اعتناءً بشأنه لنكتة ؛ ككونه مطلوبًا فى نفسه أو فظيعًا أو عجيبًا أو لطيفًا ، **وهو ضربان** :

أحدهما : أن تنزَّل الثانيـة من الأُولى منزلة بدل البعض من متـبوعه [٦] كقوله تعالى [٧] : ﴿ أمدَّكـم بما تعلمون . أمـدكم بأنعامٍ وبنين . وجنـات وعيون ﴾ فـإنه مَسوقٌ للـتنبيـه على نعَم الله تعالى عند المخـاطبين ، وقوله : ﴿ أمَدَّكم بأنعـامٍ وبنين وجنات وعيون ﴾ أوْفَى بتأديته مما قبله[٨] لدلالته عليها بالتفـصيل من غير إحالة على

(١) آية ٦ سورة البقرة .

(٢) قيل : إنه غيره ، وهو الظاهر ؛ فيكون ذلك من التأكيد المعنوى .

(٣) هو قوله : ﴿ ختمَ اللهُ على قلوبهمْ وعلى سمعهمْ وعلى أبصارهم غشاوةٌ ﴾ والظاهر أنه تأكيد معنوى .

(٤) فى قوله قبل ذلك ﴿ إنَّ الذينَ كفروا ﴾ .

هذا وكما يجب الفـصل بين الجملة المؤكدة لأخرى، يجب الفـصل بين الجملتين المؤكِّدتين لجملة قبلهما كما سبق فى قـوله تعالى : ﴿ الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ وقد تعطف الجملة المـؤكدة بالفاء أو ثـم ، كقوله تـعـالى : آية ٣٤ و ٣٥ سـورة القيامـة ﴿ أولْى لكَ فأولى ، ثم أولى لك فأولى ﴾ وقيل : إن ذلك عطف صورى لا حقيقى ، وقيل : إنه تأسيس لا تأكيد ؛ لأن الجملة الثانية أبلغ فى الإنذار من الأولى .

* والحق أنَّ تركَ العطف فى الجملة المؤكدة لجملة قبلها لمانع نحوى ، فلا يصح أن يعد من الفصل كما سبق .

(٥) أى من الأمور التى يكون بها كمال الاتصال .

(٦) أى فى المفرد ، فيكون ذلك بدلاً اصطلاحيًا على ما سبق فى التأكيد .

(٧) آية ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ سورة الشعراء .

(٨) فنكتته كونه مطلوبًا فى نفسه .

عملهم مع كـونهم معاندين ، والإمـداد بما ذكر من الأنعام وغيـرها بعض الإمداد بما يعلمون[1] ، ويحتمل الاستئناف[2] .

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشـتمال من متبوعـه ؛ كقوله تعالى : ﴿ اتَّبِعوا المرسلين · اتبعوا مَنْ لا يسـألكم أجرًا وهم مهتدون ﴾[3] فإن المراد به حمل المخاطبين على اتـباع الرسل ، وقوله تعالى : ﴿ اتبعـوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهـتدون ﴾ أوفَى بتـأدية ذلك ؛ لأن معنـــاه : لا تخـسرون مـعهم شـيئًا من دنياكم ، وتربحون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة .

وقول الشاعر :

أقول له : ارحلْ لا تُقيمنَّ عندنا وإلا فكُنْ فى السر والجهر مُسلِما[4]

فإن المراد به كمالُ إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلاف سرِّه العلنَ ، وقوله « لا تقيمن عندنا » أوْفَى بتأديته؛ لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد [5] بخلاف « ارحل »[6]

---

(١) يعنى أنه بعضــه فى الظاهر، وإن كان المراد منهما واحدًا؛ كـالمراد من قولك: « أكلت الرغيف ثلثه » .

(٢) فيكون من شبه كـمال الاتصـــال ، ورُدَّ بأنه لو كان منه لكان التأكيد مسـتحسنًا كما سيأتى ، مع أن الجملة الثانية قد أعيدت من غير تأكيد .

(٣) آية ٢٠ و ٢١ سورة يس .

(٤) لا يُعرف قـائله ، ويريد بقـوله « مسلما » أن يـكون معه كـالمسلم فى استـواء ظاهره وباطنه ، ويجوز أن يكون المراد به مُسالمًا ، والاستشهاد بقوله « ارحل لا تقيمن » بالنظر إلى حاله قبل حكايته بالقول كما سبق فى نظائره .

(٥) كـون هذه الدلالة مطابقـةً منظورٌ فـيه إلى الـعُـرف ؛ لأنك إذا قلت لآخَرَ « لا تقم عندى » لم تقصد كفَّه من الإقامة ، وإنما تقصد إظهار الكراهة لإقامته .

(٦) لأن دلالته عليـه بالالتزام ، وهى باعتـبار العرف أيضًا ؛ لأن طلب الارتحال يقـتضى عرفًا محبته ، ومحبته تقتضى كراهة ضده؛ وهو الإقامة .

ووزان الثانية من كل واحد من الآية والبيت وزانُ « حسنُها » فى قولك : « أعجبتنى الدارُ حُسْنُها » ؛ لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها ، وغير داخل فيه ، مع ما بينهما من الملابسة[١] .

الثالث[٢] أن تكون الثانية بيانًا للأُولى ، وذلك بأن تنزَّلَ منها منزلة عطف البيان مع متبوعه؛ فى إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون فى الأولى نوعُ خفاء مع اقتضاء المقام إزالته . كقوله تعالى[٣] : ﴿ فوسوس إليه الشيطانُ قال يا آدمُ هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْك لا يبلَى ﴾. فصلَ جملة (قال) عمَّا قبلها؛ لكونها تفسيراً له وتبيينًا [٤]. ووزانه وزانُ « عُمَر » فى قوله :

أَقسمَ باللهِ أبو حفصٍ عُمَرْ[٥]

---

(١) يريد بهذا تحقيق كون ذلك بدل اشتمال لا تأكيداً ولا بدلْ بعضٍ من كلٍّ ، ولكنه لا يمنع إلا أن يكون تأكيداً لفظيًا كما هو ظاهر ؛ ولهذا قيل : إنه يصح أن يكون ما فى البيت تأكيداً معنويًا؛ لأن عدم الإقامة مغاير للارتحال بحسب المفهوم ، ولكنه ملازم له فى الوجود .

هذا ومما نكتة البدل فيه كونه عجيبًا قوله تعالى : آية ٨١ ، ٨٢ سورة المؤمنون ﴿ بل قالوا مثلَ ما قال الأولون : قالوا أئذا متنا وكنا تُرابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون ﴾. ومما نكتة البدل فيه كونه فظيعًا قولك لمن تَزْنى وتتصدَّق: « أتجمعين بين قبيحٍ وحَسَنٍ : تزنين وتتصدقين ؟! » . ومما نكته البدل فيه كونه لطيفا قولك: « زيد جمع أمرين : جمع اللطف والاستقامة »، وهذا من البدل المطابق على أنه يأتى هنا أيضًا ، وقد تركه الخطيب لما سيأتى ، وأمر البدل بعد هذا عندى كأمر التأكيد فى أن ترك العطف فيه لمانع نحوى لا لمانع بلاغى ، فلا يصح أن يُعَدَّ من الفصل أيضًا .

(٢) أى من الأمور التى بها يكون كمال الاتصال . (٣) آية ١٢٠ سورة طه .

(٤) أورد على الاستشهاد به أن جملة ﴿ وسوس ﴾ معطوفة على جملة ﴿ قلنا ﴾ فى قوله قبل ذلك: ﴿ وإذ قلنا للملائكة ﴾ الآية ، فتكون فى محل جر مثلها ، ولا يصح الاستشهاد بذلك لما معنا من الجمل التى لا محل لها من الإعراب ، وقد سبق أن الاستشهاد بهذا منظور فيه إلى ما قبل تسليط (قالوا) عليه .

(٥) هو لعبد الله بن كَيْسية من قوله :

أقسَمَ بالله أبو حفص عُمَرْ
ما مسَّها من نَقَب ولا دَبر
فاغفرْ له اللهمَّ إن كان فجَر

والنقب : ضعف أسفل الخف ، والدبر : جراحة الظهر،وقوله « فجر » بمعنى: حنث .=

وأما قوله[1] : ﴿ ما هذا بشـراً إن هذا إلا مَلَكٌ كريم ﴾. فـيحـتمـل التـبيين والتأكيد ؛ أما التبيين فلأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل فى جنس آخر، فإثبات الملكية له تبيين لذلك الجنسِ وتعيين ، وأمـا التأكيد فلأنه إذا كان ملكًا لم يكن بشرًا ، ولأنه إذا قيل فى العرف لإنسان: « ما هذا بشراً ». حالَ تعظيم له وتعجب مما يشاهَد منه من حُسْن خُلق أو خَلْق كان الغرض أنه مَلَكٌ بطريق الكناية .

فإن قيل : هلاَّ نزلتمُ الثـانيةَ منزلة الكل من متـبوعه فى بعـض الصور، ومنزلة النعت من متبـوعه فى بعض ؟. قلنا : لأن بدل الكل لا ينفصل عن التـأكيد إلا بأن لفظه غير لفظ متبوعه ، وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف التأكيد ، والنعتُ لا ينفصل عن عطف البيـان إلا بأنه يدل على بعض أحوال متبـوعه؛ لا عليه ، وعطفُ البيان بالعكس ، وهذه كلها اعتبارات لا يحقق شيء منها فيما نحن بصدده[2] .

الثالث : شبه كمال الانقطاع : وأما كـون الثانية بمنزلة المـنقطعة عن الأولى؛ فلكون عطفها عليها مُوهمًا لعطفها على غيرها[3] ويسمى الفصل لذلك قطعًا ، مثاله قول الشاعر :

وتظنُّ سلمَى أننى أبغِى بها   بدلاً أُراها فى الضلال تهيمُ[4] .

= وكان قد أتى عمـر فشكا له بُعدَ أهله وضعف ناقته ، وطلب منه أن يستـحمله غيرها ، فلم يصدقه وقال : والله ما نتبت ، فلما قال ذلك حمله عمر على بعير وزوَّده وكساه . هذا ولا يخفى أن ترك العطف فى عطف البيان لمانع نحوى أيضا ؛ فلا يصح عدُّه من الفصل كالتأكيد والبدل .

(١) آية ٣١ سورة يوسف .

(٢) أى من الجمل التى لا محل لهـا من الإعراب ؛ وبهذا يستغنى فيهـا بعطف البيان عن النعت ، وبالتأكيد عن بدل الكل من الكل ، وأما بدل الغلط فلا يقع فى فصيح الكلام؛ كما سبق فى باب المسند إليه ، عند الكلام على الإبدال منه ؛ فلهذا لم يتعرض له هنا أيضًا .

هذا، والظاهر من كلام عبد القاهر أنه يجعل كل كمال الاتصال من باب التأكيد، وإنْ كان قد يشتمل أحيانًا على نوع من البيان ، ولعل هذا أسهلُ من تكلف ما سبق من الفروق بين التوابع فى الجمل .

(٣) هذه نكتـة الفـصل هنا ، يجب بهـا ترك العطف بلاغةً لا نـحواً ؛ لأنه لا مـانع من العطف من جهة النحو .

(٤) لا يعلم قائله ، وقوله : « أراها » بمعنى: أظنـها؛ على صـورة المبنى للمفعول، وهو للفاعل ، وقوله : « تهيم » مأخوذ من « هام على وجهه » ؛ إذا مشى من غير قصد .

لم يعطف « أراها » على « تظن » ؛ لئلا يتوهم السامع أنه معطـوف علـى « أبغى »؛ لقربه منه ، مع أنه ليس بمراد ، ويحتمل الاستئناف[١] .

وقسَّم السكاكى[٢] القطعَ إلى قسمين : أحدهما القطع للاحتياط ؛ وهو ما لم يكن لمانع من العطف؛ كمـا فى هذا البيت . والثانى القطع للوجـوب ؛ وهو ما كان لمانع ، ومثَّله بقوله تعالى[٣] : ﴿ اللهُ يستهـزىء بهم ﴾. قال : لأنه لو عُطِف لَعُطف إما على جـملة ﴿ قالوا ﴾ وإما على جمـلة ﴿إنا معكم﴾، وكلاهما لا يصح لِمـا مرَّ [٤]. وكذا قوله : ﴿ ألا إنهم هُمُ المفسدونَ ﴾. وقوله : ﴿ ألا إنهم همُ السفهاء ﴾[٥] وفيه نظر ؛ لجـواز أن يكون المقطوع فى المواضع الثلاثة معطوفًا على الجـملة المصدَّرة بالظرف[٦]وهذا القسم[٧] لم يبين امتناعه .

الرابع : شبه كمال الاتصال :

وأما كونها بمنزلة المـتصلة بها؛ فلكونها جوابًا عن سؤال اقـتضته الأولى؛ فتُنزَّل منزلته فتـفصَل الثانية عنها كما يـفصَل الجواب عن السؤال[٨] . وقال السكاكى[٩] : فينزل ذلك منزلة الواقع[١٠].

---

(١) فيكون من شبه كمال الاتصال . (٢) ١٣٦ : المفتاح .(٣) آية ١٥ سورة البقرة .

(٤) فى الفصل لعدم الاشتراك فى الحكم أو القيد .(٥) آية ١٢ ، ١٣ سورة البقرة .

(٦) هى جملة الشرط وجوابه . وإذا جاء العطف عليهـا نحواً؛ كان القطع فيه من القسم الأول؛ وهو القطع للاحتياط ، وإذن يكون الفصل لشبه كمال الانقطاع منحصراً فى هذا القسم ، أما الفصل فى القسم الثانى فهو للتوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف ؛كما سبق .

(٧) أى كون العطف على جملة الشرط وجوابه .

ومن الفصل لشبه كمال الانقطاع قول الشاعر :

يقولون : إنى أحمل الضَّيْمَ عندهُمْ أعوذ بربى أن يضام نظيرى

لم يعطف جـملة « أعـوذ » على جـملة « يقـولون »؛ لئـلا يتوهم عطـفهـا على جـملة «أحمل»؛ فتكون من مقولهم ، مع أنها ليست منه ؛ وإنما هى من مقوله .

(٨) كما فى قوله تعالى آية ١٠ ، ١١ سورة القارعة: ﴿ وما أدراك ما هيهْ ؟ نار حامية﴾. وفصْل الجواب عن السؤال قيل : إنه لكمال الاتصال ، وقيل : إنه لكمال الانقطاع وهو الظاهر ؛ لأن جملة السؤال إنشاءٌ وجملة الجواب خبرٌ . (٩) ١٢٧ : المفتاح .

(١٠) أن ينزل السؤال المقدر منزلة السؤال الواقع ، فـيكون من فصل الجواب عن السؤال؛ بخلاف ما ذهب إليه الخطيب .

ثم قال : وتنزيل السؤال بالفحوى[1] منزلة الواقع لا يُصار إليه إلا لجهات لطيفة: إما لتنبيه السامع على موقعه ، أو لإغنائه أن يَسأل ، أو لئلا يُسمَع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ؛ وهو تقدير السؤال وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك .

ويسمى الفصل لذلك: استئنافًا ، وكذا الجملة الثانية أيضًا تسمى: استئنافًا .

والاستئناف ثلاثة أضرب :

لأن السؤال الذى تضمنته الجملة الأولى: إما عن سبب الحكم فيها **مطلقًا** كقوله:

قال لى : كيف أنتَ ؟ قلتُ : عليلُ   سهرٌ دائم وحزن طويلُ[2]

أى ما بالك عليلا ؟ أو ما سبب علتك ؟ وكقوله :

وقد غرضتُ من الدنيا فهل زَمنى   معط حياتى لغرٍّ بعدُ ما غرضا ؟!
جرَّبتُ دهرى وأهليه فما تركتْ   لىَ التَّجاربُ فى وُد امرىء غرضا[3]

أى لِمَ تقول هذا ويحك؟ وما الذى اقتضاك أن تطوى عن الحياة - إلى هذا الحد - كشحكَ ؟ .

وإما عن سبب **خاص** له[4] ؛كقوله تعالى[5] ﴿ وما أُبَرِّئُ نفسى إن النفسَ لأمارة

(١) هو السؤال المقدَّر .

(٢) لا يعرف قائله ، وقد سبق فى الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، وإنما يكون من الفصل للاستئناف؛ إذا جعل « سهر » خبر مبتدأ تقديره « حالى سهر »؛ أما إذا جعل خبرًا بعد خبر على المبالغة فلا شاهد فيه للفصل ، ولا شاهد فى قوله : « قال لى كيف أنت قلت عليل »، للاستئناف؛ للتصريح فيه بالسؤال .

(٣) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى ، وقوله « غرضت » بمعنى: ضجرت ، والغر : الغافل ، وقوله « ما غرضا » ألفه للإطلاق ، والظرف قبله متعلق به ؛ أى لم يضجر الحياة بعد ما ضجرت . ومعنى البيت الثانى: أن تجربته للناس لم تترك له غرضًا أى حاجة فى ودهم ، وجعلته يسأم الحياة معهم . والشاهد فى فصل « جربت دهرى » عن جملة « وقد غرضت » .

(٤) ضابط هذا وما قبله: أن الجملة السابقة أو سياقها إذا لوَّحا بالاستئناف؛ فالسؤال المقدر عن سبب خاص ، وإلا فهو عن سبب عام ؛ فقول الشاعر فى البيت السابق « قال لى كيف أنت قلت عليل »؛ لا يدلُّ إلا على وجود علة مستدعية لسبب ما ، وقوله تعالى فى الآية : ﴿ وما أبرىء نفسى ﴾. ينصرف الذهن فيه إلى سبب خاص هو أنها أمَّارة بالسوء .

(٥) آية ٥٣ سورة يوسف . حكايةً عن امرأة العزيز .

بالسوء ﴾. كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء ؟ فقيل : إن النفس لأمارة بالسوء. وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم(١)؛ كما مر فى باب أحوال الإسناد .

وإما عن غيرهما(٢) كقوله تعالى : ﴿ قالوا سلامًا قال سلامٌ ﴾(٣) كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال سلام . ومنه قول الشاعر :

زعمَ العواذلُ أننى فى غمْرةٍ ... صدقوا ولكن غمرتى لا تنْجلى(٤)

فإنه لما أبدى الشكاية من جماعات العذَّال؛ كان ذلك مما حرك السامع ليسأل: أصدقوا فى ذلك أم كذبوا ؟ فأخرج الكلام مُخرَجه إذا كان ذلك قد قيل له ففصَّل .

ومثله قول جندب بن عمار :

---

(١) لأن السؤال فيه عن حكم تصديقى؛ أما السؤال العام فهو سؤال عنه ما هو ؟ وذلك تصور لا يأتى فيه شك حتى يُؤتَى بالتأكيد من أجله ، وقد يؤكد فى السؤال عن السبب العام ويترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص؛ لإمكان رد التصور إلى التصديق، وبالعكس. ومن ترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص قول الشاعر :

إذا ما الدهر جَرّ على أُناسٍ ... كلاكله أناخ بآخَرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا ... سيلقَى الشامتون كما لقينا

(٢) أى عن شىء آخر له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسببية . وهو أيضًا إما عام كما فى المثال الأول ، وإما خاص كما فى المثال الثانى ، وهو يقتضى التأكيد أيضًا؛ كالسؤال عن السبب الخاص ، ومنه قول الشاعر :

فغَنِّها وهى لك الفداءُ ... إن غناء الإبل الحُداءُ

فتقدير السؤال فيه : هل غناء الإبل الحداء ؟ لأنه هو الذى تتجه إليه النفس بعد الأمر بالغناء للإبل ، وكذلك قول الشاعر :

يرى البخيل سبيلَ المال واحدةً ... إن الكريم يرى فى ماله سُبُلا

(٣) آية ٦٩ سورة هود .

(٤) لا يُعلم قائله . وقوله « زعم » بمعنى قال ؛ لأنه قد يستعمل فى القول مطلقًا كما هنا، والعواذل: جمع عاذل وإن كان صفةً لعاقل ؛ لأنه جائز سماعًا كفارس وفوارس ، وقيل : إنه جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة من الذكور؛ ليوافق قوله « صدقوا »، وهو الذى جرى عليه الخطيب فى تفسيره للبيت ، والغمرة : الشدة ، وقد ترك التأكيد هنا مع أن السؤال تصديقىّ ؛ لتنزيله ذلك منزلة الظاهر الذى لا يعتريه شك .

زعم العواذلُ أنَّ ناقة جُنْدُب بجنوب خَبْتٍ عُرِّيت وأجَمَّتْ
كذب العواذلُ لو رأين مُناخنا بالقادسية قُلْنَ لَجَّ وذلتْ[1]

وقد زاد هنا أمرَ الاستئناف تأكيدًا؛ بأن وضع الظاهر[2] موضع المضمر؛ من حيث وضَعَه وضعًا لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وأتى به مَأتَى ما ليس قبله كلام . ومن الأمثلة قول الوليد :

عرفتُ المنزلَ الخالِيْ عفا من بعد أحوالِ
عَفَاه كلُّ حنَّانٍ عَسُوفِ الوَبْل هطَّال[3]

فإنه لما قال « عفا » وكان العفاء مما لا يحصل للمنزل بنفسه؛ كان مظنةَ أن يسأل عن الفاعل . ومثله قول أبى الطيب :

وما عفَتِ الرياحُ له محلاّ عفاه مَن حَدا بهمُ وسَاقا[4]

فإنه لما نفَى الفعلَ الموجود عن الرياح كان مظنَةَ أن يُسأل عن الفاعل .

وأيضًا من الاستئناف ما يأتى بإعادة اسم ما استُؤنف عنه ؛ كقولك : «أحسنت إلى زيد ، زيدٌ حقيقٌ بالإحسان »، ومنه ما يبنى على صفته ؛ كقولك : «أحسنت إلى زيد ، صديقك القديمُ أهلٌ لذلك »؛ وهذا أبلغ لانطوائه على بيان

(١) خبت : من ديار كلب . وقوله « عريت » : بمعنى أزيل عنها رحلها . وقوله « أجمت » بمعنى: تركت فلم تركب ، وهنا كناية عن قعوده بهذا المكان دون غرضه ، والقادسية: بالعراق ، وقوله : « لج وذلت » بمعنى : جدَّ فى السير وانقادت ناقته له .

(٢) أى فى جملة الاستئناف ، وهو العواذل فى قوله : « كذب العواذل » ؛ لأن حقه الإضمار؛ لسبق ذكره .

(٣) هما كما فى « الأغانى » للوليد بن يزيد الأموى . وقوله « عفا » بمعنى: درس ، والمراد بأحوال فى قوله « من بعد أحوال »: الأحوال التى سعد فيه بسكانه من أحبابه . والحنان : السحاب . وعسوف الوبل : شديد المطر .

(٤) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، وقوله « عفت » بمعنى: محت ، وضمير « له » يعود إلى الرَّبع ، وقوله « حدا » من الحُداء؛ وهو غناء الإبل ، والمراد بها الإبل التى سارت بهم وجعلتهم يهجرونها .

السبب[١] ، وقد يُحذفُ صدر الاستئناف لقيام قرينة ، كقوله تعالى : ﴿ يسبَّحُ له فيها بالغُدوِّ والآصال * رجالٌ ﴾[٢] فيمن قرأ ﴿ يسبَّح ﴾ مبنياً للمفعول[٣] وعليه نحوُ قولهم : « نعم الرجل أو رَجُلاً زيد ، وبئس الرجل أو رَجُلاً عمرو »؛ على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف؛ أى هو زيد ، كأنه لما قيل ذلك فأبهمَ الفاعل بجعله معهوداً ذهنياً مظهَراً[٤] أو مضمَراً[٥] ؛ سئل عن تفسيره فقيل: « هو زيد »، ثم حذف المبتدأ .

وقد يُحذفُ الاستئناف كله ويقام ما يدلُّ عليه مقامه ؛ كقول الحماسى :

زعمتم أنَّ إخوتكم قريشٌ   لهم إلفٌ وليس لكم إلافُ[٦]

---

(١) هو صفة الصداقة التى دعت إلى الإحسان ، أما الأول ففيه بيان سبب لا يشتمل على مثل تلك الصفة .

(٢) آية ٣٦ ، ٣٧ سورة النور .

(٣) فالتقدير يسبِّح فيها رجال ، والفعل المبنى للفاعل هو صدر الاستئناف المحذوف ، وعلى قراءته مبنيًا للفاعل يكون (رجال) فاعلاً له .

(٤) فى « نعم الرجل زيد » ، « وبئس الرجل عمرو » .

(٥) فى « نعم رجلاً زيد » ، و « وبئس رجلاً عمرو » وإذا قدر المخصوص فى ذلك مبتدأ محذوف الخبر ؛ كان ذلك من حذف عجُز الاستئناف .

(٦) هو لمساور بن هند العبسى فى هجاء بنى أسد وتكذيبهم فى انتسابهم إلى قريش . والإلف : مصدر « ألف » ، والإلاف مصدر « آلف » ، يريد بذلك إلف قريش رحلتى الشتاء والصيف إلى اليمن والشام ، ويجوز أن يكون الفصل لدفع إيهام العطف على قوله : « أن إخوتكم قريش »؛ فيكون لشبه كمال الانقطاع .

هذا وقد يدخل على الاستئناف لامُ التعليل أو فاؤه كقول أبى تمام :

لا تنكرى عَطَلَ الكريم من الغنى   فالسيل حربٌ للمكان العالى

وقد تأتى الواو فى ذلك بدل الفاء واللام فتكون للاستئناف لا للعطف ؛ كقول الشاعر :

أرى بصرى عن كلِّ يوم وليلـــة   يكلُّ وخطوى عن مدى الخطو يقصر
ومَن يصحب الأيامَ تسعـــين حجّةً   يُغيِّرنه والدهرُ لا يتغيـــر

وقيل : إن الواو فى هذا للعَطف على محذوف مفصول عما قبله ؛ كأنه قيل: من يقاسى أحوالى؛ يكن حاله كحالى، ومن يصحب الأيام إلخ ، والاستئناف من غير أداة أدقُّ وأبلغ من الاستئناف بها واواً كانت أو لامًا أو فاء ؛ لأنه يؤدى معناها من غير ذكرها ، ويشير إلى السؤال المقدَّر مثلها .

حذف الجواب الذى هو « كذبتم فى زعمكم »، وأقام قوله: « لهم إلفٌ وليس لكم إلاف » مقامه؛ لدلالته عليه ، ويجوز أن يقدَّر قوله : « لهم إلف وليس لكم إلاف » جوابًا لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف؛ كأنه لما قال المتكلم : كذبتم ، قالوا: « لِم كذبنا ؟ »، قال : « لهم إلف وليس لكم إلاف »؛ فيكون فى البيت استئنافان.

وقد يحذف ولا يقام شىء مقامه[١] كقوله تعالى[٢]: ﴿ نعمَ العبدُ ﴾ أى أيوب ، أو هو لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه ، ونحوه قوله : ﴿ فنعمَ الماهدون ﴾[٣]؛ أى: نحن[٤].

الوصل لدفع الإيهام :

وإن لم يكن بين الجملتين شىءٌ من الأحوال الأربع؛ تعيَّن الوَصْلُ ؛ إما لدفع إيهام خلاف المقصود[٥] ؛ كقول البلغاء : « لا ، وأيَّدك **الله** ». [٦] ، وهذا عكس الفصل للقطع[٧].

الوصل للتوسط بين الكمالين :

وإما للتوسط بين حالتَىْ كمال الانقطاع وكمال الاتصال ، وهو ضربان :

---

(١) لوجود قرينة تدل عليه ؛ لأنه لا بد فى كل حذف من قرينة .

(٢) آية ٣٠ سورة ص .

(٣) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٤) تقديره : « هم نحن » ؛ على ما سبق .

(٥) الوصل فى ذلك يجب بلاغةً لا نحواً ، وهو إنما يكون فى كمال الانقطاع بين الجملتين عند إيهام الفصل فيه خلاف المقصود ، وقيل : إنه يأتى فى كمال الاتصال أيضًا عند ذلك الإيهام ؛ كما تقول لمن سألك : « هل تشرب خمراً » ؟: « لا ، وتركت شربه ». وقيل : إنه يتعين الفصل فى مثل هذا فيه، ويدفع الإيهام بطريق آخر؛ فيقال مثلاً : « لا قد تركت شربه»، « أو يسكت قليلاً بعد « لا » .

(٦) أى: ليس الأمر كذلك وأيدك الله . وقد اختلف فى هذه الواو ؛ فقيل : إنها عاطفة، وقيل : إنها زائدة ، وقيل : إنها استئنافية .

(٧) لأن هذه الصورة من الوصل تقابل ما اشترط فى الفصل لكمال الانقطاع من عدم تأديته إلى إيهام خلاف المقصود .

أحدهما : أن تتفقا خبراً و إنشاء[1] ، لفظاً ومعنًى؛ كقوله تعالى[2]: ﴿إن الأبرارَ لفى نعيم * وإن الفجَّار لفى جحيم ﴾، وقوله : ﴿ يخرج الحى منَ الميت ويخرج الميت من الحىِّ ﴾[3] وقوله: ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا ﴾[5] **والثانى:** أن يتفقا كذلك معنًى لا لفظًا؛ كقوله تعالى[6] : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا اللهَ وبالوالدين إحسانًا وذى القربَى واليتامى والمساكين وقولوا ﴾ عطف قوله : ﴿ وقولوا ﴾ على قوله: ﴿ لا تعبدون﴾؛ لأنه بمعنى لا تعبدوا. وأما قوله : ﴿ وبالوالدين إحسانًا ﴾ فتقديره : إما: وتحسنون بمعنى وأحسنوا، وإما: وأحسنوا[7] ، وهذا[8] أبلغ من صريح الأمر والنهى؛ لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه . وأما قوله تعالى[9] فى سورة البقرة : ﴿ وبَشِّر الذين آمنوا ﴾ فقال الزمخشرى فيه : فإن قلتَ : علام عُطف هذا الأمر ولم يسبق أمرٌ ولا نهى يصح عطفه عليه [10] ؟ قلتُ : المراد ليس الذى اعتُمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مُشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه ، إنما المعتمَد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين؛ فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين[11] كما تقول: « زيد يعاقَب بالقيد والإرهاق،وبَشِّرْ عمراً بالعفو والإطلاق». ولك أن تقول : هو معطوف على ﴿ فاتقوا ﴾؛ كما تقول : « يا بنى تميم ، احذروا عقوبة ما جنيتم ، وبشِّر يا فلان بنى أسد بإحسانى إليهم ». هذا كلامه ، وفيه نظر لا

(١) أى مع وجود الجامع الآتى ، وهو شرط فى الضرب الثانى أيضًا ؛ لأن هذه الصورة من الوصل بضربيها تقابل صورة الفصل فى كمال الانقطاع لعدم وجود الجامع .

(٢) آية ١٣ و١٤ سورة الانفطار .(٣) آية ٣١ سورة يونس . (٤) آية ١٤٢ سورة النساء .

(٥) آية ٣١ سورة الأعراف . (٦) آية ٨٣ سورة البقرة .

(٧) على التقدير الأول يكون من الضرب الأول ، وعلى التقدير الثانى يكون من الضرب الثانى .

(٨) أى صورة الخبر فى قوله : ﴿ لا تعبدوا ﴾ وفى تقديره « وتحسنون » أبلغ من صريح النهى والأمر؛ أى : لا تعبدوا وأحسنوا . (٩) آية ٢٥ سورة البقرة .

(١٠) أى فى قوله قبله: ﴿ فإنْ لم تفعلوا ولنْ تفعلوا فاتقوا النارَ التى وَقودها الناسُ والحجارَة أعدَّتْ للكافرين ﴾ .

(١١) هذا هو ما يسمَّى عطف قصة على قصة أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر؛ فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين ، ولا يمنع اختلافهما فى ذلك كمن عطف إحداهما على الأخرى .

يخفى على المتأمل[١] . وقـال أيضًا فى قـوله تعـالى فى سـورة. الصف: ﴿ وبشّر المؤمنين﴾[٢] : إنه معطوف على ﴿ تؤمنون ﴾[٣] لأنه بمعنى آمنوا[٤] ، وفيه أيضًا نظر. لأن المخاطبين في ﴿ تؤمنون ﴾ هم المؤمنون، وفى ﴿ بشر ﴾ هو النبى عليه السلام[٥] ثم قوله ﴿ تؤمنون ﴾ بيان لما قبله[٦] على سبيل الاستئناف، فكيف يصح عطف ﴿ بشّر المؤمنين ﴾ عليه[٧] ؟! وذهب السـكاكى[٨] إلى أنهمـا معطوفـان على «قُلْ » مراداً قبل ﴿ يأيها الناس ﴾[٩]و﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾[١٠] لأن إرادة القول بواسطة انصباب الكلام إلى معناه غـيرُ عزيزة فى القرآن ، وذكر صـوراً كثيرة منهـا قوله تعالى[١١] : ﴿وأنزلنا عليكمُ المنَّ والسلوَى كلوا ﴾، وقوله : ﴿ وإذْ أخـذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خُذُوا ﴾[١٢] وقوله : ﴿ وإذْ جعلنا البيتَ مـثابةً للناس وأمنًا واتخذوا ﴾[١٣] أى وقلنا أو قائلين[١٤] والأقرب أن يكون الأمر فى الآيتين معطوفًا على مقدَّر يدل عليه ما قبله،وهو فى الآية الأُولى « فأنذر أو نحـوه »،أى «فأنذرهم وبشر الذين آمنوا » وفى الآية الثانية « فـأبشِرْ أو نحوه » أى «فأبشر يا مـحمد وبشر المؤمنين»، وهذا كـما قدر الزمخـشرى قوله تعالى: ﴿ واهجـرْنى مَليا ﴾[١٥] معـطوفًا على مـحذوف يدل عليه قوله: ﴿ لأرْجمنك ﴾أى فاحذرنى واهجرنى؛ لأن﴿ لأرجمنك ﴾ تهديدٌ وتقريعٌ .

(١) هذا النظر يرجع إلى تجويزه العطف على قوله : ﴿ فـاتقوا ﴾ فى الآية قبلها ؛ لأنه لا مناسبة بينهمـا؛ لاختلاف المخاطب فى الأمرين ، ولأن الأمر الأول مقيـد بالشرط قبله فلا يصح عطف الثانى عليه لاقتضائه تقييده بما قيد به ، وقد أجيب عن الأول بأن اختلاف المخاطب لا يمنع التناسب؛ لما فيه من التقابل، وعن الثانى بأنه لا ضرر فى تقييد الأمر الثانى بما قيد به الأول ؛ لأن الأول مقيد بعدم فعلهم ما أُمروا به مما لا يمكنهم أن يفعلوه ، وهو الإتيان بسورة من مثل القرآن ، ولا ضرر فى تقييد الأمر بالبشارة بذلك .

(٢) آية ١٣ سورة الصف . (٣) أى فى الآية قبلها .

(٤) لهذا جزم قوله ﴿ يغفر ﴾ فى الآية بعده فى جوابه .

(٥) أجيب عن ذلك بما سبق أن اختلاف المخاطب لا يمنع تناسب الجملتين .

(٦) هو قوله : ﴿ يأيها الذين آمنُوا هلْ أدلكم على تجـارة تنجيكمْ من عذاب أليم ﴾. آية ١٠ سورة الصف .

(٧) أجيب عن ذلك بأن مضمون قـوله : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ مما يصح الاستئناف به أيضًا عن ذلك . (٨) ١٤١ - المفتاح . (٩) آية ٢١ سورة البقرة . (١٠) آية ١٠ سورة الصف .

(١١) آية ٥٧ سورة البقرة .(١٢) آية ٩٣ سورة البقرة . (١٣) آية ١٢٥ سورة البقرة .

(١٤) المقول : « كلوا » و « خذوا » و « اتخذوا » فى الآيات الثلاث .

(١٥) آية ٤٦ سورة مريم .

الجامع بين الجملتين وأقسامه :

والجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليه فى هذه، والمسند إليه فى هذه ، وباعتبار المسند فى هذه ، والمسند فى هذه جميعًا[(١)] كقولك : « يشعر زيد ويكتب ، ويعطى ويمنع »، وقولك : « زيد شاعر » ، « وعمرو كاتب » ، « وزيد طويل » ، « وعمرو قصير » إذا كان بينهما مناسبة ؛ كأن يكونا أخوين أو نظيرين ، بخلاف قولنا : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » إذا لم يكن بينهما مناسبة ، وقولنا : «زيد شاعر ، وعمرو طويل » كان بينهما مناسبة أو لا ، وعليه قوله تعالى[(٢)] : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أمْ لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ قطع عما قبله؛ لأنه كلام فى شأن الذين كفروا ، وما قبله كلام فى شأن القرآن[(٣)] .

وأما ما يُشعِر به ظاهر كلام السكاكى[(٤)] فى موضع من كتابه أنه يكفى أن يكون الجامع باعتبار المخبر عنه أو الخبر أو قيد من قيودهما فإنه منقوض بما مَرَّ[(٥)] وبنحو قولك : هزم الأمير الجند يوم الجمعة ، وخاط زيد ثوبى فيه[(٦)] . ولعله سهو؛ فإنه صرح فى موضع آخر منه[(٧)] بامتناع عطف قول القائل: « خُفِّى ضيق » على قوله: «خاتمى ضيق » مع اتحادهما فى الخبر[(٨)] .

---

(١) ظاهر هذا أنه لا يجب أن يكون باعتبار متعلقاتهما ، وقيل : إنه يعتبر ذلك فيهما أيضًا . والحق أنه لا يعتبر فيهما إلا إذا كانت المتعلقات مقصودة بالذات من الجملتين ؛ كقوله تعالى آية ٤١ سورة غافر: ﴿ ويا قوم ما لِى أدعُوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النارِ ﴾ .

وقول الشاعر :

ظلَّ يسعى إلى المعالى بجدٍّ والعلا لا يُنال إلا بكـد

وقول الآخر :

أريد حياتَه ويريد قَتْلِى عُذيرُك من خليلك من مراد

(٢) آية ٦ سورة البقرة .

(٣) هو قوله: ﴿ الم ، ذلك الكتابُ لا ريب فيهِ هدًى للمتقين ... ﴾. الآيات إلى هذه الآية .

(٤) ١٣٧ - المفتاح .

(٥) من الأمثلة التى امتنع فيها الوصل مع وجود الجامع فى المخبر عنه أو الخبر ، وإنما احتج بها -مع أنها ليست من كلام مَن يحتج به من البلغاء - لأنها محل اتفاق .

(٦) فالوصل ممتنع فيه أيضًا مع الاتحاد فى القيد .

(٧) ١٤٧ - المفتاح .

(٨) قيل : إنه لا سهو من السكاكى فى ذلك ؛ لأن الظاهر من كلامه وكلام غيره أن الجامع يكفى فيه التناسب بين الجملتين لا غير،وهذا التناسب له سبب وله مظنة ، فسببه اجتماع=

ثم قال[1]: **الجامع بين الشيئين عقلى ووهمى وخيالى** :

أما **العقلى**[2] فهو أن يكون بينهما **اتحادٌ** فى التصور [3] أو تماثلٌ [4] ؛ فإن العقل بتجريده المثلين عن التشخص فى الخارج يرفع التعدد بينهما ، أو **تضايفٌ**؛ كما بين

= الجملتين فى القوة المفكرة بطريق العقل أو الوهم أو الخيال؛ على ما يأتى، ومظنة حصول الاتحاد بين الطرفين حقيقةً أو بتأويل قريب أو بعيد ، ولكن المظنة غير ملازمة للمظنون ؛ فقد يحصل التناسب مع الاتحاد فى الطرفين ؛ كقولك: « زيد يعطى ويمنع »، وقد يحصل مع الاتحاد فى أحدهما دون الآخر؛ كمن يذكر فى مجلسه الحركة والبياض فتقول له: « الحركة عرض نقلة ، والبياض لون مفرق للبصر »؛ فالتناسب موجود ولم يحصل إلا باتحاد المسند إليه فى الجامع الخيالى ، وقد يحصل الاتحاد فى الطرفين ولا يحصل التناسب؛ كقولك: « انظر إلى علم زيد ، وانظر إلى هذا القطع فى ثوبك » وإنما منع السكاكى نحو « خاتمى ضيق ، وخفى ضيق »؛ حيث لم يجمع بينهما ذكر فى مجلس أو نحو ذلك كما صرَّح به ، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى آية ٨٨ سورة يوسف ﴿ مسَّنا وأهلَنا الضرُّ وجئنا ببضاعة مُزجاة ﴾ فالمسندان: المس والمجىء ، والمسند إليه فيهما: الضر وإخوة يوسف ، وهما مختلفان لا يتحدان فى شىء ، ومع هذا حصل الوصل بوجود التناسب بين المسندين؛ لأن المس سبب فى المجىء .

وقد ذهب السيد إلى أن مجرد الاتحاد أو التناسب فى الغرض الذى تصاغ له الجملة يكفى فى صحة الوصل ولو لم يتحد الطرفان ، وهذا كما يأخذ شخص فى ذكر ما وقع فى يوم من الأفعال « انطلق زيد ، وطاب الطعام ، وصليت الظهر . إلخ » وإنى أرى أن هذا يصح نحواً لا بلاغة ؛ لأنه فى تأويل « حصل كذا وكذا »؛ على معنى واو العطف لا واو الوصل ؛ لأن واو الوصل لا يؤتى بها لمثل هذا ، وإنما يؤتى بها لدفع الإيهام أو للدلالة على التناسب البلاغى بين الجملتين . والاتحاد فى الغرض الذى تصاغ له الجملة لا يكفى فى الوصل ؛ لأنه يجب فى حال الفصل أيضًا كما سبق .

(١) ١٢٧ - المفتاح .

(٢) **ضابطه**: أن يكون الجمع بين الشيئين فيه حقيقيًا . بأن يكون فى الواقع ونفس الأمر .

(٣) بأن يكونا شيئًا واحدًا حقيقةً بالشخص والنوع ، كقول الشاعر :

سافرْ تَجدْ عوضًا عمَّن تفارقهُ ... وانصَبْ فإنَّ لذيذ العيش فى النَّصَبِ

(٤) بأن يتفقا فى الحقيقة ويختلفا بالشخص مع اشتراكهما فى وصف له نوع اختصاص بهما من صداقة أو نحوها ؛ كما سبق فى نحو : « زيد شاعر ، وعمرو كاتب » ، وكتماثل المسند فى قول الشاعر :

فيبكى إنْ نأوْا شوْقًا إليهم ... ويبكى إنْ دنوا خَوْفَ الفراق

العلة والمعلول ، والسبب والمسبَّب ، والسفل والعلوّ ، والأقلّ والأكثر ؛ فإن العقل يأبى ألاّ يجتمعا فى الذهن(١) .

وأما الوهمىُّ (٢) فهو أن يكون بين تصوريهما **شبهُ تماثل** ؛ كلون بياض ولون صفرة ، فإن الوهم يبرزهما فى معرض المثلين(٣) ، ولذلك حَسُنَ الجمعُ بين الثلاثة التى فى قوله :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها ـــــ شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ(٤) .

أو **تضاد** (٥) كالسواد والبياض ، والهمس والجهارة ، والطيب والنتن ، والحلاوة والحموضة ، والملاسة والخشونة ، وكالتحرك والسكون ، والقيام والقعود ، والذهاب والمجىء ، والإقرار والإنكار ، والإيمان والكفر ، وكالمتصفات بذلك كالأسود والأبيض ، والمؤمن والكافر . أو **شبه تضاد**(٦) كالسماء والأرض ، والسهل والجبل ، والأول والثانى ؛ فإن الوهم يُنزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين؛ فيجمع بينهما فى الذهن ، ولذلك نجد الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد .

---

(١) فالمراد بالتضايف أن يكونا بحيث لا يمكن أن تَعْقِلَ كلاً منهما من غير الآخر؛ كما بين المبادرة إلى الفرصة والنهوض فى قول الشاعر :

بادرْ إلى الفرصة وانهضْ لما ـــ تريد فيها فهْى لا تلبثُ

(٢) ضابطه: أن يكون الجمع بين الشيئين فيه اعتبارياً غير محسوس بإحدى الحواس الظاهرة .

(٣) أما العقل فيدرك أنهما نوعان متباينان داخلان فى جنس اللون كالبياض والسواد .

(٤) هو لمحمد بن وُهَيب ، وقد سبق فى الكلام على تقديم المسند فى الجزء الأول . والبيت فى عطف المفردات ، وقد سبق أنه ليس من الوصل فى رأى الجمهور؛ وإنما هو من مراعاة النظير ، والثلاثة بينهما تماثل فى الإشراق .

(٥) المراد به ما يشمل تقابل الضدين كالسواد والبياض ، وتقابل الإيجاب والسلب ، وتقابل العدم والملكة . والجمع بين ذلك باعتبار الوهم أيضًا ، أما العقل فيدرك كل متقابلين فيه من غير الآخر .

(٦) معطوف على « تضاد » والمراد بشبه التضاد تقابلُ الشيئين اللذين لا يتنافيان فى ذاتهما ولكن يستلزم كل منهما معنى ينافى ما يستلزمه الآخر ، ومن الوصل للجامع الوهمى قوله تعالى آية ٨٢ سورة التوبة: ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾، وقوله تعالى آية ١٣ و ١٤ سورة الانفطار : ﴿ إن الأبرار لفى نعيم * وإنَّ الفجار لفى جحيم ﴾ .

والخيالىُّ[1] أن يكون بين تصورَيْهما تقَارنٌ فى الخيال سابق [2] ، وأسبابه مختلفة ، ولذلك اختلفت الصور الثابتة فى الخيالات ترتيباً ووضوحًا ؛ فكم صور تتعانق فى خيال وهى فى آخَرَ لا تتراءى ، وكم صورة لا تكاد تلوح فى خيال وهى فى غيره نار على عَلَم .

كما يُحكى أن صاحب سلاح ملك ، وصائغًا ، وصاحبَ بقرٍ ، ومعلِّم صِبْية سافروا ذات يوم ، وواصَلوا سير النهار بسير الليل ، فبينما هم فى وحشة الظلام ومقاساة خوف التخبط والضلال طلع عليهم البدر بنوره ، فأفاض كل منهم فى الثناء عليه ، وشبهه بأفضل ما فى خزانة صُوره ؛ فشبَّهه السلاحىُّ بالترس المُذهَّب يرفع عند الملك ، والصائغُ بالسبيكة من الإبريز تفْتر عن وجهها البَوتقة ، والبقَّارُ بالجبن الأبيض يخرج من قالبه طريًّا ، والمعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت ذى مروءة .

وكما يُحْكَى عن ورَّاق يصف حاله : عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى أدق من مسْطرة ، وجاهى أرق من الزجاج ، وحظى أخْفَى من شق القدَم ، وبدنى أضعف من قصبة ، وطعامى أمرُّ من العَفْص ، وشرابى أشد سوادًا من الحبر ، وسوء الحال لِى ألزم من الصَّمْغ .

ولصاحب علم المعانى[3] فضلُ احتياج إلى التنبه لأنواع الجامع لا سيما الخيالى؛ فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب فى ذاك؛ كالجمع بين الإبل والسماء ، والجبال والأرض فى قوله تعالى: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقتْ * وإلى السماء كيف رُفعت ، وإلى الجبال كيف نُصبت * وإلى الأرض كيف سُطحتْ ﴾[4] بالنسبة إلى أهل الوبر ، فإنَّ جُلَّ انتفاعهم فى معاشهم من الإبل فتكون عنايتُهم مصروفةً إليها ، وانتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر ، فيكثر تقلب وجوههم فى السماء ، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحصن

= وقول الشاعر :

إنْ كنتَ ذا رأى فكنْ ذا عزيمة ولا تَكُ بالترداد للرأى مفسدَا

(١) **ضابطه** : أن يكون الجمعُ بين الشيئين فيه اعتباريًّا مسندًا إلى إحدى الحواس الظاهرة .

(٢)أى على الوصل ، فيأتى الوصل باعتباره .

(٣) هذا أيضًا من كلام السكاكى .

(٤) آية ١٧و ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ سورة الغاشية .

يتحصنون به ، ولا شيء لهم فى ذلك كالجبال ، ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم فى منزل عن التنقل من أرض إلى سواها ؛ فإذا فتش البدوى فى خياله وجد صور هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور ، بخلاف الحَضَرى ، فإذا تلا قبل الوقوف على ما ذكرنا؛ ظن النسق (لجهله) معيبًا (١) .

محسنات الوصل :

ومن محسنات الوصل (٢) تناسب الجملتين فى الاسمية والفعلية ، وفى المُضِىّ والمضارعة (٣) إلا لمانع؛ كما إذا أريد بإحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت ؛ كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو، وقلت : « قام زيد ، وعمرو قاعد». كما سبق(٤).

---

(١) من الوصل للجامع الخيالى قول الأرَجانى :

فبتُّ من وصلك فى لذة ... حتى جلا الصبحُ مُحياه
والنجم قد أطبق أجفانه ... والنوم قد أطلق أسراه
والليلُ سيفُ الفجر فى فرقه ... يقتله والديك ينعاه

وقول الشاعر :

أعزُّ مكانٍ فى الدُّنى سرجُ سابح ... وخير جليس فى الزمان كتابُ

(٢) حسن الوصل فى ذلك لا ينافى أنه واجب بلاغةً عند اقتضاء الحال له فإنه إذا كان المقام للثبوت فى الجملتين وجب تناسبهما فى الاسمية ، وإذا كان للتجدد وجب تناسبهما فى الفعلية ؛ لأن ما يجب بلاغةً يستند أكثره إلى التحسين ؛ ولهذا كان كل ما وجب لغةً وجب بلاغةً من غير عكس ، وقيل : إن ذلك من الحسن البديعى ؛ لأن محله عند قصد النسبة فى الجملتين فى ضمن أى خصوصية كانت ، فيكون التناسب جائزًا لا واجبًا .

(٣) من تناسبهما فى الاسمية قول الشاعر :

أسودٌ إذا ما أبدت الحربُ نابها ... وفى سائر الدهر الغيوث المواطر

ومن تناسبهما فى المضىّ قول الشاعر :

أعْطيتَ حتى تركت الريحَ حاسرة ... وجُدتَ حتى كأن الغيثَ لم يَجُدِ

ومن تناسبهما فى المضارعة قول الشاعر :

نروح ونغدو لحاجاتنا ... وحاجةُ مَن عاشَ لا تنقضى

(٤) فى الكلام على اسمية الجملة وفعليتها فى باب المسند ، ومن ذلك قوله تعالى : آية ١٧٨ سورة آل عمران: ﴿ ولا يحسبنَّ الذينَ كفرُوا أنَّما نُملى لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملى لهم =

فروق الجملة الحالية :

ومما يتصل بهذا الباب القول فى الجملة إذا وقعت حالاً منتقلة[(١)] فإنها تجىء تارةً بالواو ، وتارةً بغير الواو[(٢)] فنقول :

أصل الحال المنتقلة أن تكون بغير واو لوجوه :

الأول : أن إعرابها ليس بِتَبع [(٣)] ؛ وما ليس إعرابه بتبع لا يدخله الواو ، وهذه وإن كانت تسمى واوَ الحال فإن أصلها العطف .

= ليزدادُوا إثمًا ولهمْ عذاب مهين﴾، وقوله آية٨٧ سورة البقرة: ﴿ففريقًا كذَّبتم وفريقًا تقتلون﴾.

• ومن محسنات الوصل أيضًا التناسب فى الإطلاق والتقييد ، والتناسب فى الإطلاق كثير ، أما التناسب فى التقييد؛ فمنه قول الشاعر :

دنوت تواضعًا وعلوت مجدًا ... فشأناك انحدار وارتفاع

وقول الآخر :

تنام عينى وعين الليل ساهرة ... وتستحيل وصبغ الليل لم يَحُلِ

(١) يريد بها الحال المؤسِّسة ، وكان الواجبُ أن يقولَ مؤسسة بدل المنتقلة لأن الحال تنقسم باعتبارٍ إلى لازمة ومنتقلة ، كقـولك « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها » ، و « جاء زيد يضحك » . وباعتبار آخر إلى مؤسسة ومؤكِّدة ؛ كقولك « جاء زيد راكبًا » و « هو الحق لا ريب فيه » والحال المؤسـسة هى التى أصلها أن تكون بغير واو منتقلة كـانت أو لازمة ، والحال المؤكدة هى التى يمتنع الواو فيها .

(٢) ذكر بعض مؤلفى عصـرنا أن الحال يجىء كذلك على مقتضى أحكـامه النحوية ؛ فلا يصح الاشتغال به فى هذا العلم ، والحقُّ أن ذلك قد يجرى على مقتضى مقامات يجب بها بلاغةً ما لا يجب نحواً ؛ فكل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواقع فهذا كما ذكر عبد القاهر لأنك عمـدت إلى الفعل الواقع فى صـدرها فضـممتـه إلى الفعل الأول فى إثبـات واحد ؛ كـقولك: «جاءنى زيد يسـرع »؛ فهو بمنزلة قـولك « جاءنى زيد مـسرعًا»، وهذا بخلاف كل جـملة وقعت حالاً ثم اقتضت الواو ، فإنها لا تكون إلا حيث تريد أن تستأنف بها خبراً ، ولا تقصد أن تضمها إلى الفعل الأول فى إثبات واحد ، وهذا إنما يكون عند قصد الاهتمام بها أو إزالة شك أو إنكار، أو نحو ذلك .

(٣) يريد تبعية عطف النسق؛ لأنها هى التى تقتضى الواو؛ بخلاف تبعية غيرها كالنعت.

الثانى : أن الحال فى المعنى حُكمٌ على ذى الحـال؛ كالخبر بالنسبـة إلى المبتدأ ، إلا أن الفـرق بينه وبينهـا أن الحكم به يحـصل بالأصالـة لا فى ضمن شىء آخـر ، والحكم بها إنما يحـصل فى ضمن غيرها ؛ فـإن الركوب مثلا فى قـولنا: « جاء زيد راكـبًا » محكوم به على زيـد لكن لا بالأصالة بل بالتـبـعيـة ؛ بأن وُصِلَ بالمجىء ، وجُعل قيدًا له ، بخلافه فى قولنا : « زيد راكب » ·

الثالث : أنها فى الحقيقة وصفٌ لذى الحـال ؛ فلا يدخلها الواو كالنعت؛ فثبت أن أصلها أن تكون بغير واو ، ولكن خُولف هذا الأصل فيها إذا كانت جملة ؛ لأنه بالنظر من حيث هى جملة[(١)] مستقلة بالإفادة ، فتحتاج إلى ما يربطها بما جُعلتْ حالا عنه ، وكل واحـد من الضمـير والواو صالح للـربط ، والأصل للضمـير[(٢)]؛ بدليل الاقتصـار عليه فى الحال المفردة والخبـر والنعت ·وإذا تمهد هذا فنقول : **الجملة التى تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالا عنه ، وغير خالية :**

أما الأول : فيجب أن تكون بالواو؛ لئـلا تصير منقطعة عنه غـير مرتبطة به ، وكل جملة خاليـة عن ضمير ما يجوز أن يُنتـصَبَ عنه حالٌ ؛ يصح أن تقع حالاً عنه إذا كانت مع الواو ، إلا المُصدَّرة بالمضارع المثبت، كقولك:« جاء زيد ويتكلم عمرو » على أن يكون « ويتكلم عمـرو » حالاً عن زيد؛ لما سيأتى أن ارتبـاط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده ·

وأما الثانية : فـتارةً يجب أن تـكون بالواو ، وتارة يمتنع ذلك ، وتارة يتـرجح أحدهما ، وتارة يستوى الأمران ، والواو غير مُنافٍ للضمير فى إفادة الربط[(٣)]؛ فتعيَّن التنبيه على أسباب الاختلاف ؛ فنقول :

الجملة إن كـانت فعلية والفـعل مضارع مثـبت امتنع الواو؛ كقـوله تعالى[(٤)] :

---

(١) أى لا حال ·

(٢)يعنى فى نظر البلغاء ؛ فلا يُعْدَل عنه إلا لنكتة تدعو إلى زيادة ارتبـاط الحال بصاحبها؛ كقـصد الاهتمـام أو نحوه ، فيـؤتَى بها عند ذلك جـملةً مسـتقلة وتربـط بالواو وحدها أو مع الضمير ، أما النحاة فيستوى عندهم الحال المفردة والجملة المرتبطة بالضمير والواو ·

(٣) لأنه يجوز الربط بهما معًا ؛ كقولك : « جاء زيد وهو يضحك » ·

(٤) آية ١١٠ سورة الأنعام ·

﴿ونَذرهمْ فى طُغيانهم يعمهون﴾، وقوله: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾[١] وقوله: ﴿وسيُجنبها الأتْقى الذى يؤتى مالَه يتزكى﴾[٢] لأن أصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة[٣] مقارن لِما جُعلتْ قيدًا له[٤]، والمضارع المثبت كذلك . أما دلالته على حصول صفة غير ثابتة فلأنه فعل مثبت ، والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم الثبوت كما مرّ[٥] . وأما دلالته على المقارنة فلكونه مضارعاً[٦] فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة ، وبهذا امتنع نحو: «جاء زيد ويتكلم عمرو » كما مر ، وأمَّا ما جاء من نحو قول بعض العرب « قمت وأصكُّ عينه أو وجهه »، وقول عبد الله بن همَّام السَّلولى :

فلمَّا خشيتُ أظافيرَهمْ نجوتُ وأرْهَنُهُمْ مالكاً[٧]

فقيل : هو على حذف المبتدأ ؛ أى أصُكُّ عينه وأنا أرهنهم ، وقيل : الأول شاذ والثانى ضرورة ، وقال الشيخ عبد القاهر[٨] : ليست الواو فيهما للحال بل هى

---

(١) آية ٦ سورة المدثر برفع تستكثر ، وقرىء بجزمه على أنه بدل اشتمال لا حال .

(٢) آية ١٧ و ١٨ سورة الليل .

(٣) هذا مبنى على جعله أصل الكلام هنا فى الحال المنتقلة ، والحق كما سبق أنه فى الحال المؤسسة منتقلةً كانت أو لازمة .

(٤) ما جعلت قيدًا له هو العامل .

(٥) فى الكلام على أحوال المسند ، ودلالته على الحصول بكونه مثبتًا ، وعلى التجديد بكونه فعلا ،والمراد بالتجدد: حصوله بعد أن لم يكن . كما سبق .

(٦) لأن المضارع يدل على الحال فيدل على تلك المقارنة ، وقد رُدَّ هذا بأن تلك المقارنة معناها مقارنة الحال لزمان عاملها ماضيًا كان أو حالاً أو استقبالاً . وهذا غير دلالة المضارع على الحال ، والحق أن هذه النكتة (على طولها ومع ورود هذا عليها) نكتة نحوية لا يصح ذكرها فى هذا العلم وقد سبقت نكتة ذلك بلاغةً عن عبد القاهر من أنك لا تقول « جاءنى زيد يسرع » إلا وأنت تريد أن تضم الفعلين فى إثبات واحد . ولا تُعْنَى بالحال كما تعنى بها فى قولك « جاءنى زيد وهو يسرع » وهذا لا يمنع أن يكون أقوى فى الإثبات من قولك « جاءنى زيد مسرعًا » .

(٧) الأظافير : جمع أظفار جمع ظفر، وهذا كناية عن خوفه من تمكنهم منه . وكان عبيد الله بن زياد توعده فهرب منه إلى الشام ، ومالك : هو عريفه الوارد فى قوله بعد هذا البيت :

عريفًا مقيمًا بدار الهوانِ أهْوَن علىَّ به هالكا

(٨) ١٢٦ - دلائل الإعجاز .

للعطف ، وأصك وأرهن؛ بمعنى: صككت ورهنت . ولكن الغرض من إخراجهما على لفظ الحال أن يحكيا الحال في أحد الخبرين، ويدعا الآخر على أصله كما في قوله :

ولقد أمُرُّ على اللئيم يسبني   فمضيتُ ثمّت قلت لا يَعنيني[(١)]

يبين ذلك أن الفاء قد تجيء مكان الواو في مثله ، كما في خبر عبد الله بن عَتيك، فإنه ذكر دخوله على أبي رافع اليهودي حصنه ثم قال : فانتهيتُ إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدري أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهشٌ . فإن قوله « فأضربه » مضارع عطفه بالفاء على ماض ؛ لأنه في المعنى ماض .

وإن كان الفعل مضارعاً منفياً فيجوز فيه الأمران من غير ترجيح ؛ لدلالته على المقارنة لكونه مضارعًا ، وعدم دلالته على الحصول لكونه منفيّا[(٢)] أما مجيئه بالواو فكقراءة ابن ذكوان ﴿ فاستقيما ولا تتَّبعان ﴾ بتخفيف النون [(٣)] وقول بعض العرب : « كنت ولا أخشى بالذيب » ، وقول مسكين الدَّارميّ :

أكسبتْه الوَرِقُ البيضُ أباً   ولقد كانَ ولا يُدْعَى لأب[(٤)]

وقول مالك بن رفيع وكانَ قد جنَى جنايةً فطلبه مُصْعَبُ بن الزبير :

---

(١) هو لعميرة بن جابر ، وقد سبق في الكلام على تعريف المسند إليه باللام في الجزء الأول ، ومحل الشاهد هنا قوله « أمر » بالمضارع مع قوله « مضيت » بالماضي .

(٢) هذه النكتة ضعيفة أيضاً كنكتة المضارع المثبت ، والحق أن المضارع المنفي كالمضارع المثبت في امتناع دخول الواو كما هو مذهب جمهور النحاة ، وقد خالفهم الزمخشري في ذلك ، والجمهور يؤولون ما ورد بالواو من المنفي كتأويل المثبت ، وإذا جرينا على مذهب الزمخشري فنكتته أن حرف النفي أبعده عن الدخول مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٣) آية ٨٩ سورة يونس . أما بتشديدها فهو نهيٌ معطوفٌ على ما قبله ، والحق أن الواو مع التخفيف للعطف أيضًا ؛ لأنه نفي في معنى النهي ، ولا يصح أن تكون لحال؛ لأنها تكون حالاً مؤكِّدة، وقد سبق أنها لا يصح دخول الواو عليها .

(٤) الورق : المال من الدراهم ويُجمع على أوراق ، وقد وُصف بالجمع في البيت كما يقال: « الدرهم البيض »؛ لتعدده في المعنى . يعنى أنه أكسبه نسبًا معروفًا بعد أن كان مجهولاً .

بَغاني مُصعَبٌ وبنو أبيــــه   فأين أحيدُ عنهم لا أحيــدُ
أقادُوا من دمِي وتوعَّـــدوني   وكنتُ وما يُنَهْنِهُني الوعيــدُ[1]

وأما مجيئه بغير واو فكقوله تعالى[2] : ﴿ ومَا لنَا لا نُؤمنُ باللهِ ﴾ .

وقول عكرِشَة العبسى :

مضَوا لا يريدون الرواحَ وغـــالهمْ   من الدهر أسبابٌ جرَينَ على قدر[3]

وقول خالد بن يزيد بن معاوية :

لو أن قومًا لارتفاع قبيلــةٍ   دخلوا السماءَ دخلتُها لا أُحجَب[4]

وقول الأعشى :

أتينا أصبهـــانَ فهزَّلتنــا   وكنَّا قبل ذلك فى نعيــم
وكان سفاهةً منى وجهْــلا   مَسيرى لا أسير إلى حميم[5]

كأنه قال : وكان سفاهةً منى وجهلاً أن سرْتُ غيرَ سائر إلى حميم .

وإن كان مـاضيًا لفظًا أو مـعنًى فكذلك يجوز الأمران من غـير ترجـيح . أما

---

(١) قوله « أحيـد » بمعنى أتنحى وأنجو منهم ، وقوله « أقـادوا من دمى » بمعنى قتلوا بدل قتيلهم ، وقوله « ينهنهنى » بمعنى يزجرنى ، والشاهد فى قوله : { وما ينهنهنى الوعـــيد }

(٢) آية ٨٤ سورة المائدة .

(٣) هو لأبى شغب عكرشة العبسى من شعر له فى رثاء ابنه شغب ، وقبله :

سقى الله أجداثًا ورائى تركتها   بحاضر قنَّسرين من سبل القطر

الرَّواح : الرجـوع آخـر النهار والمراد به هـنا مطلق الرجـــوع ، وقـوله « غـالهم » بمعنى أهلكهم ، والقدر مـصدر « قدرته قدراً » بمعنى قَدَّرته تقـديراً ، أى جرين على أسبـاب مقدرة . والشاهد فى قوله : « لا يريدون الرواح » .

(٤) قوله « لارتفاع قبـيلة » تعليل لقوله « دخلوا السماء » والشاهد فى قـوله « دخلتها لا أحجب » .

(٥) هما لعبـد الرحمن بن عبد الله المعـروف بأعشى هَمْدان ، وكان قد صـحب عباد بن ورقاء إلى أصبهان فلم يحمد صحبـته ، وقوله « هزلتنا » بمعنى أضعفتنا ، والحميم : الصديق . والشاهد فى قوله « لا أسير إلى حميم » وهو حال من ياء المتكلم .

مجيئـه بالواو فكقوله تعالى حكاية(١) : ﴿ أنَّى يكون لى غـلامٌ وقـد بلغنى الكبَرُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أنَّى يكون لى غلامٌ وكانت امرأتِى عاقرًا ﴾(٢).

وقول امرىء القيس :

أيقتلنى وقد شـــعفْتُ فؤادَها

كما شعف المهنوءةَ الرّجلُ الطالى(٣)

وقوله :

فجئتُ وقد نضَّتْ لنومٍ ثيابها   لَدَى السِّتْرِ إلا لبْسَةَ المتفضِّلِ(٤) .

وقوله تعالى(٥) ﴿ قـال أُوْحِيَ إلىَّ ولمْ يُوحَ إليهِ شيءٌ ﴾ وقـوله : ﴿ أنَّى يكونُ لى غلامٌ ولمْ يمسسنى بشرٌ ﴾ (٦). وقول كعب :

لا تأخذنِّى بأقوال الوشاة ولمْ   أُذنبْ وإن كثرتْ فىَّ الأقاويلُ(٧)

وقوله تعالى(٨) : ﴿ أمْ حسبْتم أنْ تدخلوا الجنة ولـمَّا يأتكمْ مَثل الذين خَلوْا من قبْلكم ﴾ . وقول الشاعر :

---

(١) آية ٤٠ سورة آل عمران .

(٢) آية ٨ سورة مريم .

(٣) هو لحندج بن حُجْر المعروف بامـرىء القيس ، وقوله « شعـفت فؤادها » بمعنى غلب حبهـا لى على قلبها وخالطه ، وشعـفة القلب : رأسه ، والمهنوءة : المطلية بالقطران . وشعـفها بمعنى طلاها ، والمعنى: أن حـبهـا له بلغ مـا يبلغ القطران من الناقـة المهنوءة ، فإنه يسـرى فى جسمها حتى يوجد طممه فى لحمها ، والشاهد فى قوله « وقد شعفت » .

(٤) هو لامرىء القيس أيضًا ، وقوله « نضت » بمعنى نزعت ، والمتفضل: الذى يبقى فى ثوب واحد لينام أو يعمل عملاً ، والشاهد فى قوله « قد نضت » .

(٥) آية ٩٣ سورة الأنعام . وهذه الآية وما بعـدها من أمثلة الماضى معنًى ؛ وهو المضارع المنفى بلم ولما .

(٦) آية ٢٠ سورة مريم .

(٧) هو لكعب بن زهير ، والوشـاة : جمع واشٍ وهو النمام ، والأقاويل : جـمع أقوال وهى جمع قول . والشاهد فى قوله « ولم أذنب وإن كثرت » .

(٨) آية ٢١٤ سورة البقرة .

بانت قطام ولمّا يحظَ ذو مِقَــــةٍ منها بِوَصْلٍ ولا إنجاز ميعاد [1]

وأما مجيئه بلا واو فكقوله تعالى: ﴿ أو جاءوكُمْ حصرتْ صدُورهُمْ ﴾ [2] .

وقول الشاعر :

وإنى لتعرونــــــى لذكراك هِزَّةٌ كما انتفَض العصفورُ بلَّلَهُ القَطْرُ [3]

وقوله :

أتيناكمُ قد عمَّكم حذرُ العِــدَى فنلتم بنا أمنًا و لم تعدَموا نصرا [4]

وقوله :

متى أرى الصبحَ قد لاحتْ مخايلهُ والليلَ قد مُزِّقَتْ عنه السرابيل [5]

وكقوله تعالى: ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضْل لم يمسسهمْ سوءٌ ﴾ [6] .

وقوله : ﴿ وردَّ الله الذين كـفروا بغيْظهم لم ينالوا خـيرًا ﴾ [7] . وقول امرىء القيس :

فأدركَ لم يَجْهَدْ ولم يَثْنِ شأوه [8]

---

(١) لا يُعرف قـائله . وقطام : اسم محبـوبته ، والمقة : مـصدر وَمَقهُ يمقه ومْقًا ومـقة » بمعنى أحبه . والشاهد فى قوله : ولما يحظ .

(٢) آية ٩٠ سورة النساء .

(٣) هو لعـبد الله بن مـسلم المعروف بأبى صـخر الهُذلى ، والهـزة : بكسر الهـاء: اسم الهيئة من « هزَّ » . والشاهد فى قوله « بلله القطر » .

(٤) لا يُعـرف قائله ، والحـذر: الخوف . وإضـافتـه إلى العدى من إضـافة المصـدر إلى المفعول. والعدى: الأعداء . والشاهد فى قوله « قد عمكم » .

(٥) هو لحندج بن حندج المرّى ، ومخـايل الصبح : طلائعه ، والسرابيل : جـمع سربال وهو القميص؛ استعيرت لظلام الليل . والشاهد فى قوله « قد لاحت ، وقد مزقت » .

(٦) آية ١٧٤ سورة آل عمران .

(٧) آية ٢٥ سورة الأحزاب .

(٨) هو لحندج بن حجر المعروف بامرىء القيس من قوله :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب

يصف بذلك فـرسه . والشأو : الطلق ، والخـذروف : الدوارة التى يلعب بهـا الصبى ، والمعنى: أنه يدرك طريدته بغير مشقة فى أول شأوه . والشاهد فى قوله « لم يجهد » .

وقول زهير :

كأن فُتاتَ العِهْنِ فى كُلِّ منزل نَزَلْنَ به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ(١)

والسبب فى أن جاز الأمران فيه إذا كان مثبتًا دلالتُه على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلاً مُثْبَتًا ، وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضيًا(٢) لهذا اشترط أن يكون مع«قد» ظاهرةً أو مقدَّرةً حتى تقرِّبه إلى الحال فيصح وقوعه حالا ، وظاهرُ هذا يقتضى وجوبَ الواو فى المنفىِّ لانتفاء المعنيين(٣) لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ؛ أما المنفى بلمَّا فلأنها للاستغراق(٤) وأما المنفىُّ بغيرها فإنه لما دل على انتفاء متقدم(٥) وكان الأصل استمرار ذلك(٦) حصلت الدلالة على المقارنة عند إطلاقه(٧) بخلاف المثبت فإنَّ وضع الفعل على إفادة التجدد(٨) وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود كما بين فى غير هذا العلم(٩) .

وإن كانت الجملة اسمية فالمشهور أنه يجُوز فيها الأمران ، ومجىءُ الواو أَوْلى ؛ أما الأول(١٠) فلعكس ما ذكرناه فى المصَدَّرة بالماضى المثبت(١١) ؛ فمجىء الواو كقوله

---

(١) الفتات : اسم لما انفت وتقطع من الشىء ، والعهن : الصوف المصبوغ ، والفنا : عنب الثعلب . شبه فتات الصوف المصبوغ الذى زينت به الهوادج بحَبِّ الفَنَا فى حمرته قبل تحطيمه ؛ لأنه إذا حطم تزول حمرته ، والشاهد فى قوله « لم يحطم » .

(٢) هذه النكتة ضعيفة كما سبق ، والحق أن دخول « قد » أو حرف النفى على الماضى أبعده عن دخوله مع الفعل الأول فى إثبات واحد .

(٣) هما الدلالة على حصول صفة غير ثابتة ، والدلالة على المقارنة .

(٤) يعنى به امتداد النفى من زمن الانتفاء إلى زمن التكلم .

(٥) أى على زمن التكلم . (٦) أى استمرار الانتفاء .

(٧) بعدم ذكر قرينة تدل على الانقطاع ؛ كقولك: « لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب اليوم» . (٨) أى من غير أن يكون الأصل استمراره .

(٩) بيانه أن استمرار الوجود عبارة عن وجود عَقيبَ وجود ، أو لا بد للوجود الحادث من سبب ، أما استمرار العدم فهو عدم لا يحتاج إلى وجود سبب بل يكفيه مجرد انتفاء سبب الوجود ،ويكون الأصل فيه الاستمرار عند الإطلاق . (١٠) هو جواز الأمرين .

(١١) عكس ذلك هو أن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة ، ولا تدل على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام ، وقد سبق بيان ضعف هذه النكتة .

تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتمْ تعلمون ﴾[١] وقوله : ﴿ ولا تُباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ﴾[٢].

وقول امرىء القيس :

أيقتُلنى والمَشرفِىُّ مضاجعــــى ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوالِ[٣]

وقوله :

ليالِىَ يدعونى الهــوى فأجيبه وأعْيُنُ مَنْ أَهْــوَى إلىَّ رَوان[٤]

والخلوُّ منها كـما رواه سيبويه « كلَّمـتُه فوه إلى فىَّ ، ورجع عَوْدُه على بدئه » بالرفع[٥]. وما أنشده أبو على فى الإغفال :

ولولا جَنانُ الليل ما آب عامرٌ إلى جَعْفَــرٍ سرباله لم يُمزَّق[٦]

وقول الآخر :

ما بالُ عينك دمعها لا يَرقأ ؟! [٧]

وقول الآخر :

ثم راحوا عبق المسك بهم[٨]

---

(١) آية ٢٢ سورة البقرة . (٢) آية ١٨٧ سورة البقرة .

(٣) انظر ص ٤٦ ، والشاهد فى قوله « والمشرفىّ مضاجعى » .

(٤) هو لامـرىء القـيس أيضًا ، والروانى: جـمـع رانيـة وهن مـديمات النظر ، والجـار والمجرور قبله متعلق به ، الشاهد فى قوله « وأعين من أهوى إلى روان » .

(٥) أما النصب وهو « فاه إلى فى ، وعوده إلى بدئه » فيكون الحـال فيه مفرداً لا جملة ؛ لأنه يكون كل من « فاه وعَوْده » هو الحال .

(٦) هو لسلامة بن جندل ، وجنان الليل : ظلـمته ، والسربال : القميص وقـد استعاره لنفس عامر أو هو كناية . يعنى أنه لولا ظلمة الليل لقتل ، والشاهد فى قوله: «سرباله لم يمزق» .

(٧) لا يُعلم قائله ، والبال : الحــال ، وقوله : « لا يرقـأ » مأخوذ من : « رقأ الدمع أو الدم » جَفَّ وانقطع . والشاهد فى قوله « دمعها لا يرقأ» .

(٨) هو من قول عمرو بن العبد المعروف بطرفة :

ثم رَاحوا عَبَق المســك بهم يُلحفونَ الأرضَ هدَّاب الأزْر

والعبق : مـصدر « عبق » بمعنى فـاحت رائحتـه ، وهداب الأزر : ما استـرسل منها إلى الأرض فتكون لها كلحاف وغطاء ، والشاهد فى قوله « عبق المسك بهم » . وقبل البيت :

فإذا ما شربوها وانتشوا وهبـــــوا كل أُمونٍ وطِمْر

وأما الثانى[1] ؛ فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة[2] فتحسن زيادة رابط ليتأكد الربط .

وقال الشيخ عبد القاهر[3]: « إن كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجبَ الواو؛ كقولك : « جاء زيد وهو يسرع ، أو وهو مسرع »، ولعل السبب فيه أن أصل الفائدة كان يحصل بدون هذا الضمير؛ بأن يقال « جاءنى زيد يسرع أو مسرعاً »؛ فالإتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال ، فلا يصلح لأن يستقل بإفادة الربط فتجب الواو » . وقال أيضاً : إنْ جعلَ نحو « على كتفه سيف »[4] (بتقديم الظرف) حالاً عن شىء ، كما فى قولنا « جاء زيد على كتفه سيف »؛ كثر فيها أن تجىء بغير واو ، كقول بشار :

إذا أنكرتْنى بلدةٌ أو نكرتها ... خرَجتُ مع البازى علىَّ سوادُ[5]

يعنى : علىَّ بقية من الليل . وقول أبى الصَّلتِ عبد الله الثقفى يمدح ابن ذى يزن : واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... فى رأس غُمدانَ داراً منك محلالا[6]

---

(1) هو كون مجىء الواو أوْلى .

(2) المهم فى هذه النكتة هو ظهور قصد الاستئناف فى الجملة الاسمية؛ أما دلالتها على الثبوت فلا شأن له فى ذلك كما سبق .

(3) ١٣٣ - دلائل الإعجاز .

(4) نحوه كل جملة اسمية خبرها جارٌ ومجرور ومتقدم .

(5) قوله « أنكرتنى أو نكرتها » بمعنى كرهتنى أو كرهتها ، والبازى : الباز؛ وهو ضرب من الصقور ، والشاهد فى قوله « علىَّ سواد » ولكن قد يقال : إن خروجه مع الباز كناية عن تبكيره ؛ وعلى هذا تكون جملة « علىَّ سواد » حالاً مؤكِّدة ، وقد سبق أن أصل الكلام فى الحال المؤسسة .

(6) هو لأبى الصلت عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى ، وقيل : إنه لأمية ابنه ، والأقرب أنه لأبيه ، والمرتفق : الواقف الثابت الدائم أو المتكىء ، وداراً : منصوب به على الظرفية ، وغمدان: قصر باليمن يشمل على دور قصور تحلها ملوكه ، ومحلالاً : بمعنى كثير حلولها لكرم صاحبها . والشاهد فى قوله « عليك التاج » . والخطاب لسيف بن ذى يزن ، وهو الذى أخرج الحبشة من اليمن .

وقول الآخر :

لقد صُيِّرَتْ للذل أعـــــواد منبرٍ تقوم عليها في يديك قضيبُ[1]

ثم قال[2] : والوجه أن يقـدر الاسم في الأمثلة مـرتفعًا بالظرف ؛ فـإنه جائز باتفاق من صاحب الكتاب وأبي الحسن[3] لاعتماده على ما قبله[4] ثم اختار أن يكون الظرف هنا خاصة في تقدير اسم فـاعل ، وجوَّز أيضًا أن يكون في تقـدير فعل ماض مع « قد » ، ومنع أن يكون في تقـدير فعل مضارع ، ولعله إنما اخـتار تقديره باسم فاعل لرجوع الحال حـينئذ إلى أصلها في الإفراد ، ولهذا كثر مجـيئها بلا واو ، وإنما جوَّز التقدير بفـعل ماض أيضًا لمجيئها بالواو قليلاً ، وإنما منع التقـدير بفعل مضارع ؛ لأنه لو جاز التقدير به لامتنع مجيئها بالواو[5] .

ثم قال[6] : وربما يحسن مجيء الاسـمية بلا واو لدخول حـرف على المبتدأ ؛ كما في قوله :

فقلتُ عَسَى أنْ تُبْصريني كأنما بَنِيَّ حواليَّ الأُسُود الحوارد[7]

فإنه لولا دخول « كأن » عليه لم يحسن الكلام إلا بالواو ؛ كقولك : عسى أن تبصريني وبنيَّ حواليَّ الأسود .

---

(١) هو لأبي وائلة بن خليـفة السدوسي في هجـاء عبد الملك بن المهلب . والقـضيب : السيف أو الغصن المقطوع . والشاهد في قوله « في يديك قضيب » .

(٢) ١٤٤ - دلائل الإعجاز .

(٣) صاحب الكتاب : سيـبويه ، وأبو الحسن : هو سعيد بن مسـعدة المعروف بالأخفش الأوسط .

(٤) ما قبله هو صاحب الحال ؛ لأن الظرف يكون على هذا متعلقًا بمحذوف منصوب على الحالية ؛ فيعتمد على صاحبه اعتماد الصفة على موصوفها .

(٥) الحق أنه يجوز تقديره بالمضارع ؛ لأنه لا فرق بينه وبين المفرد في امتناع الواو .

(٦) ١٤٠ - دلائل الإعجاز .

(٧) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب امـرأة عذلته في اعتنائه ببنيه ، وقيل : إنه يقـول ذلك لامـرأته حين قـالت له : ليس لك ولد ، وإن متَّ ورثك قـومك . والحـوارد : الغضاب جمع حارد ، والشاهد في قوله « كأنما بني حوالي إلخ » وحوالي من « بني » .

ثم قال [١] : وشبيه بهذا أن تقع حالاً بعقب المفرد فيلطف مكانها[٢] بخلاف ما لو أفردت[٣] كقول ابن الرومى :

والله يبقيكَ لنا سالما   بُرداك تبجيلٌ وتعظيمُ[٤]

فإنه لو قال « والله يبقيك لنا برداك تبجيل »؛ لم يحسن .

هذا كله إذا لم يكن صاحبها نكرة مقدَّمـة عليها؛ فإن كان كذلك نحو: « جاء رجل وعلى كتفه سيف »؛ وجب الواو لئلا تشتبه بالنعت :

وأما نحو قوله تعالى[٥] : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم ﴾ فقال السكاكى[٦] : الوجه فيـه عندى هو أن ﴿ ولها كتاب معلوم ﴾ حـال لقرية لكونها فى حكم الموصوف نازلة منزلـة « وما أهلكنا قرية من القـرى » لا وصف ، وحمله على الوصف سهـوٌ لا خطأ ، ولا عيب فى السهو لـلإنسان ولا ذام ، والسهو مـا يتنبه له صاحبه بأدنى تنبـيه ، والخطأ ما لا يتنبه له صاحبه أو يتـنبه ولكن بعد تعب . وكأنه عرَّض بالزمخـشرى حيث قال فى تفسيره ﴿ لـها كتاب ﴾ جملة واقعة صـفة لقرية ،

---

(١) ١٤٠ - دلائل الإعجاز .   (٢) أى مكان الاسمية بلا واو .

(٣) يعنى لم تقع عقب مفرد .

(٤) هو لعلى بن العـباس المعـروف بابن الرومى ، والبرد : فى الأصل: ثوب مـخطط ، وقد ثناه هنا باعتبار لفظ التبجيل والتعـظيم وإن كان معناهما واحداً ، وهو يدعو لمدوحه أن يبقى سالماً مـشتمـلا عليه ذلك اشـتمال البـرد على لابسه . والشـاهد فى قوله سالـمًا برداك تبـجيل وتعظيم؛ لأن الأول « حال مفرد » ، والثـانى « جملة اسمية » من غير واو لوقوعـها عقبه . هذا والحق أن طريقة عبـد القاهر فى الجملة الاسمية تنظر إليـها من جهة البلاغة ، أمـا تجويز الأمرين فيها على الإطلاق فهو مذهب علمـاء النحو ، ومثل هذا لا يُعنى به هنا ، بنى عبد القاهر مجىء الواو وتركها فى الجملة الاسمية على قصد الاستئناف وعدمه كما سبق فى الجملة الفعلية ، ولكن الأصل عنده فى الجملة الاسمية أن تكون مبنية على قـصد الاستئناف ، وقد أوجب الواو فيها إذا كانت مبـتدأة بضمير ذى الحال ؛ لأنهـا يقصد منها الاسـتئناف دائماً ، أما غيرها فـيجوز أن تأتى على خلاف الأصل فى الجملة الاسمية ، فـتكون فى تأويل المفرد ؛ نحو: « كلمته فُوه إلى فِيَّ » وكل هذا يجرى على ما يقتضيه حال المخاطب فى الشك والإنكار وغيرهما .

(٥) آية ٤ سورة الحِجْر   (٦) ١٣٥ : المفتاح

والقياس ألاّ يتـوسط الواو بينهما كمـا فى قوله تعالى: ﴿ وما أهلكنا مـن قريةٍ إلا لها منذرونَ﴾[(١)] وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ كما يقال فى الحـال « جاءنى زيد وعليه ثوب » ، « وجاءنى رجُلٌ وعليه ثوب » ، ثم قال السكاكى[(٢)] :

« مَن عرفَ السـبب فى تقديم الحـال إذا أريد إيقاعـها عن النكرة؛ تنبـه لجواز إيقاعها عن النكرة مع الواو فى مثل: « جاءنى رجل وعلى كتفه سيف » ولمزيد جوازه فى قوله عزَّ اسـمه :﴿ وما أهلكنا من قـرية إلا ولها كتـاب معـلوم ﴾ [(٣)] على ما قدَّمتُ .

*واعلم أن السكاكى بنَى كلامه فى الجملة الواقعة حالاً على أصول مضطربة لا يخفى حالها على الفطِن ، لا سيما إذا أحاط علمًا بما ذكرناه وأتقنه ؛ فآثرنا الإعراض عن نقل كلامه والتعرض لما فيه من الخلل ؛ لئلا يطول الكتاب من غير طائل .

* * *

(١) آية ٢٠٨ سورة الشعراء .

(٢) ١٥٠ - المفتاح .

(٣) الحجر : ٤ .

تمرينات على الوصل والفصل

تمرين – ١

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين فى قوله :

جزى اللهُ الشدائد كلَّ خير   عرفتُ بها عدوِّى مِن صديقى

(٢) لماذا وصل الشاعر بين الجملتين فى قوله :

سافرْ تجد عِوَضًا عمَّن تفارقه   وانصَبْ فإن لذيذ العيش فى النَّصَبِ

تمرين – ٢

(١) بيِّن موضع الوصل والفصل فى قوله تعالى آية ١ ، ٢ سورة الكوثر: ﴿ إنا أعطيْناكَ الكوثر ، فصلِّ لربكِ وانحر ﴾ .

(٢) بين الفصل لكمال الانقطاع ولشبه كمال الاتصال فى قوله الشاعر :

قال لى كيف أنت ؟ قلتُ عليلُ   سهرٌ دائم وحُزنٌ طويل

تمرين – ٣

(١) بين سبب الفصل فى موضعيـه من قوله تعالى آية ٢ سورة الرعد: ﴿ يُدبِّر الأمرَ يفُصِّلُ الآياتِ لعلكْم بِلقاء ربِّكم توقِنُون ﴾ .

(٢) لأى جامع وُصِل فى قول الشاعر :

ولستُ بهيَّاب لِمنْ لا يَهابُنى   ولستُ أرى للمرء ما لا يرى ليا

تمرين – ٤

(١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين مع كونهما خبريتين فى قوله :

الفقر فيما جاوزَ الكفافا   مَن اتّقى الله رجا وخافا

(٢) مر أبو بكـر ﷺ برجل فى يده ثوب فقـال له : أتبيع هذا ؟ فـقال : لا

يرحمك الله ، فقال له : لا تقل هكـذا، وقل: ويرحمك الله . فأمره بزيادة « واو » بين لا ، وقوله « يرحمك الله »؛ ليكون وصلاً لا فصلا؛ فما هو السبب فى أمر أبى بكر له بالوصل بين الجـملتين ؟ وهل الوصل يجب فـى ذلك بلاغةً أو نحـواً ؟ وهل الجملة الثانية خبر أو إنشاء ؟ .

تمرين – ٥

(١) لماذا فُصل بين الجملتين فى قول الشاعر :

قُمْ للمعلِّم وفِّه التبجيـــلا   كاد المعلم أن يكون رسولا

(٢) بيِّن سبب الوصل والفصل فى قوله تعالى آية ١١ ، ١٢ ،١٣ سورة المزمل ﴿ واصبـر على ما يقولون واهجـرهم هجراً جمـيلاً ، وذرنى والمكذِّبين أولى النعـمة ومهلهمْ قليلا ، إن لدينا أنكالاً وجحيمًا وطعامًا ذا غُصَّةٍ وعذابًا أليمًا ﴾ .

تمرين – ٦

(١) بين موضع الوصل للتناسب فى الاسـمية والفعليـة ، ولِمَ وصل مع عدمه فى قوله تعـالى آية ١١ سورة سبـأ: ﴿ ولسليمان الريح غـدوها شهرٌ ورواحُهـا شهرٌ وأسلنا له عينَ القطر ومن الجن من يعمل بـين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السَعير ﴾ . وبين لِمَ فُصل فيه الحال أيضًا ؟ .

(٢) لماذا أتت الجملة الحالية من غير واو فى قول الشاعر :

ألا ليتَ شعرى هَلْ أبيتنَّ ليلةً   بمكة حولى إذْخرٌ وجليلُ

(٣) لماذا عطف « يذبحون » فى قوله تعالى : آية ٦ سورة إبراهيم: ﴿ وإذْ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ ولم يعطف فى قوله تعالى آية ٤٩ سورة البقرة ﴿ وإذ نجَّيناكم من آل فرعـون يسومونكـم سوء العذاب يذبحـون أبناءكم ويستحـيون نساءكم ﴾ ؟ .

* * *

الباب الثامن
القول فى الإيجاز والإطناب والمساواة

تعريف السكاكى للإيجاز والإطناب والمساواة :

قال السكاكى[(١)] : «أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيَّين[(٢)] لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق[(٣)] والبناء على شىء عرفى[(٤)] مثل جعْل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم فى التأدية للمعانى فيما بينهم - ولا بد من الاعتراف بذلك[(٥)] - مَقيسًا عليه[(٦)] ولنُسمِّه «متعارَف الأوساط» وأنه فى باب البلاغة لا يُحمَد منهم ولا يُذَمُّ .

فالإيجاز : هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط[(٧)] ، **والإطناب**: هو أداؤه بأكثر من عباراته ، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل »[(٨)] ثم قال[(٩)]: « الاختصار لكونه من الأمور النسبية يُرجَع فى بيان

---

(١) المفتاح - ١٥٠ .

(٢) إنما كانا نسبيين؛ لأن إيجاز الكلام إنما هو بالنسبة إلى كلام أزيد منه ، وإطنابه إنما هو بالنسبة إلى كلام أنقص منه ، وكذلك المساواة نسبية أيضًا .

(٣) يعنى بالتحقيق التعيين ، وإنما لم يتيسر الكلام فيهما إلا بتركه ؛ لأنه لما كان ذلك شأنهما لم يمكن تعيين مقدار من الكلام للإيجاز ومقدار منه للإطناب ، فرُبَّ كلام موجز يكون مطنبًا بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس .

(٤) أى وإلا بالبناء على شىء عرفى وهو ما يعرفه أهل العرف فى الجملة ؛ لأن هذا أقرب شىء يُرجع إليه فى مثل ذلك .

(٥) جملة معترضة ، أى ولا بد من الاعتراف بكلام الأوساط لأن أكثر الناس منهم ، وأوساط الناس هم الذين لم يصلوا إلى رتبة البلاغة ولم ينحطُّوا إلى حال الفهاهة ، فيكون كلامهم صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال فى الكلام .

(٦) أما المقيس فهو الإيجاز والإطناب ، ولا شك أن قياسهما بذلك يعينهما فى الجملة؛ لانضباطه وقلة التفاوت فيه .

(٧) يسمى الإيجاز باسم الإشارة فى بعض كتب البلاغة .

(٨) لم يذكر تعريف المساواة لأنها على ذلك تكون عبارةً عن متعارف الأوساط ، وهو يرى أنه لا فضيلة له لأنه لا يحمد ولا يذم ، فما يحصل من البليغ مساويًا له لا يكون بليغًا مثله لعدم اشتماله على نكتة يعتد بها ، وقيل : إن المساواة من البليغ تعد بليغة إذا اقتضاها المقام بأن يكون من يخاطبه من الأوساط . والحق أنه لا يعتد بمثل ذلك كما سيأتى .

(٩) المفتاح - ١٥٦ .

دعواه[1] إلى ما سبق تارة ، وإلى كون المقام خليقًا بأبسط مما ذُكر أُخرى[2] . وفيه نظر ؛ لأن كون الشيء نسبيًا لا يقتضى ألاّ يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفى[3] ثم البناء على متعارف الأوساط والبسط الذى يكون المقصود جديراً به ردٌّ إلى جهالة[4] فكيف يصلح للتعريف ؟! .

تعريف الخطيب :

والأقرب أن يقال : المقبول من طرق التعبير عن المعنى : هو تأدية الأصل المراد[5] بلفظ مساوٍ له[6] أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه لفائدة ، والمراد **بالمساواة** أن

---

(١) أى مسماه ، مأخوذ من « دعاه بكذا » بمعنى سماه به .

(٢) هذا عندما يكون أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر؛ كقوله تعالى آية ٤ سورة مريم ﴿ رب إنّى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبًا ﴾ هو إيجاز بالقياس إلى ما يقتضيه ظاهر مقام انقراض الشيب من بسط الكلام فيه غاية البسط ، وليس بإيجاز بالقياس إلى متعارف الأوساط فى ذلك ؛ وهو قولهم « يا ربِّ شِخْتُ » بل هو إطناب بالقياس إليه ، وإنما اعتبر فى ذلك أن يكون أقل ما يقتضيه المقام فى الظاهر ؛ لأنه إذا كان أقل مما يقتضيه تحقيقاً لم يكن بليغًا .

(٣) يعنى أن كونه كذلك لا يقتضى تعسر تحقيق معناه ، وأجيب عنه بأنه لا يريد بذلك تعسر بيان معنى الإيجاز والإطناب لأنه بيَّنه بما سبق ،وإنما يريد تعسر تعيين أن هذا القدر إيجاز وذاك إطناب ، وبهذا وجب الرجوع فى بيان معناهما إلى القياس على متعارف الأوساط .

(٤) أجيب عنه بأنه يراد من متعارف الأوساط الكلام الذى تكون فيه الألفاظ على قدر المعانى الأصلية مع صحة الإعراب وعدم مراعاة مقتضى الحال ، ومع هذا لا يكون البناء عليه ردّاً إلى جهالة ، أما المعنى الثانى للإيجاز وهو المبنى على البسط المذكور فالظاهر أنه معنى مجازى له، وليس معنى حقيقيًا يراد به ضبط الإيجاز وتمييزه .

(٥) إضافة أصل إلى المراد بيانية ، وأصل المراد هو المعنى الأول الذى يقصد المتكلم به إفادته للمخاطب ولا يتغير بتغير العبارات واعتبار الخصوصيات .

(٦) على هذا تكون المساواة داخلة فى المقبول من طرق التعبير عن المعنى ، وقد قيل : إن هذا يخالف ما سبق عن السكاكى من أنها لا تحمد ولا تذم ، والحق أنه لا خلاف بين السكاكى والخطيب فى ذلك ؛ لأن ما ذكره السكاكى هو أنها لا تحمد فى باب البلاغة ، وهذا لا ينافى قبولها من أوساط الناس ؛ ولهذا حكم فيما سبق بأنه لا بد من الاعتراف بكلام هؤلاء الأوساط، والخطيب يعنى بالمقبول من طريق التعبير ما يشمل قبول هذا من الأوساط ، ولا يريد به ما يقبل فى البلاغة فقط .

يكون اللفظ بمقدار أصل المراد؛ لا نـاقصاً عنه بحذف أو غـيره ، كما سـيأتى ، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض ، كما سيأتى .

الإخلال : وقولنا « واف » احـتراز عن الإخلال ، وهو أن يكون اللفظ قـاصراً عن أداء المعنى ؛ كقول عُرْوة بن الورد :

عجبتُ لهمْ إذ يقتلون نفوسَهم ومقتلُهم عند الوغى كان أعْذرا(١)

فإنه أراد « إذ يقتلون نفوسهم فى السلم » ، وقول الحارث بن حِلِّزةَ :

والعيشُ خيرٌ فى ظلا لِ النَّوك ممن عاش كدًّا(٢)

فـإنه أراد « العيش الناعـم فى ظلال النوك خيـرٌ من العـيش الشـاق فى ظلال العقل »؛ فأخلَّ كما ترى .

التطويل والحشو :

وقولنا « لفـائدة » احتراز من شيئـين : أحدهما : **التطويل** ؛ وهو ألاّ يتـعين الزائد فى الكلام ؛ كقوله :

وألْفَى قولها كذباً ومَيْنا(٣)

فإن الكذب والمين واحد .

وثانيهما: ما يشتمل على الحشو ؛ **والحشو** ما يتعين أنه الزائد؛ وهو ضربان :

أحدهما : ما يفسد المعنى ؛ كقول أبى الطيب :

---

(١) يعنى بقتلهم نفـوسهم: موتهم على فـراشهم جبنًا عن القتـال ، والوغى : الحرب ، وأفـعل التـفضـيل فى قـوله « أعـذرا » ليس على بابه ؛ لأنـه يريد نفى العـذر عنهم فى قـتلهم نفوسهم .

(٢) النوك : الحمق ، والكد : مصدر « كدّ » إذا اشتد فى العمل .

(٣) هو لعدىّ بن زيد العِبادى من قوله :

وفاجأها وقد جمعتْ جموعًا على أبواب حصن مصلتينَا
وقدَّدتِ الأديم لراهشيْـــــه وألفى قولها كـــذبًا ومَيْنا

وقيل : إنه لعدىّ بن الأبرش ، وقوله : « قـددت » بمعنى قطعت ، وضميره للزباء ملكة تَدمُر ، والأديم : الجلد ، والراهشان : عرقان فى باطن الذراع ، والضمير المضاف إليه لجزيمة بن الأبرش ملك الحيرة وقصتهما معـروفة . وقد روى « كذباً مُبينًا » فلا يكون فيه تطويل ، وقيل : إنه لا تطويل فى الرواية الأُولى ؛ لأن القصد منه التأكيد ، والمقام يقتضيه .

ولا فضلَ فيها للشجاعة والندَى وصبر الفتى لولا لقاءُ شعوبِ[١]

فإن لفظ « الندى » فيه حشو يفسد المعنى ؛ لأن المعنى أنه لا فضل فى الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح فى الشجاعة[٢] دون الندى ؛ لأن الشجاع لو علم أنه يخلدُ فى الدنيا لم يخش الهلاك فى الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف باذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذلُه ؛ ولهذا يقول إذا عوتب فيه : كيف لا أبذل ما لا أبقى له ؟ أنَّى أثق بالتمتع بهذا المال ؟ وعليه قول طرفة :

فإن كنتَ لا تَسْطِيعُ دفع مَنيتى فذرْنى أبادرها بما ملكتْ يدى[٣]

وقول مِهيار :

فكلْ إنْ أكلتَ وأَطْعِمْ أخاكَ فلا الزادُ يبقى ولا الآكلُ[٤]

فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل ، فالشجاعة لولا الموت لم تُحمد ، والندى بالضد ، وأجيب عنه بأن المراد بالندى فى البيت: بذلُ النفس لا بذل المال ؛ كما قال مسلم بن الوليد :

---

(١) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى . والندى : الكرم . وشعوب : عَلَم جنس للمَنية وهى الموت، وقد جر بالكسر لأجل الروى ؛ لأنه مما لا ينصرف فيجر بالفتحة .

(٢) كذلك الصبر لتيقن الصابر زوال المكروه فى العادة على تقدير الخلود : فلا يكون فى صبره فضلٌ أيضًا .

(٣) هو لعمرو بن العبد المعروف بطرفة وقبله :

ألا أيهذا اللائمى أحضر الوغى وأن أحضر اللذات هل أنت مخلدى ؟

والمنية : الموت ، وقوله « ذرنى أبادرها » بمعنى اتركنى أسبقها بالتمتع بمالى قبل أن تحرمنى منه ، وهذا هو معنى قول من يعاتب فى بذل ماله : كيف لا أبذل إلخ .

(٤) هو لمهيار بن مرزويْه الديْلمى . وقوله « إن أكلت » بمعنى إن قدرت على الأكل ، أو التقدير « فكل وأفضل إن أكلت » .

يجود بالنفس إن ضَنَّ الجَوادُ بها   والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ

ورُدّ بأن لفظ « الندى » لا يكاد يُستعمل فى بذل النفس ، وإن استعمل فعلى وجه الإضافة ، فأما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال .

والثانى ما لا يُفسد المعنى كقوله :

ذكرتُ أخـــى فعاودنى   صداعُ الرأس والوَصَبُ [١]

فإن لفظ (الرأس) فيه حشو لا فائدة فيه ؛ لأن الصداع لا يستعمل إلا فى الرأس ، وليس بمفسد للمعنى . وقول زهير :

وأعلمُ عِلمَ اليوم والأمس قبله   ولكننى عنْ عِلْم ما فى غدٍ عَمِى

فإن قوله « قبله » مستغنًى عنه غير مفسد . وقول أبى عدى :

نحن الرءوس وما الرءوس إذا سمَتْ   فى المجـــد للأقوام كالأذْناب[٢]

فإن قوله « للأقوام » حشوٌ لا فائدة فيه مع أنه غير مفسد[٣] .

* واعلم أنه قد تشتبه الحال على الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته فيعد من الزائد على أصل المراد ما ليس منه ، كما مثَّله بعض الناس[٤] بقول القائل :

---

(١) هو لأبى العيال بن أبى عنْترة الخفاجى من قصيدته في رثاء أخ له ، والصداع : وجع الرأس ، والوصب: المرض والوجع الدائم . وأخذ عليه أيضًا أن الذاكر لما فات من محبوب يوصف بألم القلب واحتراقه لا بالصداع .

(٢) هو كما فى « حُسْنِ التوسل » لأبى عدى عبد الله بن عمر بن عبد الله العَبْلى الأموى القرشى ، والمراد بالرءوس: أشراف الناس ورؤساؤهم ، والمراد بالأذناب: سفلتهم . وكان أبو عدى من بنى أمية ملوك المسلمين بعد الخلفاء الراشدين .

(٣) هذا وقد قيد ابن مالك قبحَ الحشو غير المفسد بما ليس فيه بديع ؛ فإن كان فيه بديع حسن ؛ كقول المتنبى :

وخفوقُ قلب لو رأيتِ لهيبه   يا جنتى لرأيت فيه جهنما

فقوله « يا جنتى » حشو ولكنه حسنٌ ؛ لما فيه من المطابقة لجهنم ، والمطابقة من المحسنات البديعية .

(٤) منهم ابن قتيبة ؛ إذ يقول فى هذه الأبيات : إنها كفارغ بندق ، وليس فيها على ضخامة لفظها كبيرُ معنى . فهى عنده من التطويل الذى لا فائدة فيه .

ولَمَّا قضينا مِنْ مِنى كل حاجــة ... ومسَّح بالأركان مَن هو ماســحُ
وشُدَّت على دُهْم المهارى رِحالُنا ... ولَمْ ينظُر الغادى الذى هو رائحُ
أخذنا بأطــــراف الأحاديث بيننا ... وسالتْ بأعناق المَطِىِّ الأباطِحُ(١)

يُبيِّن أنه ليس منه ما ذكره الشيخ عبد القاهر فى شرحه(٢) قال : أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال « ولما قضينا من منى كل حاجة » فعبَّر عن قضاء جميع المناسك فرائضها وسننها بطريق العمــوم الذى هو أحد طرق الاختصار ، ثم نبَّه بقوله « ومسح بالأركان من هو ماسح » على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ودليل المسير الذى هو مــقصــوده من الشعــر ، ثم قال « وشــدت » البيت ، فـوصل بذكر مــسح الأركان مــا وَلِيَـهُ من ذمِّ الركاب وركــوب الركبـان · ثم دل بلفظ « الأطراف » على الصــفة التى تخـتص بها الرفـاق فى الســفر من التـصرف فى فنون القــول وشجــون الحديث، أو ما هو عـادة المتظرفين من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء(٣) وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط ، كما توجبه ألفة الأصحاب ، وأنسة الأحباب ويـليق بحال من وُفِّق لقضاء العـبادة الشريفة ورجـا حسن الإياب ، وتنسَّم روائح الأحبـة والأوطان ، واستماع التـهانى والتحايا من الخـلان والإخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفـة حيث قال « وسالت بأعناق المطى الأباطح » فنبه بذلك على سرعة السير ووطأة الظَّهْر ، وفى ذلك ما يؤكد ما قبله ؛ لأن الظهور إذا كانت وطيئة وكان سيرهــا سهلاً سريعًا زاد ذلك فى نشاط الركبـان ، فـيزداد الحــديث طيبًا ، ثم قال « بأعناق المــطى » ولم يقل بالمطى ؛ لأن السرعـة والبطء فى سير الإبـل يظهران

---

(١) هى لكُثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزَّة ، وقيل : لابن الطثرية ، وقيل : لعقبة ابن كعب بن زهير المعروف بالمضَّرب ، والأركان : أركان الكعبة ، والدُّهم : السود ، والمهارى : جمع مـهرية وهى نوق منسوبة إلى مهـرة ، والغادى: السائر فى أول النهـار ، والرائح : ضده ، والأباطح : جـمع بطحاء وهى مـسيل واسع فـيه رمل ودقـائق الحصى · وقـد ذكر من عـد هذه الأبيات زائدة على أصل المراد أن أصله فيهـا « ولما رجعنا من منى أخذنا فى الكلام » والزائد على هذا فيها تطويل عنده لا فائدة فيه ·

(٢) ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ أسرار البلاغة ·

(٣) فأطراف الحديث جمع طرف وهو مختارها ·

غالبًا فى أعناقها ، ويتبين أمرُهما من هواديها[1] وصدورها ، وسائرُ أجزائها تستند إليها فى الحركة ، وتتبعها فى الثقل والخفة[2] .

* * *

(١) جمع هادية وهى العنق .

(٢) ظاهر كلام عبد القاهر أن الأبيات الثلاثة من الإيجاز ، وقيل : إنها من المساواة ، وكان على الخطيب أن يذكر مقامات الإيجاز والإطناب والمساواة ؛ لأن هذا من أهم ما يُعنى به فى علم المعانى ، ومقام الإيجاز هو مقام الحذف السابق فى المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل ، ومقام الإطناب هو قصد التأكيد أو زيادة الإيضاح أو بسط الكلام حيث الإصغاءُ مطلوبٌ أو نحو ذلك . وللإيجاز مواضع تلائمه كالحكم والأمثال ، وللإطناب مواضع تلائمه كالمدح والفخر والوعظ ، أما مقام المساواة فهو مقام الإتيان بالأصل حيث لا مقتضى للعدول عنه ، وهذه النكتة لا يعتمد بها فى البلاغة كما سبق ؛ ولهذا كانت المساواة غير محمودة ولا مذمومة .

القسم الأول - المساواة

كقوله تعـالى: ﴿ ولا يحيق المكر السيىءُ إلا بأهله ﴾[1] وقوله : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعْرِض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾[2]

وقول النابغة الذُّبيانى :

فإنك كالليل الذى هو مُدرِكى ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ [3]

* * *

(١) آية ٤٣ سورة فاطر ، ولا يقـدح فى عده من المساواة ما فيه من حـذف المستثنى منه ؛ لأن اعتبار الحذف فى ذلك لرعاية الإعراب ولا يفتقر إليه فى تأدية أصل المراد ؛ حتى إنه لو صرح به يكون من الحشو ، نعم يقدح فى عده من المساواة أنه يقع تذييلاً فى آية ﴿ استكباراً فى الأرض ومكر السىء ، ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله ﴾ اللهم إلا أن ينظر فى عـده من المساواة إليه فى ذاته بقطع النظر عـما قبله ، ولكنه إذا نـظر إليه فى ذاته فهـو من القصر الـذى سبق أنه نوع من الإيجاز ، وقد عد الـعسكرى الآية من الإيجاز فى كتاب : « الصناعتين » وقـد قيل : كيف تقع المساواة فى القرآن وهى لا تصل إلى رتبـة البلاغة كما سبق ؟ وأجيب بأن وقـوعها فى موضع من القرآن لا يمنـع اشتمـاله على وجوه أُخـرى من البلاغـة . ولا يخفى ضعـف هذا الجواب ؛ لأنه يشترط فى المساواة أن تكون خاليـة من جميع الاعتبارات البلاغية كمـا سبق فى تعريفها ، والحق أنها نادرة الوقوع فى الكلام البليغ ، وإنما تقع فى كلام الأوساط كما سبق .

(٢) آية ٦٨ سورة الأنعام .

(٣) هو لزياد بن عـمرو المعـروف بالنابغة الذبيـانى ، والخطاب فيـه للنعمـان بن المنذر ، والمنتأى : مكان **الانتباء** وهو البعـد ، وإطلاق السعة عليـه مجاز مـرسل علاقتـه المجاورة ؛ لأن الواسع فى الحقيقـة هو مسافة ما بين المخاطب ومكان البعد الذى لجـأ إليه النابغة ، ولا يقدح فى عد البيت من المساواة ما فيه من حذف جواب الشرط ؛ لأنه تقدير إعراب لا يقدح فيها .

ومما يُعَدُّ من المساواة قول زهير :

ومهما يكنْ عند امرىءٍ من خليقةٍ ... وإنْ خالها تَخْفَى على الناس تُعلمِ

وقول بعضهم :

إذا أنت لم تُقصِرْ عن الجهل والخنا ... أصبتَ حليمًا أو أصابك جاهل

القسم الثانى - الإيجاز

وهو ضربان :

إيجاز القصر :

أحدهما إيجاز القصَر[1] وهو ما ليس بحذف ؛ كقوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاصِ حياةٌ ﴾[2] فإنهَ لا حذف فيه[3] مع أن معناه كثير يزيد على لفظه ؛ لأن المراد بهِ أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتل قُتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى ألاَّ يُقْدِمَ على القتل ، فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثيرٌ من قتل الناس بعضهم لبعض ، فكان ارتفاع القتل حياةً لهم ، وفَضْلُهُ - على ما كان عندهم أوجزَ كلام فى هذا المعنى ؛ وهو قولهم : « القتل أنْفَى للقتل » - من وجوه :

أحدها : أن عدة حروف ما يناظره منه وهو ﴿ فى القصاص حياة ﴾ عشرة فى التلفظ[4] وعدة حروفه أربعة عشر .

وثانيها : ما فيه من التصريح بالمطلوب الذى هو الحياة بالنص عليها ؛ فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصاص .

وثالثها : ما يفيده تنكير (حياة) من التعظيم أو النوعية كما سبق[5] .

ورابعها : اطّراده ، بخلاف قولهم ؛ فإن القتل الذى ينفى القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره .

---

(١) بكسر القاف وفتح الصاد ، وإن كان المشهور فتح القاف وسكون الصاد . وكثرة المعانى مع قصر الألفاظ تأتى من كون اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة ، بل تتنوع دلالته ويدل بالتضمن والالتزام على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

(٢) آية ١٧٩ سورة البقرة .

(٣) أى لم يحذف فيه شيء مما يؤدى به من أصل المراد ، أما متعلق الجار والمجرور بتقديره لرعاية الإعراب فقط .

(٤) هى الفاء واللام والقاف والصاد والألف والصاد والحاء ، والياء ، والألف ، والتاء ، ولم يضف التنوين إليها لسقوطه فى الوقف .

(٥) فى الكلام على تنكير المسند إليه فى الجزء الأول .

وخامسها : سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام ، بخلاف قولهم .

وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ؛ فإن تقديره « القتل أنفى للقتل من تركه »[(١)] .

وسابعها : أن القصاص ضد الحياة؛ فالجمع بينهما طِباق كما سيأتى[(٢)] .

وثامنها : جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال « فى » عليه على ما تقدم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ هُدًى للمتقين ﴾[(٣)] أى هدًى للضالين الصائرين إلى الهدى بعد الضلال[(٤)] وحسَّنَه التوصُّلُ إلى تسمية الشىء باسم ما يئول إليه[(٥)] وإلى تصدير السورة بذكر أولياء الله تعالى ، وقوله : ﴿ أتُنبِّئون الله بما لا يعلم ﴾[(٦)] أى بما لا ثبوت له ولا علم لله متعلق بثبوته نفيًا للملزوم بنفى اللازم[(٧)] وكذلك قوله تعالى: ﴿ ما للظالمين منْ حميمٍ ولا شفيعٍ يُطاعُ ﴾[(٨)] أى لا شفاعة ولا طاعة على أسلوب قوله :

على لاحبٍ لا يُهْتَدَى بمناره[(٨)]

---

(١) قيل : هذا تقدير إعرابى كما فى الآية ، وقيل : إن أفعل التفضيل فيه ليس على بابه فلا يحتاج إلى تقديره ، ولا يخفى ضعف هذا التقدير ، والحقُّ أنه يراد من قولهم إن القتل أنفى للقتل من كل زاجر ، وهذا هو الذى يجب أن يقدَّر لا ما قدَّره الخطيب وهو ليس تقدير إعراب ، وأفعل التفضيل فيه على بابه .

(٢) فى علم البديع .

(٣) آية ٢ سورة البقرة .

(٤) فلا يراد « المتقون » بالفعل لأنهم مهتدون ، وقد يقال : إن الهدى يقبل الزيادة والنقصان ؛ فلا مانع من إرادة المتقين بالفعل .

(٥) فيكون مجازاً مرسلاً .

(٦) آية ١٨ سورة يونس .

(٧) الملزوم الثبوت واللازم العلم .

(٨) آية ١٨ سورة غافر .

(٨) هو لحندج بن حجر المعروف بامرىء القيس من قوله :

على لاحبٍ لا يُهتدى بمناره ... إذا ساقه العَودُ النباطى جَرْجرا

واللاحب : الطريق يمشى على جهة ، والمنارة : ما يجعل عليه من علامة ، وقوله «ساقه» بمعنى شمه، والعود : الجمل المسن ، والنباطى : الضخم منسوب إلى النبط ، وقوله « جرجر » بمعنى : رغا وضج ، وإنما يرغو الجمل لمعرفته ببعد الطريق .

أى لا منار ولا اهتداء ، وقوله :

ولا ترى الضبَّ بها ينجحر[١]

أى لا ضب ولا انجحار .

ومن أمثلة الإيجاز أيضًا قوله تعالى[٢] فيما يخاطب به النبى عليه الصلاة والسلام: ﴿ خُذ العفْو وأمُر بالعُرْف وأعْرِضْ عن الجاهلين ﴾ فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق ؛ لأن قوله ﴿ خذ العفو ﴾ أمرٌ بإصلاح قوة الشهوة[٣] ؛ فإن العفو ضد الجَهْل ؛ قال الشاعر :

خذى العفو مِنّى تستديمى مودَّتى[٤]

أى خذى ما تيسر أخذه وتسهَّل ، قوله : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ أمر بإصلاح قوة الغضب[٥] ، أى أعرض عن السفهاء واحْلُم عنهم ولا تكافئهم على أفعالهم . هذا ما يرجع إليه منها ، وأما ما يرجع إلى أمته فدلَّ عليه بقوله : ﴿ وأْمُرْ بالعرف ﴾ أى بالمعروف والجميل من الأفعال ؛ ولهذا قال جعفر الصادق ﷺ فيما رُوى عنه : أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق ، وليس فى القرآن آيةٌ أجمعُ لها من هذه الآية .

---

(١) هو لأوس بن حجر :

لا يُفزعُ الأرنبَ أهوالُها ولا ترى الضَّبَّ بها يَنجحر

يصف مفازة بأنها غير مطروقة للناس ، فلا يوجد ما يفزع أرنبها ، أو ينجحر به ضبها أى يدخل جحره ، والشاهد فى البيتين ورود النفى على المقيد وقيده معًا ، لا وروده على القيد فقط .

(٢) آية ١٩٩ سورة الأعراف .

(٣) هى قوة النفس تبعث على جانب المنافع ، وإصلاحها بجعلها تطلب ما تيسر لا ما تعسر .

(٤) هو لأسماء بن خارجة الفزارى من قوله :

خذى العفو مِنّى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سَوْرتى حين أَغْضَبُ

يخاطب بذلك امرأته ، وسَوْرَة الشىء : شدته .

(٥) هى قوة النفس تبعث على دفع المضار .

ومنها قول الشريف الرضى :

مالوا إلى شُعَب الرِّحال وأسندوا ... أيدى الطِّعانِ إلى قلوب تخفقُ (١)

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة فى أثناء وصفهم بالغرام عبَّر عن ذلك بقوله « أيدى الطعان » .

ومنها ما كتب عمرو بن مَسْعدة عن المأمون لرجل يُعْنَى به إلى بعض العمال حيث أمره أن يختصر كتابه ما أمكن : « كتابى إليك كتاب واثق بمن كَتَب إليه ، مَعْنِى بمن كُتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حاملُه » .

● **إيجاز الحذف :**

والضرب الثانى إيجاز الحذف؛ وهو ما يكون بحذف ، والمحذوف إما جزء جملة أو أكثر من جملة .

والأول : إما مضاف ؛ كقوله تعالى : ﴿ واسأل القرية ﴾(٢) أى أهلها ، وكقوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتَة ﴾(٣) أى تناوُلها ؛ لأن الحكم الشرعى إنما يتعلق بالأفعال دون الأجرام ، وقوله تعالى : ﴿ حرمنا عليهمْ طيبات أحلت لهم ﴾(٤) أى تناول طيبات أحل لهم تناولها ، وتقدير التناول أوْلى من تقدير الأكل؛ ليدخل فيه شرب ألبان الإبل ؛ فإنها من جملة ما حُرِّمت عليهم ، وقوله تعالى : ﴿ وأنعامٌ حُرِّمت ظهورها ﴾(٥)؛ أى منافع ظهورها وتقدير المنافع أوْلَى من تقدير الركوب ؛ لأنهم حرموا ركوبهم وتحميلها ، وكقوله تعالى : ﴿ لمنْ كان يَرجْو الله ﴾(٦) أى رحمة الله ، وقوله تعالى : ﴿ يخافون ربَّهم ﴾(٧) أى عذاَب ربهم ، وقد ظهر هذان المضافانِ فِى قوله تعالى : ﴿ ويرجون رحمتَه ويخافونَ عذابه ﴾(٨) .

---

(١) هو لمحمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى ، وشعب الرحال : خشبها . وميلهم إليها : كناية عن ارتحالهم وركوبهم عليها ، وقوله « تخفق » بمعنى تضطرب لفراق الأحبة .

(٢) آية ٨٢ سورة يوسف .

(٣) آية ٣ سورة المائدة .

(٤) آية ١٦٠ سورة النساء .

(٥) آية ١٣٨ سورة الأنعام .

(٦) آية ٢١ سورة الأحزاب .

(٧) آية ٥٠ سورة النمل .

(٨) آية ٥٧ سورة الإسراء .

وإما موصوف ؛ كقوله :

أنا ابن جَلا وطلاّع الثنايا[1]

أى أنا ابن رجُلٍ جلا[2]

وإما صفة؛ نحو : ﴿ وكـان وراءهم مَلِكٌ يأخُذ كلَّ سفينة غـصبًا ﴾[3] أى كل سفينة صحيحـة أو صالحة أو نحو ذلك؛ بدليلِ ما قبله[4] وقد جاء ذلك مـذكوراً فى بعض القراءات ؛ قـال سعيد بنُ جـبَير : كان ابن عـباس ﷺ يقرأ ﴿ وكان أمـامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا ﴾ . وإما **شرط** كما سبق[5] .

وإما جواب شرط ، وهو ضربان :

أحدهما : أن يحذف لمجرد الاختصار[6] كقوله تعالى[7] : ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بينَ أيديكم وما خلفكم لعلكم تُرحـمون ﴾ أى أعرضـوا بدليل[8] قوله بعده ﴿ إلا

---

(١) هو لسُحيم بن وَثيل :

أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثنايا   متى أضعِ العمامة تعرفونى

والثنايا : جـمع ثنية وهى الطريق فى أعلى الجـبل أو الطريق الصـعب منه ، ويعنى بكونه طلاعًا للثنايا أنه ركّاب لصعاب الأمور ، والمراد بالعمامة: عـمامة الحرب وهى البيضة ، يعنى أنه متى يضعها على رأسه يعرفوا شجاعته .

(٢) جلا : إما بمعنى انكشف أى منكشف الأمـر ، أو بمعنى « كشفَ الأمور » وهذا مبنى على القول بـجواز حذف مـوصوف الجملـة مطلقًا ، وقيل : إنه لا يجـوز إلا إذا كان بعضَ اسم مجرور بمن أو فى كقولهم « منا ظعن ومنا أقام » أى فريق ظعن وفريق أقام ، وقيل : إن « جلا » عَلم لرجل فلا يكون فيه حذف ، وعلى هذا يكون منقولا عن جملة ، ولهذا لم يصرف .

(٣) آية ٧٩ سورة الكهف .

(٤) هو قوله : ﴿ فأردتُ أنْ أعيبها ﴾ .

(٥) فى آخر باب الإنشـاء من هذا الجزء من تقدير الشرط فى جـواب التمنى والاستـفهام والأمر والنهى .

(٦) هذه نكتة لفظية .   (٧) آية ٤٥ سورة يس .

(٨) قيل : إنه على هذا يكون تقدير الجواب للإعراب كما سبق فى بيت النابغة فيكون من المسـاواة مثله ، وأجـيب بأن جواب الشـرط فى البيت سـابق عليه فـأغْنَى عنه عرفًا ؛ حـتى إن الكوفيين يرون فى مثله أن الجواب هو السابق ، وجواب الشرط فى الآية بخلاف ذلك .

كانوا عنها مُعرضين ﴾ وكقوله تعالى[1] : ﴿ ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبالُ أو قُطِّعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى ﴾ أى لكان هذا القرآن ، وكقوله تعالى[2] : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهدٌ من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ أى ألستم ظالمين ؟ بدليل قوله بعده ﴿ إنَّ الله لا يهدِى القوم الظالمين ﴾ .

والثانى : أن يحذف للدلالة على أنه شىء لا يحيط به الوصف[3] أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن[4] فلا يتصور مطلوبًا أو مكروهًا إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عُين شىء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده[5] كقوله[6] ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا حتى إذا جاءوها وفُتحتْ أبوابهُا وقال لهم خزنتها سلام عليكم طِبْتم فادخلوها خالدين ﴾ وقوله : ﴿ ولو ترى إذ وُقفوا على النارِ ﴾[7] ﴿ ولو ترى إذ وُقِفوا على ربهم ﴾[8] ﴿ ولو ترى إذِ المجرمونَ ناكسُو رءوسهم عندَ ربِّهمْ ﴾[9] .

قال السكاكى رحمه الله [10] « ولهذا المعنى حُذفت الصلة من قولهم : جاء بعد

---

(١) آية ٣١ سورة الرعد . (٢) آية ١٠ سورة الأحقاف .

(٣) هذه النكتة معنوية . وهى أهم مما قبلها ، والمقام الذى يقتضيها قصد المبالغة فى أمر؛ لكونه مرغوبًا فيه أو مرهوبًا منه .

(٤) هذا فى الحقيقة لازمًا لكونه لا يحيط به الوصف ، ولهذا لم يذكر لكل منهما مثالا خاصًا به ، ولكنه عطف « بأو » نظرًا إلى أن مفهومهما مختلف؛ فتارة يقصدهما البليغ معاً ، وتارة يخطر بباله أحدهما فقط .

(٥) قيل : إنهم يقدرونه فى ذلك بما لو صرح به لم تفد هذه النكتة ، كما سيأتى فى نحو قوله تعالى آية ٢٧ سورة الأنعام ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار ﴾ فالتقدير لرأيت أمرًا عظيمًا ، وأجيب بأن هذا تقدير تقريبى ، والجواب الحقيقى شىء مخصوص حذف لإظهار فظاعته .

(٦) آية ٧٣ سورة الزمر ، ويقدر جواب « إذا » بعد قوله ﴿ خالدين ﴾ والتقدير : - لرأوا فيها من النعيم ما لا يحيط به الوصف .

(٧) آية ٢٧ سورة الأنعام .

(٨) آية ٣٠ سورة الأنعام .

(٩) آية ١٢ سورة السجدة . وجواب « لو »فى الآيات الثلاثة : لرأيت أمرًا عظيمًا أو فظيعًا .

(١٠) ١٥٢ - المفتاح .

اللتيَّا والتى[١] أى المشار إليه بهما ، وهى المحنة والشدائد قد بلغت شدتها وفظاعة شأنها مبلغاً يبهَتُ الواصف معه حتى لا يجيب ببنِت شَفَة .

وإما غير ذلك [٢] كقوله تعالى : ﴿ لا يستوى منكم مَن أنفقَ من قبل الفتح وقاتل ﴾[٣] أى ومن أنفق من بعده وقاتل[٤] بدليل ما بعده[٥] .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : ﴿ رب إنى وهَنَ العظمُ منى واشتعل الرأسُ شيبًا ﴾[٦] لأن أصله « يا رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس منى شيبًا » وعدهُ السكاكى من القسم الثانى من الإيجاز على ما فسره[٧]؛ ذاهبًا إلى أنه وإن اشتمل على بسط فإن انقراض الشباب وإلمام المشيب جديران بأبسط منه، ثم ذكر فيه لطائف يتوقف بيانها على النظر فى أصل المعنى ومرتبته الأولى، ثم أفاد أن مرتبته الأولى « يا ربى قد شختُ » فإن الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ، ثم تركت هذه المرتبة لتوخّى مزيد التقرير إلى تفصيلها فى « ضعف بدنى وشاب رأسى » ثم ترك التصريح بضعف بدنى إلى الكناية بـ « وهنت عظام بدنى » لما سيأتى أن الكناية أبلغ من التصريح ، ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ فى التقرير بنيت الكناية على المبتدأ[٨] فحصل « أنا وهنت عظام بدنى » ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ أدخلت « إنَّ » على المبتدأ فحصل « إنى وهنت عظام بدنى » ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه قُصد مرتبة سادسة ، وهى سلوك طريقَى الإجمال والتفصيل ، فحصل « إنى وهنت العظام من بدنى » ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة ؛ وهى ترك

---

(١) اللتيا تصغير التى ، ويكنى بها عن الداهية الكبيرة ، وبالتى عن الداهية الصغيرة وهو مَثل أصله أن رجلا من جَديس تزوج امراة قصيرة فقاسى منها شدائد ، وكان يعبر عنها بالتصغير ، ثم تزوج امرأة طويلة فقاسى منها شدائد أيضًا . فطلقها وقال : بعد اللتيا والتى لا أتزوج أبدًا .

(٢) أى من أجزاء الجملة كالمسند إليه والمسند والمفعول ونحو هذا مما سبق فى أبوابه .

(٣) آية ١٠ سورة الحديد .

(٤) فالمحذوف فى ذلك الواو مع ما عطفت .

(٥) هو قوله : ﴿ أولئك أعظمُ درجةً منَ الذين أنفقُوا مِنْ بعدُ وقاتلُوا ﴾ .

(٦) آية ٤ سورة مريم .

(٧) هو الذى يكون مقامه خليقاً بأبسط مما ذكر فيه - ١٥٥ ، ١٥٦ : المفتاح .

(٨) لأن ذلك من تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى فيفيد تقوية الحكم .

توسيط البـدن ، فحـصل « إنى وهنت العظام منى » ثم لطلب شمـول الوهن العظام فردًا فـردًا قصدت مـرتبة ثامنة ، وهى ترك الجمع إلى الإفـراد لصحة حـصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد[1] فحصل ما ترى[2] وهكذا تركت الحقيقـــة فى « شاب رأسى » إلى الاستعارة فى « اشتعل شيب رأسى » لما سيأتى أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، ثم تركت هذه المرتبة إلى تحـويل الإسناد إلى الرأس وتفسيره بـ «شيبًا» ؛ لأنها أبلغ من جهات :

إحداها : إسناد الاشتـمال إلى الرأس لإفـادة شمول الـشيب الرأس ؛ إذ وزانُ «اشتعل شيب رأسى ، واشتعل رأسى شيـبًا » وزانُ « اشتعل النار فى بيتى ، واشتعل بيتى نارًا » والفرق بيِّنٌ نيِّرٌ .

وثانيها : الإجمال والتفصيل فى طريقَىِ التمييز .

وثالثها : تنكيـر ﴿ شيـبًا ﴾ لإفادة المبالـغة ، ثم ترك « اشـتعل رأسى شـيبًا » لتـوخى مزيد التـقرير إلى « اشـتعل الرأس منى شـيبًا » على نحـو : ﴿ وهن العظم منى﴾ ثم ترك لفظ ﴿ منى ﴾ لقرينة عطف ﴿ اشـتعل الرأس ﴾ على ﴿ وهن العظم منى ﴾ لمزيد التقرير ، وهو إيهام حَوَالة تأدية مفهومة على العقل دون اللفظ .

ثم قال عقب هذا الكلام :

واعلم أن الذى فتق أكمام هذه الجهات عن أزاهير القبول فى القلوب هو مقدمة هاتين الجملتين ، وهى ﴿ رَبِّ ﴾ اختُصرت ذلك الاختصار ؛ بأن حذفت كلمة النداء وهى « يا » وحـذفت كلمة المضـاف إليه وهـى ياء المتكلم ، واقتـصر من مـجمـوع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهى المـنادى ، والمقدمة لكلام كما لا يخفى على من له قدمُ صدْقٍ فـى نهج البلاغة نازلة منزلة الأساس للبناء ، فكـما أن البنَّاء الحاذق لا يرى الأساس إلا بقدر ما يُقدَّر من البناء عليـه ، كذلك البليغ يصنع بمبدأ كلامه ، فمتى رأيته قد اختصر المبدأ فقد آذنك باختصار ما يورد « انتهى كلامه » .

---

(١)يعنى أنه لو قـيل « وهن العظام منى » لصح مع وهن بعـضهـا ؛ لأنه يكفى فى وهَن المجموع وَهَنُ بعضه ، بخلاف ﴿ وهن العظم ﴾ لأن « ال » فيه للاستغراق فلا يخرج منه فرد من الأفراد .

(٢) أى قوله تعالى : ﴿ ربِّ إنى وهن العظم منى ﴾ .

وعليك أن تتنبه لشيء ، وهو أن ما جعله سبباً للعدول عن لفظ العظام إلى لفظ العظم فيه نظر ؛ لأننا لا نسلم بصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد[1] فالوجه في ذكر العظم دون سائر ما تركب منه البدن وتوحيده ما ذكره الزمخشري ؛ قال : إنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، وإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ، ووحَّده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية[2] وقصدُه إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن بعض عظامه ولكن كلها ، واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملته ؛ حتى لا يبقى من السواد شيءٌ أو لا يبقى منه إلا ما لا يعتد به .

والثاني : ـ أعني ما يكون جملةً ـ إما مسبَّبٌ ذُكِر سببه ، كقوله تعالى[3] ﴿ لِيُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطِلَ ﴾ أي فَعلَ ما فعل[4] وقوله : ﴿ وما كنتَ بجانب الطُّور إذْ نادينا ولكن رحمةً من ربِّك ﴾ [5] أي اخترناك ، وقوله : ﴿ ليدخل الله في رحمته من يشاء ﴾[6] أي كان الكف ومنع التعذيب ، ومنه قول أبي الطيب :

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته ... فسرَّهم وأتيناهُ على الهَرَمِ[7]

أي : فساءنا .

---

(١) لأنه إذا كانت « ال » فيه للاستغراق فلا فرق بين دخولها على الجمع ودخولها على المفرد ؛ لما سبقَ من أنه لا فرق بين استغراق الفرد واستغراق الجمع في الإثبات .

(٢) بهذا يكون الحكم على حقيقة العظم وإن لزمه الحكم على أفرادها ، والحكم عليها لأجل إفادة ما ذكره الخطيب من أن قصده إلخ ، أما جمع العظام فيجعل الحكم على الأفراد من أول الأمر ، وتفوت به إفادة ذلك .

(٣) آية ٨ سورة الأنفال .

(٤) يجوز تعليق قوله : ﴿ ليحق ﴾ بيقطع من قوله قبله ﴿ يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابرَ الكافرين ﴾ فلا يكون فيه حذف .

(٥) آية ٤٦ سورة القصص .

(٦) آية ٢٥ سورة الفتح .

(٧) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي ، والضمير في « بنوه » للزمان وأضافهم إليه لإقباله عليهم ، وشبيبته : أوله وهو مقبل ، وهرمه : آخره وهو مدبر .

أو بالعكس[1] كقوله تعالى[2] : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتابَ عليكم ﴾ أى فامتثلتمْ فتاب عليكم ، وقوله : ﴿ فقلنا اضربْ بعصاك الحجر فانفجرتْ ﴾[3] أى فضربه بها فانفجرت ، ويجوز أن يقدَّر « فإن ضربتَ بها فقد انفجرت »[4] .

أو غير ذلك[5] كقوله تعالى[6] : ﴿ فنعْمَ الماهدون ﴾ على ما مر[7] .

والثالث[8] كقوله تعالى[9] : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى﴾ أى فضربوه ببعضها فحيي فقلنا ﴿ كذلك يحيى الله الموتى ﴾ وقوله : ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسفُ ﴾[10] أى فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ، فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يا يوسف ، وقوله : ﴿ اذهبا إلى القوم الذين كذَّبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرًا ﴾[11] . أى فأتياهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم ، وقوله : ﴿ فأْتيا فرعون فقولا إنّا رسولُ رب العالمين * أن أرسل معنا بنى إسرائيل * قال ألَم نُربِّك ﴾[12] . أى فأتياه فأبلغاه ذلك ، فلما سمعه قال ﴿ ألم نربك ﴾ . ويجوز أن يكون التقدير : فأتياه فأبلغاه ذلك ، ثم يقدر : فماذا قال ؟ فيقع قوله ﴿ ألم نربك ﴾

---

(١) عكسه سبب ذكر مسببه .

(٢) آية ٥٤ سورة البقرة .

(٣) آية ٦٠ سورة البقرة .

(٤) فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط وأداته ، وإنما قدر « قد » فى الجواب لأجل الفاء ، ولكن يلزم على مثل هذا التقدير أن يكون الجواب ماضيًا لفظًا ومعنى مع أن الشرط مستقبل فى المعنى . اللهم إلا أن يكون ذلك على معنى فقد حكمنا بأنها انفجرت .

(٥) أى غير المسبب والسبب . (٦) آية ٤٨ سورة الذاريات .

(٧) فيكون التقدير « هم نحن أو نحن هم » وهذا على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر ، بخلاف قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره ، فإن المحذوف عليه فى الآية جزء جملة .

(٨) هو ما يكون أكثر من جملة .

(٩) آية ٧٣ سورة البقرة .

(١٠) آية٤٥ ، ٤٦ سورة يوسف .

(١١) آية ٣٦ سورة الفرقان .

(١٢) آية ١٦ ، ١٧ ، ١٨ سورة الشعراء .

استئنافاً ، ونحوه قوله : ﴿ اذْهَبْ بكتابىَ هذا فألقهْ إليهمْ ثُمَّ تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يا أيها الملأ ﴾[1] أى ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلا سأل فقال : فماذا قالت ؟ فقيل : ﴿ قالت يا أيها الملأ ﴾ وأما قوله تعالى[2] : ﴿ ولقد آتينا داودَ وسُليمانَ علْمًا وقالا الحمدُ لله ﴾ فقال الزمخشرى فى تفسيره : هذا موضع الفاء ، كما يقالَ « أعطيته فشكر ومنَعته فصبر » ، وعطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعضُ ما أحدث فيهما العلم ، كأنه قال : فعملا به وعلما وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة ﴿ وقالا الحمد لله ﴾ وقال السكاكى[3] : يحتمل عندى أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعمّا قالا؛ كأنه قال: نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتماداً على فهم السامع[4] كقولك « قم يدعوك » بدل : قم فإنه يدعوك .

واعلم أن الحذف على وجهين :**أحدهما** : ألاّ يُقام شيء مُقام المحذوف كما سبق[5] . **والثانى** : أن يقام مقامه ما يدل عليه ؛ كقوله تعالى[6] : ﴿ فإن تولوا فقد أبلغتُكم ما أُرسلتُ به إليكم ﴾ ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ؛ والتقدير « فإن تَولوا فلا لوم علىَّ لأنى قد أبلغتكم » ، أو فلا عذر لكم عند ربكم لأنى قد أبلغتكم . وقوله: ﴿ وإن يُكذبوك فقد كُذِّبَتْ رسلٌ منْ قبلك ﴾[7] أى فلا تحزن واصبر فإنه قد كذبت رسل من قبلك، وقوله: ﴿وإن يعودوا فقد مضت سُنَّةُ الأولين ﴾[8] أى فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين[9] .

وأدلة الحذف[10] كثيرة: منها أن يدل العقل على الحذف والمقصودُ الأظهر[11]

---

(١) آية ٢٨ ، ٢٩ سورة النمل .

(٢) آية ١٥ سورة النمل .

(٣) ١٥١ : المفتاح .

(٤) على هذا لا يكون فيه حذف .

(٥) فيكفى فيه القرينة الدالة عليه ، والأمثلة السابقة كلها على هذا الوجه .

(٦) آية ٥٧ سورة هود . (٧) آية ٤ سورة فاطر .

(٨) آية ٣٨ سورة الأنفال .

(٩) أى فإنه قد قضت سنتهم ، كما صنع فى الآيتين السابقتين .

(١٠) يعنى الحذف الذى لا يقام فيه شىء مقام المحذوف، لأنه هو الذى يحتاج إلى ذلك ، بخلاف الحذف الذى يقام فيه شىء مقام المحذوف ، فإن ما يقام مقامه يدل عليه .

(١١) أى بحسب العرف المقرر فى استعمال الكلام .

على تعيين المحذوف ، كقوله تعالى[1] : ﴿ حُرِّمَتْ عليكم الْمَيْتَةُ والدمُ ولحمُ الخنزيرِ ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عليكم أمهاتُكم ﴾ الآية [2] فإن العقل يدل على الحذف لما مر[3] والمقصود الأظهر يرشدك إلى أن التقدير : حرم عليكم تناول الميتة وحرم عليكم نكاح أمهاتكم ؛ لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن .

ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين ؛ كقوله : ﴿ وجاءَ ربُّك ﴾[4] أى أمر ربك أو عذابه أو بأسه ، وقوله ﴿ هل ينظرونَ إلاّ أن يأتيهمُ اللهُ فى ظُللٍ من الغمام ﴾[5] أى عذاب الله أو أمره .

ومنها أن يدل العقلُ على الحذف والعادةُ على التعيين[6] كقوله تعالى[7] حكايةً عن امرأة العزيز : ﴿ فذلكُنَّ الذى لُمْتُنَّنِى فيه ﴾ دل العقل على الحذف لأن الإنسان إنما يلام على كسبه ، فيحتمل أن يكون التقدير : فى حبه ، لقولهنَّ [8] : ﴿ قدْ شَغَفها حبًّا ﴾ وأن يكون : فى مراودته ، لقولهن : ﴿ تُراودُ فتاها عنْ نفسه ﴾ وأن يكون : فى شأنه وأمره فيشملهما ، والعادة دلت على تعيين المراودة ؛ لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه فى العادة لقهره صاحبه وغلبته ، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها عن نفسه .

ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى[9] : ﴿ لوْ نعلمُ قتالاً لاتَّبعناكم ﴾ مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب ، فكيف يقولون إنهم لا يعرفونها ، فلا بد من حذفٍ ؛ قدَّره مُجاهدٌ رحمه الله ؛ مكان قتال ، أى إنكم تقاتلون فى

---

(١) آية ٣ سورة المائدة .

(٢) آية ٢٣ سورة النساء .

(٣) من أن التحريم يتعلق بالأفعال لا بالذوات .

(٤) آية ٢٢ سورة الفجر . (٥) آية ٢١٠ سورة البقرة .

(٦) المراد بالعادة الأمر المقرر فى نفسه من غير نظر إلى دلالة الكلام عليه عرفًا ، كتقرر كون الحب المفرط لا يلام عليه ، وبهذا تفترق دلالة العادة على التعيين عن دلالة المقصود الأظهر عليه .

(٧) آية ٣٢ سورة يوسف .

(٨) آية ٣٠ سورة يوسف وكذلك ما بعده .

(٩) آية ١٦٧ سورة آل عمران .

موضع لا يصلح للقتال ويُخشى عليكم منه ، ويدلُّ عليه أنهم أشاروا[1] على رسول الله ﷺ ألاَّ يخرج من المدينة وأنَّ الحزم البقاء فيها .

ومنها الشروع فى الفعل ؛ كقول المؤمن « بسم الله الرحمن الرحيم » كما إذا قلت عند الشروع فى القراءة « بسم الله » فإنه يفيد أن المراد « بسم الله أقرأ » ، وكذا عند الشروع فى القيام أو القعود أو أىّ فعل كان ، فإن المحذوف يُقدَّر ما جُعلتْ التسميةُ مبدأ له[2] .

ومنها اقتران الكلام بالفعل[3] فإنه يفيد تقديره ؛ كقولك لمن أعرس : « بالرِّفاء والبنين » فإنه يفيد : بالرفاء والبنين أعرست .

* * *

---

(١) الضمير فى هذا وفيما قبله للمنافقين المتخلفين عن غزوة أُحُد .

(٢) الحق أن الشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والذى يدل على الحذف هو أن الجار والمجرور لا بد لهما من متعلَّق ، وهذا يرجع إلى العقل لا إلى الشروع فى الفعل .

(٣) هو كالشروع فى الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط ، والعقل هو الذى يدل على الحذف كما دل عليه فى الشروع الفعل .

هذا وكل ما ذكره من الأدلة يدخل فى نوع القرائن الحالية ، وهناك أدلة أخرى منها القرائن اللفظية ، وهى أكثر وقوعًا من غيرها ، وقد سبقت أمثلتها فى أقسام الإيجاز بالحذف .

وهذه أمثله شعرية لبعض ما سبق من الإيجاز :

أرى بصرىْ قد خاننى بعد صحَّة ... وحسبك داءً أنْ تصحَّ وتَسْلَما

وإنْ هو لَم يُحْملْ على النفس ضَيْمَهَا ... فليس إلى حُسْن الثناء سبيلُ

الأمُّ مدرسة إذا أعددتها ... أعددتَ شعبًا طَيِّبَ الأعراقِ

القسم الثالث : الإطناب

أقسام الإطناب : الإيضاح بعد الإبهام وفروعه : وهو إما بالإيضاح بعد الإبهام ؛ ليُرى المعنى فى صورتين مختلفتين ، أو ليتمكن فى النفس فضلَ تمكن فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام ، تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فتتوجه إلى ما يَرِد بعد ذلك ، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن ، وكان شعورها به أتم ، أو لتكمل اللذة بالعلم به ، فإن الشىء إذا حصل كمالُ العلم به دفعةً لم يتقدم حصولَ اللذة به ألمٌ ، وإذا حصل الشعور به من وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة ، وبسبب حرمانها من الباقى ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى ، واللذة عَقيب الألمٌ أقوى من اللذة التى لم يتقدمها ألم ، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه ؛ كقوله تعالى[1] : ﴿ قال ربِّ اشرحْ لى صدرى * ويسِّرْ لى أمرى ﴾ فإن قوله : ﴿ اشرح لى ﴾ يفيد طلب شرح لشىء ما له[2] وقوله ﴿ صدرى ﴾ يفيد تفسيره وبيانه[3] وكذلك قوله : ﴿ ويسِّرْ لى أمرى ﴾ والمقام مقتضٍ للتأكيد ، للإرسال[4] المؤذن بتلقى المكاره والشدائد ، وكقوله تعالى[5] : ﴿ وَقضيْنا إليه ذلك الأمرَ أنْ دابرَ هؤلاء مقطوعٌ مُصْبِحِيْنَ﴾ ففى إبهامه[6] وتفسيره تفخيمُ الأمر وتعظيمٌ له .

---

(١) آية ٢٥ ، ٢٦ سورة طه .

(٢) لأن قوله ﴿ اشرح لى ﴾ فى تقدير : اشرح شيئًا لى ، ويجوز تعليق « لى » باشرح ، فلا يكون فيه شاهد ، وهو الظاهر .

(٣) لو لم يطنب بهذا لقال « اشرح صدرى » ، والإطناب فى الآية يفيد ما سبق من الأغراض بقطع النظر عن كونه المخاطب به الله .

(٤) أى فى قوله قبله : ﴿ اذهب إلى فرعونَ إنه طغى ﴾ واللام فى « الإرسال » للتعليل .

(٥) آية ٦٦ سورة الحجر .

(٦) أى إبهام الأمر ، وتفسيره بالمصدر المنسبك من « أن » واسمها وخبرها لأنه عطف بيان أو بدل ، ولو لم يطنب لقال : « وقضينا إليه أن دابر إلخ » .

ومن الإيضاح بعد الإبهام باب « نعم وبئس » على أحد القولين[1] إذ لو لم يُقْصَد الإطناب لقيل : « نعم زيد وبئس عمرو » [2] ووجهُ حسنه سوى الإيضاح بعد الإبهام أمران آخران :

أحدهما : إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظرًا إلى إطنابه من وجه وإلى اختصاره من آخر ، وهو حذف المبتدأ فى الجواب[3] .

والثانى : إبهام الجمع بين المتنافيين[4] .

ومنه التوشيع ، وهو أن يؤتَى فى عَجُز الكلام بمثنى مفسَّر باسمَيْنِ أحدهما معطوف على الآخر[5] كما جاء فى الخبر : « يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان : الحرصُ وطولُ الأمل » ، وقول الشاعر :

سقتْنىَ فى ليلٍ شبيهٍ بشعرها   شبيهةَ خدَّيها بغير رقيب

فما زلتُ فى ليلَيْنِ : شَعْرٍ وظُلْمَةٍ   وشمسين : من خَمْرٍ ووجهِ حبيبِ[6]

وقول البحترى :

لَمَّا مشينَ بِذِى الأراك تشابهتْ   أعطافُ قضبانٍ به وقدود

(١) هو قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، ومثله قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر ، أما قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره فلا يكون عليه من الإيضاح بعد الإبهام ؛ لأن المخصوص فيه مقدم فى التقدير .

(٢) الصواب « نعم الرجل وبئس الرجل » لأن فاعلهما يجب أن يكون بال أو مضافًا إلى ما فيه « ال » أو ضميراً مفسَّراً بتمييز .

(٣) لأنها جملة استئنافية واقعة فى جواب سؤال مقدر كما سبق فى الوصل والفصل .

(٤) هما الإيجاز بحذف المبتدأ والإطناب بالإيضاح بعد الإبهام ، وإنما كان ذلك إبهامًا لأنه لا تنافى بينهما فى الحقيقة لعدم اتحادهما من كل وجه .

(٥) تقييدُ الإتيان بكونه فى عجز الكلام وكونه بمثنى غيرُ صحيح ؛ لأن التوشيع قد يأتى فى أول الكلام وفى وسطه ، وقد يكون فى الجمع ، هذا والتوشيع مأخوذ من الوشيعة وهى الطريقة فى البُرْد . فكأن الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره فأتى فيه بطريقة تعد من المحاسن ، ولهذا يعدُّه بعضهم من أنواع البديع .

(٦) هما لعبد الله بن المعتز ، وشبيهة خديها : الخمر فى إشراقها ، والرقيب هو الذى يرقبهما ليكدر صفوهما ، والشاهد فى قوله : (فى ليلين) وفى قوله : (وشمسين) .

في حلّتَيْ حبرٍ وروض فالتقـــى   وشيان : وَشْيُ رُبًى ووشْيُ بُرُود
وسفرنَ فامتلأت عيونٌ راقهـــا   وَرْدان : ورد جنى وورد خدود[1]

ذكر الخاص بعد العام : وإما بذكر الخاص بعد العام[2] للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات؛ كقوله تعالى : ﴿ من كان عدواً لله ومـلائكته ورُسُله وجبْريلَ وميكالَ﴾[3] وقوله تعـالى : ﴿ ولتكنْ منكم أمـة يدعـونَ إلى الخيـر ويأمـرون بالمعـروف وينهـون عن المنكر ﴾[4] وقوله: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاةِ الوُسْطَى ﴾[5] .

التكرير : وإما بالتكرير ، لنكتـة ؛ كتأكيد الإنذار فـى قوله تعالى[6] : ﴿ كلا سوف تعلمون * ثم كلاّ سـوف تعلمونَ ﴾ وفى « ثم » دلالة على أن الإنـذار الثانى أبلغ وأشد[7] وكزيادةِ التنبيه على ما ينفى التهـمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول كما فى قوله تعالى[8] : ﴿ وقال الذى آمن يا قـومِ اتبعونِ أهدكم سبـيل الرشاد . يا قومِ إنما

---

(١) هى للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى ، وذو الأراك موضع ، والأعطاف جمع عطف وهو الجنب ، والقضبـان: الأغصان ، والقدود : القامات ، قوله « فى حلتـى » متعلق بمحذوف تقديره « مشين » بدليل ما قبله ، والحلة كل ثوب جديـد أو الثوب عموماً ، والحبر . ضرب من برود اليمن ، والوشى: النقش ، والربـى : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض ، ووشيـها : نبتها ، والبـرود جمع برد وهو ثوب مخطط وقوله « سفرن » بمعنى أظهـرن الوجوه معطوف على مشين المحذوف فى البـيت قبله ، والجنى مصدر « جنى الثمر » تناوله مـن شجرته ، وورد خدود من إضافة المشبـه به للمشبه ، والشاهد فى قوله (وشيـان) فى البيت الثانى وفى قوله (وردان) فى البيت الثالث .

(٢) يجب أن يكون هذا بطريق العطف ، وإلا كان من باب الإيضاح بعد الإبهام .

(٣) آية ٩٨ سورة البقرة .   (٤) آية ١٠٤ سورةِ آل عمران .

(٥) آية ٢٣٨ سورة البقرة .

(٦) آية ٣ و ٤ سورة التكاثر .

(٧) سبق فى الوصل والفصل أن الزمخشرى جعله تأسـيساً لا تأكيداً ليصح عطفه على ما قبلـه ، ولكن هذا لا يمنع أنه مع مغـايرته له يفيـد تأكيـده ؛ لأنه يكفى فيـه التكرير فى اللفظ ، والتغـاير بينهما ليس إلا بأن الثـانى أبلغ فى الإنذار ، وقـد نزل فى ذلك بعد المرتبـة منزلة بعد الزمان ، واستعملت فيه « ثم » للدلالة على التدرج فى الارتقاء .

(٨) آية ٣٨ و ٣٩ سورة غافر .

هذه الحياة الدنيا متاعٌ ﴾ وقد يكرر اللفظ لطول فى الكلام ؛ كما فى قوله تعالى[١] : ﴿ ثم إنَّ ربك للذين عَمِلوا السُّوءَ بجهالة ثم تابوا منْ بعد ذلك وأصلحوا إنَّ ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وفى قوله تعالى[٢] : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعـد ما فُتِنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴾ وقد يكرر لتعدد المتعلق ؛ كما كرره الله تعالى من[٣] قوله : ﴿ فبـأى آلاء ربكما تكذبان ﴾[٤] لأنه تعالى ذكر نعمةً بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول[٥] ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عـقيب نعمة أخرى ، فإن قيل : قد عـقب بهذا القول ما ليس بنعمـة ، كما فى قوله : ﴿ يُرسَل عليكمـا شواظ من نار ونحاسٌ فلا تنـتصران ﴾[٦] وقـوله : ﴿ هذه جهنم التى يُكذبُ بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آنٍ ﴾[٧] قلنا : العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى فإن ذكرهما ووصفهما - على طريق الزجـر عن المعاصى والتـرغـيب فى الطاعات - من آلائه تعـالى[٨] . ونحوه قوله: ﴿ ويلٌ يومئذ للمكذبين ﴾[٩] لأنه تعالى ذكر قصصًا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل يؤمئذٍ للمكذبين بهذه القصة .

(**والإيغال**) : وإما بالإيغال ، واختُلف فى معناه ، فـقيل : هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ؛ كزيادة المبالغة فى قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتَمُّ الهداةُ به   كأنه علمٌ فى رأسه نارُ[١٠]

---

(١) آية ١١٩ سورة النحل .   (٢) آية ١١٠ سورة النحل .

(٣) من : بيان لما فى قوله « كما كرره » لأنها اسم موصول .

(٤) آية ١٣ سورة الرحمن .

(٥) أى قوله : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ .   (٦) آية ٣٥ سورة الرحمن .

(٧) آية ٤٣ ، ٤٤ سورة الرحمن .

(٨) يمكن أن يجاب أيضًا بأن الاستفهام فى قوله ﴿ فبأى آلاء ﴾ ليس استفهامًا حقيقيًا عن نعمة سابقة ، وإنما هو تهديد على جهة نعمه مطلقًا ، فتكون مناسبته لما قبله من ترهيبٍ أقوى من غيره .

(٩) آية ١٥ سورة المرسلات .

(١٠) هو لتُمـاضِرَ بنت عمـرو المعروفة بـالخنساء ، وقـولها « لَتأتم » بمـعنى لتقـتدى ، والهداة: الذين يهدون الناس ، وإذا اقـتدت الهداة به فالمهتـدون بهم من باب أولى . وهذا البيت من قصيدة لها فى رثاء أخيها صخر .

لم ترض أن تشبهَّه بالعلَم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت فى رأسه ناراً(١) وقول ذى الرُمَّة :

قفِ العيس فى أطلال ميَّةَ واسألِ رسومًا كأخلاق الرِّداء المسلسلِ(٢)

أظن الذين يُجدى عليك سؤالها دموعًا كتبذير الجمان المفصَّل(٣)

وكتحقيق التشبيه(٤) فى قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحُلِنا الجزْعُ الذى لم يُثقَّبِ(٥)

فإنه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة فى قوله « لم يثقب » لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون . ومثله قول زهير :

كأن فُتاتَ العِهن فى كل مَنزل نزلْنَ به حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ(٦)

فإن حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن ، فهو لا يشبه الصوف الأحمر إلا ما لم يحطم . وكذا قول امرىء القيس :

---

(١) فقولها « فى رأسه نار » محل الشاهد ؛ لأن قوله « كأنه علم » وافٍ بالمقصود وهو تمثيل المعقول بالمحسوس ، فزيد عليه ذلك لزيادة المبالغة فى التشبيه .

(٢) هو لغَيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة ، والعيس : الإبل يخالط بياضَها سوادٌ خفيفٌ جمع أعْيس ، والأطلال : جمع طَلل وهو الشاخص من الآثار بخلاف الرسوم ، والأخلاق : جمع خَلق وهو البالى ، والمسلسل : الردىء النسج .

(٣) قوله « يجدى » بمعنى يعطى ويفيد ، وعائد الموصول محذوف والتقدير : يجديه ، والتبذير: التفريق ، والجمان المفصل : اللؤلؤ المنظم . يعنى أنها لا تجيب سؤاله ، فيبكى لأنه لم يعلم مكان محبوبته ، وزيادة المبالغة بالوصفين (المسلسل والمفصل) .

(٤) المراد به إثبات التساوى بين الطرفين ، وبهذا يختلف عن زيادة المبالغة فى بيت الخنساء؛ لأن الغرض منها بيان علو المشبه به فى وجه الشبه ليعلو المشبه الملحق به .

(٥) هو لحندج بن حُجر المعروف بامرىء القيس ، والمراد بالوحش: الظباء وبقر الوحش التى يصيدونها ويرمون عيونها حول خبائهم ، والخباء: ما كان من وبر أو صوف لا شعر وقام على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق هذا يقال له بيت ، والأرحل : جمع رحل وهو المنزل والمأوى . والجزع : خرز فيه سواد وبياض على شكل دوائر .

(٦) سبق هذا البيت فى ص ١٠٢ من هذا الجزء .

حَمَلْتُ رُدَيْنِياً كأنَّ سنانه سَنَا لهبٍ لم يتصِلْ بدُخَانِ[1]

كما سيأتى[2] .

وقيل : لا يختص بالنظم ، ومثِّل بقوله تعالى[3] ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون ﴾ .

(التذييل) : وإما بالتذييل وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها[4] للتوكيد[5] **وهو ضربان** :

* ضرب لا يخرج مَخرج المَثَل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله ، كقوله تعالى : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجازى إلا الكفور ﴾[6] إنْ قلنا : إن المعنى وهل نجازى ذلك الجزاء[7] وقال الزمخشرى : وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عامٌّ لكل مكافأة ، ويستعمل تارة فى معنى المعاقبة ، وأُخرى فى معنى الإثابة ، فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله : ﴿ جزيناهم بما كفروا ﴾ بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل : ﴿ وهل نجازى إلا الكفور ﴾ بمعنى وهل نعاقب[8] ، فعلى هذا يكون من الضرب الثانى[9] .

---

(١) هو لحندج بن حُجر المعروف بامرىء القيس ، والرديني: رمح منسوب إلى رُدَينة وهى امرأة كانت تقوِّم الرماح ، وسنا اللهب : ضوءه ، والشاهد فى قوله « لم يتصل بدخان » .

(٢) فى التشبيه من علم البيان .

(٣) آية ٢١ سورة يس فقوله ﴿ وهم مهتدون ﴾ إيغال ؛ لأنه يتم المعنى بدونه لاهتداء الرسل قطعًا ،والغرض منه زيادة الحث على اتباعهم .

(٤) المراد باشتمالها على معناها: إفادتها بفحواها لما هو مقصود من الأُولى لا دلالتها عليه بالمطابقة ، إن هذا هو التكرير السابق،ويشترط فى الجملة الثانية ألاّ يكون لها محل من الإعراب ، وقيل : إن هذا غير شرط ، والفرق بين التذييل والإيغال : أن التذييل لا يكون إلا بجملة ويقصد منه التوكيد خاصة ، بخلاف الإيغال .

(٥) المراد بالتوكيد هنا معناه اللغوى وهو التقوية ، أما التوكيد فى التكرير السابق فهو بمعناه الاصطلاحى .

(٦) آية ١٧ سورة سبأ .

(٧) أى السابق وهو جزاء الاستئصال لوروده فى أهل سبأ الذين استئصلوا بالعقوبة ، فهو جزاء خاص بخلافه على ما سينقله عن الزمخشرى .

(٨) فالجزاء بمعنى العقاب عام هنا بخلافه على الوجه الأول .

(٩) لاستقلاله عما قبله . وقيل : إنه على هذا من الضرب الأول أيضًا .

وقول الحماسى :

فدعَوْا : نَـــزالِ ، فكنتُ أوَّلَ نازل وعَلامَ أركَبُـــهُ إذا لم أنزلِ[1]

وقول أبى الطيب :

وما حاجةُ الأظعانِ حولك فى الدُّجى إلى قمرٍ ما واجـدٌ لك عادمُهْ[2]

وقوله أيضًا :

تُمسِى الأمانى صَـــرْعَى دون مَبلغهِ فما يقول لشىء : لَيتَ ذلك لى[3]

وقول ابن نباتة السعدى :

لم يُبق جودُك لى شيئًـــا أؤمِّلهُ تركْتَنى أصحبُ الدنيـا بلا أمل[4]

قيل : نظر فـيه إلى قـول أبى الطيب ، وقـد أربى عليـه فى المدح والأدب مع الممدوح؛ حيث لم يجعله فى حيز من تمنى شيئًا[5] .

---

(١) هو لربيـعة بن مـقروم الضـبى ، وقولـه « نزال » اسم فعل أمـر بمعنى أنزل ، والمراد النزول إلى الحرب ، والتذييل بقوله : « وعلام الخ » .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، و « مـا » نافية ، والأظعان جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج ، والدجى: جـمع دجية وهى الظلمة ، وعادمـه: فاقده ، والمعنى: أنهن لا يحتجن فى الدجى إلى قمر مع وجودها لأنها تقـوم مقامه ، والتذييل بقوله : « ما واجد لك عادمه » و « ما » فيه مصدرية ظرفية ، وواجد خبر مقدم ، وعادمه مبتدأ مؤخر .

(٣) الأمانى: جمع أمنية وهى ما يتمنـى ويطلب ، وصرعى: جمع صريع من « صرعه » بمعنى طرحه على الأرض ، وقـوله « دون مبلغه » بمعـنى دون بلوغها له يعنى أن ممدوحـه سيفَ الدولة لا يحتاج أن يتمنى شيئًا لأنه لاينقصه شىء . والتذييل : بقوله: « فما يقول » إلخ .

(٤) هو لعبـد العزيز بن عمر بن مـحمد بن أحمد بن نبـاته التميمى السـعدى. وهذا هو نسبه فى « وفيات الأعيان » وفى « اليتيمة » أنه عـبد العزيز بن محمد بن نباتة ، ووفيات الأعيان أدق فى باب النسب ، وقوله « أصحب الدنيا » بمعنى أعيش فيها ، أو هى استعارة بالكناية بتشبيه الدنيا برجل يصاحب .

(٥) فهو لم يجعل لمـدوحه أمانى ، أما أبو الطيب فقد جعل لمدوحـه أمانى وإن جعلها غيـر متعـذرة عليه ، ويجوز أن تكون الأمـانى فى بيته بمعناها المـصدرى وأن يكون قـوله « دون مبلغه » بمعنى دون بلوغها له ، فلا يكون ممدوحه أيضًا فى حيِّز من تمنى شيئًا.

* وضربٌ يخرج مَخرج المثل ؛ كقوله تعالى : ﴿ وقل جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقًا ﴾ [1] وقول الذبيانى :

ولســـــتَ بمستبْقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ ، أىُّ الرجال المهذبُ؟[2]

وقول الحُطيئة :

تزور فَتى يُعطِىْ على الحمْد مالَهُ ومَن يُعْطِ أثمان المكارم يحمد[3]

وقد اجتمع الضـــربان فى قوله تعالى[4] : ﴿ وما جـعلنا لبشرٍ مـن قبلكَ الخلدَ أفإن متَّ فـهمُ الخالدون * كل نفسٍ ذائقـةُ الموتِ ﴾ فـإن قولـه : ﴿ أفإن متَّ فـهم الخالدون ﴾ من الأول ، وما بعده[5] من الثانى ، وكل منهما تذييل على ما قبله .

وهو أيضاً إما لتأكيد منطوق كلام[6] كقوله تعالى: ﴿ وقل جاء الحق﴾الآية [7] .

وإما لتأكيد مفهومه[8] كبيت النابغة[9] ؛ فإنَّ صدره دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال ، فحقق ذلك وقرره بعجُزه .

---

(١) آية ٨١ سورة الإسراء .

(٢) هو لزيادة بن عمرو المعروف بالنابغة الذبيـانى يخاطب النعمان بن المنذر ، وقوله « لا تلمه » بمعنى لا تصمه . والشعث : فى انتشار شـعر الرأس وتغيره فتكثر أوساخه ، والمراد به هنا العيب على سبيل الاستعارة ، والشاهد فى قوله « أى الرجال المهذب؟» وهو استفهام إنكارى .

(٣) هو لجرول بن أوس المعروف بالحطيئة ، وضمير « تزور » لناقته ، فى قوله قبله :

فما زالت العوجاء تجرى ضفورُها إليك ابن شماس تروح وتغتدى

ويريد بالحمـد: الثناء عليه ، وبالمكارم: المحامـد من الشعراء له ، وهو من قصـيدة له فى مدح بغيض بن عامر بن شماس ، ومطلعها :

آثرتُ إدلاجى على ليل حرَّةٍ مَضيمِ الحشا حُسَّانة المتجرِّد

(٤) آية ٣٤ ، ٣٥ سورة الأنبياء . (٥) هو ﴿ كل نفسٍ ذائقة الموت ﴾ .

(٦) المراد بالمنطوق المعنى الذى نطق بلفظه ، بأن تشترك ألفاظ الجـملتين مع اختلاف النسبة فيهما حتى لا يكون من التكرير السابق . (٧) آية ٨١ سورة الإسراء .

(٨) المراد بالمفهـوم المعنى الذى لُم يُنطَق بلفظه ، وهذا اصطلاح فى المنطوق والمفهوم غـير اصطلاح الأصوليين . (٩) هو قوله السابق :

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلمه على شَعثٍ أىُّ الرجال المهذَبُ ؟

(**التكميل**) : وإما بالتكميل ويسمى **الاحتراس** أيضًا ، وهو أن يؤتى فى كلام يُوهِمُ خلاف المقصود بما يدفعه ، **وهو ضربان** :

* ضرب يتوسط الكلام ؛ كقول طرفه :

فسقى ديارَكَ - غيرَ مُفسدها- صوبُ الربيع وديمةٌ تَهْمِى[١]

وقول الآخر :

لو أن عَزَّة خاصَمَتْ شمسَ الضُّحى فى الحُسْنِ عند موفَّقٍ لقضى لها[٢]

إذ التقدير : « عند حاكم موفق » ؛ فقوله « موفَّق » تكميل[٣]

وقول ابن المعتز :

صَبَبْنا عليها ظالمينَ سـياطنا فطارتْ بها أيد سراعٌ وأَرْجُلُ[٤]

*وضربٌ يقع فى آخر الكلام ، كقوله تعالى : ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبُّونه أذلَّةٍ على المؤمنين أعزَّة على الكافرين ﴾[٥] فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة

---

(١) هو لعمرو بن العبد المعروف بطرفة ، والخطاب فى قوله « ديارك » لممدوحه وهو قتادة بن مَسْلمـة الحنفى ، والصـوب : المطر ، والديمة : المطر المسـترسل ، وقـوله « تهـمى » بمعنى تسيل . والاحتراس فى قـوله « غير مفسدها » لأن المطر المسـترسل قد يُخْرِب الدِّيارَ ، ومن أجل هذا عيب قول الشاعر :

ألا يا اسلمى يا دار مَىّ على البلى ولا زال مُنهـلاً بجرعائك القطرُ

وقيل : إنه لا عيب فيه لأن الدعاء قرينة على إرادة ما لا يضر ، وللشاعر أن يكتفى بذلك فلا يحترس وألاَّ يكتفى به فيضم إليه الاحتراس .

(٢) هو لكثَير بن عبد الرحمن المعروف بكثيـر عزَّة ، وقوله « لقضى لها » بمعنى حكم لها بأنها أحسن من الشمس . (٣) إذ ليس كل من يحاكم إليه موفقا .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير فى « عليها » للخيل فى قوله قبله :

وخيل طواها السير حتى كأنها أنابيب سمرٌ من قنَا الخَطِّ ذُبَّل

والسياط : جمع سَوْط ، وصبها عليها استعارة لضربها بها ، والاحتراس فى قوله « ظالمين» لأن ضربها يكون غالبًا من تثاقل فى السير فدفعه بذلك . وقوله « وأرجل » أى سريعة ، فحذف من الثانى لدلالة الأول على سبيل الاكتفاء .

(٥) آية ٥٤ سورة المائدة .

على المؤمنين لَتُوُهِّم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل ﴿أعزة على الكافرين﴾ عُلم أنها منهم تواضع لهم، ولذا عدى الذل بعلى[١] لتضمينه معنى العطف ؛ كأنه قيل : عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن تكون التعدية بعلى لأن المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم[٢] .

ومنه قول ابن الرومى فيما كتب به إلى صديق له : « إنى وليُّك الذى لا يزال تنقاد إليك مودته عن غير طمعٍ ولا جزع ، وإن كنت لذى الرغبة مطلبا ، ولذى الرهبة مهربًا » .

وكذلك قول الحماسى :

رهنتُ يدى بالعجز عن شكر برِّه وما فوقَ شكرى للشَّكور مزيدُ[٣]

وكذا قول كعب بن سعد الغَنَوى :

حليمٌ إذا ما الحلمُ زين أهلَه مع الحلم فى عين العدو مهيب[٤]

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز فلم يكن صفة مدح، فقال « إذا ما الحلم زين أهله » فأزال هذا الوهم ، وأما بقية البيت فتأكيد للازم ما يفهم من قوله « إذا ما الحلم زين أهله » من كونه غير حليم حين لا يكون الحلم

(١) مع أنه يتعدى باللام ، فيقال « ذلَّ له » .

(٢) على هذا لا يكون فى « أذلة » تضمين كما فى الأول ، وإنما يكون التجوز فى استعمال « على » موضع اللام ، للإشارة إلى أن لهم رفعة واستعلاء على غيرهم من المؤمنين ، وأن تذللهم تواضع منهم لا عجز .

(٣) هو من أبيات « الحماسة » ولا يعلم قائله وبعده :

ولو كان مما يستطاع استطعتُه ولكنَّ ما لا يستطاع شديدُ

والرهن بمعنى الحبس . والمراد أنه حبس نفسه من إطلاق الجزء وإرادة الكل . والبر : الإحسان ، والاحتراس فى قوله « وما فوق شكرى الخ » لأنه دفع به ما يوهم عجزه عن شكره من أنه لم يقم بشىء منه ، فأفاد أن شكره مع هذا ليس للمبالغة فى الشكر زيادة فوقه .

(٤) حليم : خبر مبتدأ تقديره هو . وقوله « إذا ما الحلم زين أهله » يريد به أنه لا يحلم إلا فى موطن الحلم ، ومهيب خبر ثان ، وما قبله متعلق به . والتقدير : « مهيب مع الحلم ، فى عين العدو » والبيت من قصيدة له فى رثاء أخيه أبى المغوار . وفيها يقول :

فقلتُ ادعُ أُخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبا المغوار منك قريبُ

زينًا لأهله ، فإنَّه مَن لا يكون حليمًا حين لا يحسـن الحلم لأهله يكون مهيبًا فى عين العدو لا محالة ، فعلم أن بقية البيت ليست تكميلا كما زعم بعض الناس[١] .

ومنه قول الحماسى :

وما ماتَ منّا سيِّدٌ فى فـراشهِ ولا طُلَّ منَّا حيث كان قتيلُ[٢]

فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم ؛ لأوهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم ؛ فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم .

وكذا قول أبى الطيب :

أشد من الرياح الهُوج بطشًا وأسرعُ فى الندى منها هبوبا[٣]

فإنه لو اقـتصر علـى وصفه بشـدة البطش لأوهم ذلك أنه عنف كله ولا لُطفَ عنده ، فأزال هذا الوهم بوصـفه بالسمـاحة ، ولم يتجاوز فى ذلك كل صـفة الريح التى شبهه بها ، وقوله« وأسرع فى الندى منها هبوبًا »؛كأنه من قول ابن عباس ﵄ : «كان ﷺ أجودَ الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان كان كالريح المرسَلة »[٤] .

(**التتميم**) : وإما بالتتـميم ، وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم خـلاف المقصود

---

(١) على هذا تكون من التذييل ، ولعله يعنى ببعض الناس صاحب « حسن التوسل » فقد ذكر أنه رأى أن مدحه بالحلم وحده غير كامل ؛ لأنه إذا لم يعرف منه إلا الحلم طمع فيه عدوه ، فقال « مع الحلم فى عين العدو مهيب » .

(٢) هو للسمَوْءل بن عادَياء ، وقـوله « وما مات منا سيد فى فـراشه » كناية عن كونه لم يمت إلا مقتولا فى الحرب ، وقوله « طل » : بمعنى أهدر دمه ولم يقتص له ، وقد كمل حسن ما أتى به فى ذلك بقوله « حيث كان » لأنه أبلغ فى الشجاعة .

(٣) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، وأشد: خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أى الممدوح ، والهوج : جمع هوجاء وهى الريح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت من شدتها .

والبيت من قصيدة له فى مدح على بن محمد بن سيار ومطلعها :

ضروبُ الناس عشاق ضروبا فأعذَرُهم أشفُّهُم حبيبـا

(٤) على هذا يكون فى البيت اقتباس ، وهو من المحسنات الآتية فى علم البديع .

بفضلة تفيد نكتة[١] كالمبالغة فى قوله تعالى : ﴿ ويُطعِمونَ الطعام على حبِّه ﴾[٢] أى مع حبه ، والضمير للطعام أى مع اشتهائه والحاجة إليه ، ونحوه : ﴿ وآتى المالَ على حبِّه ﴾ [٣] وكذا: ﴿ لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [٤]وعن فضيل بن عياض : « على حب الله[٥] فلا يكون مما نحن فيه[٦] .

وفى قول الشاعر :

إنى على ما تَرَيْنَ مِـــــــنْ كِبَرى   أعرفُ من أين تؤكل الكتفُ[٧]

وفى قول زهير :

من يَلق يومًا - علـــى عِلاَّته - هَرِماً   يَلْق َالسماحةَ منه والندَى خُلُقًا [٨]

---

(١) المراد بالفضلة المفعول ونحـوه لا يتم أصل المعنى بدونه ؛ لأن هذا لا بد منه فى كل أنواع الإطناب ولا يختص بالتتميم ، وبهذا يكون التـتميم أخص من الإيغال من هذه الناحية لأنه لا يتقـيد بها ،ويكون أعمَّ منه من ناحـية أنه قد يكون فى غـير الآخر بخلاف الإيغـال ، ويسمى التتميم « التمام » أيضًا .

(٢) آية ٨ سورة الانسان

(٣) آية ١٧٧ سورة البقرة .

(٤) آية ٩٢ سورة آل عمران .

(٥) فيكون الضمير لله لا للطعام .

(٦) لأن معناه على هذا يدخل فى أصل المراد فلا يكون إطنابًا ، وإنما دخل في أصل المراد لأن الإنفاق لا يمدح شـرعًا إلا إذا كان لله لا لرياء ونحـوه ، ولا يردِ مثل هذا فى الآية الثـالثة ؛ لأن أصل المعنى يتم عند قوله : ﴿ حتى تنفقوا ﴾ .

(٧) لا يعلم قائله ، وقوله « أعـرف من أين تؤكل الكتف » خبر « إن » وهو كناية عن أنه داهيـة ؛ لأن الكتف تؤكل من أسـفلها ويشق أكلهـــا من أعلاها ، وقـوله « على مـا ترين من كبر» . تتميم يقصد منه المبالغة أيضًا .

(٨) هو من قصيدة له فى مدح هرِم بن سنان ، والشاهد فى قوله « على علاته » والعلات جمع علة ، هى ما ينوبه مـن قلة ذات يد وعوز ، وعطف الندى على السماحة عطف تفـسير ، ومن ينكر عطف التفسير يجعل ذلك حشواً ، وقوله « خلقًا » بمعنى الطبع الذى لا تكلف فيه .

الاعتراض :

وإما بالاعتراض ، وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنًى[(١)] بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتةٍ سوى ما ذُكر فى تعريف التكميل[(٢)] كالتنزيه والتعظيم[(٣)] فى قوله تعالى :

﴿ ويجعلون لله البنات – سبحانه – ولهم ما يشتهون ﴾[(٤)].

والدعاء فى قول أبى الطيب :

وتحتقرُ الدنيا احتقــار مجرِّبٍ يرى كل ما فيها – وحاشاك – فانيا[(٥)]

فإن قوله « وحاشاك » دعاء حسن فى موضعه.

ونحوه قول عوف بن محلَّم الشيبانى :

---

(١) بأن يكون ثانيهما تأكيداً للأول أو بيانًا له أو بدلاً منه أو معطوفًا عليه .

(٢) ما ذكر فى تعريف التكميل هى نكتة دفع الإيهام ، وغير دفع الإيهام يشمل التوكيد ، فيدخل فيما يأتى له الاعتراض ، والاعتراض على هذا التعريف يباين الإيغال لأنه لا يكون إلا فى آخر الكلام ، وكذلك التتميم لأنه فضلة فله محل من الإعراب ، وكذلك التكميل ؛ لأنه لنكتةِ دفع الإيهام ، ويشمل الاعتراض بعض صورة التذييل ؛ فيجتمعان فى كل جملة معترضة مشتملة على معنى ما قبلها ؛ لأنها تكون لنكتة التوكيد فتكون من الاعتراض والتذييل .

(٣) مثال للنكتة التى هى غير ما ذكر فى تعريف التكميل .

(٤) آية ٥٧ سورة النحل والاعتراض فى الآية : بقوله : ﴿ سبحانه ﴾ وهو جملة لأنه مصدر نائب عن فعله .

(٥) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبى الطيب المتنبى ، والضمير فى قوله « تحتقر » لكافور الإخشيدى ، والمجرب : الذى جرب الأمور وعرفها ، والاستثناء اعتراض بين المفعولين ، وهو استثناء لممدوحه مما يَفنى ؛ لأن ذكره يبقى فى الدنيا والمستثنى منه « ما فيها » ،و« حاشا » على هذا فعلية فتكون جملة ، والبيت من قصيدة له فى مدح كافور ، وقبله :

فقد تهب والجيش الذى جاء غازيًا لسائلك الفرد الذى جاء عافيا

إن الثمـــــانين - وبُلِّغتها - قد أحوجتْ سَمْعى إلى تَرجُمان[1]

والتنبيه فى قول الشاعر :

واعلم - فعلمُ المرء ينفعه أنْ سوف يأتى كلُّ ما قدِرا [2]

وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد فى أمر عُلِّق بهما كقوله تعالى[3] : ﴿ ووصَّينا الإنسان بوالديه ، حملته أمه وهنًا على وهن وفصالهُ فى عامين ، أن اشكرْ لى ولوالديكَ ﴾ .

والمطابقةِ مع الاستعطاف ، فى قول أبى الطيب :

وخفوقُ قلبٍ لو رأيتِ لهيبــــه « يا جنتى » لرأيتِ فيها جهنما[4]

والتنبيهِ على سبب أمرٍ فيه غرابة ؛ كما فى قول الآخر :

فلا هَجْرُهُ يبدو وفى اليأس راحة ولا وصْــلُهُ يبدو لنا فنكارِمُهْ[5]

فإن قوله « فلا هجره يبدو » يُشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبَيْه ، وغريب أن

---

(١) نسبة عوف إلى شيبان خطأ ؛ لأنه خزاعى من بنى سعد ، والشيبانى غيره ، كما جاء فى طبقات ابن المعتـز ، وهو يخاطب بذلك عبد الله بن طاهر ، وكان قد دخل علـيه فسلم عليه عبد الله فلم يسمع لضعفه وكبره ، والترجمان: فى الأصل الذى يفسر لغة بأخرى ، والمراد به هنا مطلق المفسر والمكرر . والشاهد فى قوله « وبلغْتها » لأنها دعاء أيضًا .

(٢) أنشد هذا البـيت أبو على الفارسى ولم يعـزه لأحد ، والشاهد فى قـوله « فعلم المرء ينفعه ». وأن: مخففة من الثقيلة ، وهى وما بعدها فى تأويل مصدر مفعول « اعلم » .

(٣) آية ١٤ سورة لقمان · والمذكوران فى الآية الوالدان ، وأحدهما الأم .

(٤) هو لأحـمد بن الحـسين المعروف بأبى الطيب المتـنبى· وخفـوق القلب: اضطرابه من الحب ونحوه ، والواو للعطف على « هم » فى قوله قبل البيت :

كفًى أرانى ويك لومَكِ ألْومـــا همٌّ أقام على فؤاد أنجمـــا

وخيالُ جسمٍ لم يُخَلِّ له الهوى لحمًا فينحلَه السقامُ ولا دما

والشاهد فى قوله « يا جنتى » والمطابقة بينه وبين « جهنم » وستأتى فى علم البديع .

(٥) هو للرمَّاح بن أبـرد المعـروف بابن مـيَّادة · والـيـأس: قطع الأمل من وصـــله ، وقــوله « فنكارمه » بمعنى نبادله التكرم بالوصل .

يكون هجر الحبيب مطلوباً للمحب ؛ فقال : « وفى اليأس راحة » لينبه على سببه .

وقوله تعالى : ﴿ لو تعلمون ﴾ [1] فى قوله : ﴿ فلا أُقسمُ بمواقعِ النجوم * وإنه لقسمٌ لو تعلمونَ عظيمٌ * إنه لقرآنٌ كريمٌ ﴾ اعتراضٌ فى اعتراض ؛ لأنه اعترض به بين الموصوف والصفة[2] ، واعترض بقوله : ﴿ وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم ﴾ بين القسم والمُقسَمِ عليه[3] .

ومما جاء بين كلامين متصلين معنًى قوله : ﴿ فأْتوهنَّ من حيثُ أمركم الله * إن الله يحب التوابين ويحب المتطهِّرين * نساؤكْم حرْثٌ لكمْ فأتوا حرثكم ﴾[4] فإن قوله ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ بيانَ لقولهِ : ﴿ فأتوهنَّ من حيث أمركم الله ﴾ يعنى أن المأتى الذى أمركم به هو مكان الحرث ؛ دلالة على أن الغرض الأصلى فى الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من حيثِ يتأتى فيه هذا الغرض ، وهو مما جاء أكثر من جملة أيضًا[5] ونحوه فى كونه أكثر من جملة قوله تعالى: ﴿ قالت ربِّ إنى وضعتها أنثى * والله أعلمُ بما وضعتْ وليسَ الذكرُ كالأنثى * وإنى سميتها مريمَ ﴾ [6] فإن قوله : ﴿ والله أعلم بما وضعت وليس الذكرُ كالأنثى ﴾ ليس من قول أم مريم [7] وكذا قوله: ﴿ ألمْ ترَ إلى الذين أُوتوا نصيبًا من الكتاب يشترونَ الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلمُ بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا *من الذين هادوا يحرِّفون الكلمَ عن مواضعه ﴾[8] إن جُعل ﴿ من الذين ﴾ بيانا للذين أوتوا نصيبًا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى، أو لأعدائكم ؛ فإنه

---

(1) آية ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ سورة الواقعة .

(2) هما : قسم عظيم .

(3) هو (إنه لقرآن ﴾ .

(4) آية ٢٢٢ ، ٢٢٣ سورة البقرة .

(5) هذا على أن قوله : ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ معطوف على مجموع « إن » واسمها وخبرها ؛ وإلا كان من الاعتراض بجملة واحدة .

(6) آية ٣٦ سورة آل عمران .

(7) فهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه فى قولها .

(8) آية ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ سورة النساء .

على الأول يكون قوله : ﴿ والله أعلم بأعـدائكم وكفى بالله وليًا وكفى بالله نصـيرًا ﴾ اعتـراضًا ، وعلى الثانى يكون ﴿ وكـفى بالله ﴾ اعتراضًا ، ويـجوز أن يكون ﴿ من الذين ﴾ صلة لنصيرًا [١] أى ينصركـم من الذين هادوا ، كقوله : ﴿ ونـصرناهُ من القوم الذيـن كذَّبوا ﴾[٢] وأن يكون كلامًا مـبتدأ علـى أنَّ ﴿يحرفون ﴾ صـفة مبـتدأ محذوف تقديره : « من الذين هادوا قوم يحرفون » ؛ كقوله :

وما الدهرُ إلا تارتان فمنهما أموتُ وأُخرى أبتغى العيشَ أكدحُ [٣]

* وقـد عُلِم مما ذكرنا أن الاعـتـراض كمـا يأتى بغيـر واو ولا فـاء قـد يأتى بأحدهما[٤] .

* ووجهُ حسن الاعتراض على الإطلاق : حُسنُ الإفادة ، مع أن مجيئة مجيءُ ما لا معول عليه فى الإفادة ، فيكون مثَله مثل الحسنة تأتيك من حيث لا ترتقبها[٥] .

* من الناس من لا يقيـد فائدة الاعتراض بما ذكـرناه ، بل يُجوِّز أن تكون دفع توهم ما يخالف المقصود ، وهؤلاء **فرْقتان** :

---

(١) يعنى أن الجار والمجـرور متعلق به ، وعلى هذا الوجـه والذى بعده لا يكون فى الآية اعتراض .

(٢) آية ٧٧ سورة الأنبياء؛ فالجار والمجرور متعلق بقوله : ﴿ ونصرناه ﴾ كما جعل صلـة « لنصيرًا » فى الآية السابقة .

(٣) هو لتـميم بن أبى بن مـقبل ، وقـوله « أكـدح » بمعنى أجهـد نفسى فى العـمل . والشاهد فى أن قوله « منهما » صفة مبتدأ محذوف كما فى الآية على الوجه الأخير ، وتقديره : فتارةً منهما أموت أى فيها ليربط الضمير الخبر بالمبتدأ ، وكذلك قوله « وأخرى أبتغى » فتقديره : « وأخرى أبتغى العيش فيها ، وجملة « أكدح » فى موضع نصب على الحالية .

(٤) يسمى كل منهـما واواً أو فاء اعـتراضيـة ، وهى غير واو العطف وواو الحـال . وقد تشتبه بالثـانية فى نحو قوله تعالى : آية ٥١ ، ٥٢ سورة البقـرة ﴿ ثمَّ اتخذتمُ العجلَ منْ بعده ، وأنتمْ ظالمونَ * ثمَّ عفونا عنكم ﴾ فتصلح لكل منهما بالقصد فإنْ قصد تقييد العامل بالجملة كانَت حالية ، وإن لم يقصد كانت اعتـراضية ، والمعنى على الأول ﴿ ثم اتخذتم ﴾ العجل حال كونكم ظالمين باتخاذه . وعلى الثانى « وأنتم قوم عادتكم الظلم » فـيكون اعتراضًا أتى به تأكيداً لظلمهم بأمر مستقل لم يقصد ربطه بالعامل قبله .

(٥) هذه نكتة بديعية للاعـتراض ويمكن أن يعد بها من المحسنات البديعية كـما جرى عليه بعضهم .

فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعًا فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنًى؛ بل يجوز أن يقع فى آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلامٌ غير متصل به معنًى، وبهذا يشعر كلام الزمخشرى فى مواضع من الكشاف : « فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل »[١] ومن التكميل ما لا محل له من الإعراب جملةً كان أو أكثر من جملة[٢] .

وفرقة تشترط فيه ذلك ، لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثرَ من جملة ؛ فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعا فى أحد الموقعين[٣] ، ومن التكميل ما كان واقعاً فى أحدهما ولا محل له من الإعراب[٤] جملةً كان أو أقلَّ من جملة أو أكثر .

الإطناب بغير هذه الأنواع : وإما بغير ذلك[٥] كقولهم«رأيته بعينى» ومنه قوله تعالى[٦] : ﴿ إذ تلقَّونه بألسنتكمْ وتقولونَ بأفواهكم ما ليس لكمْ به علمٌ ﴾ أى هذا الإفك ليس إلا قولا يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم فى القلب ، كما هو شأن المعلوم إذا ترجم عنه اللسان، وكذا قوله﴿ تلك عشرةٌ كاملةٌ ﴾ [٧]لإزالة توهم الإباحة[٨] كما فى نحو قولنا « جالسِ الحسنَ وابن سيرين »

---

(١) أى مطلقا ، لأن التذييل يجب أن يكون بجملة لا محل لها من الإعراب كما سبق فى أمثلته ، كما أن الاعتراض يجب فيه ذلك ، فيكون التذييل أخص منه؛ لأنه لنكتة التوكيد فقط ، والاعتراض عندهم أهم ؛ لأنه يكون لنكتة التوكيد وغيرها كما سبق .

(٢)فيكون بينهما عموم وخصوص من وجه ، وقد أطالت حواشى التلخيص فى بيان النسب بين أقسام الإطناب بشكل يفسد الذوق البلاغى ، فلا تفسده بهذا مثلها .

(٣) يعنى بأحدهما أن يقع فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين .

(٤) إنما قيده بهذا لأنه لا خلاف بينهم فى تقيد الاعتراض به، فلا يشمل من التكميل إلا ما كان كذلك ، ولكن الظاهر أن هذه الفرقة لا تقيد الاعتراض بما قيده به غيرها من كونه لا محل له من الإعراب ، لأنها تجوِّز أن يكون مفرداً ، ومن شأن المفرد أن يكون له محل من الإعراب .

(٥) عطف على قوله فيما سبق « إما بالإيضاح بعد الإبهام » .

(٦) آية ١٥ سورة النور، ومحل الشاهد ﴿ وتقولون بأفواهكم ﴾ لأن القول لا يكون إلا بالأفواه ، فذكرها بعده إطناب .

(٧) آية ١٩٦ سورة البقرة .

(٨) أى فى قوله قبله : ﴿ فمن لم يجدْ فصيامُ ثلاثة أيام فى الحجِّ وسبعة إذا رجعتم ﴾ ولكنه على هذا يكون من التكميل ، مع أنه بصدد ذكر أقسام أخرى للإطناب .

وليُعلم العددُ جملةً كما عُلم تفصيلاً ؛ ليُحاط به من جهتين فيتأكد العلم ، وفى أمثال العرب « علمان خيرٌ من علم » وكذا قولُه ﴿ كـاملة﴾ تأكيد آخر ، وقيل : أى كاملةً فى وقوعها بدلا من الهدْى ،وقيل : أريد به تأكيـد الكيفية لا الكمية ، حتى لو وقع صوم العـشرة على غير الوجـه المذكور[١] لم تكن كـاملة[٢] وكـذا قـوله: ﴿ الذين يحملون العـرشَ ومن حوله يسبـحون بحمد ربـهم ويؤمنـــون به ويستغـفرون للذين آمَنُوا ﴾[٣] فإنه لو لم يقصد الإطناب لم يذكر ﴿ ويؤمنون به ﴾ لأن إيمانهم[٤] ليس مما ينكره أحد من مثبتيهم ، وحـسن ذكره إظهارُ شرف الإيمان ترغيبًا فيه[٥] وكذا قوله : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله واللهُ يعلم إنك لرسوله ،والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾[٦] فإنه لو اختصر[٧] لترك قوله : ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ لأن مســاق الآية لتكذيبهم فى دعوى الإخـلاص في الشهادة كمـا مر[٨] وحسنه دفع توهم أن التكذيب للمشـهود به فى نفس الأمر[٩] ونحوه قـول البلغاء « لا وأصلحك الله »[١٠] وكذا قوله تعالى[١١] إخبارًا عن موسى ﴿ هى عصـاى أتوكأ عليها وأهشُّ بها على غنمِىْ ولىَ فيها مآربُ أُخرى ﴾ وحسَّنه أنه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمرٌ عظيـم يحدثه الله تعالى فـى العصا ؛ فـينبغى أن يتنبـه لصفـاتها حتى يـظهر له

---

(١) هو أن يكون ثلاثة منها فى الحج وسبعة عند الرجوع إلى الأهل .

(٢) أى شرعًا وإن كانت كاملة عددًا .

(٣) آية ٧ سورة غافر .

(٤) أى الذين يحملون العرش وهم الملائكة .

(٥) إنما لم يكن اعتراضًا بين ما قبله وما بعده لأن الواو فـيه عاطفة لا اعتراضية، ولأن له محلا من الإعراب ، والاعتراض لا محل له .

(٦) آية ١ سورة المنافقون .

(٧) يريد بالاختـصار ترك الإطناب فيشمـل المساواة ؛ لأنه عند ترك هذا يكون الكلام من المساواة لا من الإيجاز ، والاختصار كما يطلق على الإيجاز يطلق على ما يشمل المساواة .

(٨) أى فى الكلام على صدق الخـبر وكذبه فى الجـزء الأول ، فقد سبق فـيه أن مساقـها لتكذيبهم فى ذلك لا لتكذيبهم فى قولهم : ﴿ والله يعلم إنك لرسوله ﴾ .

(٩) إنما دفع ذكره توهم ذلك لأن التكذيب لا يرجع إليه ، فيبـقى دالاً على صحة المشهود به فى نفس الأمر .

(١٠) فالواو فيه إطناب لدفع توهم خلاف المراد .   (١١) آية ١٨ سورة طه .

التفاوت بين الحالين(١) وكذا قوله تعالى(٢) : ﴿ نعبد أصنامًا فنظل لها عاكفين ﴾ وحسَّنه إظهار الابتهاج بعبادتها والافتخار بمواظبتها ليزداد غيظ السائل(٣) .

الإيجاز والإطناب النسبيان : واعلم أنه قد يوصف الكلام بالإيجاز والإطناب(٤) باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له فى أصل المعنى(٥) كالشطر الأول من قول أبى تمام :

يَصدُّ عن الدنيا إذا عَنَّ سؤْددٌ ... ولو برزت فى زىِّ عذراءَ ناهدِ(٦)

وقول الآخر :

ولستُ بنظَّار إلى جانب الغِنَى ... إذا كانتِ العلياءُ فى جانب الفقر(٧)

---

(١) لو اختصر لقال (هى عصاى) ولم يزد عليه ، لأن الجواب يكون حينئذ على قدر السؤال ، وهو قوله قبله : ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ؟ ﴾ .

(٢) آية ٧١ سورة الشعراء .

(٣) لو اختصروا لقالوا ﴿ نعبد أصنامًا ﴾ ولم يزيدوا عليه لأن الجواب يكون حينئذ على قدر السؤال ، وهو قول إبراهيم لهم قبله ﴿ ما تعبدونَ ﴾ .

(٤) الواو بمعنى « أو » كما هو ظاهر .

(٥) فيقال للأكثر حروفًا : إنه مُطْنَبٌ وإن كان على التفسير السابق مساواة أو إيجازاً . ويقال للأقل حروفًا : إنه موجز ، وإن كان على التفسير السابق مساواة أو إطنابًا :

(٦) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام من قصيدة له فى مدح محمد بن الهيثم ومطلعها :

قفوا جدِّدوا من عهدكم بالمعاهد ... وإنْ هى لم تسمعِ لنشدان ناشد

وقوله « عن » بمعنى ظهر ، والعذراء : البكر ، والناهد : بارزة الثدى؛ يعنى أنه لا يهمه أمر الدنيا فى مواطن الجود بالمال .

(٧) هو للمعذَّل بن غيلان القيصى ، وقيل : إنه لأبى سعيد المخزومى ، وقد نسب فى طبقات الشعراء لابن المعتز إلى أبى يعقوب الخزيمى ، وهو من قصيدة له فى الفخر مطلعها :

ثقى بجميل الصبر منى على الدهر ... ولا تثَّقى بالصبر منى على الهجر

والنظار : صيغة مبالغة ، ولكن النفى وارد على أصلها ، فلا يقتضى أن يكون أصل النظر إلى الغنى موجوداً ، ويجوز أن تكون صيغة نسب كعطار ونحوه ، وهذا البيت إطناب بالنسبة للشطر الأول من بيت أبى تمام ، كما أن هذا الشطر إيجاز بالنسبة إليه ، وإن كان كل منهما على التفسير السابق للثلاثة من المساواة ؛ لأن مثل هذه العبارة فيهما يجرى فى متعارف الأوساط .

ومنه قول الشَّمَّاخ :

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ تلقَّاها عَرابةُ باليمين(١)

وقول بشر بن أبى خازم :

إذا ما المَكْرُماتُ رُفعن يومًا وقصَّر مبتغـــوها عن مداها
وضاقت أذرع المثرين عنهـــا سما أوْسٌ إليهـــا فاحتواها(٢)

ويقـرب من هذا البـاب (٣) قوله تـعالى(٤) : ﴿ لا يُسـأل عـمّا يـفـعل وهم يُسألون﴾ .

وقول الحماسى :

وننكرُ إنْ شئنا على الناس قولَهمْ ولا ينكرون القولَ حين نقولُ(٥)

وكذا ما ورد فى الحديث : « الحزم سُوءُ الظن » .

وقول العرب : « الثقة بكل أحدٍ عجزٌ » (٦) .

---

(١) هو لمعقل بن ضرار الغطفانى المعروف بالشماخ فى مدح عرابة الأوسى وقوله « تلقاها عرابة باليمين » تمثيل لأخذه لها بقوة ، والمراد بالراية راية الحرب .

(٢) مبتغـوها : طالبوها ، ومداها : غايتها ، والمثرون: أصـحاب الثروة والغنى ، وقوله «احتواها» بمعنى اشتمل عليـها ، وهو يمدح بهذا أوس بن حارثه بن لأمٍ الطائى ، والشاهد فى أن بيت الشماخ إيجاز بالنسبة إلى هذين البيتين وإن كان فى ذاته مساواة .

(٣) فالآية إيجاز بالنسبة إلى قول الحماسى : وإنما جعله قريبًا منه ولم يجعله منه ؛ لأن ما فى الآية يشمل كل فعل حتى القول ، وما فى البـيت خاص بالقول فقط ، فلم يتساويا فى أصل المعنى مساواة تامة ، وهذا إلى أن مـا فى الآية نفى السؤال ، وما فى البيت نفى الإنكار ، والأول أبلغ من الثانى .

(٤) آية ٢٣ سورة الأنبياء .

(٥) للســموءل بـن عـادياء ، وال فى «القول» لـلعهـد؛ أى قولنا، وهو من قـصيـدة له مطلعها:

إذا المرء لم يَدنس من اللؤم عِرضه فكل رداء يرتديه جميــــــلُ

(٦) هو من حكم أكثم بن صيفى ، والحديث إيجاز بالنسبة إليه .

هذا وقد يتقارب اللفظان فى الإيجاز فيكون أجودهما أشدهما إيضاحًا للمعنى ؛ كقول أبى القاسم البغدادى :

وردتُ وقد حَلّ لى ماءَهُ فلمّا بكيتُ عليه حرُم

وقول مهيار الديلمى :

بكيت على الوادى فرمتُ ماَءُه وكيف يَحلُّ الماءُ أكثره دمُ

فقد تقاربت ألفاظ البيتين ، ولكن زاد الثانى بذلك التفسير البديع ، فكان أفضل وأرقَّ من الأول .

تمرينات على الإيجاز والإطناب والمساواة

تمرين – ١

(١) بين موضع الإطناب والداعى إليه فى قول الشاعر :

تأمَّل من خـــلال السَّجفِ وانظر   بعينك ما شربتُ ومَن سقانى
تجدْ شمسَ الضحى تدنو بشمسٍ   إلىَّ من الرحيـــق الخسروانى

(٢) من أى أنواع الإيجاز قـول بعض الأعراب : إن شككت فىَّ فـاسأل قلبك عن قلبى ؟

تمرين – ٢

(١) بين نوع الإيجاز والداعى إليه فى قوله تعالى آية ٣ ، ٤ ، ٥ سورة الفجر ﴿ والشفع والوتْرِ * والليل إذا يسرِ * هَلْ فى ذلكَ قسمٌ لذى حِجْرٍ ﴾ .

(٢) لماذا كان من المساواة قول بعـض البلغاء : علمتنى نبْوتُك سلوتَك أسْلمنى يأسى منك إلى الصبر عنك .

تمرين – ٣

(١) يعدون من المساواة قوله تعـالى آية ٢١ سورة الطور ﴿ كُلُّ امرىءٍ بما كسب رهينٌ ﴾ فهل ترى أنها منها أو من إيجاز القصر ؟

(٢) هل من المساواة أو الإيجاز أو الإطناب قول الشاعر :

يقول أناسٌ : لا يضيرُك فقدها   بلَى كل ما شَف النفوس يضير

تمرين – ٤

(١) من أى أنواع الإيجاز قـوله تعالى آية ٢٢ سورة الزمر :﴿ أفـمنْ شرحَ اللهُ صَدره للإسلام فـهو على نور من ربِّه فويلٌ للـقاسيةِ قـلوبهُمْ مِن ذكر الله أولئكَ فى ضلالٍ مبين ﴾ .

(٢) من أى أنواع الإطناب قول الشاعر :

المَشرقانِ عليك ينتحبان قاصيهما فى مأتمٍ والدانى

تمرين – ٥

(١) بين موضع الإطناب ونوعه فى قوله تعالى آية ٥ ، ٦ سورة الانشراح ﴿فإنّ مع العُسرِ يُسراً * إنّ مع العُسْرِ يُسْرًا﴾ .

(٢) كيف يكون من الإيجاز قوله تعالى آية ٣ سورة الطلاق ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حَسْبُه ﴾ مع أنها جملة مستوفية كل أجزائها ؟

تمرين – ٦

(١) لماذا عُدَّ من الإخلال قول بعضهم :« فإن المعروف إذا زجا ، كان أفضل منه إذا توفر وأبطأ » « زجا » بمعنى تيَسر ، وفى رواية « وَحى » بمعنى أسرع .

(٢) من أى أنواع الإطناب قول الشاعر :

لَوَ أنَّ الباخِلِيْنَ وأنتَ مِنْهُمْ رأوك تعلَّموا منك المِطالا

تمرين – ٧

(١) أيهما أعلى مقامًا فى البلاغة : الإيجاز أو الإطناب ؟ وهل هناك فرق بين الإيجاز فى غير موضعه والإخلال ؟ وبين الإطناب فى غير موضعه والتطويل ؟ .

(٢) بيِّن خلافهم فى منزلة المساواة من البلاغة ، واذكر رأيك فيه .

* * *

مباحث الجزء الثانى

رقم الإيداع : ١٤٥٨٥ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 241 - 288 - 8

بُغية الإِيضاح

لِتَلخِيص المفتاحِ

في علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعَال الصَّعِيدى

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الثالث

في علم البيان

الطبعة العاشرة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م وتمتاز بكثير من الزيادات والتنقيحات والضبط

تنبيـــه : قد وضعنا « الإيضاح » للخطيب القزوينى بأعلى الصفحة
ووضعنا شرحه « بغية الإيضاح » لعبد المتعال الصعيدى بأسفلها

ملتزم الطبع والنشر

الناشر مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا ـ القاهرة ت ٣٩٠٠٨٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الفنُّ الثانى : علمُ البيانِ

تعريف علم البيان : وهو علم يُعرفُ به إيرادُ المعنى الواحدِ [1] بطُرقٍ

---

(١) قيَّده السعدُ بأنْ يكون مدلولاً عليه بكلام مطابق لمُقتضى الحال ، وإنما قيَّدَه بهذا لأن اعتبارَ علمِ البيان إنما يكونُ بعد اعتبارِ علم المعانى ؛ فلا بُدَّ من مراعاة علمِ المعانى فى علم البيان ؛ فإذا أنكرشخصٌ كرمَ زيدٍ مثلاً قلت له بطريق الكناية : « إن زيداً كثيرُ الرماد» ، فإذا لم تأت بالتأكيد لم يعتدَّ بهذه الكناية . وقيل المرادُ جنسُ المعنى من غير تقييدٍ بشىء ؛ لأن وظيفةَ علم البيان غيرُ وظيفة علم المعانى ؛ فوظيفة الأول ترجع إلى البلاغة ، ووظيفة الثانى ترجع إلى الفصاحة ، وقد سبق فى المقدمة أنه لا بد من اعتبار الفصاحة فى البلاغة ، فإذا نظر إلى هذا كان الأمر فى العلمين بعكس ما ذكره السعد فيهما ، والحق أن علم البيان لا ينظر فى قول امرىء القيس مثلاً :

ألم تسأل الرَّبعَ القديمَ بعَسْعسا ... كأنى أنادى إذْ أكلم أخْرَسا

من جهة مطابقته لمقتضى الحال أو عدمها ، وإنما ينظر إليه من جهة فساد التشبيه ؛ لأنه لا يقال : « كلمت حجراً فلم يجب » فكأنه كان حجراً ؛ وإنما الجيد فى ذلك قول كثير :

فقلتُ لها يا عَزُّ كلُّ مُصيبة ... إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذلَّت

كأنى أُنادى صخرةً حين أعْرَضَتْ ... منَ الصُّمِّ لَوْ تمشى بها العُصْمُ زَلَّتِ

وهذا لا يمنع مراعاةَ الأحوالِ والظروفِ فى أبواب علم البيان ، كما أتى القدماء بتشبيهات رَغِبَ المحدثون عنها استبشاعاً لها ؛ كقول امرىء القيس :

وتعطو برَخْصٍ غير شَثْنٍ كأنه ... أساريعُ ظَبْى أو مساويكُ إسْحَلِ

فشبه البنان بالأسروعة ؛ وهى دودة تكون فى الرمل ، وقال ابن المعتز :

أَشَرْنَ على خوفٍ بأغْصَانِ فضَّةٍ ... مُقَوَّمة أثمارُهُنَّ عَقيقُ

وهذا أحبُّ من تشبيه امرىءِ القَيس ، وإن كان أشد إصابة ، ولكن يجب أن نقبل من هذا ما لا يمجه الذوقُ ؛ مثل قولهم : « أعْطِ القوسَ بَاريها » ؛ كما يقال فى الإنجليزية الآن لمن يبالغ فى كلامه : « ينزع فى القوس الطويلة » ، وفى الفرنسية لمن يتوسل إلى غايته بكل وسيلة : « يَبْرى سهاماً من كلِّ خشبٍ » .

مختلفةٍ فى وضوح الدلالة عليه [1] .

أقسام الدلالة : ودلالة اللفظ إما على ما وُضِعَ له ، أو على غيره ، والثانى إما داخلٌ فى الأول دخولَ السقفِ فى مفهوم البيت أو الحيوانِ فى مفهوم الإنسان ، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف ، أو الضاحك عن مفهوم الإنسان . وتُسمّى الأولى دلالةً وضعية ، وكلٌّ واحدة من الأخيرتين دلالة عقلية ، وتختص الأولى بدلالة المطابَقة ، والثانية بالتضمن ، والثالثة بدلالة الالتزام . وشرط الثالثة اللزومُ الذهنى؛ أى أن يكونَ حصولُ ما وُضِعَ اللفظُ له فى الذهن ملزوماً لحصول الخارج فيه [2]؛ لئلا يلزم ترجيحُ أحد المتساويين على الآخر ، لكون نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعانى الخارجية ، ولا يُشْتَرَطُ فى هذا اللزومِ أن يكون مما يُثبتُه العقلُ [3]؛ بل يكفى أن

---

(١) بأن يكونَ بعضُ الطرقِ واضحَ الدلالة عليه وبعضُها أوضحَ ، وبهذا يكون الاختلاف بينها فى حدود وضوحِ الدلالة ؛ لأن علم البيان يُقْصَدُ منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى فلا يُطلب فيه إلا وضوحُ الدلالة ؛ وقيل : إنه يريد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة وخفائها ؛ فحذَفَ الثانى على سبيل الاكتفاء ، وقد رُجّحَ هذا بأن المطلوب فى علم البيان هو خفاءُ الدلالة لا وضوحُها ؛ لأنه كُلَّما كان الكلام خَفِىَّ الدلالة كانت منزلتُه أعلَى ، ولا شك أن المراد بهذا الخفاء ما يكون بسبب دقة المعنى لا بسبب التعقيد ، واختلاف تلك الطرق فى ذلك يكونَ باعتبار قرب المعنى المجازى وبُعده من المعنى الحقيقى، وباعتبار اختلاف القرينة المنسوبة فى دلالتها على المراد .

وقد خَرَجَ بذلك عن تعريف علم البيان إيرادُ المعنى الواحد بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة ؛ كقولك : زيدٌ أسدٌ . زيدٌ ليثُ .

ومن الاختلاف فى طرق الدلالة أن يقال فى الكناية عن الجود: « مهزولُ الفصيل ، جبانُ الكَلْب ، كثيرُ الرَّماد »، وفى إيراده بطريق التشبيه: « وهو كالبحر فى السخاء . أو بحرٌ فى السخاء . أو بحرٌ »؛ من غير ذكر وجه التشبيه، وفى إيراده بطريق الاستعارة: «رأيت بحراً فى دارنا . رأيت بحراً طَمَّ بإنعامه جميع الأنام » .

(٢) يعنى بالخارج: المعنى الخارجى، وهو اللازم ، وقد يكون حصول ذلك فوراً أو بعد التأمل فى القرائن والأمارَات .

(٣) يعنى اللزوم البَيِّن المعتبرَ فى علم المنطق، وإنما لم يُعتبر هنا لأن اعتبارَه يُخرِجَ=

يكون مما يُثبته اعتقادُ المخاطب إما لعرف عام أو لغيره [١] لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلي إلى الخارجي ، وقد وقع فى كلام بعض العلماء [٢] ما يُشعر بالخلاف في اشتراط اللزوم الذهنى فى دلالة الالتزام ، وهو بعيد جداً ، وإن صَحَّ فلعلَّ السبب فيه توهمُ أنّ المرادَ باللزوم الذهنى اللزومُ العقلى[٣] ؛ لإمكان الفهم بدون اللزوم الذهنى بهذا المعنى حينئذ كما سبق .

ثم إيرادُ المعنى الواحدِ على الوجه المذكور لا يتأتّى بالدلالة الوضعية[٤]؛ لأن السامعَ إن كان عالماً بوضع الألفاظ؛ لم يكن بعضُها أوضحَ دلالةً من بعضٍ ، وإلاّ لم يكن كلٌّ واحد منها دالاّ ، وإنما يتأتى بالدلالات العقليةِ ؛ لجواز أن يكونَ للشيء لوازمُ بعضُها أوضحُ لزوماً من بعضٍ [٥] .

= كثيراً من المعانى المجازية عن أن تكونَ مدلولات التزامية ، ولا يتأتى معَه الاختلاف فى وضوح الدلالة ؛ لأنه لا يمكن فيه انفكاك تعقل اللازم عن تعقل الملزوم فى الذهن أصلاً .

(١) يعنى بغير العُرف العام العرفَ الخاصَّ ودلالة المقام ، والتأمُّلَ فى القرينة ، ومثال العرف العام: لزوم الشجاعه للأسد ، ومثال الخاص: لزوم عدم قبول النجاسة لبلوغ الماء قُلَّتَيْن .

(٢) هو ابنُ الحاجب .

(٣) هو اللزومُ البَيِّنُ المعتبرُ فى علم المنطق كما سبق .

(٤) أى فى دلالتها على معنى واحد بطرق متعددة كما فى الألفاظ المترادفة ، وقد يتأتى فيها الاختلافُ فى الوضوح بالتعقيدات اللفظية ، ولكن هذا ليس من الاختلاف فى طرق الدلالة ، واعتُرِضَ على ذلك بأنه يلزم عليه خروجُ التشبيه من علم البيان ؛ لأن دلالتَه وضعيةٌ ، وقد أجاب بعضُهم بالتزام خروج التشبيه من علم البيان وأنه إنما يذكر فيه من أجل بناء الاستعارة عليه . والحق أن الإيراد المذكورَ يتأتى فى التشبيه أيضاً كما سبق ؛ فلا يصح إخراجه من علم البيان ، وإنما أتى فيه الإيراد المذكور ؛ لأن التشبيه فى نحو: «زيدٌ كالبدر » له دلالتان : إحداهما وضعية فى دلالته على تشبيه وجهه بالبدر فى الاستدارة والاستنارة ، والثانية التزامية فى دلالته على أنه غاية فى الحسن ، بهذه الثانية يأتى فيه الإيراد المذكور . وقيل : إن المراد بإتيان ذلك فى العقلية ما يشمل إتيانه فيها وحدَها أو مع الوضعية ؛ لأن الدلالة الوضعية فيه إحدى الدلالات المتفاوتة .

(٥) يكون هذا باعتبار قلة الوسائط وكثرتها بين اللازم والملزوم ونحو ذلك مما يختلف به وضوح الدلالة، وكذلك دلالة التَّضَمُّن؛ لأنها قد تدل على جزء الشئ أو جزء=

أبواب علم البيان :

ثم اللفظُ المرادُ به لازمُ ما وُضع له : إن قامت قرينةٌ على عدم إرادة ما وُضع له فهو مجاز ، وإلا فهو كناية . ثم المجاز منه الاستعارة ، وهى ما تَبْتَنِى على التشبيه ، فيتعينُ التعرضُ له (١) .

فانحصر المقصودُ فى : التشبيه، والمجاز، والكناية .

وقُدّم التشبيهُ على المجاز ؛ لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التى هى مجازٌ على التشبيه ،وقدِّم المجاز على الكناية؛ لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل (٢) .

= جزئه ، ودلالتُها على الأول كدلالة الحيوان على الجسم أوضحُ من دلالتها على الثانى كدلالة الإنسان على الجسم .

هذا وإنما ذَكَرَ هنا مبحثَ الدلالة ؛ ليُرتِّبَ عليه بيان أبواب علم البيان ، ولأن علم البيان ترجع مباحثه إلى دلالة اللفظ ، أما علم المعانى فترجع إلى نظم الكلام وأسلوبه .

(١) هذا ظاهر فى أن التشبيه لا يدخل فى البيان إلا تبعاً للاستعارة ، وقد سبق بيان الحق فى ذلك ، على أن ابنَ الأثير قد ذكَر أن الجمهور على أن التشبيه مجاز ؛ لأن المتشابهين كما ذكر ابن رشيق إنما يتشابهان بالمقاربة وعلى المسامحة ، وقد نازعه بعضهم فى صحة هذا النقل عن الجمهور .

وقد قسَّم الرُّمَّانِىُّ التشبيهَ إلى حقيقىٍّ ومجازى؛ فالأول تشبيه المتفقين بأنفسهما؛ كتشبيه حمرة الخد بحمرة الورد ، والثانى تشبيه المختلفين بالذات؛ كتشبيه زيدٍ بالأسد.

(٢) إنما لم يكن جزءاً حقيقةً ؛ لأن الكناية ليس معناها مجموع اللازم والملزوم ، وإنما هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم كما سيأتى .

هذا وقد ذكر السعد أن الأَوْلى أن يعرِّف البيان بأنه « علم يُبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث ، فلا يكون هناك حاجة إلى تفصيل الكلام فى الدلالةوما ترتب عليه ». وفى نفسى شئ من هذا التعريف؛ إذ أن التعريف يُبنى على الشمول، ولا يكون بهذا التفصيل . ويجب أن يعلم أن هذه الأبواب كانت تعد قديما من البديع ، وكان يجرى عليها حكم أبوابه ، فلا يصح أن يزدحم الكلام بها ؛ لأنها لا تُطْلَبُ لذاتها كما سبق ، وإنما تحسن عند اقتضاء المقام لها .

الباب الأول : القول فى التشبيه

تعريف التشبيه : التشبيه: الدلالة على مشاركة أمرٍ لآخر فى معنى[١] ، والمراد بالتشبيه ههنا[٢] ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد[٣] ؛ فدخل فيه ما يسمى تشبيهاً بلا خلاف ؛ وهو ما ذُكِرتْ فيه أداةُ التشبيه ؛ كقولنا: « زيدٌ كالأسد ، أو كالأسد » بحذف زيد لقيام قرينة ، وما يُسمّى تشبيهاً على المختار كما سيأتى[٤] وهو ما حُذفتْ فيه أداةُ التشبيه وكان اسمُ المشبه به خبراً للمشبه أو فى حكم الخبر[٥] كقولنا : « زيد أسد »، وكقوله تعالى ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾[٦] أى هم. ونحوه قول من يخاطب الحَجّاج :

أسَدٌ علىَّ وفى الحروب نعامةٌ   فَتْخاء تنفر مِن صفيرِ الصافرِ[٧]

وكقولنا : « رأيتُ زيداً بحراً »

تأثير التشبيه : وإذ قد عرفتَ معنى التشبيه فى الاصطلاح ؛ فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره فى فن البلاغة[٨]، وأنَّ تَعْقيبَ المعانى به لا سيَّما قسمُ التمثيل منه يضاعف قواها فى تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك، وإن أردتَ تحقيق هذا، فانظرْ إلى قول البحترى :

---

(١) هذا معنى التشبيه فى اللغة، ويرد على هذا أنه يشمل نحو: « قاتل زيد عمراً، وجاءنى زيد وعمر »؛ فالأحسن أن يقال فى معناه لغةً: إنه مصدر«شبهته بكذا» إذا جمعت بينهما بوصف جامع وهذا لا يرد عليه ذلك؛ لأن الجمع فيه بصيغة المشاركة وواو العطف، لا بذلك الوصف الجامع.   (٢) يعنى التشبيه الاصطلاحى .

(٣) فهو فى الاصطلاح: الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى بالكاف ونحوها، لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد ، وإنما لم يَذْكُرْ الاستعارة التخييلية مع الثلاثة لأنها عنده فى الإثبات كما سيأتى ؛ فهى خارجة عن جنس التعريف ، وخروج التجريد من التشبيه إذا لم يكن على وجه ينبئ عن التشبيه كقولك: « لى من فلان صديقٌ حميمٌ » ، فإذا كان على وجه ينبئ عنه فالأقربُ جعله منه ؛ كقولك: « لئن سألتَ فلانا لتسألن به البحرَ » .   (٤) فى تعريف الاستعارة .

(٥) كالحال ونحوه ؛ كقولك: « رأيت زيداً بحراً » .   (٦) البقرة آية ١٨ .

(٧) نسب فى الأغانى لعمران بن حطَّان ، ونسب فى حماسة البحترى لأسامة بن سفيان البجلى ، وفيه « ربداء » بدل «فتخاء» والفتخ: استرخاء المفاصل ولينها ، والربدة: لون يميل إلى الغبرة، والشاهد فى أنه على تقدير: هو أسد.

(٨) يريد بالبلاغة ما يرادف الفصاحة.

دانٍ على أيدي العُفَاة وشاسعٌ ... عن كل ندٍّ في النَّدَى وضَريب[1]
كالبدر أَفْرَطَ في العلوِّ وضوْءُه ... للعُصْبة السَّارينَ جِدُّ قَريب[2]

أو قول ابن لنْكك :

إذا أخو الحُسنِ أضحَى فعلُه سَمِجاً ... رأيتُ صورتَه من أقبح الصُّوَر[3]
وهَبْهُ كالشَّمْسِ في حُسْنٍ ألم تَرَنا ... نفرُّ منها إذا مالتْ إلى الضَّرَر؟[4]

أو قول ابن الرومى :

بَذَلَ الوعدَ للأخلاَّء سمْحاً ... وأبَى بَعْدَ ذَاك بذلَ العطاء
فَغَدَا كالخِلاف يُورِقُ للعيْـ ... ـنِ ويَأْبَى الإثمارَ كُلَّ الإباء[5]

أو قول أبى تمام :

وإذا أرادَ اللهُ نشْرَ فضيلة ... طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُود[6]
لولاَ اشْتعَالُ النارِ فيما جَاوَرَتْ ... ما كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُود[7]

---

(١) العفاة : جمع عاف وهو طالب الفضل أو الرزق ، والند : المثيل والنظير ، وعطف ضريب عليه عطف تفسير .

(٢) السَّارُون : السائرون ليلاً ، وقوله « جدٌّ قريب » صفة لمحذوف أى قريب جد قريب بمعنى بالغ الغاية فى القرب ، وهو مصدر جَدَّ أى اجتهد وبالغ فى أمره ، شبه هيئة رفعة الممدوح مع قرب نفعه للسائلين بهيئة ارتفاع البدر مع قرب ضوئه والانتفاع به ، والجامع : الهيئة الحاصلة من بُعْد المنال مع قرب النوال . (٣) السمج : القبيح .

(٤) قوله « هبه » بمعنى احسبه واعدده ينصب مفعولين ولم يأت منه إلا الأمر ، ورُوى « وهبك »؛ شبه حال من حَسنتْ صورته وقَبُحَ فعله فكرهه الناس بحال الشمس نفرّ منها إذا اشتد حرها ، والجامع أن كلاً يُكْرهُ لأذاه وإنْ حَسُن منظرُه . وابن لنكك هو محمد بن محمد بن لنكك .

(٥) الخلافُ : صنف من الصَّفْصَاف وليس به ، سمى خلافاً لأن السيل يأتى به سبيًا فينبت من خلاف أصله ، شبه حالَ من وعد شخصاً بقضاء حاجة ثم أخلف بحال الخلاف فى ذلك ، والجامع : ما فى كُلٍّ منهما من اليأس بعد الطمع .

(٦) قوله « طُويت » بمعنى أُخفيت ، وقوله « أتاح » بمعنى هيأ .

(٧) العَرْفُ : الرائحة ، والعودَ : ضرب من الطِّيب يُتَبَخَّرُ به ، والمراد تشبيه هيئة الفضيلة مع الحسود بهيئة العود مع النار على سبيل التمثيل ، والجامع ما فى كلٍّ من ترتب النفع على محاولة الضرر .

وقوله أيضا :

وطولُ مُقامِ المرءِ فى الحىِّ مُخلِقٌ ... لِـدَيـبْاجَتَيْـهِ فـاغْتَرِبْ يَتَجَـدَّدِ(١)

فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدَت محبَّةً ... إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ(٢)

وقسْ حالَكَ - وأنت فى البيت الأول ولم تنتـه إلى الثانى - على حالك وأنت قد انتهيت إليه ووقفـت عليه ، تعلم بُعْدَ ما بين حالتيك فى تمكّن المعنى لديك، وكذا تَعَهَّد الفرقَ بين أن تقـولَ « الدنيا لا تدوم » وتَسكُتُ وأنت تذكر عقيـبَهُ ما رُوِىَ عن النبى ﷺ أنه قال : «مَنْ فى الدنيـا ضَيْفٌ ، وما فى يده عاريةٌ ، والضيف مرتَحِلٌ والعاريةُ مؤدَّاةٌ » . أو تنشد قول لبيد :

وما المال والأهْلُونَ إلا ودائعُ ... ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ(٣)

وبين أن تقـولَ: « أرى قـومـاً لهم منظر، وليس لهم مـخـبـر » وتقطع الكلام، وأن تُتبعه نحو قول ابن لنْككَ :

فى شجر السَّرْو منهم مَثَلٌ ... له رُواءٌ وما له ثَمَرُ(٤)

وانظر فى جميع ذلك إلى المعنى فى الحالة الثانيـة كيف يتزايد شرفه عليه فى الحالة الأولى .

أسباب تأثير التشبيه : ولذلك أسبابٌ :منها ما يحصل للنفس من الأنْس بإخراجهـا من خَفِىٍّ إلى جلىٍّ ؛ كالانتقال مما يحصـل لها بالفِكْرةِ إلى ما يُعلَم بالفِطْرَةِ ، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألِفَتْه . كما قيل :

---

(١) المُخْلِقُ : المُبْلى ، والديباجة : الوجـه ، والمراد بديباجتيه: صفـحتاه ، ولهذا أعاد الضمير عليهما فى « يتجدد » مفرداً . وفى رواية « تتجدد » بالتاء .

(٢) السرمد : الدائم ، والمراد تشبيـه هيئة المرء فى اكتسابه المحبة بالاغـتراب بهيئة الشمس فى اكتسابها المحبة بطلوعها وغروبها .

(٣) هو للبيد بن ربيعة العامرى ، ويعنى أن ذلك ودائع الله عندنا .

(٤) الرواء : المنظر الحسن ، والمراد أنهم مثله فى حسن المنظر وقبح المخبر .

* ما الحُبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّل(١) *

أو مما تعلمه إلى ما هى به أعلم ، كالانتقال من المعقول إلى المحسوس؛ فإنك قد تُعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقِصَرِ : « يومٌ كأقصرِ ما يُتَصوَّرُ » ، فلا يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولهم « أيامٌ كأباهيم القَطا »(٢) ، وقول الشاعر :

ظَلِلْنا عند بابِ أبى نُعَيْمٍ   بيومٍ مثْلِ سالفةِ الذُّباب(٣)

وكذا تقول: « فلانٌ إذا هَمَّ بالشئ لم يزُل عن ذُكره ، وقَصَر خواطرَه على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغلْه عنه شئ » فلا يصادف السامع له أرْيَحيَّةً ، حتى إذا قلتَ :

* إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ (٤) *

---

(١) هو من قول أبى تمام :

كَمْ منزلٍ فى الأرض يألَفهُ الفتى   وحنينهُ أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ
نَقِّلْ فؤادَكَ ما استطعتَ من الهوى   ما الحُبُّ إلا للحبيبِ الأوَّلِ

يريد أن الفؤاد لا يميل إلا للحبيب الأول لإلفه له ، وهذا هو محل الشاهد .

(٢) الأباهيم : جمع إبهام وهو الإصبع المعروف .

(٣) سالفة الذباب : مقدم عنقه ، والمراد أنه مثلها فى القصر ، وقد قال ثعلب : كنا عند ابن الأعرابى فأنشد قول جرير :

ويومٍ كإبهامِ القَطَاةِ تخَايلَتْ   ضُحاهُ وطابتْ بالعَشىِّ أصائلُه

فعجبنا من تشبيهه قصر النهار بإبهام القطاة ، فقال ابن الأعرابى : أحسن منه ـ وهو الذى أخذ منه جرير ـ قول الآخر :

ويوم عند دارِ أبى نُعَيْمٍ   قصيرٌ مثل سالفةِ الذبابِ

وقد قال الزجاج : إن هذا نهاية فى الإفراط ، وخروج عن حدود التشبيه المصيب ، وأنشد فى «ديوان المعانى» لعون بن محمد بن إسحاق الموصلى :

ظللنا فى جوار أبى الجناب   بيوم مثل سالفة الذباب

(٤) هو من قول سعد بن ناشب :

إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ   ونكَّب عن ذكْرِ العواقبِ جانبا =

امتلأت نفسه سرورا ، وأدركته هزةٌ لا يمكن دفعها عنه ، ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك إذا كنت أنت وصاحب لك يسعى فى أمر على طرف نهر ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل ، فأدخلت يدك فى الماء ثم قلت له: « أنظر هل حصل فى كفى من الماء شئ ؟ فكذلك أنت فى أمرك » كان لذلك ضربٌ من التأثير فى النفس وتمكينِ المعنى فى القلب زائدٌ على القول المجرَّد .

ومنها الاستطراف كما سيأتى[1] .

ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشئ الواحد بأشياء عدة[2] : نحو أن يعطيَكَ من الزنْد بإيرائه[3]: شبهَ الجوادِ والذكىّ والنُّجْحِ فى الأمور، وبإصلاده[4]: شبه البخيل والبليد والخيبة فى السعى ، ومن القمر: الكمال عن النقصان ، كما قال أبو تمام :

لهْفى على تلك الشواهد فيهما … لو أُمْهِلتْ حتى تصيرَ شمائلا[5]
لَغَدا سكونُهما حجًى وصباهُمَا … حلْماً وتلك الأرْيَحيَّة نائلاً[6]
ولأعقبَ النجم المُرِذُّ بديمةٍ … و لعاد ذَاكَ الطَّلُّ جُوداً وابِلا[7]

= والشاهد فى تشبيهه العزم بشئ محسوس يلقى أمام العينين بجامع العناية التامة بكل ، ولكن هذا من الاستعارة بالكناية لحذف المشبه به فيه وإثبات لازمه للمشبه .

(١) فى بيان الغرض من التشبيه .

(٢) هذا يدخل فى سبب من أسباب تأثير التشبيه، هو جمعه بين الأمور المتنافرة والمختلفة ؛ لأنه فيما ذكره يشبه أشياء مختلفة بشئ واحد .

(٣) إخراجه النار . (٤) صوّت ولم يخرج نارا .

(٥) اللهف : الحسرة ، والشواهد : أَمَارَاتُ الفضائل فيهما ، وكان يرثى ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا فى يوم واحد ، والشمائل : السجايا .

(٦) الحجَى: العقل ، والصبا : الفتوة ، والأريحية : خصلة تجعل صاحبها يرتاح إلى الأفعال الحَميدة ، والنائل : العطاء ، ويروى « وصباهما كرماً » ولكنه يتكرر مع قوله « نائلا » .

(٧) المُرِذُّ : اسم فاعل من أرذَّ بمعنى أمطر رذاذاً وهو المطر الخفيف، والدِّيمة: المطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق. والطل: المطر الضعيف، والجود: المطر الغزير، والوابل : المطر الشديد .

إنَّ الهِـــــلالَ إذَا رَأَيْتَ نُمُـــــوَّهُ   أَيْقَنْتَ أنْ سَيَصِــــيرُ بَدْراً كَامِلا[١]

والنقصان عن الكمال ؛ كقول أبى العلاء المعرِّى :

وإن كنتَ تَبْغِى العيشَ فابْغِ توسُّطاً   فعِنْدَ التَّنَاهِى يَقْصُرُ المُتَطَـــاوِلُ[٢]

تُوَقَّ البدورُ النقصَ وهْى أهِلَّةٌ   ويدرِكُهَا النقصانُ وهْى كَــوامِلُ[٣]

وتتفــرع من حالتَىْ كــماله ونقصــه فروعٌ لطيــفة ؛ كقــول ابن بابك فى الأستاذ أبى علىٍّ – وقــد استوزره وأبا العباس الضبِّىَّ فخــر الدولة بعد وفاة ابن عباد – :

وأعرتَ ثَوْبَ المُلْكِ شطْرَ كَمَالِهِ   والبدْرُ فى شطْرِ المسافةِ يَكْمُلُ[٤]

وقول أبى بكر الخُوارزمى :

أراك إذا أيْسرْتَ خيَّمْتَ عندَنَا   مُقِيمــاً وإنْ أعْسَرْتَ زُرْتَ لِماما

فما أنت إلا البَدْرُ إن قلَّ ضوْؤُه   أَغَبّ وإن زادَ الضياءُ أقامَا[٥]

المعنى لطيف وإن لم تســاعدْهُ العبــارةُ على ما يجب ؛ لأن الإغــباب أن

---

(١) هذا البيت محل الشاهد ؛ لأنه يشــبه ما كانا سيصيران إليه بحــال الهلال فيما يصير إليه من الكمال بعد النقصان .

(٢) التناهى : بلوغ النهاية ، والمتَطَاوِلُ : اسمُ فاعل من تَطَاوَلَ بمعنى تَمَدَّدَ .

(٣) هذا البيت مــحل الشاهد ، لأنه يُشَبِّهُ حال الشــخص فى أمنه من النقص عند التوسط فى العــيش وعدم أمنه منه إذا بلغ نهــايته بحال البدور فــى أمنها من النقص وهى أهلة وإدراكه لها بعد كمالها .

(٤) قوله « أَعَرْتَ » بمعنى أَعْطَيْتَ ، والشطر: النصف ، يعنى بذلك تدبيره نصف المملكة مع أبى العباس الضــبى ، والمراد تشبيه حال الملك فى كمــاله بذلك بحال البدر فى كماله عند بلوغه نصف مسافته ، وقيل : المراد تشبيه حال الممدوح نفسه فى كماله بتدبير نصف المملكة . وابن بابك : هو عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك .

(٥) قوله « خيمت » بمعنى أقمت ، وأصل خيم نصب الخيمة أو أقام فيها . وقوله « زرت » لماما : بمعنى وقتاً بعد وقت ، وذلك لإظهار التــعفف عند العسر . ووجه الشبه إطالة المكث عند كثرة النفع وإقلاله عند قلته .

يتخلل بينَ وَقْتَى الحضور وقتٌ يخلو منه ، فإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يوال الطلوع في كل ليلة ، بل يظهر في بعض الليالي دون البعض، وليْس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى تكون السرار .

وكذا ينظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوئه وشعاعه في نحو ما مضى من بيتى البحترى[1] وإلى ظهوره في كل مكان ، كما في قول أبى الطيب :

كالبدرِ من حيثُ التفتَّ وجدتَه ... يُهْدِى إلى عينَيْكَ نوراً ثاقبا[2]

إلى غير ذلك[3] .

أركان التشبيه : ثم النظر في أركان التشبيه ، وهى أربعةٌ : (طرفاه، ووجهه، وأداته)، وفى الغرض منه . وفى تقسيمه بهذه الاعتبارات .

طرفا التشبيه : أما طرفاه فهما إما حسِّيّان ، كما في تشبيه الخد بالورد ، والقَدّ بالرمح، والفيلِ بالجبلِ في المُبْصَرات ، والصوتِ الضعيف بالهمس في المسموعات ، والنكهةِ بالعنبرِ في المشمومات ، والريقِ بالخمر في المذوقات ، والجلدِ الناعم بالحرير في الملموسات[4] .

---

(١) قد سبقا في ص ٧ ، ٨ .

(٢) الثاقب: المضئ أو النافذ في كل مكان ، وقوله « كالبدر » يتعلق بالبيت قبله :

هذا الذى أبصرتَ منه حاضراً ... مثلُ الذى أبصرت منه غائبا

(٣) أى مما ينظر فيه إلى حالات القمر. هذا ومن فضائل التشبيه الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز ، كقولك « زيد أسد » تريد أنه متصف بالشجاعة وشهامة النفس وقوة البطش وغير ذلك مما يجمعه هذا التشبيه على إيجازه.

وقد قال ابن الأثير : إن التشبيه يجمع صفات ثلاثة : المبالغة، والبيان، والإيجاز .

ويجب أن يراعى ما سبق من أن التشبيه كغيره من أبواب البيان لا يحسن مع فضله إلا عند اقتضاء المقام له ، وأنه في هذا يتأثر بحال الزمان والمكان ، ويتسع فيه المجال للتهذيب والتجديد ، وقد كان القدماء يشبهون الخدود بالورود ، فخالفهم المحدثون وشبهوا الورود بالخدود ، كما في قول بعضهم (على بن الجهم) :

عشيَّةَ حيَّانى بوَرْدٍ كأنه ... خدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعضِ

(٤) هذه أمثلة من الشعر لتشبيه الحسى بالحسى :

الخدُّ وردٌ والصدْغُ غاليةٌ ... والرِّيق خمر والثَّغْر كالدُّررُ

هَزْزنَ من القدود لنا رماحاً ... فخلين القلوبَ لها دَرَايا

لها بَشَرٌ مثلُ الحريرومنطقٌ ... رخيمُ الحواشِى لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

وإما عقليان ؛ كما فى تشبيه العلم بالحياة(١) .

وإما مختلفــان؛ والمعقول هو المشبه ؛ كما فى تشبيـه المنيةِ بالسبع(٢)، أو العكس ؛ كما فى تشبيه العطْرِ بخُلق كريم(٣) .

والمراد بالحسِّيّ المُدْرَكَ هو أو مــادّتهُ بإحــدى الحــواس الخــمس الظاهرة ؛ فدخل فيه الخياليَ(٤) كما فى قوله :

وكأنَّ مُحْمَرَّ الشقيـــ ـــق إذا تَصَوَّبَ أو تَصَعَّدْ
أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ نَ على رماحٍ مِن زَبَرْجَدْ (٥)

وقوله :

كُـــلُّـــنا باسطُ اليـــدِ نحوَ نيْلوفَرٍ نَـــــدِى

---

(١) من ذلك قول الشاعر :

تُشرق أعراضهمُ وأوجُهُهم كأنَّهَا فى نُفُوسهم شِيَمُ

فى تشبيه الأعراض بالشيم ، أما تشبيه الوجوه بها فَمِن الحَسِّىِّ بالعقلى .

(٢) من ذلك قول الشاعر :

الرأىُ كالليل مسودٌّ جَوَانبهُ والليل لا يَنْجَلِي إلا بإصْبَاحِ

(٣) سيأتى فى قول الصاحب :

أهديتُ عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

وقد تشبه الأرض بذلك أيضاً ، كما فى قول الشاعر :

وأرض كأخلاق الكرام قطعتُها وقد كحَّل الليلُ السماك فأبصرا

ومن العلماء مَن ينكر تشبيه المحسوس بالمعقول ؛ لأن المشبه به يجب أن يكون أظهر من المشبه ، وقـد حمل ما جاء منه على المبـالغة فيكون من التشبيـه المقلوب الآتى ، ومن العلماء من يستحـسنه لما فيه من اللطافة والرقة فلا يكون عنده دائمًا من التـشبيه المقلوب . هذا وكان من الواجب أن يعنى ببيـان منزلة تلك الأقسام فى التشبيـه؛ لأن سردها من غير بيان ذلك ليس فيـه فائدة ، والمقرر فى ذلك أن التشبيـه كلما كان أدخل فى باب المعنويات كان أكمل .

(٤) هو المركب الذى توجد أجزاؤه فى الخارج دون صـورته المركبة ، فتكون مادته مدركَة بالحس دون صورته لعدم وجودها .

(٥) هما لأبى بكر أحمـد بن محمـد بن الحسن الضَّبِّـحىّ المعروف بالصنوبرى ، والشقيق : نبات أحمر الزهر يسمى شقـائق النعمان ، وقد أفرده لضرورة الشعر ، وقـوله « تصوب أو تصعد » بمعنى مال إلى أسفل وإلى أعلى فـ «أو» فيه بمعنى الواو ، والياقوت: حجر نفيس تخـتلف ألوانه والمراد هنا الأحمر ، والزبرجد : حجر نفيس أشـهره الأخضر وهو المراد هنا ، والخيالى فى ذلك هو المشبه به .

كدبابيـــــس عَســـجَدٍ قُضْبُـــــها من زَبَرْجَـــد [1]

والمراد بالعقلى ما عدا ذلك ، فدخـل فيه الوهمى ؛ وهو ما ليس مُدْرَكاً بشىء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أُدرِكَ لم يُدْرَكْ إلا بها [2] كما فى قول امرىء القيس :

ومسنونةٌ زرق كأنياب أغوال [3]

وعليه قوله تعـالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رءوسُ الشَّيـاطين ﴾[4] ، وكذا مـا يدْرَكْ بالوجدان [5] كاللذة والألم والشبع والجوع .

وجه التشبيه : وأما وجهه فهو المعنى الذى يشتـرك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخييلا ، والمراد بالتخـييل ألاّ يمْكن وجوده فى المشبه به إلا على تأويل [6] كما فى قول القاضى التّنوخىّ :

وكأنّ النجُـومَ بين دُجاهَـــا سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنّ ابتـــداعُ [7]

(١) هما للصنوبرى أيضـاً ، والنيلوفر : هو البَشْنين ، وهو نبـات ذو رائحة ينبت فى الماء الراكد أصله كالجزر وساقـه أملس أخضر فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر وزهرُه أحمـر مشوب بصفـرة ، والدبابيس : جمع دبوس وهو عصـا فى رأسها كـالكرة ويسمى مقمعة ، والعسجد : الذهب أو جوهر كالدر والـياقوت . والخيالى هو المشبه به أيضاً .

(٢) فعدم إدركه بها إنما هو لعدم وجوده ، وبهذا يمتاز عن العقلى الخالص .

(٣) هو من قوله :

أيَقْتُلنى والَمْشرَفىُّ مُضاجعى ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنياب أَغْوَالِ

وقد مـضى فى الكلام على الاسـتفـهام فى باب الإنشـاء ، والوهمى فى ذلك هو المشبه به .

(٤) آية ٦٥ سورة الصافات . والشـاهد فى الآية على أن المراد بالشياطين: الجن ، وقيل إن رؤوس الشياطين ثمر شجر منكر الصورة يسمى الأستن .

(٥) هو ما يدرَك بالحواس الباطنة من المعانى الجزئية .

(٦) التأويل بمعنى التخيـيل وهو جعله غير المحقَّق محققاً ، ولـم يقيد السعد ذلك بالمشبه به بل جعله عاماً فى أحد الطرفين أو كليهما .

(٧) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، والضمير المضاف إليه يعود إلى النجوم ، وفى الشطر الثـانى قلبٌ، والأصل سنن لاحت بين ابتـداع ؛ لأن هذا هو الموافق لوجـود النجوم بين الدجى . والقاضى التنوخى هو على بن محمد بن داود بن فهم .

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مُشرِقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود ؛ فهى غير موجودة فى المشبه به إلا على طريق التخييل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهلٌ يجعل صاحَبها فى حكم من يمشى فى الظلمة ، فلا يهتدى إلى الطريق ولا يفصل الشىء من غيره ، فلا يأمن أن يَتَرَدَّى فى مَهواَة أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مُهلكة ، شبِّهتْ بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن يُشبه السنة والهدى وكل ما هو علمٌ بالنور ، وعليهما قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجهمْ من الظُّلمات إلى النُّور ﴾(١) وشاع ذلك حتى وُصف الصنفُ الأول بالسواد ، كما فى قول القائل: « شاهدت سواد الكفر من جبين فلان » والصنف الثانى بالبياض و كما فى قول النبى ﷺ : « أتيتكم بالحنيفِيّة البيضاء » وذلك لتخييل أن السنن ونحوَها من الجنس الذى هو إشراق أو ابيضاضٌ فى العين ، وأن البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم ما بين الدياجى بالسنن ما بين الابتداع كتشبيه النجوم فى الظلام ببياض الشيب فى سواد الشباب ، وبالأنوار (٢) مؤتلقة بين النبات الشديد الخضرة ؛ فالتأويل فيه أنه تخيل ما ليس بمتلوِّن متلوناً ، ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يُتأوّل بأنه أراد معنى قولهم « إن سواد الظلام يزيد النجوم حسناً » فإنه لما كان وقوف العاقل على عَوَار الباطل يزيد الحق نُبلاً فى نفسه وحسناً فى مرآة عقله ، جعل هذا الأصل من المعقول مثالاً للمشاهَد المُبصَر هناك ، غير أنه لا يَخرُجُ مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر ؛ لأن الظاهر أن يمثَّل المعقول فى ذلك بالمحسوس (٣) كما فعل البحترى فى قوله :

وقَدْ زَادَها إفراطَ حسنٍ جِوارُها ... خلائقَ أصفارٍ من المجدِ خُيَّبِ (٤)

---

(١) البقرة : ٢٥٧ .

(٢) جمع نور بفتح النون وهو الزهر الأبيض أو الزهر مطلقاً .

(٣) المعقول هو زيادة حسن الحق ، والمحسوس هو زيادة حسن النجوم .

(٤) تقدير البيت : وقد زادها جوارها خلائق أصفار من المجد خيب إفراط حسن ؛ فإفراط مفعول لزاد مقدم على فاعله وهو جوارها ، وخلائق مفعول لجوارها ، ومن المجد متعلق بأصفار لأنها بمعنى خالية جمع صفر .

وحُسْنُ دراريّ الكواكبِ أن تُرَى طَوَالعَ فى داجٍ من الليلِ غيْهبِ (١)

ومن التشبيه التخييلى قول أبى طالب الرّقىّ :

ولـقد ذكرتُك والـظلامُ كأنــــه يومُ النـّوَى وفؤادُ مَنْ لَم يعْشقِ (٢)

فإنه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعـاً ؛ فيقال : « اسودّ النهار فى عينى وأظلمت الدنيا علىّ » ، وكان الْغَزَلُ يدَّعى القسوة على من لم يعشق ، والقلب القاسِى يُوصَفُ بالسواد توسعـاً ، تَخيَّلَ يومَ النوى وفؤادَ من لم يعشق شيئين لهما سواد ، وجعلهما أعرفَ وأشهَر من الظلام ، فشبهه بهما .

وكذا قول ابن بابك :

وأرضٍ كأخلاقِ الكرَام قَطَعْتُها وقَدْ كحّل الليلُ السِّماكَ فأبْصَرَا (٣)

فإن الأخـلاق لما كانت توصفُ بالسّعـة والضيق تشـبيـهاً لهـا بالأماكنِ الواسعة والضيقة ، تخيل أخلاق الكرام شيئاً له سعة وجُعل أصلاً فيها ، فشبه الأرض الواسعة بها . وكذا قول التّنوخىّ :

فانهضْ بنار إلى فحمٍ كأنهما فى العينِ ظلمٌ وإنصافٌ قد اتّفقا (٤)

فإنه لما كان يقال فى الحق : « إنه منير واضح » ، فيستعار له صفة الأجسام المنيرة ، وفى الظلم خلاف ذلك ، تخيّلَهُما شـيئين لهما إنارة وإظلام ؛ فشـبه

---

(١) الدرارى : جـمع درى وهو الكوكب الـثاقـب المضىء كـالـدر ، والداجى : المظلم ، والغيهب : الشديد السواد . والمراد تشبيه هيئة وجود خلائق لها مجد بين خلائق خالية منه بهيـئة وجود درارى الكواكب فى ليل غيهب ، فشبه المعـقول فى هذا بالمحسوس .

(٢) هو من تشبيه المحسوس بالمعقول ، وأبو طالب الرقى من شعراء اليتيمة : يتيمة الدهر للثعالبى .

(٣) السماك : الأعزل . والرامح : نجمان نيّران ، وضـمير « أبصرا » يعود إليه ، يعنى أنه فتح وظهر ، وفى البيت تـشبيه محسوس بمعقـول ، وابن بابك هو عبد الصمـد ابن منصور .

(٤) هو من قطعة له فى وصف البرد ، وفـيه تشبيه محسوس بمعـقول ، وقد سبق التعريف بالقاضى التنوخى .

النار والفحم مجتمعَيْن بهما مجتمعين . وكذا ما كتب به الصاحب إلى القاضى أبى الحسن (١) وقد أهدى له الصاحب عطر الْقُطْر :

يا أيهُا القاضى الذى نَفْسى له   مع قُرْب عَهد لقائه مُشْتَاقَهْ
أهديتُ عطْراً مثلَ طيبِ ثنائه   فكأنّماَ أهْـدِى له أخلاقَهْ

فإنه لما كان الثناء يُشَبَّه بالعطر ويشْتق له منه ، تخيله شيئاً له رائحة طيبة، وشبَّه العطر به ليوهِمَ أنه أصْلٌ فى الطيب وأحق به منه . وكذا قول الآخر :

كأنَّ انْتضاءَ البدرِ من تحتِ غيْمِه   نجاءٌ من البأساءِ بعدَ وُقُوعِ (٢)

فإنه لما رأى الخلاص من شدة يشبَّه بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره عنه ؛ قلب التشبيه ليُرِيَ أن صورة النجاء من البأساء ـ لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب ـ أعْرَفُ من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه .

وإذا عُلِم أن وجهَ الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان عُلِمَ فسادُ جعله فى قول القائل: « النحو فى الكلام كالملح فى الطعام » كونَ القليل مصلحاً والكثير مفسداً ؛ لأن القلة والكثرة إنما يُتصوّر جريانهما فى الملح - وذلك بأن يُجْعل منه فى الطعام القدر المصلح أو أكثر منه - دون النحو ، فإنه إذا كان منْ حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلاً فإن وجد ذلك فى الكلام فقد حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه وصار منتفَعاً به فى فهم المراد منه ، وإلا لم يحصل وكان فاسداً لا يُنتفع به ، فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً لاشتراكهما فى ذلك .

ومما يتصل بهذا ما حُكى أن ابن شرف القيْروانى أنشد ابنَ رشيق قوله :

غَيْرِى جَنَى وأنا المُعَاقَبُ فِيكُمُ   فكأنَّنى سبّابَةُ المُتَنَدمِ (٣)

---

(١) يعنى الصاحب إسماعيل بن عباد ، والقاضى على بن عبد العزيز .

(٢) نسبه ابن المعتز فى البديع للعلوى الأصفهانى وهو محمد بن أحمد المعروف بابن طباطبا ، والانتضاء : الانكشاف ، والنجاء : الخلاص ، والبأساء : الشدة ، وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول أيضاً .

(٣) السبابة : إصبع معروف ، يعنى أن الشخص يعضها إذا ندم على شيء فاته ولا ذنب لها فى ذلك . وابن رشيق اسمه الحسن ، وابن شرف البقروانى هو اسمه محمد بن سعيد.

وقال له : هل سمعتَ هذا المعنى ؟ فقـال ابن رشيق : سمعتُه وأخذتَه أنت وأفسدتَه ؛ أما الأخذ فمن النابغة الذُّبْيانىّ يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريبةً   وهـل يأْثَمَنْ ذو إمّةٍ وهْو طائـع (١)
لكلّفْتَنى ذنبَ امْرىءٍ وتـركتَهُ   كذى العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهْو راتع (٢)

وأما الإفساد؛ فلأن سبـابة المتندم أول شىء يتألم منه؛ فلا يكون المعاقب غير الجانى ، وهذا بخـلاف بيت النابغة؛ فإن المكْوِىّ من الإبل يألم وما به عُرٌّ أَلْبَتَّةَ ، وصاحب العُرّ لا يألم جملةً (٣) .

الوجه الداخل فى الطرفين والخارج عنهما :

وهو إمّا غـيرُ خـارج عن حـقيـقة الـطرفين،أو خارج. والأول إمـا تمام حقيـقتهما كمـا فى تشبيه إنسان بإنسـان فى كونه إنساناً،أو جزئهمـا؛ كما فى تشبيه بعض الحيوانات العجْم بالانسان فى كونه حيوانا. والثانى صفةٌ إما حقيقية أو إضافية (٤)،والحقيقة إما حسية؛وهى الكيـفيات الجسمية مما يدْرَك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحـركات وما يتـصل بها من الحُسْنِ والقبح وغـير ذلك،أو بالسمع من الأصـوات القوية والضعيـفة والتى بَيْن بَيْن،أو بالذوق من أنواع الطعـوم،أو بـالشم من أنواع الروائح،أو باللمـس من الحـرارة والبـرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل وما ينضاف

(١) الإمة : الدّين أو النعمة أى ذو نعمة أسديت إليه ، وقد تضم همزته .

(٢) العر : بضم العين وفتـحها الجرب ، وقيل إنه بـالفتح : الجرب ، وبالضم : قروح مثل القوباء ، وهى التى يُكْوَى منها لذلك لا الجرب ، وقد كان العرب يفعلون ذلك قـديماً لجهلهم ثم تركـوه ، وقيل : إنـه مثل لا حـقيـقة . والراتع : اسم فـاعل من رتع بالمكان؛ إذا أقام فيه وأكل وشرب .

(٣) الحق أن هذا النقد يقوم على تعمق فى التدقيق لا يحتمله مقام الأدب ، وكلام العرب يقوم كثير منه على التوسع والتجوز .

(٤) الصفة الحقيقية كل هيئة متمكنـة فى الذات متقررة فيها ، والصفة الإضافية كل معنى يتعلق بشيئين بحيث يتوقف تعقله على تعقلهما .

إليها ، وإما عقلية كالكيفيات النفسية من الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم وما جرى مجراها من الغرائز والأخلاق . والإضافية كإزالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس [١] .

الوجه الواحد وغيره والحسى والعقلى :

تقسيم آخر باعتبار آخر : وجه الشبه إما واحد أو غير واحد ؛ والواحد إما حسى أو عقلى ، وغير الواحد إما بمنزلة الواحد لكونه مركَّباً من أمرين أو أمور ، أو متعدد غير مركب ، والمركب إما حسى أو عقلى ، والمتعدد إما حسى أو عقلى أو مختلف .

والحسى لا يكون طرفاه إلا حسيين ؛ لامتناع أن يدرَك بالحس من غير الحسيّ شيءٌ ، والعقلى طرفاه إما عقليان أو حسيان أو مختلفان؛ لجواز أن يُدْرَك بالعقل مِن الحسيّ شيءٌ ، ولذلك يقال : التشبيه بالوجه العقلى أعمّ من التشبيه بالوجه الحسى .

قال الشيخ صاحب المفتاح [٢] : « وها هنا نكتة لا بد من التنبه لها ؛ وهى أن التحقيق فى وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلى ؛ وذلك أنه متى كان حسياً - وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً فى الطرفين ، وكل موجود فله تعيُّن - فوجه الشبه مع المشبه متعيّن ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به ؛ لامتناع حصول المحسوس المعيَّن ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على امتناعه إن شئتَ ، وهو استلزامه إذا عُدِمتْ حمرة الخد دون حمرة الورد ، أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معاً ، وهكذا فى أخواتها ، بل يكون [٣] مثله مع المشبه به ، لكن المثلين لا يكونان

---

(١) فإزالة الحجاب أمر نسبى يتعلق بالمزيل والمزال ، والأول هو الشمس أو الحجة ، والثانى هو الحجاب الحسى أو المعنوى .

ولهذا التقسيم فائدة فى الفرق بين التشبيه والتمثيل عند عبد القاهر ، كما سيأتى فى تقسيم التشبيه إلى تمثيل وغير تمثيل .

(٢) ١٧٩ - المفتاح - المطبعة الأدبية .

(٣) معطوف على قوله « فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به » .

شيئاً واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحد ، فيلزم أن يكون أمراً كلياً مأخوذاً من المثلين بتجريدهما عــن التعين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقلىّ ، ويمتنع أن يقال : فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين فى الطرفين (١) ؛ فإن المثلين متشابهان فمعهما وجه تشبــيه؛ فإن كان عقلياً كان المرجع فى وجه الشبه العقلُ فى المآل ، وإن كان حــسيــاً استلزم أن يكون مع المثلين مــثلان آخــران ، وكان الكلام فيهمــا كالكلام فيما سواهمــا ويلزم التسلسل. » هذا لفظه ، ويـمكن أن يقال: المراد بكونه حسياً أن تكون أفراده مُدْرَكةً بالحس (٢) كالسواد ، فإن أفراده مدركة بالبصر وإن كان هو نفسه غير مُدْرَك به ولا بغيره من الحواس .

الواحد الحِسّىّ : الواحد الحــسى كالحمــرة والخفاء وطــيب الرائحة ولذة الطعم ولين الملمس فى تشــبيــه الخد بالورد ، والصــوت الضعيف بــالهمس ، والنكهة بالعنبر ، والريق بالخمر ، والجلد الناعم بالحرير ، كما سبق (٣) .

الواحد العقلى : والواحد العقلى كــالعراء عن الفائدة فى تشبــيه وجود الشىء العديم النفع بعدمه ، وجهةُ الإدراك فى تشبيه العلم بالحياة - فيما طرفاه معقــولان - والجراءة فى تشبــيه الرجل الشجاع بالأســد ، ومطلق الاهتداء فى تشبيه أصحاب النبى ﷺ ورضى عنهم بالنجوم (٤) فيما طرفاه محسوسان - والهداية فى تشبيه العلم بالنور (٥)، وتحصيل ما بين الزيادة والنقــصان فى تشبيه العدل بالقسطاس - فــيما المشبه فيــه معقول والمشبه به محــسوس - ،واستطابة

---

(١) أى من غير أن يكون هناك وجه مشترك بينهما .

(٢) اُعترِضَ على هــذا بأنه فى الحقيــقة اعــتراف بأن وجه الــشبه عــقلى كمــا قال السكاكى ، وإنى أرى أن هذا البحث كله مماحكة لفظية لا يحتمل مثلها هذا العلم .

(٣) فيما طرفاه محسوسان ، ومن ذلك قول الشاعر :

فوجهكَ كالنار فى ضوئها ... وقَلْبى كالنّار فى حَرّها

(٤) فى قوله ﷺ : « أَصحابى كالنُّجُوم بأيِّهِمُ اَقتدَيْتُم اهتديَتم »

(٥) كما قال الإمام الشافعى :

شكوتُ إلى وكيع سوءَ حفْظِى ... فأرشدَنِي إلَى تَرْك المَعَاصِى
وأخْبَرَنى بأنّ العِلْمَ نـورُ ... ونـورُ اللهِ لا يُهْدَى لِعَاصِى

النفس فى تشبيه العطر بخلق كريم (1) ، وعدم الخفاء فى تشبيه النجوم بالسُّنن(2) فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول - قال الشيخ صاحب المفتاح (3) : « وفى أكثر هذه الأمثلة فى معنى وحدتها تسامح » (4) .

المُرَكَّب الحسِّىّ : والمركب الحسى طرفاه إما مفردان ؛ كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكُرِّى ، والمقدار المخصوص فى قول ذى الرُّمة :

وَسِقْطٍ كعينِ الديكِ عاوَرْتُ صاحبى   أبَاها وهيَّأنا لموقعِهــا وَكْــرا (5)

وكالهيئـه الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المرأى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص فى قول أحيْحة بن الْجلاح أو أبى قيس بن الأسلت :

وقد لاح فى الصبحِ الثُّريّا كما تَرَى   كعنْقودِ مُلاَّحيَّةٍ حين نَــوَّرا (6)

---

(1) أى فى قول الشاعر فيما سبق :

أهديت عطرًا مثلَ طيبِ ثَنَائه   فكأنَّما أُهــدى له أخلاقَه

(2) أى فى قول الشاعر فيما سبق :

وكأنَّ النجومَ بين دُجَاها   سننٌ لاح بينَهُنَّ ابتدَاعُ

(3) المفتاح - ١٨٠ .

(4) لأن فيه نوع تركيب إضافى ، وهذا كخفاء الصوت ولذة الطعم واستطابة النفس . وأجيب عن ذلك بأن الكلام فى مطلق المفرد لا فى المفرد المَحض .

(5) السقط : النار الساقطة من الزند ، وهى تنزل منه ووسطها أسود وحافتها حمراء كعين الديك ، وقوله - عاورت : بمعنى ناوبت ، وكان من عادتهم عند استخراج النار أن يأتوا بعودين فيضعوا أحدَهما أسفل ويسموه أنثى ، ثم يَفْرِضوا فيه فرضاً ويجروا فيه عوداً آخر يسمونه أبا ، فإذا طال الزمن ولم تخرج النار تناوبوه . والوكر : ما تُودع فيه النار بعد خروجها . وذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن مسعود .

(6) الملاحية : عنب أبيض فى حبِّه طول . وقوله « نَوَّرَ » بمعنى أدرك نضجه ، وكاف التشبيه هى التى فى قوله « كعنقود » أما الكاف قبلها فبمعنى على ، وتقييد كل من المشبه والمشبه به بما قيد به لا ينافى كونه مفرداً ؛ لأن المراد بالمفرد ما ليس هيئة مُنتزَعة من متعدد . وأبو قيس : هو صيفى بن عامر ، والأسلت لقب أبيه ، وقيل : إن البيت لقيس ابن الخطيم .

وإما مركبان ؛ كالهيئة الحاصلة من هَوِيّ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم فى قول بشار :

كأنّ مُثَارَ النقعِ فوقَ رُءوسِنا　　وأسْيافَنَا ليلٌ تَهاوَى كواكبُهُ (١)

وكالهيئة الحاصلة من تفرُّق أجرام متلألئة مستديرة صغار المقادير فى المَرأى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة فى قول أبى طالب الرَّقِّىّ :

وكأنّ أجرامَ النجومِ لوامِعاً　　دُرَرٌ نُثِرْن على بُساطٍ أزرق (٢)

وإما مختلفان ، كما فى تشبيه الشاة الْجبلى (٣) بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابتٍ على رأسه شجرتا غَضاً ، وكما مر فى تشبيه الشقيق والنَّيْلوفر (٤) .

ومن بديع هذا النوع - أعنى المركب الحسى - ما يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين : أحدهما أن يُقْرَن بالحركة غيرُها من أوصاف الجسم كالشكل واللون ؛ كما فى قوله :

والشمسُ كالمرآةِ فى كفّ الأشَلّ (٥)

---

(١) هو لبشار بن برد . ومثار : اسم مفعول من أثاره بمعنى هيَّجه ، والنقع : الغبار ، وقوله تهاوى : بمعنى تتساقط أصله تتهاوى ، والواو فى قوله « وأسيافنا » إما واو المعية أو عاطفة متضمنة معنى مع ؛ لأن الواو التى لخالص العطف لا تكون فى المركب ، وإنما تكون فى المتعدد .

(٢) يريد لوامعاً فى السماء حتى يكون هناك زرقة فى المشبه أيضاً ، وقد حُذف للعلم به . وقد سبق التعريف بأبى طالب الرقى .

(٣) هو الثور الوحشى .　　(٤) انظر ص١٤ .

(٥) قيل : إنه من قول عبد الله بن المعتز أو أبى النجم :

والشمسُ كالمرآةِ فى كفّ الأشلّ　　لَـمّا رأيتها بدت فَوْقَ الجَبَلْ

وقد ورد فى الخزانة - شاهد ٢٩١ - منسوبا إلى جبار بن جزء ، والمراد بالأشل المرتعش اليد ؛ لأن المرآة إنما تؤدى هذه الحركة فى كفه ، والشلل فى الأصل يبس اليد أو ذهابها ، وقد يطلق على ارتعاشها ، وهو يشبه الشمس بذلك عند طلوعها .

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل من الإشـراق بسبب تلك الحركة من التموُّج والاضطراب ، حتى يُرى الشعاع كأنه يهمُّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ؛ فإن الشمس إذا أحدَّ الإنسانُ النظرَ إليها ليتبين جرمها ، وجدها مؤدِّية لهذه الهيئة ، وكذا المرآة إذا كانت فى يد الأشَلّ .

ومثله قول المُهلَّبىّ الوزير :

والشمسُ مِن مَشْرِقها قد بَدتْ   مشْرقةً ليس لها حَاجِبُ (١)

كأنها بَوْتَقَةٌ أُحْمِيَتْ   يَجُول فيها ذهبٌ ذائبٌ (٢)

فإن البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكَّل بشكلها فى الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة ، كأنه يهمُّ بأن ينبسط حتى يفيضَ من جوانبها لما فى طبعه من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما يتخلله الهواء . وكما فى قول الصَّنوبرىّ :

كأنَّ فى غدْرانها   حواجباً ظَلّت تُمَطُّ (٣)

أراد ما يبدو فى صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ، ثم تمتد امتداداً يُنقص من انحنائها فينقلها من التقوس إلى الاستواء ، وذلك أشبه شىء

(١) المراد بالحاجب السحاب لأنه يمنع الشمس من الإشراق .

(٢) البوتقة : ما يذيب فيه الصائغ الذهب والفضة . والمهلبى الوزير : هو الحسن بن محمد ، ينتهى نسبه إلى المهلب بن أبى صفرة .

(٣) الغدران : الأنهار ، وقوله « تمط » بمعنى تمد ، يصف أرضاً بأن أنهارها تهب عليها الرياح فيظهر على صفحاتها أشكال كأنها حواجب لها تقوُّس وامتداد . والصنوبرى هو أبو بكر أحمد بن محمد .

بالحواجب إذا امتدت؛ لأن للحاجب كما لا يَخْفَى تقويساً ، ومَدُّه يُنقِص من تقويسه .

والوجه الثانى أن تُجرَّد هيئةُ الحركة عن كل وصف غيرها للجسم ، فهناك أيضاً لا بد من اختلاط حركات كثيرة للّجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العُلوّ وبعضه إلى السفل ، فحركة الرَّحا والدّولاب (١) والسهم لا تركيب فيها لاتحاد الحركة ، وحركة المصحف فى قول ابن المعتز :

وكأن الْبرْقَ مصْحفُ قارٍ ... فانطباقاً مَرَّةً وانفتاحا (٢)

فيها تركيب؛ لأنه يتحرك فى الحالتين إلى جهتين (٣) فى كل حالة إلى جهة .

وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أبغاض الجسم إليها أشد كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر . ومن لطيف ذلك قول الأعشى (٤) يصف السفينةَ فى البحر وتقاذفَ الأمواج بها :

تَقِصُّ السَّفينُ بجانبيه كما ... ينْزُو الرِّبَاحُ خَلاَ لَهُ كَرَعُ (٥)

قال الشيخ عبد القاهر (٦) : الرباح : الفصيل ، والكَرَعُ : ماء السماء ؛

(١) الدُّولاب : الساقية وهى آلة يستعملها الفلاح المصرى فى سقى الأرض والزرع .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، و (قار) مخفف قارىء قلبت همزته ياء ثم أعل إعلال قاض ، والفاء فى قوله « فانطباقا » للتفريع ، وتحرك المصحف فى حالة الانطباق إلى جهة العلو وفى حالة الانفتاح إلى جهة السفل ، ووجْهُ الشبه تقارنُ هذه الحركات مع تكررها .

(٣) جهة العلو فى حالة الانطباق ، وجهة السفل فى حالة الانفتاح .

(٤) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس .

(٥) قوله تقص : بمعنى تثبُ ، والسفين : اسم جنس واحده سفينة ، وكرع : فاعل خلا ، وقيل إنه بكسر الخاء والأصل خلال الكرع ، فيكون فى البيت قلب .

(٦) ٢١ - أسرار البلاغة - مطبعة الاستقامة .

شبّه السفينة فى انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه ؛ فإنه يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه فى جهات مختلفة ، ويكون هناك تسفُّلٌ وتصعُّدٌ على غير ترتيب ، وبحيث يدخل أحدهما فى الآخر ، فلا يتبينه الطّرْفُ مرتفعاً حتى يراه مُتَسَفِّلا ، وذلك أشبهُ شيء بحال السفينة وهيئة حركتها حين تتدافعها الأمواج . ومنه قول الآخر :

حُفَّتْ بسرْوٍ كالْقيانِ تَلحَّفتْ   خـُضْرَ الحرير على قَـوامٍ مُعتدلْ

فكأنَّها والريحُ جاء يُميلها   تبغى التّعانُقَ ثم يمنعها الخجلْ (١)

فإن فيه تفصيلا دقيقا ؛ وذلك أنه راعى الحركتين : حركة التهيؤ للّدنُوّ والعناق ، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ، وأدّى ما يكون فى الثانية من سرعة زائدة تأديةً لطيفة ؛ لأن حركة الشجرة المعتدلة فى حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها فى حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة مَن يُدركه الخجلُ فيرتدع أسرعُ من حركة من يهمُّ بالدنوّ ؛ لأن إزعاج الخوف أقوى أبداً من إزعاج الرجاء .

ومما مذهبهُ السهلُ الممتنع من هذا الضرب قول امرىء القيس :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مدْبرٍ معاً   كجلْمود صخر حطَّه السّيْلُ مِنْ عَلِ(٢)

يقول : إن هذا الفرس لفرط ما فيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى

---

(١) هما للأخيطل الأهوازى الملقب ببرقوقا . وقيل إنهما لأحمد بن سليمان بن وهب . وقيل إنهما لابن المعتز . والضمير فى « حفت » لروضة يصفها ، والقيان : جمع قينة وهى الجارية ، وهن يُشَبَّهن فى اعتدال القدّ بالسرو ، وقد يشبه السرو بهن فى ذلك فيكون من التشبيه المقلوب ، وقوله « تلحفت » بمعنى اتخذت لحافا ، والخجل : الحياء .

(٢) المكر : السريع الكرّ . يقال « كر الفارس على العدو » بمعنى حمل وانقضّ ، والمفر : السريع الفرّ ، وعلى : بمعنى فوق .

كَفَلَه فى الحال التى ترى فيها لَبَبَه ، فهو كـجلمود صخر دفعه السيل من مكان عال ؛ فإن الحجر بطبعه يطلب جهة السفل لأنها مَركزه ، فكيف إذا أعانته قوةُ دفع السيل من عل ، فهو لسرعة تقلبه يُرَى أحد وجهيه حين يُرَى الآخر .

وكمـا يقع التركـيب فى هيئة الحـركة قـد يقع فى هيئة الـسكون ؛ فمن لطيف ذلك قول أبى الطيب فى صفة الكلب :

يُقْعِى جلوسَ البدوىِّ المُصْطَلِى (١)

وإنما لطفَ من حـيث كـان لكل عضـو من الكلـب فى إقـعـائه مـوقع خاص ، وللمجموع صورة خاصة مؤلَّفة من تلك المواقع .

ومنه البيت الثانى من قول الآخَر فى صفة مصلوب :

كأنه عاشقٌ قد مَـدَّ صـفْحتَـه   يومَ الوَدَاع إلى توديع مـُرْتَحِلِ

أو قائمٌ مِن نعاسٍ فيه لُوثتهُ   مُواصِلٌ لِتَمَطِّيه من الكَسل (٢)

والتفصيل فيه أنه شبَّهه بالمتـمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو اللُّوثَة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجـهات الثلاث (٣) ، ولو اقتصر على أنه كالمتـمطى كان قريب التناول ؛ لأن هذا القدر يقـع فى نفس الرائى للمصلوب ابتداءً ؛ لأنه من باب الجملة .

---

(١) هو من قوله :

يقْعِى جلوس البدوىّ الْمصْطلى   بأربعٍ مجـــدولةٍ لم تجْدلِ

وقوله « يقـعى » بمعنى يجلس على ألْيْه ، والمصطلى : المستـدفىء ، والمجدولة : المحكمة الخلق ، وقـوله « لم تجدل » بمعنى لم تجمع كمـا يكون فى غير صـورة الإقعاء ، يقال - جدل الشّعر - بمعنى ضـفره ، ووجه الشبه هو الهيئة الحـاصلة من وقوع كل عضو منهما فى موقع خاص .

(٢) همـا للأخيطل الأهوازى الملـقب ببرقـوقا ، والصـفـحـة : باطـن الكف ، واللوثة : الاسترخاء ، وهذا مثال لهيئة السكون المضاف إليها غيرها من أوصاف الجسم .

(٣) هى التمطى ، ومواصلته ، والتعرض لسببه .

وشبيه بهذا القول قول الآخر :

لَم أر صَفّاً مثل صَــفِّ الزُّطِّ تسعين منهم صُلبوا فى خَطِّ
مِـن كل عالٍ جِذْعهُ بالشط كأنه فى جِذعــــه المُشتط
أخو نعاسٍ جَـدَّ فى التمطِّى قد خامره النومُ ولم يَغُطِّ (١)

والفَرْقُ بين هذا والأول (٢) أن الأول صريحٌ فى الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، والثانى بالعكس .

قال الشيخ عبد القاهر (٣) : «وشبيهٌ بالأول فى الاستقصاء قول ابن الرومى فى المصلوب أيضاً :

كـأن له فى الـجَوِّ حبلاً يَبُوعُه إذا ما انقضَى حَبْلٌ أُتِيح له حَبْلُ (٤)

فقوله « إذا ما انـقضى حبل أتيح له حبل » كقوله « مـواصل لتمطيه من الكسل » فى التنبيه على استدامة الشبه ؛ لأنه إذا كان لا يزال يبوع حبلاً لم يقبض باعه ولم يرسل يده ، وفى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال .

المركب العقلى : والمركب العقلى كـالمَنْظر المُطْمع مع المَخْبَر المؤيس الذى هو على عكس ما قـدِّر فى قوله تعالى (٥): ﴿ والذينَ كفرُوا أعمالُهم كسرابٍ

---

(١) الأبيات لدعبل بن على الخزاعى ، والزط : طائفة من الهند صُلِبَ منهم هذا العدد فى خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع ، وكانوا قد خرجوا على المعتصم فشردهم ، ويعرفون بالنَّوَر أو بالغجر ، فقوله « من كل عال » صفة لخط ، وقوله « جذعه » فاعل عال ، وقوله « بالشط » صفة له ، والضمير فى قوله « كأنه » للواحد من المصلوبين ، والمشتط : الخارج فى طوله عن الحد ، وقوله « خامر » بمعنى خالط أى خالطه النوم ، وقوله « لم يغط » بمعنى لم ينخر ويتردد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله .

(٢) يعنى بهذا قول دعبل ، وبالأول قول الأخيطل . (٣) ٢١٦ - أسرار البلاغة .

(٤) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى . وقوله « يبوعه » : بمعنى يقيسه بالباع ، وقوله « أتيح » بمعنى هيِّئ . (٥) سورة النور : ٣٩ .

بقيـعة يحْسبهُ الظمـآنُ ماء حتى إذا جـاءهُ لم يجدْهُ شيئـاً ووجَد اللهَ عندهُ فوفّاه حسابهُ ﴾ شبّه ما يعمله مَن لا يقرن الإيمان المُعتبَر بـالأعمال التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجـيه من عـذابه ثم يخيب فى العـاقبـة أمله ويلقَى خلافَ مـا قدَّر بسراب يراه الكافر بالساهرة [١] وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماءً، فيأتيه فلا يجد مـا رجاه ، ويجد زبانية الله عنده فيأخـذونه فيغلُّونه [٢] إلى جهنم، فيسقونه الحميمَ والغسّاقَ ، فهو كمـا ترى منتزَع من أمورٍ مجموعة قُرِن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الكافر فعلٌ مخصـوص وهو حسبان الأعمال نافعة له ، وأن تكون للأعمال صورة مخـصوصة وهى صورة الأعمال الصالحة التى وعد الله تعـالى بالثواب عليهـا بشرط الإيمان به وبرسله عليـهم السلام ، وأنها لا تفـيدهم فى العاقـبة شيـئاً ، وأنهم يَلقـون فيهـا عكس ما أمَّلوه وهو العذاب الأليم ، وكذا فى جانب المشبه به [٣] .

وكحرمان الانتـفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصـحابه ، كما فى قوله تعالى: ﴿ مـثلُ الذينَ حُملوا التّوْراة ثم لم يحْملوها كمثلِ الحـمار يحمل أسفاراً ﴾ [٤] فإنه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قُرِنَ بَعْضُها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الحمـار فعلٌ مخصوص وهـو الحمل ، وأن يكون المحمول شـيئاً مخصوصاً وهى الأسفار التى هى أوعيـة العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا فى جانب المشبه .

● **دقيقةٌ فى الوجه المركب :** واعلم أنه قد تقع بعد أداة التشبيه أمورٌ يُظنُّ أن المقصود أمرٌ مُنتزعٌ من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعاً من جميعها ،

(١) الساهرة : الأرض البيضاء المستـوية ، سُمِّيت بذلك لأن السراب يجرى فيها ، من قولهم « عين ساهرة » جارية الماء .

(٢) يقودونه بعنف وغلظة ، وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل .

(٣) فالجامـع كون الشـــىء على صفة توهـــم نفعه وهو فى الباطن غـير نافع بل ضار .

(٤) سورة الجمعة : ٥ .

كقوله :

كما أبْرقتْ قوماً عطاشاً غمامةٌ   فَلَمّا رأوْها أقشعتْ وتجلت [١]

فإنه ربما يُظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى الثانى ، على أن المقصود به ظهورُ أمرٍ مطمعٍ لمن هو شديد الحاجة إليه [٢] ، ولكن بالتأمل يظهر أن مَغْزَى الشاعر فى التشبيه أن يُثبت ابتداءً مُطمعاً متصلا بانتهاء مؤْيس ، وذلك يتوقف على البيت كله . فإن قيل : هذا يقضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا « زيد يصفو ويكدر » تشبيهاً واحداً[٣] لأن الاقتصار على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام ؛ لأن الغرض منه وصف المُخبَر عنه بأنه يجمع بين الصفتين ، وأن إحداهما لا تدوم ، قلنا : الفرق بينهما أن الغرض فى البيت أن يُثْبَت ابتداءٌ مطمع متصل بانتهاءٍ مؤْيس كما مر ، وكون الشىء ابتداء لآخر زائد على الجمع بينهما ، وليس فى قولنا « يصفو ويكدر » أكثر من الجمع بين الصفتين ، ونظير البيت قولنا « يصفو ثم يكدر » لإفادة « ثم » الترتيب المقتضى ربطَ أحد

---

(١) قبله :

لقد أطْمَعَتْنِي بالوصَالِ تَبَسُّماَ   وَبعْدَ رَجَائِى أعْرَضَتْ وَتَولّت

وقوله « أبرقت » بمعنى تحسنت وتعرضت لهم ، فما بعده منصوب بنزع الخافض ، والغمامة : السحابة ، وقوله « أقشعت وتجلت » بمعنى تفرقت وانكشفت . وقد نسب بعضهم البيت إلى كثير ، ولكنه لا يوجد فى تائيته .

(٢) فيكون وجه الشبه غير مركب مع أنه مركب . وبهذا يعلم أن الغرض من التعقيب بقوله « واعلم أنه قد تقع الخ » التنبيه على هذا الاشتباه بين الوجه المركب وغير المركب .

(٣) أى مركباً ، وبهذا لا يكون هناك فرق بين التشبيهات المجتمعة أى المتعددة والتشبيه المركب مع ظهور الفرق بينهما ؛ لأن التشبيه المركب وجهه واحد وإنْ كان منتزعا من متعدد ، والمراد فى المثال تشبيهه فى حال رضاه بالماء الصافى ، وفى حال غضبه بالماء الكدر ، وهذا استعارة لا تشبيه ، فهو يقصد من التشبيه فى هذا ما هو أعم من الاصطلاحى ؛ لأن الاستعارة كالتشبيه تكون مفردة ومركبة ومتعددة أيضا .

الوصفين بالآخر ، وقد ظهر مما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب فى مثل ما ذكرنا بأمرين: أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثانى أنه إذا حُذف بعضها لا يتغير حال الباقى فى إفادة ما كان يفيده قبل الحذف ، فإذا قلنا « زيد كالأسد بأساً والبحر جوداً والسيف مَضَاءً » لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسقٌ مخصوص ، بل لو قُدِّم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أُسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره فى إفادة معناه [(١)] .

المتعدد الحسى : والمتعدد الحسى كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه فاكهة بأخرى .

المتعدد العقلى : والمتعدد العقلى كَحِدَّة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد فى تشبيه طائر بالغراب .

المتعدد المختلف : والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن فى تشبيه إنسان بالشمس .

واعلم أن الطريق فى اكتساب وجه الشبه أن يُمَيَّز عمّا عداه ، فإذا أردتَ أن تشبه جسماً بجسم فى هيئة حركة وجب أن تطلب الوفاقَ بين الهيئة والهيئة مجردَتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره ، كما فعل ابن المعتز فى تشبيه البرق [(٢)] ؛ فإنه لم ينظر إلى شىء من أوصافه سوى الهيئة التى تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض .

أداة التشبيه : وأما أداته **فالكاف** فى نحو قولك «زيد كالأسد»، **«وكأن»**[(٣)]

---

(١) من وجوه الفرق أيضا بين التشبيه المتعدد والمركب أن المتعدد يعطف فيه كل تشبيه على الآخر عطف المستقل على المستقل ، أما المركب فإنه فى الغالب يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبع للآخر ، كأن يكون فى صفته أو صلته أو حالاً منه أو معطوفاً عليه بالفاء أو ثم ، فإذا توسطته الواوُ كانت للمعيَّة أو عاطفة متضمنة لها أو للحال .

(٢) انظر ص ٢٥

(٣) قد تستعمل - كأن - لإفادة الظن إذا كان خبرها مشتقاً فلا تفيد التشبيه ، =

فى نحو قولك « زيد كأنه أسد »، و(**مثلٌ**) فى نحو قولك«زيد مثل الأسد» . **وما فى معنى (مثل)** كلفظة (نحو) ، وما يشتق من لفظة (مثل وشبه) ونحوهما [(١)] .

والأصل فى الكاف ونحوها [(٢)] أن يليها المشبه به [(٣)] ، وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به [(٤)] .

وذلك إذا كان المشبه به مركباً ؛ كقوله تعالى : ﴿ واضْرب لهمْ مثلَ الحياةِ الدُّنْيا كماء أنْزلناهُ منَ السَّماءِ فاختْلط به نباتُ الأرض فأصْبح هشيماً تذْروه الرِّياح ﴾ [(٥)] إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفردٍ آخر يُتمَحَّل

= كقولك « كأن زيداً أخوك ، وكأنه قائم »– وقد تفيد التشبيه الضّمْنى ، كما فى قول الشاعر :

كأنّ دنانيراً على قسماتهمْ وإنْ كَانَ قد شفّ الوجوه لقاء

فإنه لا تكون الدنانير على قسماتهم إلا إذا كانت تشبيهاً .

(١) كالمشتق من المضاهاة والمقاربة والموازنة والمعادلة والمحاكاة ، ومن ذلك قول الشاعر :

وصبغُ شقائقِ النُّعْمانِ يَحْكِى يَوَاقِيتاً نُظِمْنَ عَلَى اقْترَان

وقول الآخر :

تَشابه دمعى إذ جرى ومُدَامَتى فمِن مثل ما فى الكأس عَيْنى تَسْكُبُ

(٢) نحو الكاف كل ما يدخل على المفرد كلفظ (مشابه ومماثل) ، أما غير الكاف ونحوها وهو ما يدخل على الجملة أو يكون جملةً بنفسه فالأصل فيه أن يدخل على المشبه ، كلفظ (كأن) مما يدخل على الجملة ، وكلفظ (يشابه) مما يكون جملةً بنفسه ، والمشبه فى نحو « زيد يشابه عمراً » هو الضمير العائد على زيد لا زيد .

(٣) إما لفظًا نحو « زيد كأسد » أو تقديرًا نحو قوله تعالى : ﴿ أو كصيّبٍ من السماء فيه ظُلماتٌ ورعْدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصّواعق حذر الموت واللهُ محيطٌ بالكافرين ﴾ البقرة الآية ١٩ ، تقديره أو كمثل ذوى صيب ؛ بدليل قوله بعده ﴿ يجعلون ﴾ .

(٤) لكن لا بد أن يكون له اتصال بالمشبه به كالماء فى الآية ؛ فإنه بعض ما تنتزع منه هيئة المشبه به .

(٥) سورة الكهف : ٤٥ .

لتقديره [١] بل المراد تشبيه حالها فى نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضرَ وارقاً ثم يَهيجُ فتُطيِّرهُ الرياح كأن لم يكن .

وأما قوله عز وجل : ﴿ يا أيُّها الّذين آمنوا كونوا أنْصارَ الله كما قال عيسى ابْن مريم للحواريِّين: مَن أنْصارى إلى الله ﴾[٢] فليس منه ؛ لأن المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حينَ قال لهم: من أنصارى إلى الله[٣] .

وقد يُذكر فعل [٤] ينبىء عن التشبيه ؛ كعلمت فى قولك: « علمت زيداً أسدا » ، ونحوه [٥] هذا إذا قرب التشبيه ، فإن بعد أدنى تبعيد قيل: « خلته وحسبته » ، ونحوهما [٦] .

الغرض من التشبيه :

وأما الغرض من التشبيه فيعود فى الأغلب إلى المشبه ، وقد يعود إلى المشبه به .

ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه : أما الأول فيرجع إلى وجوه مختلفة : منها بيان أن وجود المشبه ممكن ، وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالَف فيه ويدّعَى امتناعه ؛ كما فى قول أبى الطيب :

---

(١) بأن يقدَّر كنبات ماء ؛ لأن المعتبر هو الهيئة الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف ، فيكون تقدير ذلك تمحلاً .

(٢) سورة الصف : ١٤ .

(٣) فهو مما يلى المشبهُ به الأداةَ تقديراً .

(٤) يعنى فعلاً غير الأفعال السابقة الموضوعة من أصلها للدلالة على التشبيه ؛ فأداة التشبيه هنا مقدرة ، والفعل إنما يدل على قرب التشبيه أو بعده ، ومن ذلك قول أبى نواس فى تشبيه الحبيب :

فإذا ما اعترَضتْهُ العيـ ـنُ من حيثُ استدَارا
خـلْتَهُ فى جَنَبَاتِ الـ ـكأسِ واواتٍ صِغَاراً

أى : كواوات صغيرة .

(٥) من كل ما يفيد اليقين . (٦) من كل ما يفيد الظن .

فإنْ تَفُقِ الأنَامَ وأنتَ مِنْهُم فإنّ المسكَ بعضُ دمِ الغَزَالِ (١)

أراد أنه فـاق الأنام فى الأوصاف الفـاضلة إلى حـدٍّ بـطَلَ معـه أن يكون واحداً منهم ، بل صار نوعاً آخر برأسه أشرف من الإنسان ، وهذا - أعنى أن يتناهى بعض أفراد النوع فى الفضائل إلى أن يصيرَ كأنه ليس منها - أمرٌ غريبٌ يفتـقر من يدعـيه إلى إثبـات جواز وجوده علـى الجملة ، حتى يـجىء إثبات وجوده فى الممـدوح ، فقـال « فإن المسك بعض دم الغـزال » أى ولا يعدّ فى الدماء لما فيه من الأوصاف الشـريفة التى لا يوجد منها شىء فى الدم ، وخلوِّه من الأوصاف التـى لها كان الدم دمـاً ، فأبان أنّ لِمـا ادعاه أصـلاً فى الوجود على الجملة .

ومنها بيان حاله؛ كما فى تشـبيه ثوب بثوب آخر فى السواد إذا عُلِمَ لون المشبه به دون المشبه (٢) .

ومنها بيان مـقدار حاله فى القوة والضعف والزيادة والنقصـان ؛ كما فى قوله :

مدادٌ مِثْلُ خَافِيَة الغُرابِ (٣)

---

(١) الفاء فى قوله « فإن المسك » للتعليل ، والجـواب محذوف تقديره : فلا غرابة فى ذلك . والتشـبيه فى البيت يسـمى معنوياً وضمنياً ومكنيـاً عنه ؛ لأنه ذُكر فى الكلام لازم التشبيـه وهو وجه الشبه - فَوَقَان الفرع الأصلَ - وأريد الملزوم وهو التـشبيه ، ومن ذلك قول ابن الرومى :

قالوا أبو الصـقرِ من شيـبانَ قلتُ لهم كَلاَّ لَعَـمْرى ولكن مِنْه شيـبانُ
كم من أبٍ قد علا بابنٍ ذُرَى شرفٍ كما عَلاَ بِرسول اللهِ عدنانُ

(٢) مما جاء لبيان حال المشبه قول الشاعر :

كأن سهيلاً والنجومُ وراءهُ صفوفُ صلاةٍ قَام فيها إمَامُها

(٣) هو من قول الحسن بن وهب :

مداد مثلُ خَافيةِ الغُرابِ وأقلامٌ كَمُرْهَفَةِ الحدَادِ

والخافية : إحدى ريشات عشـر فى مقدم الجنـاح يقال لها خـوافٍ ، والمرهفة :=

وعليه قول الآخر :

فأصبحتُ مِن ليلى الْغَدَاةَ كقابضٍ   على الماءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الأصَابِعِ [١]

أى بلغتُ فى بوار سعيى فى الوصول إليها وأن أمتَّع بها أقصى الغايات ، حتى لم أحْظَ منها بما قلَّ ولا بما كثر .

ومنها تقرير حاله فى نفس السامع ؛ كما فى تشبيه مَن لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء[٢] . وعليه قوله عز وجل : ﴿ وإذ نتقْنا الجبل فوقهمْ كأنه ظلَّة ﴾[٣] فإنه بيَّن ما لم تَجْرِ به العادة بما جرت به العادة[٤] .

وهذه الوجوه تقتضى أن يكون وجهُ الشبه فى المشبه به أتمَّ وهو به أشهر [٥] ؛ ولهذا ضعَّف قول البحترى :

= المدقة ، والحداد : جمع حديد وهو القاطع يعنى السيوف القواطع ، وروى « الحراب » بدل الحداد جمع حربة وهى آلة قصيرة محدَّدة ، وربما استعملت للرمح ، وروى لأبى تمام :

مِدادٌ مثل خافية الغراب   وقرطاسٌ كرقراق السحاب

(١) قيل : إنه للمجنون ، والفروج : جمع فرج وهو الخلل بين الشيئين ، وقيل : إن التشبيه فى البيت يُقصد منه تقريرُ حال المشبَّه ، ورُوى الشطر الأخير : « على الماء لا يدرى بما هو قابض » .

(٢) من قول الشاعر :

إذا أنا عاتبتُ الملولَ كأنما   أخُطُّ بأقلامى على الماء أرقما

(٣) سورة الأعراف : ١٧١ .

(٤) قيل : إن هذا يفيد أنه لبيان حال المشبه أو لبيان إمكانه لا لتقرير حاله فى نفس السامع كما ذكر .

(٥) يريد بكونه أَتمَّ أن يكون أقوى وأكملَ ، وبكونه أشهرَ أن يكون أعرفَ ، واقتضاء تلك الوجوه للأعرفية ظاهر لأن المشبه به كالمُبَيِّنّ المعرِّف للمشبَّه ، فيجب أن يكون أعرفَ بوجه الشبه ؛ لأن التعريف إنما يكون بالأوضح ، أما اقتضاؤها للأتَمِّية فإنما يظهر فى غرض التقرير دون غيره ولا سيما بيان المقدار ، لأنه يقتضى أن يكون المشبه به على حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص، ومن التشبيه ما يكون المشبه فيه أتم من المشبه به، =

على بابِ قِنّسْرين والليلُ لاطخٌ جوانبه من ظلمة بمداد[1]

فإنه رُبّ مداد فاقد اللونْ والليلُ بالسواد وشدته أحقُّ وأحْرَى ؛ ولهذا قال ابن الرومى :

حِبْرُ أبى حفص لُعابُ الليل يسيل للإخوانِ أىَّ سيلِ[2]

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه[3] نظر إلى قول العامة فى الشىء الأسود « هو كالنقس »[4] ثم تركه للقافية إلى المداد .

ومنها تزيينه للترغيب فيه ، كما فى تشبيه وجه أسود بمُقلة الظبى .

ومنها تشويهه للتنفير عنه ، كما فى تشبيه وجه مجدور بسلْحَةٍ جامدة قد نَقَرْتها الديكَةُ، وقد أشار إلى هذين الغرضين ابن الرومى فى قوله :

= كقوله تعالى : ﴿ اللهُ نورُ السموات والأرض مَثَل نُوره كمشكاة فيها مصباحُ ﴾ سورة النور : ٣٥ ، لأن الغرض منه بيان الحال لا تقريره ، ومن ذلك قول أبى تمام فى أحمد بن المعتصم :

إقدامُ عمرٍو فى سماحةِ حاتمٍ فى حلمِ أحْنفَ فى ذكاءِ إياسِ

وقد أُخذَ عليه أن الأمير أكبر من أن يشبه فى ذلك بالثلاثة فقال :

لاَ تُنْكروا ضَرْبى له مَنْ دُونَهُ مثلاً شرُوداً فى النّدى والْبأسِ

فاللهُ قَدَ ضَرَبَ الأقلّ لنوره مثلاً من المشكاةِ والنّبْراسَ

والحق أن اقتضاء التشبيه للأعرفية لا يختص بهذه الوجوه الأربعة كما هو ظاهر من تعليله .

(١) الجار والمجرور فى أول البيت متعلق بقوله قبله :

وما بَلَغَ النومُ المسامح لذة سوى أرَقى فى جنبها وسهادى

وقنسرين: كورة مشهورة بالشام قرب حلب ، والشاهد فى قوله « من ظلمة بمداد » إذ بيَّن فيه المشبه به شبه والتقدير بمداد من ظلمة .

(٢) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى من قوله فى مدح عمر بن حفص الورّاق ، وكان الأدباء يستهدون منه حبراً :

حبر أبى حفص لُعَاب لليلِ كأنه ألوانُ دُهْم الخيلِ

يَسيلُ للإخوانِ أىّ سيل بغير وزْنٍ وبغيرِ كَيْلِ

والمراد بلعاب الليل ظلمته ، ودهم الخيل سوادها .

(٣) الضمير للبحترى . (٤) أى : الحبر .

تَقُولُ هذا مجاجُ النحلِ تمدحهُ وإنْ تَعِبْ قلتَ ذا قَيْءُ الزّنابير (١)

ومنها اسْتِطْرافه (٢) كما فى تشبيه فحم فيه جَمْر موقَد ببحر من المسك موجه الذهب لإبرازه فى صورة الممتنع عادَة ، وللاستطراف وجهٌ آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور إمّا مطلقاً كما مرّ (٣) وإما عند حضور المشبه ؛ كما فى قوله :

ولازَوَرْدِيَّة تزهُو بزُرقَتها بينَ الرّياضِ على حُمر اليَواقِيتِ

كأنها فوق قامات ضعُفْنَ بها أوائِلُ النار فى أطراف كِبرِيْت (٤)

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها فى الذهن ندرةَ صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فإذا أحضر مع صحة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما ، ومما يؤيد هذا ما يُحْكَى أن جريراً قال : « أنشدنى عدى » :

عرفَ الديارَ تَوَهُّماً فاعتادَهَا

فلما بلغ إلى قوله :

تزْجى أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقه

رحمتُه وقلت : قد وقع ؛ ما عساه يقول وهو أعرابى جلْفٌ جاف ؟

---

(١) المجاج : الريق ترمى به من فمك ، ومجاج النحل : العسل ، والزنابير : جمع زُنبور وهو كل ذباب أليم اللسع من النحل وغيره .

(٢) أى جعله طريفاً بديعاً جديداً، ويجوز أن يكون بالظاء أى جعله ظريفا جميلا

(٣) فى تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك مَوْجُه الذهب ، فهو مستطرف من ناحية امتناعه فى الخارج ومن ناحية ندرة حضوره فى الذهن .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، وقيل لغيره . واللازوردية : البنفسج وهى نسبة تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد ، والمراد تشبيه أزهارها ، وقوله « تزهو » بمعنى تتكبر ، وقوله « حمر اليواقيت » من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وإنما جعل التشبية بأوائل النار فى أطراف كبريت لأنها فى أعلاها تكون حمراء صافية لا زرقاء .

فلما قال :

قلمٌ أصاب مِن الدَّواة مدادَها (١)

استحالت الرحمةُ حسداً » فهل كانت رحمته فى الأولى والحسد فى الثانية إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أول الفكر شبهٌ ، وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة مِن أبعد موصوف .

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر (٢) ، وهو أنه أراك شبهاً لنبات غَضّ يرفُّ وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مُستَوْلٍ عليه اليبس ، ومبْنى الطباع وموضوع الجِبلَّة على أن الشىء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له : كانت صبابة النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر .

ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه : وأما الثانى فيكون فى الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه ، وذلك فى التشبيه المقلوب ، وهو أن يكون الأمر بالعكس (٣) كقول محمد بن وهيب :

وبدا الصباحُ كأن غُرَّته ... وجهُ الخليفةِ حينَ يُمْتدَحُ (٤)

فإنه قصدَ إيهام أن وجهَ الخليفة أتمُّ من الصباحِ فى الوضوح والضياء،

---

(١) هذا البيت من قصيدة لعدى بن الرِّقاع مطلعها :

عرَفَ الديارَ توهَّماً فاعتادَها ... من بعد ما شمل البِلَى أَبْلادَها

والأبلاد : قطع الأرض عامرةً أو غامرةً وقيل هى الآثار . وقوله « تزجى » بمعنى تسوق ، والضمير للظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنةٌ وهو ولدها ، ويقال طير أغن أى يتكلم من قبل خياشيمه ، والروق : القرن ، وإبرته : طرفه . ورواية الكامل أن عدياً كان ينشد القصيدة أمام الوليد بن عبد الملك وجرير حاضر .

(٢) ١٤٧ - أسرار البلاغة .

(٣) بأن يجعل فيه المشبه مشبهاً به قصداً إلى ادعاء أنه أكمل منه فى وجه الشبه ، وبهذا لا يدخل فيه تشبيه المحسوس بالمعقول كما قيل فيما سبق ؛ لأن كلاً من المشبه والمشبه به فيه كذلك فى الحقيقة ولا قلبَ فيهما .

(٤) الغرة : فى الأصل البياض فى جبهة الفرس ، وقد استعيرت لبياض الصبح ، والمراد تشبيه وجه الخليفة بها ، ولهذا كان التشبيه مقلوبا .

واعلم أنّ هذا وإنْ كان فى الظاهر يشبه قولهم : « لا أدرى أَوَجْهُهُ أنْوَرَ أم الصبح ، وغرته أضوأ أم البدر ؟ » وقولهم إذا أفرطوا : « نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه ، أو نور الشمس مسروق من نور جبينه » ونحو ذلك من وجوه المبالغة ، فإن فى الأول خلابةً وشيئاً من السحر ليس فى الثانى ، وهو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يُشبِّهه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشد له واجتهد فى تشبيه يُفخِّم به أمره ، فيوقع المبالغةَ فى نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها ؛ لأنه وضع كلامَه وضْعَ من يقيس على أصل مُتَّفق عليه ، لا يُشفق مِن خلافِ مخالف وتهكُّمِ متهكِّم ، والمعانى إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب ، فكانت كالنعمة التى لا تكدّرها الْمنّة ، وكالغنيمة من حيث لا تحْتسب ، وفى قوله « حين يمتدح » فائدة شريفة ، وهى الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد إلا فيمن هو كامل فى الكرم ، من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه وما قصده من تفخيم شأنه فى عيون الناس ، بالإصغاء إليه والارتياح له والدلالة بالبِشر والطلاقة على حسن موقعه عنده .

ومنه قوله تعالى حكايةً عن مستحِلِّ الربا : ﴿ إنَّما البيْع مثل الرِّبا﴾[١] فإن مقتضى الظاهر أن يقال : إنما الربا مثل البيع ـ إذ الكلام فى الربا لا فى البيع ، فخالفوا لجعلهم الربا فى الحِلِّ أقوى حالاًمن البيع وأعرف به .

ومنه قوله عز وجل ﴿ أفمن يَخْلُقُ كمنْ لا يَخلُقُ ﴾[٢] فإنَّ مقتضى الظاهر العكسُ ؛ لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسمّوها آلهة تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى ؛ فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق ، فخولف فى خطابهم لأنهم بالغوا فى عبادتها وغلَوْا حتى صارت عندهم أصلاً فى العبادة[٣] والخالق

(١) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٢) سورة النحل : ١٧ .

(٣) اعترض على هذا بأنه يخالف قولهم فى سورة الزمر آية ٣ ﴿ ما نعبُدُهم إلا =

سبحانه وتعالى فرعاً ، فجاء الإنكار على وفق ذلك ، وقال السكاكى [١] : « عندى أن المراد بـ « من لا يخلق » الحىُّ العالم القادر من الخلق [٢] تعريضاً بإنكار تشبيه الأصنام بالله عز وجل ، وقوله ﴿ أفلا تذكّرُون ﴾[*] تنبيه توبيخ عليه ، ونحوه [٣] قوله تعالى : ﴿ أرأيت من اتخذ إلههُ هواه ﴾[٤] بدل « أرأيت من اتخذ هواه إلهه » .

وقد يكون الغرضُ العائد إلى المشبه به بيان الأهتمام به ، كتشبيه الجائع وجهاً كالبدر فى الإشراق والاستدارة بالرغيف إظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لا غير ، وهذا [٥] يسمى إظهار المطلوب ، قال السكاكى [٦] : « ولا يحسن المصير إليه إلا فى مقام الطمع فى تسنِّى المطلوب ، كما يُحْكَى عن الصاحب أن قاضى سجسْتان دخل عليه فوجده الصاحب متفنناً ، فأخذ يمدحه حتى قال :

وعالِمٍ يُعْرَفُ بالسّجْزى [٧]

= ليقرِّبونا إلى الله زُلفى ﴾ فيكون الأحسن فى توجيه ذلك أنهم حين جعلوهم مثل الله فى العبادة قد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوق وشبيهاً به ، فأنكر ذلك بقوله ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ وعلى هذا لا يكون من التشبيه المقلوب . ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن الشِّرْك مختلف المذاهب ، فيجوز أن يكون من المشركين من يعبد الأصنام لا لتقربه إلى الله زلفى .

(١) ١٨٤ ـ المفتاح .

(٢) لأن (مَنْ) موضوعة للعاقل ، وغيرُ السكاكى يحملها على الأوثان تشبيهاً لها بالعاقل لعبادتهم لها . والفرق بين القولين أن إنكار تشبيه الأصنام بالله يكون مستفاداً من ذلك على سبيل التعريض عند السكاكى وعلى سبيل التصريح عند غيره .

(٣) أى نحو ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ .

(٤) الفرقان : ٤٣ .

(٥) يعنى بيان الاهتمام بالمشبه به .

(٦) ١٨٥ – المفتاح .

(٧) نسبة غير قياسية إلى سجستان ، وهو: أبو الحسن عمر السجزى .

(*) قوله تعالى : ﴿ أفلا تَذَكَّرُونَ ﴾ وردت في يونس آية ٣ ، وفى هود ٢٤ ، ٣٠ ، والنحل ١٧ .

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ، ففعلوا واحدًا بعد واحد، إلى أن انتهت النوبة إلى شريف في البين ، فقال :

أشْهَى إلى النفس من الخُبز [١]

فأمر الصاحب أن تُقدَّم له مائدة .

هذا [٢] كله إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه حقيقةً أو ادعاءً [٣] بالزائد ، فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين في أمر [٤] ، فالأحسن تَرْكُ التشبيه إلى الحكم بالتشابه [٥] ليكون كل واحد من الطرفين مشبَّهاً ومشبَّهاً به احترازاً من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كقول أبي إسحاق الصابي :

تَشابهَ دَمْعِي إذْ جرى ومُدَامتي
فمنْ مثْلِ ما في الكأس عيني تَسْكُبُ [٦]
فواللهِ ما أدري أبالخمر أسْبلَتْ
جفوني أم منْ عَبْرتي كنت أشربُ [٧]

---

(١) اعترض على التمثيل بهذا للتشبيه بأنه أفعل تفضيل لا تشبيه ، وأجيب عنه بأنه لا يقصد به التمثيل للتشبيه بل لإظهار المطلوب مطلقا ، وقد قيل : إن أفعل التفضيل كله من التشبيه . وهو بعيد .

(٢) اسم الإشارة يعود إلى ما مضى عليه الكلام في التشبيه من جعل أحد الطرفين مشبهاً والآخر مشبهاً به على التعيين وما تفرَّع على ذلك من الكلام .

(٣) هذا في التشبيه المقلوب لأنه يدَّعى فيه ذلك .

(٤) هذا إما لأن المقام يقتضي المبالغة في ادعاء التساوي ، وإما لأن الغرض إفادة أصل الاشتراك ، فيكون المقصود إفادة التساوي ادعاءً أو حقيقةً .

(٥) مثله الحكم بالتساوي ونحوه ، وليس من ذلك نحو « شابه زيد عمراً » إن كان من صيغ المشاركة ؛ لأن صيغة « تفاعل » تدل على إسناد الفعل ابتداءً لاثنين .

أما صيغة « فاعل » فتدل على الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل على المفعول ، ولا يفهم منها وقوعه من المفعول على الفاعل إلا بالالتزام .

(٦) المدامة : الخمر سميت بذلك لأنه لا شراب يستطاع إدامة شربه غيرها ، وسبق ذكر البيت في ص ٣٤ في الحاشية .

(٧) العبرة : الدمع . والتساوي في قوله « تشابه دمعي ومدامتي » ادعائيٌّ إذا =

وكقول الآخر :

رَقَّ الزُّجاجُ وراقتِ الخمرُ فتشابها فتشاكلَ الأمرُ

فكأنما خمرٌ ولا قَدَحُ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ (١)

ويجوز التشبيه أيضاً (٢) كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس ، متى أريد ظهور منير فى مظلم أكثر منه (٣) ، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوَّة أو الدينار الخارج مِنْ السَّكَّة ، كما قال :

وكأنَّ الشمسَ المنيرةَ دينا رٌ جَلَتْهُ حدائدُ الضَرَّاب (٤)

وتشبيه المرآة المجلُوَّة أو الدينار الخارج مِن السَّكَّة بالشمس ، متى أريد استدارةُ متلألئٍ متضمِّن لخصوصٍ فى اللون ، وإنْ عَظُمَ التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغُرَّة ونور الشمس ونور المرآة والدينار وبين الجِرْمين ، فإنه ليس شىءٌ من ذلك بمنظور إليه فى التشبيه ، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح فى الظلام بعَلَم أبيض على ديباج أسود فى قول ابن المعتز :

والليلُ كالحُلَّة السوداء لاحَ به مِنَ الصباح طرازٌ غيرُ مرقُومِ (٥)

= كان المراد تشابههما فى الحمرة ، ويجوز أن يكون أنهما تشابها فى الصفاء . وأبو إسحاق الصابى هو إبراهيم بن هلال .

(١) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ، والقدح : الكأس ، والمراد تشابههما فى الصفاء ، وقوله « فكأنما خمر الخ » لتأكيد ادِّعاء التساوى ، و(كأنما) فيه للشك لا للتشبيه ؛ لأن التقدير فكأنما خمر موجود .

(٢) لأنه يجوز مع قصد التساوى أن يجعل أحد الطرفين مشبهاً لغرض من الأغراض كأن يكون الكلام فيه ، فيتقدم لهذا الغرض وتدخل أداة التشبيه على الطرف الآخر فيكون مشبهاً به .

(٣) فلا يكون هناك قصدٌ إلى المبالغة فى وصف غرة الفرس بالضياء لأنه مع هذا يكون ذلك من التشبيه الذى يراد به إلحاق الناقص بالكامل .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والمراد بحدائد الضرَّاب آلات السَّكّ .

(٥) الحلة : كل ثوب جديد أو الثوب مطلقاً ، والطراز : علم الثوب ، والمرقوم : المخطَّط .

فإنه تشبيهٌ حسن مقبول ، وإن كان التفاوت فى المقدار بين الصبح والطراز فى الامتداد والانبساط شديداً .

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه - :

وأما تقسيم التشبيه فباعتبار طرفيه فأربعة أقسام :

الأول: تشبيه المفرد بالمفرد : وهو ما طرفاه مفردان : إمّا غير مُقَيَّدَيْن، كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ هن لباس لكُمْ وأنتُم لباسٌ لهُن ﴾(١) فإن قلتَ : ما وجه الشبه فى الآية ؟ قلتُ : جعله الزمخشرى حسِّياً ، فإنه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كلٌّ واحد منهما على صاحبه فى عناقه شُبّه باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدى :

إذا ما الضَّجيعُ ثَنَى عطفْها   تثنَّتْ فكانتْ عليه لباساً (٢)

وقيل : شُبّه كلٌّ واحد منهما باللباس للآخر ؛ لأنه يصونه من الوقوع فى فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة (٣) .

وإمّا مقيَّدان (٤) كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شىء : « هو كالقابض على الماء ، وكالراقم فى الماء » ؛ فإن المشبه هو الساعى لا مطلقاً بل مقيداً بكون سعيه كذلك ، والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقاً بل مقيداً

(١) سورة البقرة : ١٨٧ .

(٢) هو للنابغة الجعدى حسان بن قيس ، والضجيع : المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض وتمدد ، وقوله « ثنى عطفها » بمعنى ردَّ جنبها إليه .

(٣) على هذا يكون وَجْهُ الشبه عقلياً .

(٤) أى بجار ومجرور أو مفعول أو نحوهما، بشرط أن يكون القيد معتبراً فى التشبيه ، وبهذا لا يكون من ذلك قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لباسٌ لكم ﴾ لأن الجار والمجرور غير معتبر فى تشبيههن باللباس ، والفرقُ بين الطرف المقيَّد والطرف المركب أن المركب يكون كل واحد من أجزائه جزءاً من الطرف ، أما المقيد فقيدُه شرطٌ فى الطرف لا جزء منه ، وإنى أرى أن مثل هذا لا يصح مراعاته فى علم البيان ، والأحسنُ إدخال المقيد فى المركب .

بكون قبضه على الماء أو رَقْمه فيه ؛ لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة ، والقبض على الماء والرقْم فيه كذلك؛ لأن فائدة قبض اليد على الشىء أن يحصل فيها ، فإذا كان مما لا يتماسك فقبضُها عليه وعدمه سواءٌ ، وكذلك القصد بالرَّقْم فى الشىء أن يبقى أثره فيه ، فإذا فُعل فيما لا يقبله كان فعلُه كعدمه ، فالقيد فى هاتين الصورتين هو الجارّ والمجرور. ونحوهما قولهم : « هو كمن يجمع سيفين في غمد »[1] وقولهم « كمبتغى الصيد فىَ عرِّيسة الأسد »[2] وقد يكون حالاً ، كقولهم : « هو كالحادى وليس له بعير » [3] .

ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر :

إنِّى وتزيينى بمدْحِىَ مَعْشراً كمُعَلِّقٍ دُرّاً على خِنزير [4]

فإن المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فمتعلّقُ التزيين أعنى قوله « بمدحى » داخلٌ فى المشبَّه ، والمشبه به من يعلق دراً بقيد أن يكون تعليقه إياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته ، وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ؛ لأن الشىء غير قابل للتزيين ؛ فالواو فى قوله « وتزيينى » بمعنى مع ؛ إذ لا يمكن أن يقال إنى كذا وإن تزيينى كذا [5] لأنه ليس معنا شيئان يكون أحدهما خبراً

(١) يُضرب مثلاً للمستحيل .

(٢) يُضرب مثلاً لمن يطلب الشىء من غير موضعه .

(٣) يُضْرَب مثلاً للرجل ينتفخ بما لا يملك .

(٤) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، والواو فى قوله « إنى وتزيينى » للمعية ، وما بعدها مفعول معه كما ذهب إليه الخطيب فى تحقيق التشبيه فى البيت ، وقيل : إنه يجوز أن تكون عاطفة مع إفادتها المعيَّة ؛ لأنه ليس من شرط العاطفة ألاّ تفيد هذا المعنى ، وعلى كونها عاطفة يكون الطرف مركباً لا مقيداً .

(٥) يريد بهذا أن يثبت أن الواو ليست عاطفة ، وقد عرفت أن إفادتها للمعية لا يمنع أن تكون للعطف .

عن ضمير المتكلم والآخر عن تزييني ، لا يقال تقديره : إني كمعلق دراً على خنزير ، وإن تزييني بمدحي معشراً كتعليق دُر على خنزير ؛ لأنه لا يُتصوّر أن يشبه المتكلم نفسه - من حيث هو هو - بمعلق دُراً على خنزير ، بل لا بُدّ أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشراً .

وإما مختلفان ، والمقيَّد هو المشبَّه به ، كقوله :

* والشمسُ كالمرآة في كفّ الأشَلّ[1] *

فإنَّ المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبه به هو المرآة لا على الإطلاق بل بقيد كونها في يد الأشل .

أو على عكس ذلك ؛ كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس .

تشبيه المركب بالمركب : الثاني تشبيه المركب بالمركب ، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان ، كما في قول البحتري :

ترى أحْجالَهُ يَصْعَدْنَ فيه صُعُودَ البرق في الغيْم الجَهام[2]

لا يريد به تشبيه بياض الحُجُول على الانفراد بالبرق ، بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين[3] بالآخر ، وكذلك المقصود في بيت بشار[4] ، ولذلك وجب الحكم بأن (أسيافنا) في حكم الصلة للمصدر[5] ، ونصْب الأسياف لا يمنع من تقدير الاتصال؛ لأن الواو فيها بمعنى مع[6] ،

---

(١) انظر ص ٢٣ .

(٢) الأحجال : جمع حجْل وهو البياض في رِجل الفَرَس ويجمع أيضاً على حجول . والجهام : السحاب الذي لا ماء فيه ، يشبَّه الفرس أثناء عدْوه بذلك .

(٣) البياض والسواد .

(٤) انظر ص ٢٥ : كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

(٥) هو « مثار » لأنه مصدر ميمي .

(٦) يجوز جر الأسياف عطفاً على قوله : رؤوسنا .

كقولهم « لو تركت النــاقةَ وفصيلها لرضعها ». ومما ينبِّــه على ذلك أن قولــه « تهاوى كواكبُه » جملة وقعت صـفةً لليل ؛ فإن الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدة بشأنها لقال: « ليل وكواكب » .

وأما بيت امرىء القيس :

كأنّ قلوبَ الطير رطْبًا ويابســـاً   لدى وكْرها العُنّابُ والحَشَفُ البالى (١)

فهو على خــلاف هذا ؛ فإن أحد الشيئين فــيه فى الطرفين معطوف على الآخر ، أما فى طرف المشبه به فبيِّنٌ ، وأما فى طرف المشبه فلأن الجمع (٢) فى المتّفق كالعطف فى المختــلف ؛ فاجتماع شيئين أو أشيــاء فى لفظ تثنيةٍ أو جمعٍ لا يوجب أن أحدهمــا أو أحدها فى حكم التابع للآخر ، كـما يكون ذلك إذا جرى الثـانى صفةً للأول أو حالاً منه أو مـا أشبه ذلك ، وقـد صرَّح بالعطف فيما أجراه بياناً له من قوله « رطباً ويابساً »(٣) .

وهذا القسم ضربان : أحدهما ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر ، كقوله :

غدا والصُّبْحُ تحت اللَّيْل بادٍ   كطِرْفٍ أشْهبٍ مُلقَى الجِلال (٤)

---

(١) يصف عقـاباً بكثرة الصيد ، والوكـر : عش الطائر ، والعناب : شجر حَـبه كـحب الزيتون أحـمر ، والحـشف : أردأ التـمر ، شـبه الرطـب من القلوب بالعناب ، واليابس بالحشف البالى .

(٢) يعنى الجمع فى قوله « قلوب » .

(٣) فالتـشبيـه فى البيت ليس من تشـبيه المركب بالمركـب ، وإنما هو من التشبـيه المتعدد الطرف كما سيأتى .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير فى قوله « غدا » يرجع إلى السـاقى فى قوله قبله :

وساقٍ يجعل المنديلَ منــه   مكانَ حمائل السيف الطِّوال

والبادى : الظاهر ، والطرف : الفرس الكريم ، والأشهب : الأبيض ، والجلال: جمع جلٍّ وهو للدابة كالثوب للإنسان ، والمراد أنـه أدير عن ظهره حتى تكشّـف أكثر =

فإن الجلال فيــه فى مقابلة الليل ، ولو شبهه به لم يكن شيئاً . وكقول الآخر :

كأنما المرِّيخُ والمُشْــتَرِى قُدَّامَهُ فى شــامخ الرِّفْعَهْ
منْصرِفٌ باللَيــل عن دعـوةٍ قـد أُسْرِجتْ قُدَّامَه شمْعهْ (١)

فإنَّ المريخ فى مقابلة المنصـرف عن الدعوة ، ولو قـيل : « كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة » كان خلْفاً من القول (٢) .

والثانى : مـا يَصحُّ تشبيـه كل جزء من أجـزاء أحد طرفيـه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحال تتغير ، ومثاله قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعاً دُررٌ نُثرنَ على بساط أزْرق (٣)

فإنه لو قيل : كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق ، كان تشبيهاً صحيحاً ، لكن أين يقع من التشبـيه الذى يريك الهيئة التى تملأ القلوب سروراً وعجبـاً من طلوع النجوم مؤتلقـة متفرّقـة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقـتها الصافية ؟ .

تشبيه المفرد بالمركب : الثالث تشبيه المفرَد بالمركب ، كـما مرَّ من تشبيه الشاة الْجَبَلىّ والشَّقيق والنَّيْلوفر (٤) .

= جسده ، لا أنه رمى به جـملةً حتى انفصل منه ؛ لأنه مع هذا لا يأتى ذلك التشـبيه ؛ لأن المراد تشبيه هيئة حاصلة من اختـلاط بياض بسواد ، وقد أخذ ابن المعتز ذلك من قول ذى الرمة فى وصـف الـصبح :

وقد لاح للسارى الذى كمَّل السُّرَى على أُخْرَيَاتِ الليلِ فتقٌ مُشهَّرُ
كمـثل الحصـانِ الأنْبَطِ البطن قائـماً تَـمايلَ عنه الجلُّ واللونُ أشْـقَرُ

(١) هما لعلى بن محمد المعروف بالقاضى التنوخى ، والمريخ : من النجوم السيارة وهو أقربها إلى الشمس ، والمشترى : من النجوم السيارة أيضاً .

(٢) الخلف : الردىء من القول .

(٣) انظر ص ٢٣ .

(٤) انظر ص ١٤ ، ١٥ .

تشبيه المركب بالمفرد : الرابع تشبيه المركب بالمفرد ، كقول أبى تمام :

يا صاحِبَىَّ تَقَصَّيَا نظرَيْكُمـــا تَرَيا وجُوهَ الأرض كيف تُصَوَّرُ (١)

تريا نهاراً مُشْمِساً قد شابَـهُ زَهرُ الرُّبا فكأنما هــو مُقْمِرُ (٢)

يعنى أن النبـات من شدة خـضـرته مع كثـرته وتكاتفـه قد صـار لونه إلى الاسوداد ، فنقَّص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

التشبيه الملفوف والمفروق : وأيضاً إنْ تعدَّد طرفاه(٣) فهو إما ملفوف أو مفروق ؛ فالملفوف ما أُتى فيه بالمُشبَّهيْن ثم بالمشبه بهما ، كقول امرىء القيس :

كأن قلوبَ الطير رَطْباً ويابساً لَدَى وكْرِها العُنّابُ والحشفُ البالى (٤)

وغير الملفوف بخلاف ذلك(٥) كقول المرقِّش الأكبر :

النَّشرُ مسكٌ والوجوهُ دَنَا نيرٌ وأطـرافُ الأكُـفِّ عَنَـمْ (٦)

ومنه قول أبى الطيب :

---

(١) قوله « تقصيـا نظريكما » بمعنى أبلغاه أقصاه ، وقوله « تـصور » أصله تتصور بمعنى تتشكل ، والمراد ترياها قـائلين ذلك على وجه التعجب ، فـالاستفهام مـقول لقول محذوف .

(٢) النهار المشمس : الذى لا غيم فيـه ، وقوله « شابه » بمعنى خالطه ، والربا : جمع ربوة وهى الأرض المرتفعة ، ومقمر : صـفة لمحذوف تقديره ليل مقمر . وإنى أرى أنه لا حاجـة إلى تقدير هذا المحـذوف ، والمراد أن نبات الربا مـع زهره قد خالطا الـنهار المشمس ؛ لأن خضرة النبات داخلة أيضا فى ذلك التشبيه .

(٣) إنما يستحق التـشبيه المتعـدد الطرفين الفضيلة من حيث اللفـظ وحسن الترتيب فيه ، لا لأن للجمع فائدةً فى عين التشبيه ؛ ولهذا كان التشبيه المركب أفضل من المتعدد.

(٤) انظر ص ٤٦ .

(٥) هو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بمشبه ومشبه به أو بأكثر من ذلك .

(٦) النشر : الرائحة الطيبة أو الرائحة عموماً ، والعنم: شجر له ثمرة حمراء يشبَّه بها البنان المخضوب ، وقد قيل : إن مثل هذا فى الحقيقة تشبيهات متعددة ، وليس تشبيهاً واحداً متعـدد الطرفين ، ومثله كل ما يقال له تشبيـه مفروق ، ويمكن أن يجابَ عن ذلك بأن مثل هذه التشبيهات تكون متعلقـة بشىء واحد كالنسوة فى هذا البيت ، فيمكن جعلها تشبيهاً واحداً من هذه الجهة .

بَدَتْ قمراً ومالتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عنبراً ورَنَتْ غَزَالاً (١)

تشبيه التسوية والجمع : وإن تعدد طرفه الأول ، أعنى المشبه دون الثانى ، سُمّى تشبيه التسوية ، كقول الآخر :

صُدغُ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغرُه فى صفاءٍ وأدْمُعى كاللآلى (٢)

وإن تعدد طرفه الثانى - أعنى المشبه به دون الأول - سُمى تشبيه الجمع ، كقول البحترى :

كأنما يبسم عن لُؤلُؤٍ مُنضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاح (٣)

ومثله قول امرىء القيس :

كأنّ المُدامَ وصوْبَ الغمام وريحَ الخُزامى ونشْرَ القُطُرْ (٤)
يُعَلُّ بِه بَرْدُ أنيابِها إذا طرب الطائرُ المُسْتحِرْ (٥)

---

(١) الخوط : الغصن الناعم ، والبان : شجر معتدل القوام لَيّنٌ ورقه كورق الصفصاف. وقوله « رنت » بمعنى نظرت ، والمراد أنها بدت بوجه كقمر ، ومالت بقوام كخوط بان ، وفاحت برائحة كعنبر ، ونظرت بعين كعين غزال .

(٢) الصدغ : ما بين الأذن والعين ، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على هذا الموضع وهو المراد هنا ، والثغر : الفم أو مقدَّم الأسنان ، والثانى هو المراد هنا . وتشبيه أدمعه بذلك يدل على كثرتها ؛ لأنه إذا كثر ماء المنبع صفا عما فيه من الكدر .

(٣) المنضد : المنظم ، والبرد : حبُّ الغمام ، والأقاح : جمع أقْحُوان وهو ورد له نَوْرٌ أوراقه فى شكلها أشبه شىء بالأسنان ، والمشبه محذوف تقديره كأنما يبسم عن ثَغْرٍ كلؤلؤ ، وهذا استعارة لا تشبيه .

(٤) المدام : الخمر ، وصوب الغمام : مطره ، والخزامى : نبت زهره من أطيب الزهر ، والقطر : عود يتبخر به .

(٥) قوله « يعل به » بمعنى يُسقى مرة بعد مرة . والضمير فى « به » للمذكور من المدام وما عطف عليه ، والجملة حال منه ، وقوله « برد أنيابها » خبر كأن ، والطائر المستحر : هو الديك الذى يصوِّت بالسَّحَر ، يعنى أنها طيبة الفم فى الوقت الذى تتغير فيه الأفواه بعد النوم ، والمراد تشبيهَ برد أنيابها بالمدام وما عُطف عليه ؛ فالمتعدد هو المشبه =

إلا أن فيه شوْباً من القصد إلى هيئة الاجتماع [١].

أقسام التشبيه باعتبار وجهه :

وأما باعتبار وجهه فله ثلاث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل ، ومُجمَل ومُفصَّل ، وقريب وبعيد .

التمثيل :

التمثيل ما وَجْهُه وَصْفٌ منتزَع من متعدد؛ أمرين أو أمور[٢]، وقيَّده السكاكى بكونه غير حقيقى[٣] ومثَّل بصور مثّل بها غيرُه أيضا، منها قول ابن المعتز :

اصبرْ على مضض الحسو د فإنَّ صبرَك قاتلُهْ
فالنّارُ تأكُلُ نَفْسَها إنْ لَمْ تَجِدْ ما تأكله [٤]

فإنَّ تشبيه الحسود المتروك مُقاولتهُ مع تَطَلُّبه إليها لينالَ بها نفثة مصدور بالنار التى لا تُمَدُّ بالحطب فى أمر غير حقيقى [٥] منتزَع من متعدد ، وهو إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء .

= به ، ولكنه قلب التشبيه للمبالغة ، وقيل : إن « برد » نائب فاعل يعلّ ، على معنى أنه يظن أنّ برد أنيابها مُزِجَ بالغمام وما عُطف عليه لأنه يشبهها ، فيكون تشبيهاً ضمنياً .

هذا واللف والتفريق والتسوية والجمع فى تلك الأقسام الأربعة من المحسنات البديعية ، وبهذا تظهر تلك الأقسام فى ذلك الشكل البديع .

(١) فيكون بهذا قريباً من التشبيه المركب .

(٢) يعنى أن يكون وجهه مركبا مطلقاً ، وهذا هو مذهب الخطيب والجمهور ؛ فلا فرق عندهم بين الوجه الحقيقى وغيره .

(٣) أى مع كونه مركباً ، وهو عند عبد القاهر ما كان وجهه غير حقيقى ولو كان مفرداً ، وعند الزمخشرى يرادف التشبيه ، والمراد بالحقيقى الحسىُّ كالحمرة ، والعقلىُّ الغريزى كالشجاعة ونحوها من الغرائز ، ولا بُدّ عند عبد القاهر من التأول فى التمثيل كما وضّحه فى أسرار البلاغة ، فلا يكفى فيه مجرد كونه غير حقيقى .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، والمضض : مصدر مضّ من الشىء بمعنى شق عليه وآلمه ، والتشبيه فى البيتين ضمنى .

(٥) فى نسخة شروح التلخيص « فى أمر حقيقى » وكذلك فيما سيأتى ، ولعله فهم من قوله « غير حقيقى » أنه يريد به ما كان وهمياً كما تُوهمه بعض عبارات المفتاح ، فاعترض عليه بذلك ؛ لأنه مثَّلَ بصورٍ مثَّلَ بها غيرهُ ممن خالف مذهبه .

ومنها قول صالح بن عبد القدوس :

وإنّ مَن أدّبْتَهُ في الصّبا كالْعود يُسقى الماءَ في غرسه
حتى تَراهُ مُونِقاً نَاضِراً بعد الذى أبصرتَ مِن يُبْسه [١]

فإن تشبيه المؤدَّب في صباه بالعود المسقيِّ أوان غرسه فيما يلزم كل واحد مِن كون المؤدَّب في صباه مهذَّب الأخلاق حميد الفعال لتأديبه المصادف وقته ، وكون العود المسقيِّ أوان غرسه مونقاً بأوراقه ونضرته لسقيه المصادف وقته من تمام الميل [٢] وكمال الاستحسان بعْد خلاف ذلك .

ومنها قوله تعالى : ﴿ مثلهمْ كمثل الذى استوْقَدَ ناراً فلمّا أضاءتْ ما حولَهُ ذهب اللهُ بنُورهمْ وتركهُم في ظُلمات لا يُبصرُون ﴾[٣] فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في أمر غير حقيقي منتزَع من متعدد ، وهو الطمع في حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب .

غير التمثيل : وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك ، كما سبق في الأمثلة المذكورة [٤] .

المجمل : والمجمل ما لم يُذْكرْ وجهه ؛ فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامّة ، كقولنا « زيد أسد »؛ إذ لا يَخْفَى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها .

---

(١) المونق : تخفيف مؤنق ، يقال « أنق أنقاً » إذا كان حسناً مُعْجباً ، وفي رواية: مورقا ، والناضر : اسم فاعل من نضر بمعنى نعمَ وحسُنَ وكان جميلا .

(٢) هذا بيان لما في قوله « فيما يلزم كل واحد » ومن قوله « مِن كَوْن المؤدب إلخ » بيانٌ لكل واحد ، وعبارةُ السكاكيّ في ذلك أوضح من هذه العبارة .

(٣) سورة البقرة : ١٧ .

(٤) أي للتشبيه قبل التمثيل .

ومنه مـا هو خَفِيٌّ لا يدركه إلا من له ذهن يـرتفع عن طبقـة العامـة ، كقول مَن وصفَ [(١)] بنى المهلَّب للحجـاج لما ســأله عنهـم وأن أيّهمْ أنْجدُ : « كانوا كـالحلقة المفْرَغة [(٢)] لا يُدْرى أين طرفـاها » . أى لتناسب أصــولهم وفروعهم فى الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلاً وبعضهم أفضل منهم ، كما أن الحلقة المفرغة لِتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفاً وبعضها وسطًا [(٣)] هكذا نسبه الشيخ عـبد القاهر إلى من وصف بنى المهلب [(٤)]، ونسبه الشيخ جارُ الله العلاّمة [(٥)] إلى الأنمارية ، قيل : هى فاطمة بنت الخُرشُب سئلت عن بنيها أيُهم أفضــل ؟ فقالت : عـُمــارةُ ، لا ، بل فــلانٌ ، لا بل فــلانٌ ، ثم قالت : « ثكلتُهم إن كنت أعلم أيّهمْ أفـضلُ [(٦)] ؛ هم كالحلقة المـفرغة لا يُدرَى أيــن طرفاها » .

وأيضاً منه ما لم يُذْكـر فيه وصفُ المشبـه ولا وصف المشبه به [(٧)] كالمثال الأول [(٨)] . ومنه ما ذُكر فـيه وصف المشبه به وحده كـالمثال الثانى [(٩)] ونحوه قول زياد الأعجم :

---

(١) هو كعب الأشقرى .

(٢) أى التى أذيب معدنها وأفرغ فى قالب .

(٣) ما ذكـره من الأمرين يتـضمن وجه الشـبه ، وليس به ؛ لأن الأول مـختص بالمشبه ، والثانى مختص بالمشبه به ، وإنما وجهُ الشبه هو الأمر الكلى الخالى عن التفاوت، ولا شك أن الانتقـال من تناسب أجزاء الحلقـة إلى تناسبـهم فى الشرف غـايةٌ فى الدقة؛ فالوجه بين الطرفين لا يدركه إلا الخاصة ، أما العامة فيتبادر إليهم تناسبهم فى الصورة .

(٤) ١٠٦ - أسرار البلاغة .

(٥) هو الزمخشرى ، وعلى هذا يكون كعب الأشقرى قد أخذه من الأغاربة .

(٦) « أىُّ » فى قولهـا « أيهم » يجوز أن تكون اسـتفـهاميـة علقت « أعلم » عن العمل فى معموليها ، وأن تكون موصولة فى محل نصب مفعول أول ، و « أفضل » خبر مبتدأ محذوف ، والجملة صلة ، والمفعول الثانى محذوف تقديره كائناً منهم .

(٧) يعنى وصفهما الذى يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه لا مطلق وصف .

(٨) هو : زيد أسد .

(٩) هو : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها .

وإنّا وما تُلْقِى لنا إن هَجوْتَنا لَكالبحرِ مَهْما تُلْقِ فى البحرِ يَغْرقِ[1]

وكذا قول النابغة الذبيانى :

فإنك شـــمسٌ والملوكُ كواكبُ إذا طَلَعتْ لـم يبْدُ منهـــنَّ كوكب[2]

ومنه ما ذُكر فيه وصف كل واحد منهما ، كقول أبى تمام :

صدفتُ عنه ولم تصْدفْ مواهبُه عنّى وعاوده ظنِّى فـلـم يَخـبِ[3]

كالغيث إنْ جِئتَهُ وافـَاكَ رَيــقه وإن تَرَحّلْتَ عنه لجّ فى الطلـبِ[4]

المفصَّل : والمفصل ما ذُكر وجهه[5] ، كقول ابن الرومى :

يا شبيهَ البدْر فـى الحسْـ ـنِ وفى بُعْدِ المنـــالِ[6]

جُدْ فقدْ تـنـفجر الصّخْـ ـرةُ بالمـــــاء الـزُلال[7]

وقول أبى بكر الخالدى :

يا شبيهَ البـدْر حُسْـناً وضيـاءً ومـنـالا

---

(١) فالمشبـه به البحر ، والجملة بعده حـال منه فهى صفة له ، ووجه الشبـه عدم ظهور الأثر فى كل مـنهما ، وفي وصف البـحر بذلك إشارة إلـيه ، وفى رواية : مهـما يلْق .

(٢) هو لزياد بن معـاوية المعروف بالنابغة الذبـيانى ، والخطـاب فيـه للنعمـان بن المنذر ، والمشبـه به فيه الشـمس والكواكب ، وجملة « إذا طلعت لم يبـد منهن كوكب » صفه تنبىء عن وجه الشبه .

(٣) قوله « صدفتُ » بمعنى أعرضت ، والمواهب : الهبات .

(٤) قـوله « وافاك » بمعنى أتـاك ، ريقه : أوله أو أفـضله ، وقـوله « لج » بمعنى ألح . وصفة المشبه به يتـضمنها البيت الثانى ، وفيهما إشارة إلى وجـه الشبه وهو الإفاضة فى حال الإعراض وفى حال الطلب .

(٥) أى بنفسه أو بما يستتبعه كما سيأتى .

(٦) هما لعـلى بن العباس المـعروف بابن الرومى ، والمنال : مـصدر ميـمى بمعنى التناول أو اسم مكان ، يعنى بذلك بُعْد وصاله وأنه كالبدر فى بعد مناله .

(٧) قولـه « جد » يعنى بالوصـال ، والماء الزلال : هو العذب الصـافى الذى يمر سريعاً فى الحلق .

وشبيهَ الغصنِ ليناً وقواماً واعتدالا

أنت مثلُ الورد لوناً ونسيماً وبلالا [١]

زارنا حتى إذا ما سرّنا بالقرب زالا

وقد يُتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه [٢] كقولهم في وصف الألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان لتنافُر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبةً وحشيةً تُستكرَه لكونها غير مألوفة ، ولا مما تبعدُ دلالتُها على معانيها : « هي كالعسل في الحلاوة ، وكالماء في السلاسة ، وكالنسيم في الرقة » وقولهم في الحُجة إذا كانت معلومة الأجزاء يقينية التأليف بيّنة الاستلزام للمطلوب : « هي كالشمس في الظهور » ، والجامع في الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع ، ولازم السلاسة والرقة وهو إفادة النفس نشاطاً ورَوْحاً [٣] ، ولازم الظهور وهو إزالة الحجاب [٤] ؛ فإن شأن النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذي يلذ طعمه فتهشُّ النفس له ، ويميل الطبع إليه ، ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع الماء الذي يسوغ في الحلق ، ومع النسيم الذي يسري في البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه ، فيفيدان النفسَ نشاطاً ورَوْحاً ، وشأنها مع الشُّبهة التي تمنع القلب إدراك ما هي شبهة فيه ، كشأنها مع الحجاب الحسّيّ الذي يمنع أن يُرَى ما يكون من ورائه ، ولذلك توصف بأنها اعترضت دون الذي يروم القلب إدراكه .

---

(١) البلال : بتثليث الباء النُّدْوة ، ويروى « ملالا » فيكون من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم وهو سرعة الزوال والمفارقة . وأبو بكر الخالدي هو محمد بن هاشم .

(٢) ذهب السبكي إلى أن المذكور هو وجه الشبه ، ولا داعي إلى ذلك التأوُّل ؛ لأنه إذا لم يكن موجوداً في المشبه حقيقةً فهو موجود بالتخيل ، ولكن هذا التأول لا بدّ منه عند عبد القاهر ؛ لأنه هو المعوَّل عليه عنده في الفرق بين التمثيل والتشبيه .

(٣) أي راحة .

(٤) أي المانع حسّياً كان أو عقلياً ، وإنما كان وجه الشبه لازمَ ذلك لأنه هو المشترك بين الطرفين .

قال الشيخ صاحب المفتاح[1]: «وتسامُحهم هذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه في وصف اعتباريّ كالذى نحن فيه[2]، وأقول: يشبه أن يكون تركهم التحقيق فى وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من تسامُحهم هذا»[3]. انتهى كلامه .

القريب المُبتَذَل :

والقريب المبتذل ، وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر ؛ لظهور وجه فى بادىء الرأى ، وسببُ ظهوره أمران :

الأول : كونُ الشبه أمراً جُمْلياً [4] ؛ فإن الجملةَ أسبقُ أبداً إلى النفس من التفصيل ؛ ألا ترى أن الرؤية لا تصل فى أول أمرها إلى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قيل : « النظرة الأولى حمقاء ، وفلان لم يُنْعِم النظر » وكذا سائر الحواسّ ؛ فإنه يُدْرَك من تفاصيل الصوت والذوق فى المرة الثانية ما لم يدرك فى الأولى ، فمن يروم التفصيل كمن يبتغى الشىء من بين جملة يريد تمييزه مما اختلط به ، ومن يروم الإجمال كمن يريد أخذ الشىء جُزافاً ، وكذا حكمُ ما يُدْرَك بالعقل ، ترى الجُمَلَ أبداً تسبق إلى الذهن ، والتفاصيل مغمورة فيها لا تحضر إلا بعد إعمال الرَّوِيّة .

والثانى كونُه قليلَ التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن إما عند حضور المشبه لِقُرْب المناسبة بينهما ، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء

(١) ص ١٨٢ - المفتاح .

(٢) هو كلٌّ من ميل الطبع وإفادة النفس نشاطاً ورَوْحاً وإزالة الحجاب .

(٣) يعنى بذلك أن ما سبق من تقسيمهم وجه الشبه إلى حسى وعقلى وهو فى التحقيق عنده لا يكون إلا عقلياً مبنىٌّ على هذا التسامح ؛ لأنهم لما جعلوا ملزوم وجه الشبه من وجه الشبه، جاز أن يكون وجه الشبه حسيا؛ لأن ملزوم العقلى قد يكون حسيا.

(٤) بأن يكون أمراً واحداً لا تركيب فيه ، كتشبيه الخد بالورد فى الحمرة ، أو يكون مركباً لم ينظر إلى أجزائه ، كتشبيه رجل بالفرس فى الحيوانية ، والقرب والابتذال ، وكذا البعد والغرابة يرجع كل منها فيما ذكر إلى أمور ذاتية لا تتأثر بكثرة الاستعمال أو قلته ؛ فالقريب قريبٌ وإنْ قلَّ استعماله ، والبعيد بعيد وإن كثر استعماله .

بالإجّاصة[١] فى الشكـل وفى المقدار ، والجرة الصـغيرة بـالكوز كذلك . وإما مطلقـاً لتكرره على الحس ، كـما مـر من تشـبيـه الشـمس بالمرآة المجلوة فى الاستـدارة والاسـتنارة ؛ فإن قرب المناسبـة والتكرر كلٌّ واحد منهمـا يعارض التفصيلَ لاقتضائه سرعة الانتقال .

البعيد الغريب : والبعيـد الغريب ؛ وهو ما لا ينتقل فيـه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لخفاء وجهه فى بادىء الرأى ، وسبب خفائه أمران :

أحدهما : كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل [٢] ؛ فإنَّ ما ذكرناه من الهيئة [٣] لا يقوم فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملاً ، ويكون فى نظره متمهلا .

والثانى : ندور حضور المشبه به فى الذهن إمّا عند حـضور المشبه؛ لبعد المناسبة بينهما ، كما تقدَّم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت [٤] وإمّا مطلقاً لكونه وهمياً أو مـركباً خياليا أو مـركبا عقلياً ، كـما مضى من تشبيه نصـال السهام بأنياب الأغوال[٥] ، وتشـبيـه الشقـيق بأعلام ياقـوت منشورة على رمـاح من الزبرجد[٦] ، تشبيه مثل أحبار اليـهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً [٧] ؛ فإن كلاًّ سببٌ لندرة حضور المشبه فى الذهن ، أو لقلة تكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل [٨]؛ فإنه ربما يقضى الرجلُ دهرَه ولا يتفق له أن يرى مرآةً فى يد الأشل ، فالغرابة فى هذا التشبيه من وجهين [٩] .

---

(١) الإجاصة : واحدة الإجاص ، وهو شجر ثمره لذيذ حلو .

(٢) انظر ص ٢٣ ، { والشمس كالمرآة فى كف الأشَلّ } .

(٣) يعنى وجه الشبه فيه .

(٤) انظر ص ٣٧ .

(٥) انظر ص ٣٧ ، وهو مثال للوهمى .

(٦) انظر ص ١٤ ، وهو مثال للمركب الخيالى .

(٧) انظر ص ٢٩ ، وهو مثال للمركب العقلى .

(٨) انظر ص ٢٣ .

(٩) هما كثرة التفصيل ، وندرة الحضور فى الذهن .

والمراد بالتفصيل أن يُنْظر فى أكثرَ من وصفٍ واحد لشيءٍ واحد أو أكثر، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلبُ الأعرفُ منها وجهان :

أحدهما أن تأخذَ بعضاً [1] وتَدَعَ بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس فى قوله :

حملْتُ رُدَيْنياً كأن سنانَهُ   سَنا لهبٍ لم يَتّصِلْ بدُخانِ [2]

ففصلَ السّنا عن الدخان وأثبته مفرداً [3] .

والثانى أن يعتبر الجميعَ ، كما فعل الآخر فى قوله :

وقد لاحَ فى الصبح الثُّريّا كما ترَى   كعُنقودِ مُلاّحيّة حين نَوّرا [4]

فإنه اعتبر من الأنجم الشكلَ والمقدارَ واللونَ واجتماعَها على المسافة المخصوصة فى القرب ، ثم اعتبر مثل ذلك فى العنقود المنوّر من الملاحية .

وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ ، كقوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدُّنْيا كماء أنزلْناه من السّماء فاختْلط به نبات الأرْض ممّا يأكل النّاس والأنْعام حتّى إذا أخذت الأرض زخْرفها وازّيّنتْ وظنّ أهْلها أنهم قادرون عليْها أتاها أمْرنا ليْلاً أوْ نهاراً فجعلناها حصيداً كأنْ لمْ تَغْنَ بالأمس ﴾[5] فإنها عشر جمل إذا فصِّلت [6]، وهى وإن دخل بعضُها فى بعض حتى صارت كلُّها كأنها جملة واحدة ، فإنَّ ذلك لا يمنع من أن تُشير إليها واحدةً واحدة ، ثم إن الشبه منتزعٌ من مجموعها من غير أنْ يمكنَ فَصْلُ بعضها عن بعض ، حتى لو حُذف منها جملة أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه .

---

(١) أى من الأوصاف .

(٢) قد سبق هذا البيت فى الكلام على الإيغال من الإطناب فى الجزء الثانى، وقد فضّله عبد القاهر من ناحية التفصيل والإجمال على قول عنترة : يُتابعُ لا يتبعنى غيرَهُ بأبيضَ كالقَبسِ الملتهبْ .

(٣) فزاد السنا بهذا تألقاً وضياء . (٤) انظر ص ٢٢ . (٥) سورة يونس : ٢٤ .

(٦) وتفصيلها – أنزلناه . فاختلط . مما يأكل . حتى إذا أخذت . وازينت وظن . أنهم قادرون . أتاها . فجعلناها . كأن لم تغن .

ومن تمام القول في هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقعت في جانب المشبه به تكون على وجوه : أحدها أن تلي نكرةً فتكونَ صفةً لها ، كما في هذه الآية ، وعليه قول النبي ﷺ : « الناس كإبلٍ مائة لا تجد فيها راحلة [1] »والثاني أن تلي معرفةً هي اسم موصول فتكون صلةً له ، كقوله تعالى: ﴿ مثلهمْ كمثل الذي استَوقَد ناراً ﴾[2] الآية ، والثالث أنْ تَليَ معرفةً ليست باسم موصول فتقع استئنافاً [3] كقوله عز وعلا: ﴿ مثل الذين اتخذوا منْ دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ﴾ [4].

ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل وعجيبه قولُ ابن المعتز :

كأنّا وضوءُ الصبح يستعجل الدُّجَى   نُطيرُ غُراباً ذَا قوادم جُـون [5]

شبه ظلامَ الليل حين يظهر فيه ضوءُ الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضاء ؛ لأن تلك الفرَق من الظلمة تقع في حواشيها من حيث يلي معْظم الصبح وعموده لُمَعُ نورٍ [6] يُتخيل منها في العين كشكل قوادم بيض ، وتمام التدقيق في هذا التشبيه أن جعلَ ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها بأن تتمهل في

---

(١) الإبل في اللغة: اسم جمع لا واحد له من لفظه ، والراحلة : الناقة الكريمة؛ فالناس كهذه الإبل لا يكاد يوجد في كل مائة منهم رجل كريم ، ويجوز رفع مائة على أنه مبتدأ ، أي مائة منها ، فتكون جملة مستأنفة .

(٢) سورة البقرة : ١٧ .

(٣) لأن قوله تعالى في الآية الآتية : ﴿ كمثل العنكبوت ﴾ يشير إلى سؤال تقديره: ما مثله ؟ فيكون قوله تعالى : ﴿ اتخذت بيتا ﴾ جوابه .

(٤) سورة العنكبوت : ٤١ .

(٥) هو لعبد الله بن المعتز ، والدجى : جمع دجية وهي الظلمة . والقوادم : أوائل ريش الطائر ، والجون : جمع جوْن وهو الأبيض أو الأسود ، والمراد هنا الأبيض .

(٦) « لمع نور » فاعل « تقع » ، ومعظم الصبح : فاعل « يلي » ، يعني أن هذه اللمع تكون قبل ظهور معظم الصبح ، وفي بعض النسخ « تلي » فـفاعله يعود على الفرق ، ومعظم الصبح مفعوله .

حركتـها ، ثم لـمّا راعى ذلك فى التشـبيه ابتداءً راعـاه آخراً حيث قال « نُطير غرابـاً » ولم يقل « غراب يطيـر ونحوه » لأن الطائر إذا كـان واقعـاً فى مكان فأُزْعِج وأُطيـر منه ، أو كان قد حـبس فى يد أو قفص فـأُرْسِل، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه ، وأدْعَى له أن يستمر على الطيران حتى يصير إلـى حيث لا تراه العيون ، بخلاف ما إذا طار على اختيـار ؛ فإنه حينئذ يـجوز ألاّ يسرع فـى طيرانه ، وأنْ يصيرَ إلى مكانٍ قريبٍ من مكانه الأول .

وكذا قول أبى نواس فى صفة منقار البازى :

كَعْطفَةِ الجيم بكَفٍّ أعْسَرا [1]

غيـر خاف أن الجيم خطّان : أولهـما الذى هو مـبدؤه ، وهو الأعلى ، والثانى الـذى يذهب إلى اليسـار . وإذا لم يُوصَلْ بهـا [2] فلها تَعْرِيقٌ [3] . والمِنْقَار إنما يشـبه الخط الأعلى فقـط ، فلهذا قال « كـعطفة الجـيم » ولم يقل كالجـيم ، ثم دقَّق بأن جعلها بكف أعـسر ؛ لأن جيم الأعـسر يقال إنه أشـبهُ بالمنقار مـن جيم الأيمن [4] ، ثم أراد أن يؤكـد أن الشبه مـقصـور على الخط الأعلى من الجيم ، فقال :

---

(١) قبله :

كأن عينيه إذا ماَ أثأرا فَصّان قِيضا من عقيقٍ أحمرا
فى هامة غَلْباءَ تهدى مِنْسَرا . . . .

وقوله - أثأر - بمعنى أدرك ثأره ، وقـوله « قيضا » بمعنى شـقّا ، والهامة : رأس كل شيء وتطلق على الجثة. والغلباء: القوية . ويروى « علياء » . وقوله « تهدى » بمعنى تتقدم ، والمنسر : كمجلس ومنبر : منقار الطير الجارح ، وعطفة الجيم : خطها الأعلى ، والأعسر : الذى يعمل بشماله .

(٢) يعنى إذا لم يوصل بها حرفٌ آخَر بأن كانت مفردةً أو آخِرَ كلمة .

(٣) التعـريق : هو أن يُعطف بالخط الأسفل إلى اليمين علـى هيئة قوس كـما هو الشأن دائماً فى الجيم المفردة .

(٤) لأن الحركة فى جيم الأعسر أكثر انحرافاً .

يقولُ مَنْ فيها بعقلٍ فكَّرا

لو زادها عيناً إلى فاءٍ و رَا فاتصلتْ بالجيم صارتْ جَعْفَرا (١)

فأبان أنه لم يدْخل التعريقُ فى التشبيه لأن الوصل يُسقطه أصلاً ، ولا الخطّ (٢) الأسفل وإن كان لا بد منه مع الوصل ، لأنه قال « فاتصلت بالجيم » أى بالعطفة المذكورة ولم يقتصر على قوله « لو زادها عيناً إلى فاء ورا »؛ ولأجل هذا التدقيق قال : « يقول مَن فيها بعقل فكَّرا »؛ فنبه على أن بالمشبَّه حاجةً إلى فضل فِكر ، وأن يكون فِكْرُه فكرَ من يراجع عقله .

وإذْ قد تحققتَ ما ذكرنا من التفصيل علمتَ أنَّ قول امرىء القيس فى وصف السِّنان (٣) أعلى طبقةً من قول الآخَر :

يُتابعُ لا يبتغى غيرَهُ بأبيضَ كالقبَس الملتهبْ (٤)

لخلوّ الثانى عن التفصيل الذى تَضَمَّنه الأول ، وهو قَصْرُ التشبيه على مجرد السَّنا وتصويره مقطوعاً عن الدخان ، ومعلومٌ أنَّ هذا لا يقع فى الخاطر أول وهلةٍ ، بل لا بد فيه من أن يتثبَّتَ وينظر فى حال كلٍّ من الفرع والأصل،

---

(١) را : مقصور راء ، وفاعل « اتصلت » يعود إلى العين ، وقوله « صارت جعفرا » يعنى صارت كلمة جعفر ، ولو أنه اقتصر على ما قبل قوله « يقول من فيها بعقل فكرا » لكان أجود وأرشق وأدخل فى مذاهب الفصحاء ؛ لأنه لا يجهل أحد أن الجيم إذا أضيفت إليها العين والفاء والراء تصير جعفراً ، ثم إن هذا لا يدخل فى صفة البازى ، وقد اعتذر له بأنه أراد أنها تشبه الجيم لا تغادر مِن شبهها شيئاً ، حتى إنها لو زيدَتْ عليها هذه الأحرف صارت جعفراً لشدة شبهها بها .

(٢) فلو كان الخط الأسفل داخلاً فى التشبيه لم يقل ذلك ؛ لأن العطفة مع ذلك الخط لا تحتاج فى اتصالها بغيرها إلى واسطة .

(٣) انظر ص ٥٧ .

(٤) هو لعنترة العبسى ، والضمير فى قوله « يتابع » لورد بن حابس ، وفى قوله « غيره » لنضلة الأسدى ، وكان لِوَرد ثأرٌ عنده ، والقبس الملتهب : هو النار الموقدة فالمشبه به واحد فى البيتين .

حتى يقع فى النفس أنَّ فى الأصل شيئاً يَقْدَح فى حقيقة التشبيه؛ وهو الدخان الذى يعلو رأس الشعلة .

وكذا قوله :

وكأنَّ أجرامَ النجوم لوامِعاً دُرَرٌ نُثِرْن على بساطٍ أزرق (١)

أفضل من قول ذى الرُّمّة :

كأنها فضةٌ قد مسَّها ذهبُ (٢)

لأنَّ الأوَّلَ مما ينـدر وجـودُه دون الثـانى ؛ فـإنَّ الناسَ أبـداً يرون فى الصياغات فضةً قـد مُوِّهَتْ بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد دُرَرٌ قد نُثِرن على بساط أزرق .

وكذا بيتُ بَشَّار (٣) أعلى طبقةً من قول أبى الطيب :

يزورُ الأعادى فى سماء عجاجة أسنَّتُه فى جانبيها الكواكبُ (٤)

وكذا من قول الآخر :

تَبْنى سَنَابِكُهَا مِن فَوْقِ أرؤُسِهم سَقفاً كواكبُه البيضُ المباتير (٥)

---

(١) انظر ص ٢٣ ، ٤٧ .

(٢) هو من قوله :

كحْلاءُ فى بَرَجٍ صفراءُ فى نَعَجٍ كأنها فضّةٌ قد مَسَّهَا ذهبُ

والبَرَج : أن يكون بياضُ العين محدقاً بالسواد كله لا يغيب من سوادها شىء ، أو نجلُ العين وسعتُها ، والنعج : البياض الخالص ، والمراد أن صفرتها يشوبها بياض خالص ، وهو محمود عندهم .

(٣) انظر ص ٢٣ .

(٤) العجاجة : الغبار ، والأسنة : جمع سنان وهو نصل الرمح .

(٥) هو لكلثوم بن عمرو العتابى ، وفى أسرار البلاغة أنه لعمرو بن كلثوم ، ولعله تحريف من الناسخ ، والسنابك : جمع سنْبك وهو طرف الحافر ، وقوله « سقفاً » بمعنى غبار كالسقف فهو استعارة ، والبيض المباتير : هى السيوف القواطع ، والمباتير : جمع مبتار صيغة مبالغة من « بتر » بمعنى قطع .

لأن كلَّ واحدٍ منهما وإنْ راعَى التـفصيل فى التشبيه فـإنه اقتصر على أنْ أراك لَمعانَ الأسنَّة والسيـوف فى أثناء العجاجة ، بخلاف بَشَّار فإنـه لم يقتصر على ذلك ، بل عـبَّر عن هيئـة السـيوف وقـد سُلَّتْ من أغمـادها وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيلَ تفصيلاً ؛ لأنها لا تقع فى النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أنَّ للسيوف عند احتدام الحرب واختلاف الأيدى بها فى الضرب اضطراباً شديداً وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركـات جهاتٌ مـختلفة تنقـسم بين الاعوجاج والاسـتقامـة والارتفاع والانخفاض ، ثم هي باختلاف هذه الأمور تتـلاقى ويصدم بعضُها بعضاً ، ثم أشكالها مستطيلةٌ ، فنبَّه على هذه الدقـائق بكلمة واحدة وهى قولة « تهاوى » لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركـتها ثم كان لها فى التهاوى تواقعٌ وتداخلٌ ، ثم استطالت أشكالها .

وكذا قول الآخر فى الآذريون :

مَداهنٌ مِن ذهبٍ   فيها بقايا عاليَهْ (١)

أعلى وأفضل من قوله فيه :

ككأس عقيق فى قراراتها مِسْك (٢)

---

(١) هو لعبد الله بن المعتز ، وقد جاء قبله :

سقْياً لروضات لنا   مِن كُلِّ نَوْرٍ حاليَه

عيونُ آذرْيونهـــا   للشمس فيـــها كاليه

والنور : الزهر ، والآذريون : ورد له أوراق حمر فى وسطه سـواد له نبوٌّ وارتفاع وقـد يكون أصفر ، وهو مُعَرَّب آذرجون أى لون النار . وكالية : اسم فاعل من - كلأ - ومـعنى كلاءتها للشمس أنها تدور معـها حيث دارت . والمداهن : جمع مدْهن وهو حُقٌّ الدهن ، والغالية : أخلاط من الطيب .

(٢) هو من قول عبد الله بن المعتز أيضاً :

وطافَ بها ساقٍ أديبٌ بمبْزلٍ   كخنجر عيّارٍ صناعته الفتْكُ

وحُمِّل آذرْيونةً فوقَ أذْنه   ككأسِ عقيقٍ فى قراراتها مِسْكُ

والمبزل : ما يُصَفَّى به الشراب، وهو شبه حـلمة الضرع فى الدَّن ونحوه، يسيل=

لأن السواد الذى فى باطن الآذريونة - الموضوعة بإزائه الغالية والمسك - فيه أمران : أحدهما أنه ليس بشامل لها ، والثانى أنه لم يستدر فى قعرها ، بل ارتفع منه حتى أخذ شيئاً من سُمْكها من كل الجهات ، وله فى منْقَطَعه هيئةٌ تشبه آثار الغالية فى جوانب المدهن إذا كانت بقيتْ بقيةٌ عن الأصابع ، وقوله « فى قرارتها مسك » يُبَيِّنُ الأمرَ الأول ويؤمن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال: « فيها مسك » ولم يشترط أن يكون فى القرارة ، وأما الثانى فلا يدل عليه كما يدل قوله « بقايا غالية »؛ لأنَّ من شأن المسك والشىء اليابس إذا حصل فى شىء مستدير له قعرٌ أنْ يستدير فى القعر ولا يرتفع فى الجوانب الارتفاعَ الذى فى سواد الآذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ، ثم تؤخَذ بالأصابع فلا بد فى البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هى لنعومتها ترقُّ فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له جرم ، وذلك أصدق للشبه .

التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ : والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع - أعنى البعيدَ - لغرابته (١) ؛ ولأن الشىء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نَيْلُه أحلى ، وموقعه من النفس ألطف وبالمسرّة أوْلَى ، ولهذا ضُرب المثل لكل ما لطفَ موقعه ببرد الماء على الظمأ ، كما قال :

وهنَّ ينبذْن من قولٍ يُصِبْن به ... مواقعَ الماءِ من ذِى الغُلَّة الصَّادى (٢)

= الشراب منه ، والعيّار : الكثير التجوُّل والطواف أو الذى يتردد بلا عمل ، ووجْهُ الشبه بين المبزل والخنجر : الاعوجاج فيهما ، وقد روى « وجوّل آذريونة » يعنى أنه أدار هذا الورد فوق أذنه ، وهذه عادة الفرس يحملون الورد فوق آذانهم . والعقيق : خرز أحمر .

(١) يريد بهذا أن البليغ من التشبيه هو هذا النوع ، وهذه التسمية مأخوذة من البلاغة بمعنى اللطف والحسن لا من البلاغة بمعنى المطابقة لمقتضى الحال ؛ لأن التشبيه لا يتفاوت هذا التفاوت من هذه الناحية ، وهذه طريقة بعض علماء البيان فى التشبيه البليغ ، والمشهور أنه هو التشبيه المحذوف الأداة .

(٢) هو لعمير بن شُيَيْم القطامى، وقوله « ينبذن » بمعنى يرمين ويطرحن . ومن: تبعيضية ، والغلة : الحرقة ، والصادى : الشديد العطش ، ومواقع : مفعول يصبن .

لا يقال : عـدمُ الظهور ضربٌ مـن التعقـيد ، والتعـقيدُ مـذموم ؛ لأنّا نقـول : التعقيد كما سبق له سببان : سوءُ ترتيب الألفاظ ، واختلالُ الانتقال من المـعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ . والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببُه لطفَ المعنى ودقَّتَه أو ترتيبَ بعض المعانى على بعض ، كما يُشعر بذلك قولنا (١) «فى بادىء الرأى» ؛ فإن المعـانى الشريفة لا بدّ فيـها فى غـالب الأمـر من بناء ثانٍ على أول وردٍّ تالٍ إلى سـابق ، كـمـا فى قـول البحترى « دان على أيدى العـفاة » البيتين (٢) . فإنك تحتـاج فى تعريف معنى البيت الأول إلى معـرفة وجه المجاز فى كـونه دانياً وشاسعـاً ، ثم تعود إلى ما يعـرض البـيتُ الثـانى عليك من حـال البدر ، ثـم تُقابل إحـدى الصـورتين بالأخرى، وتنظر كـيف شرَط فى العلوِّ الإفـراطَ ليشاكل قـوله « شاسع » لأن الشسـوع هو الشديد من البـعد ، ثم قابلَه بمـا يشاكله من مراعـاة التنـاهى فى القرب ، فـقـال: « جد قريب » فـهذا ونحوه هو المراد بالحـاجة إلى الفكر ، وهل شىءٌ أحلى من الفكر إذا صادفَ نهْجاً قـويماً إلى المراد ، قال الجاحظ فى أثناء فـصل يذكر فـيه مـا فى الفكر من الفـضيلـة : «وأين تقع لذةُ البهـيمـة بالعَلوفة، ولذةُ السبع بلطع الدم وأكل اللحم مـن سرور الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إدمـان قَرْعه ؟ .

تحول القريب إلى بعيد : وقد يُتصرَّفُ فى القريب المـبتذَل بما يخرجه من الابتذال إلى الغرابة ، وهو على وجوه : منها أن يكون كقوله :

لمْ تَلْقَ هذا الوجْهَ شمسُ نهارنا   إلا بوجهٍ ليس فيه حياء (٣)

---

(١) أى فى تعريف البعيد الغريب فيما سبق .

(٢) انظر ص ٨ .

(٣) هو لأبى الطيب فى مدح هارون بن عبـد العزيز ، والتشبيه فـيه ضمنى ؛ لأن وجه الممـدوح إذا كان أعظمَ من الشمـس فى الضياء لزم اشـتراكهـما فى أصله ، فـيثبت التشبيه ضمناً ، وكأنه قال : هذا الوجه كالشمس فى أصل الحسن فقط .

وقوله :

فرُدَّت علينا الشمــــسُ والليلُ راغمٌ   بشـمس لهم من جـانبِ الـخِدْر تطْلعُ
فوالله ما أدرى أأحْلامُ نائـــمٍ   ألـمَّتْ بنا أم كان فى الركب يوشَعُ (١)

فإن تشبـيه وجوه الحسـان بالشمس مبتذَل ، لكـن كل واحد من حديث الحيـاء فى الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليـه السلام فى الثانى أخـرجه من الابتذال إلى الغرابة . وشبيهٌ بالأول قول الآخَر :

إنّ السَّحابَ لَتستَحِي إذا نظَرَتْ   إلى نـــداكَ فقاستْه بما فيها (٢)

ومنها أن يكون كقوله :

عَزَماتُه مثلُ النجــــومِ ثَوَاقِباً   لو لَـــمْ يكُنْ للثّاقِباتِ أُفُولُ (٣)

وقوله :

مَهَا الوحشِ إلا أنَّ هَاتَا أوانسٌ   قَنَا الَخطِّ إلا أن تِلْكَ ذوابِلُ (٤)

---

(١) هما لأبى تمام . والرغم : اسـم فاعل من « رغم » كفـرح وكرم بمعنى ذلَّ . وإنما حصل هذا للَّيل لزواله بطلوعـها ، والضميـر فى « لهم » للخليط فى البيت قبلـهما وهو يُطلق على الواحـد والجمع ، والخدر : السـتر الذى يُمَدُّ للجارية أو مـا يُفْرَد لها من السكن أو كل ما يُتوارَى به ، وقوله « ألمت » بمعنى نزلت ، وهو يـشير بقوله « أم كان فى الركب يوشع » إلى قصة يوشع مع الشمس ، وسيأتى تفصيلها فى الكلام على التلميح فى علم البديع ، والشاهد فى قوله « بشمس لهم » ؛ لأن تقديره: بـجارية لـهـم كالشمس ، وهذا استعارة لا تشبيه .

(٢) هو للحســـن بن هـانىء المعــروف بأبى نواس. ، والندى : الـكرم ، ورواية الديوان: « نداه » . وما فى السحاب هو المطر ، يعنى أنها تستحى إذا شبَّهَتْ نداك بمطرها لأنه أعظم منه ، وفى هذا تشبيه ضمنى أيضاً .

(٣) هو لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط ، والثواقب : النوافذ ، والأفول : الغروب .

(٤) هو لأبى تمام ، والمهـا : بقر الوحش واحدُهُ مـهاة ، واسم الإشـارة « هاتا » يعود إلى النسوة المشبهات ، والقنا : الرماح واحدُه قناة ، والخط : اسم بلد تُصنع فيها ، والذوابل : الْجافة ، واسم الإشارة « تلك» يعنى أن قدودهن تفضلها بالطراوة والنضارة .

وقوله :

يكادُ يحكيك صَوْبُ الغيثِ منسكباً لَوْ كانَ طَلْقَ المحيـــا يُمطر الذّهبا
والبدو لو لم يَغبْ والشمس لو نطقتْ والأُسْدُ لو لم تُصَدْ والبحرُ لو عَذُبا(١)

وهذا يُسَمَّى التشبيه المشروط (٢) .

ومنها أن يكون كقوله :

فى طلْعةِ البدرِ شىءٌ مِن مَحاسنها ولِلقضيب نصيبٌ مِنْ تَثَنّيها (٣)

وقول ابن بابَك :

ألا يا رياضَ الحزْنِ من أبْرَقَ الحِمَى نَسيمُك مَسبروقٌ ووصفُك منتحَل(٤)
حكيْتِ أبا سعد فَنشْرُك نَشْرُهُ ولكنْ له صِدْقُ الهوَى ولكِ المَلَلْ (٥)

وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات ، كقوله :

كأنما يبسَمُ عن لؤلُؤٍ منضّدٍ أو بَرَدٍ أو أَقاحْ (٦)

---

(١) هما لأحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى ، والغيث : المطر ، وصوبه :عطاؤه ، والمحيا : الوجه ، وطلق الوجه :ضاحكه .

(٢) إنما سُمِّى هذا الوجه بذلك لما فيه من الشرط ، والغرابة فيه ناشئة من كونه مشروطاً ، والشرط قد يكون فى المشبه أو المشبه به أو فيهما .

(٣) هو للبحترى ، والمحاسن : جمع حُسْن على غير قياس ؛ لأنه لا واحدَ له من لفظه ، والقضيب : الغصن ، والغرابة فى التشبيهين ناشئةٌ من قلب التشبيه فيهما ، ويريد بتثنيها: تمايلها وتبخترها .

(٤) الحزن : الأرض الغليظة ، وأبرق الحمى : موضع ، ونسيمها : رائحتها ، ووصفها : نضارتها وبهجتها ، والمنتحل : اسم مفعول من « انتحل كذا » بمعنى ادّعاه لنفسه وهو لغيره . وابن بابك هو عبد الصمد بن منصور .

(٥) النشر : الرائحة ، وصدق الهوى : ثباته ، والملل : السأم . يريد به سرعة زوال نضرتها من إطلاق السبب وإرادة المسبب ، والغرابةُ فيه ناشئةٌ مِن قلب التشبيه أيضاً . وأبو سعد هو على بن محمد بن خلف الهمذانى .

(٦) انظر ص ٤٩ .

كما يزداد بذلك لطفاً وغرابةً ، كقوله :

لهُ أيْطلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ وإرخاءُ سرْحان وتقريبُ تَتْفُلِ [(١)]

أقسام التشبيه باعتبار أداته :

وأما باعتبار أداته فإما مؤكَّدٌ أو مرسلٌ :

والمؤكد: ما حُذفت أداته ، كقوله تعالى : ﴿ وهى تمرُّ مرَّ السّحاب ﴾[(٢)] وقوله: ﴿ يأيُّها النّبِّى إنّا أرسلْناك شاهداً ومُبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذْنه وسراجاً مُنيراً ﴾ [(٣)] وقول الحماسى :

هُمُ البحورُ عطاءً حين تسألهم وفى اللّقاء إذا تُلْقى بِهِمْ بُهَمُ [(٤)]

إلى غير ذلك كما سبق [(٥)] . ومنه نحو قول الشاعر :

والرِّيحُ تعْبَثُ بالغُصُونِ وقد جَرَى ذهبُ الأصيـــل على لُجَيْنِ المــاء[(٦)]

وقول الآخَرَ يصفُ القمرَ لآخِرِ الشهر قبل السِّرار :

كأنما أدْهمُ الإظــــلام حين نجــا مِنْ أشْهبِ الصبح ألْقَى نَعْلَ حافرِه[(٧)]

---

(١) هو لامرىء القيس فى وصف فرسه ، وأيطلا الظبى : خاصرتاه ، والسرحان: الذئب ، وإرخاؤه : جريه فى سهولة ، والتتفل : ولد الثعلب ، وتقريبه : عدوه ، وإنما زاد التشبيه هنا لطفاً لتعدد المشبه والمشبه به فيه ، أما التشبيه قبله فلم يتعدد فيه إلا المشبه به .

(٢) النمل : ٨٨ . (٣) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) هو لزياد بن حمل ، والبهم : واحده بهمةٌ وهو الشجاع الذى لا يُدْرَى كيف يؤتَى لاستبهام شأنه .

(٥) فى أمثلة التشبيه من أول بابه إلى هنا ، فقد ورد فيها كثير من التشبيه المؤكد .

(٦) هو لإبراهيم بن أبى الفتح المعروف بابن خفاجة الأندلسى . والأصيل : ما بين العصر والمغرب ، واللجين : الفضة ، وقد جرى التشبيه المؤكد هنا على طريقة مخالفة لما سبق من أمثلة ، وهى إضافة المشبه به إلى المشبه فى قوله « لجين الماء » . أما قوله « ذهب الأصيل » فهو استعارة لا تشبيه .

(٧) هو لعبد الجبار بن حمديس الصقلى . والأدهم : الفرس الأسود ، والأشهب : الفرس الأبيض . والمراد تشبيه الليل بالفرس الأدهم ، والصبح بالفرس =

وقول الشريف الرضى :

أرْسَى النسيمُ بواديكم ولا بَرِحتْ   حواملُ المُزْنِ فى أجداثكم تَضَعُ

ولا يزالُ جَنينُ النبْت تُرْضعه   على قبوركم الْعُراضَةُ الهمعُ (١)

المرسَل : والمرسل ما ذُكرتْ أداته ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهمْ كَمثلِ الذى اسْتوْقَدَ ناراً ﴾(٢) وقوله عز وجل : ﴿ عرْضُهَا كعرضِ السّماءِ والأرْضِ ﴾(٣) وقول امرىء القيس :

وتَعْطو برَخْصٍ غيرِ شثْنٍ كأنّه   أساريعُ ظَبْيٍ أو مَسَاوِيكُ إسْحَلِ (٤)

وقول البحترى :

وإذا الأسنَّةُ خالطَتْها خِلْتَها   فيها خيالُ كواكبٍ فى الماء (٥)

إلى غير ذلك كما تقدم (٦) .

= الأشهب ، والقمر قبل السرار بالنعل الذي يكون فى رجل الفرس لمشابهته له فى الدقة والانعطاف ، وقد جرى فى التشبيهين الأولين على إضافة المشبه به إلى المشبه أيضًا ، أما قوله « نعل حافره » فهو استعارة لحذف المشبه فيه .

(١) هما لعلى بن موسى المعروف بالشريف الرضى ، وقوله « أرسى » بمعنى ثبت وهي جملة دعائية ، والمزن : السحاب ذو الماء ، والأجداث : القبور ، والعراضة : السحاب العريض ، والهمع : الماطر ، والشاهد فى قوله « حوامل المزن ، وجنين النبت » فهو من إضافة المشبه به إلى المشبه على حد : لجين الماء .

(٢) البقرة : آية ١٧ .

(٣) سورة الحديد : آية ٢١ .

(٤) قوله « تعطو » بمعنى تتناول ، والرخص : اللين وصفٌ لإصبعها ، والشثن : الغليظ ، والأساريع : جمع أسْروع وهو دودٌ يكون فى البقل والأماكن النّديّة تُشبَّه به أنامل النساء فى عهدهم ، وظبى : اسم موضع ، والإسحل : شجر له غصون يُسْتاك بها .

(٥) الضمير فى « خالطتها » يعود إلى الدروع ، وفى « خلتها » للأسنة ، والأسنة : الرماح ، يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروعَ بخيال الكواكب حين يبدو فى الماء ؛ لأن الأسنة تكون لامعةً كالكواكب والدروع تكون صافية كالماء .

(٦) فى أمثلة التشبيه فيما مضى إلى أول الباب ؛ لأن فيها كثيراً من أمثلة التشبيه المرسل .

أقسام التشبيه باعتبار الغرض :

وأما باعتبار الغرض: فإما مقبول أو مردود .

المقبول الوافى بإفادة الغرض ، كأن يكون المشبهُ به أعرفَ شيء بوجه الشبه[1] إذا كان الغرضُ بيانَ حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار . ثم الطرفان فى الثانى[2] إن تساويا فى وجه الشبه: فالتشبيه كامل فى القبول ، وإلا: فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال . أو كأنْ يكون المشبه به أتمَّ شيء[3] فى وجه الشبه إذا قُصِدَ إلحاقُ الناقص بالكامل . أو كأن يكون المشبه به مُسَلَّمَ الحكم معروفَه عند المخاطَب فى وجه الشبه إذا كان الغرضُ بيانَ إمكان الوجود .

المردود : والمردود بخلاف ذلك ؛ أى القاصر عن إفادة الغرض[4] .

* * *

---

(١) الحق أنه لا يشترط إلا أن يكون المشبه به أعرفَ الطرفين بذلك ، ويكفى أن يكون أعرفهما به عند السامع وإن لم يكن كذلك عند غيره ، ولا يُشْتَرط فى وجه الشبه أن يكون صفةً ظاهرة فى المشبه به كما ذهب إليه بعضهم ؛ لأنه يصح أن يكون صفةً خفية ، ولكن يجب بيانُها فى التشبيه ، كقولك : « رأيتُ رجلاً كالأسد فى البَحْرِ » .

(٢) أى بيان المقدار .

(٣) الحق أنه لا يُشترط أيضاً إلا أن يكون المشبه به أتمَّ الطرفين فقط فى ذلك .

(٤) من التشبيه المردود قول الفرزدق :

يمشون فى حَلَق الحديد عليهمُ ... جُرْبُ الجمال بها الكحيْلُ المشعلُ

شبَّه الرجالَ فى دروع الزرد بالجمال الجرب ، وهو مردودٌ ؛ لأنه إنْ أراد السوادَ فلا مقاربة بينهما فى اللون؛ لأن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فهو غير واضح مع ما فيه من السخف .

ومن ذلك قول الآخر فى وصف السهام :

كساها رطيبُ الرِّيش فاعتدلتْ له ... قداحٌ كأعناقِ الظباء الفَوارِقِ

لأن ما هذا حاله لا ملاءمة بين الطرفين فيه .

وقد قيل : إن جماعةً جعلوا الابتذال مما يُرَدُّ به التشبيه ، فيكون التشبيهُ القريب المبتذلُ من المردود ، والحق أنه تشبيه مقبول وإن لم يبلغ مرتبةَ التشبيه البعيد الغريب .

خاتمـــة

مراتب التشبيه : قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيــه ، ووجهه . فالحاصل من مراتب التشبـيه فى القوة والضعف فى المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلّها أو بعضها ثمان :

إحداها : ذِكرُ الأربـعـة ، كقولك « زيد كالأسد فى الشجاعة » ولا قوة لهذه المرتبة (١) .

وثانيتها : ترك المشبه؛ كقـولك « كالأسد فى الشجاعة » أى زيد ، وهى كالأولى فى عدم القوة(٢) .

وثالثتها : ترك كلمة التشبيه ، كـقولك « زيد أسد فى الشجاعة » وفيهـا نوع قوة(٣) .

ورابعتها : تركُ المشبَّه وكلمة التشبيه ، كقولك « أسد فى الشجاعة » أى زيد ، وهى كالثالثة فى القوة .

وخامستها : ترك وجــه الشبه ، كـقولك « زيد كالأسد » وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر .

وسادستهـا : ترك المشبه ووجه التشبيه ، كـقولك « كالأسد » أى زيد ، وهــى كالخامسة .

وسابعتُها : ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك « زيد أسد » وهى أقوى الجميع .

---

(١) لعدم المبالغة فيها بذكر الأداة وتخصيص وجه الشبه .

(٢) لأن حذف المشبه لا تأثير له فى إفادة المبالغة التى تعلو بها مرتبة التشبيه .

(٣) لأن حذف الأداة يفيد أن المشبهَ عينُ المشبــه به ادّعاءً ؛ لأن الخبر عين المبتدأ فى المعنى .

وثامنتـها : إفراد المشـبه به بالذكـر ، كقولـك « أسد » أى زيد ، وهى كالسابعة[1] .

واعلم أن الشبه [2] قد يُنتزعُ من نفس التضاد لاشـتراك الضدَّين فيه ، ثم ينزَّل منزلـة التناسب [3] بواسطة تمليـح؛ أو تهكم [3] ؛ فيـقال للجبـان: « ما أشبهه بالأسد » ، وللبخيل : « هو حاتم » .

* * *

(١) هذا وللتشـبيه مراتب أيضا باعـتبار أدواته ، فنحو « كـأن زيداً أسد » أبلغ من نحو « زيد كالأسد » لأن (كـأن) تفيد الظن مع التشبيه ، والظن قريب من العلـم فيفيد شدة المشابهه .

وكذلك له مراتب باعتبار أقسامه السابقة من كـون وجه الشبه فيه مفرداً ، أو مركباً حسياً أو عقلياً إلى غير ذلك من أقـسامه ، ولو أنه رتب الكلامَ فى التشبيه على بيان تلك المراتب وجعل تلك الأقسام تابعةً لها لكانت الفـائدة أتم ؛ لأن عنايته بالتقسيم لذاته جعلته يستقصى فيه إلى ذلك الحدِّ المملِّ ، ويهمل بيانَ تلك المراتب مع أنه هو الأهم .

(٢) يعنى به وجه التشبيه .

(٣) كان الأحسن تقـديم هذا على ما قبله ؛ لأن الذى يحصل أولاً تـنزيل التضاد منزلة التناسب ، ثم ينتزع الشبه منه بعد هذا التنزيل ، والمراد بالتضاد مطلق التقابل .

(٤) التمليح : هو الإتيان بما فيه ملاحة وظرافـة ، والتهكم : الاستهزاء ، والنسبة بينهما العموم والخصوص الوجهى ، وقيل : إن التمليح إيراد القبيح فى صورة شىء مليح للاستظراف . ومما جاء من ذلك قول أبى نواس :

أصبح الحُسْنُ منك يا أحسن الأمـ ـة يَحْكِى سماجةَ ابن حبيش

وقول عمرو بن معديكرب :

أتُوعِـدُنى كأنك ذو رُعَين بأنعمَ عيشَـةٍ أوْ ذو نواس
فلا تفخـرْ بملكِكَ كلُّ مُلْك يصيرُ لِذلَّةٍ بَعْدَ الشَّماس

تمرينات على التشبيه

تمرين ـ ١

(١) من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار الطرفين قول الشاعر :

تحطِّمنا الأيامُ حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يُعاد لنا سَبْكُ

(٢) بيِّن التشبيه الضمنى فى قول الشاعر :

إنّ السلاح جميعُ الناس تحمله وليس كلُّ ذوات المخلب السبُع

تمرين ـ ٢

(١) من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه قول الشاعر :

أيهجرنى قومى عفا اللهُ عنهم إلى لغةٍ لم تتصل بلغات

سَرَتْ لوثةُ الإفرنِج فيها كما سرَى لعابُ الأفاعى فى مسيل فرات

(٢) ما الفرق بين التشبيه المؤكد والتشبيه البليغ عند الخطيب وعند غيره ؟

تمرين ـ ٣

(١) مِن أى أقسام التشبيه باعتبار الأداة قول الشاعر :

وتراكضوا خيلَ الشباب وبادِروا أن تستردَّ فإنهن عوارى

(٢) ما هو الغرض من التشبيه فى قول الشاعر :

ويا وطنى لقيتك بعد يأس كأنى قد لقيتُ بك الشبابا

تمرين ـ ٤

(١) لماذا فضل عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرُّقيات فى مصعب بن الزبير :

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللـ ـهِ تجلتْ عن وجهه الظّلماء

على قوله فيه :

يأتلق التّاج فوق مفْرِقِه   على جبينٍ كأنّه الذهب

(٢) لماذا قبح التشبيه فى قول أبى نواس فى وصف الخمر :

وإذا ما الماء واقَعها   أظهرتْ شكْلاً من الغزل

لؤْلؤاتٍ يتحدَّرْن بها   كانحدار الذّرِّ من جبل

تمرين – ٥

أىُّ التشبيهين أبلغ فى هذين البيتين :

(١) يا شبيه البدر حُسْناً   وضياءً ومنالا

(٢) فى طلعة البدر شىءٌ من محاسنْها   وللقضيب نصيبٌ من تثنّيها

(٢) ما الفرق بين التشبيه والتمثيل ؟ وأيهما أعلى منزلةً فى التشبيه ؟

تمرين – ٦

بيِّنْ أركانَ التشبيه وأقسامَه باعتبارها فيما يأتى :

(١) والنّفس كالطّفل إنْ تهملْه شبَّ على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

(٢) الأمُّ مدرسةٌ إذا أعْددْتَها   أعددتَ شعْباً طَيِّبَ الأعراق

(٣) والبدْر فى أفْق السّماء كغادةٍ   بيضاء لاحتْ فى ثياب حداد

(٤) أبابلُ مَرْأى العين أم هذه مصْر   فإنى أرى فيها عيوناً هى السِّحْرُ

(٥) ومكلّف الأيام ضِدَّ طِباعها   متطلِّبٌ فى الماء جذْوةَ نار

تمرين – ٧

وازن بين التشبيه فى هذين البيتين :

(١) ألا إنما ليْلى عَصا خيزرانة   متى غَمزوها بالأكفّ تلين

(٢) إذا قامتْ لحاجتها تثنّتْ   كأنّ عظامَها من خيزران

الباب الثانى: القول فى الحقيقة والمجاز

وقد يُقيدان باللّغويّيْن (١)

تعريف الحقيقة : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وُضعتْ له فى اصطلاحٍ به التخاطب(٢) . فقولنا « المستعملة » احتراز عمّا لم يُسْتَعْمَل ؛ فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمَّى حقيقة، وقولنا « فيما وُضِعَتْ له » احتراز عن شيئين : أحدهما ما استعمل فى غير ما وُضعت له غلطاً ؛ كما إذا أردتَ أن تقول لصاحبك « خذ هذا الكتاب » مشيراً إلى كتاب بين يديك ، فغلطت فقلت « خذ هذا الفرس » والثانى أحد قسمَيِ المجاز - وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا فى اصطلاحٍ به التخاطب ولا فى غيره ؛ كلفظة الأسد فى الرجل الشجاع ، وقولنا « فى اصطلاحٍ به التخاطب » احترازٌ عن القسم الآخر من المجاز ؛ وهو ما استعمل فيما وُضع له لا فى اصطلاحٍ به التخاطب ؛ كلفظ الصلاة يستعمله المخاطب بعُرْفِ الشرع فى الدعاء مجازاً (٣) .

تعريف الوضع : والوضْعُ تعيينُ اللفظ للدلالة على معنى بنفسه(٤)،

(١) إنما يقيدان بذلك ليخرج عنهما الحقيقة والمجاز العقليان ، وقد سبقا فى باب الإسناد الخبرى من علم المعانى ، وبهذا يكون المراد باللغوى منهما ما قابل العقلى فيدخل فيه الشرعى والعرفى الآتيان .

(٢) الأحسن أن يذكر فى التعريف اللفظ بدل الكلمة ليشمل الحقيقة المركبة أيضاً ، كقولك: « الصدق حسن »؛ باعتبار الهيئة التركيبية لا باعتبار الإسناد ، وقيل : إن المركب لا يُطلق عليه حقيقة لغوية .

(٣) لأنها فى عُرف الشرع حقيقة فى الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم ، أما فى عُرف اللغة فهى حقيقة فى الدعاء لا مجاز ، وقد سكت عن خروج الكناية من تعريف الحقيقة للخلاف فى خروجها منه ، فقد قيل : إنها مستعملة فى غير ما وُضعت له فتكون مجازاً . وقيل : إنها مستعملة فيما وُضعت له فتكون حقيقة . وقيل : إنها ليست بحقيقة ولا مجاز .

(٤) أى بغير وساطة قرينة ، وبهذا يدخل فيه وضْعُ الحروف لأن معانيها تُفْهَمُ منها بغير قرينة وإن كانت غير مستقلة بنفسها .

فقولنا « بنفسه » احترازٌ من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة - أعني المجاز - فإن ذلك التعيين لا يسمى وضعاً ، ودخل المشترك في الحد لأن عدم دلالته على أحد معنييه بلا قرينة لعارض - أعني الاشتراك - لا ينافي تعيينه للدلالة عليه بنفسه [(١)] . وذهب السكاكي إلى أن المشترك (كالقُرْء) معناه الحقيقي هو ما لا يتجاوز معنييه كالطهر والحيض غيرَ مجموعٍ بينهما [(٢)] قال :

{ فهذا ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسباً إلى الوضعين ، أما إذا خصصته بواحد إما صريحاً مثل أن تقول « القرء بمعنى الطهر » وإما استلزامًا مثل أن تقول « القرء لا بمعنى الحيض » فإنه حينئذ ينتصب دليلاً دالاً بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الوضع عيْنه بإزائه بنفسه } ، ثم قال في موضع آخر[(٣)] : { وأما ما يُظنّ بالمشترك من الاحتياج إلى القرينة في دلالته على ما هو معناه فقد عرفتَ أن منشأ هذا الظن عدمُ تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين } وفيما ذكره نَظَرٌ ؛ لأنّا لا نُسَلِّم أن معناه الحقيقي ذلك ، وما الدليل على أنه عند الإطلاق يدل عليه ؟ ثم قوله « إذا قيل القرء بمعنى الطهر أو : لا بمعنى الحيض فهو دالٌّ بنفسه على الطهر بالتعيين » سهو ظاهر ؛ فإن القرينة كما تكون معنوية تكون لفظية ، وكلٌّ من قوله « بمعنى الطهر » وقوله « لا بمعنى الحيض » قرينة[(٤)] .

---

(١) فقرينة المشترك إنما هي لتعيين المراد منه ، ولا يحتاج فهمُ أحد المعنيين منه على الإطلاق إلى قرينة ، أما قرينة المجاز فيحتاج إليها في نفس الدلالة على المعنى المجازي .

(٢) ١٩١ - المفتاح ، ويريد بذلك أن المشترك عند الإطلاق صالح لكل من المعنيين ؛ فهو عند الإطلاق يدل بنفسه على معناه الذي هو أحدهما لا بعينه ، وحينئذ لا يكون هناك خلاف بينه وبين الخطيب في معنى المشترك ، ولا يكون هناك وجه لاعتراض الخطيب عليه بما يأتي .

(٣) ١٩٢ - المفتاح .

(٤) هذا الاعتراض ساقط ؛ لأن السكاكي لا يريد إلا أن ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ على المعنى ، بل لتعيين دلالته على أحد معنييه كما سبق ، وما كان أغنى الخطيب عن الاشتغال بهذه المماحكات اللفظية .

إنكار الوضع : وقيل : دلالة اللفظ علـى معناه لذاته [1] ، وهو ظاهر الفساد لاقتضائه أن يَمْنعَ نقلَه إلى المجاز وجعْلَه علماً ووضعه للمضادين كالجوْن للأسـود والأبيض ، فـإن مـا بالذات لا يزول بالغـيـر ، ولاختـلاف اللغـات باختلاف الأمم . وتأوَّله الـسكاكىُّ رحمه الله [2] على أنه تنبيـه على ما عليه أئمة علمَىْ الاشـتقاق والتـصريف ؛ من أن للحـروف فى أنفسهـا خَواصّ بها تختلف؛ كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتـوسط بينها وغيرِ ذلك مستدْعيةً أن العالِمَ بها إذا أخذ فى تعيين شىء منها لِمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاءً لحق الحكمة [3] كـالفصم (بـالفاء) الذى هو حـرف رخْوٌ لكسـر الشىء من غَـيـر أن يَبين[4] ، والقـصم (بالقاف) الذى هو حـرف شديد لكسـر الشىء حتى يَبين ، وأنَّ للتركيبات [5] كالفعلان والفعلى بالتـحريك كالنزوان والحيدى وفَعُلَ مثل شَرُفَ وغير ذلك خواصّ أيضاً [6] فيلزم فيها ما يلزم فى الحروف ، وفى ذلك نوع تأثير لأنفسِ الكلم فى اختصاصها بالمعانى .

تعريفُ المجاز وأقسامُه : والمجاز مفرد ومركب .

أما **المفرد** فهـو الكلمة المستعـمَلة فى غير مـا وُضعتْ له فى اصطلاحٍ به التخاطب على وجـهٍ يصح مع قرينة عدم إرادته . فقولنا « المستـعملة » احتراز عمّا لم يُسْتَعمَل ؛ لأن الكلمة قـبل الاستعمال لا تسمى مجـازاً كما لا تسمى

(١) أى لا بالوضع ، وهو قول عباد الصَّيْمرىّ من المعتزلة .

(٢) المفتاح - ١٩٠ .

(٣) لأن الواضع حكيم ، وحـينئذ لا يكون فى هذا القـول إنكار للوضع ، ولكن هذا إنما يظهر فى بعض الألفـاظ دون جميعـها لتعذُّره ، والحق أن هذا التـأويل خلاف ما صحّ نقله عن عبَّاد من أنه يقصد ظاهر مـا رُوى عنه ، وكان بعض أتباعه يَدَّعى أنه يعرف جميع المسميات من أسمائها ، فقيل له : ما مسمى « آدغاغ » وهو من لغة البربر ؟ فقال: أجد فيها يبساً شديداً وأراه اسم الحجر . فظهر أنه اسمه فى تلك اللغة .

(٤) ينفصل .

(٥) معطوف على قوله « من أن للحروف » .

(٦) فالفعـلان والفعلى يدلان على ما فـيه حركة ، وفَعُلَ تدل على أفعـال الطبائع والسجايا .

حقيقة ، وقولنا « فى اصطلاح به التخاطب »؛ ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء مجازاً ؛ فإنه وإن كان مستعملاً فيما وُضِعَ له فى الجملة [1] ؛ فليس بمستعمل فيما وُضِعَ له فى الاصطلاح الذى به وقع التخاطب . وقولنا « على وجه يصح » احتراز عن الغلط كما سبق[2] . وقولنا « مع قرينة عدم إرادته » احتراز عن الكناية؛ كما تقدم [3] .

والحقيقة لُغوِيّةٌ وشرعية وعرفية خاصّة أو عامة ؛ لأن واضعها إن كان واضعَ اللغة فلغوية ، وإن كان الشارع فشرعية ، وإلا فعُرفية والعرفية إن تعين صاحبها نسبتْ إليه؛ كقولنا كلامية ونحوية ، وإلا بقيت مطلقة؛ مثال اللغوية لفظ (أسد) إذا استعمله المخاطِبُ بعرف اللغة فى السبع المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ (صلاة) إذا استعمله المخاطِبُ بعرف الشرع فى العبادة المخصوصة ، ومثال العرفية الخاصة لفظ (فعلٍ) إذا استعمله المُخاطِبُ بعرف النحو فى الكلمة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ (دابّة) إذا استعمله المخاطبُ بالعرف العام فى ذى الأربع[4] .

---

(١) لأنها موضوعة فى اللغة للدعاء ، فاستعمالها فيه استعمالٌ فيما وُضِعَ له فى الجملة .

(٢) أى فى تعريف الحقيقة؛ فهو خارج عن التعريفين ولا يقال له حقيقة ولا مجاز؛ وإنما خرج بذلك عن تعريف المجاز لأن الوجه الذى يصح به استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له؛ هو وجود العلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى مع ملاحظتها ، والغلط لا يكون عن ملاحظة علاقة .

(٣) أى فى حصر أبواب علم البيان ؛ لأن قرينة الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقى ، وأما نحو قولهم « القلم أحد اللسانين » مما قيل إنه من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز؛ فمذهب علماء البيان فيه أنه من باب عموم المجاز ، والمعنى عليه : القلم أحد المبيِّنين ، ولا شك فى أن هذا إطلاق مجازى .

(٤) هى فى اللغة اسم لكل ما يدب على الأرض من ذى الأربع وغيره ، والمراد ذو الأربع المعهود وهو الحمار والبغل والفرس ، فلا يدخل فى استعماله العرفى الشاة ونحوها من ذى الأربع .

وكذلك المجاز المفرد لغوى وشرعى وعُرْفى ؛ مثال اللغوى لفظ (أسد)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى الرجل الشجاع ، ومثال الشرعى لفظ (صلاة)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع فى الدعاء ، ومثال العرف الخاص لفظ (فعل)؛ إذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الحدث ، ومثال العرفى العامّ لفظ (دابة) إذا استعمله المخاطب بالعرف العام فى الشاة [١] .

اشتقاق الحقيقة والمجاز: والحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من قولك «حققتُ الشىء أحقُّه » إذا أثبتّه ، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك « حقّ الشىء يحقُّ إذا ثبت » أى المُثْبَتَةُ أو الثابتة فى موضعها الأصلى؛ فأما التاء فقال صاحب المفتاح [٢] : هى عندى للتأنيث فى الوجهين ، لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة على الموصوف وهو الكلمة [٣] ، وفيه نظر [٤]، وقيل : هى لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية الصِّرْفة؛ كما قيل فى أكيلة ونطيحة: إن التاء فيهما لنقلهما من الوصفية إلى الاسمية [٥] ؛ فلذلك لا يوصف بهما؛ فلا يقال: شاة أكيلة أو نطيحة .

والمجاز: قيل «مَفْعلٌ » من « جاز المكان يجوزه » إذا تعداه ، أى تعدت موضعها الأصلى» [٦] وفيه نظر [٧] . والظاهر أنه من قولهم « جعلت كذا

---

(١) لأنه فى العرف العام موضوع للحمار والبغل والفرس فقط كما سبق .

(٢) ١٩٢ - المفتاح .

(٣) إنما قيدها بهذا لئلا يمتنع إلحاق التاء بها إذا كانت من فعيل بمعنى مفعول؛ كما قال ابن مالك :

ومنْ فعيل كقتيل إن تبعْ   موصوفه غالباً التّا تمتنع

(٤) لأنه يجوز أن يقال هذا اللفظ حقيقة ، ولو كانت التاء للتأنيث لم يجز .

(٥) لأنهما قبل التاء وصفٌ لكل مأكول ومنطوح من الإبل والبقرِ والغنم ، ثم كثر استعمالها فى الغنم ، فجعلت التاء فيهما للنقل من الوصفية للاسمية .

(٦) الضمير فى « تعدت » للمجاز باعتبار أنه كلمة. فهى على هذا مجاز بمعنى جائزة من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل ، أو بمعنى مجوزٌ بها من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول .

(٧) لأن استعمال المصدر الميمى بمعنى اسم الفاعل أو المفعول مجاز فلا يصار إليه مع إمكان غيره .

الى حاجتى » أى طريقاً له [1] ، على أن معنى جاز المكان سلكه ، على ما فسره الجوهرى وغيره ؛ فإن المجاز طريق إلى تصورُّ معناه ، واعتبار التناسب فى التسمية يغاير اعتبار المعنى فى الوصف [2] كتسمية إنسان له حمرة بأحمر ، ووصفه بأحمر ؛ فإن الأول لترجيح الاسم على غيره حالَ وضعه له ، والثانى لصحة إطلاقه ؛ فلا يصح نقض الأول بوجود المعنى فى غير المسمَّى كما يلهج به بعض الضعفاء .

تقسيم المجاز المفرد إلى مرسل واستعارة : والمجاز ضربان: مُرْسلٌ، واستعارة؛ لأن العلاقة المصحِّحة إن كان تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة، وإلا فهو مرسل ، وكثيراً ما تُطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به فى المشبه[3]، فيسمَّى المشبه به مستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له، واللفظ مستعاراً[4]، وعلى الأول لا يُشتق منه لكونه اسماً لِلَّفظ لا لِلْحَدَث [5].

المجاز المرسل وعلاقاته ـ علاقة السببية والمجاورة :

الضرب الأول: المرسل ، وهو ما كانت العَلاَقَة بين ما استُعْمِل فيه وما وُضع له مُلابسةُ غير التشبيه [6] كاليد إذا استُعْمِلتْ فى النعمة ؛ لأن من شأنها

---

(١) على هذا يكون فى الأصل اسم مكان لا مصدراً ميميًا ، ولا يحتاج فى إطلاقه على الكلمة إلى تأويل كالسابق .

(٢) يريد بهذا أن يدفع الاعتراض على ما اختاره فى لفظ المجاز بأنه يؤدى إلى صحة تسمية الحقيقة مجازاً ؛ لأنها طريق إلى تصور معناها أيضا ، وقد دفعه بأن ذلك لبيان علة تسمية المجاز باسمه لا لوصفه به ، وعلة التسمية لا توجِبُ التسميةَ بخلاف علة الوصف .

(٣) هذا يقابل إطلاقها على الكلمة بحكم أنها قسم من المجاز ، والحق أن هذا الإطلاق غير خاص بها ؛ لأن المجاز كما يطلق على الكلمة يطلق على استعمالها .

(٤) يعنى لفظ المشبه به ، أما المستعار منه فهو معناه لا لفظه .

(٥) فلا يشتق منه مستعار منه ولا مستعار له ولا مستعار ، وبهذا يكون المعنى الثانى هو الأنسب ؛ لأنه يؤدى إلى معرفة هذه المشتقات التى تدور كثيراً فى الكلام على الاستعارة .

(٦) الذى يُعتبر من العلاقة فى المجاز مطلقاً نوعُها لا شخصُها كما ذهب إليه =

أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها [١] . ويشترط أن يكون فى الكلام إشارة إلى الْمُولِى لها [٢] فلا يقال « اتسعت اليد فى البلد ، أو اقتنيت يداً » كما يقال « اتسعت النعمة فى البلد ، أو اقتنيت نعمة » وإنما يقال: «جلّتَ يدُهُ عندى ، وكثرت أياديه لدىّ » ونحو ذلك .

ونظير هذا قولهم فى صفة راعى الإبل : « إنَّ له عليها إصبعاً [١] »

= بعض المشددين فى استعمال المجاز ، فإذا عرفنا أن العرب استعملوا لفظاً فى سبب معناه أو مشابهه جاز لنا أن نستعمل لفظاً آخر غير الذى استعملوه لمثل هذه العلاقة ، ولا يجب أن نقتصر على اللفظ الذى استعملوه خاصةً ، وقيل : إن المجازات اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ، ولا يجوز التصرف فيها إلا بتوقيف وإذن من جهة اللغة ، فلا يقال فى مجاز الحذف مثلاً « سَلِ الدار » كما قيل ﴿ واسْأَل القرية ﴾ يوسف : ٨٢ ، ولا يستعار لفظ الأسد للرجل الأبْخَر ، كما استعير للرجل الشجاع ، وهكذا . أما غير المجازات المفردة فيجوز فيها ذلك ، فيصح أن تقول « تكاثرت أشواقى ، وأسقمنى فقدك » كما ورد من قولهم: « أخذت الأرض وأنبتت الأرض » . والحق أنه لا فرق فى ذلك بين المجازات المفردة وغيرها ، وأنه يجوز القياس فى المجاز مطلقاً ، وأن ما يُقبلُ من المجاز يُقبلُ من العرب وغيرهم ، وأن ما لا يقبلُ منه لا يقبل من الفريقين أيضاً ؛ لأن العرب تصيب فى ذلك وتخطىء كالمحْدثين ، وقد أُخذ على امرىء القيس قوله :

وهرٌّ تَصيدُ قلوبَ الرِّجالِ وأفلت منها ابْن عَمْرٍ وحُجُرْ

لأن لفظة « هرّ » واستعارة الصيد منها مضحكة هجينة ، ولو أن أباه حجراً من فارات بيته ما أسفَ على إفلاته منها هذا الأسف ، وأين قوله منْ قول زهير:

ليْثٌ بعَثَّرَ يصطادُ الرجال إذا ما كذّبَ اللَّيْثُ عن أقْرَانه صدَقَا

لا على أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلامَ قرائن تُحسِّنه وقرائن تُقبحه كذكر الصيد فى البيتين .

(١) هذا مثال لعَلاقَة السببية ، وتكون بإطلاق اسم السبب على الْمُسبَّبّ ، وكذلك ما يأتى من استعمال اليد فىَ القدرة والإصبع والسوط فى أثرهما .

(٢) ليكون قرينةً على إرادتها من اليد ، وقد اعترض على هذا بأن القرينة شرط فى كل مجاز ، فلا حاجة إلى تقييد هذا النوع بها ، وبأن القرينة قد توجد فى ذلك من غير إشارة إلى الْمُولى للنعمة ، كقولك « رأيت يداً عمت الوجود » ونحو ذلك .

(٣) من هذا قول الشاعر :

ضعيفُ العصا بادى العُرُوق ترى له عليها إذا ما أجْدَبَ الناسُ إصْبعا

أرادوا أن يقولوا « له عليهـا أثرُ حذْقٍ » فدلوا عليه بإصـبع ؛ لأنه ما من حذقٍ في عمل يد إلا وهو مـستفاد من حـسن تصريف الأصابع واللطف في رفـعها ووضعها كما في الخط والنقش. وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ بلَى قـادرين علـى أن نُسَوِّيَ بنانهُ ﴾(١) أي نجعلهـا كخف البعـير فـلا يتمكن من الأعمال اللطيفة ، فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق في الصنعة لا مطلقاً ، حتى يقال (٢) « رأيت أصابع الدار ، وله إصـبع حسنة وإصبع قبيحة » على معنى أثر حسن وأثر قبيح ، ونحو ذلك .

وينْظرُ إلى هذا قولُهم « ضربته سوطـاً » لأنهم عبّروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط فجعلوا أثر السوط سوطاً . وتفسيرهم له بقولهم « المعنى ضربته ضربة بالسوط » بيان لما كان الكلام عليه في أصله .

ونظيـر قـولنا « له علـيّ يد » قـول النبي ﷺ لأزواجـه: « أسْرعكنّ لحـوقـاً ـ ويُرْوَى لحاقـاً - بي أطولُكُنّ يداً » وقولـه « أطولكن » نظير ترشـيح الاستعارة ولا بأس أن يسـمى ترشيح المجاز ، والمعنى (٣) بسط اليد بالعطاء ، وقيل قـولـه « أطولكن » من الطَّوْل بمعنى الفـضل ، يقال « لفـلان على فلان طوْلٌ » أي فضل؛ فـاليد على هذيـن الوجهين (٤) بمعنى النعمـة ، ويحتمل أن يريد أطولكن يداً بالعطاء أي أمدُكنّ ، فحذف قوله بالعطاء للعلم به (٥) .

وكاليد أيضاً إذا اسـتعملت في القدرة ؛ لأن أكثر مـا يظهر سلطانها في اليـد ، وبهـا يكون البطش والضـرب والقطع والأخـذ والدفع والوضع والرفع وغير ذلك من الأفعال التي تنبيء عن وجود القدرة ومكانها، وأما اليد في قول النبي ﷺ : « المؤمنون تتكافـأ دماؤهم ، ويسعى بذمـتهم أدناهم ، وهم يد

(١) القيامة : ٤ .

(٢) هذا تفريع على المنفي فهو مما لا يصح أن يقال في ذلك .

(٣) يعني المعنى المجازي .

(٤) أي على أن يكون « أطولكن » بمعـنى بسط اليد بالـعطاء، أو من الطول بمعنى الفضل .

(٥) على هذا الوجه تكون اليدُ في الحديث حقيقةً لا مجازاً .

على من سواهم » فهــو استعارة (١)، والمعنى أن مَثلهمْ مع كثـرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مَثَلُ اليـد الواحدة ، فكما لا يتصوَّر أن يخـذل بعضُ أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة فى التـصرف ، كذلك سبيل المؤمنين فى تعاضدهم على المشركين؛ لأن كلمة التوحيد جامعة لهم ·

وكـالرِّواية للْمَزادة مع كـونهـا للبـعيـر الحـامل لهـا؛ لحـمله إياها(٢)، وكالْحَفَضِ فى البعير مع كونــه لمتاع البيت لحمله إياه، وكالســماء فى الغيث، كقوله: « أصابتنا السماء » لكونه من جهة المظلة، وكالإكاف فى قول الشاعر :

* يأكُلْنَ كلَّ ليلةٍ إكَافا (٣) *

أى علفاً بثمن الإكاف (٤) .

علاقة الجزئية : وهذا الضرب من المجاز يقـع على وجوه كثيرة غـير ما ذكرنا (٥) : منها تسمـية الشئ باسم جزئه(٦)كالعين فى الرَّبيئة(٧) لكون الجارحة

---

(١) يريد بها التشـبيه توسعاً لذكر الطـرفين فى قوله « وهم يد » وقيل : إن المعنى (وهم عون على من سواهم) فيكون مجازاً ·

(٢) مأخوذة من روى الماء حمله ، وتاؤها للمبالغة ، وهذا مثال لعلاقة المجاورة · والمزادة : سقاء من ثلاثة جلود تجمع أطرافها ليكثر ما تحمله من الماء · وكذلك العلاقة فى إطلاق الحفض على البعير ، وفى إطلاق السمـاء على الغيث ، وقد يجعل هذا من علاقة السببية ، والحفض: اسم لمتاع البيت الحقير ، ولا يكاد يطلق إلا على البعير المهزول ·

(٣) هو من قول أبى حُزابة الوليد بن حنيفة يمدح طلحة الطلحات :

يا طلحُ يَأَبَى مجدُكَ الإخْلاَفَا   والبخلُ لا · يعتَرفُ اعْترَافا

إنّ لَنَا أحمرةً عجَافا   يأكُلْنَ كلّ لَيلة إكَافا

والأحمرة : جـمع حمَار ، والعجـاف : الهزيلة جمع عـجْفاء على غيـر قياس ، والإكاف : البرذعـة أطلق على العلف للمجاورة لأنه يُحـمل عليه ، أو للسببـية لأن ثمنه سبب فى الحصول عليه ·

(٤) فهو على حذف مضاف ، ويجـوز أن يكون مجازاً عن ثمنه ، ثم صار مجازاً عن العلف ، فيكون مجازاً على مجاز ·

(٥) أى من علاقـة السببيـة والمجاورة ، وظاهر هذا أنه لا يذكـر فيما يأتى عـلاقة منهما مع أنه سيذكر فيه علاقة السببية ·   (٦) هذه تسمى علاقة الجزئية ·

(٧) تطلق الربيئة علـى الرقيب والجاسوس ، من ربأ القومَ : اسـتطلع حركاتهم ، وتاؤها للمبالغة ·

المخصوصة هى المقصود فى كون الرجل ربيئة ؛ إذْ ما عداها لا يغنى شيئاً مع فقدها فصارت كأنها الشخص كله[١]. وعليه قوله تعالى : ﴿ قم اللّيلَ إلاّ قليلاً ﴾[٢] أى صلِّ ، ونحوه ﴿ لا تقمْ فيه أبداً ﴾[٣] أى لا تُصَلِّ ، وقول النبى عليه السلام: « من قام رمضان إيماناً واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه » أى مَن صلّى[٤] .

علاقة الكلية : ومنها عكس ذلك [٥] نحو ﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهمْ ﴾[٦] أى أناملهم ، وعليه قولهم « قطعتُ السارق » وإنما قطعتْ يده[٧] .

علاقة السببية أيضاً : ومنها تسمية المسبَّب باسم السبب ، كقولهم : « رَعَيْنا الغيث » أى النبات الذى سببه الغيث ، وعليه قوله عز وجل :﴿ فمن اعتدى عليكمْ فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكْم ﴾[٨] سمى جزاءَ الاعتداء اعتداءً لأنه مسبب عن الاعتداء ، وقوله تعالى: ﴿ ونبلوَ أخباركمْ ﴾[٩] تُجُوِّز

---

(١) لأنه يجب فى كل جزء يطلق على كله أن يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذى يُقْصد بكله ، فلا يجوز إطلاق اليد ونحوِها على الربيئة .

(٢) المزمل : ٢ .

(٣) التوبة : ١٠٨ .

(٤) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

وكنتَ إذا كفٌّ أتتْك عديمةً ... تُرَجِّى نوالاً من سحابك بُلَّت

وقول الآخر :

وإن حلفَتْ لا ينقضُ النأىُ عهدَها ... فليس لمخضوب البنان يمينْ

(٥) هو تسمية الجزء باسم كله؛ وهذه تسمى علاقة الكلية ، أما استعمال الكلى فى جزئية فهو حقيقة ، كقولك « جاءنى إنسان » تريد زيداً .

(٦) البقرة : ١٩ .

(٧) من هذا أيضاً قول الشاعر :

تسيل على حَدِّ الظباة نفوسُنا ... وليستْ على غير الظباة تَسيلُ

(٨) البقرة : ١٩٤ .

(٩) سورة محمد ﷺ : ٣١ .

بالبلاء عن العرفان لأنه مسبب عنه ، كأنه قيل « ونعرف أخباركم »، وعليه قول عمرو بن كلثوم :

ألاَ لاَ يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا [١]

الجهل الأول حقيقةٌ ، والثانى مجاز ، عبَّر به عن مكافأة الجهل[٢] . وكذا قوله تعالى : ﴿ وجزاءُ سيّئة سيئةٌ مثْلُها ﴾[٣] تجوّزٌ بلفظ السيئة[٤] عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها ، وقيل : إنْ عُبر بها عما ساء أى أحزن لم يكن مجازاً ؛ لأن الاقتصاص محزن فى الحقيقة كالجناية ، وكذا قوله تعالى : ﴿ ومكرُوا ومكرَ الله ﴾[٥] تُجوز بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سببها ، قيل : ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة ؛ لأن المكرَ هو التدبيرُ فيما يضر الخصم ، وهذا محقَّق من الله تعالى باستدراجه إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمه .

علاقة المسببية : ومنها تسمية السبب باسم المسببِ كقولهم « أمطرت السماء نباتاً » وعليه قولهم « كما تَدينُ تُدانُ » أى كما تفعل تُجازَى [٦] ، وكذا لفظ « الأسنمة » فى قوله يصف غيثاً :

أقبل فى الـمُسْتَنِّ من ربابِه أسْنِمَةُ الآبال فى سحابه [٧]

وكذا تفسير إنزال أزواج الأنعام فى قوله تعالى : ﴿ وأَنْزَلَ لكُمْ مِنَ

---

(١) قال الزوزنى فى شرحه : أى لا يسفهنْ أحدٌ علينا فنسفه عليهم فوق سفههم ، أى نجازيهم بسفههم جزاءً يربو عليه .

(٢) ومكافأة الجهل ليست جهلاً وإن كانت فوقه .

(٣) الشورى : ٤٠ .

(٤) يعنى لفظها الثانى لا الأول .

(٥) آل عمران : ٥٤ .

(٦) فالمجاز فى قولهم « تدين » .

(٧) المستن : موضع جريان الغيث من قولهم « اسْتَنّ الفرسُ » إذا جرى على سننه فى جهة واحدة ، وقوله « من ربابه » متعلق بأقبل ، والرباب : السحاب الأبيض ، والآبال : الجمال جمع إبل ، وأسنمتها :جمع سنامٍ وهو الحدبة المعروفة فى ظهرها ، =

الأَنْعامِ ثَمَانِيةَ أزْواجٍ ﴾(١) بإنزال الماء على وجهٍ(٢) لأنها لا تعيش إلا بالنبات ، والنبات لا يقوم إلا بالماء ؛ وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها ، ويؤيده ما ورد أن كل ما فى الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة ثم يقسمه ، قيل : وهذا(٣)معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فى الأرضِ ﴾(٤) وقيل : معناه وقضى لكم ؛ لأن قضاياه وقِسَمَه موصوفة بالنزول من السماء حيث كُتِبَ فى اللوح كل كائن يكون ، وقيل : خلقها فى الجنة ثم أنزلها ، وكذا قوله تعالى : ﴿وينزِّلُ منَ السماء رِزْقاً ﴾(٥) أى مطراً هو سبب الرزق ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فى بُطُونِهم نَاراً ﴾(٦) وقولهم «فلان أكل الدم » أى الدية التى هى مسببة عن الدم (٧) ، قال :

أكلتُ دماً إنْ لم أَرُعْكِ بِضُرَّةٍ بعيدةِ مَهْوَى القرط طيِّبةِ النَّشر (٨)

= والشاهد فى إطلاقها على المطر لأنه سبب فى نموها ، ويجوز حمل ذلك على المجاز العقلى ، فيكون المراد من الأسنمة حقيقتها .

(١) الزمر : ٦ .

(٢) هو أن المراد بالإنزال الحركة من أعلى إلى أسفل ، وسيذكر مقابل هذا الوجه فى قوله : « وقيل : معناه وقضى لكم إلخ » .

(٣) أى التفسير بما سبق .

(٤) الزمر : ٢١ .

(٥) غافر : ١٣ .

(٦) النساء : ١٠ .

(٧) لا يخفى أنه حينئذ يكون من تسمية المسبَّب باسم السبب ، فيكون ذكره هنا فى غيره محله .

(٨) هو لأعرابى تزوج امرأة فلم توافقه ، فقيل له : إنّ حُمَّى دمشق سريعة فى موت النساء ، فحملها إليها وقال قبل هذا البيت :

دمشق خذيها واعلمى أنّ ليلةً تمرُّ بعودَىْ نعشها ليلةُ القدْر

وقوله « أكلت دمًا » أجراه مجرى اليمين ، فكأنه يريد أن يقتل له قتيل ويعجز عن ثأره فيرضى بديته ، وقيل: إنهم كانوا فى سِنِىْ الجدب يفصدون نوقهم ويشربون دمها . =

وقوله تعالى : ﴿ فـإذا قَرَأْتَ القُرآنَ فاستَعذْ بالله ﴾[1] أى أردتَ القراءة بقرينة الفاء[2] مع استـفاضة السُّنة بتقـديم الاستعاذة ، وقـوله تعالى : ﴿ونَادَى نوحٌ ربّه ﴾[3] أى أراد؛ بقرينة ﴿ فـقال ربِّ ﴾ . وقولـه تعالى : ﴿ وكم من قريةٍ أهلكناها ﴾[4] أى أردنـا إهلاكها؛ بقـرينة ﴿ فجـاءها بأسُناً ﴾ . وكذلك قـولـه تعـالى : ﴿ مـا آمنتْ قبـلهم من قـريةٍ أهلكناها ﴾[5] بقريـنة ﴿ أفهُم يؤمنون﴾ ، وفيـه دلالة واضحة على الوعـيد بالإهلاك ؛ إذ لا يقع الإنكار[6] فى ﴿ أفـهـم يـؤمنون ﴾ فى المَحزِّ إلا بتقدير « ونحن على أنْ نهلكهُم »[7] .

علاقة اعتبار ما كان : ومنها تسميـة الشىء باسم ما كان عليه[8] كـقـوله عز وجل : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهمْ ﴾[9] أى الذين كانوا يتامى ؛ إذ لا يُتم بعد البلوغ ، وقوله ﴿ إنهُ منْ يأت ربّهُ مـجْرماً ﴾[10] سماه مجرماً بـاعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام .

علاقه اعتبار ما يكون : ومنها تسمـيـة الشـىء باسم ما يؤول إليـه[11] كقوله تعالى : ﴿ إنى أرانى أعْصرُ خمْراً ﴾[12].

= فدعـا على نفـسه بذلك . وقـوله « أرعك » بمعنى أفزعك ، وقـوله - بعـيدة مـهوى القرط- كناية عن طول العنق ، والنشر: الرائحة .

(١) النحل : ٩٨ .

(٢) فى قوله (فاستعذ) لأنها للترتيب .

(٣) هود : ٤٥ .

(٤) الأعراف : ٤ .

(٥) الأنبياء : ٦ .

(٦) لأن الاستفهام فيه إنكارى .

(٧) أى ونحن على إرادة إهلاكهم . وإنما وجب هذا التـقدير على ذلك لأن إنكار إيمانهم لا يكون بعد هلاكهم ، وقيل : إن المعنى أهلكناها بالفـعل لعدم إيمانها بما اقترحت من الآيات ؛ فلا نعطى هؤلاء ما اقترحوا لأنهم لا يؤمنون به أيضاً .

(٨) هذه تسمى علاقة اعتبار ما كان .

(٩) النساء : ٢ .

(١٠) طه : ٧٤ .

(١١) هذه تسمى عـلاقة اعتبـار ما يكون ؛ فالمراد فى الآية إنى أرانى أعصـر عنباً يؤول إلى أن يكون خمراً ، فسماه خمراً باعتبار ما يؤول إليه .

(١٢) حكايةًعن صاحب سيدنا يوسف : ٣٦ .

علاقة المحلية : ومنها تسمية الحالِّ باسم محله [1] كقوله تعالى : ﴿فليدْعُ ناديه ﴾[2] أى أهل ناديه .

علاقة الحالِّية : ومنها عكس ذلك[3] نحو ﴿ وأمّا الذين ابْيضتْ وجوههمْ ففى رحْمة الله ﴾ [4] أى فى الجنة .

علاقة الآلية : ومنها تسمية الشىء باسم آلته[5] كقوله تعالى : ﴿ وما أرْسلنا منْ رسوُلٍ إلاّ بلسانِ قَوْمه ﴾[6] أى بلغة قومه ، وقوله تعالى : ﴿واجْعلْ لى لسان صدقٍ فى الآخرينَ ﴾ [7] أى ذكراً جميلا وثناء حسناً .

وكذا غير ذلك مما بيْن معنى اللفظ وما هو موضوعٌ له تعلقٌ سوى التشبيه[8]. قال صاحب المفتاح [9] : وللتعلق بين الصارف عن فعل الشىء

---

(١) هذه تسمى علاقة المحلية .

(٢) العلق : ١٧ .

(٣) أى تسمية المحل باسم الحالّ ، وهذه تسمى علاقة الحاليّة ، ومن علاقة المحلية قول الشاعر :

إن العدوّ وإن تقادمَ عهدهُ   فالحقدُ باقٍ فى الصدور مغيّبُ

ومن علاقة الحالية قول الآخر :

ألـمّا على مَعْنٍ وقُولا لقبره   سَقَتْك الغوادى مَرْبعاً بعد مربع

(٤) آل عمران : ١٠٧ .

(٥) هذه تسمى علاقة الآليّة ؛ والفرق بين الآلة والسبب أن الآلة هى ما به يُفعل الشىء ، أما السبب فما به وجود الشىء ؛ فاللسان فى الآية يقال إنه آلة اللغة ، ولا يقال إنه سببها ، وهكذا .

(٦) إبراهيم : ٤ .

(٧) الشعراء : ٨٤ .

(٨) من ذلك علاقة اللزوم وعلاقة الإطلاق والتقييد وعلاقة العموم والخصوص، وغير ذلك من العلاقات ، وقد تكون العلاقة الضدية ، كما فى تسمية الصحراء المهلكة مفازة ، وتسمية الجريح واللديغ سليما ، ومن ذلك قول الشاعر :

يشكو إذا شدّ له حزامه   شكوى سليمٍ ذربتْ كلامُه

(٩) ١٩٦ - المفتاح .

والداعى إلى تركه [1] يحتمل عندى أن يكون المراد بـ « منعك » فى قوله تعالى : ﴿ ما منعك ألاّ تسْجد إذ أمرْتك ﴾[2] : دعاك ، و« لا » غيرُ صلة قرينة المجاز[3]. وكذا ﴿ما منعك إذْ رأيْتهمْ ضلُّوا ألاّ تتبعن ﴾ [4] ؛وقال الراغب رحمه الله : «قال بعض المفسرين : إن معنى «ما منعك» ما حماك وجعلك فى منعةٍ منى فى ترك السجود أى فى معاقبة تركه ، وقد استبعد ذلك بعضُهم بأن قال : لو كان كذا لم يكن يجيبُ بأن يقول ﴿ أنا خيرٌ منه ﴾ فإن ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه ، وإنما هو جواب مَن قيل له : ما منعك أن تسجد ؟ ويمكن أن يقال فى جواب ذلك : إن إبليس لما كان ألزم ما لم يجد سبيلاً إلى الجواب عنه - إذْ لم يكن له من كالىءٍ يحرسه ويحميه - عدل عما كان جوابا ، كما يفعل المأخوذ بكظْمه فى المناظرة » انتهى كلامه [5] .

المرسل الخالى عن الفائدة والمفيد : وقسَّم الشيخ صاحب المفتاح [6] المجازَ المرسل إلى خالٍ عن الفائدة ومفيد ، وجعل الخالى عن الفائدة ما استُعمل فى أعمَّ مما هو موضوع له ؛ كالمرسِنْ فى قول العجّاج :

* وفاحماً ومرْسناً مسرّجا [7]*

---

(1) التعلق بينهما هو تعلق الضدّية ؛ لأن الصارف هو المانع ، والداعى هو السبب، وكلٌّ من المانع والسبب يضاد الآخر ، وعلى هذا يكون إطلاق « منعك » على «دعاك » علاقته الضدية .

(2) الأعراف : ١٢ .

(3) يعنى أن « لا » على هذا تكون غير زائدة ، وتكون قرينة على أن المراد : بـ «منعك » دعاك .

(4) طه : ٩٢ ، ٩٣ .

(5) الأظهر عندى أن يكون تقديرُ الآية : ما منعك فى ألاّ تسْجد ، أى فى تركك السجود ؛ فتكون الآية على تقدير (فى) لا على تقدير (من) ، وعلى هذا يبقى منعَك على ظاهره ، وتكون « لا » أصلية لا زائدة ، والمعنى: ما سبب امتناعك فى تركك السجود؟ .

(6) ١٩٤ - المفتاح .

(7) قد سبق هذا البيت فى الكلام على الغرابة فى الكلمة من المقدمة فى الجزء الأول .

فإنه مستعمل فى الأنف لا بقيد كونه المرْسون [١] مع كونه موضوعاً له بهذا القيد لا مطلقاً ، وكالمشْفر [٢] فى نحو قولنا « فلان غليظ المشافر » إذا قامت قرينةٌ على أن المراد هو الشّفةُ لا غير ، وقال : سمّىَ هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد المترادفين من نحو « ليْثٍ وأسد وحبسَ ومنع » عند المصير إلى المراد منه [٣] .

وأراد بالمفيد ما عدا الخالى عن الفائدة والاستعارة كما مر .

والشيخ عبد القاهر رحمه الله [٤] جعل الخالىَ عن الفائدة ما استُعمل فى شىء بقيدٍ مع كونه موضوعاً لذلك الشىء بقيد آخر من غير قصد التشبيه ، ومثّله ببعض ما مثّله الشيخُ صاحب المفتاح ونحوه؛ مصرحاً بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الإنسان [٥] فإن قصدَ التشبيه صار اللفظ استعارةً [٦] كقولهم فى مواضع الذم « غليظ المشفر » فإنه بمنزلة أن يقال « كأن شفته فى الغلظ مشفر البعير » . وعليه قول الفرزدق :

فلو كنتَ ضبّياً عرفتَ قرابتى ولكنَّ زنجىٌّ غليظُ المشافر [٧]

---

(١) المرسون : اسم مفعول من « رسن الدابة » بمعنى جعل رأسها فى الرسن وهو الحبل المعروف .

(٢) فهو موضوع لشفة البعير لا مطلقاً .

(٣) فيكون استعماله كاستعمال الحقيقة فى خلوها عن مزية البلاغة، وإن كان فيه فائدةُ المترادف من التوسع فى اللغة .

(٤) ٣٦ : أسرار البلاغة .

(٥) أما السكاكى فيجعلهما موضوعين لهذين العضوين من الإنسان وغيره ، وبهذا يكون استعمال المرسن والمشفر فيهما من استعمال المقيد فى المطلق عند السكاكى ، ومن استعمال المقيد فى مقيد آخر من جنسه عند عبد القاهر ، والخطب فى ذلك سهل ، ويمكن جعل الخالى عن الفائدة بحيث يشمل كلاً من الاستعمالين .

(٦) وإذا صار استعارةً كان مقيداً ؛ لأن المجاز غير المقيد خاص بالمرسل .

(٧) هو لهمام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب أيوب بن عيسى الضبى ، وكان قد حبسه فقال ذلك يهجوه ويطعن فى نسبه من جهة أمه بنت يسار مولى عبد الله بن كريز . وقد روى « ولكن زنجيا » على حذف الخبر أى لا يعرف قرابتى ، أو ولكن بك زنجيا أى يشبهك ، وقد حُذِفَ على الأول اسم (لكن) وهو قليل ، وصواب الرواية «غليظاً مشافرهْ » .

أى ولكنك زنجى كأنه جملٌ لا يهتدى لشرفى .

وكذا قول الحطيئة يخاطب الزّبْرقان :

قَرَوْا جارك العيْمانَ لـمّا جفوتَهُ ... وقلَّص عن برْد الشراب مشافرَهْ (١)

فإنه وإن عنى نفسه بالجار جاز أن يقـصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد فى التهكم بـالزبرقان ، ويؤكدَ ما قصده من رميـه بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس . وكذا قول الآخر :

سأمْنعُها أو سوف أجعل أمرَها ... إلى مَلِكٍ أظلافُه لم تَشَقَّق (٢)

الاستعارة التصريحية : الضرب الثـانى من المجاز الاستعـارة ، وهى ما كانت علاقـته تشبيـه معناه بما وُضِعَ له (٣) ؛وقد تُقيَّدُ بالتحـقيقية (٤) لتحقّق معناها(٥) حساً أو عقلا؛ أى التى تتناول أمراً معلوماً يمكن أن يُنَصَّ عليه ويشار

---

(١) هو لجرول بن أوس المعـروف بالحطيئة ، وقوله « قروا » بمـعنى أضافوا ؛ لأن القرى طعـام الضيف ، والعيـمان : العطشان إلى اللبن ، وقـوله « قلص » بمعنى انقبض وانكمش من تأثير البرد ، يعنى أنه لم يجد عنده إلا الماء .

(٢) هو لعُقْفـان بن قيس بن عـاصم ، وقيل للأخطل . والأظلاف : جمع ظلف وهو لما اجترَّ من الحيـوان كالظفر للإنسان ، وهذا فى حد التشبيـه والاستعارة أيضاً ؛ لأن المعنى على أن الأظلاف لمن تزيا بالملك عن مشابهةٍ ، كأنه قال : اجعل أمرها إلى ملك لا إلى عبد جاف مشقق الأظلاف .

(٣) المراد بمعناه المعنى المجازى ، وهى مـدلول المشبه . وإنما اكتفـى بهذا القدر فى تعريف الاستعارة التصريحيـة مع أنه يشمـل الاستعارة المكْنية والتخييلية عند غيره ؛ لأن « ما » فى التـعريف واقعة عـلى لفظ ، وكل من المكنية والتخـييلية عنده ليس بلفظ كـما سيأتى ، فهـما خارجان عن جنس التعريف عنده ، والتـصريحية يحذف فيـها لفظ المشبه ويستعار له لفظ المشبه به .

(٤) لتتميز بهذا عن المكنية والتخـييلية ؛ لأن كلاً منهما عنده ليس بلفظ فلا يكون محقَّق المعنى ، وعلى مذهب غيـره تكون المكنية من التحقيقية ، وسيـأتى تفصيل خلافهم فى ذلك .

(٥) يعنى به المعنى المجازى كمـا سبق ، والمراد بالحسى هنا الحقيقى فـلا يدخل فيه الخيـالى =

إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال : إن اللفظ نُقل من مسماه الأصلى فَجُعِلَ اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة فى التشبيه .

أما الحسى: فقولك « رأيت أسداً » وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، وعليه قول زُهير :

لَدَى أسدٍ شاكى السلاح مُقَذَّف [(١)]

أى لدى رجلٍ شجاع .

ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه فى الحركات؛ كقول أبى دلامة يصف بغلته :

أرَى الشهبَاءَ تعجِنُ إذْ غدَوْنا   برجْلَيها وتخبزُ باليدَيْن [(٢)]

شَبَّه حركةَ رجليها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه وهَوَتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدى العاجن ، فإنهما لا تثبتان فى موضعٍ ، بل تزلاّن إلى قدّام لرخاوة العجين ، وشبَّه حركةَ يديها بحركة يد الخابز؛ فإنه يثنى يده نحو بطنه ويُحْدِثُ فيها ضرباً من التقويس ، كما تجد فى يد الدابة إذا

= بل يدخل فى الوهمى ويكون من قسم الاستعارة التخييليه ، والمراد بالعقلى ما يشمل الوجدانى كما سيأتى فى قوله تعالى: ﴿ فأذاقها اللهُ لباس الْجوع والخوْف ﴾ آية ١١٢ سورة النّحل .

(١) هو من قول زهير بن أبى سُلمى فى معلقته :

فشدَّ فلم يُفزعْ بيوتاً كثيرةً   لدى حيثُ ألقتْ رَحْلَها أمُّ قشْعمِ
لدى أسدٍ شاكى السلاح مُقَذَّفٍ   له لبدٌ أظفارُهُ لم تُقلَّمِ

والضمير فى قوله « فشد » لحصين بن ضمضم ، وأم قشعم: كنْية المنية ، وشاكى السلاح : تامه وقويه من الشوكة وهى القوة ، وفيه قلب مكانى ، والمقذف : الذى يرمى به كثيراً فى الوقائع أو الذى قُذف باللحم، واللبد : الشعر المجتمع بين كتفى الأسد .

(٢) هو لزيد بن الجون المعروف بأبى دلامة ، وقوله « غدونا » بمعنى دخلنا الغداة وهى أول النهار ، وهو يصف بغلته بالرداءة ، ورواية كتاب أسرار البلاغة « باليمين » بدل اليدين .

اضطربت فى سيرها ولم تَقْوَ على ضبط يدها وأن ترمى بها إلى قدام ، وأن تشد اعتمادها حتى تثبت فى الموضع الذى تقع عليه ، فلا تزلّ عنه ولا تنثنى .

وأما العقلى: فكقولك « أبديتُ نوراً » وأنت تريد حُجَّة؛ فإن الحجة مما يدرَك بالعقل من غير وساطة حس؛ إذ المفهوم من الألفاظ هو الذى ينوّرُ القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها ، وعليه قوله عز وجل : ﴿إهْدنا الصِّراط المستقيم﴾[1] أى الدين الحق ، وأما قوله تعالى : ﴿ فأذاقها اللهُ لباسَ الْجوع والخوْف ﴾[2] فعلى ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة[3] استعارة عقلية؛ لأنه قال : شُبِّه باللباس لاشتماله على اللابس ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح : حسِّية ؛ لأنه جعل اللباس استعارةً لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة [4] .

فالاستعارة ما تضمَّن تشبيهَ معناه بما وُضِع له[5] ، والمراد بمعناه ما عُنى به أى ما استعمل فيه [6] ، فلم يتناول ما استعمل فيما وُضع له وإن تضمن التشبيه به ، نحو « زيد أسد ، ورأيته أسداً » ونحو « رأيت به أسداً »[7] لاستحالة

(١) الفاتحة : ٦ .

(٢) النحل : من الآية ١١٢ .

(٣) هو الزمخشرى ، وإنما جعل ذلك ظاهرهُ لا صريحه لأنه جعل المشبه ما غشى الإنسان من بعض الحوادث ، فيجوز أن يكون مرادُه منه ما يحصل من الجوع والخوف من الضرر ، ويجوز أن يكون مرادُه ما يحصل من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة كما ذهب إليه السكاكى ، وقد شبه ما يلبس الإنسان من ذلك بمطعوم مكروه وأسند إليه الإذاقة ، ويجوز أن يكون « لباس الجوع والخوف » من إضافه المشبه به إلى المشبه .

(٤) ٢٠١ - المفتاح .

(٥) إنما أعاد تعريف الاستعارة ليرتب عليه الفرق بينها وبين التشبيه المحذوف الأداة .

(٦) هو المعنى المجازى كالرجل الشجاع فى قولك « رأيت أسداً يحارب » .

(٧) هذا المثال يفترق عن سابقيه بأنه من التجريد الذى ينبىء عن التشبيه .

تشبيه الشيء بنفسه[1]. على أن المراد بقولنا « ما تضمن » مجاز تضمن ؛ بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها، والمجاز لا يكون مستعملاً فيما وُضِعَ له ٠

الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد : وههنا شيء لا بدَّ من التنبيه عليه، وهو أنه إذا أُجْرِيَ فى الكلام لفظٌ دلت القرينة[2] على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين :

أحدهما – ألاّ يكونَ المشبه مذكوراً ولا مُقدّراً ؛ كقولك « غنّتْ لنا ظبية»، وأنت تريد امرأة ، و« لقيت أسداً »، وأنت تريد رجلا شجاعا ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة ٠

والثانى – أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدرا[3] ؛ فاسم المشبه به إن كان خبراً ، أو فى حكم الخبر كخبر «كان وإن» ، والمفعول الثانى لباب « علمت» ، والحال ؛ فالأصح أنه يسمى تشبيهاً وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة؛ لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه؛ فإذا قلت « زيد أسد » فقد وضعت كلامك فى الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليقاً بأن يُسَمَّى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى ؛ فإن الاسم فيها لم يُجتلب لإثبات معناه للشيء ؛ كما إذا قلت « جاءنى أسد ، ورأيت أسدا » فإن الكلام فى ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنوناً فى الضمير ، لا يُعلَمُ إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر ٠

(١) فيكون المعنى المستعمل فيه اللفظ هنا هو المعنى الموضوع له لا المعنى المجازىّ ، فلو تناوله تعريف الاستعارة لزم تشبيه الشيء بنفسه لاتحاد المعنى الاستعمالى والمعنى الوضعى فيه ٠

(٢) المراد بالقرينة هنا السياق ، لا قرينة المجاز؛ لأنه سيدخل فيه التشبيه المؤكد.

(٣) كقوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بكمٌ عمىٌ ﴾ سورة البقرة آية ١٨ ٠ أى هم صم إلخ ٠

ووجهٌ آخر فى كون التشبيه مكنوناً فى الضمير ؛ وهو أنه إذا لم يكن المشبه مذكوراً جاز أن يتوهم السامع فى ظاهر الحال أنَّ المرادَ باسم المشبه به ما هو موضوعٌ له ، فلا يعلمُ قصد التشبيه فيه إلا بعد شىء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ؛ فإنه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكوراً أو مقدراً .

ومن الناس (١) من ذهب إلى أن الاسم فى الحالة الثانية استعارة لإجرائه على المشبه مع حذف كلمة التشبيه (٢) وهذا الخلاف لفظى راجع إلى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه فى الاصطلاح (٣) وما اخترناه هو الأقرب لما أوضحناه من المناسبة ، وهو اختيار المحققين كالقاضى أبى الحسن الجرجانى والشيخ عبد القاهر والشيخ جار الله العلامة والشيخ صاحب المفتاح (٤) رحمهم الله؛ غير أن الشيخ عبد القاهر قال بعد تقرير ما ذكرناه (٥) : « فإن أبيتَ إلا أن تطلق اسمَ الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة؛ كقولك « زيد الأسد، وهو شمس النهار » فإنه يحسن أن يقال « زيد كالأسد ، وخلْتُه شمس النهار» وإنْ حَسُنَ دخول بعضها دون بعض هان الخطبُ فى إطلاقه؛ وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك « زيد أسد » ؛ فإنه لا يحسن أن يقال: زيد كأسد (٦) ويحسن أن يقال « كأن زيداً أسد ، ووجدته

---

(١) كأبى هلال العسكرى والآمدى والخفاجى .

(٢) أى أداته .

(٣) فإذا عُرِّفت الاستعارة بما تضمن تشبيه معناه بما وُضع له لم يدخل فيها الاسم فى الحالة الثانية ، وإذا عُرفت بأنها ما بُنى التشبيه فيها على حذف الأداة ودعوى الاتحاد ، دخل فيها الاسم فى الحالة الثانية ؛ لأن هذا المعنى يشمله، كذلك يقال نظير هذا فى تعريف التشبيه . وما كان أغنى علماء البيان عن التطويل فى مثل هذا الخلاف اللفظى .

(٤) ١٨٩ - المفتاح .

(٥) ٣٧٣ - أسرار البلاغة .

(٦) لأن معناه تشبيه زيد بفرد من أفراد الأسد ، وهذا غير مقصود فى تشبيهه به ، وإنما المقصود تشبيهه بحقيقة الأسد وجنسه ، ولهذا يحسن فى حال التعريف دخول =

أسداً »[1] . وإن لم يحسـن دخول شيء منها إلا بتـغيـير لصـورة الكلام كان إطلاقـه أقرب ؛ لغـموض تقـدير أداة التـشبـيه فـيـه ؛ وذلك بأن يكون نكرة موصـوفة بما لا يلائم المشـبه به ؛ كـقولك « فـلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب »؛ وكقوله :

شمسٌ تألَّقُ والفراقُ غروبُها   عنا وبَدْرٌ والصُّدودُ كسوفُهُ [2]

فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها إلا بتغيير صورته [3] كقـولك « هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكـالشمس إلا أنه لا يغـيب ، وكالشـمس المتـألقة إلا أن الفـراقَ غروبُهـا ، وكالبـدر إلا أن الصدودَ كسوفُه » وقد يكون في الصفات والصّلات التي تجيء في هذا النحو ما يحيلُ تقدير أداة التشبيه فيه فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

أسدٌ دمُ الأسد الهزبْر خِضابهُ   موتٌ فريصُ الموت منه يَرْعَدُ [4]

= الأداة؛ ليكون المقصود التشبيه لا دعوى الاتحاد لبعدها حينئذ ، ويحسن في حال التنكير عدم دخولها؛ ليكون المقصود أنه فرد من أفراد الأسد لا تشبيهه بفرد منه .

(١) لأن « كأنّ ونحـوها » ليست نصـاً في التشبـيـه كالكاف ، وهذه كلهـا فروق متكلّفة؛ ولهذا كان الحق أنَّ كلَّ هذا من التشبيـه بلا فرق بين كون اسم المشبه به معرفةً أو نكرة .

(٢) هو للبحـتري في مدح الفـتح بن خاقان ، وقوله « تألـق » أصله تتألق بمعنى تلمع ، والصدود : الإعـراض ، والكسوف : قد يُطْلَق على احتـجاب القمر كـما يطلق على احتجاب الشمس .

(٣) اعتُرِض عليه بأنه يجوز في ذلك أن يقـال هو « كبدر يسكن الأرض » من غير تغيير ، ويكون المشـبه به خيالياً كما سـبق في تشبيه فحم فيه جـمر مُوقَدٌ ببحر من المسك مَوْجُه الذهب ، ويمكن أن يجاب عنه بأن عبدَ القاهر لم يَدَّعِ إلا أنه لا يَحْسُنُ دخول الأداة إلا مع التغيير ولم يمنع جواز دخولها بغير تغيير .

(٤) أسد خـبر لمبتـدأ محـذوف أي: هو أسد ، يعني ممدوحه شـجـاع بن محـمد الطـائي ، والهزبر : الشديد الصلب ، والخضاب : الحنّاء ، والفريص : واحده فريصة؛ وهي لحمة بين الثدي والكتف أو بين الجنب والكتف .

فإنه لا سبيل إلى أن يقال « المعنى هو كالأسد وكالموت » لما فى ذلك من التناقض ؛ لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذي هو أقوى الجنس خضـاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يصح أن يشبّه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه [١] . وكذا قول البحترى :

وبدرٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغرباً   وموْضعُ رجلى منه أسودُ مظْلم[٢]

إن رُجع فيه إلى التشبيه الساذج - حتى يكون المعنى هو كالبدر - لزم أن يكون قد جعل البدرَ المعروف موصوفاً بما ليس فيه[٣] فظهر أنه إنما أراد أن يثبت من الممدوح بدراً له هذه الصفة العجيـبة التى لم تُعْرَف للبدر ، فهو مبْنىّ على تخـيل أنه زاد فى جنس البدر واحـداً له تلك الصـفة ؛ فـالكلام موضـوع لا لإثبات الشبه بينهـما ولكن لإثبات تلك الصفة؛ فهـو كقولك « زيد رجل كيت وكيت » لم تقصد إثبات كونه رجلاً ، لكن إثبات كونه متصفاً بما ذكرتَ ، فإذا لم يكن اسمُ المشبه به فى البيت مُجتلَباً لإثبات الشبه تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدَّم[٤]من كون الاسم مجـتلَباً لإثبات الشبه ، فالكلام فـيه مبنى على أنَّ كـونَ الممدوح بدراً أمـر قـد استـقر وثـبت ، وإنما العمل فى إثـبات الصـفـة الغريبة[٥] .

---

(١) قد يقـال إنه يجوز أن يقـال ذلك بعد التـصريح بالأداة فى الموضـعين على أنه إضراب عما يفيده التشبيه من أنه أنقص من المشبه به ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن عبد القاهر لا يدَّعى الاستحالةَ العقلية حتى يمتنع معها هذا التقدير أو نحوه .

(٢) البيت معطوف على قوله قبله فى مدح الفتح بن خاقان :

وما منع الفتحُ بن خاقان نيلَهُ   ولكنها الأقدار تُعطى وتَحرِمُ
سحابٌ خطانى جودُه وهو مسبل   وبحرٌ عَدانى فَيْضُه وهو مفعَمُ

ورجلى بالجـيم ، وروى « رحلى » بالحـاء : وهـو ما يـجعل على ظهـر البـعيـر كالسرج ، وهذا كناية عن حرمانه منه مع عموم نفعه للناس .

(٣) هو عدم إضاءة موضع رجله .

(٤) أى فى الوجه الأول من الوجـهين اللذين فرَّق بهمـا بين الاستعـارة والتشبـيه المؤكد .

(٥) اعترض عليه بأن كل هذا لا يمنع أن يقـال « هو كـبدرٍ بهــذه الصفة » على=

وكما يمتنع دخـول الكاف فى هذا ونحوه [1] ، يـمتنع دخـول « كأنّ » ونحوهُ « تحسبُ » لاقتضائهما [2] أن يكون الخبر والمفعـول الثانى أمراً ثابتاً فى الجملة[3] ، إلا أن كونه مـتعلقاً بالاسم والمـفعول الأول مـشكوكٌ فيه؛ كـقولنا «كأن زيداً منطلق » ، أو خلاف الظاهر ، كـقولنا « كأن زيداً أسد »[4] والنكرة فيمـا نحن فيه غيـر ثابتة [5] فدخـول « كأن وتحـسبْ » عليهـا كالقيـاس على المجهول ، وأيـضاً هذا الجنس إذا فَليتَ عن سرّه وجَدْتَ محـصولَه أنك تدَّعى حدوث شيء هو من الجـنس المذكور إلا أنه اختص بصـفة عجـيبـة لم يتوهّم جوازها على ذلك الجنس [6] ، فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى [7] .

التجريد ليس استعـارةً ولا تشبيهاً : وإن لم يكن اسم المشـبـه به خبـراً للمشبه ولا فى حكم الخبر [8] كقولهم « رأيت بفلان أسداً ، ولقينى منه أسد »

= نحو ما سـبق فى تشبيه الفحم، ويجـاب عنه أيضًا بأن عبد القاهر لا يدَّعى الاسـتحالة التى يمتنع معها مثل هذا التقدير . ولكنك قد عرفت أنَّ الحق أنَّ كل هذا تشبيه لا استعارة.

(١) اسم الإشارة عـائد إلى ما يـقترن بالصـفات والصـلات التى تحيل تـقدير أداة التشبيه .

(٢) أى كأن وتحسب .

(٣) يعنى بهذا كونه معروفا غير مجهول .

(٤) إنما اقتـضت - كأن - فى المثال الأول الشك وفي الثـانى خلاف الظاهر ؛ لأن خبرها فى الأول مشتق دون الثانى .

(٥) يريد بما نحن فيـه ما يقترن بالصفـات والصلات السابقة ، ويعنى بكونهـا غير ثابتة أنها غير معلومة .

(٦) فكأنك فى بيت البحترى مثلاً تقول : « ما كنا نتوهم أنَّ هنا بدراً يضيء شرقاً وغرباً دون موضع رجلى » .

(٧) لأنه خـارج على قاعـدة التـشبيـه ؛ لأنك فى بيت البـحتـرى مثلا كـأنك تقـول: « أشبهه ببـدر حدث مخالفاً للبدور ما كـان يعرف » وليس لمثل هذا معنى . ولا يـخفَى أن عبد القاهر يتكـلف هذا كله مجاراةً لمن يأبى إلا أن يطلق على ذلك القسم اسمَ الاستعارة ، فهو عنده فى الحقيقة من التشبيه .

(٨) هذا معطوف على قوله فيما سبق فى ص ٩٣ : فاسم المشبه به إن كان خبراً أو فى حكم الخبر - فهو مقابل له .

سُمِّيَ تجريداً ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى [1] ولم يُسمَّ استعارة ؛ لأنه إنما يتصوَّرُ الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجه على ما يدّعى أنه مستعار له إمّا باستعماله فيه أو بإثبات معناه له [2] والاسم فى مثل هذا غير جارٍ على المشبه بوجه ، ولأنه يجىء على هذه الطريقة [3] ما لا يتصوّر فيه التشبيه فَيُظَنُّ أنه استعارة [4] كقوله تعالى : ﴿ لهمْ فيها دارُ الخُلد ﴾[5]؛ إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد؛ إذ هى نفسها دار الخلد [6] وقول الشاعر :

يا خير من يركب المطىّ ولا   يشرب كأساً بكفٍّ مَنْ بخلا [7]

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل .

ولا يسمى[8]تشبيهاً أيضا ؛ لأن اسم المشبه به لم يجتلب فيه لإثبات التشبيه كما سبق ، وعَدَّه الشيخ صاحب المفتاح تشبيهاً[9]والخلاف أيضا لفظى[10] .

---

(١) فى علم البديع .

(٢) يعنى باستعماله فيه نحو قولك: « رأيت أسداً يحارب » ، ويعنى بإثباته له نحو قولك: « زيد أسد » على القول بأنه استعارة .

(٣) يعنى طريقة التجريد .

(٤) الفاء فى قوله « فيظن » للتفريع على المنفى لا على النفى .

(٥) سورة فصلت : ٢٨ .

(٦) فلا يكون من التشبيه لأن مبناه على المغايرة بين المشبه والمشبه به ؛ فلا يصح تشبيه الشىء بنفسه .

(٧) سيأتى هذا البيت فى الكلام على التجريد فى علم البديع .

(٨) أى ما قيل إنه تجريد .

(٩) ١٨٩ - المفتاح - ويجب أن يقيد ذلك بما يمكن أن يُعدّ تشبيهاً ؛ فلا يدخل فيه نحو ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ سورة فصلت : ٢٨ .

(١٠) لأنه ينبنى على تقييد تعريف التشبيه بما لا يكون على سبيل التجريد وعدم تقييده بذلك ، والأقرب كما سبق فى تعريف التشبيه أن يُعَدَّ منه ما ينبىء عن التشبيه من التجريد ، ويكون من التشبيه المؤكد .

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى : والدليل على أن الاستعارة مجاز لغوى كونها موضوعةٌ للمشبه به لا للمشبه ولا لأمر أعمّ منهما ؛ كالأسد فإنه موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقاً ؛ لأنه لو كان موضوعاً لأحدهما لكان استعماله فى الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ، وأيضا لو كان موضوعاً للشجاع مطلقا لكان وصفاً لا اسم جنس .

وقيل : الاستعارة مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى [1] لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به ؛ لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارةً لكانت الأعلام المنقولة « كَيزيد ويَشْكُر » استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنه لا بلاغة فى إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه ، ولما صح أن يقال لمن قال « رأيت أسداً » يعنى زيداً إنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن سمَّى ولدَه أسداً إنه جعله أسدا ؛ لأن « جعل » إذا تعدَّى إلى مفعولين كان بمعنى صيَّر فأفاد إثبات صفة للشىء ، فلا تقول « جعلته أميراً » إلا على معنى أنك أثبتّ له صفة الإمارة ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين همْ عبادُ الرحمن إناثاً ﴾[2] المعنى أنهم أثبتوا صفة الأنوثة ، واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم للملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهم ﴾ .

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان الاسمُ مستعملاً فيما وُضع له . ولهذا صَحَّ التعجُب فى قول ابن العميد :

قامت تُظَلِّلُنى من الشمس نفْسٌ أعزُّ عَلَىَّ مِن نفْسى

(١) هذا أيضا خلاف لفظى كالخلاف السابق فى التشبيه المؤكد أنه استعارة أوْ لا ، ولا معنى للاشتغال بمثل ذلك فى علم البيان ، ويريد بقوله « بمعنى أن التصرف الخ »: أن المجاز العقلى هنا غير المجاز العقلى السابق فى باب الإسناد الخبرى من علم المعانى .

(٢) الزخرف : ١٩ .

قامت تُظَلِّلُنِي ومن عجبٍ   شمسٌ تظللني مِن الشّمسِ (١)

والنهى عنه فى قول الآخر :

لا تَعجبوا مِن بِلَى غلالته   قَدْ زَرَّ أزْرارَهُ على القمر (٢)

وقوله :

ترى الثياب من الكتّان تلمحها   نورٌ من البدر أحياناً فيُبليهـا

فكيف تنكر أن تَبْلَى معاجرُهـا   والبدرُ فى كلّ وقت طالعٌ فيها (٣)

والجواب عنه أن ادعـاء دخول المشبه فى جنس المشـبه به لا يُخْرِجُ اللفظَ عن كونه مستعـملاً فى غير ما وضع له · وأما التعجب والنهـى عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسى التشبيه؛ قضاءً لحق المبالغة ·

التوفـيق بين الادعاء فـى الاستعـارة والقرينة المـانعة : فـإن قيل إصـرار المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل ينافى نصبـه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ؟ قلنا : لا منافاة ، ووجه التوفيق هو ما ذكره السكاكى (١) وهو أن تبْنى دعـوى الأسدية للرجل على ادعـاء أن أفراد جنس الأسـد قسمـان بطريق

---

(١) هما لأبى الفضل مـحمد بن الحسين بن العمـيد يصف غلاماً جمـيلا قام على رأسه يظلله من الشمس ، وإنما أنث الضمير فى « قامت » لإسناده إلى نفس ·

(٢) هو لأبى الحسن محـمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبـا العلوى الخراسانى ، والبلى : الفساد ، والغلالة : ثوب صغير يلاقى البدن يُلبس تحت ثوب أوسع منه ، وقوله « زر » بمعنى شد ، والاستعارة فى إطلاق القمر على مـحبوبه ، ولا ينافى الاستعارة ذكر المشبه فى البيت ؛ لأن الذى ينافيها ذكره على وجـه ينبىء عن التشبيه؛ بأن يكون المشبه به خبراً عن المشبه أو نحوه مما سبق ، وجملة « قد زر الخ » مسوقة للتعليل ؛ لأنهم يزعمون أن ثياب الكتان يسرع إليها البلى عند بروزها للقمر كما سيأتى فى البيتين بعده ·

(٣) هما لأبى المطاع ذى القرنين بن ناصر الدولة الحمدانى ، وقوله « يبليها » بمعنى يُخلقهـا ، والمعاجر : جمع مـعْجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسـها · والاستـعارة فى إطلاق البدر على صاحبة المعاجر ·

(٤) ١٩٨ - المفتاح ·

التأويل : متعارَفٌ؛ وهو الذى له غاية الجرأة ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة (١) ، وغير متعارَف؛ وهو الذى له تلك الجرأة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة أخرى (٢) على نحو ما ارتكب المتنبى هذا الادّعاء فى عَدِّ نفسه وجماعته من جنس الجن، وعَدِّ جماله من جنس الطير للمتنبى حين قال :

نحن قَومٌ مِلْجّن فى زِىِّ ناسٍ فوقَ طيرٍ لها شخُوصُ الجمالِ (٣)

مستشهداً لدعواك هاتيك (٤) بالمخيلات العرفية · وأن تخصّص (٥) القرينة بنفيها الْمتعارف الذى يسبق إلى الفهم (٦) ليتعين الآخر (٧) ·

ومن البناء على هذا التنويع(٨) قوله :

تحية بينهم ضرب وجيع (٩)

---

(١) هى صورة الحيوان المفترس · (٢) هى صورة الأسد غير المفترس وهو الرجل الشجاع ·

(٣) قوله « ملجن » جار ومجرور أى من الجن ، والاستعارة فى إطلاق الطير على الجمال · أما قوله « نحن قوم ملجن » فتشبيه لا استعارة ، وقيل : إن فى البيت قلباً ؛ والأصل نحن قوم من الإنس فى زى الجن فوق جمال لها شخوص الطير · والحق أنه لا قلبَ وأنه يريد المبالغة ·

(٤) يعنى دعواه الأسدية للرجل . فقوله « مستشهداً » حال من فاعل (تبنى) فى قول السكاكى « وهو أن تبنى دعوى الأسدية الخ » · وعبارته فى المفتاح « مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة ، من نحو حكمهم إذا رأوا أسداً هرب من ذئب أنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد » · (٥) معطوف على قوله « أن تبنى دعوى الأسدية » ·

(٦) هو صورة الحيوان المفترس ·

(٧) هو صورة الأسد غير المفترس ، وحينئذ لا يكون هناك منافاة بين الإصرار على دعوى الأسدية ونصب القرينة على عدم إرادتها ، لأن ما يُصَرُّ عليه غير ما تُمنعُ إرادته ·

(٨) يعنى تنويع الشىء إلى متعارَف وغير متعارف ·

(٩) هو من قول عمرو بن معديكرب :

وخيْلٍ قدْ دَلَفتُ لها بخيلٍ تحيّة بيْنهم ضربٌ وجيعُ

=

وقولهم : « عتابُكَ السيف » وقوله تعالى : ﴿ يوْمَ لا ينْفعُ مالٌ ولا بنون، إلاّ منْ أتى اللهَ بقلْبٍ سليم ﴾[1] ومنه قوله :

وبلْدةٌ ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ [2]

الفرق بين الاستعارة والكذب : وإذ قد عرفتَ معْنى الاستعارة وأنها مجاز لغوى ؛ فاعلم أن الاستعارة تفارق الكذب من وجهين : بناء الدعوى فيها على التأويل [3] ونَصْبُ القرينة على أنَّ المرادَ بها خلافُ ظاهرها ؛ فإن الكاذب يتبرأ من التأويل ، ولا ينصب دليلاً خلاف زعمه .

الاستعارة لا تدخل فى الأعلام : وأنها لا تدخل فى الأعلام [4] لما سبق من أنها تعتمد إدخال المشبه فى جنس المشبه به والعلَميّةُ تنافى الجنسية ، وأيضاً

= والمراد بالخيل أصحابها على طريق المجاز المرسل ، وقوله « دلفت » بمعنى نهضت ، والشاهد فى جعله للتحية نوعاً آخر غير المتعارَف فيها ، وهو الضرب الوجيع ، ووصفُ الضرب بالوجيع مجاز ، ويجوز أن يكون بمعنى موجع ، وقد قيل : إن هذا من التشبيه المقلوب على معنى أن ضربهم الوجيع كتحية لهم . والحق أنه من باب التنويع ، وهو ادِّعاء أن مسمى اللفظ نوعان : متعارَف، وغير متعارَف على طريق التخييل؛ بأن ينزل ما يقع فى موقع شيء بدلا عن منزلته . فالمقصود نَفْيُ ما صدر به ، يعنى لا تحية بينهم ، والتشبيه لا يفيد هذا المعنى ، بل يعكسه ويفسده .

(١) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) هو لجِرَان العوْد عامر بن الحارث النُّميرى ، واليعافير : جمع يعفورٍ وهو ولد البقرة ، والعيس : جمع أعيَس وهى الإبل التى يخالط بياضها صفرة ، والشاهد فى جعله للأنيس نوعاً غير متعارف وهو اليعافير والعيس ، وقد اعتُرِضَ على هذا بأنه استثناء منقطع لا يقدر فيه دخول المستثنى فى المستثنى منه ، وكذلك الآية قبله ، فلا يدخلان فى ذلك التنويع ، ورواية الديوان :

بسابساً ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

(٣) يعنى بالتأويل التجوز واعتبار العلاقة ، والكذب ليس فيه هذا التأويل ، فهو يدخل فى تعريف الحقيقة .

(٤) المراد الأعلام الشخصية ؛ لأن الأعلام الجنسية فيها عموم كأسماء الأجناس فتصحُّ الاستعارة فيها ، وهذا كقولك « رأيت أسامةً له لبد يحارب » .

لأن العلم لا يدل إلا على تَعَيُّن شيء من غير إشعار بأنه إنسان أو فرس أو غيرهما ، فلا اشتراكَ بين معناه وغيره إلا فى مجرد التعيين ونحوه من العوارض العامة التى لا يكفى شيء منها جامعاً فى الاستعارة ، اللهم إلا إذا تضمن نوعَ وصفية لسبب خارج ، كتضمن اسم حاتم «الجواد» ومادرٍ «البخيل» وما جرى مجراهما [١] .

قرينة الاستعارة : وقرينة الاستعارة إما معنى واحد؛ كقولك « رأيت أسداً يرمى » أو أكثر [٢] كقول بعض العرب :

فإنْ تَعافوا العدْلَ والإيمانا ... فإنّ فى أيْمَانِنَا نِيْرانا [٣]

أى : سيوفاً تلمع كأنها شعل نيران ، كما قال الآخر :

ناهضْتهمْ والبارقاتُ كأنّها ... شعلٌ على أيديهمُ تتلهّبُ [٤]

فقوله « تعافوا » باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالإيمان قرينة لذلك [٥] لدلالته على أن جوابه أنهم يُحارَبونَ ويُقْسَرون على الطاعة بالسيف ، أو معانٍ مربوط بعضها ببعض [٦] كما فى قول البحترى :

---

(١) فإذا قلت عند رؤيتك جواداً مثلاً « رأيت اليوم حاتماً » كنت كأنك جعلت حاتماً موضوعاً للجواد وجعلت من رأيته فرداً منه ، وعلى هذا تكون الاستعارة أصلية؛ لأنها لم تجر فى مشتقّ بالفعل ، وقيل: إنها تبعية .

(٢) هذا مبنى على الراجح من جواز تعدد قرينة الاستعارة ، وقيل : إنها لا تكون إلا واحدة ، وما عداها ترشيح أو تجريد كما سيأتى .

(٣) قوله « تعافوا » بمعنى تكرهوا . والإيمان يراد به الإسلام .

(٤) هو للبحترى فى مدح إسحاق بن إبراهيم ، والتاء فى « ناهضتهم » لخطاب ممدوحه ، والبارقات : السيوف ، وقوله « تتلهب » بمعنى تتوقد ، والشاهد فى جعله السيوف شعلاً كما جعلها الأول نيراناً ، وإن كان ما هنا تشبيهاً وما هناك استعارة .

(٥) الأولى أن يجعل كل من (العدل والإيمان) باعتبار تعلق (تعافوا) به هو القرينة ؛ لأن القرينة المتعددة لا تكون إلا لفظية ، والتعلق معْنوى .

(٦) فيكون مجموعها قرينة واحدة ، وبهذا يخالف ما قرينته معنى واحد أو أكثر .

وصاعقةٍ منْ نصله تنكفى بها على أرْؤسُ الأقران خمسُ سحائب [1]

عنى بخمس سحائب: أنامل الممدوح؛ فذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال « من نصله » فبيّن أنها من نصل سيفه ، ثم قال « على أرؤس الأقران » ثم قال « خمس » ، فذكر عدد أصابع اليد ؛ فبان من مجموع ذلك غرضه [2] .

● **قسيمات الاستعارة :**

ثم الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار الثلاثة ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين :

أما باعتبار الطرفين فهى قسمان : لأن اجتماعهما فى شىء إمّا ممكن أو ممتنع ، واسم الأولى : وفاقية ، والثانية : عنادية .

الوفاقية : أما الوفاقية فكقوله تعالى : ﴿ أحييْناه ﴾ [4] فى قوله : ﴿ أوَ من كان ميْتاً فأحييْناهُ ﴾ فإن المراد بـ «أحييناه» هديناه أى أو من كان ضالا فهديناه . والهداية والحياة لا شك فى جواز اجتماعهما فى شىء [4] .

(1) يروى « وصاعقة » بالجر على أنها واو رُبَّ ، ويروى بالرفع على أنه مبتدأ خبره جملة (تنكفى) ، والنصل حد السيف شبهه بالصاعقة لأن (من) بيانية ، وقوله « تنكفى » بمعنى تنقلب ، « والأقران » جمع قرْن وهو النظير المكافىء . وقد ضمّن مدحه بالشجاعة مدحه بالسخاء إذ جعله فى عموم العطاء كالسحائب ، وهذا من الاستتباع الآتى فى علم البديع .

(2) فلا يكفى فيه بعضه ، واعترض على هذا بأنه لو أسقط لفظ الخمس أو غيره لكفى الباقى فى بيان غرضه ، وقد قسَّم السكاكى قرينةَ الاستعارة إلى القسمين الأولين فقط ، وإنى أرى أن هذا التقسيم ليس له كبير فائدة .

(3) الأنعام : ١٢٢ .

(4) أما استعارة (ميتاً) للضال فمن العنادية الآتية؛ لأن الميت لا يوصف بالضلال إلا باعتبار ما كان لاقتضائه الحياة، ومن الوفاقية استعارة الحياة لبقاء الذكر فى قول الشاعر:

ولقد سموتُ بهمتى وسَما بها طلبى المكارم بالفعال الأفضل
لأنال مكرمة الحياة وربما عثر الزمانُ بذى الدهاءِ الأحول

العنادية : وأما العنادية فمنها ما كان وضعُ التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة ، لخلوِّها مما هو ثمرتها والمقصود منها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف؛ كاستعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركا للمعدوم فى ذلك[1] ، أو اسم الموجود للمعدوم إذا كانت الآثارُ المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه ، فيكون مشاركاً للموجود فى ذلك . أو اسم الميت للحى الجاهل ؛ لأنه عدمَ فائدة الحياة والمقصود بها أعنى العلم ، فيكون مشاركاً للميت فى ذلك؛ ولذلك جُعل النوم موتاً لأن النائم لا يشعر بما بحضرته كما لا يشعر الميت، أو للحى العاجز؛ لأن العجز كالجهل يَحُط من قدر الحى [2] .

ثم الضدان إن كانا قابلين للشدة والضعف كان استعارة اسم الأشدّ للأضعف أوْلى [3] وكلّ من كان أقل علماً وأضعف قوةً كان أوْلى بأن يستعار له اسم الميت ، ولما كان الإدراكُ أقْدَمَ من الفعل فى كونه خاصةً للحيوان كان الأقل علماً أوْلى باسم الميت أو الجماد من الأقل قوة . وكذا فى جانب الأشدّ ، فكل من كان أكثر علماً كان أوْلَى بأن يقال له: إنه حيّ ، وكذا من كان أشرف علماً ، وعليه قوله تعالى : ﴿ أو منْ كان ميْتاً فأحْييناه ﴾ [4] فإن العلم بوحدة الله تعالى وما أنزله على نبيه ﷺ أشرف العلوم .

العنادية التهكمية والتمليحية : ومنها ما استعمل فى ضد معناه أو

---

(١) من هذا قول أبى تمام :

أنْبئتُ عتْبةَ يعوى كى أشاتمهُ ... اللهُ أكبر أنَّى استْأسد الأسدُ

ما كنتُ أحسب أن الدهر يُمهلنى ... حتى أرى أحداً يهجوه لا أحدُ

(٢) قد يستعار اسم الميت لمن أسقمه الحب ؛ كقول المتنبى :

فلم أر بدراً ضاحكاً قبل وجهها ... ولم تَرَ قبْلى ميتاً يتكلمُ

(٣) أى من استعارته للضعيف ؛ لأن بُعد الأضعف من الأشد أكثر؛ فتكون المبالغة فيه أظهر .

(٤) سورة الأنعام : ١٢٢ ، والشاهد هنا فى استعارة (أحييناه) .

نقيضه؛ بتنزيل التضاد أو التناقض [١] منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تمليح [٢] على ما سبق فى التشبيه كقوله تعالى ﴿ فبشِّرْهم بعذاب أليم ﴾ [٣] ويخص هذا النوع باسم التهكمية أو التمليحية [٤] .

أقسام الاستعارة باعتبار الجامع :

وأما باعتبار الجامع فهى قسمان: **أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلاً فى مفهوم الطرفين** [٥] كاستعارة الطيران للعَدْوِ ؛ كما فى قول امرأة من بنى الحارث ترثى قتيلاً :

لوْ يشا طارَ به ذُوَ ميْعة　　لاحِقُ الآطال نهْدٌ ذو خُصَلْ [٦]

وكما جاء فى الخبر: « كلماً سمع هيْعة طار إليها » [٧] فإن الطيرن والعَدْوَ

---

(١) التضاد هو تقابل الأمرين الوجوديين اللذين لا يجتمعان ، وقد يرتفعان كالبياض والسواد ، والتناقضُ تقابلُ الأمرين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان وأحدهما وجوديّ والآخَرُ عدَمى كحيوان ولا حيوان .

(٢) قد سبق تعريف التهكم والتلميح فى ص ٨١ .

(٣) آل عمران : ٢١ ، وفى التوبة : ٣٤ ، وفى الانشقاق : ٢٤ ، فقد استعيرت فيه البشارة وهى الإخبار بما يسر للإنذار وهو ضدها بإدخاله فى جنسها على سبيل التهكم ، ثم اشتق من البشارة «بَشِّرْ» بمعنى أنْذرْ .

(٤) منه قول الشاعر :

سليمانُ ميمونُ النَّقيبة حازمُ　　ولكنه وقفٌ عليه الهزائمُ

وقول أبى تمام :

أُنْبئتُ عُتْبة يعوى كى أشاتمه　　الله أكبر أنَّى استأسد الأسَدُ

وفى رواية « النقد » بدل « الأسد » وهو جنس من الغنم قبيح .

(٥) بأن يكون جنساً أو فصلاً لمفهومهما .

(٦) قوله « يشا » أصله يشاء ، والضمير فيه لمن ترثيه ، والميعة : النشاط ، والآطال : جمع إطْل وهو الخاصرة ، ولاحقها : ضامرها ، والنهد : القوى ، والخصل: جمع خصْلة وهى الشعر المجتمع . تعنى أنه لو شاء لأنجاه ذلك الفرس ، وقد نسب العينى فى الشواهد الكبرى هذا البيت لعلقمة .

(٧) هو من قوله ﷺ « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ؛ كلما سمع هيعة طار إليها » الحديث ، والهيعة : الصيحة للجهاد .

يشتركان فى أمر داخل فى مفهومهما؛ وهو قطع المسافة بسرعة[1] ولكن الطيران أسرع من العدو ، ونحوهما قول بعض العرب :

فطرتُ بمُنْصلى فى يَعْملات دوامى الأيْد يخبطن السّريحا[2]

يقول : إنه قام بسيفه مسرعاً إلى نوق فعقرهن ودميت أيديهن ، فخبطن السيور المشدودة على أرجلهن . وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر فى قوله :

كالفجر فاض على نجوم الغيهب[3]

فإن الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص؛ وذلك أن يفارق مكانه دفعةً فينبسط ، وللفجر انبساط شبيه بذلك ، وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض فى قوله تعالى: ﴿ وقطَّعناهُمْ فى الأرض أمماً ﴾[4] فإن القطعَ موضوعٌ لإزالة الاتصال بين الأجسام التى بعضها ملتزق ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التى هى داخلة فى مفهومها ، وهى فى القطع أشد . وكاستعارة الخياطة لسرْد الدرع فى قول القطامىِّ :

لم تلْق قوماً هُم شرٌّ لإخوتهم منّا عشيّةَ يجرى بالدم الوادى

نَقْريهمُ لهذميّاتٍ نَقُدُّ بها ما كان خاط عليهم كلُّ زرّاد[5]

---

(١) لا يخفى أن السرعة فى الطيران لازمة له وليست داخلة فى مفهومه .

(٢) هو لمضرّس بن ربْعى العقْمسىّ . والمنصل : السيف ، واليعملات : النوق المطبوعة على العمل ، والأيد : مخفف الأيدى ، والسريح : السير الذى يُشَدُّ على أرجلها .

(٣) هو من قول البحترى :

يتراكمون على الأسنَّة فى الوغى كالفجر فاضَ على نجوم الغيهب

وقوله « يتراكمون » بمعنى يجتمعون بكثرةٍ وازدحام . والأسنة : الرماح ، والوغى : الحرب ، والغيهب : الظلمة . وإنما جعلهم كالفجر بالنظر إلى ما عليهم من الدروع اللامعة .

(٤) الأعراف آية ١٦٨ .

(٥) هما لعمير بن شُييم المعروف بالقطامى ، وضمير الغيبة فى « نقريهم » لإخوتهم فى البيت قبله وكانوا أعداءهم ، والقِرَى: فى الأصل: طعام الضيف فاستعير =

فإن الخياطة تضم خرقَ القميص ، والسرد يضم حلقَ الدرع ؛ فالجامع بينهما الضم الذى هو داخل فى مفهومهما ، وهو فى الأول أشد . وكاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول أبى الطيب :

نثرْتَهمُ فوق الأُحَيْدِبِ نثرةً   كما نُثِرتْ فوق العروسِ الدَّراهِمُ[١]

لأن النثر أن يُجمع أشياء فى كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعةً من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعةً من غير ترتيب ونظام ، ونسبه إلى الممدوح لأنه سببه[٢] .

ما يخرج جامعها عن مفهوم الطرفين : والثانى ما يكون الجامع فيه غير داخل فى مفهوم الطرفين ؛ كقولك « رأيت شمسنا »، وتريد إنساناً يتهلل وجهه ، فالجامع بينهما التلألؤ ، وهو غير داخل فى مفهومهما[٣] .

الاستعارة العامية والخاصية : وتنقسم باعتبار الجامع أيضاً إلى عاميه وخاصية[٤] ؛ فالعامية : المبتذلة لظهور الجامع فيها؛ كقولك «رأيت أسداً ووردت

= لضربهم باللهذميات على سبيل الاستعارة التهكمية ، واللهذميات : جمع لهذم وهو السيف القاطع ، والنسبة فيها للمبالغة . والزرَّاد : صانع الزرد وهو الدرع . وإسناد الجرى إلى الوادى مجاز عقلى .

(١) الخطاب فى « نثرتهم » لسيف الدولة ، والأحيدب : جبل ببلاد الروم .

(٢) فهو مجاز عقلى .

(٣) من ذلك أيضاً قول الشاعر :

فى الخدِّ إن عزم الخليطُ رحيلا   مَطَرٌ تزيد به الخدود محولاً

وقول الآخر (ابن المعتز):

أثمرتْ أغصان راحته   لجُناة الحسْن عنَّاباً

وإنى أرى أنه ليس لتقسيم الاستعارة بهذا الاعتبار كبيز فائدة .

(٤) الخاصِّية أبلغ من العامية ، والمقبول منهما ما لا يبعد جداً حتى لا يغيب عن الفهم ، وما لا يقرب جداً فيُستبرد ، ولكل منهما مقامات تليق به .

بحراً » . والخاصية : الغريبة التى لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقه العامة ، كما سيأتى فى الاستعارات الواردة فى التنزيل . وكقول طُفَيْلٍ الغنوى :

وجعلتُ كَوْرِى فوق ناجيةٍ يقْتاتُ شحمَ سنَامها الرَّحْل(١)

وموضع اللطف والغرابة منه: أنه استعار الافتيات لإذهاب الرّحل شحمَ السنام ؛ مع أن الشحم مما يقْتاتُ . وقول ابن المعتز :

حتى إذا ما عرف الصَّيْدَ الضّار وأذِنَ الصُّبحُ لنا فى الإبصار(٢)

لما كان تعذر الإبصار منعاً من الليل جعل إمكانه عند ظهور الصبح إذناً منه ، وقول الآخر :

بعرْض تنوفةٍ للريح فيه نسيمٌ لا يروَّع فى التراب(٣)

وقوله :

يناجينى الإخلاف من تحت مطْله فتختصم الآمالُ واليأسُ فى صدرى(٤)

ثم الغرابة قد تكون فى الشبه نفسه(٥). كما فى تشبيه هيئة العِنَان فى

---

(١) هو لطفيل بن عوف الغنوى ، والكور : رحل البعير ، والناجية : الناقة السريعة ، وإنما أفاد اقتيات الشحم الغرابةَ ؛ لأن فيه تخييل أن ذلك حقيقة .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، والضار : تخفيف الضارى وهو المتعود للصيد ، فاعل مؤخر والصيد مفعول مقدم ، يعنى أنه عرف ما يصيده بذهاب الظلمة ، وفى رواية « حتى إذا ما عرف الصيد انصار » أى انضم وانجمع أو مال ، يصف بذلك بازى الصيد .

(٣) هو لسوَّار بن المضرَّب السعدى ، وقيل : إنه لجحدر بن مالك الحنفى ، ويروى الشطر الثانى « نسيم لا يروعُ الترب وان » وقبله :

سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كأرواح الغوانى

والتنوفة : الصحراء أو الأرض الواسعة ، وعرضها : جانبها . ويروى « فيها » بدل (فيه) . والشاهد فى استعارة الروع وهو الفزع لإثارة الريح للتراب بجامع التحريك، ولا شك أن معرفة هذا الجامع فيهما إنما يدركها الخاصة .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والإخلاف : عدم الوفاء ، والمطل : التأخير فى إجابة المطلوب . والشاهد فى استعارة المناجاة وهى المسارَّة بالحديث للخطور فى الذهن .

(٥) يعنى بالشبه: التشبيه؛ أى فى التشبيه نفسه لا فى الجامع ، بأن يكون تشبيها نادراً لبُعد ما بين الطرفين ، كما فى البيت ؛ فإن أحدهما من وادى القعود والآخر من وادى الركوب ، مع ما فى ذلك من كثرة التفصيل .

موقعه من قَربُوس السرج بهيئة الثوب فى موقعه من ركبة المحْتبى فى قول يزيد بن مسْلمة بن عبد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدَّب :

وإذا احْتبى قربوسه بعنانه   علَكَ الشّكيمَ إلى انصرافِ الزّائِرِ(١)

وقد تحصل بتصرُّف فى العامية ؛ كما فى قول الآخر :

وسالتْ بأعناق المطىِّ الأباطحُ(٢)

أراد أنها سارت سيراً حثيثاً فى غاية السرعة ، وكانت سرعةً فى لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولاً وقعت فى تلك الأباطح فجرت بها .

ومثلها فى الحسن وعلو الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

سالتْ عليه شعابُ الحىِّ حين دعا   أنصارَهُ بوجوهٍ كالدنانيرِ(٣)

أراد أنه مطاع فى الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لِخَطْب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجىء من هنا وههنا ، وتنْصبُّ من هذا المسيل وذاك ، حتى يغَصَّ بها الوادى ويطفح

---

(١) الحق أنه لمحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، والقربوس : السرج ، وقيل مقدمه حقيقةً أو مجازاً ، والعنان : سير اللجام ، وقوله « علك» بمعنى مضغ ، والشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس ، يصف فرسه بأنه مؤدب إذا نزل عنه وقف مكانه إلى عودته ، فهو يعنى بالزائر نفسه على الالتفات . والشاهد فى استعارة الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه لإيقاع العنان بالقربوس ، ويجوز رفع « قربوسه » على أنه فاعل (احتبى) .

(٢) هو من ثلاثة أبيات سبقت فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثانى ، والشاهد فى استعارة سيل السيول فى الأباطح لسير الإبل بسرعة فى لين وسلاسة .

(٣) هو لعبد الله بن المعتز ، والشعاب : جمع شِعْب وهو الطريق فى الجبل والناحية ، والحى : القوم أو مكانهم ، ووجه الشبه فى قوله « بوجوه كالدنانير » : الاستدارة والإشراق .

منهـا ، وهذا شبـه معـروف ظاهر ولكن حسن الـتـصرف فـيه أفـاد اللطـف والغـرابة ، وذلك أنْ أسْنـد الفعل إلى الأبـاطح والشعاب[1] دون المطىِّ أو أعناقـها والأنـصار أو وجـوههم ، حـتى أفاد أنه امـتـلأت الأباطح من الإبل والشعاب من الرجـال على ما تقدم[2] فى قـولـه تعالى : ﴿ واشـتَعل الرَّأس شيْباً ﴾[3] وفى كل واحـد منهمـا شىء غير الـذى فى الآخَر يؤكد أمـر الدقة والغرابة ؛ أما الذى فى الأول فـهو أنه أدخل الأعناقَ فى السير ؛ فـإن السرعة والبطء فى سيـر الإبل يظهران غـالباً فى أعناقهـا على ما مـرَّ ، وأما الذى فى الثانى فهـو أنه قال « عليه »؛ فعـدَّى الفعل إلى ضميـر الممدوح بـ (على) ، فأكد مقصوده من كونه مُطاعاً فى الحى .

وكما فى قوله :

فَرْعاء إن نهضتْ لحاجتها عجل القضيبُ وأبطأ الدِّعْص[4]

إذ وصف القضيب بالعجلة ، والدعص بالبطء[5] .

وقد تحصل الغـرابة بالجمع بين عدة استعـارات لإلحاق الشـكل بالشكل ؛ كقول امرىء القيس :

فقلت له لما تمطَّى بصلْبه وأردف أعْجازاً وناء بكلكل[6]

---

(١) هذا مجاز عقلى من إسناد الحالِّ للمحلِّ .

(٢) فى الكلام على الإيجـاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثـانى من أنه آثر ذلك على « اشتعل شيب الرأس » ليفيد عمومه للرأس .

(٣) سورة مريم آية : ٤ .

(٤) الفرعاء : الطويلة ، والقضيب : الغصن استعـير لقامتها ، والدعص : كثيب الرمل المجتمع ، استعير لردْفها .

(٥) فغـرابتها نشأت من المجـاز العقلى أيضاً مع مـا فيها من الطبـاق بين « عجـل وأبطأ » .

(٦) قـوله « تمطى » بمعنى تمدَّد ، والصلب : عـظم فى الظهـر ذو فقـار يمتـد من الكاهل إلى أسفل الظهر ، والأعجاز : جمع عجز وهو مؤخر الشىء أو الجسم؛ فالصلب : مستعـار لوسط الليل ، والكلكل : مستعار لمقدمـه ، والأعجاز : مستعـارة للأجزاء الأخيرة منه ، وهذه هى الاستعارات التى جمع بينها وجعل من مجموعها استعارة واحدة .

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يتمطى به؛ إذ كان كل ذى صلب يزيد فى طوله عند تمطّية شىءٌ ، وبالغ فى ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمُكابده؛ فاستعار له كلكلاً ينوء به أى يثقل به . وقال الشيخ عبد القاهر[١] : « لما جعل لليل صلباً قد تمطى به ، ثنَّى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب ، وثلَّث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا نظر قدّامه وإذا نظر خلفه وإذا رفع البصر ومدَّه فى عرْض الجو » [٢] .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع :

وأما باعتبار الثلاثة - أعنى الطرفين والجامع - فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ، أو بوجه عقلى ، أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه عقلى؛ لِما مر[٣] .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى : أما استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى؛ فكقوله تعالى : ﴿ فأخرج لهُم عجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ ﴾[٤] فإن المستعار منه ولد البقرة ، والمستعار له الحيوان الذى خلقه الله تعالى من حُلىِّ القبط التى سبكتها نار السامرىِّ عند إلقائه فيها التربة التى أخذها من موطىء حيْزوم فرسِ جبريل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل[٥] والجميع حسى[٦] . وكقوله تعالى: ﴿ وتركنا بعْضهمْ يومْئذ يموجُ فى

(١) ٥٤ - دلائل الإعجاز - المطبعة العربية .

(٢) فقابل هذا بالكلكل والأعجاز والصلب على الترتيب .

(٣) فى الكلام على وجه الشبه من استحالة قيام الحسى بالعقلى .

(٤) سورة طه آية ٨٨ .

(٥) أى مع الخوار .

(٦) الحق أن ما فى الآية تشبيه لا استعارة؛ لأن جسداً بدل من « عجلاً »؛ فيكون التقدير : فأخرج لهم مثل عجل جسداً له خوار .

بعضٍ ﴾[1] فإن المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص ، والمستعار له حركة الإنس والجن أو يأجوجُ ومأجوج ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يشاهَد من شدة الحركة والاضطراب ، وأما قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأسُ شيبا ﴾[2] فليس مما نحن فيه وإن عُدَّ منه ؛ لأن فيه تشبيهين : تشبيه الشيب بشواظ النار فى بياضه وإنارته ، وتشبيه انتشاره فى الشعر باشتعالها فى سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه ، والأول استعارة بالكناية ، والجامع فى الثانى عقلى[3] . وكلامنا فى غيرهما[4] .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى : وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى ؛ فكقوله تعالى : ﴿ وآيةٌ لهُم اللَّيل نسْلخ منْه النَّهار ﴾[5] فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظلّه ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يعقل من ترتُّب أمر على آخر[6] . وقيل : المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل . وليس بسديد . لأنه لو كان ذلك لقال « فإذا هم مبصرون » ونحوه ولم يقل ﴿ فإذا هم مظْلمون ﴾ أى داخلون فى الظلام[7] قيل : ومنه قوله تعالى :

(١) سورة الكهف آية ٩٩ .

(٢) مريم آية ٤ .

(٣) قيل : إنه مركب من حسى وعقلى ؛ لأن سرعة الانبساط حسية ، وتعذر التلافى عقلى .

(٤) أى فى غير الاستعارة بالكناية وفى غير الوجه العقلى ؛ لأن الكلام فى استعارة المحسوس للمحسوس استعارةً تصريحية بوجه حسى ، وهو يقصد السكاكى بهذا الاعتراض ، والحق أنه لا يرد عليه لأنه جعل هذه الأقسام للاستعارة مطلقاً ولم يخصها بالتصريحية حتى يعترض عليه بذلك .

(٥) سورة يس آية ٣٧ .

(٦) الحق أن هذا الترتب حسِّى لتعلقه بأمور محسوسة ، وإنما يكون الترتب عقلياً فى مثل ترتب النتيجة على العلم بالمقدمات .

(٧) أجيب عن ذلك بأن المراد بظهور النهار من ظلمة الليل زواله وبقاء =

﴿ إذْ أرسلْنا عليهمُ الريحَ العـقيمَ ﴾[1] فإن المسـتعار منه المرأة ، والمستـعار له الريح ، والجامـع المنع من ظهور النتـيجة والأثر ؛ فـالطرفان حـسيـان والجامع عقلى . وفيه نظر ؛ لأن العقيم صفةٌ للمرأة لا اسمٌ لها ، وكذلك جُعلَتْ صفة للريح لا اسماً[2] . والحق أن المستعار منه مـا فى المرأة من الصفة التى تمنع من الحمل[3] ، والمستعار له ما فى الريح من الصفة التى تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر ، والجامع ما ذُكر[4] .

استعـارة محسوس لمحسوس بوجـه مختلف : وأما اسـتعارة محـسوس لمحسوس بما بعضـه حسى وبعضه عقلى فكقولك « رأيـت شمساً » وأنت تريد إنساناً شبـيهاً بالشمس فى حسن الطلعة ونـباهة الشأن ، وأهمل السكاكى هذا القسم[5] .

= الظلمة ، فيكون المعنى فى الوجهين واحـداً ، وإن كان مبنَى الأول على أن النهار ظَرْفٌ للظلمة ، ومبنى الثانى على أن الظلمة ظرف للنور .

(١) الذاريات آية ٤١ .

(٢) يريد بهذا أن (العقيم) هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلى لا حسى .

(٣) هى صفة العقم ، ثم اشتق منها عقيم بعد استعارتها لصفة الريح .

(٤) على هذا يكون ما فى الآية من اسـتعارة المعقول للمعـقول استعارة تصـريحية تبعـية ، وقد أجيب عـن أصل النظر بأن من يجعل المستـعار منه المرأة والمستـعار له الريح يذهب إلى أن ذلك اسـتعارة بالـكناية ، ويجعل العـقم قرينة لهـذه الاستـعارة ، وردَّ بأن استعـارة المرأة للريح معناها ادعاء أن الريح فرد من أفـراد النساء وهذا غير مـقصود ؛ لأن ثبـوت ذلـك للريـح لا يفيـد أنهـا عقيم ، وذلك لأن العقمَ ليس صفـةً للنساء مطلقاً ولا غالبا .

ومن استعارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلى قول الشاعر :

قولا لِدُودان عبيد العصا ما غرَّكمْ بالأسد الباسل

ومنها أيضاً ما جاء فى المثل : « إن البغاث بأرضنا يستنسر » .

(٥) من استعارة المحسوس للمحسوس بوجه مختلف قول الشاعر فى رثاء ولد له :

وهلال أيامٍ مضى لم يستدرْ بدْراً ولم يُمهَلْ لوقت سرارِ

عجل الكسوفُ عليه قبل أوانه فمحاهُ قبل مَظَنَّة الإبدارِ

استعارة معقول لمعقول : وأما استعارة معقول لمعقول فكقوله تعالى : ﴿ مَن بَعَثَنا منْ مـرْقـدنا ﴾[1] فإن المستعار منه الرقاد[2] والمستعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال[3] ، والجميعُ عقلى[4] .

استعارة محسوس لمعقول : وأما استعارة محسوس لمعقول فكقوله تعالى : ﴿ فاصْدعْ بما تؤمَرُ ﴾[5] فإن المستعار منه صدْعُ الزجاجة وهو كسرها ، وهو حِسِّى[6] ، والمستعار له تبليغ الرسالة[7] ، والجامع لهما التأثير . وهما عقليان ، كأنه قيل : « أَبِنِ الأمر إبانةً لا تنمحى كما لا يلتئم صدع الزجاجة » وكقوله تعالى : ﴿ ضُرِبتْ عليهم الذِّلَّةُ ﴾[8] جعلت الذلة محيطةً بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون فى القبة مَن ضُرِبَتْ عليه ، أو ملصقةً بهم حتى لزمتهم ضربة لازبٍ كما يُضربُ الطين على الحائط فيلزمه؛ فالمستعار منه إمَّا ضرب القبة على الشخص وإما ضرب الطين على الحائط ، وكلاهما

---

(١) يس آية ٥٢ .

(٢) ظاهر هذا أن (مرقدنا) فى الآية مصدر ميمى ، ويجوز أن يكون اسم مكان فيكون المستعار منه الرقاد أيضاً ، ثم يشتق منه اسم المكان بعد استعارته للموت .

(٣) أو البعث؛ وقد رُجِّع بأنه فى النوم أظهر وأقوى لكونه مما لا شبهة فيه لأحد، وعدم ظهور الأفعال بالعكس ، والجامع لا بد أن يكون أقوى فى المستعار منه .

(٤) من استعارة المعقول للمعقول قول الشاعر :

وإذا تُباعُ كريمةٌ أو تُشْتَرَى ... فسواك بائعها وأنت المشْترِى

شبه التَّرك بالبيع، والحصول بالاشتراء، بجامع الحرمان فى الأول والتحقق فى الثانى، ثم استعار المشبه به للمشبه فيهما ، واشتق منه (تباع) بمعنى تترك و(تشترى) بمعنى يُحصل عليها .

(٥) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٦) لتعلقه بحسى .

(٧) اعترض على هذا بأنه حسى يدرك بالسمع؛ فالأولى أن يجعل المستعار له إظهار الدين لأنه لا يلزم أن يكون بطريق حسى .

(٨) سورة آل عمران آية ١١٢ .

حسّيّ ، والمستعار له حالُهُم مع الذلة ، والجامع الإحاطة أو اللزوم ، وهما عقليان[١] .

استعارة معقول لمحسوس : وأما استعارة معقول لمحسوس فكقوله تعالى : ﴿ إنَّا لَمَّا طغى الماءُ ﴾[٢] فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسى ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان[٣] .

أقسام الاستعارة باعتبار المستعار : الأصلية والتبعية : وأما باعتبار اللفظ[٤] فقسمان : لأنه إن كان اسمَ جنس **فأصلية** كأسد وقتل[٥] ، وإلا **فتبعية** ؛ كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف ؛ لأن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيهُ يعتمد كون المشبه موصوفاً[٦] ، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق[٧] كما في قولك « جسم أبيض وبياض صاف » دون معانى الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف[٨] ؛ فإن قلت : فقد قيل فى نحو « شجاع باسل، وجواد فيَّاض، وعالم نحرير » إن باسلاً وصفٌ لشجاع ، وفياضاً وصف

(١) يجوز جعل ذلك من الاستعارة المكنية بتشبيه الذلة بالقبة.
ومن استعارة المحسوس للمعقول قول أبى تمام :
ويصعدُ حتى يظنَّ الجهولُ بأنَّ له حاجةً فى السَّماء

(٢) الحاقة : ١١ .

(٣) من استعارة المعقول للمحسوس قوله تعالى : ﴿ وأمّا عادٌ فأُهْلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية ﴾ الحاقة : ٦ . وقوله أيضاً : ﴿ تكاد تميزُ من الغيْظ كلّما أُلقىَ فيها فوجٌ سألهمْ خزنتها ألمْ يأتكم نذيرٌ ﴾ آية ٨ سورة الملك .

(٤) يعنى لفظ المشبه به ، وقد ذكروا أن هذا التقسيم يجرى فى المكنية أيضاً .

(٥) يشير بالمثالين إلى أن اسم الجنس قد يكون اسم ذات كأسد ، وقد يكون اسم معنى كقتل .

(٦) أى بوجه الشبه بحيث يصح الحكم به عليه ، وكذلك يقتضى التشبيه مثل هذا فى المشبه به ، ولو ذكر هذا لكان أنسب باستدلاله .

(٧) يعنى بها الأمور المتقررة الثابتة فى نفسها من الجواهر والأعراض كأسد وقتل ونحوهما .

(٨) لأن الأفعال والمشتقات غير متقررة ، والحروف غير ثابتة فى نفسها .

لجواد ، ونحريراً وصف لعالم[١] ، قلت : ذلك متأوَّلٌ بأن الثوانى لا تقع صفات إلا لما يكون موصوفاً بالأول[٢] .

فالتشبيه فى الأفعال والصفات المشتقة منها لمعانى مصادرها[٣] ،وفى الحروف لمتعلّقات معانيها ؛ كالمجرور[٤]فى قولنا « زيد فى نعمة ورفاهية » فيقدَّر التشبيه فى قولنا: « نطقت الحال بكذا ، والحال ناطقة بكذا » للدلالة بمعنى النطق[٥]، وعليه فى التهكمية قوله تعالى : ﴿ فبشّرهم بعذاب أليم ﴾[٦] بدل فأنذِرهم ، وقوله تعالى: ﴿ إنك لأنت الحليمُ الرشيدُ ﴾[٧] بدل السَّفيه

---

(١) فقد وُصفت الصفات المشتقة الثلاث بهذه الصفات كما وُصف الجسم والبياض بما سبق ، فلا يكون هناك فرق بينهما فى ذلك .

(٢) فقولك « شجاع باسل » مثلاً إنما هو على تقدير « زيد شجاع باسل » فكل منهما فى الحقيقة صفة لزيد .

(٣) أى المحققة أو المقدرة كما فى الأفعال التى لا مصادر لها .

(٤) هذه طريقة الخطيب فى إجراء الاستعارة التبعية فى الحروف ؛ فهى تابعة عنده للتشبيه فى متعلقاتها من مجروراتها ونحوها ، وتعلقها بها بمعنى ارتباطها بها ، وليس هو التعلق النحوى المعروف ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شبهت النعمة على زيد بدار مشتملة عليه ، ثم استعمل فى النعمة لفظ « فى » كما يستعمل فى الدار ونحوها ، والجمهور على أن متعلقات الحروف هى معانيها الكلية ، فيجرى التشبيه فيها أولاً ثم تبنَى عليه الاستعارة فيها ، وعلى هذا يقال فى المثال المذكور : شُبهت ملابسة النعمة لصاحبها بملابسة الظرف للمظروف ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به وهو « فى » . وبعض الجمهور لا يكتفى بإجراء التشبيه فى متعلقات الحروف بل يوجب إجراءه فى جزئياتها بعدها ، وبهذا يجعل الاستعارة فى جزئياتها دونها ، والخطب فى ذلك سهل ، وطريقة الخطيب أظهر .

(٥) ثم يستعار النطق للدلالة ، ثم يشتق من النطق « نطقت أو ناطقة » بمعنى «دلت أو دالة » والجامع إيصال المعنى إلى الذهن ، وهكذا كل الاستعارات فى الأفعال والمشتقات؛ فتكون الاستعارة فيها تابعة للاستعارة فى مصادرها ، ولا خلاف هنا بينهم فى ذلك .

(٦) آل عمران : ٢١ ، التوبة : ٣٤ .

(٧) هود : ٨٧ .

الغويِّ ، وفي لام التعليل[1] كقوله تعالى : ﴿ فالتقطهُ آلُ فرْعونَ ليكون لهمْ عدُواً وحَزَنًا﴾ [2] للعداوة والحزن الحاصلَين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط[3] .

ومما يتصل بهذا أن « يا » حرفٌ وُضع في أصله لنداء البعيد استُعمِل في مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع إليه أو إلى المُنادى ؛ أما الأول فكقولك لمن سها وغفل وإن قرب : « يا فلان » ، وأما الثاني فكقول الداعي في جُؤاره : « يا رب يا ألله » وهو أقرب إليه من حبل الوريد؛ فإنه استقصارٌ منه لنفسه واستبعادٌ لها من مظان الزُّلْفَى ومما يقرِّبه إلى رضوان الله تعالى ومنازل المقرَّبين هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله تعالى ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والأذْن[4] لندائه وابتهاله .

واعلم أنَّ مدار قرينة التبعية [5] في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل ، كما مر في قولك: « نطقت الحال »، أو إلى المفعول؛

كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمامٍ   قتلَ البخْلَ وأحْيا السَّماحا[6]

(١) عطف على قوله « في قولنا نطقت الحال » إلخ .

(٢) القصص : ٨ .

(٣) هذا على طريقته السابقة ، وأما على طريقة الجمهور فيقال: « شبّه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية كالمحبة والتبني عليه ، ثم استعير للمشبه اللفظ الموضوع للمشبه به ، وهو لام التعليل . (٤) أي الاستماع .

(٥) يعني بهذا أن الأكثر في قرينتها أن تكون على ما سيذكره ، وقد تكون قرينتها حالية ، كقوله تعالى ﴿ أوَ منْ كان ميْتاً فأحييْناه ﴾ آية ١٢٢ سورة الأنعام وقوله ﴿ ونادواْ يا مالكُ ليقض علينا ربُّك قال إنكُمْ ماكثُون ﴾ آية ٧٧ سورة الزخرف .

(٦) هو لعبد الله بن المعتز يمدح به والده المعتز بالله ، شبَّه إزالة البخل بالقتل ، وإذاعة السماح بالإحياء ، ثم استعير القتل لإزالة البخل واشتق منه قتل بمعنى أزال ، واستعير الإحياء لإذاعة السماح واشتق منه « أحيا » بمعنى أذاع ، وقرينةُ ذلك نسبة « قتل » إلى البخل ونسبة « أحيا » إلى السماح .

وقول كعب بن زهير :

صبَّحْنا الخزْرجيَّة مرهَفاتٍ أبادَ ذوى أَرومَتِها ذوُوها[١]

والفرق بينهما أن الثانى مفعول ثان دون الأول . ونظير الثانى قوله :

نُقْريهمُ لهذميَّاتٍ نَقُدُّ بها ما كان خاطَ عليهم كلُّ زرَّاد[٢]

أو إلى المفعولين : الأول والثانى ؛ كقول الحريرى :

وأُقْرِى المسامعَ إمّا نطقْتُ بياناً يقود الحَرونَ الشَّموسا[٣]

أو إلـــــى المجرور كقوله تعالى : ﴿ فبشِّرهمْ بعذابٍ أليمٍ ﴾[٤] .

قال السكاكى[٥] : «أو إلى الجميع كقول الآخر :

تُقْرِى الرياحُ رياضَ الحَزْنِ مزهرةً إذا سرَى النَّومُ فى الأجفان إيقاظا[٦]

---

(١) الخزرجـية : هم الخـزرج من الأنصار ، والمرهـفات : السـيوف الـمـرقَّقة ، والأرومـة : الأصل. والضمير المضاف إليه يعـود إلى الخزرجية ، والضمير فى « ذووها » يعود إلى مرهفـات . وفى رواية : أبان ذوى أرومتها ذووها . فيـكون المراد السيوف التى كتب عليها صانعوها أسماء أصحابهـا كما هى عادة ملوكهم . والشاهد فى قوله « صبحنا الخ » لأنه فى الأصل بمعنى التحـية بالسلام صـباحاً ، فاسـتعير لضـربهم بالمرهفات على سبيل التهكم ، والقرينة نسبة « صبحنا » إلى « مرهفات » .

(٢) انظر ص ١٠٧ ، والشـاهد فى قولـه « نقريهم لهـذمـيات » وهى اسـتعـارة تهكمية أيضاً .

(٣) هو للقاســم بن على المعروف بالحريرى . وقـوله « أقرى » مـأخوذ من القِرى وهو طعام الضيف ، وروى « أَقْرِ » على أنه فعل أمر ، والحرون والشموس : بمعنى واحد وهو الذى لا ينقاد ، والشاهد فى قـوله « وأقرى المسامع » استعير الـقِرَى لإلقاء البيان فى الآذان بقرينة نسبته إلى مفعوليه .

(٤) آية ٢١ سورة آل عمران ، التوبة : ٣٤ . (٥) ٢٠٤ - المفتاح .

(٦) الحزن : الأرض الغـليظة ، وإيقاظاً : مـفعـول ثان لتقـرى . استعـار القِرَى لإحداث الرياح الإيقاظ فى الرياض بقرينة نسبته إلى الفـاعل والمفعولين والمجرور جميعا ، والمعنى أنها تهزها عند هبوبها عليها إذا نامت أجفان الناس .

وفيه نظر[1] .

أقسام الاستعارة باعتبار الخارج :

وأما باعتبار الخارج فثلاثة أقسام : أحدها **المطلقة** : وهى التى لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام[2] ، والمراد المعنوية لا النعت .

المجردة : وثانيها المجردة ، وهى التى قُرنت بما يلائم المستعار له[3] كقول كثيِّر :

غَمْرُ الرِّداء إذا تبسَّم ضاحكاً   غَلِقتْ لضحْكته رقابُ المال[4]

فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عِرْض صاحبه كما يصون الرداء ما يُلْقَى عليه ، ووصفَه بالغمر الذى هو وصفُ المعروف لا الرداء[5] فنظر إلى المستعار له ، وعليه قوله تعالى : ﴿ فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوفْ ﴾[6] حيث

---

(١) لأن المجرور وهو الأجفان لا يدخل فى القرينة؛ لتعلقه مع جارِّه بقوله «سرى» لا بقوله « تقرى »، ولعله يعلقهما بـ «إيقاظا» .

(٢) يعنى أنها لم تقترن بصفة ولا تفريع يلائمان المستعار له أو المستعار منه لا مطلق صفة وتفريع ، والفرق بين الصفة والتفريع أن الملائم إن كـان من بقية جملة الاستعارة فهو صفة ، وإن كان كلاماً مستقلا عنها فهو تفريع ، ومن الاستعارة المطلقة قول الشاعر :

فرعاءُ إنْ نهضتْ لحاجتها   عجلَ القضيبُ وأبطأ الدِّعْصُ

(٣) يعنى أنهـا قرنت بصـفة أو تفـريع يلائمـه ، ولا بد أن يكون ذلك زائداً على قرينتها ؛ لأن القـرينة من جملة الاستعارة، وهى مما يلائم المستعار له ، فـإذا لم يكن فيها مما يلائمها إلا القرينة فهى مطلقة ، والأول أوْلى بالقرينة وما بعدَهُ تجريد .

(٤) هو لكثيـر بن عبد الرحمـان المعروف بكثير عـزة ، والغمر : الكثيـر وهو إما مأخوذ من « غمر الماء » إذا كثـر ، أو من قولهم « ثوب غامر » أى واسع ؛ فيكون تجريداً على الأول وترشيحاً على الثانى . وقوله « غلقت الخ » بمعنى تمكنت من أيدى السائلين ، يقـال « غلق الرهن فى يد المرتهن » إذا لم يـقدر الراهن على انـفكاكه . وقـوله « تبـسم ضاحكا » قرينة الاستعارة ، وفى « رقاب المال » استعارة بالكناية .

(٥) هذا على أنه مأخوذ من « غمر الماء » كما سبق ؛ لأن المعروف يوصف بالكثير دون الرداء .

(٦) النحل : ١١٢ .

قال ﴿ أذاقـها ﴾ ولم يقل كسـاها ؛ فإن المراد بالإذاقه إصابتـهم بما استعـير له اللباس[١] كأنه قال : فأصابها اللهُ بلباس الجوع والخوف[٢] . قال الزمخشـرى : « الإذاقة جرت عندهم مجـرى الحقيقة لـشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها؛ فيقولون «ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب » شبه ما يدرَكُ من أثر الضر والألم بما يدْركُ من طعم المرّ والبَشع[٣] » . فإن قيل: الترشيح أبلغ من التجريد فهلاً قيل « فكساها الله لباس الجوع والخوف » ؟ قلنا: لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس ، فكـان فى الإذاقة إشعار بشدة الإصابـة بخلاف الكسـوة . فإن قـيل: لِمَ لمْ يقلْ « فأذاقـها الله طعم الجـوع والخوف » ؟ قلنا : لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة فهو مفوّتٌ لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمَّ أثرهما جميع البدن عمومَ الملابس .

المرشحة : وثالثها المرشحة .

وهى التى قُرنتْ بما يلائم المستعار منه[٤] كقوله :

ينازعُنى ردائى عبدُ عمْـرٍو رُوَيْدك يا أخا عَمْرٍو بن بكر
لِىَ الشَّطْرُ الذى ملكتْ يمينى ودونك فاعتجرْ منه بِشَطْرِ[٥]

---

(١) يريد بما استعـير له اللباس : ما يغشى الإنسانَ من بعض الـحوادث كالعذاب ونحوه .

(٢) على هذا تكون الإذاقة تجريداً .

(٣) يجوز أن يشـبه ما يغـشى الانسان من ذلك بمطعـومٍ مرٍّ على طريق الاستـعارة المكنية .

(٤) هذا قد يكون صفة وقد يكون تفريـعاً كما سبق فى المجردة ، ولا بد أن يكون فى الاستعارة بالكناية الآتية زائداً على قرينتها ؛ لأن الأقسام الثلاثة تأتى فيها كما تأتى فى الاستعارة التصريحية .

(٥) رويـد : مـصدر نائب عن فـعله بمعنى أمْهـلْ ، والـشـطر : الـنـصف . وقـولـه « اعتجـر» أمر من الاعتجار وهـو الاهتمام ، ويقال « اعتـجرت المرأة » إذا لبست المعْجر وهو ثوب تـشدُّه على رأسهـا ، والمراد بالشطر الذى ملكت يمينه : قـائم السيف ، وبالشطر الآخر : صدره ، يعنى أنه سيضربه على رأسه بصدر سيفه .

فإنه استعار الرداءَ للسيف لنحو ما سبق ، ووصفه بالاعتجار الذى هو وصفُ الرداء ، فنظر إلى المستعار منه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتَرَوُا الضلالة بالهدى فما ربحتْ تجارتهمْ ﴾[1] فإنه استعار الاشتراء للاختيار وقفَّاه بالربح والتجارة اللذين هما من متعلِّقاتِ الاشتراء ؛ فنظر إلى المستعار منه .

وقد يجتمع التجريد والترشيح ، كما فى قول زهير :

لَدَى أسدٍ شاكى السلاح مقذَّفٍ له لِبَدٌ أظفاره لم تُقَلَّمِ[2]

والترشيح أبلغ من التجريد[3] ؛ لاشتماله على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على تناسى التشبيه[4] حتى إنه يوضَعُ الكلام فى علوِّ المنزلة وضعَه فى علو المكان ، كما قال أبو تمام :

ويصعدُ حتى يظنّ الجَهولُ بأنَّ له حاجةً فى السماء[5]

---

(١) البقرة - ١٦ .

(٢) انظر ص ٩١ ، والاستعارة فى قوله « أسد » و « شاكى السلاح » تجريد ، و« مقذف » تجريد إن كان بمعنى مقذف فى الحروف، وإلا فليس بتجريد ولا ترشيح ، وما بعده إلى آخر البيت ترشيح .

(٣) هو أيضاً أبلغ من الإطلاق ، ومن الجمع بين التجريد والترشيح ؛ لأنه فى حكم الإطلاق ، والإطلاق وما فى حكمه أبلغ من التجريد .

(٤) أى على كمال تناسيه لأن الاستعارة كلها مبنية على تناسيه، لا الترشيح وحده، ولو جعل الترشيح مبنياً على تناسى الاستعارة لكان أوْلى .

(٥) هو فى رثاء خالد بن يزيد الشيبانى ، وقبله :

فقد مات جَدُّك جَدّ الملوك ونجمُ أبيك حديث الضياء

فما زال يقرع تلك العلا مع النجم مرتدياً بالعماء

شبه ارتقاء منزلته بالصعود الحسِّىِّ ، ثم اشتق من الصعود (يصعد) بمعنى ترتقى منزلته . والجهول : مبالغة فى الجاهل ، ولو ترك المبالغة فى ذلك لكان أليق بما يقصد من المبالغة فى المدح ، ولعله يعنى أن الجهولَ هو الذى يظن ذلك ، أما غيره فيعرف أنه لا حاجة له فيها لكمال غناه .

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصمِّم على إنكاره فيجعله صاعداً فى السماء من حيث المسافة المكانية لَما كان لهذا الكلام وجهٌ.

وكما قال ابن الرومى :

يا آلَ نُوبَخْت لا عـــدِمْتكمُ ... ولا تبدَّلْتُ بعـــْدكم بــدلا[1]

إنْ صحَّ علمُ النجوم كان لكم ... حقاً إذا ما ســواكمُ انتحــلا[2]

كم عالمٍ فيكمُ وليس بأنْ ... قاسَ ولكن بأنْ رَقَى فعَــلا[3]

أعلاكُمُ فى السمـاء مجْدُكمُ ... فلستم تجهلونَ ما جهــلا

شافهتمُ البدْرَ بالسؤال عن الــ ... أمر إلى أن بلغْتمُ زُحَلا[4]

وكما قال بشَّار :

أتَتْنِى الشَّمْسُ زَائِرَةً ... ولَمْ تَكُ تَبْرَحُ الفَلَكَا[5]

وكما قال أبو الطيب :

كبَّرتُ حول ديارهم لَّما بدتْ ... منها الشُّموسُ وليس فيها المشْرِقُ[6]

---

(١) الأبيـات لعلى بن العبـاس المـعـروف بابن الرومى فى مـدح أبى سـهل النوبختى ،ولآل نوبخت شهرة بالفلك والنجوم والحكمـة ، وكان جدهم نوبخت منجما للمنصور .

(٢) قوله « انتحل » بمعنى ادَّعى لنفسه شيئاً هو لغيره .

(٣) يعنى بقوله « قاس »: أخذ علم النجوم بطريق القياس والمضاهاة والتخمين ، وقـوله « فعل » مـعطوف على رقى ، والشـاهد فى قوله « رقى »، ومـا بعده من قـوله «أعلاكم فى السمـاء الخ » فقد استـعار فيه العلوَّ الحسى للارتفـاع فى المجد ، ثم تناسى التشبيه وبنى عليه أنهم أخذوا علم النجوم عن الكواكب بالمشافهة .

(٤) زحل : أعلى الكواكب السيَّارة .

(٥) هو لبشـار بن بردْ ، وقوله « تبـرح » بمعنى تفارق ، وقد اسـتعـار الشمس لمحبوبته، ثم تناسى التشبيه فبنى عليه قوله « ولم تك تبرح الفلكا » .

(٦) يعنى بقوله « كـبرت » قوله « الله أكبر » تعـجباً ، والشاهد فى أنه اسـتعار الشموس لممدوحيه ، ثم تناسى التشبيـه فتعجب من طلوعها من ديارهم بالمغرب مع أنها إنما تطلع من المشرق .

وكما قال غيره :

ولم أرَ قبلى مَن مشى البدرُ نحوَه ... ولا رجلاً قامت تعانقه الأُسْدُ [(١)]

ومن هذا الفن [(٢)] ما سبق من التعجب والنهى عنه [(٣)]، غير أن مذهب التعجب على عكس مذهب النهى عنه ؛ فإن مذهبه إثباتُ وصف ممتنعٌ ثبوته للمستعار منه [(٤)] ،ومذهب النهى عنه إثباتُ خاصَّة من خواص المستعارِ منه[(٥)] .

وإذا جاز البناء على المشبه به[(٦)]مع الاعتراف بالمشبه - كما فى قول العباس بن الأحنف :

هى الشمسُ مسكنُها فى السماء ... فَعَزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا[(٧)]

فلن تستطيع إليها الصعودَ ... ولن تستطيع إليك النزولا

وقول سعيد بن حمَيد :

قلتُ: زورى فأرسلتْ: ... أنا آتيك سَحْرَهْ[(٨)]

---

(١) الحق أن هذا البيت لأبى الطيب أيضاً لا لغيره كما ذكر الخطيب ، وهو من قصيدة له فى مدح محمد بن سيَّار التميمى ، ورواية الديوان : البحر بدل البدر ، وقبله:

فلما رآنى مقبلاً هزَّ نفسه ... إلىَّ حسامٌ كلُّ صَفْحٍ له حَدُّ

والشاهد فى أنه استعار البدر والأسد لممدوحه ، ثم تناسى التشبيه فذكر أنه لم ير قبله مَن مشى البدر إليه وعانقته الأسد .

(٢) يريد بهذا الفن أسلوب البناء على تناسى التشبيه . (٣) انظر ص ٩٩ .

(٤) كإثبات التظليل للشمس فى البيتين السابقين هناك .

(٥) كإثبات بِلَى الغلالة للقمر فى البيت السابق هناك ؛ فإنه من خواصه فلا يصح التعجب منه .

(٦) المراد بالبناء على المشبه به ذكر ما يلائمه ، وبالاعتراف بالمشبه ذكره وعدم ادعاء دخوله فى المشبه به ، والمقصود من هذا زيادة تقرير ما سبق من البناء على تناسى التشبيه .

(٧) قوله « فعز» بمعنى احمله على العزاء وهو الصبر ، والعزاء الجميل: هو الذى لا قلق معه ، يعنى أنها إذا كانت كذلك فلا فائدة فى طلبها ، والشاهد فى أنه شبه محبوبته بالشمس ثم بنى على هذا ما يلائم المشبه به وهو أن مسكنها فى السماء الخ .

(٨) السحرة : هى السَّحَر الأعلى ويكون قبيْل الصبح .

قلتُ فالليــــلُ كان أخـْـفَى وأدْنَــــى مسرَّه

فأجابـــت بـحـجَّة زادتْ القلبَ حسرَهْ

أنـا شمـسٌ وإنمـا تطلعُ الشمسُ بُكْـرَه[1]

فلأن يجوزُ مع جحده فى الاستعارة أولى .

ومن هذا الباب[2] قول الفرزدق :

أبِى أحمدُ الغيْثَيْن صَعْصَعةُ الذى متى تُخْلفِ الجوْزاءَ والدَّلوُ يُمطـرِ

أجارَ بناتَ الوائدين ومَن يُجِــرْ على الموْتِ فاعلم أنه غير مُخْفِرِ[3]

ادَّعى لأبيه اسم الغيث ادِّعـاء مَن سُلِّمَ له ذلك ، ومن لا يخطر بباله أنه متناولٌ له من طريق التشبيه .

وكذا قول عديِّ بن الرِّقاع يصف حمارين وحشيين :

يتــعاوران من الغبار ملاءةً بيضاءَ محكَمةً هـمـا نَسَجاهـا[4]

---

(١) البكرة : أول النهـار وهى ملابسة لـلسحرة التى وعـدته بأنها تأتيـه فيـها ، ويجوز أن يكون مرادُها أنها تبتدىء الذهاب إليه سحرةً وتنتهى إليه بكرة ، والشاهد فى أنها شـبهت نفسـها بالشمس ثم بنت على هذا مـا يلائم المشبه بـه وهو أنها إنما تطلع بكرةً .

(٢) أى باب البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه .

(٣) هما لهمَّام بن غالب المعروف بالفرزدق ، وأحمد الغيثين : أحقهما بالحمد ، وهو خبر (أبى) ، وصـعصعة : بدل أو بيان وهو جـد الفرزدق ، والجوزاء والدلو : برجان فى السمـاء يكثر فيهمـا المطر ، وكان العرب إذا وافق سقوط النـجم مطـراً نسبوه إليه ، وقالوا : سُقينا بالنجم . وإذا أخطأهم المطر قالوا : أخطأنا النجم . والوائدون : اسم فاعل من الوأد وهو ما كـانوا يفعلونه من قتل بناتهم خوف العار أو الفـقر ، وكان صعصعة جـد الفرزدق يشتريهن ويحميهن من الموت ، والمخفـر : اسم فاعل من أخفر بمعنى أزال الخفـارة وهى اسمٌ من خفـره بمعنى منعه وحـماه ، والشاهـد فى قوله « أبى أحمد الغيثين » لأنه يتضمن تشبيهه بالغيث ، وقد بنى على ذلك ما يلائم المشبه به وهو أنه يُمطر إذا أخلفت الجوزاء والدلو .

(٤) قوله « يتعاوران » يتناوبان .

تُطْوَى إذا ورَدا مكاناً مُحزناً   وإذا السـنابك أسهلت نَشَراها[1]

● **المجاز المركب أو التمثيل :**

وأما المجـاز المركب فهو اللفظ المركب المسـتعْمَل فيـما شُبِّه بمعناه الأصلى تشبيه التمثيل[2] للمبالغة فى التشبيه[3] ؛ أى تشبيه إحدى صورتين منتزَعتين من أمرين أو أمورٍ بالأخرى[4] ،ثم تدخل المشبـهة فى جنس المشبـه بها مبالغةً فى التشبيه ، فتُذكر بلفظها من غير تغيير بوجهٍ من الوجوه. كمـا كتب به الوليد بن يزيد[5] – لَمَّا بويع – إلى مروان بن محـمد وقد بلغـه أنـه متـوقف فى البـيعة

(١) قوله « تطوى » بمعنى تلفُّ فتزول عـنهما ، والمكان المحزن : هو الذى تغلظ أرضه فلا يكون فيهـا غبـار ، والسنـابك جمع سنْبك: وهو طرف الحـافر ، وقولـه : « أسهلت » بمعنى وردت المكان السهل . والشاهد فى أنه شـبه الغبار بالملاءة وهى ثوب معروف ، ثم بنى على ذلك ما يلائمها من النسج والطى و النشر .

(٢) هذا يفـيـد أن المجـاز المـركب لا يكون فى المجـاز المرسـل كـمـا يكون فى الاستعـارة ، والحق أنه يكون فى المرسل أيضاً ؛ ومن ذلك استـعمال الخبـر فى الإنشاء وبالعكس ، والعلاقة فيهما الضدِّية أو اللزوم ، كقول الشاعر :

ألا يا اسلمى يا دار مىَّ على البِلَى   ولا زال مُنهَلاً بجرْعائك القطْرُ

وقول الآخر :

ومن ذا الذى تُرضَى سجاياه كُلُّها   كفى المرء نبلاً أنْ تُعَدَّ معايبُه

(٣) يشـير بهـذا إلى اتحـاد الغاية فى المجـاز المفـرد والمركب وهى المبالغـة فى التشبيه ، ولا يقصد به الاحتراز عن شىء .

(٤) إنما فسر التـعريف بهذا لدفع ما يوهمه قـوله فيه – تشبيه التـمثيل – من أن طرفى المجاز المركب قد يكونان مـفردين ؛ لأن تشبيه التـمثيل ما كان وجهـه منتزعاً من متعدد ولو كان طرفاه مفردين ؛ كقول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريَّا لمنْ رأى   كعنْقود مُلاَّحيّة حين نوَّرا

(البيـت قيل لقيـس بن الخطيم ، وقيل لابن قـيس بن الأسلت الأوسى – انظر أسررا البلاغة « ريتر » ص٨٤ ، ٨٥) .

فإذا قيل فـيه على طريق الاستعارة « رأيـت عنقود ملاحية فى السـماء » كان هذا مجازاً مفرداً لا مركباً وإن كان أصلـه تشبيه تمثيل ، ولا وجه عندى للتفريق فى هذا بين التشبيه والاستعارة .

(٥) ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين أن هذا كان مع يزيد بن الوليد ، وهو الظاهر من تاريخ مروان معهما .

له : « أما بعد فإني أراك تقدِّم رِجلاً وتؤخِّر أخرى[1] فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئتَ ، والسلام » شبَّه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارةً يريد الذهاب فيقدِّم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى[2] ، وكما يقال لمن يعمل في غير مَعْمَل : « أراك تنفخ في غير فحم[3] وتَخُطُّ على الماء » والمعنى أنك في فعلك كمن يفعل ذلك . وكما يقال لمن يُعمِل الحيلة حتى يُميل صاحبه إلى ما كان يمتنع منه : « ما زال يفتل منه في الذِّرْوة والغارب حتى بلغ منه ما أراد » والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكّه ، ويفتل الشعر في ذروته وغاربه[4] حتى يسكن ويستأنس . وهذا في المعنى نظير قولهم « فلان يقرِّدُ فلاناً » أي يتلطف به فعْل من ينزع القُراد[5] منْ البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من أخذه . وكذا قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تُقدِّموا بين يدى الله ورسوله ﴾[6] فإنه لما كان التقدم بين يدى الرجل خارجاً عن صفة المتابع له ، صار النهى عن التقدم متعلقاً باليدين ميلاً للنهى عن ترك الاتّباع . وكذا قوله تعالى : ﴿ والأرضُ جميعاً قبْضتهُ يومْ

---

(١) لم يرضوا هنا أن تُجرى هذه العبارة على ظاهرها وهو أنه يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً أخرى ؛ لأنهم فهموا ذلك على أنه يقدِّم رجلاً إلى الأمام ويؤخِّر أخرى إلى الخلف ، وهذا لا يفعله المتردد ، فتقديرها عندهم أنه يقدم رجلاً تارة ويؤخرها تارة أخرى ، وهذا عندى تقدير فاسد لأن المتردد لا يفعله أيضاً ، والحق هو التقدير الأول الذى يفيده ظاهر العبارة ، ولا يراد فيه بتأخير الأخرى إرجاعها إلى الوراء ، وإنما يراد بذلك أنه يؤخرها عن الأولى فلا يقدِّمها معها .

(٢) ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ، وهكذا يقال فى سائر الأمثلة .

(٣) أى تنفخ ناراً فى غير فحم ، وهو بفتح الحاء : الجمر الطافئ .

(٤) الذروة : أعلى السنام ، والغارب : ما بين السنام والعنق ، وقد يطلق على الذروة .

(٥) هو دُويبةٌ كالقمل تتعلق بالبعير ونحوه .

(٦) الحجرات : ١ .

القيامة ﴾[١] إذ المعنى - والله أعلم - أن مَثَل الأرض فى تصرفـها تحت أمر الله تعالى وقدرته مَثَل الشىء يكون فى قبضة الآخذ له منّـــا ، والجامع يـــدَه علـيه . وكـذا قوله تعـالى : ﴿ والسـماواتُ مطْويات بيـمينه ﴾[٢] أى يخلق فيها صفة الطىِّ حتى تُرَى كالكتاب المطْوِىّ بيـمين الواحد منا ، وخصَّ اليمينَ ليكون أعلى وأفخم للمـثل ؛ لأنها أشـرف اليـدين وأقـواهمـا والتى لا غناء للأخرى دونها؛ فلا يهشُّ إنســانٌ لشىء إلا بدأ بيمينـه فهيَّأها لنيله ، ومتى قُصِـد جَعْلُ الشىء فى جـهـة العنـاية جُعل فى اليـد اليمنى ، ومـتى قُصِدَ خلاف ذلك جُعِلَ فى اليسرى ، كما قال ابن ميادة :

أَلمْ تَكُ فى يُمنَى يديك جعلتَنى فلا تجعلْنى بعدها فى شمالكا[٣]

أى كنتُ مكرمًا عندك فلا تجعلنى مهانًا ، وكنت فى المكان الشريف منك فـلا تحطَّنى فى المنزل الوضيع . وكـذا إذا قلتَ للمـخلوق : « الأمر بيـدك » أردتَ المثلَ؛ أى الأمـر كالشىء يحـصل فى يدك فلا يمتنع عليك. وكـذا قوله تعالى : ﴿ ولما سكتَ عنْ موسى الغضبُ ﴾[٤] قال الزمخشرى : كأن الغضب كان يغريه على ما فـعل ويقول له : قُـلْ لقومك كذا وألْقِ الألواح وجُرَّ برأس أخيك إليك ، فتـركَ النطق بذلك وقطع الإغراء[٥]. ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفـصحها كلٌّ ذى طبع سليم وذَوْق صحـيح إلا لذلك ، ولأنه من قبيل شُعَب البلاغة[٦]، وإلا فـما لقـراءة مـعاوية بن قـرَّة ﴿ ولما سكنَ عن مـوسى

---

(١) الزمر - ٦٧ . (٢) الزمر - ٦٧ .

(٣) هو للرمَّاح بن ميادة ، والاستفهام فى قوله « ألم تك » للتقرير ، والشاهد فى تشبيه صورة إكرامه له بصورة من يجـعل الشىء فى يمينه لإكرامـه ، وفى تشبيـه صورة إهانته لـه بصورة من يجعل الشىء فى شـماله لإهانته . (٤) الأعراف : ١٥٤ .

(٥) فشبهت الحالة الناشـئة عن الغضب بالحالة الناشئة عن إغراء مغْو ، واستعـيرت الحالة الثانية للأولى على طريق التمثيل. ويجـوز إجراء الاستعارة فى « سكَت » بتشبيـه سكون الغضب بالسكوت ، أو فى الغضب بتشبيهه بإنسان يسكت ، فتكون تصريحية تبعية أو مكنية .

(٦) يعنى أن حسن هـذه الكلمة إنما أتى من كـونها على طريق التـمثـيل ومن كون التـمثيـل من فروع البلاغـة ؛ لأنه من الاستعارة وهى أبلغ من الحقيقة ، ويعنى بالبلاغة ما يرادف الفصاحة .

الغضبُ ﴾(١) لا تجد النفسُ عندها شيئًا من تلك الهزة ، وطرفًا من تلك الروعة(٢) . وأما قولهم « اعتصمت بحبله » فقال الزمخشرى أيضًا : يجوز أن يكون تمثيلاً لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ، وأن يكونَ الحبلُ استعارةً لعهده، والاعتصامُ لوثوقه بالعهد أو ترشيحًا لاستعارة الحبل بما يناسبه(٣) . وكذا قول الشّماخ :

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجد   تَلَقَّاها عَرابةُ باليمين(٤)

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقِّي واليمين، على حد قولهم : «تلقيته بكلتا اليدين » ولهذا لا تصلح حيث يُقْصَدُ التجوُّز فيها وحدها ؛ فلا يقال «هو عظيم اليمين » بمعنى عظيم القدرة ، ولا « عرفتُ يمينك على هذا » بمعنى : عرفت قدرتك عليه .

ومثله قول الآخر :

هوِّنْ عليك ؛ فإنَّ الأمورَ   بكفِّ الإله مقاديرُها(٥)

وكذا ما روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « إن أحدكم إذا تصدَّق بالتمرة من الطَّيِّب - ولا يقبل الله إلا الطيب - جعل اللهُ ذلك فى كفه فيُرْبيها كما يُربى أحدكم فِلْوَه(٦) حتى يبلغ بالتمرة مثل أُحُد » والمعنى فيهما(٧) على انتزاع الشبه من المجموع .

(١) الأعراف : ١٥٤ .

(٢) فالسبب فى هذا هو خلوها من التمثيل ؛ لأن إسناد السكون إلى الغضب لا تمثيل فيه .

(٣) يعنى أن الاعتصام على أن الحبل استعارةٌ للعهد: إما أن يكون استعارة للوثوق أو ترشيحًا لاستعارة الحبل للعهد ، وكل ذلك من المجاز المفرد لا المركب .

(٤) هو للشماخ بن ضرار يمدح به عرابة الأوسى المذكور فى قوله قبله :

رأيت عرابةَ الأوسيَّ يسمو   إلى الخيرات منقطع القرين

استعيرت هيئة تلقى الشىء باليمين لهيئة اقتداره على نيل المجد .

(٥) هو للأعور الشَّنِّى ، واسمه بشْر بن منْقذ ، والمقادير : جمع مقدار الأمر أى مبلغه ، أو تقديره بخير أو شر . والشاهد فى قوله « بكف الإله مقاديرها » فإنه تمثيل أيضًا .

(٦) الفلو : الجحش والمهر فُطما أو بلغا السَّنة ، وقد استعير فى ذلك وضع الشىء فى الكف وتنميته لإجزال الله الثواب للمتصدق .

(٧) أى فى البيت والحديث .

وكلُّ هذا[١] يسمَّى التمـثيلَ على سبيل الاسـتعارة ، وقد يسمى التـمثيل مطلقًا ، ومـتى فشا اسـتعـماله كـذلك [٢] سُمِّيَ مَثَـلاً . ولـذلك لا تـُغَيَّرُ الأمثال[٣] .

ومما يُبْنَى على التمثيل نحوُ قوله تعالى: ﴿ إنَّ في ذلك لذكـرى لمنْ كان له قلبٌ ﴾[٤] معناه لمن كان له قلب ناظرٌ فيـما ينبغى أن يُنظَر فيه ، واعٍ لما يجب وعْيه ، ولكن عُدِل عن هذه العبارة ونحـوها إلى ما عليه التلاوة[٥] بقصد البناء على التمثيل ليفيد ضرباً من التخييل؛ وذلك أنه لـمَّا كان الإنسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغى أن يُنظر فيه ، ولا يفهم ولا يعى ، جُعل كأنه قد عَدِم القلب جملةً ، كما جُعل مَن لا ينتفع بسمعـه وبصره فلا يفكر فيما يؤدِّيان إليه بمنزلة العادم لهما ، ولزم على هذا ألاَّ يقـال « فلان له قلب » إلا إذا كان ينتفع بقلبه فينظر فيما ينبغى أن ينظر فيه ويعى ما يجب وعيه ، فكان فى قوله تعالى: ﴿ لمن كـان له قلب ﴾ تخيـيلُ أنَّ من لم ينتفـع بقلبه كـالعادم للقلب جـملةً ، بخلاف نحو قولنا « لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغى أن ينظر فيه، واعٍ لما يجب

---

(١) أى ما سبق من أمثلة المجاز المركب .

(٢) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال ، أى فشا اسـتعماله باقيًا على هيئته فى حال مورده من غير تغيير .

(٣) لأنها تستعـمل على سبيل الاستعارة ؛ فيجـب أن يبقى لفظُها على حاله من غير تغيير ، وتُجرَى الاستعارة فيها بأن تُشَبّه صورة مضربها بصورة موردها ، ثم يستعار لفظـها لها ، وعلى هذا يـكون كل مثلٍ استعارةً، ولا عكس ، ومن أمثـالهم « أحشفًا وسوءَ كيلة؟! » يُضرب لمن يُظلم من جهتين ،وتشبه فـيه هيئةُ مَن يُظلَم من جهتين بهيئة رجل اشتـرى من آخر حشـفًا بتطفيفٍ فى الكيل فقـال له « أحشفًا وسـوء كيلة ! » ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

(٤) آية ٣٧ سورة ق .

(٥) بالاقتصار على قوله «لمن كان له قلب » دون وصفه بما ذكر .

وعيه »[١] وفى نَظم الآية فـائدةٌ أخـرى شريفـة وهى تقليل اللفظ مـع تكثيـر المعنى . ونقل الشيخ عبد القاهر[٢]عن بعض المفسرين أنه قال : « المراد بالقلب العقلُ » ، ثم شـدّد عليه النكير فى هذا التـفسير ، وقـال : « وإن كان المرجعُ فيما ذكرناه عند التحصيل إلى ما ذكره ، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبنى على تخييل أن مَن لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعى بمنزلة من عَدِمَ قلبه جملةً[٣] ، كما تقـول فى قول الرجل إذا قـال : « قـد غاب عنى قلبى ، أو لـيس يحضـرنى قلبى». إنه يريد أن يخيِّل إلى السـامع أنه غاب عنه قلبه بجـملته ، دون أن يريد الإخبـار أن عقله لم يكن هناك ، وإن كـان المرجع عند التحـصيل إلى ذلك ، وكذا إذا قال « لم أكن هناك » ، يريد غفلته عن الشىء ، فهو يضع كلامه على التخييل».

هذا معـنى كلام الشيـخ ، وهو حق ؛ لأن المراد بالآية الحث على النظر والتقريع على تركـه ، فإن أراد هذا المفسر بتفسيـره أن المعنى: لمن كان له عقل مطلقًا ، فهو ظاهر الفساد[٤] ، وإن أراد أن المعنى: لمن كـان له عقل ينتـفع به ويُعملهُ فيما خُلق له مـن النظر : فتفسير القلب بالعقل ثم تقيـيد العقل بما قيده عَرِىٌّ عن الفائدة؛ لصـحة وصف القلب بذلك[٥] بدليل قوله تعالى : ﴿ لهمْ قلوبٌ لا يفقهون بها ﴾ [٦] .

واعلم أن المثل السائر لـمَّـا كان فيه غـرابة ، استُعير لفظة المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لهـا شأن وفيها غرابة[٧] . وهو فى القرآن كثير كقوله

---

(١) فهـو لا يفيد فـقد القلب من أصله ولا يخيـله ؛ لأن الفقد فـيه ينصبُّ على القيد دون المقيد وهو القلب .   (٢) ٤٠٩ - أسرار البلاغة، ١٩٨ دلائل الإعجاز .

(٣) فيفيد نفى العقل وآلته فى الجسم وهى القلب الذى هو محل الإدراك فى عرف الناس ، أما حمله على العقل فيفيد نفيه وحده دون آلته ، والأول أبلغ .

(٤) لأن المقصودين بذلك فى الآية ومن على شاكلتـهم كانت لهم عقول ، ومع هذا لم يكن فى ذلك ذكرى لهم .

(٥) والكلام إذا أمكن حمله على ظاهره لم يَجُزِ العدول عنه إلا لفائدة .

(٦) الأعراف - ١٧٩ .

(٧) استعارة لفظ (المثل) لذلك استعارة تصريحية مفردة وليست من التمثيل ،=

تعالى : ﴿مثلهُمْ كـمثل الذى استَوْقد ناراً﴾[1] أى حالهم العجيـبة الشأن كحال الذى اسْتَوْقَد نارًا . وكـقـوله تعـالـى : ﴿ ولله المثلُ الأعلى ﴾[2] أى الوصف الذى له شأنٌ من العظمة والجلالة ، وكـقوله تعالى :﴿ مثلُهم فى التَّوْراة ﴾[3] أى صفتهم وشـأنهم المُتعجَّبُ منه[4] ،وكقوله تعالى :﴿ مـثلُ الجنَّة التى وُعد المتقون ﴾[5] أى فيما قصصنا عليك من العجـائب قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ فى بيان عجائبها[6] ، إلى غير ذلك .

﴿ فصل ﴾

الاستعارة المكنية والتخييلية : قد يُضْمَر التـشبـيه فى النفس فـلا يُصرَّح بشىء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويُدَلُّ عليه[7] بأنْ يُثْبَتَ للمشبه أمرٌ مختصٌ بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمرٌ ثابت حِسّاً أو عقلاً أُجْرِىَ عليه اسمُ ذلك

= وقد توجد مع هذا ضمن تمثيل كما فى الآية الأولى ، وإنما ذكر هنا استعارة لفظ المثل لمناسبة الكلام على استعارته فيـما سبق ، على أنه مع هذا لم يخرج عن كونه كلامًا فى الاستعارة .

(١) البقرة - ١٧ . (٢) النحل : ٦٠ .

(٣) سورة الفتح - ٢٩ .

(٤) هو ما بيَّنه بقـوله ﴿ كزرْع أخْرج شطأهُ فآزرهُ فـاستغْلظ فاسْتـوى على سُوقه يعْجب الزُّرَّاع ليغيظ بهم الكفَّار ﴾ الآية .

(٥) سورة محمد ﷺ آية ١٥ .

(٦) أى فى قوله بعد هذا ﴿ فيها أنْهارٌ منْ مـاء غيْر آسن وأنْهارٌ منْ لبن لم يتغير طعـمـه ﴾ الآية . هـذا وكل كـلام الخطيـب فى هـذا الفـصل يدور على الاسـتـعـارة التصريحية ، أما الاستعارة المكنية والتخييلية فسيذكرهما فى الفصل الآتى ، ولا شك أنَّ ما مضى من الأقسام والأحكام لا يختصُّ كلُّه بالاستعـارة التصريحية ؛ ولهذا جعل غيره تلك الأقسام للاستعارة من غير تقييد بتصريحية أو غيرها .

(٧) أى على ذلك التشبـيه المضمر فى النفس ، ويمتاز هذا التـشبيه على التشـبيه الاصطلاحى بما تمتاز به الاستعارة من المبالغة فى التشبيه .

الأمر[1] فيسمى التشبيهُ استعارةً بالكناية، أو مكنيًا منها ، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارةً تخييلية [2] . والعَلَم[3] فى ذلك قول لبيد :

وغَداةَ ريحٍ قد كشفتُ وقِرَّة إذ أصبحتْ بيدِ الشمال زمامُها[4]

فإنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حسًا أو عقلا تجرى اليد عليه؛ كإجراء الأسد على الرجل الشجاع ، والصراط على ملة الإسلام فيما سبق[5] ،ولكن لمَّا شَبَّه الشمالَ لتصريفها القرَّة - على حكم

---

(١) يعنى بهذا ألاَّ يكون فى المشبه أمرٌ حسى أو عقلى يُطْلَق عليه اسم الأمر المختص بالمشبه به ، وهذا على مذهبه فى أن قرينة المكنية لا تكون إلا تخييلية ، وسيأتى بيان الخلاف فى ذلك .

(٢) على هذا تكون الاستعارتان عنده أمرين معنويين غير داخلين فى تعريف المجاز ، وقد أفردهما فى هذا الفصل ليستوفى المعانى التى يُطْلَق عليها اسم الاستعارة بطريق الاشتراك اللفظى ، والمذاهب فى الاستعارتين ثلاثة : مذهب الخطيب ، السابق ، ومذهب القدماء ؛ وهو أن المكنية هى اسم المشبه به المستعار فى النفس للمشبه ، وأن التخييلية هى إثبات لازم المشبه به للمشبه ، ومذهب السكاكى؛ وهو أن المكنية هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادّعاء ، وأن التخييلية هى اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أُثبتتْ للمشبه . والمكنية على مذهب القدماء والسكاكى داخلة فى المجاز اللغوى ، وكذلك التخييلية على مذهب السكاكى ، وقد قيل : إن التخييلية على مذهب القدماء والخطيب داخلة فى المجاز العقلى ، ولا يخفَى أن هذا إنما يصح عند الخطيب إذا كان لازمُ المشبه به فعلاً أو ما فى معناه ، كقولك « نطقت الحال بكذا » بخلاف نحو « أنشبت المنية أظفارها بفلان » . على أنه قد سبق أن المجاز العقلى لا يقوم على أساس التشبيه ، والتخييلية عند القدماء والخطيب تقوم على أساسه ؛ لأنها إثباتُ لازمِ المشبه به للمشبه ، فلا توجد إلا ومعها تشبيه قطعًا . وإنى أرى أن هذا الخلاف قليل الثمرة ؛ لأن الأمر فيه يرجع إلى توجيه الاستعارتين فقط ، وكلها توجيهات محتملة.

(٣) أى المثال المشهور شهرة العلم .

(٤) هو للبيد بن ربيعة العامرى . والواو فى قوله « وغداة » واو رُبَّ ، والقرة : البرد ، والشمال : أبرد الرياح ، يفتخر بأنه يمنع عادية البرد عن الناس بإطعامهم وإيقاد النار لهم ؛ لأن ذلك وقت الجدب عندهم .

(٥) فى الاستعارة التحقيقية وهى التصريحية .

طبيعتها فى التصريف - بالإنسان المصرِّف لما زمامُه بيده؛ أثبت لها يدًا على سبيل التخييل مبالغةً فى تشبيهها به ، وحُكمُ الزمام فى استعارته للقرة[1] حُكم اليد فى استعارتها للشمال ، فجعل للقرة زمامًا ليكون أتمَّ فى إثباتها مصرِّفة ، كما جعل للشمال يدًا ليكون أبلغ فى إثباتها مصرِّفة ، فوفَّى المبالغة حقَّها من الطرفين؛ فالضمير فى « أصبحت وزمامها » للقرة ، وهو قول الزمخشرى ، والشيخ عبد القاهر جعله للغداة [2] . والأول أظهر .

واعلم أن الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه، منه ما لا يكمل وجهُ الشبه فى المشبه به بدونه ، كما فى قول أبى ذؤيْبٍ الهذلىِّ :

وإذا المنيَّةُ أنْشبتْ أظْفارَها ألفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنْفَعُ [3]

فإنه شبه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفَّاعٍ وضرَّار ولا رقَّةٍ لمرحومٍ ، ولا بُقْيا على ذى فضيلة ، فأثبت للمنية الأظفار التى لا يكمل ذلك فى السبع بدونها ؛ تحقيقًا للمبالغة فى التشبيه [4] .

ومنه ما به يكون قوامُ وجه الشبه فى المشبه به ، كما فى قول الآخر :

ولئن نطقتُ بشكر بِرِّك مُفْصِحاً فلسانُ حالى بالشكايَةِ أنطَقُ [5]

---

(١) أى بعد تشبيهها بالمطيَّة وحذف المشبه به؛ ففى هذا استعارة مكنية وتخييلية أيضًا . (٢) ٥٢ - أسرار البلاغة .

(٣) المنية : الموت ، وقوله « أنشبت » بمعنى علقت ، وقوله « ألفيت » بمعنى وجدت ، والتميمة : خرزةٌ يجعلونها معاذةً من العين والجن ، وأبو ذؤيب : هو خويلد بن خالد .

(٤) إنما كانت الأظفار مكملة لذلك لأنه يمكن حصوله بالأنياب ونحوها .

(٥) هو لمحمد بن عبد الله العتبى ، والبر : المعروف ، وقوله « فلسان حالى الخ » قائم مقام جواب الشرط ، وتقديره : فإن لسان مقالى لا يكون أقوى من لسان حالى ، وهذا لأن ضره أكثر من بره . وقبل البيت:

لاَ تَحسَبَنَّ بَشاشتى لك عن رضا فوحق فضلك إننى أتملقُ

فإنه شبه الحالَ الدالة على المقصود بإنسان متكلم فى الدلالة؛ فأثبت لها اللسان الذى به قوام الدلالة فى الإنسان (١) .

وأما قول زهير :

صحا القلبُ عن سَلْمَى وأقْصَرَ باطِلُهْ وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبا ورواحلُهْ(٢)

فيحتمل أن يكون استعارةً تخييلية وأن يكون استعارة تحقيقية ؛ أما التخييل فأن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أوانَ المحبة من الجهل والغيِّ ، وأعرض عن معاودته؛ فتعطلت آلاتُه كـأيِّ أمرٍ وطَّنْتَ النفسَ على تركه؛ فإنه تُهْمل آلاتهُ فتتعطل ، فـشبَّه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأُهْمِلَتْ آلاتها فتعطلتْ (٣) ، فأثبت له الأفراس والرواحل (٤) ؛ فالصبا على هذا من الصَّبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوَّة لا بمعنى الفتاء (٥). وأما التحقيق فأن يكون أراد بالأفراس والرواحل دواعى النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها فى استيفاء اللذات ، أو الأسباب التى قلَّما تتآخذ فى اتباع الغيِّ إلا أوان الصبا(٦) .

---

(١) يجوز أن يكون قوله « لسان حالى » من إضافة المشبه به إلى المشبه ، فيكون تشبيهًا لا استعارة .

(٢) هو لزهير بن أبى سلمى ، وقوله « صحا » هو فى الأصل بمعنى الإفاقة من سكرٍ ونحوه ، وهو مستعار هنا للسلوّ وزوال العشق ، وقوله « أقصر » بمعنى امتنع عن قدرةٍ . وفى العبارة قلبٌ والأصل : وأقصر عن باطله ، ويجوز أن يكون معناه مطلق الامتناع فلا يكون فى العبارة قلب . والرواحل : جمع راحلة وهى القويُّ من الإبل على الأحمال والأسفار .

(٣) هذا التشبيه استعارة مكنية . (٤) إثبات ذلك له استعارة تخييلية .

(٥) المراد بالفتوة : استيفاء اللذات ، وبالفتاء : زمن الشباب .

(٦) هذه الأسباب كالمال والأعوان ، والتحقيق على إرادتها حسى ، وعلى إرادة دواعى النفوس عقلى ، والاستعارة عليهما تحقيقية تصريحية ، والصبا فيهما من الصباء بمعنى الفتاء لا من الصبوة ؛ لأنها هى الدواعى المرادة من الأفراس ، فلا تصح إضافته إليها ، وعلى هذا لا يكون فى ذلك استعارة مكنية ولا تخييلية؛ لأنهما متلازمتان عند الخطيب ، وقد جوَّز الزمخشرى أن تكون قرينة المكنية استعارة =

﴿ فصل ﴾

اعتراضات على السكاكى :

اعلم أن كلام السكاكى فى هذا الباب - أعنى باب الحقيقة والمجاز والفصل الذى يليه - مخالف لمواضع مما ذكرنا ؛ فلا بدَّ من التعرض لها ولبيان ما فيها .

اعتراض عليه فى تعريف الحقيقة والمجاز : منها أنه عَرَّف الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هى موضوعة له من غير تأويل فى الوضع[1] وقال : إنما ذكرتُ هذا القيد يعنى قوله « من غير تأويل فى الوضع » ليُحترز به عن الاستعارة؛ ففى الاستعارة تُعَدُّ الكلمة مستعملة فيما هى موضوعة له على أصحّ القولين[2] ، ولا نسميها حقيقةً بل نسميها مجازاً لغويًا ؛ لبناء دعوى المستعار موضوعًا للمستعار له على ضَرْبٍ من التأويل كما مرّ[3] .

ثم عرَّف المجازَ اللغوى بالكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعة له

= تحقيقية ، كما فى قوله تعالى : ﴿ الذين ينْقضون عهْد الله ﴾ ى ٢٧ - س البقرة - فقد شبه العهد بالحبل على طريق الاستعارة المكنية ، ثم استعير النقض وهو قرينتها لإبطال العهد على طريق الاستعارة التحقيقية التصريحية ، وعلى هذا يصح اجتماع المكنية والتصريحية فى (أفراس الصبا) .

هذا ولا يفوتنى فى هذا الفصل أن أشير إلى أن عبد القاهر فى شرح بيت لبيد : « وغداة ريح . . . البيت » لم يذكر إلا أن إثبات اليد للشمال تخييل ، ولم يتعرض بعده لاستعارة بالكناية ولا غيرها ، وإنى أرى أن تقدير التخييل فى ذلك ونحوه يغنى عن تقدير الاستعارة المكنية .

(١) ١٩١ - المفتاح .

(٢) هو القول بأنها مجاز لغوى ، فيجب عليه الاحتراز عنها لكونها مستعملة فى غير معناها الحقيقى . وأما على القول بأنها مجاز عقلى فلفظها يكون مستعملاً فى معناه الحقيقى ؛ فلا يصح الاحتراز عنها ، وعلى هذا يكون قوله « على أصح القولين » متعلقًا بقوله « ليحترز » أو باستعارة ، وكان الأوْلى ذكره بعدهما كما جاء فى التلخيص .

(٣) يريد بالتأويل دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به .

بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها [1] مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع[2] وقال : قولي « بالتحقيق » احترازٌ عن ألاَّ تخرج الاستعارة[3] التي هي من باب المجاز نظراً إلى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له على ما مَرَّ . وقوله « استعمالًا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها » بمنزلة قولنا في تعريف المجاز« في اصطلاح به التخاطب » على ما مر ، وقوله « مع قرينة الخ » احتراز عن الكناية كما تقدم .

وفيهما نظر ؛ لأن لفظ الوضع وما يشْتَقُّ منه إذا أطْلِقَ لا يُفْهمُ منه الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق؛ لما سبق من تفسير الوضع ، فلا حاجة إلى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفي تعريف المجاز بالتحقيق ، اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تتميم الحدِّ ، ثم تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه إذا كان لا بدَّ منه في تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ « الصلاة » إذا استعملها المُخاطِبُ بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة أيضًا ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق ، وقد أهمله في تعريفها . لا يقال : قوله في تعريفها: « من غير تأويل في الوضع » أغنى عن هذا القيد ؛ فإن استعمال اللفظ فيما وُضع له في غير اصطلاح التخاطب إنما يكون بتأويلٍ في وضعه ؛ لأن التأويل[4] في الوضع يكون في الاستعارة على أحد القولين[5] دون سائر

---

(١) فإذا كانت الحقيقة لغوية تكون الكلمة مستعملة في غير معناها اللغوى ، فتكون مجازاً لغويًا ، وإذا كانت شرعية تكون الكلمةُ مستعملةً في غير معناها الشرعى فتكون مجازاً شرعيًا ، وهكذا . (٢) ١٩٢ - المفتاح .

(٣) هذه العبارة فاسدة ؛ لأن الاحتراز بذلك عن خروج الاستعارة لا عن عدم خروجها؛ فقوله « بالتحقيق » قيد للإدخال لا للإخراج.، ويجوز تقدير اللام أى لئلا تخرج فتصحّ العبارة .

(٤) تعليل للنفى فى قوله « لا يقال الخ » .

(٥) هو القول بأنها مجاز لغوى ، والتأويل عليه بمعنى دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به .

أقسام المجاز[1] ، ولذلك قال : « وإنما ذكرت هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة » . ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم[2] .

الاعتراض عليه فى جعل التمثيل من المجاز المفرد : ومنها أنه قسَّمَ المجاز إلى الاستعارة وغيرها[3] وعرَّف الاستعارة بأن تذكُرَ أحد طرفى التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدَّعيًا دخول المشبه فى جنس المشبه به[4] ، وقسَّم الاستعارة إلى المُصرَّح بها والمكْنىِّ عنها ، وعنَى بالمصرح بها أن يكون المذكور من طرفى التشبيه هو المشبه به[5] وجعلها ثلاثة أضرب : تحقيقية ، وتخييلية ، ومحتملة للتحقيق والتخييل[6] » . وفسَّر التحقيقية بما مَرَّ[7] وعَدَّ التمثيل على سبيل الاستعارة منها . **وفيه نظر** ؛ لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركبًا كما سبق ، فكيف يكون قسمًا من المجاز المفرد ؟ ! ولو لم يقيِّد الاستعارةَ بالإفراد وعرَّفها بالمجاز الذى أريد به ما شُبِّهَ بمعناه الأصلى مبالغةً فى التشبيه دخل كلٌّ من التحقيقية والتمثيل فى تعريف الاستعارة[8] .

الاعتراض عليه فى تعريف التخييلية : ومنها أنه فسَّر التخييلية بما استُعْمِلَ فى صورة وهمية مَحضة قدِّرتْ مُشابهةً لصورة محقَّقة هى معناه ؛ كلفظ الأظفار فى قول الهُذلِى[9] ؛ فإنه لَمَّا شبه المنيَّة بالسبع فى الاغتيال على

---

(١) فالذى يخرج به عن تعريف الحقيقة هو الاستعارة دون غيرها من أقسام المجاز فلا بدَّ حينئذ من ذلك القيد معه .

(٢) لأنه لم يذكر فيه قيدَ « على وجه يصح » وهو الذى يخرج به الغلط كما سبق فى تعريف الخطيب للمجاز .

(٣) ١٩٤ - المفتاح . (٤) ١٩٦ - المفتاح .

(٥) ١٩٨ - المفتاح .

(٦) يعنى بالمحتملة للتحقيق والتخييل نحو ما سبق من بيت زهير فى ص١٣٥ .

(٧) فى ص ٩٠ .

(٨) أى ولم يعترض عليه بذلك ، وقد أجيب عن ذلك الاعتراض بأن القسْم قد يكون أعم من مقسَّمه ، كما فى تقسيم الأبيض إلى حيوان وغيره .

(٩) قد سبق فى ص ١٣٤ .

مـا تقدم ، أخذ الوهمُ فى تصويرها بصورته واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها من الهـيئات والجوارح ، وعلى الخـصوص ما يكون قوامُ اغـتياله للنفوس به · فاخـترع للمنية صورةً مـشابهة لصورة الأظفار المحـقَّقة ، فأطلق عليها اسمها[1] · **وفيه نظر** ؛ لأن تفسير التـخييلية بما ذكره بعيـد؛ لما فيه من التعسف[2] ، وأيضًا فظاهر تفـسير غـيره لهـا بقولهمْ : « جـعل الشىء للشىء كجعل لبيد[3] للشمال يدًا » يـخالفه لاقتضـاء تفسيره أن يجْعلُ للشـمال صورة متوهَّمَةً مـثل صورة اليد لا أن يجعل لهـا يداً ؛ فإطلاق اسم اليد على تفـسيره استعارة ، وعلى تفسير غيره حقيـقة ، والاستعارة إثباتها للشمال ، كما قلنا فى المجاز العقلى الذى فيه المسندُ حقيقةٌ لغوية[4] وأيضًا فيلزمه أن يقول بمثل ذلك - أعنى بإثبات صورة مـتوهمة - فى ترشيح الاسـتعارة[5]؛ لأن كل واحـد من التخييلية والترشيح فيه إثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه ، غير أن التعبير عن المشبه فى التخيـيلية بلفظه الموضوع له، وفى الترشيح بغير لفظه[6]، وهذا لا يفـيد فـرقًا ، والقـول بهـذا يقتـضى أن يكون التـرشـيح ضـربًا من التخييلية ، وليس كذلك[7]· وأيضًا فتفـسيره للتخييـلية أعم من أن تكون تابعة

(١) ٢٠٠ - المفتاح ·

(٢) باشتـماله على تلك الاعـتبـارات الكثيـرة من تقدير الصـورة الخيالـية ، ثم تشبيهها بالمحققة ، ثم استـعارة لفظها لها ، وهى اعتبارات لا دليل فى الكلام عليها ولا تدعو حاجةٌ إليها ·

(٣) انظر ص ١٣٣ ·　　　　(٤) نحو « أنبت الربيع البقل » ·

(٥) كما فى قـولك « رأيت أسدًا يحارب له لبـد » فهو يعنى ترشيح الاسـتعارة التصريحية ·

(٦) هو لفظ المشبه به كما هو شأن الاستعارة التصريحية ·

(٧) لأن التخييل خاص بالمكنية ، والترشيح خاص بالتصريحية والمجاز المرسل ، ويمكن أن يجاب عن هذا بأن الترشيح للمـبالغة فى الاستعارة والتخيـيل لحصولها ، ولا شك أن ما يقوِّى الشىءَ الحاصل يجدر به أن يسمَّى ترشيحًا ، وأنَّ ما لا تُعْلَم الاستعارة إلا به يجدر به أن يسمى استعـارة · وقد قيل : إن الترشيح يأتى فى المكنيـة أيضًا ، =

للاستعارة بالكناية كما فى بيت الهُذلىِّ [1] أو غير تابعة بأن يُتـخيَّل ابتداءً صورةٌ وهمية مشابهة لصورة محققة فيسـتعار لها اسم الصورة المحققة ، والثانية بعيدة جدًا ، ويدل على إرادته دخولَ الثـانية فى تفسير التخيـيلية أنه قال[2] : حُسْنُها بحسب حُسْنِ المكنِىِّ عنها متى كانت تابعة لها ، كما فى قولك « فلان بين أنياب المنـــية ومخالبها » وقلَّما تحسن الحسنَ البليغ غير تابعة لها ، ولذلك استُهجنت فى قول الطائى :

لا تسْـــــقِنى ماءَ الملامِ فإننى صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائى [3]

فإن قـيل : لِمَ لا يجوز أن يريد بغـير التابعـة للمكنى عنها التـابعةَ لغـير المكنى عنها ؟ قلنا : غير المكنى عنها هى المصرَّح بهـا؛ فتكون التابعة لها ترشيحَ الاستـعارة ، وهو من أحسن وجـوه البلاغة ، فكيف يصح استـهجـانه ؟ وأما قـول أبى تمام فليس له فـيه دليل ؛ لجـواز أن يكون أبو تمام شـبَّه الملام بظرْف الشراب لاشـتماله على مـا يكرهه الملوم ، كمـا أن الظرف قد يشتـمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته ، فتكـون التخييلية فى قوله تابعةً للمكـــنى عنها ، أو بالماء نفـسه[4] لأن اللوم قد يُسكِّنَ حـرارة الغرام كـما أن الماء يسكن

= كـقـولك : « أظفار المنية نشبت بفلان فافترسته » فالافتراس ترشيح فى هذه الاستعارة وهى مكنية لا تصريحية .

(١) قد سبق فى ص ١٣٤ .

(٢) ٢٠٦ - المفتاح .

(٣) هو لأبى تمام ، والملام : اللوم والعتـاب ، والصب : العـاشق وذو الولع الشديد . وقوله « استعذبت » من استعذب الشىء بمعنى وجده عذبًا ، والشاهد فى قولـه « ماء الملام » لأنه تخييلية غير تابعة للمـكنية ، وسيوجهه الخطيب بعدُ . وقد حكى أن رجلًا جـاء أبا تمام بقصعـة وقال : أعـطنى قليلًا من ماء المـلام . فقـال أبو تمام : لا أعطيكه حـتى تأتينى بريشـة من جناح الذل . فأفـحم الرجل . والحق أنه ليس جـعل الجناح للذل كجعل الماء للملام ؛ لأن الطائر إذا وهن بسطَ جناحـه وخفضه وألقى نفسه على الأرض ، وبهذا حسن جعلُ الجناح للذل لما بينهما من المناسبة .

(٤) معطوف على قوله : بظرف الشراب .

غليلَ الأُوام ، فيكون تشبيهًا على حـد « لُجَيْن الماء » فيما مرَّ [١] لا استعارةً . والاستهجان على الوجهين[٢] لأنه كان ينبغى له أن يشـبهه بظرف شراب مكروه أو بشراب مكروه[٣] ، ولهذا لم يسْتهجنْ نحو قولهم : أغلظت لفلان القول ، وجرَّعته منه كأسًا مُرًّةً ، أو سقيته أمرَّ من العلْقم[٤] .

الاعتراض عليه فى تعريف المكنية : ومنها أنه عنى بالاستعارة المكنىِّ عنها أن يكون المذكور من طرفَى التشبـيه هو المشبه[٥] على أن المراد بالمنيَّة فى قـول الهُذلىِّ [٦] السَّبعُ بادِّعـاء السَّبُعية لـها وإنكار أن تكون شـيئًا غيـر السبع بقـرينة إضافَة الأظفار إليها[٧] . **وفيه نظر** ؛ للقطع بأن المراد بالمنـية فى البـيت هو الموت لا الحيوان المفترس ، فـهو مستعمل فيما هو مـوضوع له على التحقيق ، وكذا كل ما هو نحـوه ، ولا شىء من الاستعارات مـستعملاً كـذلك ، وأما ما ذكره فى تفسير قـوله : « مِن أنّا ندَّعى ههنا أن اسم المنية اسمٌ للسبع ، مرادفٌ للفظ السبع بارتكاب تأويل ، وهـو أن ندخل المنية فى جنس السبع للمبالغة فى التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخييل إلى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين،فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التـصريح[٨] بلفظ المنيـة»فلا يفيـده؛لأن ذلك لا يقتـضى كون اسم

---

(١) انظر ص ٦٧ .

(٢) يعنى أن قول أبى تمام مستـهجن على هذين الوجهين أيضًا ؛ وهما أن يكون تخييلية تابعة للمكنية ، وأن يكون تشبيهًا لا استعارة .

(٣) أى لا بظرف شـراب مطلقًا ، كـما فى الوجـه الأول ، ولا بالماء كـمـا فى الوجه الثـانى ؛ لأن الملام مكروه فيجب فى استـعارة شىء له أو تشبـيـهه به أن يكـون مكروهًا ؛ لوجوب المناسبة بين الطرفين فى الاستعارة والتشبيه .

(٤) لأنه شبه فيه القول المكروه بظرف شراب مكروه أو بمشروب مكروه .

(٥) فى هذه العبارة تساهل ؛ لأن المكنية عند السكاكى هى لفظ المشبه لا كونه هو المذكور من طرفى التشبيه .

(٦) قد سبق فى ص ١٣٤ . (٧) ٢٠١ – المفتاح .

(٨) يعنى أن التـصريح بلفظها ينافـى دعوى دخولهـا فى جنـس السـبع ؛ لأن الذى يناسبـه عدم التـصريح بها وإطلاق لفظ السـبع عليهـا ، ولكن بعد تخـييل تلك المرادفة تزول تلك المنافاة لأن لفظ المنية يصير كلفظ السبع .

المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل ، فيدخل فى تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز[1] وكأنه - لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه[2] وعلى أحد نوعى المجاز اللغوى الذى هو اللفظ المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلى[3] ويقولون : الاستعارة تنافى ذكر طرفى التشبيه - ظن أن مرادهم بلفظ «الاستعارة» عند الإطلاق وفى قولهم «استعارة بالكناية» معنى واحد[4] ، فبنى على ذلك ما تقدم[5] .

الاعتراض عليه فى رد التبعية إلى المكنية : ومنها أنه قال فى آخر فصل الاستعارة التَّبعيَّة : « هذا ما أمكن من تلخيص كلام الأصحاب فى هذا الفصل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا فجعلوا - فى قولهم « نطقت الحال بكذا » - الحال التى ذكرُها عندهم قرينةُ الاستعارة بالتصريح [6] استعارةً بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة فى التشبيه على مُقتضى المقام ، وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة ، كما تراهم فى قوله :

وإذا المَنِيَّةُ أنشبتْ أظفارَها[7]

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ، ويجعلون إثبات الأظفار لها قرينةَ الاستعارة . وهكذا لو جعلوا البخل[8] استعارةً بالكناية عن حَيٍّ أُبطلتْ حياته بسيف أو غير سيف فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل إليه قرينة

---

(١) لأن ادعاء السبعية لها لا يخرجها عن حقيقتها كما هو شأن الادعاء فى كل شىء، وحينئذ يكون لفظها لا يزال مستعملا فى حقيقته مع ذلك الادّعاء .

(٢) هو الاستعارة المكنية . (٣) هو الاستعارة التصريحية .

(٤) هو اللفظ المستعمل فى غير معناه الأصلى لعلاقة التشبيه .

(٥) من تعريفه الاستعارة بالكناية بأنها لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به بادعاء دخوله فيه .

(٦) هى الاستعارة التصريحية التبعية فى - نطقت .

(٧) قد سبق هذا البيت فى ص ١٣٤ . (٨) أى فى البيت السابق فى ص١١٨

الاستـعارة ، ولو جـعلوا أيضًا اللَّهـذَمِيَّات[١] استـعارة بالكناية عن المطعـومات اللطيفـة الشهيـة على سبيل التـهكم ، وجعلوا نسبـة لفظ (القرَى) إليهـا قرينة الاستعارة - لكان أقرب إلى الضبط[٢]. هذا لفظه[٣]، **وفيه نظر** ؛ لأن التبعية التى جعلهـا قرينة لقـرينتها التى جـعلها اسـتعارة بالكناية ، كنطـقت فى قولنا : «نطقت الحال بكذا » لا يجوز أن يقدّرها حقيقـةً حينئذ ؛ لأنه لو قدَّرها حقيقةً لم تكن استعارة تخـييلية؛ لأن الاسـتعارة التخـييلية عنده مـجـاز كما مرَّ، ولو لم تكن تخييلية لم تـكن الاستعـارة بالكـــناية مستلزمة للتـخييلية ، واللازم باطل بالاتفاق[٤] ؛ فيتـعين أن يقدّرها مجازاً ، وإذا قـــدرها مـجازاً لزمه أن يقدرها من قبيل الاستعارة لكون العلاقة بين المعنيين هى المشابهة ، فلا يكون ما ذهب إليه مغنيًا عن قسـمة الاستـعارة إلى أصلـــية وتبعيـة ، ولكن يستفاد مما ذكر ردُّ التركيب فى التبعية[٥] إلى تركيب الاستعـارة بالكناية على ما فسرناها[٦] وتصير الـتبعية حـقيـــقةً واستـعـارة تخييلية ؛ لما سـبق أن التخييليـة على ما فسرناها[٧] حقيقةٌ لا مجاز .

---

(١) أى فى البيت السابق فى ص ١١٩ .

(٢) يعنى بالضبط أن تكون أقسام الاستعارة قليلة غير منتشرة .

(٣) ٢٠٤ - المفتاح .

(٤) دعوى الاتفاق فى هذا غـير صحيحـة ؛ لأن الزمخشرى كمـا سبق يجوِّز أن تكون قرينة المكنية استعارة تحقـيقية ، والسكاكى أيضًا لم يرد عنه نص قاطع فى استلزام المكنية للتخييلية ، بل اضطرب فى هذا كلامه هنا وفى المجاز العقلى .

(٥) يعنى بالتبعية: التصريحية التبعية فى نحو (نطقت) من قولهم « نطقت الحال بكذا »، ويعنى بالتركيب فـيها: تركيبها مع قرينـتها وهى الحال ، ويعنى بِرَدِّ ذلك إلى تركيب الاستعارة بالكناية: أن يُجعل استعارة بالكناية وقرينةً لها .

(٦) من أنها التشبيه المضمر فى النفس .

(٧) من أنها إثباتُ لازمِ المشـبه به للمشبه ، ومراده من كل هذا على تـعقيده أن السكاكى لو كان يرى فى المكنية والتخييلية مـا يراه الخطيب لأمكنه ردَّ التبعية إليهما ولم يَرِدْ عليه ذلك الاعتـراض ؛ لأن التخييليـة على قول الخطيب حقيـقةٌ لا مجـاز ، ولكن يبقى أن رد التبعية إلى المكنية إنما يكمن فيما قرينتها لفظية لا حالية كما فى قوله تعالى: ﴿ لعلكم تتقون ﴾ آية ٢١ سورة البقرة .

فصـــــل

شروط حسن الاستعارة : وإذْ قد عرفتَ معنى الاستعـارة التحقيقية والاستعارة التخـييلية ، والاستعارة بالكناية ، والتمثيل على سـبيل الاستعارة ، فاعلم أنَّ لحسنهـا شـروطاً إن لـم تصادفها عـريتْ عن الحسن ، وربما تكتسب قبحًا. وهى **فى كل من التحقيقية والتمثيل**(١): رعايةُ ما سبق ذكره من جهات حُسن التشبيه(٢)، وألاَّ يُشمَّ من جـهـة اللفظ رائحته(٣)، ولذلـك يُوصَّى فيه أن يكون الشبـه بين طرفيهـا جليّا بنفسه أو عُرْفٍ أو غيره(٤) وإلا صـار تعمـيةً وإلغازًا

---

(١) يريد بالتحقيقية: الاستعارة التـصريحية ، وبالتمثيل : المجاز المركب على ما سبـق له .

(٢) هو أن يكون وجه الشبه ظاهر الشمـول للطرفين وافيًا بإفادة ما علق عليه من الغرض ونحـو ذلك ، وإنما اعتبـر فى ذلك ظهور الشـمول لأن أصله شرط فى صـحة التشبيه لا فى حسنه ، ومن الاستعارة القبيحة لفقد ذلك الشرط قول الشاعر :

وذات هدْمٍ عارٍ نواشرُها   تُصْمت بالماء تولْبا جدعا

سمَّى الصبىَّ تولبـاً وهو ولد الحمار ، فهى استـعارة بعيدة فاحشـة وجدعًا: سيئ الغذاء .

(٣) هذا يكون بذكـر المشبـه على وجـه لا ينبىء عن التـشبـيه ، فـلا تبطل به الاستعارة ولكنها تكون قبيحة ، كما فى قول الشاعر :

لا تعجبوا من بِلى غِلالته   قد زرَّ أزْرارهُ على القمر

فإنه ذكر فيه ضمير المشبه وهو المحبوب على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، وإنما قيد شم ذلك بأن يكون من جـهـة اللفظ لأن الاستـعـارة يشم منهـا ذلك فى المعنى قطعًا، ويجب أن يراعى فى الاستعـارة مناسبتها لحال الزمان والمكـان ، ولهذا يقول العرب إذا فسد ما بين الصـديقين: « يبس الثرى ما بين الصديقين » ويقول غيـرهم: « جمد الثلج بين الصديقين» فيراعى كل منهما حال مكانهما .

(٤) جلاؤه بنفسه كما فى تشبيه القدِّ بالغصن فى الاعتدال ؛ لأنه يدرك بالحس ، وجلاؤه بالعرف كما فـى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ؛ لأن الأسد مـعروف بالشجاعة وإنما كان هذا الشرط متـرتبا على ما قبله لأنه إذا لم تشم رائحة التشبـيه من جهة اللفظ كان فى ذلك نوع خفـاء فيـه ، فلا يصح أن يضـم إليـه خفاء وجه الشبـه ، ولـكن=

لا استعارة وتمثيلا ، كما إذا قيل « رأيت أسدًا » وأريدَ إنسانٌ أبخر ، وكما إذا قيل « رأيت إبلاً مائة لا تجد فيها راحلة » وأريد الناس[١] ، أو قيل « رأيت عودًا مستقيمًا أوان الغرس » وأريد إنسان مؤدبٌ فى صباه ، وبهذا ظهر أنهما لا يجيئان فى كل ما يجىء فيه التشبيه .

ومما يتصل بهذا[٢] أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كأنه الأصل لم يَحْسُن التشبيه وتعينت الاستعارة[٣]، وذلك كالنور إذا شُبِّه العلْمُ به، والظلمة إذا شُبِهتْ الشُّبهةُ بها، فإنه لذلك يقول الرجل إذا فَهم المسألة : «حصل فى قلبى نور» ولا يقول «كأن نورًا حصل فى قلبى»[٤] ويقول لمن أوقعه فى شبهة :«أوقعتنى فى ظلمة» ولا يقول « كأنك أوقعتنى فى ظلمة» .

وكذا المكنىُّ عنها حسنها برعاية جهات حسن التشبيه[٥] وأما التخييلية فحسنُها بحسب حسن المكنى عنها ، لما بيَّنا أنها لا تكون إلا تابعة لها .

= استحسان جلاء الشبه يجب أن يكون بحيث لا يصير به إلى حد الابتذال ، لما سبق من تفضيل الشبه الغريب على المبتذَل .

(١) هذا المثال مأخوذ من حديث سبق فى ص ٥٨ ، ولكن الخفاء فيه من جهة عدم ذكر القرينة لا من جهة خفاء الشبه .

(٢) أى المذكور من أنه إذا خفى الشبه لم تحسن الاستعارة ، والاتصال بينهما على وجه التقابل ، وقيل أيضًا : إن هذا كالاستثناء من الشرط الأول لعدم حسن التشبيه فيما سيذكره مع حسن الاستعارة فيه .

(٣) يعنى بتعينها استحسانها؛ لأن التشبيه يجوز فى هذا مع حسن الاستعارة فيه .

(٤) مثل هذا قد يقبل ، وإنما الذى لا يقبل أن يقال « حصل فى قلبى علم كالنور» وكذا ما بعده .

(٥) مما استهجن من أجل هذا قول أبى نواس :

بحَّ صوتُ المال ممَّا منك يشكو ويصيح

لأنه لا مناسبة بين طرفى الاستعارة ، وهو يريد أن المال يتظلم من إهانته له بالتمزيق والعطاء ، فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح ، والمقبول فى ذلك قول مسلم بن الوليد :

تَظَلَّمَ المال والأعداءُ من يده لا زال للمال والأعداء ظلاّما

وإنما لم يشترط فى المكنية ألاّ يشم رائحة التشبيه لفظًا لأنَ من لوازمها ذكر لازم المشبه به فيشم به رائحة التشبيه لفظا .

فصـــــل

المجاز بالحذف والزيادة : واعلم أن الكلمة كما توصفُ بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلى كـما مضى؛ توصف به أيـضًا لنقلها عن إعـرابها الأصلى إلى غيره لحذف لفظ أو زيـادة لفظ؛ أما الحذف فكقوله تعالى: ﴿واسأل القرْية﴾(١) أى أهل القرية(٢) ؛ فـإعراب القـرية فى الأصل هو الجر ، فـحُذف المضـاف وأعْطى المضاف إليـه إعرابه ، ونحوه قوله تعـالى: ﴿ وجاءَ ربُّك ﴾(٣) أى أمْرُ ربك (٤) وكذا قولهم « بنو فلان يطؤهم الطريق » أى أهل الطريق .

وأما الزيادة فكقوله تعـالى :﴿ ليس كمثْله شىءٌ ﴾(٥) على القول بزيادة الكاف(٦) أى ليس مـثله شىء ، فـإعـراب (مـثله) فـى الأصل هو النصب ، فزيدت الكاف ، فصار جراً .

فإن كـان الحـذفُ أو الزيادة لا يوجب تغييـر الإعراب - كمـا فى قوله تعالى :﴿ أو كصيِّـبٍ من السماءِ ﴾(٧) إذ أصله أو كمثل ذوى صيب ، فحذفَ « ذوى » لدلالة ﴿ يجْعلون أصابعهـُمْ فى آذانهمْ ﴾ عليه . وحذف « مثل » لما دل عليه عطفه على قوله ﴿ كمثل الذى استوقد ناراً ﴾؛ إذ لا يخفى أن التشبيه

---

(١) آية ٨٢ سورة يوسف .

(٢) لأن السؤال إنما يتوجه إليهم ، وإذا جعلت القرية مجازاً عن أهلها؛ كان مجاز مرسلاً من إطلاق اسم المحلِّ على الحالِّ .

(٣) آية ٢٢ سورةسورة الفجر .

(٤) لأن المجىء مستـحيل عليه تعالى بخلاف أمـره ؛ لأنه يجوز إسناد المجىءِ إلى الأمر على سـبيل المجاز العـقلى ، بل قيل : إنه صـــار فى مـثـــــل هذا حقيـــــقة عرفية ؛ كقولهم - جاء أمر السلطان، ونحوه .

(٥) آية ١١ سورة الشورى .

(٦) قيل: إنها أصلية لأن لفظ مثل قد يكنى به عـما يضاف إليه؛ كقولهم : مثلك لا يبخل .

(٧) آية ١٩ سورة البقرة .

ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب [١] ، وكقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنتَ لهم﴾[٢] وقوله: ﴿لئلاَّ يعْلم أهلُ الكتاب﴾[٣] فلا توصف الكلمة بالمجاز .

إنكار المجاز بالحذف والزيادة :

وقد بالغ الشيخ عبد القاهر فى النكير على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة [٤] .

* * *

(١) وإنما هو بين صفة المنافقين العجيبة أى مثلهم ومثل ذوى صيب .

(٢) آية ١٥٩ سورة آل عمران . وقد قسم الغزالى المجاز إلى أربعة عشر قسمًا ، وجعل هذا من قسم الزيادة فى الكلام بغير فائدة ، وقد رد عليه ابن الأثير بأنه لا مجاز فيه ، وبأن « ما » ليست بزائدة ؛ لأنها لتفخيم الأمر ، وهى محض الفصاحة .

(٣) آية ٢٩ سورة الحديد .

(٤) ٤٥٠ ـ ٤٦٣ : أسرار البلاغة ؛ فالمجاز عنده خاص بنقل الكلمة عن معناها الأصلى إلى غيره ، وقال السكاكى : رأيى أن يقال هو مشبه للمجاز وملحق به لاشتراكهما فى التعدى عن الأصل ، وقد جعله ابن الأثير من المجاز بمعنى التوسع فى الكلام .

تمرينات على المجاز المرسل والاستعارة

تمرين – ١

(١) بين ما فيه مجاز مرسل، وما فيه استعارة من هذين البيتين :

من يزرع الشَّرَّ يحصد فى عواقبه ... ندامةً ولحَصـْدِ الزرع إبَّانُ

ولم يبْق سوى العُـدْوا ... ن دنَّـاهُمْ كما دانوا

(٢) ما نوع الاستعارة وما قرينتها فى قول الشاعر :

إذا ما الدّهرُ جرَّ على أناسٍ ... كَلاكِلَهُ أناخ بآخَرينـا

تمرين – ٢

(١) وردت « دما » فيما يأتى مجازًا مرسَلا واستعارة ؛ فبيِّنهما :

فتًى كلّما فاضـت عيونُ قبيلة ... دمًا ضحكتْ عنه الأحاديثُ والذِّكرُ

أكلتُ دماً إن لـم أرُعْك بِضرَّةٍ ... بعيدة مهْوَى القُرْطِ طيِّـبَةَ النـَّشْرِ

(٢) كيف تجرى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فى قول الشاعر :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ ... لهُ عن عدوٍّ فى ثياب صديق

تمرين – ٣

(١) كيف جرت الاستعارة فى العَلَم من قول الشاعر :

لقـد حان توديعُ العميد وإنَّـهُ ... حقيـقٌ بتشييع المحبِّين والعـدا

فَلِمَ لا نرى الأهرامَ يا نيلُ ميَّدا ... وفرعونُ عن واديك مرْتحلٌ غـدا

(٢) كيف تجرى الاستعارة التمثيلية فى قولـه تعالى ﴿ إنَّا عرضْنا الأمانة على السَّماوات والأرْض والجبال فـأبيْن أنْ يحْملْنها وأشْفقْن منْها ﴾ آية ٧٢ س الأحزاب .

تمرين – ٤

بيِّن الاستعارة المطلقة والمرشحة والمجردة فى الأبيات الآتية :

(١) رمتنى بسهم ريشه الكحْل لم يضر ... ظواهر جلْد وهو للقلب جارح

(٢) إنَّ التَّبـاعد لا يضـرُّ ... إذا تـقاربـت القـلوبْ

(٣) إذا انتضل القول الأحاديث لم يكنْ ... عَيِيًا ولا ربًا على من يقـاعد

تمرين – ٥

(١) لماذا قبحت الاستعارة في قول الشاعر :

بلوناك أمّا كعبُ عِرْضك فى العُلا ... فعالٍ وأمَّا خَدُّ مالك أسفل

(٢) لماذا كان المجاز المرسل فى هذا البيت غير مفيد :

فبتنا جلوسًا لدى مهْرنا ... ننزع من شفتيه الصفارا

(٣) لماذا استحسنت الاستعارة التخييلية فى قوله تعالى : ﴿ واخفضْ لهما جناح الذلّ ﴾ آية ٢٤ سورة الإسراء ، واستهجنت فى قول أبى تمام :

لا تَسقنى ماءَ الملام فإنَّنى ... صبٌّ قد استعذبتُ ماء بكائى

تمرين – ٦

(١) وازن بين الاستعارتين فى قول الشاعر :

سالتْ عليه شعابُ الحى حين دعا ... أنصاره بوجوهٍ كالدَّنانير

وقول الآخر :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالتْ بأعناق المطىّ الأباطح

(٢) ما هى علاقة المجاز المرسل فى قول الشاعر :

فهمْتُ الكتابَ أبرَّ الكتبْ ... فسمعًا لأمر أمير العربْ

(٣) لماذا عِيب على أبى تمام قوله :

يا دهرُ قوِّم مِن أخدعيك فقدْ ... أضججتَ هذا الأنام مِن خرَقكْ

* * *

الباب الثالث: القـــول فى الكـــناية

تعـريف الكناية : الكناية لفظ أريد به لازم مـعناه مع جواز إرادة مـعناه حينئذ[1] كقـولك « فلان طويل النِّجـاد » أى طويل القامـة ، وَ « فلانة نؤومُ الضحى » أى مـرفهةٌ مخـدومة غير مـحتاجـة إلى السعى بنفسهـا فى إصلاح المهمـات ؛ وذلك أن وقت الضحـى وقت سعى نسـاء العرب فى أمـر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه فى تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها؛ فلا تنام فيه من نسائهم إلا مَن تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعى لذلك . ولا يمتنع أن يُراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأويل[2]؛ فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجـه؛ أى من جهة إرادة المعنى[3] مع إرادة لازمه ؛ فإن المجاز ينافى ذلك ، فلا يصح فى نحـو قولك « فى الحمام أسد » أن تريد معنى الأسد من غير تأوُّل ؛ لأن المجاز ملزوم قرينة مـعاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معـاند الشيء معاندٌ لذلك الشيء[4]، وفرَّق السكاكى وغيره بينهمـا بوجه آخـر أيضًا [5] وهو أن مبْنى الكناية على الانتـقال من اللازم إلى

(١) لازم المعنى : وهو المقصـود يقال له معنى كنائى ، وملزومه : يقـال له معنى حقيقى ، وجـواز إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية بالنظر إلى ذاتها ، وقـد تمتنع إرادته فيها لعارض يمنع من إرادته؛ كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كمثله شَىْءٌ ﴾ آية ١١ سورة الشورى على القول بأن الكاف أصلية وأنه يفيد نفى المثلية بطريق الكناية ، فلا يصح إرادة المعنى الحقيقى فيه ؛ لأنه يفيد ثبوت المثل له تعالى .

(٢) يريد بالتأويل صرف اللفظ عن حقيقته .

(٣) أى جواز إرادته لأنه يجوز عدم إرادته .

(٤) جرى الخطيـب فى هذا على المشهـور من أن الكناية قسم آخـر غير الحـقيـقة والمجاز ، وقـيل : إن الكناية لفظ مستـعمل فى معناه الحـقيقى لينتـقل منـــه إلى المعنى المجازىّ ، وعلى هذا تكون الكناية قـسماً من الحـقيقة ، وقـيل : إن الكناية تارةً يراد بها المعنى المجازى لدلالة المعنى الحقـيقى عليه فتكون مجازًا ، وتارةً يراد بهـا المعنى الحقيقى ليدل به على المعنى المجازى فتكون حقيقة ، والخلاف فى مثل هذا لا طائل تحته .

(٥) ٢١٣ - المفتاح .

الملزوم ، ومبنى المجاز علـى الانتقال من الملزوم إلى اللازم. وفـيه نظر ؛ لأن اللازم ما لم يكن ملزومًا يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم[1] فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم . ولو قيل : اللزوم من الطرفين من خواصِّ الكناية دون المجاز ، أو شرط لها دونه ، اندفع هذا الاعتراض ، لكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط [2] .

أقسام الكناية : ثم الكناية ثلاثة أقسام : لأن المطلوب بها إمَّـا غير صفة ولا نسـبة ، أو صـفـة ، أو نسبـة . والمراد الصـفة المعنـوية كالجـود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت .

١ - المطلوب بها غير صفة ولا نسبة :

الأولى المطلوب بها غيـر صفـة ولا نسـبة[3] : فمنها ما هو معنى واحد ، كقولنا « المضياف » كنايةً عن زيد ، ومنه قوله كناية عن القلب :

الضاربين بكلِّ أبيضَ مِخْذَم والطاعنين مجامعَ الأضغان[4]

---

(١) لأن اللازم قد يكون أعمَّ من الملزوم؛ كلزوم الحيوان للإنسان ، ولا دلالة للعامِّ على الخاصِّ .

(٢) أى منع اختصاص الكناية بكون اللزوم فيهـا من الطرفين ، واشتراط ذلك فيها دون المجاز ؛ لأنه لا يشترط ذلك فيها كما لا يشتـرط فيه؛ لأن لازم المعنى الحقيقى فيهما قد يكون أعـمَّ منه ، وقد قيل : إنـه لا خلاف بين الخطيب والسكاكى إلا فى التـسمـية؛ لأنهما متفقان على أن ذهن السامع لقولنا « كـثير الرماد » ينتقل من كثرة الرماد إلى الكرم ولكن السكاكى يسمى كـثرة الرماد لازمًـا ، والخطيب يسميه ملزومًـا ، وإنى أرى أن مثل هذا الخلاف لا يصح الاشتغال به فى علم البيان .

هذا ومن أغراض الكنـاية أنها تقدم لك الحـقيقـة مصحـوبة بدليلها ، وأنهـا تبرز المعقول فى صورة المحسـوس ، وأنه يُحترز بها عمّا لا يليق التعبـير به ، إلى غير هذا من أغراضها .

(٣) أى ولا نسبـة صفـة لموصوف بأن يكون المـطلوب بها مـوصوفًا ، ولـو « قال الأولى المطلوب بها الموصوف » لكان أحسن .

(٤) هـو لعمرو بن معـديكرب، ورواية الموازنة « والضاربين »، والمخذم: القاطع =

ونحوه قول البحتري في قصيدته التي يذكر فيها قتله الذئب :

فأتبعتُها أخرى فأضللْتُ نَصْلَهَـــا بحيث يكون اللُّبُّ والرُّعْبُ والحقْدُ[١]

فقـوله « بحيث يكـون اللب والرعب والحقـد » ثلاث كنايات لا كـناية واحدة ؛ لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود[٢].

ومنها ما هو مجـموعُ معانٍ ، كقولنا كناية عن الإنســان: « حَيٌّ مستوى القامة عريض الأظفار »[٣] .

وشرطُ كل واحدة منهما[٤] أن تكون مختـصة بالمكنى عنه لا تتـعداه ، ليحصل الانتقال منها إليه، وجعل السكاكى الأولى قريبة والثانية بعيدة[٥] . وفيه نظر[٦] .

= من السيوف ، والأضغان : جمع ضِغْن وهو الحـقد ، ومجامع الأضغان : القلوب . وبهذا تكون كناية عن مـوصوف ، وقد قـيل : إن المجامع جمع مـجمع وهو اسم مكان مشتق من الجـمع ، فيكون إطلاقه على القلب حقيـقةً لا كناية . وأجيب بأن هذا اللفظ لم يُرَدْ منه الذات الموصـوفة بالصفـة كسائر المشـتقات ، وإنما أريد منـه الذات فقط على سبيل الكناية ؛ لأن الطعن لا يكون إلا فيها وحدها .

(١) قوله « أضللت » بمعنى غيبت ، والنصل : حديدة الرمح والسهم .

(٢) لأن تقـدير الكلام بحـيث يكون اللب ، وبحـيث يكون الرعب ، وبحـيث يكون الحقد ، والمكنى عنـه واحد فيهـا كلهـا وهو القلب ، وهو قريب من قول عمرو: «والطاعنين مـجامع الأضغـان» ولكن قول عـمرو فى غاية الجـودة ، لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب .

(٣) لا داعى إلى تقسيم هذا القسم إلى قسمين إلا الرغبة فى تكثير الأقسام .

(٤) أى من هاتين الكنايتين ، ولا وجه لاشتراط ذلك فيهما بخصوصهما لوجوب ذلك فى كل كناية ؛ لأنه لا دلالة للأعم على الأخص ، علـى أن هذا الشرط مسـتغنًى عنه بما سبق فى تعريف الكناية من أن الانتقـال فيها مـــن الملزوم إلى اللازم لأن الملزوم لا بد أن يكون مختصًا باللازم المكنى عنه .

(٥) ٢١٤ - المفتاح .

(٦) لأن دلالة الوصف الواحد على الشىء ليست أقرب من دلالة مجموع أوصاف عليه ، بل ربما يكون الأمر بالعكس ؛ لأن التفصيل أوضح من الإجمال . =

٢ - **المطلوب بها صفة** : الثانية المطلوب بها صفة[١] ؛وهى ضربان : قريبة وبعيدة · **القريبة** ما ينْتقلُ منها إلى المطلوب بها لا بواسطة ، وهى إمَّا **واضحة** ، كقولهم كناية عن طويل القامة : « طويلٌ نجادهُ ، وطويلُ النجاد » والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجةٌ ، والثانى كناية مشتملة على تصريح ما لتضمُّن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأوَّل[٢] .ومنها قول الحماسى :

أبتِ الرَّوادفُ والثَّدىُّ لقُمْصها مسَّ البطون وأن تمسَّ ظُهُورا [٣]

وإمَّا خفيَّة؛ كقولهم كنايةً عن الأبله : « عريض القفا » فإن عُرْضْ القفا وعظم الرأس إذا أفرط - فيما يقال - دليل الغباوة[٤]؛ ألا ترى إلى قول طرفة ابن العبد :

= ومن الكناية عن الموصوف قوله تعالى ﴿ وحَملناهُ على ذات ألواح ودسرٍ ﴾ آية ١٣ سورة القمر- وقول الشاعر :

تقول التى من بينها خفَّ مَحْملى عزيزٌ علينا أن نراك تسيرُ

(١) بأن تكون نسبة الصفة إلى موصوفها معلومة ، فتكون الصفة نفسها هى المطلوبة من صفة أخرى يكنى بها عنها للاعتناء بها والمبالغة فيها ·

(٢) لأن « نجاده » فاعل فيه ، أما فاعل « طويل » فى الثانى فهو ضمير الموصوف ، ولهذا تقول « الزيدان طويلا النجاد ، والزيدون طوال النجاد ،وهند طويلة النجاد » بالتثنية والجمع والتأنيث لأجل تحمله ذلك الضمير ، ولا شك أن هذا فيه نوع تصريح بثبوت الطول له ، وإنما لم يجعل تصريحًا خالصًا للقطع بأن الصفة فى المعنى صفة للمضاف إليه وهو النجاد ، واعتبار الضمير إنما هو لأجل أمر لفظى ، وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها ، وإنى أرى أنه لا فرق من جهة الكناية بين المثالين ؛ لأنه لا يصح أن يكون لهذا الاعتبار اللفظى تأثير فى معنى الكناية ·

(٣) الروادف : جمع رادفة وهى الكفلُ والعجُزُ . والثدى : جمع ثدْى ، وإباء الروادف لقمصها مس الظهور : كناية عن كبرها وضمور خصرها، وكذا إباء الثدى لها مس البطون ·

(٤) خفاء الكناية فى ذلك بالنظر إلى أول سماعها ، ولا يؤثر فى ذلك ظهورها بعده ، ومن ذلك قول بعضهم فى الكناية عن العذرة :

أراد أبوك أمّك يوم زُفَّتْ فلم يوجدْ لأمك بنتُ سعْد

أنا الرجل الضربُ الذى تعرفونهُ   خشاشٌ كرأس الحيَّة المتوقِّد[١]

والبعيدة: ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقـولهم كنايةً عن الأبله : « عريض الوسادة » فإنه ينتقل من عرْض الوسادة إلى عُرض القفا ، ومنه إلى المقصـود ، وقد جعله السكاكى من القريبـة على أنه كناية عن عرض القفا ، وفيه نظر[٢] . وكقولهم « كثير الرماد » كناية عن المضياف ، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور ، ومنها إلى كثرة الطبائخ ، ومنها إلى كـثرة الأكَلَة ، ومنهـا إلى كثـرة الضيفـان ، ومنها إلى المقـصود . وكقوله :

وما يَكُ فىَّ من عيب فـــإنى   جبانُ الكلب مهْزولُ الفصيل[٣]

فإنه ينتقل من جبن الكلب عـن الهرير فى وجه من يدنو من دار من هو بمرْصدٍ لأن يعسَّ دونهـا مع كون الهريـر فى وجه من لا يعرفـه طبيعـيًا له إلى استمـرار تأديبه ؛ لأن الأمور الطبيـعية لا تتغيـر بموجب لا يقوى ، ومن ذلك إلى استمرار موجب نُباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهًا إثر وجوه ، ومن ذلك إلى كـونه مقْـصد أدانٍ وأقـاصٍ ، ومن ذلك إلى أنه مشـهور بـحسـن قـرىَ الأضيـاف . وكذلك ينتـقل من هزال الفصيل إلى فـقـد الأمِّ ، ومـنه إلى قوة الداعى إلى نحرها لكـمال عناية العرب بالنوق لا سـيما المُتليـات ، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ ، ومنها إلى أنه مضياف . ومن هذا النوع قول نُصيْب :

لِعبْد الـعـزيـز عـلـى قـــوْمــه   وغـيـرهـم مـنـنٌ ظاهرهْ[٤]

---

(١) الضرب : الخفيف اللحم ، والخشـاش : الصغير الرأس وهو كناية عن ذكائه ، والشاهد فى جعله ذلك دليل الذكاء ، فيكون مـقابله وهو عُرض القفا وعظم الرأس دليل الغباوة .

(٢) لأنه لا يقصد من ذلك الكناية عن عرض القـفا ، وإنما يقصد منه الكناية عن البله .

(٣) الفصـيل : ولد الناقة . وهزاله بحرمانه من لـبنها بنحـرها أو بإيثار الضـيفان به ، يعنى أنه لا عيب فيه إلا ذلك ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٤) الأبيات لنصيب بن رباح فى مدح عبـد العزيز بن مروان ، والمنن : جمع منة وهى النعمة .

فبابُك أسـهَلُ أبوابهـم ودارُكَ مأهـولةٌ عامره[١]
وكلبُـكَ آنَسُ بالزائرين من الأمَّ بالابنـة الزَّائرهْ

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر، إلى أن الزائرين معارف عنده ، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً ، ومنه إلى لزومهم سُدَّتهُ ، ومنه إلى تسنِّي مباغيهمْ لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاصِّ والعامِّ ، وهو المقصود .

ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

يكادُ إذا ما أبْصر الضَّيْفَ مقْبِلاً يكلِّمه مِن حبه وهو أعجم [٢]

ومنه قوله :

لا أُمْتعُ العوذَ بالفصـال ولا أبتاع إلاَّ قريبة الأجـل [٣]

فإنه ينتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يُبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعى بالنظر إليها ، ومن ذلك إلى نحرها ، أو لا يُبقى العوذ إبقاءً على فصالها[٤] ، وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ، ومن نحرها إلى أنه مضياف .

ومن لطيف هذا القِسْم[٥] قوله تعالى : ﴿ ولمَّا سُقِط فى أيديهمْ ﴾[٦] أى

---

(١) المأهولة : الدار التى فيها أهلها، وكذلك العامرة؛ فهى صفة مؤكدة لما قبلها، وإنما خصَّ الابنة الزائرة لأن عطف الأم عليه أكثر.

(٢) هو لابراهيم بن هرمة . ورواية البيان والتبيين : « تراه إذا ما أبصر الضيف كلبُه » . والضمير فى « يكاد » للكلب ، والأعجم : الذى لا يتكلم ، والشاهد فى كنايته بحب الكلب للضيف عن جود صاحبه ، وزيادة اللطف فيه ناشئة من المبالغة فى محاولة الكلب أن يكلمه .

(٣) هو لإبراهيم بن هرمة أيضًا ، والعوذ : جمع عائذ وهى الناقة الحديثة النتاج ، والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة .

(٤) الفرق بين التقديرين أن النحر فى الأول للفصال وفى الثانى للنوق .

(٥) يعنى قسم الكناية المطلوب بها صفة .
ووجه اللطف فيما سيذكره ما فيه من الدقة والغرابة ، سواء أكان بعيدًا أم قريبًا .

(٦) الأعراف - ١٤٩ .

ولما اشتد نـدمهم وحسرتهم على عـبادة العجل ؛ لأن من شأن مَن اشـتد ندمه وحسرته أن يعضَّ يده غمًا ، فتصير يده مسقوطًا فيها لأنَّ فاهُ قد وقع فيها .

وكذا قول أبى الطيب كناية عن الكذب :

تشتكى ما اشتكيتُ من ألم الشَّوْ ... ق إليها والشوقُ حيثُ النُّحولُ (١)

وكذا قوله :

إلى كمْ تَرُدُّ الرُّسْل عمَّا أتوْا لـه ... كأنهمُ فيمـــا وهبْتَ مَلامُ (٢)

فإنَّ أوَّله كنايةٌ عن الشجاعة ، وآخِرُه كنايةٌ عن السماحة .

وكذا قول أبى تمام :

فإنْ أنا لم يحمدك عنِّىَ صـــاغِرًا ... عدوُّك فاعلمْ أننى غيرُ حامد (٣)

يريد بحمده عنه حِفظَه مـدحه فيه وإنشاده ، أى إن لم أكن أجـيد القول فى مدحك حـتى يدعو حسنُه عدوَّك أن يحـفظه ويلهج به صاغراً؛ فـلا تعدّنى حـامداً لك بما أقـول فـيك ، ووصفـه بالصَّغـار لأن من يحـفظ مـديح عـدوه وينشـده فقد أذل نفسه ، فكنَى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن إجادته القول فى مـدحـه(٤) .

---

(١) الضمير فى - تـشتكى - لمحبوبته ، والنحولة : دقـة الجســـم من مرض ونحوه . يقول : إنهـا تشتكى من ألم الشوق مثل شكواه ، ولكنهـا كاذبة فى شكواها لأنه لا نحول فيها . فقوله « والشوق حيث النحول » كناية عن كذبها .

(٢) هو لأبى الطيب أيضًا فـى مدح سـيف الدولة ، والمـراد بالرسل رسل ملك الروم فى طلب الصلح ، يقول : إنه يردهم كمـا يرد الملام عنه بما يهب من ماله ، وقد انتقل من ردّهم إلى عدم اعتداده بهم ، ومن عدم اعتـداده بهم إلى شجاعته ، وقد مدحه بالشجاعة على وجه اسـتتبع مدحه بالسماحة ،وهذا من الاسـتتباع الآتى فى علم البديع ، وقوله « فيما وهبت » متعلق بملام .

(٣) الصاغر : اسم فاعل من الصغار وهو الذلة .

(٤) قد كنى قبل هذا بحمده له عن حفظه لمدحه له ؛ فالكناية فيه بواسطة .

وكذا قول من يصف راعى إبل أو غنم :

ضعيفُ العصا بادِي العروق ترى لَهُ ... عليها إذا ما أجدب النَّاسُ إصْبعا[1]

وقول الآخر :

صُلْبُ العصا بالضَّرب قد دمَّاها[2]

أى جعلها كـالدُّمَى فى الحسن . والغرض[3] من قول الأول « ضـعيف العصـا » وقول الثـانى « صلب العصـا » وهما وإن كـانا فى الظاهر متـضادَّين فإنهما كنايتان عن شىء واحد ، وهو حـسن الرِّعْية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها ، فـأراد الأول أنه رفيق مشفق عليـها لا يقصد من حـمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخيَّر ما لانَ من العصا ، وأراد الثانى أنه جيد الضبط لها عارف بسيـاستها فى الرَّعْى ، يزجرها عن المراعى التى لا تُحمد ويتوخى بها ما تسـمن عليه ، ويتضمن أيضًا أنه يمنعها عن التـشرد والتبدد ، وأنها لـِما عرفت من شـدة شكيمته وقوة عزيمته تنـساق فى الجهة التى يريدها ،

---

(١) هو لعبيد بن حصين المعروف بالراعى من قصيدة له مطلعها :

بَنِى وابش إنَّا هوينا جوارَكم ... وما جمعتنا نيةٌ قبلها معًا

وبادى العروق : ظـاهرها لقلة اللحم فى جسـمه ، والمراد بالإصبـع الأثر الحسن على سبيل المجاز المرسل .

(٢) هو من قول أبى العلاء بن سليمان فى الإبل :

صُلْب العصا بالضَّربْ قد دمَّاها ... تودُّ أنَّ اللهَ قد أفناها

إذا أرادتْ رَشـداً أغْواهـا ... مَحالُه من رقّه إيَّاها

والضرب يطلق على الضـرب بالعصا وعلى السيـر فى الأرض ، وقوله « أفناها » بمعنى أهلكها من شـدته عليها ، والرشد : نبت تأكله الإبل ، وقـوله « أغواها » بمعنى أطعمها الغـوىَّ وهو نبات آخر تأكله ، ومحاله : فاعل أغوى واحـده محالة وهى الحذق والقدرة فى التصرف .

(٣) مبـتدأ بمعنى المقصـود ، وخبره (ضـعيف العصـا) ، يعنى أن ذلك محل الشاهد .

وقوله « بالضرب قد دمّاها » تـــورية حسنة[١] ويؤكـد أمرها قوله « صلب العصا » .

٣ - **المطلوب بها نسبة**: الثالثة المطلوب بها نسبة[٢] كقول زياد الأعجم :

إنَّ السَّماحة والمروءةَ والنــَّدى   فى قُبةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحشرج[٣]

فإنه حين أراد ألاَّ يُصَرِّح بإثبـات هذه الصفات لابن الحشرج جمـعها فى قبة تنبـيهًا بذلك على أن محلَّها ذو قـبة ، وجعلها مضـروبةً عليه لوجود ذوى قباب فى الدنيا كثيرين ، فـأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية[٤] . ونظيره قولهم: « المجد بين ثوبيه، والكرَمُ بين بُرديْه».

قال السكاكى[٥] : «وقد يظن هذا من قسم « زيد طويل نجاده »[٦] وليس بذاك ؛ فطويل نجاده بإسناد الطويل إلى النجاد تصـريح بإثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد كمـا نعْرف قائم مقـام طول القامة ، فإذا صُرِّح مـنْ بعدُ بإثبات النجاد لزيد بالإضافة كان ذلك تصريحاً بإثبات الطول لزيد[٧] ، فتأمل .

---

(١) لأنه يحتـمل معنى قريبًـا وهو أن يضربها فـيسيل دمـها ، ومعنًى بعـيدًا وهو جعلها كالدمى ، والمراد هو المعنى البعيد كما سبق . والتورية من المحسنات البديعية الآتية فى علم البديع ، وإنما أكـد أمرها قوله « صلب العـصا » لأنه يناسب المعنى القريب كـما سيأتى فى الكلام عليها .

(٢)بأن يصرِّح بالصفة ويقصد بإثباتها لشىء الكناية عن إثباتها للـموصوف بها .

(٣) هو لزياد بن سليـمـان مولى عـبـد القيس ، وكـان ألكن فلقب بالأعـجم . والسـماحـة : الجود ، والمروءة : النخـوة وكمـال الرجـولة ، والندى : الجود والفـضل والخيـر، والقبة : ما كـان فوق الخيمـة فى العظم والاتساع وهى خاصـة بالرؤساء ، وابن الحشرج : هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابُور.

(٤) لأن هذه الصفات لا تقوم بـنفسها ولا بتلك القبة من حـيث ذاتها ؛ فتعين أن تقوم به .

(٥) ٢١٦ ـــ المفتاح .

(٦) فيكون من الكناية المطلوب بها صفة مثله .

(٧) فتكون الصفة هى المـكنى عنها فيه لا النسبة ، أما قـولهم « المجد بين ثوبيه » فهو عكسه فى ذلك ، فلا يكون مثله .

وكقول الآخر :

والمجْـدُ يدعو أن يدوم لجـيده عِقدٌ مَساعى ابْنِ العميد نظامُهُ [1]

فإنه شـبه المجد بإنـسان بديع الجمـال فى ميل النفـوس إليه ، وأثبت له جيدًا على سبيل الاستعارة التخييلية ، ثم أثبت لجيده عقدًا ترشيحًا للاستعارة، ثم خَصَّ مسـاعى ابن العميـد بأنها نظامـه ، فنبَّه بذلك على اعتـنائه خاصـةً بتزيينه ، وبذلك على محبته وحده له ، وبهـا على اختصاصه به ، ونبَّه بدعاء المجد أن يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميـد ، وبذلك على اختصاصه به[2] .

وكقول أبى نواس :

فما جازَهُ جودٌ ولا حـلَّ دونه ولكنْ يصير الجودُ حيث يصير[3]

فإنه كنى عن جمـيع الجود بأن نكَّره[4]، ونفى أن يجوز ممدوحَه ويحل دونه فيكون متوزعًا يقوم منه شىء بهذا وشىء بهـذا، وعن إثباته له بتخصيصه بجهتـه بعد تعريفه باللام التى تفيـد العموم[5] ،ونظيره قولهـم «مجلس فلان مَظِنةُ الجود والكرم » . هذا قول السكاكى[6].

---

(١) الجيد : العنق ، والمساعى : جمع مسعاة وهى المكرمة ، ونظام العقد : ما به يكون منتظمًا وهو سلكه. وابن العميد هو محمد بن الحسين .

(٢) فيكون فى البيت كنايتان ، والمكنى عنه بهمـا واحد وهو اختصاص المجد بابن العميد .

(٣) قوله « جازه » بمعنى تعدَّاه ، وقـوله « ولا حل دونه » بمعنى أنه لم يستقر فى غير مكانه .

(٤) لأن النكرة فى سياق النفى تدل على العموم.

(٥) فيكون صدر البـيت كنايةً عن عدم توزعه وتقسيمـه ، وهذه كناية عن صفة ، ويكون عجزه كناية عن إثباته له ، وهذه كناية عن نسبة ، والكناية الثانية كأنها مترتبة على الأولى .

(٦) ٢٢٧- المفتاح .

وقيل : كنى بالشطر الأول عن اتصافه بالجود ، وبالثانى عن لزوم الجود له ، ويحتمل وجهًا آخر وهو أن يكون كلٌّ منهما كناية عن اختصاصه به، وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرهما على الترتيب المذكور لأن الأولى بواسطة [1] بخلاف الثانية .

وكقولهم « مثلك لا يبخل »، قال الزمخشرى : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته ، قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية ؛ لأنهم إذا نفوه عمَّن يسدُّ مسدَّهُ وعمَّن هو على أخص أوصافه؛ فقد نفوه عنه، ونظيره قولك للعربى : « العرب لا تخفر الذمم » فإنه أبلغ من قولك «أنت لا تخفر » ومنه قولهم « أيفعتْ لداتهُ ، وبلغت أترابه » يريدون إيفاعه وبلوغه ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شىء ﴾[2] على أحد الوجهين وهو ألا تجعل الكاف زائدة ، قيل : وهذا غاية لنفى التشبيه ، إذ لو كان له مثل لكان كمثله شىء وهو ذاته تعالى ، فلما قال: ﴿ ليس كمثله ﴾ دل على أنه ليس له مثل[3] وأُورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ، ورُدَّ بمنع أنه تعالى مثل مثله ؛ لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله ؛ تعالى عن ذلك .

وكقول الشنفرى الأزدى فى وصف امرأة بالعفة :

---

(١) لأن الذهن ينتقل فيها من عدم توزع الجود إلى تجمعه ، ومن ذلك إلى اختصاصه به ، وعلى هذا الوجه والذى قبله يكون كلٌّ من الكنايتين كناية عن نسبة .

(٢) آية ١١ سورة الشورى .

(٣) هذه طريقة المتكلمين فى تقرير الكناية فى الآية ، وتوضيحها أن الله تعالى موجود ، فإذا نفى مثل مثله ، لزم نفى مثله؛ لأنه لو كان له مثل لكان هو - أعنى الله تعالى - مثل مثله ، فلم يصح نفى مثل مثله لئلا يلزم نفيه تعالى مع ثبوت وجوده ، وهذا كما تقول « ليس لأخى زيد أخ » أى ليس لزيد أخ نفياً للملزوم بنفى لازمه . وطريقة البلغاء أن لفظ (مثل) فى الآية كلفظ (مثل) فى قولك « مثلك لا يبخل » فالمراد منها نفى المثل عن ذاته بطريق نفى المثل عمَّن يكون مثله فى صفاته ؛ لأنه إذا نفى المثل عمن يكون مثله فى صفاته لزم نفيه عنه لعدم الفرق بينهما ، وتقرير الكناية على هذا الوجه واضح لا تعقيد فيه كما فى طريقة المتكلمين .

يبيتُ بِمَنْجـــاةٍ مِن اللومْ بيتُها إذا ما بيوتٌ بالملامة حُلَّت (١)

فإنه نبـه بنفى اللوم عن بيتـها على انتـفاء أنواع الفجـور عنه ، وبه على براءتها منها ، وقال « يبيت » دون (يظل) لـمزيد اختصاص الليل بالفواحش ، هذا على مـا رواه الشيخ عـبد القـاهر والسكاكى(٢) ، وفى الأغـانى الكبيـر : «يحل بمنجاة » .

وقـد يُظن أن هنا قـســمًا رابعًا وهو أن يكون المطلوب بالـكناية الوصف والنسبة مـعاً ، كما يقـال : « يكثر الرماد فى ساحة عـمرو » فى الكناية عن أن عمرًا مـضياف ، وليس بذاك ؛ إذ ليس ما ذُكر بكنايـة واحدة بل هو كنايتان : إحداهما عن المضــيافية ، والثانيـة عن إثباتها لعمرو ، وقـد ظهر بهذا أن طرف النسبة المثبتة بطريق الـكناية يجوز أن يكون مكنيًا عنه أيضًا كما فى هذا المثال ، ونحوه بيت الشنفرى المتقدم ؛ فـإن حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة (٣) .

الكناية العُرْضيَّة (التعـريض بالكناية) : واعلم أن الموصـوف فى القـسم الثانى والثالث(٤) قد يكون مذكوراً كما مرَّ ، وقد يكون غير مذكور ، كما تقول فى عُرض(٥) من يؤذى المسلمين : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »

---

(١) هو لعمـرو بن مالك المعـروف بالشنفرى ، والمنـجاة : الباعث علـى النجاة وهى الخلاص ، واللوم : العتاب والذم .

(٢) ٢٠٣ - دلائل الإعجاز ، ٢١٧ - المفتاح .

(٣) هذا وأهم أقسام الكنـاية الثلاثة القسم الثانى والثالث ؛ لأن الـكناية تتفاوت مراتبُها فيـهما قربًا وبعدًا وظهوراً وخفاءً ، وقـد بيَّن الخطيبُ ذلك فى القسم الثانى لأنه أظهرُ منه فى الثـالث ، والحقُّ أن الثالثَ تتفـاوتُ مراتب الكناية فيه أيضًا ، وقـد أشار الخطيب إلى أن الكناية قد تكون بعيدةً فيه ، وذلك فى قول الشاعر :

والمجدُ يدعو أن يدوم لجيده عقدٌ مساعى ابن العميد نظامه

(٤) بخلاف القسم الأول لأن التعريض لا يأتى إلا فى هذين القسمين .

(٥) العرض : الناحية والجانب ، والمراد التعريض به .

أى ليس المؤذى مسلمًا [1] وعليه قوله تعالى فى عُرْضِ المنافقين: ﴿ هدًى للمتقينَ ، الذين يؤمنونَ بالغيْب ﴾[2] إذا فُسِّرَ الغيب بالغَيْبة ، أى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبى ﷺ أو أصحابه رضى الله عنهم؛ أى هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن نفاق .

أنواع الكناية: التعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة :

وقال السكاكى[3] : «الكناية تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة؛ فإن كانت عُرْضِيَّة فالمناسب أن تسمى تعريضًا [4] ،وإلا فإن كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما فى « كثير الرماد » وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحاً ؛ لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بُعْد ، وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمناسب أن تسمى رمزًا ؛ لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية ، قال :

رمزَتْ إلىَّ مخافةً مِن بَعْلِها ... من غير أن تُبْدى هناك كلامَها [5]

---

(١) فهو كناية عن نفى الإسلام عنه ؛ لأن حصر الإسلام فى غير المؤذى يلزمه نفيه عن المؤذى وهو منه ، وبهذا تكون الكناية فيه من القسم الثالث .

(٢) آية ٢، ٣ سورة البقرة . (٣) ٢١٧ - المفتاح .

(٤) الحق أن الكناية العرضية غير التعريض وإن سميت به ؛ فالكناية العرضية هى التى يكون الموصوف فيها غير مذكور ، والتعريض إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود ، تقول « عرَّضت لفلان وبه » إذا قلتَ قولاً لغيره وأنت تعنيه ، ولهذا لا يختص التعريض بالكناية بل يأتى أيضًا فى الحقيقة والمجاز ، ودلالتُه غير لفظية بخلاف دلالة الثلاثة ، فإذا أتى فى الكناية كقولك « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » فالمعنى الكنائى فيه نفى الإسلام عن المؤذى مطلقًا ، والمعنى التعريضى نفى الإسلام عن المؤذى المعيَّن ، وإذا أتى فى الحقيقة كقولك تُعَرِّض بشخص ممقوت « لست أتكلم بسوء فيمقتنى الناس » فالمعنى الحقيقى فيه غير التعريضى أيضًا ، وكذلك إذا أتى فى المجاز كما سيذكره الخطيب .

(٥) قوله « رمزت » بمعنى أشارت بخفية وهو محل الشاهد ، والبعل : الزوج .

والا فالمناسب أن تسمى إيماءً وإشارة ؛ كقول أبى تمام يصف إبلاً :

أَبَيْنَ فما يزُرْن ســوى كريم وحَسْبك أن يزرن أبا سعيد [١]

فإنه فى إفادة أن أبا سعيد كريم غير خافٍ .

وكقول البحترى :

أوَما رأيت المجــدَ ألقَى رحْلَه فى آل طلْحة ثم لم يتحوَّل [٢]

فإنه فى إفادة أن آل طلحة أماجدُ ظاهرٌ .

وكقول الآخر :

إذا اللهُ لم يُسْق إلا الكــرام فسقَّى وجــوهَ بنــى حنــبْل
وســقَّى ديارَهـُمُ باكـــرًا من الغيْث فى الزمن المُمْحِلِ [٣]

وكقول الآخر :

متى تخـــلو تميمٌ من كريمٍ ومسـْلمةُ بن عمْرو من تميم [٤]

ثم قـال [٥] : «والتـعـريـض كـمـا يكون كنـايةً قـد يـكـون مـجـازا؛

---

(١) قوله « أبـين » بمعنى امتنعن ، وأبو سـعيـد هو محـمد بن يوسف الثـغرى الطائى ، ولقب بالثـغرى لعمله بالثـغور ، والشاهد فى الشطر الثـانى بضميـمة الشطر الأول .

(٢) الرحل : ما يُجعل على ظهـر البعير كالسرج للفـرس ، شبه المجد برجل له رحل على سبيل الاسـتعارة المكنية ، ثم جعل إلقاءه رحـله فى آل طلحة كناية عن ثبوته لهم .

(٣) هما لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، والباكر : البكرة وهى أول النهار ، تقول - أتيته بكرة - أى باكراً ، والممحل : المجـدب . والشاهد فى قوله « فسقى وجوه بنى حنبل » بضميمة ما قبله ، فهو كناية عن ثبوت الكرم لهم .

(٤) الاسـتفهـام فى قوله « مـتى تخلو » للإنكار ، فيكون مـعناه النفى ، أى لا تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو منهم ، وهذا كناية عن ثبوت الكرم له .

(٥) ٢١٨ - المفتاح .

كقولك « آذيتنى فستعرف » وأنت لا تريد المخاطَب بل تريد إنساناً معه [١]، وإن أردتهما جميعاً كان كناية [٢] .

* * *

(١) هذا مجاز مرسل علاقته اللزوم ؛ لأنه يلزم من تهديد المخاطب لإيذائه تهديد كل مؤذ ، وهو يشمل مَن مع المخاطب ، ولا بدَّ له من قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقى .

(٢) لا بد لها من قرينة تدل على إرادتهما جميعًا ؛ لأن الكناية لا بد لها من قرينة أيضًا ، والحق أنهما إذا أريدا جميعًا لا يكون ذلك كناية بل يكون من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه ، وذلك ممنوع ، وأنه إذا أريد غير المخاطب يكون تعريضًا لا مجازاً ، وإنما يجتمع التعريض والمجاز فى نحو قولك تعرِّض بمن كشف عورته فى حمام : « رأيت أُسوداً فى حمام غير كاشفين عوراتهم » ، فلم يعب ذلك عليهم .

تمرينـــات على الكنـــاية

تمرين ١

وازن بين قول المتنبى فى الكناية عن العفة :

إنى على شغفى بما فى خُمْرِها لأعِفُّ عمَّا فى سراويلاتهـــا

وقول الشريف الرَّضِيِّ فى الكناية عنها :

أحنُّ إلى ما يضمن الخُمْرُ والحلى وأصْدفُ عمَّا فى ضمانِ المآزر

تمرين ٢

(١) بين ما يُطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :

أَفاضِلُ الناس أغراضٌ لِذا الزَّمن يخلو من الهمِّ أخلاهُمْ مِنَ الفِطَن

(٢) وقفت امرأةٌ على قيس بن سعد فقالت : « أشكو إليك قلة الفأر» . فقال : مـا أحسن ما ورَّت ! املؤوا بيتـها خبزًا وسمنًا ولحـمًا » فهل قول هذه المرأة كناية ، أو تعريض ، أو كناية وتعريض معاً ؟

تمرين ٣

(١) من أى الكنايتين القريبة والبعيدة قول الشاعر :

أريد بسطةَ كفٍ أستعين بها على قضاء حقوقٍ لِلْعُلَى قِبَلى

(٢) بـين الكـناية ونـوعـها فى قـوله تـعالى : ﴿ فإذا تطهَّرنْ فـأتوهن منْ حيث أمركم الله ﴾ آية ٢٢٢ سورة البقرة .

تمرين ٤

(١) من أى أقسـام الكناية قوله تعـالى: ﴿ وراودتْه التى هو فى بيتها عنْ نفسـه ﴾ آية ٢٣ سورة يوسف، ولماذا أوثرت على التـصريح باسمـها أو بامـرأة العزيز ؟

(٢) وازن بين الكناية السابقة والكناية فى قول الشاعر :

تقول التى مِن بينِها خَفَّ مركبى ... عزيزٌ علينا أن نراك تسير

تمرين ٥

(١) ما المكنى عنه؟ وما نوع كنايتــه فى قوله تعالى : ﴿ أوَ منْ يُنَشَّأ فى الحليةِ وهُو فى الخصامِ غيرُ مبين ﴾ آية ١٨ سورة الزخرف .

(٢) بين الكناية ونوعها فى قول الشاعر :

أخو لحمٍ أعارك منه ثوباً ... هنيئًا بالقميص المُسْتجدِّ

وقد روى « أخو لحم » بالحاء المهملة .

(٣) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة فى قول الشاعر :

أَبِينى أفى يُمْنَى يَدَيْكِ جعلْتِنى ... فأفرح أمْ صيَّرْتِنى فى شمالكِ

تمرين ٦

(١) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى ... مشغوفةً بمواطن الكتمان

(٢) ما هو المطلوب من الكناية فى قول الشاعر :

ولازال بيْتُ المُلكِ فوقك عاليًا ... تُشَيَّدُ أطنابٌ له وعمودُ

تمرين ٧

(١) ما هى فائدة تقسيم الكناية إلى ما يطلب بها موصوف وما يطلب بها صفة وما يطلب بها نسبة ؟

(٢) ما الـفرق بين دلالة الحـقيـقة والمجـاز والكناية ودلالة التعـريض ؟ وأيهما ألطف : دلالةُ التعريض أم دلالة الكناية ؟

(٣) هل الكناية العُرضيــةُ عين التعريض أو غيــره ؟ وإذا كانت غيره فــما الفرق بينهما مع توضيحه فى مثال يجمعهما ؟

* * *

تنبـــيـه

الموازنة بين المجاز والحقيقة والكناية والتصريح :

أطبقَ البلغاءُ على أن المجاز أبلغُ من الحـقيقة(١) وأن الاستـعارة أبلغ من التصريح بالـتشبيه ، وأن التـمثيل على سبـيل الاستعارة أبلغ من التـمثيل على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر(٢) .

قال الشيخ عبد القاهر(٣) : «وليس ذلك(٤) لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة فى المعنى نفسه لا يفيدها خـلافه ، بل لأنه يفيد تأكيدًا لإثبات المعنى

(١) أبلغ : أفعل تفضـيل يجوز أن يكون مأخوذًا من البـلاغة بمعناها اللغوى أى أفـــضل وأحسن ، ويجـوز أن يكون مأخوذًا من المبالغة على مـذهب الأخفش فى جواز بناء أفعل التـفضيل من الرباعى ، وهو الظاهر من كـلام عبد القاهر . وقـد قيل : إن المجاز المرسل لا مبالغـة فيه ؛ فلا يكون أبلغ من الحقيقـة . والحق أن المجاز المرسل فيه مبالغة أيضًا إلا ما كان منه خاليًا عن الفائدة .

(٢) بقيت مـوازنات أخرى : منهـا الموازنة بين المجاز والكناية . وقـد قيل : إن الكناية أبلغ من المجاز المرسل ، ويحـتمل أن تكون أبلغ من الاستعـارة أيضًا . وقيل : إن الاستـعارة أبلغ من الـكناية لأنها كـالجامعـة بين الاستـعارة والكنايـة . وقيل : إن الاستـعارة المكنية أبلغ من الكناية وإن الكناية أبلغ من الـتصريحيــة . ومنها الموازنة بين الاستـعارة المكنية والتـصريحيـة . وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثـانية ؛ لأن الأولى كالجامعة بين الاستـعارة والكناية ، والتصريحية محمولة على التشـبيه فهى قريبة . وردَّ عليه بأنهم إنما يستحـسنون الاستعارة القريبة ؛ لأنه إذا استعيـر للشىء ما يقرب منه كان أولى مما ليس منه فى شىء ، ولو كان البعيدُ أحسن لما استهجنوا قول أبى نواس :

بحَّ صوتُ المال مما   منك يشكو ويصيحْ

ومنها الموازنة بين الاسـتعارة التمـثيلية والمفردة ، وقـد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية .

(٣) ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ دلائل الإعجاز .

(٤) أى كون الواحد من هذه الأمور أبلغ من الآخر .

لا يفيده خلافه ، فليست فـضيلةُ قولنا « رأيت أسدًا » على قولنا « رأيتُ رجًلا هو والأسد سـواء فى الشجـاعة » أن الأول أفـاد زيادةً فى مساواتـه للأسد فى الشجاعة لم يُفدها الثانى ، بل هى أنّ الأول أفاد تأكيدًا لإثبات تلك المساواة لم يفده الثانى ، وليست فضيلة قولنا « كـثـير الرماد » على قولنا « كثير القرى » أن الأول أفاد زيادةً لقراه لم يُفدْها الثانى ، بل هى أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القِرَى له لم يفده الثانى .

والسبب فى ذلك أن الانـتقال فى الجـميع[1] من المـلزوم إلـى اللازم ، فيكون إثبـات المعنى به كدعوى الشىء ببينة ، ولا شك أن دعـوى الشىء ببينة أبلغُ فى إثباته من دعواه بلا بينة .

ولقائل أن يقـول : قد تقدم أن الاستعـارة أصلها التشـبيه ، وأن الأصل فى وجه الشبه أن يكون فى المشبه به أتمَّ مـنه فى المشبه وأظهر؛ فقولنا « رأيت أسدًا » يفـيد للمرئى شـجاعة أتمَّ مما يفـيده قولنا « رأيت رجًلا كـالأسد » لأن الأول يفيـد شجاعة الأسـد والثانى شجـاعةً دون شجاعـة الأسد . ويمكن أن يجاب عنه بحمل كلام الشيخ على أن السـبب فى كل صورة ليس هو ذلك ، لا أن ذلك ليس بسبب فى شىء من الصور أصلاً[2] .

{ هذا آخر الكلام فى الفن الثانى }.

---

(١) أى فى المجاز بأقسامه والكناية .

(٢) يعنى بهذا أن قول عبـد القاهر « ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور الخ » محمول على رفع الإيجاب الكلى ؛ فلا ينافى ثبوت الإيجاب الجزئى ، وحينئذ لا يدخل فى دعواه من الاستعارة والتشبـيه إلا ما كان نحو « رأيت أسدًا ورأيت رجًلا هو والأسد سواء » ولا يدخل فـيها منهـما ما كان نحـو « رأيت أسداً » و« رأيت رجلاً كـالأسد » ولكن كلام عبد القاهر فى دلائل الإعجـاز ظاهر فى أنه يعنى السلب الكلى ، فيدخل فيه كل صور الاستعـارة والتشبيـه ، فالأحسن أن يجـاب عن ذلك أن الاسـتعارة لم تخرج فى المعنى عن كونها تشبيهًا ، فوجهُ الشبه فيها لا بد أن يكون فى المشبه به أتم منـه فى المشبه أيضًا ، وحـينئذ لا يكون هناك فرقٌ بينهما إلا فـيما ذكره عبـد القـاهر من تأكيد الإثبات وعـدمه ، ولكنى أرى مع هذا أن الـرجال ليسـوا سواء فى مـشابهـة الأسد فى الشجاعة ، وأن الاسـتعارة تستعمل فيمن تكـون مشابهته أقوى ، والتشبـيه فيمن تكون مشابـهته أضعف ، وبهـذا يكون الفرق بينهما فى الدلالة على زيـادة الـمعنى وضـعـفـه أيضًا .

البلاغة والفصاحة عند السكاكى :

وذكر السكاكى[1] بعد الفراغ منه[2] تفسيرَ البلاغة بما نقلناه عنه فى صدر الكتاب[3] ، ثم قسَّم الفصاحة إلى معنوية ولفظية ، وفسَّر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد ، وعَنَى بالتعقيد اللفظىَّ على ما سبق تفسيره [4] ، وفسَّر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصلية ، وقال : « وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدْوَرَ واستعمالهم لها أكثر ، لا مما أحدثه المُولَّدون ، ولا مما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجْرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر » . فجعل الفصاحةَ غير لازمة للبلاغة [5] ، وحصر مرجعَ البلاغة فى الفنين [6] ، ولم يجعل الفصاحة مرجعًا لشيء منهما [7] .

---

(١) ٢٢٠ - المفتاح ، وكان الأحسن تقديم هذا فى الكلام على الفصاحة والبلاغة فى المقدمة من الجزء الأول .

(٢) أى من الفن الثانى ، وقد أحسن الخطيب بتقديم الكلام على الفصاحة والبلاغة فى المقدمة من الجزء الأول .

(٣) يعنى كتاب - الإيضاح - وقد نقله عنه فى تعريفه علم المعانى .

(٤) أى فى المقدمة من الجزء الأول ، أما التعقيد المعنوى فالخلوص عنه لا يدخل عنده فى تعريف الفصاحة ، بل يدخل فى قوله فى تعريف البلاغة - وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها .

(٥) لأنه لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام كما قيده الخطيب ، والخلاف فى ذلك لا طائل تحته ؛ لأن كلاً منهما مطلوب فى الكلام ولو لم يكن أحدهما لازم الآخر .

(٦) يعنى فن المعانى وفن البيان .

(٧) إنما لم يرجع فن البيان عنده إلى الفصاحة ؛ لأن الخلوص من التعقيد المعنوى لا يدخل عنده فى تعريفها ، وفن البيان إنما يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى .

ثم قال : « وإذ قد وقفتَ على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آيةً أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين ما عسى يسترها عنك » ، وذكرما أورده الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ وقيل يا أرْضُ ابْلعى ماءك ويا سماءُ أقْلعى وغيض الماءُ وقُضىَ الأمرُ واسْتوتْ على الجُوديِّ وقيلَ بُعدًا للقوم الظالمين ﴾[1] وزاد عليه نُكتًا لا بأس بها ، فرأيت أنْ أوردَ تلخيص ما ذكره جاريًا على اصطلاحه فى معنى البلاغة والفصاحة :

قال :« أما النظر فيها من جهة علم البيان فهو أنه تعالى لمَّا أراد أن يبين معنى - أردنا أن نرُدَّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدَّ ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ، وأن يغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وإن يُقْضى أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقُضى ، وأن نُسوِّىَ السفينة على الجُودى فاستوت ، وأبقينا الظُّلمةَ غرْقى - بنى الكلام على تشبيه المراد منه[2] بالمأمور الذى لا يأتى منه لكمال هيبته العصيانُ ، وتشبيه تكوين المراد[3] بالأمر الجـزْم النافذ فى تكوُّن المقصود ، تصويرًا لاقتداره تعالى وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته كأنهم عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته ، وأحاطوا علمًا بوجوب الانقياد لأمره ، وتحتُّم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا نَظْمَ الكلام فقال تعالى : ﴿ قيل ﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل[4] ، وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد و هو يا أرض ويا سماء ، ثم قال: ﴿ يا أرض ويا سماء ﴾ مخاطبًا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور[5] ثم استعار لِغَوْر الماء فى الأرض البلعَ الذى هو إعمال الجاذبة فى المطعوم بجامع الذهاب إلى مقر

---

(١) آية ٤٤ سورة هود .

(٢) هو الأرض والسماء؛ لأنه أريد منهما بلعُ الماء والإقلاعُ عن المطر .

(٣) هو بلع الماء وما بعده .

(٤) فهو مجاز مرسل من إطلاق المسبب وإرادة السبب .

(٥) هى استعارة مكنية ، والشبه المذكور هو تشبيه المراد منه بالمأمور .

خفى[١] واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغـذاء على طريق الاستعارة بالكناية ؛ لتقوِّى الأرض بالماء فى الإنبات للزرع والأشـجار ، وجـعل قـرينة الاستـعـارة لفـظ (ابلعى)[٢] لكونه مـوضوعًا للاسـتعمـال فى الغذاء دون الماء ، ثم أمـر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره[٣]، ثم قال ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيهًا لاتصـال الماء بالأرض باتصال المِلْك بالمالك ، واستعار لحبس المطر الإقـلاعَ الذى هو تركُ الفاعل الفـعل للشـبه بينهـما فى عـدم ما كـان ، وخاطب فى الأمرين [٤] ترشيـحًا للاستعـارة ، ثم قال ﴿ وغـيض الماء وقضى الأمر واستـوت على الجودى وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين ﴾ فلم يـصرِّح بالغائض والقـاضى والمسَوِّى والقـائل كـما لم يصـرح بقـائل ﴿ يا أرض ويا سمـاء ﴾ سلوكًا فى كل واحد مـن ذلك سبيل الكناية أن تلـك الأمور العظام[٥] لا تتأتى إلا من ذى قدرة لا تُكْتنهُ ، قـهَّار لا يُغالَبُ ؛ فلا مـجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعـــل لشىء من ذلـــك غيره ، ثم خـتم الكلامَ بالتعـريض لسالكى مســلكهم فى تكـذيب الرسل [٦] · ظلمًا لأنفـسهم خَتْمَ إظهارٍ لمكـان السخط ولجهة استحقاقهم إياه [٧] .

وأما النظر فيـها من حيث علم المعانى - وهو النظر فى فـائدة كل كلـمة فيها ، وجـهةِ كل تقديم وتأخير بين جُملها - فـذلك أنه اخْتير « يا » دون سائر

(١) هى استعارة تصريحية تبعية اشتق فيها من البلع - ابلعى - بمعنى غوِّرى .

(٢) ففيه اسـتعارة تخييلية من جهة إثبـات البلع للماء وهو من لوازم الغذاء ، أو من جهـة استـعارة البلع لغور الماء فـى الأرض على ما سبق من الخـلاف فى الاستـعارة التخييلية .

(٣) يريد أمر (ابلعى) والشبه هو تشبيه المراد منه بالمأمور .

(٤) أى ﴿ ابلعى - أقلعى ﴾ ؛ فالخطاب فـيهما ترشـيح لاستعارة البلع للتـغوير والإقلاع للحبس .

(٥) أن وما بعدها فى تأويل مصدر مجـرور بحرف محذوف أى سبيل الكناية عن أن تلك الأمور الخ ، والظاهر أن الكناية هنا لغوية لا اصطلاحية .

(٦) يعنى بسالكى مسلكهم : كفار قريش ومن إليهم .

(٧) هى جهة ظلمهم أنفسهم بتكذيب الرسل .

أخواتها لكونها أكثر استعمالا ، ولدلالتها على بُعد المنادى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به ، ولم يقل - يا أرضِ - بالكسر تجنبًا لإضافة التشريف تأكيدًا للتهاون ، ولم يقل « يا أيتها الأرض » للاختصار مع الاحتراز عما فى « أيتها » من تكلُّف التنبيه غير المناسب للمقام؛ لكون المخاطَب غير صالح للتنبيه على الحقيقة(١) . واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها لكونه أخفَّ وأدْوَرَ ، واختير لفظ السماء لمثل ذلك مع قصد المطابقة(٢) . واختير ﴿ ابلعى ﴾ على - ابتلعى - لكونه أخصر ، ولمجىء حظ التجانس بينه وبين ﴿ أقلعى ﴾ أوفر(٣) ، وقيل ﴿ ماءك ﴾ بالإفراد دون الجمع لدلالة الجمع على الاستكثار الذى يأباه مقام إظهار الكبرياء ، وهو الوجه فى إفراد الأرض والسماء ، ولم يحذف مفعول ﴿ ابلعى ﴾ لئلا يُفهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وغيرها ، نظرًا إلى مقام ورود الأمر الذى هو مقام عظمة وكبرياء ، ثم إذ بيَّن المرادَ اختصر الكلام على ﴿أقلعى ﴾ فلم يقل « أقلعى عن إرسال الماء » احترازًا عن الحشو المستغنَى عنه من حيث الظاهر(٤) وهو الوجه فى أنه لم يقل « يا أرض ابلعى ماءك فبلعت ويا سماء أقلعى فأقلعت » . واختير ﴿ غيض الماء ﴾ على « غُيِّض » المشددة لكونه أخصر وأخفَّ وأوفق لقيل(٥) ، وقيل ﴿ الماء ﴾ دون أن يقال « ماء طوفان السماء» وكذا ﴿ الأمر ﴾ دون أن يقال « أمر نوح » للاختصار ،ولم يقل « سوِّيتْ على الجوديِّ » بمعنى أُقرَّتْ على نحو « قيل وغيض وقضى » فى بناء الفعل للمفعول اعتبارًا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله ﴿ وهى تجْرى بهم﴾ مع قصد الاختصار (٦) . ثم قيل ﴿ بعدًا للقوم ﴾ دون أن يقال « ليبعد

---

(١) لأن المخاطب هو الأرض وهى لا تعقل حتى تصلح للتنبيه .

(٢) هى من المحسنات الآتية فى علم البديع .

(٣) لتشابههما فى الوزن العروضى وعدد الحروف .

(٤) أى من حيث ظاهر الكلام لاشتماله على ما يدل عليه .

(٥) لتشابههما فى الوزن .

(٦) لأن همزة « استوت » تسقط فى الدَّرج فتكون أخصر من سويت .

القَوْمُ » طلبًا للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول (بعداً) منزلة (ليبعدوا بُعداً) مع إفادة أخرى وهى استعمال اللام [١] مع بُعد الدالّ على معنى أن البعد حقٌّ لهم ، ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل .

هذا من حيث النظر إلى الكَلِم [٢] وأما **من حيث النظر إلى ترتيب الجمل**: فذلك أنه قدَّم النداء على الأمر فقيل ﴿ يا أرض ابلعى ويا سماء أقلعى﴾ دون أن يقال « ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء » جريًا على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقةً من تقديم التنبيه ؛ ليتمكن الأمر الوارد عقيبه فى نفس المنادَى قصداً بذلك لمعنى الترشيح [٣] ، ثم قدّم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك فى القصة مَنزلة الأصل ، ثم أتبعها قوله ﴿ وغيض الماء ﴾ لاتصاله بقصة الماء ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله ﴿ وقضى الأمر ﴾ أى أنجز الوعد من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه فى السفينة ، ثم أتبعه حديث السفينه ، ثم ختمت القصة بما خُتمتْ .

هذا كله نظرٌ فى الآية من جانب البلاغة ، وأما النظر فيها **من جانب الفصاحة المعنوية** فهى كما ترى نَظْمٌ للمعانى لطيف ، وتأديةٌ لها ملخَّصة مبينة ، لا تعقيد يعثِر الفكر فى طلب المراد ، ولا التواء يُشيك الطريق إلى المرْتاد ، بل ألفاظها تُسابقُ معانيها ، ومعانيَها تسابق ألفاظها .

وأما النظر فيها من **جانب الفصاحة اللفظية** : فألفاظها على ما ترى عربيَّة مستعملة جارية على قوانين اللغة ، سليمةٌ عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذَبات [٤] ، سَلِسَة على الأسَلات [٥] ، كلٌّ منها كالماء فى السلاسة ، وكالعسل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة - والله أعلم .

* * *

---

(١) يعنى لام الجر فى قوله ﴿ بُعداً للقوم ﴾ لأنها تسقط إذا قيل : ليبعد القوم .

(٢) يعنى الكلمات المفردة فى الآية .

(٣) يريد بالترشيح التهيئة للأمر ، أو ترشيح الاستعارة على ما سبق .

(٤) جمع عذبة وهى الطرف من كل شىء ، والمراد بها هنا رأس اللسان .

(٥) جمع أسلة وهى رأس اللسان أيضًا ، أو الطرف المستدق من جانبيه .

مباحث الجزء الثالث

الموضوع

رقم الإيداع : ١٤٥٨٦ لسنة ١٩٩٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 241 - 289 - 6

بُغْيَةُ الإيضَاح

لتلخيص المفتاح

فى علوم البلاغة

تأليف

عبد المتعال الصعيدى

الأستاذ بكلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر

الجزء الرابع

فى علم البديع

طبعة جديدة مشكولة مفهرسة

تنبيه: كتاب الإيضاح بأعلى الصفحة ووضعنا شرحه - بغية الإيضاح - بأسفلها

الناشر: مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت: ٣٩٠٠٨٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن الثالث: علم البديع

تعريف علم البديع: وهو علمٌ يُعْـرَفُ به وجوه تحـسين الكلام[١]، بعد رعاية تطبيقه على مُقْتَضَى الحال ووضوح الدلالة[٢].

---

(١) يعنى بمعرفتها تصور معانيها والعلم بأعدادها وتفاصيلها ومنشأ الحسن فيها، وهذه الوجوه هى المحسنات المعنوية واللفظية الآتية، وإنما سميت محسنات لأنها ليست من مُقَوِّمات البلاغة ولا الفصاحة؛ فالحسن الذى تحدثه فى الكلام عَرَضى لا ذاتى.

(٢) قيل إن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ووجـوه التحسين قد يوجد دون الآخـر؛ فلا يكون الأول واجبًـا فى الثانى، ولا كل من الأول والثانى واجبًا فى الثالث، والحق أنهما يجبان فيه لأنه لا قيمة له إلا معهما، ولهذا لا تستحسن هذه الوجوه إذا تُكلفت، كالمطابقة فى قول الأُخيْطل:

قلتُ الْمُـقَـامَ ونَاعِبٌ قـال النَّوَى   فَـعَـصـيتُ قـولـى والْمُطاعُ غُـرابُ

لأن هذا من غَثِّ الكلام وبارده. ولكن هـذا لا يقتـضى التقـييـد بذلك فى تعـريف علم البديع؛ لأنه يبـحث عن وجوه الحسن بقطع النظـر عن اشتراط ذلك فيـها، كمـا يبحث علم المعانى عن المطابقة بقطع النظر عن غيرها، ويبحث علم البيان فى وضوح الدلالة بقطع النظر عن غيره؛ فالأوْلى أن يجعل ذلك شرطًا لا ركنًا فى التـعريف، وأن يقتصر فى التعريف على أنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام من جهة لفظه ومعناه.

هذا ومن القـدماء من ذهب إلى أن علم البـديع هو ما تحـصل به المطابقـة مع الفصـاحة؛ فالحسـن عنده سواء كان عرضـيًا أم ذاتيًا لفظيًا أم مـعنويًا من مقومات البـلاغة، وليس هناك شىء يقتضيـه الحال وشىء لا يقتضيه الحال، فيكون علم البـديع شاملاً للعلوم الثلاثة. وهذا قول ضعيف؛ لأن المحسنات البديعية تحـسن فى الكلام ولو لم يكن هناك حال يقتضيها، ولا تجب فيه كما يجب التأكيد ونحـوه مما يرجع إلى النظْم لأنه من مقومات البلاغة، وكما يجب وضوح الدلالة لأنه من مقومات الفصاحة، ولهذا يجب الفصل بين العلوم الثلاثة، وقد يكون لبعض وجوه التحسين نـكتة كما سيأتى، ولكنها لا تقتضى وجـوبها فى البلاغة، وإنما تكون شرطًا لكونها محسنًا بديعيًا، وبهـذا يُعلم خطأ ما شاع من أن المحسن البديعى إذا كان له نكتة يكون من علم المعانى.

تقسيم المحسنات إلى معنوية ولفظية:

وهذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى(١)، وضرب يرجع إلى اللفظ(٢).

أقسام المحسِّنْ المعْنَوى

● **المطابقة أو الطباق:** أما المعنوى فمنه المُطابقة(٣)، وتسمَّى الطِّباقَ والتَّضَادَّ أيضًا؛ وهى الجمع بين المتضادينْ أى معنـيين متقابلين فى الجملة(٤)، ويكون ذلك إمَّا

---

(١) أى أوَّلا وبالذات، وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين اللفظ أيضًا، كما فى المشاكلة لما فيها من إيهام المجانسة اللفظية.

(٢) أى أوَّلاً وبالذات. وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين المعنى أيضًا. وقد ذهب عبد القاهر إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون فى اللفظ فى ذاته من غير نظر إلى المعنى، حتى ما يتوهم فى بدء الفكرة أن الحسن لا يتعدى فيه اللفظ والجرْسَ كالتجنيس؛ لأنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدًا، ولهذا استقبح فى قول أبى تمام:

ذهَبَتْ بمذهبـه السـماحـةُ فـالْتَـوتْ   فِـيـه الظُّنُـونُ أمَـذْهَبٌ أم مُـذْهبُ

واستُحسن فى قول أبى الفتح البُسْتى:

نَاظِـرَاهُ فِـيـمَـا جَنَتْ نـاظراهُ   أوْ دَعَـانى أمُتْ بمـا أوْدَعَـانى

لأنه فى الأول لم يزدك على أن أسمعك حروفًا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة، وفى الثانى أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووَفَّاهَا.

وإنما قدم المعنوى على اللفظى لأنه أتم منه حسنًا، وقد رأى بعض مؤلفى عصرنا إلحاقه بعلم المعانى، والحقُّ أنه لا فرق بينه وبين اللفظى؛ لأنهما سواء فى أن الحسن فيهما عرضى لا ذاتى. وفى أنهما يحسنان فى الكلام ولا يجبان.

(٣) المطابقة فى اللغة: الموافقة، ووجه المناسبة بينه وبين المعنى الاصطلاحى أن المتكلِّم فيه يوافق بين المعنيين المتقابلين.

(٤) أى سواء أكان التقابل حقيقيًا أم اعتباريًا، كتقابل القدم والحدوث وتقابل الإحياء والإماتة، وسواء أكان تقابل التضاد أم تقابل غيره؛ كتقابل البياض والسواد وتقابل العمى والبصر، ومثل التقابل بين الاثنين والتقابل بين الجمع، هذا وقد ذكر التنوخى فى المطابقة أنها تحسن ما لم تكثر، فتسمج. لا يخفى أن هذا شأن المحسنات البديعية كلها لا المطابقة وحدها.

بلفظين من نوع واحد؛ اسمين، كقوله تعالى: ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ [الكهف: ١٨]، أو فعلين كقوله تعالى: ﴿**تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقول النبى عليه السلام للأنصار: «إنكم لَتكثُرون عند الفزع، وتقلُّون عند الطمع»، وقول أبى صخر الهُذلىّ:

أما والذى أبْكَى وأضحكَ والذى   أماتَ وأحيا والذى أمْرُهُ الأمْرُ[١]

وقول بشار:

إذا أيْقَظَتْكَ حُرُوبُ العِدَى   فَنَبِّهْ لها عُمَرًا ثم نَمْ[٢]

أو حرفين؛ كقوله تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾[٣] [البقرة: ٢٨٦].

وقول الشاعر:

على أننى راضٍ بأن أحْمِلَ الهوَى   وأَخْلُصَ مِنْهُ لا عَلَىَّ ولا لِيَا[٤]

وإمَّا بلفظين من نوعين؛ كقوله تعالى: ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٢] أى ضالاً فهديناه، وقول طُفَيْلٍ:

---

(١) قوله «أمره الأمر» بمعنى شأنه الأمر أى حاله أن يكون آمرًا وغيره مأمورًا، أو أمره الأمر النافذ. والشاهد فى قوله «أبكى وأضحك وأمات وأحيا» وجواب القسم فى قوله بعده:

لقد تركتْنى أحسد الوحشَ أنْ أرى   أليفين منها لا يُروِّعهُما الذُّعرُ

(٢) يريد بعمر أحد قواد المهدى، وفى رواية «إذا دهمتك عظام الأمور». والشاهد فى قوله «فنبه ثم نم»، وفيه تقابل أيضًا بين قوله «أيقظتك» و«نم».

(٣) المطابقة فيه بين اللام وعلى؛ لأن اللام للملك المؤذن بالانتفاع، وعلى للاستعلاء المؤذن بالتحمل والتضرر.

(٤) هو لمجنون ليلى، والشاهد فى «على» الثانية مع اللام فى قوله «ليا» لأن على الأولى بمعنى مع، والمعنى: أنه تحمَّلَ ما يوجب مدحَه، ولكنه يرضى بأن يخلص منه وليس عليه ذم ولا له مدح.

بِساهِمِ الوجهِ لم تُقْطَعْ أباجِلُهُ يُصانُ وهو لِيومِ الرَّوعِ مَبذُولُ[1]

ومن لطيف الطباق قول ابن رَشيق:

وقَد أطْفأوا شمسَ النهارِ وأوْقَدُوا نُجومَ العَوالى فى سماء عَجاجِ[2]

وكذا قول القاضى الأرجانى:

ولقد نزلتُ من الملوك بِماجِدٍ فَقْرُ الرجالِ إليه مِفتاحُ الغِنَى[3]

وكذا قول الفرزدق:

لعنَ الإلهُ بنى كُلَيْبٍ إنهم لا يَغْدِرُونَ ولا يَفُونَ لِجَارِ
يستيقظون إلى نهيق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوْتار[4]

وفى البيت الأول تكميلٌ حَسن[5] ؛ إذ لو اقتصر على قوله «لا يغدرون» لاحتمل الكلام ضربًا من المدح؛ إذ تجنبُ الغدر قد يكون عن عفة؛ فقال «ولا يفون» ليفيد أنه للعجز، كما أن ترك الوفاء لِلّؤْمِ، وحصل مع ذلك إيغال حسن[6]؛ لأنه لو اقتصر على قوله «لا يغدرون ولا يفون» تم المعنى الذى قصده،

(١) هو لطفيل بن عوف الغنوى، وساهم الوجه: متغيره من كثرة الجرى صفة لفرس، والأباجل: جمع أبجل وهو عرقٌ فى الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان، والروع: الفزع، والشاهد فى قوله «يصان ومبذول».

(٢) هو لأبى على الحسن بن رشيق القَيْرَوانىّ، وَالعوالى: جمع عالية وهى أعلى الرمح أو النصف الذى يلى السِّنَانَ، والعجاج: الغبار، والشاهد فى قوله «أطفؤوا وأوقدوا».

(٣) هو لأبى بكر أحمد بن محمد القاضى الأرجانى من قصيدة له فى مدح على بن جهير وزير المستظهر بالله، ومعناه أن فقرهم إليه مفتاح الغنى لهم بما يعطيهم، والشاهد فى التقابل بين الفقر والغنى.

(٤) هما من قصيدة له فى هجاء جرير، وقوله «لا يغدرون» بمعنى لا يخونون عدوهم لعجزهم عنه، وَهذا ذم لهم، وَالأوتار: جمع وتر وَهو الثأر، يعنى أنهم لا يهمهم أمر أوتارهم ويهمهم أمر حمارهم، فيستيقظون عند نهيقه ليعرفوا ما حمله عليه ويدفعوا المكروه عنه. والشاهد فى قوله «لا يغدرون ولا يفون، ويستيقظون وتنام أعينهم».

(٥) التكميل من أنواع الإطناب، وقد سبق فى الجزء الثانى.

(٦) الإيغال من أنواع الإطناب، وقد سبق فى الجزء الثانى.

ولكنه لمَّا احتـاج إلى القافـية أفاد بهـا معنًى زائدًا، حيث قـال «الجار»؛ لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحًا من ترك الوفاء لغيره.

الطباق الظاهر والخفى:

والطباق قد يكون ظاهرًا كما ذكرنا، وقد يكون خفيًا نوع خفاء؛ كقوله تعالى: ﴿ **مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا** ﴾ [نوح: ٢٥] طابقَ بين (أغـرقوا) و(أدخلوا نارًا). وقول أبى تمام:

مـهـا الـوحشِ إلا أنَّ هاتَا أوانِسٌ   قَـنَا الخـطِّ إلا أن تـلـك ذَوَابِـلُ(١)

طابقَ بين هاتا وتلك(٢).

طباق الإيجاب وطباق السلب:

والطبـاق ينقسم إلى طبـاق الإيجاب، كمـا تقدم، وإلى طبـاق السلب؛ وهو الجمع بين فعلَىْ مصدر واحد مُثبَت ومَنْفي أو أمرٍ ونهي؛ كقوله تعالى: ﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الروم: ٦، ٧]، وقوله: ﴿ **فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ** ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقول الشاعر:

وَنُنْكِرُ إنْ شـئنا على الناس قـولَهُمْ   ولا يُنكرون القــولَ حين نقــولُ(٣)

وقول البحترى:

يُقَيَّضُ لى من حيث لا أعلم النَّوَى   ويَسْرِى إلىَّ الشَّوْقُ من حيث أعلمُ(٤)

---

(١) المها: واحده مـهاة وهى البقرة الوحـشية، يعنى أنهن كبـقر الوحشى فى سعـة العيون، قنا: واحدة قناة وهى الرمح، والخط: بلد تـصنع فيها، يعنى أنهـن كقنا الخط فى اعتدال القـامة، والذوابل: الأغصان الجافة، يعنى أن تلك الرماح ذوابل أما هن فنواضر.

(٢) لأن «هاتا» اسم إشارة للقريب، و«تلك» اسم إشارة للبعيد.

(٣) قد سبق هذا البيت فى آخر الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى، والشاهد فى قوله «وننكر ولا ينكرون».

(٤) قوله «يقيض» بمعنى يهيأ، والنوى: الفراق، والمراد أنه يقيض له من حيث لا يعلم أسبابه لأن محبوبتـه تهجره بلا سبب، أما الشوق فـهو يعلم سببه وهو حبه لهـا، والشاهد فى قوله «لا أعلم وأعلم».

وقول أبى الطيب:

ولقد عُـرِفتَ وما عُـرِفتَ حقيـقةً ... ولقد جُهِلتَ وما جُهِلتَ خُمولا[1]

وقول الآخر:

خُلِقـوا ومـا خُلِقـوا لمكْرُمَـةٍ ... فكأنـهم خُلِقـوا ومـا خُلِقـوا

رُزِقـوا ومـا رُزِقـوا سـمـاحَ يَدٍ ... فكأنـهم رُزِقـوا ومـا رُزِقـوا[2]

قيل: ومنه[3] قوله تـعالى: ﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦]؛ أى لا يعصون الله فى الحال، ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل.

وفيه نـظر؛ لأن العصيان يُضَـادُّ فعلَ المأمور به، فكيف يكون الجمع بين نـفيه وفعلِ المأمور به تَضاداً[4]؟!.

الطباق المسمى تدبيجًا:

ومن الطباق[5] قول أبى تمام:

تَرَدَّى ثيـابَ الموتِ حُـمْرًا فـمـا أتى ... لها الليلُ إلا وهىَ مِن سُنْدُسٍ خُضْرُ[6]

---

(١) هو من قصيدة له فى مدح ابن عمار مطلعها:

أمُـعـفِّـر الليث الهِـزَبْر بسـوطه ... لمن ادَّخـرتَ الصـارمَ المصـقـولا

ومعنى البيت أنه عُرِف بسخائه وكريم صفاته، ولكنه لم يعرف حقيقةً لعلو قدره، فلا يمكن الوصول إلى حقيقته، والشاهد فى قوله «عرفت وما عرفت وجهلت وما جهلت».

(٢) لا يعلم قائلهما، والواوفى قوله «وما خلقوا» للحال، والمعنى أنهم خلقوا غير مستعدين لفعل المكارم فكأنهم لم يخلقـوا؛ لأن من يكون مثلهم فوجوده كـعدمه، وكـذلك المعنى فى البيت الثانى، والشاهد فى قوله «خلقوا وما خلقوا، ورزقوا وما رزقوا».

(٣) أى من طباق الإيجاب والسلب.

(٤) على أنه ليس فيه جمعٌ بين فعلى مصدر واحد كما هو فى طباق الإيجاب والسلب.

(٥) أى مطلقًا، وهذا توطئة لقوله فيما سيأتى: «ومن الناس من يسمى نحو ما ذكرناه تدبيجًا».

(٦) هو من قصيـدته فى رثاء محمد بن حُـمَيد، وقوله «تردى ثيـاب الموت» بمعنى اتخذها رداء، والمراد بثياب المـوت ما كان يلبسهـا وقت الحرب، وقوله «حمـراً» حال مقدرة أى حـمرا بعد القتال لا حين لبـسها لأنها لم تحمر إلا بدم القـتلى، والسندس: رقيق الحرير، والأول كناية =

وقول ابن حيّوس:

طالما قلتُ للمُسائلِ عَنكُمْ واعتمادى هِدايةُ الضُّلاَّلِ
إن تُرِدْ علمَ حالِهِمْ عن يقينٍ فالقَهُمْ يوم نائلٍ أو نزَالِ
تَلْقَ بيضَ الوجوهِ سُودَ مُثار النَّقـ ـعِ خُضرَ الأكنافِ حُمْرَ النِّصالِ[1]

وقول الحريرى: «فَمُذ ازْوَرَّ المحبوبُ الأصفر[2]، واغبرَّ العيش الأخضر[3]، اسودَّ يومى الأبيض، وابيض فَوْدِى الأسود، حتى رَثَى لى العدوُّ الأزرق[4]؛ فيا حبذا الموت الأحمر»[5].

ومن الناس من سمَّى نحو ما ذكرناه تدبيجًا، وفسَّره بأن يُذْكَر فى معنًى مِن المدح أو غيره ألوانٌ بقصد الكناية أو التورية[6]؛ أما تدبيج الكناية فكبيت أبى تمام

= عن القتل والثانى كناية عن دخول الجنة، والطباق فى قوله «حمرًا وخضرُ».

(١) ابن حيوس هو أبو الفتيان محمد بن سلطان. وقوله «طالما» بمعنى طال وكثر، وما كافة، اعتمادى: مصدر بمعنى اسم المفعول مبتدأ وما بعده خبر، وهى جملة معترضة بين القول ومقوله، والنائل: العطاء، والنزال: مصدر نازله فى الحرب بمعنى نزل فى مقابلته وقاتله، ومثار النقع: منتشر الغبار يعنى غبار الحرب، والأكناف: جمع كَنَف وهو الجانب، وخضرتها: كناية عن سواد دروعها؛ لأن العرب تسمى الضارب إلى السواد أخضر، والنصال: جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسكين، وربما سمى السيف نصلا، وحمرتها: كناية عن قتل الأعداء بها، هذا وقوله «بيض الوجوه» يرجع إلى يوم نائلهم، وما بعده يرجع إلى يوم نزالهم. والشاهد فى التقابل بين بيض وسود وخضر وحمر، والأول كناية عن كرمهم وما بعده كناية عن شجاعتهم.

(٢) تورية بالذهب.

(٣) خضرة العيش كناية عن طيبه.

(٤) هو الخالص العداوة.

(٥) كناية عن الموت الطرىِّ أى الجديد.

(٦) المراد بالألوان ما فوق الواحد فيشمل الاثنين، واحترز بذكرها بقصد ذلك عن ذكرها بقصد الحقيقة أو المجاز؛ لأن ذكرها بقصد الحقيقة ليس من المحسنات البديعية، وذكرها بقصد المجاز المانع من إرادة الألوان من المحسنات اللفظية، وقيل إن ذكرها بقصد الحقيقة لا يمنع من كونها تدبيجًا؛ كقول الشاعر: =

وبيتَي ابن حيُّوسٍ، وأما تدبيج التورية فكلفظ الأصفر فى قول الحريرى[1].

● **ما يلحق بالطباق:** ويُلحَقُ بالطباق شيئان:

* أحدهما[2] نحو قوله تعالى: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح: ٢٩]؛ فإن الرحمة مسببَّة عن اللين[3] الذى هو ضد الشدة، وعليه قوله تعالى: ﴿**وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ**﴾ [القصص: ٧٣] فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون، والعدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل؛ لأن الحركة ضربان: حركة لمصلحة، وحركة لمفسدة، والمراد الأولى لا الثانية.

ومن فاسد هذا الضرب قولُ أبى الطيب:

لِمَن تَطلبُ الدنيا إذا لم تُرِدْ بها ... سُرُورَ مُحِبٍّ أو مَساءةَ مجرمِ؟[4]

فإن ضد المحب هو المبغض، والمجرم قد لا يكون مبغضًا، وله وجه بعيد[5].

= ومَنْثُورُ دمعى غَدَا أحْمرا ... على آسِ عارضك الأخْضَرِ

وإنما لم يجعل التدبيج قسمًا خاصًا من المعنوى لأنه يدخل فى الطباق؛ لما بين الألوان من التقابل.

(١) لأن له معنى قريبًا وهو محبوب أصفر من البشر، ومعنى بعيد وهو الذهب، والبعيد هو المراد هنا. وفى كلام الحريرى تدبيج الكناية أيضًا؛ لأن خضرة العيش كناية عن طيبه ونعومته، واغبراره كناية عن ضيقه ونقصانه، وسواد يومه كناية عن حزنه، وبياض فوده كناية عن ضعف حاله.

(٢) هو أن يجمع بين معنيين لا يتنافيان فى ذاتهما، ولكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر بسببه أو لزومه أو نحوهما.

(٣) اعترض عليه بأن اللين هو رقة القلب ورحمته وانعطافه؛ فتكون الرحمة داخلة فيه لا مسببة عنه.

(٤) يخاطب بهذا كافورًا حين أخرعطاءه عنه، والاستفهام يراد به النفى.

(٥) هو أن بين الإجرام والبغض تلازمًا ادعائيًا؛ كأنه يشير إلى أن المجرم لا يكون إلا مبغضًا له لمنافاة حاله لحاله.

* والثانى ما يُسمَّى إيهام التضاد[1] كقول دِعْبِلٍ:

لا تعــجَــبِى يا سَلْـمُ مِن رَجُلٍ ضَـحكَ المَشـيبُ برأسـه فـبكَى[2]

وقول أبى تمام:

ما إنْ ترَى الأحسابَ بِيـضًا وُضَّحًا إلا بحــيـثُ ترَى المَـنايا سُــودا[3]

وقوله أيضًا فى الشيب:

له مـنظرٌ فـى العـين أبيضُ نـاصعٌ ولكنه فى الـقلب أسْـودُ أسـفعُ[4]

وقوله:

وتَنظَّرِى خَـببَ الـرِّكـاب يَنُصُّـهـا مُحْيِى القَـريضِ إلى مُميتِ المالِ[5]

ما يُخَصُّ من الطباق باسم المقابلة: ودخل فى المطابقة مـا يُخَصُّ باسم المقابلة،

---

(١) هو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين عُبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان.

(٢) هو لدعبل بن على الخزاعى، وسلم: ترخـيم سلمى، وقوله «ضحك المشيب» استعـارة تبعية لظهوره التام برأسه؛ لأن كلا منهمـا يشبه الآخر فى لونه، والشاهد فى أن المراد بالضحك فى البيت لا يضاد البكاء ولكن معنيـيهما الحقيقيين متـضادان. والفرق بينه وبين التدبيج أنه يكون بطريق المجاز، أما التدبيج فيكون بطريق الكناية أو التورية.

(٣) بيض: جمع أبيض، ووضح: جمع واضح، وهما استعارتان لنقاء الأحساب من الدنس، المنايا: جمع منية وهى الموت، والمنايا السود: كنـاية عن القتل فى الحرب، والشاهد فى أن المراد من البيض والمراد من السود فى البيت لا تضاد بينهما، ولكن معنييهما الحقيقيين متضادان.

(٤) الأبيض الناصع: هو الشديد البياض، والأسود الأسفع: هو الأسود إلى حمرة، والشاهد فى هذا أنه استعار الأسود الأسفع لما يحدثه منظره فى نفسه من الهم والحزن، فمعناه الحقيقى هو الذى يقابل ما قبله لا المجازى.

(٥) هو لأبى تمام أيضًا، وقوله «تنظرى» بمعنى انتظرى، الخـبب: أن يتراوح الفرس فى عَدْوه بين يديه ورجليه بأن يقوم على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة، والركاب: الإبل وقوله «ينصها» بمعنى يستحثها شديدًا، و«مـحيى القريض» كناية عن نفسه، و«مميت المال» كناية عن ممدوحه، والشاهد أن المراد مـن المحيى والمراد من المميت فـى البيت غيـر متـضادين ولكن معنيـيهـما الحقيقيين متضادان، وقبل البيت:

لا تنـكرى عَطَـلَ الكـريم من الغِـنى فـالـسـيلُ حـربٌ للمكان العــالى

وهو أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل[1]. وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به.

مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [التوبة: ٨٢] وقول النبى عليه السلام: «إن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه». وقول الذُّبيانى:

فَتًى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... على أنَّ فيه ما يسوءُ الأعَادِيَا[2]

وقول الآخر:

فَوَا عَجَبًا كيف اتفقنا فَنَاصِحٌ ... وفِيٌّ ومَطْوِيٌّ على الغِلِّ غَادِرُ[3]

فإن الغل ضد النصح، والغدر ضد الوفاء.

ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبى دُلامَةَ:

مَا أحْسنَ الدِّينَ والدنيا إذا اجْتمَعَا ... وأقْبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ!![4]

وقول أبى الطيب:

فلا الجودُ يُفْنى المالَ والْجَدُّ مَقْبِلٌ ... ولا البخلُ يُبقِى المالَ والجَدُّ مُدبِرُ[5]

---

(١) فلا يشترط فيه أن يكونا متناسبين كما سيأتى فى مراعاة النظير، فإن كانا كذلك سمى مراعاة نظير أيضًا.

(٢) هو للنابغة الذبيانى، وقد نُسب فى الحماسة للنابغة الجعدى، وروايتها «فتى كان فيه» وفتى: منصوب بفعل محذوف تقديره: اذكر فتى، والمراد ما يسر صديقه من نفعه له، وما يسوء أعاديه من إيقاع الضرر بهم، والشاهد فى قوله «يسر صديقه ويسوء الأعاديا».

(٣) لا يعلم قائله، والغل: الحقد، والفاء فى قوله «فناصح» تعليل للتعجب من اتفاقهما، وكل من ناصح ومَطوى خبر مبتدأ محذوف تقديره: فأنا ناصح وفى وأنت مطوى على الغل غادر.

(٤) فأقبح: يقابل أحسن، والكفر: يقابل الدين، والإفلاس يقابل الدنيا، وأبو دلامة هو زند بن الجون، وقد سأله المنصور عن أشعر بيت قالته العرب فى المقابلة، فأنشده هذا البيت.

(٥) الجد: الحظ، والشاهد فى أن كلا من البخل ويبقى ومدبر يقابل كلاً من الجود ويفنى ومقبل.

ومثال مـقابلة أربعة بأربعة قـوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠] فإن المراد باستغـنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مـستغن عنه فلـم يَتَّقِ، أو استغنى بشـهوات الدنيا عن نعـيم الجنة فلم يتق[(١)].

قيل: وفى قول أبى الطيب:

أَزُورُهُمْ وســوادُ الليل يَشْـفعُ لى وأنثَنِى وبياضُ الصـبح يُغْرِى بى[(٢)]

مقابلة خمسةٍ بخمسة؛ على أن المقابلة الخامسـة بين «لى وبى».

وفيـه نظـر؛ لأن اللام والباء فيهما صلتا الفعلين فهما من تمامهما، وقـد رُجِّحَ بيت أبى الطيب على بيت أبى دُلامـةَ بكـثرة المقـابلـة مع سهولـة النظـم. وبـأن قافيـة هـذا ممكنة، وقافية ذاك مُستَدْعـاةٌ؛ فـإن مـا ذكره غير مختص بالرجـال[(٣)]، وبيتُ أبى دلامة على بيت أبى الطيب بجـودة المقابلة؛ فإن ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح.

ومن لطيف المقابلة ما حُكِىَ عن محمد بن عِمْرَانَ الطَّلْحىّ إذ قال له المنصور: بلغنى أنك بخـيل. فقال: «يا أمـير المؤمنين، ما أجـمدُ فى حق، ولا أذوب فى باطل».

---

(١) حينئذ يكون مقابلاً لقوله (اتقى) بما يستلزمـه من عدم الاتقاء. والاستغناء كما يطلق على هذا يطلق على كثرة المال وليس مرادًا.

(٢) قوله «يشـفع لى» بمعنى يعينه على اجتـماعه بهم لأنه يسـتره عن الرقباء، وقـوله «يغرى بى» بمعنى يحضهم عليه لئلا يراه رقباؤهم، وبهذا قابل يغرى بـ: يشفع.

(٣) يريـد بالقافـيـة الممكنـة مـا كانت متمكـنة فى مقامها، وبالمستدعاة ما كـانت مجلوبة لأجل الـوزن والقافـيـة، لا لمقام يقتـضيها، والمـقام فى بيـت أبى دلامـة يقتـضى لفظًا أعـم مـن الرجـل.

وقال السكاكى[١]: المقابلة أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما، ثم إذا شرطتَ هنا شرطًا شرطتَ هناك ضده[٢] كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ...﴾ الآيتين [الليل: ٥، ٦]، لمَّا جعل التيسير مشتركًا بين الإعطاء والإبقاء والتصديق، جعل ضده وهو التعسير مشتركًا بين أضداد تلك وهى المنع والاستغناء والتكذيب.

مراعاة النظير أو التناسب: ومنه مراعاة النظير؛ وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضًا، وهى أن يُجْمَعَ فى الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد[٣] كقوله تعالى: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾ [الرحمن: ٥]، وقول بعضهم للمُهلَّبىِّ الوزير: «أنت أيها الوزير إسماعيلىُّ الوعد، شُعَيبى التوفيق، يُوسفِىُّ العفو، محمدىُّ الخُلق»[٤]. وقول أَسَيْدِ بن عَنْقاء[٥] الفزارى:

كأن الثُّرَيا عُلِّقَتْ فى جبينه ... وفى خدِّه الشِّعْرَى وفى وجهه البدْرُ[٦]

---

(١) ٢٢٥ - المفتاح.

(٢) المراد بالشرط الاجتماع فى أمر لا الشرط المعروف؛ وبهذا لا يكون فى بيت أبى دلامة مقابلة عند السكاكى؛ لأنه اشترط فى الدين والدنيا الاجتماع ولم يشترط فى الكفر والإفلاس ضده، بل شرط فيهما الاجتماع أيضًا.

هذا وقد تكون المقابلة بين ستة وستة وهو آخر ما وجد منها فى كلامهم؛ كقول عنترة:

على رأس عبدٍ تَاجُ عِزٍّ يَزِينهُ ... وفى رِجْل حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يشينهُ

(٣) قيد بذلك ليخرج الطباق؛ لأن المناسبة فيه بالتضاد.

(٤) التناسب بين إسماعيل وشعيب ومحمد؛ لأنهم أنبياء، وبين الوعد والتوفيق والعفو والخلق؛ لأنها أخلاق.

(٥) هى أمه وقد اشتهر بنسبته إليها، واسم أبيه بجرة.

(٦) روايه الحماسة «القمر» بدل «البدر»، وهى المناسبة لباقى الأبيات. ومطلعها:

رأتنى على ما بى عُمَيْلَةُ فاشتكى ... إلى حاله حالى أسَرَّ كما جَهَرْ

والثريا: كواكب فى عنق الثور، والشعرى: كوكب فى الجوزاء، والشاهد فى جمع الثريا والشعرى والقمر لتناسبها فى أنها كواكب، وفى جمع الجبين والخد والوجه أيضًا.

وقول الآخر فى فرس:

مِنْ جُلَّنَارٍ ناضِرٍ خَدُّهُ وأُذْنُهُ مِنْ وَرَقِ الآسِ[(١)]

وقول البحترى فى صفة الإبل الأنضاء:

كالْقِسِيِّ الْمُعَطَّفَاتِ بل الأسْهُمِ مَبْرِيَةً بَلِ الأوْتَارِ[(٢)]

وقول ابن رشيق:

أصَحُّ وأقوى ما سمعناه فى النَّدَى مِنَ الخَبَرِ المأثورِ مُنْذُ قَدِيمِ

أحاديثُ ترويها السُّيولُ عَنِ الحيا عن البحر عن كفِّ الأمير تَمِيمِ[(٣)]

فإنه ناسب فيه بين الصحة والقوة، والسماع والخَبرِ المأثور، والأحاديث والرواية، ثم بين السيل والحيا، والبحر وكف تميم، مع ما فى البيت الثانى من صحة الترتيب فى الْعَنْعنة؛ إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع فى سند الأحاديث؛ فإن السيول أصلها المطر، والمطر أصله البحر على ما يقال[(٤)]؛ ولهذا جعل كف الممدوح أصلاً للبحر مبالغةً.

---

(١) هو لإبراهيم بن أبى الفتح المعروف بابن خفاجة فى وصف فرس أشقر، والجلنار: زهر الرُّمان، والآس: الريحان، والمراد تشبيه خده بالجلنار فى طراوته، وأذنه بورق الآس فى انتصابها، والشاهد فى تناسب الجلنار والآس وفى تناسب الخد والأذن.

(٢) القسى: جمع قوس، والمبرية: المنحوتة، والأوتار: جمع وتر وهو الخيط الجامع بين طرفى القوس، والإضراب فى ذلك للترقى؛ لأن السهام أرق من القسى، والأوتار أرق من السهام، والمراد تشبيه الإبل الأنضاء - وهى المهازيل جمع نضو - بذلك فى الرقة، والشاهد فى تناسب القسى والسهام والأوتار.

(٣) هما لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى، والندى: الكرم، وقوله «من الخبر» بيان لما فى قوله «ما سمعناه»، والمأثور: المروى، والحيا: المطر، والأمير تميم: هو أبو على تميم بن المعز بن باديس.

(٤) لأنه يحدث من تكاثف البخار المتصاعد منه بتأثير البرد.

ما يُسمَّى من التناسب **تشابه الأطراف**: ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف، وهو أن يُخْتَم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فإن اللطف يناسب ما لا يُدْرَكْ بالبصر[1]، والخبرة تناسب من يُدْرِكُ شيئًا؛ فإن من يدرك شيئًا يكون خبيرًا به، وقوله تعالى: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [الحج: ٦٤]، قال: ﴿**الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ لينبه على أن ما له ليس لحاجة، بل هو غنى عنه جواد به، فإذا جاد به حمده الْمُنْعَمُ عليه.

ومن خفى هذا الضرب[2] قوله تعالى: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة: ١١٨]، فإنَّ قوله ﴿**وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ**﴾ يوهم أن الفاصلة «الغفور الرحيم»، ولكن إذا أُنْعِمَ النظر عُلِمَ أنه يجب أن تكون ما عليه التلاوة؛ لأنه لا يَغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحدٌ يردُّ عليه حكمه؛ فهو العزيز لأن العزيز فى صفات الله هو الغالب، من قولهم «عَزَّهُ يَعُزُّهُ عَزًّا» إذا غلبه، ومنه المثل «مَن عزَّ بَزَّ» أى مَن غلب سلب[3]، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضًا؛ لأن الحكيم مَن يضع الشىء فى محله، واللهُ تعالى كذلك، إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة فى بعض أفعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة؛ فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن[4]، أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا مُعترَضَ عليك لأحد فى ذلك، والحكمة فيما فعلته.

---

(١) لأن اللطف فى الأصل دقة الشىء، ولكن المراد باللطف هنا ما لا تدركه الأبصار مطلقًا؛ لاستحالة الأول على الله تعالى، ويجوز أن يكون من اللطف بمعنى الرأفة؛ فيكون من إيهام التناسب الآتى لا من التناسب.

(٢) يعنى هذا الضرب من مراعاة النظير وهو تشابه الأطراف.

(٣) يضرب لمن يتغلب على غيره فلا يقدر على منع شىء منه.

(٤) الاحتراس نوع من الإطناب السابق فى الجزء الثانى.

إيهام التناسب:

ومما يلحق بالتناسب نحو قوله تعالى: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**﴾ [الرحمن: ٥، ٦]، ويسمى: إيهامَ التناسب(١).

إرجاع التفويف إلى التناسب والمطابقة:

وأمَّا ما يسميه بعض الناس التفويف؛ وهو أن يُؤْتَى فى الكلام بمعَانٍ متلائمة فى جمل مستوية المقادير أو متقاربتها، كقول من يصف سحابًا:

تسَربلَ وَشيًا من خُزوزٍ تَطَرَّزَتْ مطارِفُها طُرْزًا من البَرق كالتبرِ
فَوَشيٌ بلا رقمٍ ونَقْشٌ بلا يَدٍ وَدَمْعٌ بلا عين وضحكٌ بلا ثَغْرِ(٢)

وكقول عنترة:

إنْ يلْحَقوا أكرُرْ وإن يَسْتَلحِقوا أشْدُدْ وإن نزلوا بِضَنْكٍ أنْزِلِ(٣)

---

(١) هو أن يجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان ولكنهما غير مقصودين؛ فالمراد من النجم فى الآية النبات الذى لا ساق له، ولا مناسبة بينه وبين الشمس والقمر بهذا المعنى، ولكنه يناسبهما إذا كان بمعنى الكوكب.

(٢) هما لأبى العباس الناشىء كما فى «زهر الآداب» وقيل: إنهما لغيره. والضمير فى «تسربل» للسحاب، والوشى: نوع من الثياب منقوش، والخزوز: جمع خزّ وهو الحرير، والمطارف: جمع مِطْرَف وهو رداء من خز ذو أعلام، وطرز: جمع طِرَازٍ وهو عَلَمُ الثوب، والمراد «تطرزت بطرز» فهو من باب الحذف والإيصال، والرقم: مصدر رقم الثوب بمعنى خَطَّطه، والدمع: استعارة للمطر، والضحك: استعارة للبرق. والشاهد فى البيت الثانى؛ لأنه أربع جمل متساوية معانيها متلائمة.

(٣) هو لعنترة بن شداد العبسى. والضمير فى «يلحقوا» لقومه أى يلحقوا عدوهم، وقوله «أكرر» بمعنى أحمل عليه، وقوله «يستلحقوا» بمعنى يطلبون لحوقهم لنجدتهم، وقوله «أشدد» بمعنى أركض، والشاهد فى اجتماع الجمل الثلاث.

وكقول ابن زيدون:

تهْ أحتَمِلْ واحْتَكِمْ أصبِرْ وَعِزَّ أَهُنْ   ودِلَّ أخْضَعْ وقُلْ أَسْمَعْ وَمُرْ أُطِعِ[١]

وكقول ديك الجن:

أُحْلُ وامْرُرْ وَضُرَّ وأَنْفَعْ ولِنْ واخْـ   شُنْ وَرِشْ وَابْرِ وانْتَدِبْ لِلمَـعالى[٢]

فبعضه من مراعاة النظير[٣]، وبعضه من المطابقة[٤].

● **الإرصاد أو التسهيم**: ومنه الإرصاد، ويُسَمَّى التسهيم أيضاً[٥].

وهو أن يُجْعَلَ قبل العَجُزِ من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عُرِفَ الرَّوِىُّ[٦].

كقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾.[٧] [العنكبوت: ٤٠] وقوله: ﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ**

---

(١) هو لأبى الوليد أحمد بن عبد الله المعروف بابن زيدون. وقوله «ته» بمعنى تكبر، وقوله «عز» بمعنى صر عزيزاً، وقوله «دل» أمر من الدلال وهو إظهار المرأة الخلاف فى تلطف كأنها تخالف وما بها من خلاف، والشاهد فى اجتماع هذه الجمل الست، ولكن اجتماع هذا كله فى بيت واحد لا يخلو من تكلف وثقل.

(٢) هو لعبد السلام بن رغبان الحمصى المعروف بديك الجن. وقوله «رش» أمر من راش بمعنى أصلح. والمراد أعنْ وأغْنِ، وقوله «أبر» أمر من برى السهم: نحته والمراد أفقر، وقوله «انتدب» أمر من انْتَدَبَ. يقال «ندبه لأمر فانتدب» أى دعاه فأجاب، والشاهد فى اجتماع هذه الجمل الخمس، ويرد عليها ما ورد على البيت السابق.

(٣) كما فى الشاهد الأول فى وصف السحاب.

(٤) كما فى الشاهد الرابع، ولا يخفى ما فى الشاهد الثانى والثالث منهما أيضا.

(٥) يسميه قدامة والعسكرى «التوشيح» وهو ما يكسب الشعر حلاوة والنثر طلاوة؛ ولهذا افتخر به ابن نُباته السعدى فى قوله:

خذها إذا أنشدتْ فى القوم من طرب   صدورُها عُرفتْ منها قوافيها

(٦) المراد بالعجز آخر كلمة من الفقرة أو البيت.

(٧) والإرصاد فى هذه الآية قوله «ليظلمهم» لأنه يدل على أن مادة العجُز من مادة الظلم، ويعين كونَ المادة من الظلم مختومة بنون بعد واوٍ معرفةُ الروى فى الآية قبلها وهو النون، والإرصاد فى الآية بعدها قوله «فاختلفوا».

مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩]. وقولَ زهير:

سَئِـمْتُ تكاليفَ الحيـاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثمـانين حَـوْلاً لاَ أَبَا لَكَ يَسْـأَمِ[١]

وقول الآخر:

إذا لم تسـتـطع شـيـئاً فَـدَعْـهُ وَجَـاوِزْهُ إلـى مــا تســتـطيعُ[٢]

وقول البحترى:

أبكيكـمـا دمــعًا ولـو أنِّى على قَـدْرِ الجوَى أبكِى بكيـتُكُما دمـا[٣]

وقوله:

أحَلَّتْ دَمِى مِن غير جُرْمٍ وحَرَّمَتْ بلا ســببٍ يـوم اللقــاء كــلامى

فلـيس الذى حـلَّلْتِــهِ بمُحَـلَّلٍ وليس الذى حــرَّمْتِـهِ بـحـرامِ[٤]

* **المشاكلة:** ومنه المشاكلة، وهى ذكر الشىء بلفظِ غيره لوقـوعه فى صحبته[٥] تحقيقاً، أو تقديراً.

أما الأول فكقوله:

قالوا: اقترِحْ شيـئاً نُجِدْ لك طبخَهُ قلتُ: اطبخـوا لى جُبَّةً وقمـيصا[٦]

---

(١) التكاليف: جمع تكليف وهو الأمـر الشاق، وقوله «لا أبالك»: جمـلة دعائية معتـرضة بين الشرط والجواب. والإرصاد قوله «سئمت».

(٢) هو لعمرو بن معديكرب، وقوله «دعه» بمعنى اتركه، والإرصاد قوله «إذا لم تستطع»

(٣) الجوى: الحرقة من عـشق أو حزن، والإرصاد قوله «أبكيكما دمعـاً» لأنه لا يبقى عندهم بعده إلا بكاء الدم، أو قوله «ولو أنى على قدر الجوى أبكى».

(٤) هما للبـحترى أيضـاً، والجرم: الذنب، والإضافة فى قـوله «كلامى» من إضافـة المصدر إلى مفعوله، والمراد كلامها له، والإرصاد قوله «حرمته».

(٥) مثل ذكر الشىء بلفظٍ غيره لوقوعه فى صحـبته ذكرُه بلفظٍ مضاد للمصاحب له أو مناسب له كما سيأتى.

(٦) هو لأبى الرقَعمق أحمد بن مـحمد الأنْطَاكِىِّ، وقوله «اقترح» أمر من «اقتـرح عليه شيئاً» إذا سأله من غير روية وطلبه على سبيل التكليف، وقوله «نجد» بمعنى نُحسن.

كأنه قال: خيطوا لى. وعليه قوله تعالى: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ**﴾[1] [المائدة: ١١٦] وقوله: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾[2] [الشورى: ٤٠].

ومنه قول أبى تمام:

مَن مُبْلِغٌ أَفْنَاءَ يَعْرُبَ كلَّها ... أَنِّى بَنيتُ الجارَ قبلَ المنزلِ[3]

وشهد رجل عند شُرَيح فقال: «إنك لَسَبْطُ الشهادة»[4] فقال الرجل: «إنها لم تُجَعَّدْ عنِّى»[5]؛ فالذى سوغ بناءَ الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة، ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار، ولولا سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها.

ومنه قول بعض العراقيين فى قاضٍ شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته:

أتُرَى القاضىَ أعمى ... أم تُرَاهُ يتعامَى

سرقَ العيدَ كأنَّ الـ ... ـعيدَ أموالُ اليتامى[6]

---

(١) والحق أن ما فى الآية ليس من المشاكلة؛ لأن إطلاق النفس على ذات الله ورد فى قوله تعالى ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ [آل عمران: ٣٠] فيكون إطلاقه على معناه لا على معنى غيره.

(٢) والمشاكلة فى إطلاق لفظ (سيئة) الثانى على جزاء السيئه.

(٣) الأفناء: جمع فنء وهو الجماعة، والشاهد فى قوله «بنيت الجار» لأنه لا يبنى وإنما شاكل به «قبل المنزل» لأن تقديره: قبل بناء المنزل، والمقدر كالمذكور، وقيل: إن هذا من القسم الثانى وهو ظاهر الضعف.

(٤) أى مستمر فى حفظها أو قبولها دائماً؛ لأن السبوط فى الأصل انطلاق الشعر وامتداده.

(٥) يعنى أنها لم تقصر عن إدراكه وحفظه، والتجعد فى الأصل ضد السبوطة، وهذا من المشاكلة بلفظ مضاد للمذكور معه.

ومن المشاكلة بلفظ مناسب للمذكور معه ما ورد أن رجلاً قال لوهب: أليس قد ورد أن «لا إله إلا الله» مفتاح الجنة؟ فقال له وهب: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإذا جئتَ بالأسنان فُتح لك، وإلا لم يُفتح لك. فقد عبر عن «لا إله إلا الله» بالمفتاح، وعبر عن الأعمال بالأسنان مشاكلةً بالمناسب.

(٦) هما كما جاء فى «اليتيمة» للصاحب بن عباد. وقوله «ترى» على صورة المبنى للمفعول بمعنى تظن، والشاهد فى جعل العيد مسروقًا لوقوعه فى صحبة أموال اليتامى.

وأما الثانى فكـقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] وهو مـصدر مؤكد(١) منتصب عن قوله ﴿آمنا بالله﴾ والمعنى «تطهيـرَ الله»؛ لأن الإيمان يطهر النفوس، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهـم فى ماء أصفر يسمونه المَعْمُودِيّةَ ويقولون: هو تطهير لهم. فأُمِر المسلمون بأن يقولوا لهم: قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغةً لا مثل صبغـتنا، وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا. أو يقول المسلمون: صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم يصبغ صبغتكم، وجئ بلفظ الصبغة(٢) للمشـاكلة وإن لم يكن قـد تقدم لفظ الصبـغ؛ لأن قرينة الحال التـى هى سبب النزول من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفـر دلت على ذلك؛ كما تقول لمن يغرس الأشجار: «إغرس كما يغرس فلان» تريد رجلا يصطنع الكرام(٣).

* **الاستطراد:** ومنه الاستطراد، وهو الانتقال من مـعنى إلى معنى آخر متصل به لم يُقصدْ بذكر الأولِ التوصلُ إلى ذكر الثانى(٤)، كقول الحماسى:

وإنَّا لقـــوْمٌ نَرى القـــتل سُـــبَّـــةً   إذا مـــا رأَتْهُ عـــامِـــرٌ وَسَلُولُ(٥)

---

(١) لأنه اسم هيئة على وزن فعلة، وإنما قال «منتصب عن قوله الخ» لأن ناصبه محذوف دل عليه قوله ﴿آمنا﴾ تقديره: صبغنا الله بالإيمان صبغة.

(٢) أى بدل لفظ التطهير.

(٣) يقال «اصطنعه لنفسه: اختاره لنفسه» ولكن هذا من القسم الأول كما هو ظاهر، وإنما يعدُّ من الثانى أن ترى إنساناً يغرس شجرا فتقول لآخر: إغرس إلى الكرام.
هذا وإنما عدت المشـاكلة من المحسنات البديعيـة لأنها تنقل المعنى إلى لباس له غـير مألوف، فيـحدث عجبـاً أو طرباً. وقد قيل: إن المشـاكلة مجاز مـرسل علاقته المجـاورة، والحق أنها ليست منه؛ لأن علاقـة المجاورة تكون بين مدلول اللفظين لا بين اللفظين كـما فى المشاكلة، فهى تصح بمجرد وقوع اللفظ فى صحبة آخر ولو لم توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله «قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه» البيت. وقد توجد علاقة بين مدلوليهما كما فى قوله تعالى ﴿وجزاء سيـئة سيئـة مثلها﴾ فـإن السيئة الأولى المعـصية، والثانيـة جزاؤها، وبينهمـا علاقة السببية.

(٤) احترز بقوله «لم يقصد الخ» عن إيهام الاستطراد الآتى.

(٥) هو للسموءل بن عادياء، والسـبة: العيب. والشاهد فى أنه أراد مدح قبـيلته فاستطرد إلى ذم قبيلتى عامر وسلول.

وقول الآخر:

إذا مـا اتقَى اللَّـهَ الفـتى وأطاعَـهُ ... فليس به بأسٌ وإن كـان مِن جَرْمِ[1]

وعليه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]. قال الزمخشرى: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عَقِيب ذكر السوأت وخصف الورق عليها إظهاراً للمِنَّة فيما خلق اللّه من اللباس، ولما فى العُرْى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى.

* **إيهام الاستطراد:** هذا أصله[2]، وقد يكون الثانى هو المقصود فَيُذْكَرُ الأول قبله لِيتُوَصَّلَ إليه، كقول أبى إسحاق الصابى:

إنْ كنتُ خُنْتُكَ فى المودة ساعةً ... فـذَمَمْتُ سيفَ الدولة المحمودا

وزعمتُ أنَّ له شريكًا فى العُلَى ... وجحدتُه فى فضله التَّوْحيدا

قَسَماً لَوَ انِّى حالفٌ بِغَموسَها ... لِغَريم دَيْنٍ ما أراد مَزيدَا[3]

ولا بأس بأن يسمى هذا إيهام الاستطراد[4].

---

(١) هو لزياد الأعجم، والبأس: الشدة والخوف، والشاهد فى أنه أراد الوعظ فاستطرد إلى ذم قبيلة جرم.

(٢) يعنى أن هذا أصل الاستطراد؛ اسم الإشارة يعود إلى كون الأول لم يُقصد بذكره التوصل إلى ذكر الثانى.

(٣) هى لإبراهيم بن هلال المعروف بأبى إسحاق الصابى. وقوله «ذممت» جملة دعائية. وقيل إنه يعنى بسيف الدولة السلطان محمود بن سُبُكتكين، وكان يلقب بذلك ثم لقب يمين الدولة. والتوحيد: مفعول ثان لقوله «جحدته»، يعنى توحيد الناس إياه فى الفضل. والغموس: اليمين الكاذبة التى يتعمدها صاحبها، يعنى أنه أقسم له على عدم خيانته بيمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته لاكتفى بها؛ لأن عظيم شأنها وإثمها يقوم عنده مقام دَينه، والشاهد فى ذكره حديث خيانته ليتوصل به إلى مدح سيف الدولة.

(٤) هو حسن التخلص الآتى فى الخاتمة.

* **المزاوجة**: ومنه الْمُزَاوجَةُ، وهى أن يُزَاوِجَ بـين معنيين[1] فى الشرط والجزاء[2] كقول البحترى:

إذا مـا نهَى الناهى فلَجَّ بِىَ الهَـوَى   أصاختْ إلى الواشى فلجَّ بها الهَجْرُ[3]

وقوله أيضا:

إذا احتـربتْ يوما فـفاضتْ دمـاؤها   تذكَّرَتِ القُـرْبَى ففاضتْ دموعُـها[4]

* **العكس والتبديل**: ومنه العكس والتـبديـل، وهو أن يُقدَّمَ فى الكلام جُـزْءٌ ثم يؤخَّر[5]. ويقع على وجوه:

منها أنْ يقع بين أحد طرفَيْ جـملة وما أُضيفَ إليه؛ كقول بعـضهم : «عاداتُ الساداتِ ساداتُ العاداتِ»

---

(١) أى توقع المزاوجة بينهمـا على أن الفعل «يزاوج» مسند إلى ضمـير المصدر أو إلى «بين» على أنه ظرف متصرف.

(٢) أى معنيين واقعـين فى الشرط والجزاء، وظرفية المعنيين فى الشـرط والجزاء من ظرفية المدلول فى الدال، فالمعنيان هما معنى الشرط ومـعنى الجزاء، والمزاوجة بينهما هى أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر.

(٣) قـوله «لج» بمعنى ألح عليه واشـتد، وفى الـعبـارة قلب، والأصل فلججت بالهـوى ولجت بالهجر. وقـوله «أصاخت» بمعنى استمـعت، والواشى: النمام، والشاهد فى ترتيـبه اللجاج على نهى الناهى وهو الشرط، وعلى الإصاخة إلى الواشى وهى الجزاء.

(٤) هو للبحترى أيضـا، وقوله «احتربت» بمعنى حاربت، وقوله فـاضت بمعنى سالت. والشاهد فى ترتيبه فـيض ذلك على الاحتراب وهو الشرط، وعلى تذكر القـربى وهو الجزاء. والبيت من قصيدة له فى مدح المتوكل حين أصلح بين بنى تغلب، والضمير فى قوله «احتربت» يعود إلى «فرسان هيجاء» فى قوله قبله:

وفـرسـانَ هيـجـاء تجـيش صـدورُها   بأحـقـادها حـتـى تضـيقَ دروعُـهـا
تُقَـتِّل من وِتـرٍ أعـزَّ نـفـوسـهـا   عليـهـا بأيـدٍ مـا تكاد تطيـعـهـا

(٥) أى على ما قدم عليه فلا يكون من العكس والتبديل قوله تعالى: ﴿ **وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاه** [الأحزاب:٣٧]. بل هو من ردّ العجُز على الصدر كـما سيأتى ولا بد أن يكون الجزء كلمة، فيخرج تقديم الحروف الآتى أيضا.

ومنها أن يقع بين متعلَّقَىْ فعلين فى جملتين؛ كقوله تعالى: ﴿**يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ**﴾ [يونس: ٣١] وكقول الحماسى:

فَرَدَّ شعورَهُنَّ السودَ بيضًا ... وردَّ وجوههن البيضَ سودًا[١]

ومنها أن يقع بين لفظين فى طرفى جملتين، كقوله تعالى: ﴿**هُنَّ لِباسٌ لكُمْ وأنتمْ لِباسٌ لَهُنَّ**﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقوله: ﴿**لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ ولا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ**﴾ [الممتحنة: ١٠]. وقوله: ﴿**مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ**﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقول الحسن البصرى: «إن مَنْ خَوَّفَك حتى تلقى الأمن خير ممن أمنَّك حتى تلقى الخوفَ». وقول أبى الطيب:

فلا مجدَ فى الدنيا لمن قلَّ مالُهُ ... ولا مالَ فى الدنيا لمن قلَّ مجدهُ[٢]

وقول الآخر:

إنَّ الليالى للأنام مَنَاهِلٌ ... تُطْوَى وَتُنْشَرُ دونها الأعمارُ

فقِصارُهُنَّ مع الهمومِ طويلةٌ ... وطِوالهن مع السرور قِصَارُ[٣]

---

(١) قيل: إنه لعبد الله بن الزبير الأسدى أو لفضالة بن شريك فى رثاء يزيد بن معاوية، والضمير فى «شعورهن» لنسوة آل حرب فى قوله قبله:

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ ... بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودَا

وحرب: جد معاوية بن أبى سفيان، والحدثان: الدهر، والمقدار: القدر، وقوله «سمدن» بمعنى ذهلن.

(٢) يعنى أن المجد والمال متلازمان؛ لأن الناس يحتقرون من لا مال له، ولا مجد لمن يحتقره الناس؛ لأن صاحب المجد هو الذى يمكنه بقوته وأعوانه أن يحصل على المال.

(٣) الأنام: الخلق، والمناهل: الموارد، وقوله «تطوى وتنشر» بمعنى تقصر وتطول على الاستعارة التبعية. وقد نسب البيتان فى «نفحات الأزهار» للمتنبى، ولم أجدهما فى ديوانه، وقد نُسبا فى «الأقصى القريب» لعتَّاب بن ورقاء.

* **الرجوع**: ومنه الرجوع، وهو العوْد على الكلام السابق بالنقض لِنُكتةٍ[1] كقول زهير:

قفْ بالديار التى لم يَعْـفُهـا القِدَمُ   بَلَى وغَـيَّـرَهـا الأرْوَاحُ والدِّيَمُ[2]

قيل: لَمَّـا وقف على الديار تسلطت عليه كآبة أذهلتـه فأخبر بما لم يتـحقق، فقال: «لم يـعفها القدم» ثم ثـاب إليه عقله فتـدارك كلامه فقال: «بلـى وغيرها الأرواحُ والديمُ». وعلى هذا بيت الحماسة:

أليس قـليـلاً نظرةٌ إنْ نـظرتُهَـا   إليـك وكَـلاَّ ليس مـنكِ قلـيل[3]

ونحْوه:

* فَأُفٍّ لهـذا الدهر لا بَلْ لأهْله[4]*

* **التورية أو الإيهام**: ومنه التوريـة وتسمى الإيهام أيضـاً، وهى أن يُطْلَقَ لفظٌ له معنيان[5]: قريب وبعيد[6]، ويُراد به البعيد منهما[7].

---

(١) احتـرز بهذا عن العود بنقـضه لمجرد كونه غلطاً؛ فـلا يكون من البديع، لأنه لا حسنَ فـيه، ونكتة الرجـوع إما إظهـار التحيـر أو التحسـر أو نحوهمـا، ولكن هذه النكتة لا توجـبه فى البلاغة، وإنما هى شرط فى كونه محسنا، فيكون من علم البديع لا علم المعانى.

(٢) قوله «لم يعفهـا» بمعنى لم يبلها ولم يغيرها، وقوله «وغيـرها» عطف على محذوف دل عليه «بلى» والتقدير: بلى عـفاها القدم وغيرها الأرواح، وهى جـمع ريح بردٍّ يائها فى الجمع إلى أصلها وهو رِوْح بكسر الراء وسكون الواو. والديم: جمع ديمـة وهى السحابة الكثيرة المطر، والنكتة فى الرجوع هنا إظهار التحير أو التحسر.

(٣) هو ليزيد بن الصِّمة المعروف بابن الطَّثْرية. والاستفهام فى قوله «أليس» للإنكار المنفى، ونفى النفى إثبات، و«كـلا» حرف ردع لنفسه عن عـدِّ نظرتها قليلا، وهو على تقـدير «أقول كلا» والنكتة هنا إظهار التدله والتحير.

(٤) لا يعرف قائله. وقوله «أف» اسم فعل مضارع بمعنى أتضـجر، والشاهد فى أنه جعل التضجر من الدهر ثم رجع عنه وجعله من أهله، والنكتة هنا إظهار التحير، وقوله «لا بل لأهله» على تقدير: لا أف للدهر بل أف لأهله.

(٥) ليس بقيـد؛ لأنها قد تكون بأكـثر من معنيـين، ولا فرق فيـهما بين أن يكونا حـقيقـيين أو مجازيين أو مختلفين.

(٦) فلو كانا مستويين لم يكن هذا تورية بل يكون إجمالا.

(٧) لا بد فى التورية من قرينة خفية تدل على إرادة المعنى البـعيد؛ فإذا كانت القرينة ظاهرة لم =

وهى ضربان: مُجرَّدَةٌ ومُرَشَّحَةٌ.

أما المجردة: فهى التى لا تجامع شيئا مما يلائم المُوَرَّى به- أعنى المعنى القريب[1]- كقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[2] [طه: ٥].

وأما المرَشَّحة: فهى التى قُرِنَ بها ما يلائم المورى به: إمّا قبلها: كقوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ [الذاريات: ٤٧] أى بِقُوَّةٍ[3].

قيل: ومنه قول الحماسى:

فلما نأتْ عَنَّا العشيرةُ كلُّها ... أنخْنَا فَحَالَفْنا السيوفَ على الدهْرِ

= يكن اللفظ تورية، وبهذا تمتاز عن المجاز والكناية، كما تمتاز بأن كل واحد من معنييها يفهم من اللفظ من غير وساطة الآخر أو احتياج إلى علاقة بينهما، وهذا هو السبب فى أن التورية ليست من علم البيان كالمجاز والكناية. وإنى أرى أنها تدخل فى إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة. فيقال فى معنى الاستيلاء مثلا: الرحمان استوى على العرش واستولى عليه. وهكذا - وبهذا يمكن إدخالها فى علم البيان كالمجاز والكناية، ومَن عدَّها من البديع نظر إلى أن المعنى القريب لسرعة إدراكه قبل البعيد يكون له كالحجاب، فيظهر من ورائه للطفه بصورة الوجه المبرقع الجميل.

(١) أى فقط، فيدخل فيها ثلاث صور: أن تكون مجردة مما يلائم القريب والبعيد، وأن تكون مجردة مما يلائم القريب مقترنة بما يلائم البعيد، وأن تكون مقترنة بما يلائمها معًا.

(٢) والمراد من «استوى» استولى، ومعناه القريب استقرَّ، ولم يقرن به ما يلائمه، والقرينة استحالة الاستقرار الحسى على الله تعالى، وإنما كانت خفية لأنها تتوقف على أدلة نفى الجرمية عنه تعالى، وهى مما لا يفهمه كل الناس، وقيل: إن التورية فى ذلك مرشحة؛ لأن قوله ﴿على العرش﴾ يلائم المعنى القريب.

(٣) هذا ظاهر فى حمل (أيد) على الإفراد، فيكون مصدر -آدَ أيدا- بمعنى اشتد، ولكنه على هذا لا يكون من التورية لأنه لا يحتمل إلا هذا المعنى، وإنما يكون من التورية إذا جعلت (أيد، جمع يد)، وحينئذ تفسر بالقُوَى جمع قوة، وقيل: إن ذلك لا تورية فيه، وإنما هو استعارة تمثيلية شبهت فيها هيئة إيجاد الله السماء بقدرته بهيئة البناء الذى هو وضعُ لبنة على أخرى باليد. وكذلك قيل فى الآية السابقة.

فــمــا أسلَمــتنــا عند يومٍ كــريهــةٍ ولا نحن أغضيْنا الجفونَ على وَتْرِ[1]

فإن الإغضــاء مما يلائم جفن العين لا جفن السيف، وإن كــان المراد به إغماد السيوف؛ لأن الســيف إذا أُغمِدَ انطبق الجفن عليه، وإذا جُــرِّدَ انفتح الخلاء الذى بين الدفَّتين.

وإما بَعــدها: كلفظ «الغزالة» فى قول القــاضى الإمام أبى الفضل عــياض فى صَيْفيَّةٍ باردة:

كــأنَّ كــانونَ أهدَى من مــلابِســهِ لشــهــر تَمُّــوزَ أنواعــاً مــن الْحُلَلِ
أو الغزالةَ مِن طــول المدَى خَرِفَتْ فــما تُفَــرِّقُ بين الْجَدْيِ والْحَــمَلِ[2]

---

(١) هما ليــحيى بن منصور الحنفى، وقــيل إنهما لموسى بن جابــر الحنفى، وقد غلط أبو تمام فى نسبته يحيى بن منصور إلى بنى حنيــفة؛ لأنه من بنى ذهل، وقوله نأت: بمعنى بعدت، وقوله أنخنا: كناية عن إقــامتهم بدارهم واكــتفائهم بأنفــسهم، والكريهة: الحــرب، والوتر: الثأر.

(٢) البيتان للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى السَّبْتى. وكانون: من أشهر السنة الشمسية يقع فى زمن البــرد، وتموز: شهــر منهــا يقع فى زمن الدفء. والحلل: جــمع حلة هى كل ثوب جديد أو الثوب عموما، والغزالــة: الشمس معطوف على كانون، وقوله: «خرفت» بمعنى قلَّ عقلــها على المجــاز. والجدى: برج ملاصــق للدلو، والحمل: أول بروج الربيع، يعنى أنــها خرفت فنزلت فى برج الجدى فى وقت الحلول ببرج الحــمل، والجدى: برج البرد، والحمل: برج الدفء. والتورية المرشحــة فى «الغزالة» فإن معناها القريب الظبيــة والمراد منها الشمس، وقد قرنت بما يلائم القــريب وهو قوله «خرفت»، وكذلك ذكــر الجدى والحمل، وفى كل من الحمل والجدى تورية أيضًا ولكنها مجردة، وقيل إنها مرشحة بالتورية السابقة.

هذا وقد تقترن التورية بما يلائم المعنى البعيــد أو بما يلائم المعنيين فتكون مجردة كما سبق، ومن الأول قول عماد الدين:

أرى العــقْــدَ فى ثــغــره مُــحكمــا يُرينا الصِّــحــاحَ مِنَ الجــوهَرِ

فالتوريةُ فى «الصحاح»؛ لأن معناها القــريب كتاب الجوهرى فى اللغة، والمراد منها أسنان محبوبته، وقد قُرنت بما يلائم البعيد وهو قوله «فى ثغره». ومن الثانى قول الشاعر:

وَمُــولَــعٍ بِفِــخَــاخٍ يَمُــدُّهــاَ وَشِــبَــاكِ
قــالــتْ لِيَ الْعــيــنُ يصــيــد قلتُ كَــراكــي

فالتورية فى «كراكى» لأن معناها القريب أنه جمع كُرْكى وهو طائر رمادى اللون يأوى إلى الماء، والمراد منه النوم، وقوله «يصيد» يلائم القريب، وكلمة العين تلائم البعيد. =

واعلم أن التوهم(١) ضربان: ضربٌ يستحكم حتى يصير اعتقادا(٢)، كما فى قوله:

حَملناهُمُ طُرّاً على الدُّهْمِ بَعْدَمَا   خَلَعْنا عليهم بِالطِّعانِ مَلاَبسَ(٣)

وضربٌ لا يبلغ ذلك المبلغ ولكنه شىء يجرى فى الخاطر وأنت تعرف حاله(٤) كما فى قول ابن الربيع:

لولا التَّطَيُّرُ بالخلاف وأنهم   قالوا: مريضٌ لا يعودُ مَريضا

لقضيتُ نَحْبى فى فِنائكَ   خِدْمةً لأكونَ مندوباً قضى مَفْروضا(٥)

ولا بُدَّ من اعتبار هذا الأصل(٦) فى كل شىء بُنِىَ على التوهم - فاعلم.

وقال السكاكى(٧): «أكثرُ متشابهات القرآن(٨) من التورية».

= هذا والتورية التى قرنت بما يلائم المعنى القريب قبله أو بعده تسمى مهيَّأة، والتى قرنت بما يلائم المعنى البعيد قبله أو بعده تسمى مبيِّنة.

(١) أى الإيهام وهو التورية.

(٢) فلا يدرك عدم إرادة المعنى القريب منه إلا بتأمل وطول نظر.

(٣) لا يعرف قائله. وقوله «طرا» حال بمعنى جميعا، والدهم: جمع أدهم ومعناه القريب الفرس الأسود، ومعناه البعيد القيد من الحديد، وهو المراد بقرينة ما ذكره من خلع الدماء عليهم بالطعان حتى صارت لهم كالملابس؛ لأنه لا يصح مع هذا أن يكون المراد حملهم على الأفراس، والشاهد فى أن قوله «حملناهم» يفيد استحكام التوهم فى البيت حتى لا يدرك عدم إرادة القريب إلا بتأمل وطول نظر.

(٤) فلا يحتاج عدم إرادة المعنى القريب فيه إلى تأمل وطول نظر.

(٥) هما لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع. والتطير: التشاؤم، والخلاف: مخالفة العرف والعادة، والنحب: الأجل. والمندوب: اسم مفعول من الندب ومعناه القريب: المسنون، ومعناه البعيد: المرثى، وهو المراد هنا؛ لأن المعنى: لأكون ميتاً مرثياً قضى مفروضا عليه وهو الموت حزنا على ذلك المريض. والشاهد فى أن عدم إرادة المعنى القريب ظاهر لايحتاج إلى تأمل وطول نظر.

(٦) هو الاكتفاء بمجرد خطور المعنى بالبال وإن لم يكن مستحكما، وإنما وجب اعتباره لأن كثيراً من مطالب علوم البلاغة مبنى على الإيهام، ولو قصر على الضرب الأول تعذر طرده فى جميع هذه المطالب.

(٧) ص ٢٢٦- المفتاح.

(٨) يريد بها الآيات التى يفيد ظاهرها إثبات شىء لا يليق بالله تعالى، كالاستقرار واليد فى الآيتين السابقتين.

● **الاستخدام**: ومنه الاستخدام، وهو أن يُرادَ بلفظ له معنيان أحدُهما، ثم بضميره معناه الآخر. أو يُرادَ بأحد ضميريه أحدُهما وبالآخر الآخرُ(١)

فالأول كقوله:

إذا نزل السَّماءُ بأرضِ قَوْمٍ   رعيناه وإنْ كانُوا غِضابا(٢)

---

(١) لا فرق فى المعنيين بين أن يكونا حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين، وقد يأتى الاستخدام فى لفظ له أكثر من معنيين كما فى قول ابن الوردى:

وَرُبَّ غزالة طلعتْ   بقلبى وَهْوَ مَرْعَاهَا
نصبتُ لها شَبَاكًا منْ   لُجَيْن ثم صدْنَاهَا
فقالتْ لى وَقد صِرْنَا   إلى عَيْنٍ قصدناها
بَذَلْتَ العينَ فاكحلْها   بطلعتها وَمَجْراها

ففيه استخدامان: أولهما فى لفظ ذى معان وهو لفظ «غزالة»؛ لأنه قال «ورب غزالة» بمعنى ورب شمس على الاستعارة، ثم قال: «وهو مرعاها إلخ» فأعاد الضمير عليها بمعنى الظبية على الاستعارة أيضًا، ثم قال «فقالت لى» فأعاد عليها الضمير مجردة عن الاستعارة. وثانيهما فى لفظ ذى معنيين وهو لفظ «العين» فى قوله «بذلت العين» أى اللجين، ثم أعاد الضمير عليه بمعنى الناظرة فى قوله «فاكحلها».

وقد يكون الاستخدام بالاستثناء، كقول البهاء زهير:

أَبَدًا حديثى ليس بِالْـ   ـمنسُوخ إلاَّ فى الدَّفاتِرْ

فإنه أراد بالنسخ الأول الإزالة، وفى الاستثناء: النقل.

وقد يكون باسم الإشارة، كما فى قوله:

رأى الْعَقِيقَ فأجرى ذاك نَاظِرُهُ   مُتَيَّمٌ لَجَّ فى الأشواق خَاطِرُهُ

فإنه أراد بالعقيق المكان، ثم أعاد اسم الإشارة عليه بمعنى الدم.

وقد يكون بالتمييز، كما فى قوله:

حكَى الغزالَ طلعةً وَلَفْتَةً   مَنْ ذا رآهُ مُقْبِلاً ولا افْتتَنْ

فإن قوله «طلعة» يفيد أن المراد بالغزال الشمس، وقوله «لفتة» يفيد أن المراد به الظبى.

(٢) هو لمعاوية بن مالك بن جعفر معوِّد الحكماء، أو لجرير وهو المشهور ولكنه لا يوجد فى ديوانه، والمراد منه وصفهم بالغلبة لغيرهم.

أراد بالسماء الغيثَ، وبضميرها النبتَ[١].

والثانى كقول البحترى:

فَسقَى الْغَضَا وَالسَّاكنِيه وإنْ هُمُ   شَبُّوهُ بين جَوانحٍ وَضُلُوعِ[٢]

أراد بضمير الغضا فى قوله «والساكنيه» المكانَ، وفى قوله «شبوه» الشجر[٣].

● **اللف والنشر**: ومنه اللَّفُّ والنَّشْرُ، وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال[٤]، ثم ما لكل واحد من غير تعيين[٥]؛ ثقةً بأن السامع يردُّه إليه.

فالأول[٦] ضربان: لأن النشر إمَّا على ترتيب اللف، كقوله تعالى: ﴿**وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ**[٧] **وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ**﴾ [القصص: ٧٣].

وقول ابن حَيُّوس:

فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْنُها وَمَذَاقُها   فى مُقْلَتَيْهِ ووَجْنَتَيْه ورِيقِه[٨]

---

(١) كل من المعنيين مجازى كما هو ظاهر.

(٢) الغضا: شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمنًا طويلاً، وقوله «شبوه» بمعنى أوقدوه أى أوقدوا مثل ناره وهى نار الحطب. والرواية الصحيحة «بين جوانح وقلوب» لأنه من قصيدة له مطلعها:

كَمْ بالْكَثِيبِ من اعتراض كَثِيبِ   وَقَوامِ غُصْنٍ فى الثياب رَطِيبِ

(٣) أى ناره كما سبق؛ فكل من المعنيين مجازى.

(٤) هذا هو اللف.

(٥) هذا هو النشر، فلو عين كان من التقسيم الآتى لا من اللف والنشر.

(٦) هو ذكر متعدد على جهة التفصيل ثم ما لكل واحد إلخ...

(٧) قيل: إن ضمير «فيه» عائد إلى الليل بالتعيين، ومع هذا لا تكون الآية من اللف والنشر، وأجيب بأنه يحتمل أن يعود إلى كل من الليل والنهار وإن كان ظاهراً فى العود إلى الليل، وهذا الاحتمال يكفى فى عدم التعيين.

(٨) هو لأبى الفتيان محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس. والمدام: الخمر، وفعلها: سلب العقل، ولونها: الحمرة المشربة بسواد، ومذاقها: حلو عند من يعتادها، وإلى الأول يرجع قوله «فى مقلتيه»، وإلى الثانى قوله «ووجنتيه»، وإلى الثالث قوله «وريقه».

وقبل البيت:

ومُقَرطَقٍ يُغْنِى النديمَ بوجهه   عن كأسه الملأى وعن إبريقه

وقول ابن الرومى:

آرَاؤكُمْ ووجـــوهكم وسـيـــوفكم ... فى الحـادثات إذا دَجَـــوْنَ نُجُـومُ
فـيهـا مَعَـالِمُ للهُـدَى وَمصَـابِحٌ ... تجلو الدُّجَى والأخْـرَيَاتُ رُجُومُ[1]

وإمَّا على غير ترتيبه، كقول ابن حيوس:

كـيف أسلو وأنْتِ حِقْفٌ وغُـصْنٌ ... وغـــزالٌ لَحْظًا وقَـــداً ورِدْفــا[2]

وقول الفرزدق:

لَقَـدْ خُنْتَ قومًـا لو لجأتَ إلَيْـهِمُ ... طَرِيد دَمٍ أو حـاملاً ثِقْلَ مَـغْرَمِ[3]
لألْفَـيْتَ فيـهم مُـعْطيًـا أو مُطاعِنًا ... وراءكَ شَزْرًا بِالـوَشِيجِ الْـمُـقَوَّمِ[4]

والثانى[5] كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقـرة: ١١١] فإن الضمـير فى (قالوا) لأهل الـكتاب من اليهـود والنصارى،

---

(١) همـا لعلى بن العـباس المعروف بابن الرومـى. وقوله «دجـون» بمعنى أظلمن علـى سبـيل الاستعارة، وضمير «دجون» للحادثات، والمعالم: جمع مَعْلَم وهو ما يستدل به على الطريق، وهذا يرجع إلى الآراء، والمصابح: جمع مصبـاح، والدجى: جمع دُجْيَة وهى الظلمة، وهذا يرجع إلى الوجوه، والرجـوم: الشهب، وهذا يرجع إلى السيـوف، وقيل: إن هذا ليس من اللف والنشر لأنه قـال «والأخريات» أى السيـوف بالتعيين، فـيكون من التقسـيم الآتى، وقد يجاب بأن التعيين هنا فى بعضها دون بعض.

(٢) الحقف: مجتمع الرمل إذا عظم واستدار، والردف: العجيزة وهو يرجع إلى تشبهها بالحقف، والقد: يرجع إلى تشـبيههـا بالغصن، واللحظ يرجع إلى تشبيـهها بالغزال، وهذا عـلى غير ترتيب اللف. وقد سبق التعريف بابن حيوس فى الصفحة السابقة.

(٣) الخطاب فى قوله «لقـد خنت» لهبيرة بن ضـمضم، وهو يهجـوه لقتله القعقـاع بن عوف بن زرارة، وقوله «طـريد دم» كناية عن كونه قـاتلاً، والثقل: الحـمل الثقـيل، والمغرم: مـصدر ميمى، والمراد أنه يحمل مالاً فوق طاقته فى صلح أو نحوه.

(٤) قـوله «لألفـيت» بمعنى لوجـدت، والشـزر: مصـدر شَـزَر بمعنى طعنه عن يمينه وشـمـاله، والوشيج: شجر الرماح، والمقوم: المثقف، والشـاهد فى أن «معطيا» يرجع إلى كونه حاملا، وأن «مطاعنًا» يرجع إلى كونه طريداً، على غير ترتيب اللف.

(٥) هو ذكر متعدد على جهة الإجمال ثم ما لكل إليه إلخ. . .

والمعنى: وقالت اليـهود: لن يدخل الجنة إلا من كـان هودًا، والنصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فَلَفَّ بين القولين[١] ثقَةً بأن السامع يردُّ إلى كل فريق قوله، وأمـنًا من الإلباس؛ لِمَا عُلِمَ من التعـادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه.

● **الجمع**: ومنه الجـمع؛ وهو أن يُجْمَعَ بين شـيئين أو أشـياء فى حكـم واحد[٢] كقوله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [الكهف: ٤٦].

وقول الشاعر:

إنَّ الشَّـبَـابَ والْفَـرَاغَ وَالْجِـدَه مَـفْسَـدَةٌ للمرءِ أَىُّ مَـفْسَـدَه[٣]

ومنه قول محمد بن وُهَيْب:

ثلاثةٌ تُشْـرِقُ الدنيا بِبَـهْجَـتِهَـا شَمْسُ الضُّحَى وأبو إسحاق والْقَمَرُ[٤]

● **التفريق**: ومنه التفريق، وهو إيقاع تَبَايُنٍ[٥] بين أمرين من نـوع واحد فى المدح أو غيره، كقوله:

مَـا نَـوَالُ الغـمـــامِ وقت ربيعٍ كَنَوَالِ الأمـــيـــر يوم سَـــخَـاءِ
فَنَوَالُ الأمـــيـــــر بَدْرَةُ عَـــيْنٍ ونوالُ الغــــمـــامِ قَطْـرَةُ مَـاءِ[٦]

---

(١) أى بقوله «وقالوا» والأصل وقالت الـيهود وقالت النصارى، وأما النشر فـبقوله ﴿إلا من كان هودا أو نصارى﴾.

(٢) لا بد أن يكون فى الجمع بينها لطافة وغرابة؛ لأن مجرد الجمع فى ذلك لا حسن فيه.

(٣) هو لأبى العتاهية إسماعيل بن القاسم، والجدة: الاستغناء يقال فى المال «وجْدٌ» بتثليث الواو، و«جدَةٌ» كعدَة بحذف الواو وتعويض التاء. وقوله «أىُّ مـفسدة» بمعنى كاملة الفساد، والشاهد فى جمع الثلاثة فى كونها مفسدة أى مفسدة.

(٤) سبق هـذا البيت فى الكلام على تقـديم المسند فى الجزء الأول، والشـاهد فى جمـع شمس الضحى وأبى إسحاق والقمر فى كونها تشرق الدنيا ببهجتها.

(٥) أى: افتراق وعدم تشابه.

(٦) هما لمحـمد بن مـحمد بن عـبد الجليل المعـروف برشيـد الدين الوطواط، والنوال: العطاء، والبـدرة: كيس فـيه ألف دينار أو عـشرة آلاف درهم، والمراد من العين المال، والشـاهد فى التفريق بين النوالين.

ونحو قوله:

مَنْ قاسَ جَـدْوَاكَ بِالْغَمَامِ فَـما ... أنْصَفَ فى الحكم بـين شكْلَيْنِ

أنتَ إذا جُـدْتَ ضَـاحِكٌ أبَدًا ... وَهْوَ إذا جَـادَ دَامِعُ العَـيْنِ[١]

* **التقسيم**: ومنه التـقسـيم؛ وهو ذكـر متـعدد، ثم إضـافـة ما لِكلٍّ إليـه على التعيين[٢]؛ كقول أبى تمام:

فمَا هو إلا الْوَحْىُ أو حَدُّ مُرْهَفٍ ... تُمِيـلُ ظُبَاهُ أخْدَعَىْ كُـلِّ مَائلِ[٣]

فـهـذا دواءُ الدَّاءِ مـن كُلِّ عـالِمٍ ... وهذا دواء الداء من كل جَاهِلِ[٤]

وقول الآخر:

ولا يُقِـيم علـى ضَـيْمٍ يُرَادُ بِهِ ... إلا الأذَلاَّنِ عَـيْـرُ الْحَىِّ وَالْوَتِدُ

هذا على الخَسْفِ مـربوطٌ بِرُمَّتِهِ ... وذا يُشَجُّ فـلا يَرْثِى له أحَـدُ[٥]

وقال السكاكى[٦]: «وهو أن تذكر شيئًا ذا جُزأيْنِ أو أكثر، ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك؛ كقوله:

---

(١) هما لمحمد بن أحمد المعروف بالْـوَأواءِ الدِّمَشْقى، والجدوى: العطية، والشكلان: تثنية شكل بمعنى مثل، وقوله «جدتَ» بمعنى أعطيت، والشاهد فى التفريق بين الجدويين.

(٢) يخرج بهذا القيد اللف والنشر لوجوب عدم التعيين فيه كما سبق.

(٣) قبله:

وعـادات نصـرٍ لم تزل تسـتـعـيـدُها ... عـصـابـةُ حقٍّ فى عـصـابـةِ باطل

وضمـير «هو» يعـود إلى حق، يعنى أنه لا يتم أمـره إلا بما ذكره، والمرهف: السـيف المرقق الحد، والظبى: جمع ظُبَةٍ وهـى حد السيف، والأخدعان: عرقان فى صـفحتى العنق، وقد روى: «تقيم ظباه» وهو أصح.

(٤) اسم الإشارة الأول للوحى، والثانى للسيف، والحق أن هذا من اللف والنشر لعدم التعيين.

(٥) سبق هذان البيـتان فى الكلام على تعريف المسند إليه بالإشـارة فى الجزء الأول، والحق أن ما هنا أيضًا من اللف والنشر لعـدم التعيين، وقيل: إن حرف التنبيـه فى «هذا» فيه إيماء إلى أن القرب فيـه أقل فيكون للقريب، وهو العير، ويكـون «ذا» للأقرب وهو الوتد، ولا يخفى أن مثل هذا لا يعول عليه فى التعيين.

(٦) ٢٢٥، ٢٢٦ - المفتاح.

أَديبـــــانِ فى بَلْخَ لا يـأكـــلانِ   إذا صَـحِـبَـا المرءَ غـيـرَ الْكَبِـدْ
فـــهـــــذا طويلٌ كـظِلِّ الْقَـنَاةِ   وهذا قـــصـيـــرٌ كظـلِّ الْوَتَدْ(١)

وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر(٢).

● **الجمع مع التفريق:**

ومنه الجمع مع التفـريق؛ وهو أن يدخَل شيئان فى مـعنى واحد، ويُفرق بين جهتى الإدخال؛ كقوله:

فَـوَجْـهُكَ كـالنَّـارِ فى ضَـوْئهَـا   وَقَلْـبِىَ كـالـنار فى حَـــرِّهَا(٣)

شبه وجهَ الحبيب وقلبَ نفسه بالنار، وفرق بين وجهى المشابهة.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ [الإسراء: ١٢].

● **الجمع مع التقسيم:**

ومنه الجمع مع التقسيم، وهو جمع متعـددٍ تحت حكمٍ ثم تقسيمه، أو تقسيمه ثم جمعه. فالأول كقول أبى الطيب:

حَـتَّى أقـام على أرْبَاضِ خَـرْشَنَةٍ   تَشْقَى بِهِ الرُّومُ والصُّلْبَانُ والْبِيَعُ(٤)

---

(١) هما لبعض شعراء الْفُرْس، والكبد: عضو معروف فى البدن، والمراد به كبد صاحبهما فيكون كناية عن سوء عـشرتهما له، أو الـكبد المأكول فيكون كنايـة عن خستهـما، والقناة: الرمح، ويردُ على التمثيل بهذا للتقسيم ما سبق فيما قبله.

(٢) ذكر السـعد أن قول السكـاكى فى التعريف «ثم تضـيف إلى كل واحد من أجـزائه ما هو له عندك» يغنى عن ذكر قيد التعيين، وبهذا يباين التقسيم اللف والنشر عنده أيضًا.
ومن التقسيم قول الشاعر:
وَرَاحُـوا فـــريقٌ فى الإسـار ومِـــثْلُهُ   قَـتِـــيلٌ وَمِـثْـلٌ لاذَ بالبـحـــر هَارِبُهْ

(٣) هو لمحمد بن محـمد بن عبدا الجليل المعروف برشيد الدين الْوَطْوَاطِ، وحـرارة قلبه ناشئة من شدة شوقه إلى محبوبه.

(٤) يتعلق «حتى» بقوله قبله:
قـاد المقـــانب أقـصى شُـربهـــا نَهَلٌ   على الشـكيم وأدنى سـيـــرها سِـرَعُ =

للسَّبْيِ ما نكحُوا والقتلِ ما ولَدُوا   والنَّهْبِ ما جمعوا والنارِ ما زرَعُوا[1]

جمع فى البيت الأول شقاءَ الروم بالممدوح على سبيل الإجمال حيث قال: «تشقى به الروم»، ثم قسَّم فى الثانى وفصَّله.

والثانى كقول حَسَّان:

قَومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ   أوْ حاولوا النفع فى أشياعهم نَفَعوا
سَجِيَّةٌ تلك منهم غَيْرُ مُحْدَثَةٍ   إنَّ الخلائق فاعْلَمْ شرُّها البِدَعُ[2]

قسم فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الأولياء، ثم جمعهما فى البيت الثانى حيث قال «سجية تلك».

ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر:

لَوْ أنَّ ما أنْتمُ فيه يدوم لكُمْ   ظننتُ ما أنا فيه دائمًا أبَدا
لكنْ رأيتُ الليالى غَيْرَ تاركة   ما سرَّ منْ حادثٍ أو ساء مُطَّرِدَا
فقد سكنتُ إلى أنِّى وأنَّكُمُ   سَنَسْتَجِدُّ خلافَ الحالتين غَدَا[3]

فقوله «خلاف الحالتين» جمع لِمَا قَسَّم لطيف، وقد ازداد لطفًا بحسن ما بناه عليه من قوله: «فقد سكنت إلى أنى وأنكم».

= والضمير فى «أقام» لسيف الدولة، والأرباض: جمع رَبَض وهو ما حول المدينة، وخرشنة: بلد بالروم تسمى أماضية، والبيع: جمع بِيعَة وهى معبد النصارى.

(١) إنما قال «ما نكحوا وما ولدوا» مع أن «ما» لغير العاقل؛ إهانةً لهم وملاءمة لما بعده.

(٢) هما لحسان بن ثابت الأنصارى، و«قوم» خبر مبتدأ محذوف تقديره هم قوم، والمراد بهم قوم النبى ﷺ، والأشياع: الأتباع والأنصار، وسجية: طبيعة وغريزة خبر مقدم، واسم الإشارة «تلك» مبتدأ مؤخر، وغير محدثة: صفة سجية، والخلائق: جمع خليقة وهى الْخُلُق، والبدع: جمع بدعة وهى الأمر المستحدث، يعنى أن الخلائق شرها ما كان مستحدثًا فى الأبناء، ولم يكن موروثا عن الآباء.

(٣) هى لإبراهيم بن العباس الصولى، ويريد بما هم فيه: حُسن حالهم، وبما هو فيه سوء حاله، والمطرد: المستمر، وإنما كان قوله «خلاف الحالتين» جمعًا لطيفًا لحسن اختصاره لهما.

● **الجمع مع التفريق والتقسيم:**

ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم[1] كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨]. أما الجمع ففى قوله ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِه**﴾ فإن قوله (نفس) متعـدد معنًى؛ لأن النكرة فى سياق النفى تعمُّ، وأما التفـريق ففى قول ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾، وأما التقسـيم ففى قوله ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا**﴾ إلى آخر الآية الثانية. وقول ابن شرف القَيْرَوَانيِّ:

لِمُـخْتَلِفِى الحـاجـات جَمْعٌ بِبَـابِهِ   فـهـذا لـه فَنٌّ وهذا لـه فَنُّ
فَلِلْخَـامِلِ الْعَلْيـا وللمعـدِم الْغِنَى   وللمُذْنبِ الْعُتْبَى وللخائف الأَمْنُ[2]

● **التقسيم بمعنيين آخرين:** وقد يطلق التقسيم على أمرين:

أحدهما أن يُذكَرَ أحوال الشىء مضافًا[3] إلى كل حالٍ ما يليق بها[4] كقول أبى الطيب:

سـأطلب حَـقِّى بِالْقَنَا وَمَـشَـايِخٍ   كأَنَّهُمُ من طُولِ مَا الْتَـثَمُوا مُرْدُ[5]
ثِقَـالٌ إذا لاَقَـوْا خِفَـاف إذا دُعُـوا   كثـير إذا شَـدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا[6]

---

(١) تأتى الثلاثـة فى الكلام على هذا الترتيب؛ فـيكون أولها الجمـع، وثانيها التـفريق، وثالثـها التقسيم.

(٢) هما لمحمد بن سعيد بن أحمـد بن شرف القيروانى الجذامى، والفن: النوع والحال، والمعدم: الفقير، والعـتبى: الإرضاء. والشاهد فى أنه جمع بقوله «لمختلفى الحـاجات» ثم فرق بقوله: «فهذا له فن وهذا له فن»، ثم قسم فى البيت الثانى.

(٣) أى منسوبًا.

(٤) هذا يغاير التقسيم السابق بأنه لا يذكر فيه المتـعدد أولاً بل يذكر كل واحد من المتعدد ومعه ما يناسبه.

(٥) القنا: واحده قناة وهى الرمح، وقوله «التـثموا» بمعنى لبسوا لثام الحرب على عـاداتهم فيها، والمرد: جمع أمرد وهو الشاب الذى لم تنبت لحيته.

(٦) الثقـال: الذين تشتد وطأتهم على الأعـداء فى الحرب، وقوله «شـدوا» بمعنى حملوا على =

وقوله أيضًا:

بَدَتْ قمرًا ومالتْ خُوطَ بَانٍ ... وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزَالا[1]

ونحوه قول الآخر:

سَفَرْنَ بُدُورًا وَانتَقَبْنَ أهِلَّةً ... وَمِسْنَ غُصُونًا والتَفتْنَ جَآذِرَا[2]

والثانى استيفاء أقسام الشىء بالذكر؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

ومنه ما حُكى عن أعرابى وقف على حلقة الحَسَن[3] فقال: «رحم الله من تصدق من فضلٍ، أو آسَى من كَفَافٍ، أو آثر من قُوتٍ». فقال الحسن: «ما ترك لأحد عذرًا». ومثاله من الشعر قول زهير:

وَأعْلَمُ عِلْمَ اليوم وَالأمْسِ قَبْلَهُ ... ولكنَّنى عن علْم ما فى غَدٍ عَمِى[4]

= عدوهم، والشاهد فى أنه ذكر أحوال المشايخ فى البيت الثانى مضافًا إلى كل حال ما يناسبها.

(١) سبق هذا البيت فى الكلام على التشبيه من الجزء الثالث، والشاهد فى أنه ذكر أحوالها مضافًا إلى كل حال ما يناسبه.

(٢) هو لأبى القاسم على بن إسحاق الزاهى، وقيل: إنه لأبى هلال العسكرى، وقوله «سفرن» بمعنى كشفن وجوههن، وقوله «انتقبن» بمعنى لبسن النقاب، وإنما أشبهن الأهلة عند لبسه لظهور حواجبهن مقوسات فوق مثلها، وقوله «مسن» بمعنى تبخترن، والجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية أى كعيون جآذر. والشاهد فيه كالبيت قبله.

(٣) يعنى الحسن البصرى.

(٤) سبق هذا البيت فى الكلام على الحشو من الجزء الثانى، والشاهد فى استيفائه أقسام ما يتوجه إليه العلم وهى اليوم والأمس والغد، ولا يخفَى أنه لا قيمة للمحسِّن البديعى مع عيب الحشو.

وقول طُرَيْحٍ:

إن يعلموا الخير يُخْفوهُ وإنْ عَلِمُوا شرًّا أذاعوا وإن لم يعلموا كَذَبُوا(١)

وقول أبى تمام فى الأفْشِين(٢) لما أُحْرِقَ:

صَلَّى لهـا حَيًّـا وكان وَقُـودَهَا مَـيْـتًـا ويَدخُلُهـا مع الْفُـجَّـارِ(٣)

وقول نُصَيْبٍ:

فقال فَرِيقُ القوم: لا، وَفَرِيقُهُمْ نعم، وفريقٌ: لَيْمُنُ اللهِ مَا نَدْرِى(٤)

فإنه ليس فى أقسام الإجابة غير ما ذكر.

وقول آخر:

فَهَبْهَا كشىءٍ لم يكن أو كَنَازِحٍ به الدَّارُ أو مَن غَـيَّبَـتْهُ الْمَقَـابِرُ(٥)

● **التجريد:**

ومنه التجريد، وهو أن يُنْتَزَعَ من أمْرٍ ذى صفـة أمْرٌ آخَرُ مثله فى تلك الصفة؛ مُبَالَغَةً فى كمالها فيه(٦). وهو أقسام:

---

(١) هو لطريح بن إسماعيل الثـقفى، يريد أن أعداءه إن يعلموا خيرًا منه يخـفوه أو شرًّا يذيعوه، وإن لم يعلموا منه شرًّا نسبوه إليه كذبًا، وقد استوفى بهذا أقسام أحوالهم معه.

(٢) كان تركيا من أكبر قواد المعتصم.

(٣) الضمير فى «لها» للنار، والوقود: ما توقد النار به، والفجـار: العصاة؛ وكان الأفشين متهمًا بعبادة النار كالمجوس. والشاهد فى استيفائه أقسام أحواله معها.

(٤) هو لنصيب بن ربـاح، وقوله «ليمن» حـذفت فيه ألف «أيمن» فى الدرج، وهو مـبتدأ خـبره محذوف تقديره «قسمى».

(٥) هو لعمـر بن أبى ربيعـة، وقوله «هب» فعل أمـر بمعنى احسب، وقـوله «لم يكن» بمعنى لم يوجد، والنازح: البعيد. والشاهد فى أنه ليس فى أقسام الغائب غير ما ذكره.

(٦) اعترض على هذا التعريف بأنه لا يشمل ما كـان من التجريد نحو «لا خيل عندك تهديها ولا مال» لأنه لم يجرد شيـئًا مثل نفسه فى صفة من الصـفات، وإنما جرد من ذاته ذاتًا أخرى من غير اعتبار صفة؛ فالأحسن تعريف التجريد بأنه انتزاع أمر من آخر مطلقًا، والأحسن أيضًا أن تجعل نكتته العامـَّة التفنُّن فى الأسلوب كالالتفات لتقاربهمـا، وإن كان مبنى الالتفات على =

منها نحو قولهم[1]: «لى من فلان صديق حميم» أى بلغ من الصداقة مبلغًا صح معه أن يستخلص منه صديق آخر.

ومنها نحو قولهم[2]: «لئن سألتَ فلانًا لتسألن به البحر».

ومنها نحو قول[3] الشاعر:

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بى إلى صَارِخِ الْوَغَى ... بِمُسْتَلِئمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرَحَّلِ[4]

أى تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها للحرب مستلئم؛ أى لابس لأمَة.

ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾[5] [فصلت: ٢٨]؛ فإن جهنم

= اتحاد المعنى ومبنى التجريد على التغاير بينهما بحسب الاعتبار، وقد يجتمعان كما فى المثال الآتى «فلئن بقيتَ لأرحلن بغزوة» البيت، وقد ينفرد الالتفات كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢]، وقد ينفرد التجريد كما فى قولك «لى من فلان صديق حميم». وفى التجريد فائدتان: طلبُ التوسع فى الكلام، وتمكين المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه؛ إذ يكون مخاطبًا بها غيره، فيكون أعذر له.

(١) نحوه كل ما تكون «من» فيه أداة التجريد، وتفيد فيه معنى الابتداء، وهذا القسم لا يقصد منه تشبيه.

(٢) نحوه كل ما تكون باء التجريد فيه داخلة على المنتزع منه، وتفيد فيه معنى المصاحبة، وهذا القسم يدل على التشبيه.

(٣) نحوه كل ما تكون الباء فيه داخلة على المنتزع، وتفيد معنى المصاحبة، وهذا القسم لا يدل على التشبيه.

(٤) لا يعرف قائله. والشوهاء: الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها بالحرب، وصارخ الوغى: المستغيث فى الحرب، والمستلئم: لابس اللأمة وهى الدرع، والفنيق: الفحل المكرم من الإبل بترك ركوبه، والمرحل: المرسل غير المربوط، والمراد تشبيه الفرس به أو المستلئم، والباء فى «بى» للتعدية، وفى«بمستلئم» للمصاحبة لأنها باء التجريد.

(٥) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بدخول «فى» على المنتزع منه، وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه.

-أعاذنا الله منها - هى دار الخلد، لكن انتُزع منها مثلُها وجعل مُعَدًّا فيها للكفار تهويلاً لأمرها. ومنها نحو قول[1] الحماسى:

فلئن بَقِيتُ لأرحلَنَّ بِغَزوَةٍ ... تحوى الغنائم أو يَمُوتَ كَرِيمُ[2]

وعليه قراءة من قرأ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] بالرفع بمعنى: فحصلت سماء وردة. وقيل: تقدير الأول «أو يموت منى كريم»[3]، والثانى: «فكانت منه[4] وردة كالدهان»، وفيه نظر[5].

ومنها نحو قوله[6]:

يا خَيرَ من يركبُ الْمَطِيَّ وَلا ... يشربُ كأسًا بِكَفٍّ مَن بَخِلا[7]

ونحوه قول الآخر:

إن تَلْقَنِى لا ترى غيرى بِنَاظِرَةٍ ... تَنْسَ السلاحَ وتعرفْ جَبْهَةَ الأَسَدِ[8]

---

(١) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد، وهذا القسم لا يدل على التشبيه.

(٢) هو لقتادة بن مسلمة الحنفى، و«أو» فى قوله «أو يموت» بمعنى «إلا»، والفعل بعدها منصوب بها، ويجوز رفعه عطفًا على تحوى، والتجريد فى قوله «أو يموت كريم» بقرينة أنه عادل بين احتوائه على الغنيمة وموت كريم، والجارى على الألسنة أن يقال لا بدَّ لى من الغنيمة أو الموت، فيفهم منه أن المراد من الكريم نفسه.

(٣) فيكون التجريد فيه بحرف «من» لا من هذا القسم.

(٤) أى من الانشقاق؛ فيكون التجريد فيه بحرف أيضًا.

(٥) لحصول التجريد من غير تقدير أداة؛ فلا يكون هناك حاجة إليه.

(٦) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بطريق الكناية.

(٧) هو لأعشى قيس، والمطى: جمع مطية وهى المركوب من الإبل، والشاهد فى قوله «ولا يشرب كأسًا بكف من بخلا» فإنه كناية عن شربه بكف كريم، والشأن أن الشخص يشرب بكف نفسه، ولكنه انتزع من الممدوح شخصًا كريمًا يشرب الممدوح من كفه مبالغةً فى كرمه.

(٨) هو لأرطاة بن سُهَيَّةَ، وقوله «بناظرة» صفة لمحذوف أى بعين ناظرة، وقوله «تنس السلاح» بمعنى تنسى حمله دهشًا، والشاهد فى قوله «وتعرف جبهة الأسد» لأنه كنى بذلك عن =

ومنها مخاطبة الإنسان نفسه؛ كقول الأعشى:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الـركبَ مُـرتَحِلُ   وهل تُطيقُ وَدَاعًا أيُّها الرّجُلُ[1]

وقول أبى الطيب:

لاَ خَيْلَ عندك تُهْدِيهَا ولا مَالُ   فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إن لم يُسْعِدِ الحالُ[2]

● **المبالغة المقبولة:** ومنه المبالغة المقبولة[3]. والمبالغة أن يُدَّعَى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مُسْتَبْعَدًا لئلا يُظن أنه غير مُتَنَاهٍ فى الشدة أو الضعف، وتنحصر فى: التبليغ، والإغراق، والغلو. لأن المُدَّعَى للوصف من الشدة أو الضعف إمَّا أن يكون ممكنًا فى نفسه[4] أوْ لا. الثانى: الغلو[5]. والأول إمَّا أن يكون ممكنًا فى العادة أيضًا[6] أوْ لا، الأول التبليغ[7]، والثانى الاغراق[8].

١ - **أما التبليغ** فكقول امرىء القيس:

= معرفة الأسد نفسه، فكأنه قال «وتعرف الأسد»، وذلك تجريد لأنه على تقدير: وتعرفه منى.

(١) هو لأعشى قيس، والركب: ركبان الإبل أو الخيل ويجمع على أركب وركوب، وهو أيضًا جمع راكب، والمرتحل: المسافر، والشاهد فى مخاطبته نفسه فى قوله «ودع وتطيق، وأيها الرجل».

(٢) هو من قصيدة له يمدح بها فاتكًا حين أهداه ألف دينار وهو بمصر، ويعنى بالنطق نطقه بالشعر فى مدحه، وبالحال حاله من فقد الخيل والمال، والشاهد فى مخاطبته نفسه فى قوله «عندك».

(٣) يحترز عن المبالغة غير المقبولة، وهذا مذهب من مذاهب ثلاثة فى المبالغة. والثانى أنها مقبولة مطلقًا؛ لأن خير الكلام ما بولغ فيه، وأعذب الحديث أكذبه مع إيهام الصحة وظهور المراد، فلا يدخل فى ذلك الكذب المحض الذى قصد ترويج ظاهره مع فساده للاتفاق على قبحه. والثالث: أنها مردودة مطلقًا؛ لأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق، كما قال الشاعر:

وَإنّ أشعرَ بيتٍ أنت قائلُهُ   بيتٌ يقالُ إذا أنشدتَهُ صدَقَا

(٤) الممكن فى نفسه هو الممكن عقلاً.

(٥) هو غير الممكن فى نفسه أى غير الممكن عقلاً، وكل ما لا يمكن عقلاً لا يمكن عادة.

(٦) أى كما هو ممكن فى نفسه، فيكون ممكنًا عقلاً وعادةً.

(٧) هو الممكن عقلاً وعادة.

(٨) هو الممكن عقلاً لا عادة.

فَعَادَى عِدَاءً بين ثورٍ ونعجَةٍ   دِرَاكًا ولم يَنْضَحْ بماءٍ فيُغْسَلِ[(١)]

وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثورًا وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق، وذلك غير ممتنع عقلاً ولا عادة. ومثله قول أبى الطيب:

وَأصْرَعُ أيَّ الوحش قَفَّيْتُهُ بِهِ   وَأَنْزِلُ عنه مِثْلَهُ حين أرْكَبُ[(٢)]

٢ - **وأما الإغراق** فكقول الآخر:

وَنُكْرِمُ جارَنا ما دامَ فِينَا   وَنُتْبِعُهُ الكرامةَ حيث مَالا[(٣)]

فإنه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جهة إلا وهو يُتبعه الكرامة، وهذا ممتنع عادةً، وإن كان غير ممتنع عقلاً.

وهما[(٤)] مقبولان.

٣ - **وأما الغلوّ** فكقول أبى نُوَاس:

---

(١) قوله «عادى إلخ» بمعنى والَى بينهما بأن صرع الثانى إثر الأول فى شوط واحد، والثور: ذكر بقر الوحش، والنعجة: أنثاه. وقوله «دراكا» بمعنى متتابع تأكيدًا لقوله «عداء» أو لإفادة التكثير وأن ذلك كان بين ثيران ونعاج لا اثنين فقط. وقوله «لم ينضح» بمعنى لم يرشح بعرق فيغسل به جسمه أو يغسل منه جسمه لما يصحبه من الوسخ.

(٢) قوله «أصرع» بمعنى أطرح على الأرض، وقوله «قفيته» بمعنى أتبعته، والضمير المفعول للوحش، والضمير فى «به» للفرس، والشاهد فى قوله «وأنزل عنه مثله حين أركب» يعنى أنه يكون فى مثل نشاطه حين ركبه، وهذا ممكن عقلاً وعادة.

(٣) هو لعمرو أو عُمَير بن الأيْهَم التغلبى، وقد حُرِّف «الأيهم» بالأهتم من بعض النساخ، وهو خطأ؛ لأن عمرو بن الأهتم تميمى لا تغلبى، وقوله «مال» بمعنى رحل عنهم إلى غيرهم، والظاهر أن الإغراق فى هذا يكون عند إرادة أنهم يرسلون ذلك إليه فى مكان ارتحاله لا إرادة أنهم عند ارتحاله يزودونه به.

(٤) أى التبليغ والإغراق.

وأخَـفْتَ أهلَ الشِّـــركِ حـتى إنَّهُ   لَتَخَـافُكَ النُّطَفُ التى لم تُخْلَقِ[1]

والمقبول منه أصناف:

أحدها: ما أدخل عليـه ما يُقـرِّبه إلى الصحة، نحـو لفظة «يكاد»[2] فى قوله تعالى: ﴿**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾[النور: ٣٥]. وفى قول الشـاعر يصف فرسًا:

وَيكادُ يَخْـــرُجُ سـرعـــةً مِن ظِلِّهِ   لَوْ كـانَ يُرْغَبُ فى فِرَاقِ رَفِـيقِ[3]

والثانى: ما تضمَّنَ نوعًا حسنًا من التخييل[4] كقول أبى الطيب:

عَـقَدَتْ سَنَابِكُهَـا عليـها عِـثْيَـرًا   لو تبـتـغِى عَنَقًـا عليـه لأمْكَنا[5]

وقد جمع القاضى الأرَّجانِى بينهما فى قوله يصف الليل بالطول:

---

(١) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس، والنطف: جـمع نطفة وهى الماء الذى يتخلق منه الإنسـان فى الرَّحم، وقـوله «لم تخلق» بمعنى لم يخلق منـها الإنسـان، أو بمعنى لم توجـد فيكون أبعد فى الغلو من الأول لأن عدم خلق الإنسان منها يقتضى وجودها، وهذا من الغلو غير المقبول.

(٢) ونحوها لفظ «لو» ولولا، وحرف التشبيه، ويخيل، وما أشبه ذلك.

(٣) هو لأبى محمد عـبد الجبار بن أبى بكر المعروف بابن حمديس الصقلى، جـعل ظله رفيقًا له لأنه يلازمه ملازمة الرفيق. وقد أخذه من قول المعرى:

ولَمَّا لـم يسـابِـقْـهنَّ شـىءٌ   من الحـيـوان سـابقنَ الـظِّلالا

(٤) لأن حسن التخييل يقربه من الإمكان.

(٥) السنابك: جمع سنبك وهو طرف الحافر، والعثير: الغـبار، والعنق: السير السريع، وقد نشأ التخييل الحسن من ادعاء كثرة الغبار وجعله كالأرض فى الهواء، ولا يخفى أن وجود «لو» فيه يجعله من الأول أيضًا. وقبله:

أقـبـلتَ تَبْـسِمُ والجـيـاد عـوابسُ   يخـبـبن بالحلق المـضـاعَف والـقنا

يُخَيَّلُ لى أنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فى الدُّجى وَشُدَّتْ بأهدابى إليـهنّ أجْفَانى[١]

والثالث: ما أخْرِجَ مُخرجَ الهذل والخلاعة[٢]، كقول الآخر:

أسْكَرُ بالأمسِ إن عـزَمْتُ على الـ شُـربِ غَدًا إنَّ ذا من العَـجَبِ[٣]

المذهب الكلامى:

ومنه المذهب الكلامى[٤]؛ وهو أن يُوردَ المتكلم حُـجَّةً لمَا يَدَّعـيه على طريق أهل الكلام[٥] كقـوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[٦] [الأنبياء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ [الروم: ٢٧]؛ أى والإعادة أهون علـيه من البدء، والأهون من الـبدء أدخل فى الإمكان

(١) هو لأحمد بن محمد المعروف بالقاضى الأرجانى، وقوله «سمر الخ» بمعنى أحكمت فيها بالمسامير، والدجى: جمع دجية وهى الظلمة، والأهداب: جمع هدب وهو شعر أشفار العينين، والشاهد فى اجتماع لفظ «يخيل» فيه من الأول مع ذلك التخييل الحسن الناشىء من ادعاء أن هناك مسامير وحبالا كانت سببًا فى وقوف الشهب وشد الأجفان إليها.

(٢) لأن صاحبهما لا يعد موصوفًا بنقيصة الكذب كما يعد فى الجِد.

(٣) لا يعرف قائله، وقبله:

أمـرُّ بـالكَرْم إن عـبـرتُ به تأخـذنـى نشـوةٌ من الـطربِ

واسم الإشارة «ذا» يعـود إلى سكره بالأمس عند العزم على الشـرب فى الغد، وامتناعه فى العقل لما فيه من تقدم المعلول على علته، وال فى «الأمس» للجنس فيشمل أفراده المقدرة فى المستقبل، وكذلك المراد بغد، وبهذا صح قوله «أسكر بالأمس» بالمضارع مع أمس، وقوله «إن عزمت» بإن التى تقلب الماضى إلى المستقبل، والمراد سكره من مروره بالكرم، ولهذا فصله عنه.

(٤) إنما كان محسنًا لأنه لا يجب فى المحاورة أن تكون على طريق أهل الكلام، وبعضهم يرى أنه تكلف، والحق أنه لا تكلف فيه.

(٥) بأن تكون على صورة قياس اقترانى أو استثنائى بالفعل أو بالقوة، ومن الأول الآية الأولى وبيت النابغة، ومن الثانى ما عداهما من الأمثلة.

(٦) وفيها قياس استثنائى حذفت استثنائيته ونتيجته لظهورهما.

من البـدء، وهو المطلوب(١). وقوله تـعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ [الأنعـام: ٧٦] أى القمـرُ آفل وربى ليس بآفل؛ فـالقمـر ليس بربى(٢). وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨] أى أنتم تُعَـذَّبون، والبنون لا يُعَذبُون؛ فلستم ببَنِين له(٣).

ومنه قول النابغة يعتذر إلى النعمان:

حَلَفْتُ فـلم أترك لنفسـك رِيبَـةً ... وليس وراءَ الله لِـلْمَـرْءِ مَـطْلَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قـد بُلِّغْتَ عَنِّى خـيـانةً ... لَمُـبْلِغُـكَ الْوَاشِى أغشُّ وأكْـذَبُ
ولكنَّنـى كنتُ امْـرَءًا لِىَ جَـانِبٌ ... مِنَ الأرض فيه مُسْترادٌ ومَذْهَبُ(٤)
مُلُوكٌ وإخـوانٌ إذا مـا مَدَحْـتُـهُمْ ... أُحكَّمُ فى أمـوالهم وأقَـرَّبُ(٥)
كَفِـعْلِكَ فى قوم أرَاكَ اصْطَفَيْـتَهمْ ... فَلَمْ تَرَهُمْ فى مـدحهم لَكَ أذْنَبُـوا

يقول: أنت أحسنتَ إلى قوم فمدحوك وأنا أحـسنَ إلىَّ قومٌ فمدحتُهم، فكما أن مدح أولئك لك لا يُعَدُّ ذنبًا، فكذلك مدحى لمن أحسن إلىَّ لا يعد ذنبًا(٦).

---

(١) هذا قياس اقترانى من الشكل الأول حذفت مقدمته الثانية والمطلوب.

(٢) هذا قياس اقترانى من الشكل الثانى حذفت مقـدمته الأولى اكتفاء عنها بلازم الثانية (لا أحب الآفلين) وحذف أيضًا فيه المطلوب.

(٣) هذا أيضًا قياس اقترانى من الشكل الثانى مثل الآية السابقة.

(٤) المستراد: موضع طلب الرزق مـأخوذ من «رَادَ الكلأ» بمعنى طلبه. والمذهب: موضع الذهاب إلى الحاجات، والمراد منهما فى البيت مجرد طلب الرزق والذهاب إلى الحاجات.

(٥) يعنى بهم آل جفنة من الغـساسنة الذين قصدهم بعـد غضب النعمان بن المنذر عليـه. ويشير بقوله «إخوان» إلى تواضعهم؛ والأبيات لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبيانى.

(٦) هذا من قياس التمثيل، ويمكن رده إلى قياس اسـتثنائى تقديره: لو كان مدحى لآل جفنة ذنبًا لكان مدح أولئك القوم لك ذنبًا، لكن مدح أولئك القوم لك ليس بذنب؛ فمدحى لآل جفنة ليس بذنب.

حسن التعليل: ومنه حسن التعليل، وهو أن يُدَّعَى لوصف علةٌ مناسبة له باعتبار لطيف[1] غير حقيقى. وهو أربعة أقسام: لأن الوصف إمَّا ثابت قُصدَ بيان علته، أو غير ثابت أُريدَ إثباته؛ والأول إمَّا ألاَّ يَظْهَرَ لـه فى العادة علة، أو يظهر له علة غير المذكورة، والثانى إمَّا ممكن، أو غير ممكن.

* أما الأول[2] فكقول أبى الطيب:

لم تَحْكِ نَائِلَكَ السحابُ وإنما ... حُمَّتْ به فَصَبِيبُها الرُّحَضَاءُ[3]

فإن نزولَ المطر لا يظهر له فى العادة علة[4]. وكقول أبى تمام:

لا تُنْكِرِى عَطَلَ الكريم مِنَ الْغِنَى ... فَالسَّيْلُ حَرْبٌ للمكان العالِى[5]

عَلَّل عدمَ إصابة الغِنى الكريمَ بالقياس على عدم إصابة السيل المكانَ العالى كالطَّوْد العظيم، من جهة أن الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالى، والغنى لحاجة الخلق إليه كالسيل. ومن لطيف هذا الضرب قول أبى هلال العسكرى:

زعم الْبَنَفْسَجُ أنه كَعِذَارِهِ ... حُسناً فَسَلُّوا من قَفَاهُ لِسَانَهُ[6]

(١) أى دقيق لا يدركه إلا من له تصرف فى دقائق المعانى، ووجه حسنه إظهار ما ليس بواقع متخيلاً كالصحيح الواقع، وهذا شرطٌ لكونه محسنًا لا اعتبار موجب له.

(٢) هو حسن التعليل في الوصف الثابت الذي لا تظهر له فى العادة علة غير المذكورة.

(٣) قوله «لم تحك» بمعنى لم تشابه، والنائل: العطاء، والسحاب: اسم جنس جمعى ولهذا أنث فعله، وهو على حذف مضاف أى مطر السحاب، وقوله «حمت» بمعنى أصيبت بالحمى، والصبيب: ما صُب من المطر، والرحضاء: عَرَق الحمى، والبيت من قصيدة فى مدح هارون ابن عبد العزيز مطلعها:

أمِنَ ازديارك فى الدُّجَى الرقباءُ ... إذ حيثُ أنتَ منَ الظلامِ ضياءُ

(٤) قيد بالعادة لأنَّ له فى الحقيقة علة ولكن الناس لا ينظُرون عادة إليها، وقد جعل أبو الطيب علة نزول المطر من السحاب ما حصل له من الحمى بسبب عدم محاكاته لعطاء الممدوح، وهى علة ناشئة عن لطف فى النظر وليست علة حقيقة.

(٥) العطل: مصدر «عَطِلَ الرجل من المال ونحوه» خلا منه، وقوله «حرب للمكان العالى» بمعنى أنه عدو له لا يجامعه.

(٦) هو للحسن بن عبد الله المعروف بأبى هلال العسكرى، والضمير فى قوله «كعذاره» يعود إلى «مغنج» فى قوله قبل هذا البيت:

ومُغَنَّجٍ قال الكمالُ لخَلقِهِ ... كن مُجمِعًا للطيباتِ فكانَهُ =

وقول ابن نُبَاتَةَ فى صفة فرس:

وَأدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللّيْلُ مِنْهُ ... وَتَطْلُعُ بين عينيه الثُّريَّا
سَرَى خَلف الصباحِ يطير مَشْياً ... وَيَطوى خلفَهُ الأفلاكَ طَيّا
فَلمّا خاف وَشْكَ الفوْتِ مِنْهُ ... تَشَبَّثَ بالْقَوَائِم والمُحَيّا[(١)]

* **وأما الثانى**[(٢)] فكقول أبى الطيب:

مَا بِه قَتْلُ أعاديهِ ولَكِنْ ... يَتَّقِى إخْلافَ ما ترجو الذّئابُ[(٣)]

فإنَّ قتل الملوك أعداءهم فى العادة لإرادة هلاكهم، وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم؛ حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم، لا لِمَا ادَّعَاهُ من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه، ومحبته أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه؛ لَمَّا علم أنه لَمَّا غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم، وهذا مبالغة فى وصفه بالجود، ويتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى[(٤)]، أى تناهى فى الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العُجْم، فإذا غداً

= والبنفسج: نبات بستانى ورقهُ دون السفرجل طيب الرائحة وله هنة تحت ورقه جعلها الشاعر كلسان له سُل من قفاه، والعذار: أول ما يبدو على الخد من الشعر، والشاهد فى أن خروج هنة ورقة البنفسج إلى الخلف مما لا تظهر علته، لكنه جعلها افتراءه على محبوبه أنه كعذاره.

(١) هى لأبى نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى. والأدهم: الفرس الأسود، والثريا: سبعة كواكب فى عنق الثور، استعارها لغرته أو لما يكون فوق الرأس من الحلية، وقوله «سرى» بمعنى مشى ليلاً، والضمير للأدهم. وقوله «يطوى» بمعنى يقطع، والأفلاك: جمع فلك وهو مدار النجوم، والضمير فى قوله «خاف» للصباح، والوشك: السرعة والقرب، والقوائم: جمع قائمة وهى الرجل أو اليد، والمحيا: الوجه، يعنى أنه تعلق بذلك فأصابه أثر بياضه، وهذه علةٌ غير حقيقية له.

(٢) هو حسن التعليل فى الوصف الثابت الذى تظهر له فى العادة علة غير المذكورة.

(٣) هو من قصيدة له فى مدح بدر بن عمار، وقوله «ما به قتل أعاديه» بمعنى أنه لا يقتل أعداءه خوفاً من أذاهم لعجزهم عنه؛ فالباء فى «به» للسببية، والإخلاف: عدم الوفاء.

(٤) ففيه مثال للاستتباع الآتى.

للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه، وفيه نوعٌ آخر من المدح وهو أنه ليس ممن يسرف فى القتل طاعةً للغيظ والحنق.

وكقول أبى طالب المأمونى فى بعض الوزراء بِبُخَارَى:

مُغْرَمٌ بالثناء صَبٌّ بكسب الْمَجْدِ يهتزُّ لِلسَّماحِ ارْتِيَاحَا
لا يذوقُ الإغْفَاءَ إلا رَجَاءً أنْ يَرَى طَيْفَ مُسْتَمِيحٍ رَوَاحَا[1]

وكأن تقييده بالرواحِ ليشير إلى أن العفاة إنما يحضرون له فى صدر النهار على عادة الملوك، فإذا كان الرواح قلُّوا؛ فهو يشتاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم. وأصله من نحو قول الآخر:

وإنِّى لأسْتَغْشِى وما بِىَ نَعْسَةٌ لَعَلَّ خيالاً مِنْكِ يَلْقَى خَيَالِيَا[2]

وهذا غير بعيد أن يكون أيضًا من هذا الضرب، إلا إنه لا يبلغ فى الغرابة والبعد عن العادة ذلك المبلغ، فإنه قد يُتَصَوَّرُ أن يريد المُغْرَمُ الْمتيّمُ إذا بعُد عهده بحبيبه أن يراه فى المنام، فيريد النوم لذلك خاصة.

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز:

قالوا: اشْتَكَتْ عينه، فقلتُ لَهُمْ: من كثرة القتل نالها الوَصَبُ
حُمْرَتُهَا من دماء مَن قَتَلَتْ والدَّمُ فى النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجبُ[3]

---

(١) هما لعبد السلام بن الحسين المأمونى، ينتهى نسبه إلى المأمون بن هارون الرشيد و«المغرم» اسم مفعول من «أغْرِمَ بالشىء» بمعنى أولِعَ به، والصب: ذو الولع الشديد، والسماح: الجود، والإغفاء: النوم الخفيف، والمستميح: طالب العطاء، والرواح: العشى. والشاهد فى تعليله الإغفاء بما علله به مع أن له علة حقيقية غيرها.

(٢) هو لقيس بن الملوح المعروف بالمجنون، وقوله «أستغشى» بمعنى أطلب النعاس، وقوله «وما بى نعسة» بمعنى: وما بى إرادتها.

(٣) هما لعبد الله ابن المعتز، وقوله «اشتكت» بمعنى مرضت، والمراد بالقتل قتل محبيها، والوصب: المرض، والنصل: يطلق على السيف وقد استعير للعين لقتلها مثله، والشاهد فى أن العلة الحقيقية لحمرة العين الرمدُ لا دماء من قتلته من العشاق.

وقول الآخر:

أَتَـتْنِـى تُـؤنِّـبُـنـى بـالـبـكـاءِ ... فـأهْلاً بهـا وَبِـتـأنيـبِـهَـا

تقـول وفى قـولهـا حِـشْـمَـةٌ ... : أتبـكى بـعينٍ تَـرَانِى بِـهَـا

فـقلتُ: إذا استـحـسنتْ غَيْـرَكُم ... أمـرتُ الدمـوعَ بِتـأدِيبِـهَـا[١]

وذلك أن العادة فى دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب، لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب.

• **وأما الثالث**[٢] فكقول مسلم بن الوليد:

يَا وَاشِـيًـا حَـسُنَـتْ فـينا إسَـاءَتُهُ ... نَجَّى حِذَارُكَ إنسـانى من الْغَرَقِ[٣]

فإن استـحسان إسـاءة الواشى ممكن، لكن لَمَّا خالف الناسَ فـيه عَقَّبَـهُ بذكر سببه، وهو أن حذاره من الواشى منعه من البـكاء، فسلم إنسان عينيه من الغرق فى الدموع، وما حَصَّل ذلك فهو حسن.

• **وأما الرابع**[٤] فكمعنى بيت فارسى ترجَمَتُهُ:

لَوْ لَمْ تكُنْ نِيَّـةُ الجـوزاء خِـدْمَتَـهُ ... لَمَـا رأيَتَ عليـها عِـقْـدَ مُنْتَطَقِ[٥]

---

(١) هى لأحمد بن محمد المعروف بابن ثوابة، وقوله «تؤنبنى» بمعنى تلومنى وتعنفنى، والحشمة: الغضب أو الاستحياء، والأول أظهر هنا.

(٢) هو حسن التعليل فى الوصف غير الثابت الذى أريد إثباته وهو ممكن.

(٣) الواشى: الساعى بالفساد، والحذار: مصدر «حاذَرَ» مضاف إلى مفعوله، وقوله «إنسانى» يعنى به إنسان عينه وهو ما يُرى فى سوادها أو هو سوادها.

(٤) هو حسن التعليل فى الوصف غير الثابت الذى أُريد إثباته وهو غير ممكن.

(٥) هو لعبد القـاهر الجرجانى ترجم به أصله الفارسى. والجوزاء: برج فلكى حـوله نجوم تسمى نطاق الجوزاء، والمنتطق: ذو النطاق وهو ما يُشـد فى الوسط، وقد يكون مـرصعًـا بالجواهر كالعقد.

فإن نيةَ الجوزاء خدمتَه ممتنعةٌ[١].

*** ما يلحق بحسن التعليل:**

ومما يُلْحَق بالتعليل وليس به؛ لبناء الأمر فيه على الشك[٢] نحو قول أبى تمام:

رُبًى شفعتْ رِيحُ الصَّبَا لرياضِها ... إلى المُزْنِ حتى جَادَهَا وهْوَ هامِعْ[٣]

كَأنَّ السحابَ الْغُرَّ غَيَّبنَ تحتها ... حبيبًا فما تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ[٤]

وقول أبى الطيب:

رحل الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِى فكأننى ... أتْبَعْتُهُ الأنْفاسَ لِلتشْييعِ[٥]

علة تصعيد الأنفاس فى العادة هى التحسر والتأسف لا ما جَوَّز أن يكون إياه، والمعنى: رحل عنى العزاء بارتحالى عنك؛ أى معه بسببه[٦]، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر وكانت الأنفاسُ تتصعد منه أيضًا صار العزاء وتنفُّسُ الصُّعداءُ كأنهما نزيلان، فلما رحل ذلك كان حقًا على هذا أن يُشيعه قضاءً لحق الصحبة.

*** التفريع:** ومنه التفريع، هو أن يُثْبَتَ لِمُتَعَلَّقٍ أمرٍ حكمٌ بعد إثباته لِمُتَعَلَّقٍ له

---

(١) لكنه ادعى ثبوتها بتلك العلة، وعلى هذا لا تكون «لو» فى البيت لامتناع الجواب لامتناع الشرط، بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط؛ لأن حملها على الأول يجعل نية خدمته علة لانتطاق الجوزاء؛ فيكون من الضرب الأول لا من هذا الضرب.

(٢) أما حسن التعليل ففيه ادعاء وإصرار.

(٣) الربى: جمع ربوة وهى التل المرتفع من الأرض، والصبا: ريح تهب من الشرق، والمزن: واحده مزنة وهى السحاب الأبيض، وقوله «جادَها» بمعنى أمطرها ، والهامع: السائل بكثرة.

(٤) الغر: جمع غراء وهى السحابة الماطرة الغزيرة الماء، والضمير فى «تحتها» للربى، وقوله «ترقا» مخفف ترقأ بمعنى تسكن، والشاهد فى تعليل الأمطار السحاب بما ذكره مبنيًا على الشك المستفاد من «كأن» لأنها هنا للشك.

(٥) العزاء: الصبر، والتشييع: التوديع. وقبله:

ما زلتُ أحذر مِن وداعك جاهدًا ... حتى اغتدَى أسفِى على التوديع

(٦) فالباء فى قوله «برحلتى» للمصاحبة أو للسببية.

آخر[١] كقول الْكُمَيْت:

أَحْلاَمُكُمْ لِسَقَامِ الجهلِ شافيةٌ كما دماؤكُم تشفِى من الْكَلَبِ[٢]

فَرَّعَ مِن وصْفِهِمْ بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصْفَهم بشفاء دمائهم من داء الكلب.

* **تأكيد المدح بما يشبه الذم**: ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ وهو **ضربان**:

* **أفضلهما** أن يُسْتَثْنى من صفة ذمٍّ منفية عن الشىء صفة مدحٍ بتقدير دخولها فيها؛ كقول النابغة الذبيانى:

ولا عَيْبَ فيهم غير أنّ سيُوفَهُمْ بِهنّ فُلُولٌ من قِراع الْكَتَائبِ[٣]

أى إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قَبِيل العيب، فأثبت شيئًا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه، وذلك مُحال، فهو فى المعنى تعليق بالمحال؛ كقولهم: «حتى يَبْيَضَّ الْقَارُ»؛ فالتأكيد فيه[٤] من وجهين: أحدهما أنه كدعوى الشىء ببَينة[٥]، والثانى أن الأصل فى الاستثناء أن يكون متصلا[٦]، فإذا نطق المتكلم بإلاّ أو نحوها توهم السامعُ قبل أن ينطق بما بعدها أنّ ما يأتى بعدها مُخْرَجٌ مما قبلها، فيكون شىء من صفة الذم ثابتًا، وهذا ذَمٌّ، فإذا أتت

---

(١) المراد بالتعلق: النسبة والارتباط، ولابد أن يكون ذلك على وجه يشعر بالتفريع؛ ليخرج نحو: غلام زيد راكب وأبوه راكب.

(٢) للكميت بن زيد الأسدى من قصيدة له فى مدح بنى هاشم. والأحلام: العقول، والكلب: شبه جنون يحدث للشخص من عض الكلب المصاب به، ولم يكن له دواء فى زعمهم أشفى من شرب دماء الملوك؛ فهو كناية عن أنهم ملوك كما أنهم علماء.

(٣) هو لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبيانى. والفلول: جمع فَلّ وهى الثلمة فى حد السيف، والقراع: المضاربة، والكتائب: جمع كتيبة وهى القطعة من الجيش.

(٤) أى فى هذا الضرب مطلقًا.

(٥) لأنه علق نقيض الدعوى وهو إثبات شىء من العيب بالمحال، والمعلق بالمحال محال؛ فيكون عدم العيب محققًا.

(٦) يعنى أن أصل الاستثناء مطلقًا ذلك، لا فى هذا الباب؛ لأنه فيه منقطع فى كل من ضربيه.

بعدها صفة مدح تأكدَ المدحُ؛ لكونه مدحًا على مدح، وإن كان فيه نوع من الْخِلاَبَة[1].

والثانى[2] أن يُثبت لشىء صفةُ مدح، ويُعقّبَ بأداة استثناء تليها صفةُ مدح أخرى له، كقوله ﷺ: «أنا أفصح العرب بَيْدَ أنى من قريش».

وأصل الاستثناء فى هذا الضرب أيضًا أن يكون منقطعًا، لكنه باق على حاله لم يُقَدَّرْ متصلا[3]؛ فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثانى من الوجهين المذكورين[4]؛ ولهذا قلنا: الأول أفضل. ومنه قول النابغة الجعدى:

فتًى كَمُلَتْ أخلاقُه غير أنه جوادٌ فما يُبقى من المال باقيا[5]

وأما قوله تعالى: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا**﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، فيحتمل الوجهين[6]. وأما قوله تعالى: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا**﴾ [مريم: ٦٢]، فيحتملهما[7]، ويحتمل وجهًا ثالثًا وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلا[8]؛ لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة، وأهل

---

(١) أى خداع الكلام.

(٢) أى الضرب الثانى من تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(٣) أى كما قدِّر فى الضرب الأول؛ لأن الاستثناء فيه منقطع ولكنه يقدر متصلاً، وإنما لم يقدر هنا متصلاً لأنه ليس فيه صفه ذم عامة منفية يمكن تقدير صفة المدح فيها.

(٤) بخلاف الوجه الأول؛ لأنه مبنى على التعليق بالمحال المبنى على تقدير الاستثناء متصلاً.

(٥) نسب فى «الصناعتين» لجندل بن جابر الفزارى، ونسب فى «الحماسة» لحسان بن قيس المعروف بالنابغة الجعدى، وروى فيه: «كملت خيراته».

(٦) لأنه من الضرب الأول لا الثانى.

(٧) لأنه من الضرب الأول أيضًا.

(٨) إنما لم تحتمل الآية السابقة هذا الوجه لأنه زيد على المستثنى منه فيها قوله ﴿ولا تأثيما﴾ فلا يمكن أن يدخلَ فيه ﴿إلا قيلا سلاما سلاما﴾ وعلى هذا الوجه لا تكون الآية الثانية من تأكيد المدح بما يُشبِهُ الذمَّ، لأن الاستثناء فيه يجب أن يكون منقطعًا، وقيل: إن هذا الوجه غير محتمل فيها لا ظاهرًا ولا حقيقة؛ لأن السلام فى الجنة إذا كان لفائدة الإكرام لا يكون لغوا.

الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء؛ فكان ظاهره من قَبِيل اللغو وفضول الكلام، لولا ما فيه من فائدة الإكرام.

● ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم **ضربٌ ثالث**؛ وهو أن يأتى الاستثناء فيه مُفَرَّغًا[(1)] كقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا**﴾ [الأعراف: ١٢٦]، أى وما تعيب منا إلا أصلَ المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله، ونحوه قوله: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا**﴾ المائدة: ٥٩]؛ فإن الاستفهام فيه للإنكار.

واعلم أن الاستدراك فى هذا الباب يجرى مجرى الاستثناء، كما فى قول أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى:

هو البدرُ إلا أنه البحرُ زاخرًا   سِوَى أنه الضِّرْغَامُ لكنه الْوَبْلُ[(2)]

● **تأكيد الذم بما يشبه المدح:**

ومنه تأكيد الذم بما يشبه المدح، وهو **ضربان:**

● **أحدهما** أن يُسْتَثْنَى من صفة مدحٍ منفية عن الشىء صفةُ ذم بتقدير دخولها فيها؛ كقولك: فلان لا خَيْرَ فيه إلا أنه يسىء إلى مَن يحسن إليه[(3)].

● **وثانيهما** أن يُثْبَتَ للشىء صفة ذَمّ ويُعَقَّبَ بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له

---

(١) بأن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمول لفعل فيه معنى الذم، فيتفرغ للعمل فيه ويكون الاستثناء مفرغًا، ولا يرجع هذا إلى الضرب الأول لأن الاستثناء هنا متصل لا منقطع.

(٢) هو لأبى الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى يمدح خلف بن أحمد. والزاخر: المرتفع من تلاطم الأمواج، والضرغام: الأسد، والوبل: المطر الشديد. ووجه الشبه فى الأول: الرفعة، وفى الثانى: الكرم، وفى الثالث: الشجاعة، وفى الرابع: الكرم أيضًا لكنه أتم من الأول. والشاهد فى قوله «لكنه الوبل».

(٣) من ذلك قول الشاعر:

فإنّ مَن لامَنِى لا خيرَ فيه سِوَى   وَصْفِى له بأخَسِّ الناس كلِّهم

كقولك: فلان فاسق إلا أنه جاهل[١].

وتحقيق القول فيهما على قياس ما تقدم[٢].

● **الاستتباع**: ومنه الاستتباع، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدحَ بشيء آخر[٣]؛ كقول أبي الطيب:

نَهَبْتَ من الأعمار مَا لَوْ حَوَيْتَهُ   لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بأنك خَالِدُ[٤]

فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة؛ إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لَخُلِّدَ في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سببًا لصلاح الدنيا ونظامها، حيث جعل الدنيا مُهَنَّأَةً بخلوده، قال علي بن عيسى الربعي: وفيه وجهان آخران من المدح: أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال[٥]، والثاني أنه لم يكن ظالمًا في قتل أحد من مقتوليه؛ لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها؛ فهم مسرورون ببقائه.

● **الإدماج**: ومنه الإدماج، وهو أن يُضَمَّنَ كلامٌ سِيقَ لمعنى معنًى آخرَ[٦]؛ فهو

---

(١) من ذلك قول الشاعر:

يا حبيبَ الإلهِ جُدْ لي بِقُرْبٍ   منك يَا صَفْوَةَ العزيز الرّحيم

يا رسولاً أعداؤه أراذل النَّا   سِ جميعًا لكنّهم في الْجَحيمِ

(٢) في تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(٣) على هذا يكون أخص من الإدماج الآتي، وقيل: هو الوصف بشيء على وجه يستتبع وصفًا آخر، فلا يختص بالمدح ويكون مساويًا للإدماج، وإذا كان هذا شأنه مع الإدماج فلا بد أن يُشترط فيه شرطاه الآتيان أيضًا، سواء كان أخص منه أم كان مساويًا له.

(٤) هو من قصيدة في مدح سيف الدولة.

(٥) لتخصيصه الأعمار بالذكر دون الأموال مع أن النهب بها أليق، والبلغاء يعتبرون مفهومَ القلب في مثل هذا من المحاورات والخطابيات.

(٦) المراد به ما يشمل المعنى الواحد والاثنين والأكثر من ذلك، ويقال لهذا المعنى مُضَمَّنٌ، ويشترط فيه شرطان: ألاّ يكونَ مصرحًا به، وألا يكون في الكلام ما يُشعر بأنه مسوق لأجله، وسيأتي محترز هذا في بعض الشواهد الآتية.

أعم من الاستتباع[1].

ومثاله قول أبي الطيب:

أقَلِّبُ فيه أجفانى كَأنِّى　　أعُدُّ بها على الدهر الذُّنُوبا[2]

فإنه ضمَّن وصفَ الليل بالطول الشكايةَ من الدهر.

وقول ابن المعتز فى الْخِيرِىِّ:

قدْ نَفضَ العاشقون ما صنع الْـ　　ـهَجْرُ بألوانهم على وَرَقِه[3]

فإن الغرض وصف الخيرى بالصفرة، فأدمج الغزل فى الوصف، وفيه وجهٌ آخر من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين: أعنى الإيجاز والإطناب؛ أما الإيجاز فمن جهة الإدماج، وأما الإطناب فلأن أصل المعنى أنه أصفر؛ فاللفظ زائد عليه لفائدة[4].

ومنه قول ابن نُباتة:

وَلا بُدَّ لى من جَهْلَةٍ فى وِصالِه　　فَمنْ لى بِخِلٍّ أودِعُ الحِلمَ عِندَهُ[5]

فإنه ضمَّن الغزلَ الفخرَ بكونه حليمًا الْمكْنِىُّ عنه بالاستفهام عن وجود خل صالح لأنْ يودعه حلمه، وضمَّن الفخرَ بذلكَ -بإخراج الاستفهام مخرج الإنكار-

---

(١) لأنه يشمل المدح وغيره، وقيل: إن الاستتباع مساو له كما سبق.

(٢) الضمير فى «فيه» يعود على الليل فى قوله قبله:

أعَزْمِىَ طال هذا الليلُ فانظُرْ　　أمنكَ الصبح يَفْرَقُ أن يَؤُوبا

وقوله «أقلب فيه أجفانى» كناية عن طوله، وقوله «: كأنى أعد بها على الدهر الذنوبا» كناية عن الشكاية منه، وبهذا تكون هذه الشكاية غير مصرح بها فى البيت، كما أنه ليس مسوقًا لأجلها.

(٣) هو لعبد الله بن المعتز، وقوله «نفض» بمعنى أسقط، ويعنى بما صنع الهجر بألوانهم صفرتها، والضمير فى «ورقه» للخيرى وهو ورد أصفر، وقيل: إن البيت لعلى بن محمد التغلبى.

(٤) هى الإدماج.

(٥) هو لأبى نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى، والخل: الصديق، والحلم: الصبر والأناة ضدُّ الطيش والجهل والسفه.

شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشأن، ونَبَّه بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حلمه جملةً أبدًا، ولكن إذا كان مريدًا لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافى للحلم عزم على أنه إن وجد من يصلح لأن يودِعه حلمه أودعه إياه؛ فإن الودائع تستعاد.

قيل: ومنه قول الآخر يهنىء بعض الوزراء لَمّا استُوزِرَ:

أَبَى دَهْرُنَا إِسعافَنَا فى نفوسنا وأسعَفَنَا فيمن نحِبُّ ونُكرِمُ
فقلت لَهُ: نُعماكَ فيهم أتِمّها وَدَعْ أمرَنا إنّ الْمُهِمَّ الْمُقَدَّمُ(١)

فإنه أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الأحوال فى التهنئة، وفيه نظر؛ لأن شكوى الزمان مُصرَّح بها فى صدره، فكيف تكون مُدْمَجَةً؟ ولو عكسَ فجعل التهنئة مدمجةً فى الشكوى أصاب(٢).

● **التوجيه**: ومنه التوجيه؛ وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين(٣) كقول من قال لأعور يسمَّى عمرا:

خاطَ لى عَمْروٌ قِبَاءً ليت عينيه سَوَاءُ(٤)

---

(١) هما لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكان قد اختل حاله، فكتب بهما إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب لما استوزره المعتضد، ففطن لمراده ووصله واستعمله، وقيل: إن هذا كان مع أبيه سليمان بن وهب، والإسعاف: المساعدة، وقوله «دع» بمعنى أترك.

(٢) لا ينافى هذا أن التهنئة هى المقصودة بالذات؛ لأن القصد الذاتى لا ينافى إفادة المقصود بطريق الإدماج بأن يؤتى به بعد التصريح بغيره، وفى البيتين أيضًا إدماج المدح فى الشكوى لأنه جعله مستحقًا لالتفات الدهر له وتقديمه على غيره.

(٣) أى متضادين كالمدح والذم؛ فلا يكون منه ما يحتمل غير ذلك؛ كاحتمال العين للجارحة والجاسوس لجواز اجتماعهما، كقولك «رأيتُ عينا»، ولابد فيه أيضًا من احتمال المعنيين على السواء؛ لأنه إذا كان أحدهما متبادرًا يكون تورية لا توجيهًا.

(٤) هو لبشّار بن بُرْد من مجزوء الرمل، وكان قد دفع إلى ذلك الرجل ثوبًا ليخيطه له فقال: لأخيطنه بحيث لا يعلم أقباء هو أم غيره؟ فقال بشار: لئن فعلت ذلك لأقولن فيك شعرًا لا يدرى أهجاء أم غيره؟ ولهذا قال بعد ذلك البيت: =

وعليه قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾ [النساء: ٤٦]، قال الزمخشري: (غير مسمع) حال من المخاطَب، أي اسمع وأنت غير مسمع، وهو قولٌ ذو وجهين:

يحتمل الذم؛ أي اسمع منا مَدْعُوًّا عليك بلا سمعتَ؛ لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مُسْمَعٍ، قالوا ذلك اتكالاً على أن قولهم «لا سمعتَ» دعوة مستجابة، أو اسمع غيرمَجابٍ إلى ما تدعو إليه، ومعناه غير مُسْمَعٍ جوابًا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئًا، أو اسمع غير مُسْمَعٍ كلامًا ترضاه؛ فسمعُكَ عنه نابٍ، ويجوز على هذا[1] أن يكون «غير مسمع» مفعول «اسمع» أي اسمع كلامًا غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نُبُوًّا عنه.

ويحتمل المدح؛ أي اسمع غير مسمع مكروهًا، من قولك «أسْمَعَ فلانٌ فلانا» إذا سبَّه.

وكذلك قوله «رَاعِنَا» يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل سُبَّةً وهي كلمة عِبْرانيَّة أَوْ سُرْيانيَّة كانوا يَتَسَابُّونَ بها وهي «راعينا»[2] فكانوا سخريةً بالدين وهُزُؤًا برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمِل؛ ينوون به الشتيمة والإهانة

= فَسأل الناسَ جميعًا أمديحٌ أم هِجَاءُ؟

والقباء: ثوب يلبس فوق الثياب، والشاهد في أنه يحتمل أن يكون دعاءً بصحة العوراء فيكون مدحًا، أو بتعوير الصحيحة فيكون هجاء.

ومن التوجيه قول محمد بن حازم في زواج المأمون ببوران:

بارك الله للحسَنْ ولبُورانَ في الخَتنْ
يا ابن هارون قد ظفرْ تَ ولكن ببنت مَنْ

فقال المأمون: والله ما ندري خيرًا أراد أم شرًا؟

(١) أي على التأويل الأخير.

(٢) الحق أنها عربية؛ وهي فعل أمر من المراعاة، وهي تقتضي المشاركة، أي ارعنا نرعك، وهذا فيه سوء أدب.

ويظهرون به التوقير والاحترام(١).

ثم قال: فإن قلتَ: كيف جاءوا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرَّحوا وقالوا «سمعنا وعصينا»؟ قلتُ: جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسبِّ ودعاء السوء، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم، ويجوز ألاَّ ينطقوا بذلك، ولكنهم لما لم يؤمنوا به جُعِلُوا كأنهم نطقوا به.

قال السكاكى(٢): ومنه متشابهات القرآن باعتبار(٣).

● **الهَزْلُ الذى يراد به الجدُّ**: ومنه الهزل الذى يراد به الجِدُّ؛ وترجمته تغنى عن تفسيره(٤). ومثاله قول الشاعر:

إذا ما تَميمىٌّ أتاك مُفاخِرًا ... فَقُلْ عَدِّ عَنْ ذا كيف أَكْلُكَ لِلضَّبِّ(٥)

ومنه قول امرئ القيس:

وقد علمتْ سَلْمَى وإنْ كان بَعْلَها ... بأنّ الفتى يَهْذِى وليس بِفَعّالِ(٦)

---

(١) لأنهم كانوا يلوون بها لسانهم حتى تشبه فى الظاهر «راعنا» العربية.

(٢) ٢٢٦ - المفتاح.

(٣) لعله يريد بذلك تجويز حملها على ظاهرها على وجه لائق بالله تعالى، وتأويلها بحملها على ما سبق فى التورية؛ فتكون محتملة للوجهين على السواء، ولا تكون من التورية كما سبق بل من التوجيه، وإنما قال «باعتبار» لأنه من المعتزلة الذين لا يرون حملها على ظاهرها، وقيل: إنه يريد بذلك أنها من التوجيه بناءً على عدم اشتراط استواء الاحتمالين فيه، وعلى هذا يكون أعَمّ من التورية.

(٤) هو أن يُذكر الشىء على سبيل اللعب والمباسطة ويُقصد به أمر صحيح فى الحقيقة، والفرق بينه وبين التهكم أن التهكم بعكسه: ظاهره جد وباطنه هزل، كما فى قوله تعالى ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ [الدخان: ٤٩].

(٥) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس، وقوله «عد عن ذا» بمعنى تجاوز عن هذا الافتخار، والضب: حيوان صغير على هيئة فرخ التمساح ذَنَبُهُ كثير العُقَد، والشاهد فى أن هذا القول للتميمى عند افتخاره هزلٌ ظاهر ولكنه يراد به الجد، وهو ذَمه بأكل الضب؛ لأن أشراف الناس يَعَافُون أكله.

(٦) قوله «وإن كان بعلها» جملة معترضة بين «علمت» ومفعولها، والبعل: الزوج، وقوله =

● **تَجاهُل العارف:**

ومنه تجاهل العارف، وهو كما سمّاه السكاكى[1]: «سَوْقُ المعلوم مَسَاقَ غيره لِنكْتةٍ»[2] **كالتوبيخ** فى قول الخارجية:

أيا شجرَ الْخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا   كَأنَّك لم تجزعْ على ابن طَرِيفِ[3]

والمبالغة فى المدح فى قول البحترى:

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أمْ ضوءُ مِصْباحِ   أمِ ابْتِسَامَتُهَا بالمنظر الضَّاحِى[4]

أو فى الذم فى قول زهير:

وَمَا أدْرِى وسوف إخَالُ أدرى   أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نِسَاءُ[5]

= «يهذى» بمعنى يقول كلامًا غير معقول، وهو زعمه أنه يقتله كما قال قبل هذا البيت:

أيقتلنى والمشرفيُّ مُضاجعى   ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال

والشاهد فى قوله «أن الفتى يهذى وليس بفعال» لأن ظاهره هزل ولكنه يراد به الجد وهو هجو بعلها.

(١) ٢٢٦ - ٢٢٧ - المفتاح، وإنما عدل عن تسميته «تجاهل العارف» لوروده في كلام الله تعالى، كقوله في سورة طه: ١٧ ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ**﴾.

(٢) فلو عبر عن المعلوم بعبارة المجهول - لا لنكتة - لم يكن من تجاهل العارف، كقولك «أقام زيد أم لم يقم؟» وأنت تعلم أنه قام؛ فالنكتة فيه شرط لصحته وليست حالاً يقتضى وجوبه في البلاغة كنكتة علم المعاني.

(٣) هو لليلى بنت طريف في رثاء أخيها الوليد وكان من الخوارج. والمورق: ما كان ذا ورق ناضر غير ذابل، والخابور: نهر بديار بكر، والشاهد في قولها: «كأنك لم تجزع الخ» لأنها تعلم أنه لا يجزع ولكنها تجاهلت ذلك وشكت فيه ووبخته عليه، وإذا كان مثله يوبخ على عدم جزعه فغيره ممن شأنه الجزع أجدر به. وقد خرج الوليد في عهد هارون الرشيد، فأرسل إليه يزيد بن مَزْيد الشيباني فقتله، وقد ذكر الدسوقى أن قاتله يزيد بن معاوية، وهو خطأ ظاهر.

(٤) قوله «سرى» بمعنى ظهر ليلا، والمراد بالمنظر الوجه أو الفم، والضاحى: الظاهر، والشاهد في أنه يعلم أن الذي ظهر ابتسامتها، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة في مدحها، وإفادة أنها بلغت في الحسن مبلغًا يحصل معه ذلك اللبس.

(٥) هو لزهير بن أبى سُلمى، وقوله: «وسوف إخال أدرى» جملة معترضة بين «أدرى» الأولى ومعمولها، وقوله: «إخال» بمعنى أظن معترض بين سوف وأدرى. القوم: يطلق على الرجال خاصة وعلى ما يعم الرجال والنساء، والمراد هنا الأول. والشاهد في أنه يعلم أنهم رجال، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة في ذمهم وإفادة أنهم بلغوا فى الضعف مبلغًا يحصل معه ذلك اللبس.

وَالتَّدَلُّه فى الحب: فى قول الحسين بن عبد الله الغزى[1]:

بِاللهِ يَا ظَبْيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلاَى مِنْكُنّ أم لَيْلَى مِن الْبَشَرِ[2]

وقول ذى الرمة:

أيَا ظَبْيَةَ الْوَعْسَاء بين جُلاَجِلٍ وبين النَّقَا أأنْتِ أَمْ أمُّ سَالِمِ[3]

والتحقير: فى قوله تعالى حكايةً عن الكفار فى حق النبى ﷺ: **﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾** [سبأ: ٧]، كأن لم يكونوا يعرفون منه إلا أنه رَجُلٌ مَا.

والتعريض[4]: فى قوله تعالى: **﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** [سبأ: ٢٤]. وفى مجيء هذا اللفظ على الإبهام فائدة أخرى، وهى أنه يبعث المشركين على الفكر فى حال أنفسهم وحال النبى ﷺ والمؤمنين، وإذا فكروا فيما هم عليه من إغارات بعضهم على بعض وسبْى ذراريهم واستباحة أموالهم، وقطع الأرحام، وإتيان الفروج الحرام، وقتل النفوس التى حرَّم الله قتلها، وشرب الخمر التى تُذْهِبُ العقول وتحسِّن ارتكاب الفواحش، وفكروا فيما النبى عليه السلام والمؤمنون عليه من صلة الأرحام واجتناب الآثام والأمر بالمعروف

---

(١) فى بعض النسخ «الغريبى»، ورجحت بأن الغزى اسمه إبراهيم بن عثمان، ولكن صاحب «الخزانة» نسبه للحسين بن عبد الرحمن العرينى، ونسبه السخاوى لعلى بن محمد العرينى، وقيل: إنه للعرجى، وقيل: إنه لذى الرُّمَّة.

(٢) القاع: المستوى من الأرض. والشاهد فى أنه يعلم أنها من البشر، ولكنه تجاهل ذلك إظهارًا للتدله فى حبها.

(٣) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة. والوعساء: الرابية اللينة من الرمل تُنبت أحرار البقول، وجلاجل والنقا: موضعان، والشاهد فى قوله: «أأنت أم أم سالم» والتقدير: أأنت المرئية أم أم سالم، على نحو ما سبق فى البيت قبله.

(٤) هو إمالة الكلام إلى عُرْض يدل على المقصود، كما سبق فى الكلام على الكناية فى الجزء الثالث.

والنهى عن المنكر وإطعام المساكين وبرِّ الوالدين والمواظبـة على عبادة الله تعالى - علموا[1] أن النبى علـيـه السـلام والمسلمين على هدى، وأنهـم على الضـلالة، فبعثهم ذلك على الإسلام، وهذه فائدة عظيمة.

● **القول بالموجَب**: ومنه القول بالموجب[2]. وهو ضربان:

● **أحدهما**: أن تقع صـفةٌ فى كـلام الغيـر كنايةً عن شىء[3] أُثْبتَ لـه حكم، فَتُثْبِتَ فى كلامك تلك الصفة لغـير ذلك الشىء، من غير تعـرُّض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه، كـقوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون: ٨]، فإنهم كَنَوْا بالأعز عن فريقهم[4] وبالأذل عن فـريق المؤمنين، وأثبتـوا للأعز الإخراج، فـأثبت الله تعالى - فى الرد عليهم - صـفةَ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، من غـير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم.

● **والثانى**: حملُ لفظٍ وقع فى كلام الـغير على خلاف مراده مما يحـتمله بذكر مُتَعَلِّقه[5]؛ كقوله:

قُلْـتُ: ثَقَّـلْتُ إذْ أتيـتُ مِـــرارًا ... قـــال: ثَقَّلْتَ كـــاهلى بـالأيَادِى

---

(١) جواب: «إذا».

(٢) بكسر الجيم إن أريد به الصفة الموجبة للحكم، وبفتحها إن أريد به الحكم الذى أوجبته.

(٣) أى عبارة عنه، فليس المراد بها الكناية الاصطلاحيـة، وقيل: إن المراد بها الكناية الاصطلاحية السابقة فى علم البيان، والحق أنها لا تلتزم فى القول الموجب.

(٤) إذا كان هذا كناية اصطلاحية يكون من الكناية عن الموصوف.

(٥) هذا الضرب هو الذى يسمى الأسلوب الحكيم، وقد سبق الكلام عليه فى علم المعانى فى آخر باب المسند إليه، والمراد بالمتعلق ما يناسب المعنى الذى يُحـمل اللفظ عليه وإن لم يكن متعلقًا اصطلاحيًا كالمفعول والجاروالمجرور، فيدخل فيه نحو قول الشاعر:

لقـد بُهِـتُـوا لَمـا رَأَوْنِىَ شـاحـبًـا ... فـقالوا: به عَـينٌ، فقلتُ: وَعَـارِضُ

أرادوا بالعَين إصابة العـائن، فحمله على إصابة عـين المعشوق بذكر مناسبـها وهو العارض؛ لأنه السنُّ التى فى عرض الفم.

قُلْتُ: طَوَّلْتُ، قال: لا بلْ تطوّلْتَ　　وأبْرَمْتُ، قال: حَبْلَ وِدَادِي[١]

والاستشهاد بقوله «ثقلت وأبرمت» دون قوله «طولت»[٢].

ومنه قول القاضى الأرّجانيّ:

غَالَطَتني إذْ كَسَتْ جِسمي الضّنَى　　كِسوةً عَرَّت من اللحمِ الْعظَامَا

ثم قالت: أنت عِندي في الهَوي　　مِثْلُ عيني، صَدَقَتْ لكنْ سَقَاما[٣]

وكذا قول ابن دُوَيْدَةَ المغربى من أبيات يخاطب بها رجلاً أودع بعضَ القضاة مالاً فادّعى القاضى ضياعه:

إن قَالَ: قد ضاعت، فَيصْدُقُ إنَّهَا　　ضاعتْ وَلَكن منك يَعْني لَوْ تَعِي[٤]

أو قال: قد وقعتْ، فيصدقُ إنها　　وقعتْ ولكن منهُ أحْسَنَ موْقِعِ[٥]

وقريب من هذا قول الآخر:

---

(١) هما للحسن بن أحمد المعروف بابن حجاج أو لمحمد بن إبراهيم الأسدى. والكاهل: ما بين الكتفين، والأيادى: النعم، وقوله «تطولت» بمعنى تفضلت، وقوله «أبرمت» بمعنى أسأمت، والشاهد فى أنه قال «ثقلت» بمعنى حمّلتك المؤونة، فحمله على تثقيل كاهله بالنعم، ثم قال «أبرمت» بمعنى أسأمت، فحمله على إبرام حبل وداده أى عقد عهده.

(٢) فليس من القول بالموجب؛ لأنه رد عليه بقوله «لا» وأثبت شيئاً غيره وهو التطول.

(٣) هما لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجانى. والضنى: الهزال، قوله «عرت» بمعنى نزعت، وفى العبارة قلب الأصل «عرت اللحم من العظام» والهوى: الحب. والشاهد فى قوله «صدقت لكن سقاما» لأنه أثبت أنه مثل عينها كما قالت، ولكن فى ضعفها وفتورها، وهو صفة ممدوحة فى العين.

(٤) قوله «يعنى» بمعنى يقصد، وقوله «ولكن منك» على تقدير «ولكن ضاعت منك» وقوله «تعى» بمعنى تفهم، والشاهد فى قوله «ضاعت ولكن منك» لأن القاضى يقصد أنها ضاعت منه، فأثبت أنها ضاعت من صاحبها لا منه. وفى رواية «فصدِّق» فعل أمر وهو الأنسب بالفاء، لأنه يقرن بها فى جواب الشرط.

(٥) الشاهد فى قوله «ولكن منه أحسن موقع» وتقديره «ولكن وقعت منه أحسن موقع بأخذه لها»، وهو يقصد فى الأول أنها وقعت أى سقطت منه.

وَإِخْــوَانٍ حَسِــبْــتُــهُمْ دُرُوعــاً   فـكَانُـوهَا وَلـكِـن للأعَــــــادي
وَخلتُــهُمُ سِــهَــامــاً صَـائِبَــاتٍ   فـكَانُـوهَا وَلَـكِنْ فـي فُــــؤادي
وَقَــالوا: قـد صَــفَتْ منّـا قُلوبٌ   لقـد صـدقــوا ولكنْ منْ وِدَادِي[١]

والمراد البيتان الأولان[٢]. ولك أن تجعل نحوهما ضربًا ثالثًا[٣].

● **الاطِّراد**: ومنه الاطِّرادُ[٤] وهو أن يأتى بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه[٥] على ترتيب الولادة من غير تكلُّفٍ فى السبك؛ حتى تكون الأسماء فى تَحَدُّرِهَا كالماء الجارى فى اطراده وسهولة انسجامه؛ كقول الشاعر:

إن يَقْـتُلوكَ فـقـد ثَلَلْتَ عُـرُوشَـهمْ   بعُـتَـيْـبَةَ بن الحـارثِ بن شِهَـابِ[٦]

وقول دُرَيْدِ بن الصِّمَّة:

قَــتَلْنَا بعــبــد الله خَــيْــرَ لِدَاته   ذُؤَابَ بنَ أسْماءَ بن زيد بن قاربِ[٧]

وفيه تَعَرُّضٌ للمقتول به، ولشرف المقتول[٨]. قيل: لـمّـا سمعه عبد الملك بن

---

(١) هى لعلى بن فضالـة القيروانى، أو لعلى بن العباس المعـروف بابن الرومى. والدروع: جمع درع وهو قمـيص من زَرَد الحديد يلبس فـى الحرب، وقوله «خلتـهم» بمعنى ظننتـهم، وقوله «صفت» بمعنى خلت مما يكدر الصحبة.

(٢) أما الثالث فهو من القول بالموجب لا قريب منه.

(٣) أى من القول بالموجب غـير الضربين السابقـين، وهذا لأنه لم يُحمل فيه أمـر وقع فى كلام الغير على غير مراده، وإنما ذكر فيه أمر ظُن على وجه فإذا هو على خلافه.

(٤) قيل: إن الاطراد مـن المحسنات اللفظيـة، مرجعـه إلى حسن السـبك، والحق أنه يرجع إلى حسن السبك فى معنى مخصوص هو النسب، وبهذا يكون من المحسن المعنوى.

(٥) أما ذكر الأمهات والجدات فقبيح عند البلغاء.

(٦) هو لرُبيعة بن سـعد من بنى نضر بن قعين فى رثاء ابنه ذؤاب، أو لداود بن ربيـعة الأسدى. وقوله «ثللتَ» بمعنى هدمت، وهو كناية عن إذهاب عـزهم ومجدهم، وتتابع الإضافة مـغتفر فى البيت لسلامته من الثقل.

(٧) عبد الله: أخو دريد، ولداته: أترابه الذين وُلدوا معه جمع لدة.

(٨) المقتول به: عبد الله، والمقتول: هو ذؤاب، وتعرضه لشرفه بقوله «خير لداته».

مروان قال: «لولا القافيةُ لبلغ به آدمَ»[1].

ومنه قـول النبي ﷺ: «الكريم ابنُ الكريم ابنِ الـكريم ابنِ الكريم يُوسُفُ بنُ يعقوب بنِ إسحاق بن إبْرَاهيمَ».

* * *

(١) يعني أن البيت لابد أن ينتهي بقافيته، ولولا هذا لوصل بنسبه إلى هذا الجد؛ لسهولة سبكه لما أتى به منه، فيسهل عليه ذلك أيضًا.

تمرينات على المحسنات المعنوية

تمرين -١

بين نوع المحسن المعنوى ووجه حسنه فيما يأتى:

١- فلا كَمَدِى يَفنَى ولا فيك رِقّةُ ولا عنكِ إقصارٌ ولا فيكِ مَطْمَعُ

٢- تَشابَه دمْعانا غداةَ افتراقنا مُشابَهةً فى قصّةٍ دون قصّةِ

فَوجْنَتُها تكسو المدامع حُمْرةً ودمْعِىَ يكسو حُمْرَةَ اللون وَجْنتى

٣- فَتًى قسَّمَ الأيام بين سُيُوفِه وبين طَريفاتِ المكارم والتُّلْد

فَسَوَّدَ يومًا بالْعَجَاجِ وبالرّدَى وَبَيَّضَ يومًا بالفضائل والْمَجْد

٤- أباحتْ بنو مَرْوَانَ ظلمًا دماءَنا وفى الله إن لم يُنْصِفُوا حكَمٌ عَدْلُ

٥- إذا ما ركبنا قال وِلْدَانُ بَيْتنَا : تَعالَوْا إلى أن يأتىَ الصَّيدُ نحطبُ

٦- يقولون: لم يورَثْ، ولولا تُراثُهُ لقد شَرِكتْ فيه بكيلٌ وأرْحَبُ

٧- خُذهَا إذا أنشدت فى القوم من طَرب صُدُورُها عُرفتْ منها قَوافيها

٨- وَمن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحه يُهَدَّمْ وَمَن لا يَظلِم الناسَ يُظْلَمِ

٩- إنّ البخيل مَلُومٌ حيث كانَ وَلـ كنَّ الجوادَ على علاّته هَرِمُ

١٠- وإذا ما بَدَا فأخْجَلَ بَدْرًا لمعتْ كأسُه فأخجل شمْسَا

١١- إذا أمطرتْ منهم ومنك سحابةٌ فوابِلُهُمْ طَلٌّ وطلُّكَ وابلُ

١٢- لِجنِّيّةٍ أمْ غَادَةٍ رُفِعَ السَّجْفُ لوَحْشِيةٍ لاَ مَا لوَحْشِيَّةٍ شَنْفُ

١٣- وصاحِبٍ لَمَّا أتاه الْغِنَى تَاهَ وَنَفْسُ المرء طَمَّاحَهْ

وقيلَ: هل أبصرتَ منه يدًا تشكرُها، قلتُ: ولا رَاحَهْ

١٤- العَقْلُ أنت عَقَلْتَهُ وَسَرحْتَهُ وَأَحَرْتَ فيك دليلَه وَأَرَحْتَهُ

آتَيْتَهُ الحجرَ الأصَمَّ وَنَحَتَّهُ والنَّجْمُ يُعبَدُ فَوقَهُ أو تحتَهُ

١٥- وَلحَظُهُ وَمُحَيَّاهُ وَقَامتُهُ   بَدْرُ الدُّجَى وَقَضِيبُ الْبَانِ والرَّاحُ
١٦- حَيَاتِى وموتى فى يديه وَجَنَّتى   وَنَارى وَرِيِّى فى الهوى وأُوَامِى
١٧- رأى المُزْنُ ما تُعطى فَضمَّ على الأسَى   فؤادًا كأنَّ البَرْقَ فيه لَهيبُ
١٨- أتَوْنِى فعابوا مَن أحبُّ جهالةً   وذاك على سمعِ المحب خَفيفُ
١٩- فما فيه عيب غير أنَّ جفونَهُ   مِرَاضٌ وأنّ الخصر منه ضعيفُ
٢٠- إلى كمْ تَرُدُّ الرُّسلَ عَمَّا أتوْا بِهِ   كَأنَّهُمُ فيما وَهَبْتَ مَلاَمُ
٢١- إن أكن مُهْديًا لك الشعرَ إنِّى   لابْنُ بيتٍ تُهدَى له الأشعَارُ
٢٢- ولله سِرٌّ فى عُلاكَ وإنما   كلامُ الْعِدَا ضَرْبٌ من الْهذَيَانِ
٢٣- تَزعُمُ يا ظَبىُ مُسَاواتَهَا   ولستُ أبْدِى لك تَفنيدا
إنْ كان ما تزعمُ عَارِضْ لنا   مُقْلَتَهَا واحْكِ لنا الجيدَا
٢٤- أتُراها لكثْرَةِ العُشَّاقِ   تحسَبُ الدَّمْعَ خِلقةً فى المآقِ
٢٥- تُثَنِّى عِطفَهُ خَطَراتُ دَلٍّ   إذا لم تُثْنِه نَشَواتُ رَاحِ
يميل مع الْوُشَاةِ وأىُّ غُصْنٍ   رَطِيبٍ لا يَمِيلُ مع الرِّيَاحِ
٢٦- أقَيسَ بن مسعودِ بنِ قيس بن خالد   وأنت امرؤٌ يرجو شَبابَكَ وَائلُ
٢٧- ما أبصرتْ عيناك أحْسَنَ مَنْظَرٍ   فيما يُرَى من سائر الأشياءِ
كالشّامَةِ الخضراءِ فوق الوَجنةِ الـ   ـحَمْرَاء تحت الْمُقْلَة السَّوْداءِ

تمرين- ٢

من أى أقسام الطباق ما يأتى:

١- يَجزُونَ من ظلْمِ أهلِ الظلم مغفرةً   ومن إساءة أهلِ الشَّرِّ إحْسَانا
٢- ثِقَالٌ إذا لاقَوْا خِفَافٌ إذا دُعُوا   كثيرٌ إذا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا
٣- لهم جُلُّ مالى إنْ تَتابَعَ لى غِنًى   وإنْ قَلّ مالى لم أكلفْهُم رِفْدا
٤- وقد كان يُدعَى لابسُ الصبرِ حَازمًا   فأصبح يُدْعَى حازمًا حين يجْزَعُ

تمرين - ٣

تَنَزَّهَ طَرْفِى فى تعـابيـرك الْغُـرِّ ... وَجَالَ بها فكرى من السَّطْرِ للسَّطرِ
فـمـا خِلْتُـها إلا حَـدائِقَ بهـجـة ... مكلَّـلة الأرجـاءِ بالزهْـر والزهر
ولكنهـا - أستغـفر الله - نُسْـخةٌ ... مـزيَّنةُ الأرقـام بالدُّرِّ والتـبْـرِ
طَرِبْتُ بهـا لما فـهـمتُ نُقُوشَـهـا ... كما يطْرَبُ النّشْوان مِن لذةِ الْخَمْرِ

تمرين - ٤

بين المحسن المعنوى ووجه حسنه فى قوله الشاعر:

قـاسُـوكَ بالْغُـصْنِ فى التَّـثَنِّى ... قـيـاسَ جَـهْلٍ بلا انتـصـاف
فـذاك غُـصْنَ الخِـلافِ يُدْعَى ... وأنت غـصـنٌ بلا خِـلافِ

تمرين - ٥

من أى أقسام المبالغة ما يأتى:

١- كـأنِّى هلالُ الـشكِّ لولا تأوُّهى ... خَـفِيتُ فلم تُهْـدَ العيُـونُ لرؤيَتى
٢- مَنعتْ مَهـابَتُك القُلوبَ كَلامَـها ... بالأمـر تكرهـه وإنْ لم تَعْـلَم
٣- كـأنّ غـلامى إذ علاَ حـالَ مـتْنِه ... على ظهر طَيْـرٍ فى السمـاء مُحَلِّقِ

تمرين -٦

بين المحسن المعنوى فى قول الشاعر:

يا ذا الذى بصُـرُوفِ الدهر عَيَّـرنا ... هل عـاندَ الدَّهْـرُ إلا مَن له خَطَرُ
أما ترى البـحر تطفو فوقـه جِيَفٌ ... وتسْـتـقـرُّ بأقـصى قـعـرِه الدُّرَرُ
وفى السـمـاء نجومٌ لا عِـدَادَ لهـا ... وليس يُكْسَفُ إلا الشمسُ والقـمرُ

تمرين – ٧

من أى أقسام حسن التعليل ما يأتى:

١ – ما زُلْزِلَتْ مِصْرُ مِـن كيدٍ ألمَّ بها   لكنَّهـا رقـصتْ من عَـدْلِـكُمْ طرَبا

٢ – علَّمـتْنِى بهجـرها الصَّـبْرَ عنهـا   فَـهْىَ مـشكـورةٌ على التـقْبـيح

٣ – قـد طـيَّب الأفـواهَ طيـبُ ثَنائه   مِن أجْلِ ذَا تَجِـدُ الثغـور عِـذَابا

تمرين – ٨

١) من أى ضربَىْ القول بالموجب قول الشاعر:

شَكَى رَمَـداً فـقلتُ: عـساهُ كلَّتْ   لَواحِـظُهُ من الفَـتكـاتِ فـينَا

وقـالوا: سـيف مُـقْـلَتِـهِ تصَـدَّى   فـقلتُ: نعَمْ لِـقَـتْلِ العـاشـقـينَا

٢) هل أحسنَ أبو نواس أو أساء بذكر أم الأمين فى مدحه بقوله:

أصبـحتَ يا بنَ زُبَيْـدَةَ ابْنةِ جعْـفَرَ   أمَـلاً لِعَـقْـدِ حـبِـاله اسْـتِـحْكامُ

* * *

المحسنات اللفظية

أقسام المحسِّن اللفظى

الجناس التام وأقسامه:

وأما اللفظى فمنه الجِنَاسُ بين اللفظين؛ وهو تَشَابُهُهُمَا فى اللفظ(١).

وَالتَّامُّ منه أن يتفقا فى أنواع الحروف(٢)، وأعدادها، وهيئاتها(٣)، وترتيبها؛ فإن كانا من نوع واحد كاسمين سُمِّىَ مُمَاثِلاً، كقوله تعالى **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾**(٤) [الروم: ٥٥] وقول الشاعر:

حَدَقُ الآجَالِ آجَالُ ... وَالْهَوَى للمرء قَتَّالُ(٥)

الأول جمع إجْلٍ بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش، والثانى جمع أجَل والمراد به مُنْتَهَى الأعمار. وقول أبى تمام:

إذا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسْطَلَ الحرب صَدَّعُوا ... صُدُورَ العَوَالى فى صُدُورِ الْكَتَائِبِ(٦)

---

(١) أى مع الاختلاف فى المعنى، ويجب فى الجناس أن يكون سهلاً لا كلفة فيه وإلا كان قبيحًا، ومن الجناس القبيح لما فيه من التكلف قول عبد الله بن مالك القرطبى:

حَيَّيتُ إذ حييتُ حادىَ عيسِهمْ ... فكأن عيسى من حُداة العِيس

فحمله تكلف التجنيس على أن يجعل عيسى عليه السلام من حداة عيسهم.

(٢) كل حرف من حروف الهجاء نوع.

(٣) هيئاتها: حركاتها وسكناتها.

(٤) الساعة الأولى: القيامة، والثانية: الساعة الزمانية.

(٥) هو لأبى سعد عيسى بن خالد المخزومى. وبعده:

والهوى صعبٌ مراكبُهُ ... وركوبُ الصعب أهوالُ

والحدق: واحده حدقة وهى سواد العين، والمراد: أن حدق النساء الشبيهة بحدق الآجال فى سعتها وحسنها تقتل من ترميه بسهامها.

(٦) قوله «جابت» بمعنى خرقت، والقسطل: الغبار الساطع فى الحرب، وقوله «صدعوا» بمعنى أمالوا، والعوالى: جمع عالية وهى الرمح. والشاهد فى (صدور العوالى) وهى أعاليها و(صدور الكتائب) وهى نحورها.

وإن كانا من نوعين كاسمٍ وفعلٍ سمى **مُسْتَوفًى**، كقول أبى تمام أيضا:

مَـا مَـاتَ مِن كـرم الزمـان فـإنَّهُ ... يَحْـيَا لدى يَحـيَى بن عَبْـدِ اللهِ[1]

ونحوه قول الآخر:

وَسَمَّـيْتُـهُ يحيى لِيَـحْيَـا فلم يكُنْ ... إلى رَدِّ أَمْـرِ اللهِ فـيــه سَـبِـيلُ[2]

والتام أيضًـا إن كان أحدُ لفظيه مـركَّبا[3] سمى **جناس التركيب**، ثم إن كـان المركب منهما مركبًا من كلمة وبعض كلمة سمى **مَرْفُوّا**[4]؛ كقول الحريرى:

وَلاَ تَلْهُ عن تَـذْكـار ذنبـك وَابْكه ... بدمعٍ يُحـاكى الْوَبْلَ حَالَ مَـصَابه

وَمَـثِّلْ لعـينيك الحِـمَـامَ ووقـعَـه ... وروعـةَ مَلقـاه ومَـطعم صـابِه[5]

وإلا[6] فإن اتفقا فى الخط سُمِى **مُتَشَابِهًا**، كقول أبى الفتح البُستىِّ:

إذا مَـلِكٌ لـم يكـن ذا هِبَـــــهْ ... فَـدَعْـــهُ فـــدولتـــه ذَاهِبَـــهْ[7]

---

(١) هو من قصيـدة له فى مدح أبى الغريب يحيى بن عبـد الله، والمراد بكرم الزمان: كرم أهله، والشاهد فى قـوله «يحيـا لدى يحيى» والأول فعل والـثانى اسم، وبين قـوله «مات ويحـيا» طباق.

(٢) هو لمحـمد بن عـبد الله بن كُناسـة الأسدى فـى رثاء ابنه يحيى. والمراد بأمـر الله: الموت، والشاهد فى قوله «يحيى ليحيا» وهو كشاهد البيت السابق.

(٣) أى سواء أكان الآخر مركـبًا أم لا، وقد ذكر السعد أن المراد أن يكون أحدهمـا مركبًا والآخر مفردًا؛ لأنه إذا كان كل منهما مركبًا كان نوعًا آخر يسمى جناس التلفيق، كقول البُستىِّ.

إلى حَـتْـفِى سـعى قَـدَمى ... أرى قـدمـى أراقَ دَمِـى

والظاهر أن المراد هو الأول؛ لأنه سيذكر فى الأمثلة ما يكون فيه كل من المتجانسين مركبًا.

(٤) ذكر ابن حجة أن هذا النوع لا يخلو من تكلف فى التركيب.

(٥) هما لأبى مـحمد القاسم بن عـبد الله المعروف بالحريرى. والوبل: المطر الشـديد، والمصاب مصدر «صاب المطر صَوْبا ومصابا» أى انصبّ. والحـمام: الموت، والصاب: شجرٌ مرٌّ واحده صابة، وإضافته إلى ضـمير الحمام من إضافة المشبه به إلى المشبـه. والشاهد فى قوله «مصابه ومطعم صابه».

(٦) أى وإن لـم يكن المركب منهما مركبًا مـن كلمةٍ وبعض أخرى؛ بأن كان مركبًـا من كلمتين أو أكثر.

(٧) هو لعلى بن محمد المعروف بأبى الفتح البستى، وقوله «ذا هبه» فى الأول بمعنى صاحب هبة أى عطاء، وقوله «ذاهبه» بعده بمعنى فانية، وهو مفرد، والأول مركب مع اتفاقهما فى الخط.

وإن اختلفا سمى **مفروقا**، كقول أبى الفتح أيضًا:

كُلُّكمْ قَدْ أخذ الْجَا م وَلا جَامَ لَنا[1]
ما الذى ضَرَّ مُدير الجَامِ لَوْ جَامَلَنَا[2]

وقول الآخر:

لا تَعْرِضَنّ على الرُّوَاةِ قصيدةً ما لم تُبالغ قَبْلُ فى تَهْذِيبِها
فَمتىَ عَرضْتَ الشعر غير مُهَذَّبٍ عَدُّوهُ منك وَسَاوِساً تَهْذِى بها[3]

ووجه حسن هذا القسم - أعنى التام - حسنُ الإفادة مع أن الصورةَ صورةُ الإعادة[4].

الجناس المُحرَّف: وإن اختلفا فى هيئات الحروف[5] سُمِّى مُحرَّفا.

ثم الاختلاف قد يكون فى الحركة فقط، كالبُرد والبَرد فى قولهم: «جُبّةُ البُرْد جُنّةُ البَرْد» وعليه قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ**﴾ [الصافات: ٧٢-٧٣] قال السكاكى[6]: وكقولك «الجهول إمّا مُفْرطٌ أو مُفَرِّطٌ»، والمُشَدّدُ فى هذا الباب يقوم مقام المُخَفّفِ نظراً إلى الصورة،

---

(١) الجام: الكأس.

(٢) مدير الجام: الساقى، وقوله «جاملنا» بمعنى: عاملنا بالجميل، فأداره علينا أيضًا، والشاهد فى قوله «جام لنا، وجاملنا»؛ فقد تجانسا، وكل منهما مركب مع اختلافهما فى الخط، ومن يجعل جناس التركيب خاصاً بما يكون أحد المتجانسين فيه مركباً والآخر مفرداً يجعل قوله «جاملنا» مفرداً لاتصال الضمير فيه بالفعل، ولا يخفى أن هذا تكلف لا داعى إليه.

(٣) هما لأبى حفص عمر بن على المطوعى. والمراد بالرواة حفاظ الشعر ونُقّاده، والوساوس: جمع وسواس وهو ما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه، وقوله «تهذى» بمعنى تتكلم بما لا يعقل، والشاهد فى قوله «تهذيبها، تهذى بها».

(٤) ذكر عبد القاهر فى «أسرار البلاغة» هذه الفائدة للتجنيس مطلقا، وإن كانت لا تظهر الظهور التام إلا فى المستوى المتفق الصورة منه.

(٥) أى دون أنواعها وأعدادها وترتيبها.

(٦) ٢٢٧: المفتاح.

فاعلم[١].

وقد يكون في الحركة والسكون؛ كقولهم: «البدعة شَرَكُ الشِّرْك».

وقول أبي العلاء:

وَالْحسْنُ يظهر في بيتين رَوْنَقُهُ ... بَيْتٌ من الشِّعْر أو بيتٌ الشَّعَرِ[٢]

● **الجناس الناقص:**

وإن اختلفا في أعداد الحروف فقط[٣] سمي **ناقصًا**، ويكون ذلك على وجهين:

* أحدهما أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول، كقوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[القيامة: ٢٩-٣٠] أو في الوسط؛ كقولهم: «جَدِّي جَهْدِي»[٤] أو في الآخر كقول أبي تمام:

يَمُدُّون من أيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمَ ... تَصُولُ بأسيافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ[٥]

وقول البحتري:

---

(١) اختلاف الهيئة في «مفرط ومفرِّط» نوع آخر غير ما قبله وما بعده؛ لأن اختلاف الهيئة فيه باختلاف الحركة والسكون المقابل لها، واختلاف الهيئة فيما قبله باختلاف الحركة فقط، وفيما بعده باختلاف الحركة والسكون معاً.

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري، والرونق: الصفاء. والشاهد في تجانس الشِّعر بمعنى النظم والشَّعر المقابل للصوف والوبر، وظهور الحسن في الأول بجمال لفظه ومعناه، وفي الثاني بجمال الساكنين فيه.

(٣) أي دون أنواعها وهيئاتها وترتيبها.

(٤) الجد: الحظ، والجهد: المشقة، والمعنى أن حظه في الدنيا بمشقته فيها.

(٥) عواص: جمع عاصية اسم فاعل من «عصى» بمعنى لم يطع أو من «عصاه» إذا ضربه بالعصا، وعلى الأول يكون المعنى يمدون من أيد عواص على الأعداء، وعلى الثاني يكون المراد: ضاربات بالعصى أي السيوف على التجوز، والعواصم: جمع عاصمة أي حافظة لأوليائها، وقوله «تصول» بمعنى تسطو، والقواضي: القاتلات والقواضب: القواطع، والشاهد في قوله «عواص وعواصم وقواضي وقواضب».

لئن صَـــدَفَتْ عَنَّا فَـــرُبَّـتَ أنْفُسٍ   صَوَادٍ إلى تلك الوجوه الصَّوَادِفِ[1]

ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب إلى صاحبٍ له[2] يدعوه إلى مجلس أنس له:

أيُّهَـا الصـاحب الذى فَـارَقَتْ عَـيْـ   ـنِي ونفـــسي مـنه السَّنَا والـسَّنَاء[3]

نحــن فى المجلـس الذى يَهــبُ الرَّا   حَـة وَالْمَــسْـمَعَ الْغِنَـى والْغِنَاءَ[4]

نَتَـــعـــاطَى التـى تُنْسِى مـن اللَّذَّ   ةِ والرِّقَّـــة الهَـــوَى وَالـهَـــواءَ[5]

فــأته تُلْـفِ رَاحــةً ومُـــحَـيًّـــا   قـد أعَـدَّا لك الْحَـيَـا وَالْحَـيَـاءَ[6]

وربما يسمى هذا القسم؛ أعنى الثالث[7]، **مُطَرَّفًا**، ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من «عواصم» أنها هى التى مضت، وإنما أُتى بها للتـأكيـد حتى إذا تمكن آخِـرُها فى نفسك ووعاه سمعك انصـرف عنك ذلك التوهم؛ وفى هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها.

الوجه الثانى أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد؛ كقول الخنساء:

---

(١) قوله «صدفت» بمعنى انصرفت، والصوادى: جمع صادية اسم فاعل من الصدى وهو العطش الشديد، شبه به شـدة الشوق إليهن ثم استعيـر إليه استعارة تبعيـة، والشاهدُ فى قوله «صواد وصوادف».

(٢) الملك الكاتب هو المعتمد بن عباد، وصاحبه هو محمد بن الطيبب المصرى.

(٣) السنا: النور، والسناء: الرفعة، والأول راجع إلى العين والثانى إلى النفس على اللف والنشر المرتب، والشاهد فى قوله «السنا والسناء».

(٤) الراحة: باطن الكف، والمسمع: الأذن، والغنى: راجع إلى الراحة، والغناء: راجع إلى الأذن على اللف والنشر المرتب أيضاً، وفى قوله«الغنى والغناء» شاهد ثان.

(٥) المراد من التى تنسى الهوى والهواء: الخمر، وفى قوله «الهوى والهواء» شاهد ثالث، وكذلك لف ونشر مرتب.

(٦) قوله «تلـف» بمعنى تجد، والراحـة: باطن الكف، والمحيـا: الوجه، والحيـا: المطر والمراد به العطاء على سـبيل الاسـتعارة، وفى قـوله «الحيـا والحيـاء» شاهد رابع، وكذلك لـف ونشر مرتب.

(٧) هو ما يكون بزيادة حرف فى الآخر.

إنّ البـكاء هـو الشِّـــــفَـــــاءُ مِنَ الجَـــوَى بيـن الجـــوَانحِ[1]

وربما سُمِّيَ هذا الضربُ مُذَيَّلاً.

الجناس المضارع واللاحق:

وإن اختلفا فى أنواع الحروف اشْتُرِطَ ألاَّ يَقعَ الاختلاف بأكثر من حرف.

ثم الحرفان المختلفان إنْ كانا متقاربين[2] سمي الجناس مضـارعًا، ويكونان إما فى الأول؛ كقـول الحريرى: «بيني وبين كِنّي ليلٌ دامس، وطـريق طامس»، وإما فى الوسط؛ كقوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ**﴾ [الأنعام: ٢٦] وقول بعضـهم: «البرايا أهداف البلايا». وإمـا فى الآخر؛ كقـول النبى صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة».

وإن كانا غـير متـقاربين سـمى لاحقاً، ويكونا أيضـاً إما فى الأول؛ كـقوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾ [الهمـزة: ١] وقول بعضهم: «رُبَّ وَضِيٍّ غـير رَضِيّ». وقول الحريرى: «لا أُعطى زِمَامى لمن يخـفر ذِمَامى». وإمَّا فى الوسط، كقوله[3] تعالى: ﴿**ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾ [غافـر: ٧٥] وقوله: ﴿**وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾ [العاديات: ٧-٨]، وإما فى الآخر؛ كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ**﴾[4] [النساء: ٨٣]، وقول البحترى:

هلْ لِمـــا فـاتَ مـن تَلاقٍ تَلافِى أمْ لِشـاكٍ من الصَّـبَـابةِ شَـافِى[5]

---

(١) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء. والجوى: حرقة القلب، والجوانح: جمع جـانحـة وهى الضلوع التى تحـت التـرائب مما يلى الصـدر، والشـاهد فى قـولهـا «الجـوى والجوانح».

(٢) المراد بهما ما يشمل المتحدَيْن فى المخرج كالهمزة والهاء فى قوله تعالى: ﴿ينهون وينأون﴾.

(٣) والحق أن هذا من المضارع لا من اللاحق؛ لتقارب الفاء والميم؛ لأنهما شفويان.

(٤) والحق أن هذا أيضا من المضـارع؛ لأن الراء والنون من حروف الذلاقـة التى تخرج من طرف اللسان.

(٥) التلافى: مصدر« تلافى الأمر» بمعنى تداركه، والـصبابة: الشوق والولع الشديد، والشاهد =

جناس القلب:

وإن اختلفا فى ترتيب الحروف سمى جناس القلب، وهو ضربان: **قلب الكل**؛ كقولهم: «حُسامُه فتحٌ لأوليائه، حَتْفٌ لأعدائه»، **وقلب البعض**؛ كما جاء فى الخبر: «اللهُمَّ استر عوراتنا وآمِنْ رَوْعَاتِنا» وقول بعضهم: «رحم الله امرءاً أمسك ما بين فكَّيْه، وأطلق ما بين كفَّيْه». وعليه قول أبى الطيب:

مُمَنَّعَةٌ مُنَعَّمَةٌ رَدَاحُ ... يُكلِّفُ لَفْظُهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا[1]

الجناس المقلوب المجنَّح، والجناس المزدَوج: وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب فى أول البيت والآخر فى آخره سمى مقلوباً مُجَنَّحًا[2].

وإذا ولى أحد المتجانسين الآخرَ سُمى **مُزْدَوجاً ومُكَرّرًا ومُرَدداً**[3] كقوله تعالى ﴿ **وَجِئْتُكَ من سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ** ﴾ [النمل: ٢٢]، وما جاء فى الخبر: «المؤمنون هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ»، وقولهم: «من طَلَبَ وَجَدَّ وَجَدَ»، وقولهم: «من قرع باباً ولَجَّ وَلَجَ» وقولهم: «النبيذ بغير النَّغَم غَمٌّ، وبغير الدَّسَم سمٌّ». وقوله:

يَمُدون من أيدٍ عواصٍ عواصمَ ... تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ[4]

ما يلحق بالجناس:

واعلم أنه يُلحَقُ بالجناس شيئان:

أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاقُ[5] كقوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ**

= فى قوله «تلاق، تلافى».

(١) الممنعة: التى يمنعها أهلها ويحمونها، والرداح: الضخمة الألية أو الثقيلة الأوراك، والشاهد فى قوله «ممنعة منعمة».

(٢) كقول الشاعر:

لاحَ أنوار الهُدى من كَفِّهِ فى كل حالِ

ولا يخفى ما فى هذا من التكلف، ومثله كل جناس مقلوب مجنح.

(٣) هذا عام فى كل جناس وليس خاصاً بجناس القلب كالمقلوب المجنح.

(٤) سبق هذا البيت فى الجناس الناقص، والشاهد فى «عواص عواصم» وفى «قواض قواضب».

(٥) هو أخذ لفظ من آخر لمناسبةٍ بينهما فى المعنى، وإنما لم يكن من الجناس؛ لوجوب اختلاف المعنى فيه كما سبق فى تعريفه.

الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣] وقوله تعالى : ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] وقول النبى صلى الله عليه وسلم: «الظلْمُ ظُلُمـاتٌ يوم القيامة»، وقول الشافعى رضى الله عنه[1] وقد سُئل عن النبيذ : «أجمع أهل الحرمين على تحريمه». وقول أبى تمام:

فَيا دمعُ أنجِدنى على ساكنِى نجد[2]

وقول البحترى:

يَعْشَى عن المجد الغَبىُّ ولن ترى ... فى سُـؤددٍ أرَباً لـغـير أرِيبِ[3]

وقول محمد بن وُهَيْب:

قسَمْتَ صروفَ الدهر بأساً ونَائلاً ... فمـالُكَ مـوتور وسيفك وَاترُ[4]

والثانى أن يجمعهما المشابَهة؛ وهى ما يُشبِهُ الاشتقاق وليس به[5]؛ كقوله

---

(١) نسبه ابن المعتز فى «البديع» لعبد الله بن إدريس، وهو غير الشافعى الإمام أبى عبد الله محمد بن إدريس.

(٢) هو من قوله:

وأنجدْتُم من بعد إتهام داركُمْ ... فَيا دمعُ أنجِدنى على ساكنى نجد

وقوله «أنجدتم» بمعنى سكنتم نجدا، والإتهام: سكنى تهامة، والشاهد فى قوله «أنجِدنى ونجد». والحق أن هذا ليس من الاشتقاق بل من شبه الاشتقاق الآتى، وكذلك ما أشبهه من الأمثلة الآتية.

(٣) قوله «يعشى» بمعنى يعمى، وأصله أن يسوء البصر بالليل دون النهار أو بهما معاً، والأرب: الحاجة، والأريب: الماهر، والشاهد فى قوله «أربا وأريب».

(٤) هو من قصيدة له فى مدح الحسن بن سهل مطلعها:

ودائعُ أسرارٍ طوتها السرائرُ ... وباحتْ بمكنوناتهنّ النواظرُ

والبأس: الشجاعة، والنائل: العطاء، والموتور والواتر: مأخوذان من «وتَرهُ» إذا أصابه بظلم أو مكروه، وفى ذلك لف ونشر غير مرتب؛ لأن موتورا يرجع إلى «نائلا» وواتر يرجع إلى «بأساً». والشاهد فى قوله «موتور وواتر».

(٥) لاختلاف أصل اللفظين فيما يشبه الاشتقاق دون الاشتقاق؛ ولهذا يجعل بعضهم ما يشبه الاشتقاق من الجناس، ولا يجعله ملحقاً به.

تعالى : ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨]، ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤].

وقول البحتري:

وإذا مَـــا رِيَاحُ جُـــودِكَ هَـبَّتْ   صَـارَ قَوْلُ العَـذول فيـها هَبَـاء[١]

* **ردُّ العجُز على الصدر**: ومنه رَدُّ العَجُزِ على الصدر؛ وهو فى النثر أن يُجعَلَ أحد اللفظين المُكرَّرَيْنِ أو المَتَجَانِسَيْنِ أو المُلحَقَيْنِ بهما فى أول الفقرة، والآخرُ فى آخرها[٢]؛ كقوله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقولهم: «الحيلةُ تركُ الحيلة»[٣]، وكقـولهم: «سائلُ اللئيم يرجع ودمعـه سائل». وكقوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]، وكقـوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨]

وفى الشعر أن يـكون أحدهما[٤] فى آخـر البيت والآخـرُ فى صدر المصـراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني؛ فالأول كقوله:

سـريعٌ إلى ابن العمّ يلطم وجهَـهُ   وليس إلى داعى النَّدَى بسـريعِ[٥]

---

(١) هو من قصيدة له فى مدح محمد بن يوسف، وقبله:

خلق اللَّهُ يا مـــحـــمــــد أخـــلا   قَكَ مـــجــــداً فى طىء وســناء

وقوله «هبت» بمعنى ثارت وهاجت، والهـباء: الغبار أو دقـائق التراب ساطعة ومنثـورة على وجه الأرض، والشاهد فى قوله «هبت وهباء»، وإنما لم يكونا من الاشتـقاق لأن الهباء مأخوذ من «هَبَا يَهْبو»، لا من «هبَّ يَهُبُّ».

(٢) المكرران هما المتفقان لفظاً ومعنى بخلاف المتجانسين والملحقين بهما.

(٣) هذا المثال وما قبله من رد العجز على الصـدر فى المكررين، والمثال الثالث من رد العجز على الصدر فى المتـجانسين، والرابـع من رد العجز على الصـدر فى الاشتقـاق، والخامس من رد العجز على الصدر فيما يشبه الاشتقاق.

(٤) أى أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما، وهى أقسام ثلاثة فى الأربعة بعدها فيكون المجموع اثنى عشر قسما.

(٥) سبـق هذا البيت فى الكلام على حـذف المسند إليه مـن الجزء الأول، وهذا الشـاهد فيـما =

ونحوه قول الآخر:

سُكْرَان سكْرُ هَوًى وسُكْرُ مُدَامَةٍ ... أنَّى يُفيقُ فتًى به سُكْرَانِ[1]

والثانى كقول الحماسى:

تَمتَّع من شميم عَرَارِ نجدٍ ... فما بعد العَشِيَّةِ من عَرارِ[2]

ونحوه قول أبى تمام:

ولم يَحفظْ مَضَاعَ المجدِ شىءٌ ... من الأشياءَ كالمال المُضاعِ[3]

والثالث كقوله أيضا:

ومَنْ كان بالبِيض الكواعب مُغْرَمًا ... فما زِلتُ بالبيض القواضب مُغْرَما[4]

والرابع كقول الحماسى:

وإن لم يكن إلا مُعَرَّجَ ساعةٍ ... قَليلاً فإنِّى نافعٌ لى قَلِيلُها[5]

= يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الأول.

(١) هو للخليع الدمشقى، وقد ذكر الثعالبى فى «يتيمة الدهر» أن كنيته أبو عبد الله وأن اسمه ذهب عنه، وقوله «سكران» مبتدأ خبره محذوف تقديره «بى سكران» والهوى: الحب، والمدامة: الخمر، و«أنى» اسم استفهام بمعنى كيف.

(٢) هو للصمة بن عبد الله القُشَيْرىّ، أو لجعدة بن معاوية بن حزم العُقَيلى، وشميم: مصدر شمّ، والعرار: بهار ناعم أصفر طيب الرائحة، أو النرجس البرى، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى حشو المصراع الأول.

(٣) مضاع المجد: إضاعته مصدر ميمى منصوب بتقدير من الخافضة، أى لم يحفظ من إضاعة المجد، والمال المضاع: الذاهب فى السخاء.

(٤) هو لأبى تمام؛ كما يفيده قول الخطيب (أيضاً). والكواعب: جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود، والبيض القواضب: هى السيوف القواطع، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما بعد الفاء وتقديره «فلا شأن لى به». وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى آخر المصراع الأول، والبيت من قصيدة له مطلعها:

عَسَى وطنٌ يدنو بهم ولعلما ... وأن تُعتبَ الأيام فيهم فربما

(٥) هو لغيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة. واسم «يكن» يعود على الإلمام المفهوم من قوله قبله: =

والخامس كقول القاضي الأرَّجَانيّ:

دَعَـانِي مِن مـلامِـكمـا سَـفَـاهًا   فَـدَاعِي الشوق قـبلكما دَعَـانِي(١)

وقول الآخر:

سَلْ سَبِـيلاً فـيها إلى رَاحـةِ النَّفـ   ـسِ بِراحٍ كـأنها سَـلْسَبِـيلُ(٢)

وقول الآخر:

ذَوَائبُ سُـودٌ كـالعناقـيـد أرسِلَتْ   فمِنْ أجلها منها النفوسُ ذَوائبُ(٣)

والسادس كقول الآخر:

وإذا البَـلابلُ أفـصـحت بِلغـاتِهـا   فـانْفِ البلابلَ باحْـتِسَـاءِ بَلابِلِ(٤)

= ألِمـا عـلى الدار التى لو وجَـدْتُهـا   بهـا أهلهَا مـا كـان وَحْشـاً مَـقيلهـا

ومعرج: مـصدر ميمى بمـعنى الوقوف واللبث، وقوله «قليلا» صـفة له، وهذا الشاهد فـيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الثانى.

(١) هو لأحمد بن محمـد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجانى من قصيـدة له مطلعها قبل هذا البيت:

إذا لم تـقـدرا أن تسـعـدانى   على شَـجَنى فـسـيرا واتركـانى

وقوله «دعانى» فى صدر البيت بمعنى اتركانـى، وفى آخره بمعنى نادانى. والسفاه: الخفة وقلة العقل. وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول.

(٢) لا يعرف قائله. والضميـر فى قوله «فيها» لروضة يصفها، والـراح: الخمر، والسلسبيل: الماء العذب، والشاهد فى قوله «سل سبيلا وسلسبيل».

(٣) هو لأبى الحـسن نصر المرغـينانى. والشاهد فى ذوائب الأولى جـمع ذؤابة وهى أعلى شـعر الرأس، وذوائب الثانية جمع ذائبة بمعنى سائلة.

(٤) هو لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعـروف بأبى منصور الثّعَالبى. وقد وردت البلابل فيه جمع بُلْبل؛ وهو طائر يضرب به المثل فى طلاقة اللسـان، ثم جمع بلْبال وهو الهم، ثم جمع بلبل وهو قناة الإبريق التى يصب منها الخمر ونحوه. وقوله «أفصحت بلغاتها» بمعنى أخلصت نغماتهـا، والاحتساء: الشرب. وهذا الشاهد فـيما يكون المتجانس الآخر فى حـشو المصراع الأول.

والسابع كقول الحريرى:

فَمشْغُوفٌ بآيات المثانِى ... ومَفْتُونٌ برنَّاتِ المَثانِى[1]

والثامن كقول القاضى الأرجانى:

أمَّلْتُهمْ ثمَّ تأمَّلْتُهُمْ ... فَلاحَ لى أنْ ليس فيهم فَلاحُ[2]

والتاسع كقول البحترى:

ضَرَائبُ أبدَعتَها فى السَّمَاحِ ... فَلَسْنا نرى لك فيها ضَرِيبا[3]

والعاشر كقول امرئ القيس:

إذا المرءُ لم يَخْزُنْ عليه لِسانهُ ... فليس على شىءٍ سواهُ بِخَزَّانِ[4]

---

(١) هو للقاسم بن على المعروف بالحريرى، وقبله:

بها ما شئتَ من دِين ودنيا ... وجيرانٍ تنافَوْا فى المعانى

والضمير فى قوله «بها» للبصرة، وقوله «تنافوا» بمعنى اختلفوا، والمشغوف: المولع، والمراد بالمثانى فى الأول: القرآن، وفى آخر البيت: أوتار المزامير، ورناتها: نغماتها، وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى آخر المصراع الأول.

(٢) قوله «أملتهم» بمعنى رجوت خيرهم، وقوله «تأملتهم» بمعنى فكرت فى أحوالهم. وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الثانى، وقد سبق بيان اسم القاضى الأرجانى فى شاهد القسم الخامس، والبيت من قصيدة له فى مدح شمس الملك بن نظام الملك، وقبله:

يفديك قومٌ حاولوا ضلةً ... تناوُلَ المجد بأيدٍ شحاح

معاشرٌ أموالهم فى حمًى ... وعرضهم من لؤمهم مستباح

(٣) الحق أن هذا البيت للسرى بن أحمد المعروف بالسرِى الرّفاء فى مدح أبى الفوارس سلامة بن فهد، وقد أخذه من قول البحترى فى مدح الفتح بن خاقان:

بلَوْنا ضَرائبَ مَن قد نَرَى ... فما إنْ رأينا لفَتْح ضريبا

والضرائب: جمع ضريبة؛ وهى الطبيعة التى ضربت للرجل وطبع عليها، والضريب: المثيل، وهو فى الأصل المثيل من القداح المضروبة فى الميسر؛ فهو متفق فى الاشتقاق مع ضرائب، وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى صدر المصراع الأول.

(٤) قوله «لم يخزن» بمعنى لم يحفظ، والمراد من اللسان: السر؛ على المجاز المرسل، والمعنى: أنه إذا لم يحفظ سر نفسه لم يحفظ سر غيره من باب أولى. وهذا الشاهد فيما يكون فيه=

وقول أبى العلاء المعرِّى:

لو اخْتَـصَرْتُمْ من الإحـسان زُرتُكمُ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ للإفْرَاطِ فى الْخَصَرِ[(١)]

والحادى عشر كقول الآخر:

فَدَعِ الـوعيـدَ فَمَا وعـيدُكَ ضَـائِرِى أطَنِينُ أجـنحـة الذُّبابِ يَضِـيـرُ[(٢)]

والثانى عشر كقول أبى تمام:

وقد كانت البيضُ القوَاضِبُ فى الوَغَى بَوَاتِرَ فـهى الآن مـن بعـده بُتْـرُ[(٣)]

*** السجع وأقسامه:**

ومنه السجع، وهو تواطؤ الفـاصلتين[(٤)] من النثر على حـرف واحد، وهذا معنى قـول السكاكى[(٥)] : «الأسجـاع فى النثـر كالقـوافى فى الشعـر» وهو ثلاثة

= الملحق الآخر بالمتجانسين فى حشو المصراع الأول، وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر.

(١) هو لأحمـد بن عبـد الله المعروف بـأبى العلاء المعـرى من قصيـدة له فى مدح أبـى الرضاء المصيصى، وقوله «اخـتصرتم» بمعنى أقللتم، والعذب: الطيب المستـساغ من الشراب ونحوه، والمراد به الماء العذب، والخصر: البرودة، والظاهر أنـه يمدحهم بذلك، ويجوز أن يراد ذمهم بالتبـذير؛ ولهذا يشبـه أن يكون من التوجيـه، وفيه أيضـاً حسن التعليل، والشـاهد فى قوله «اختصـرتم والخصر» وهو ما يشبه الاشـتقاق؛ لأن الأول مأخوذ من الاختـصار، والثانى من «خصر» بمعنى برد.

(٢) هو لعبـد الله بن محمـد بن عُيـينة المهلبى فى على بن محـمد العلوى، وكان قـد دعاه إلى نصرته فلم يجبه فتوعده ، وقبل البيت:

أعلـيَّ إنك جـــاهـلٌ مــــغــــرور لا ظـلمــــــةٌ لـك لا ولا لكَ نـورُ

والوعيـد: التهديد بالشر، والضـائر: اسم فاعل من الضيـر وهو الضرر، وهذا الشاهد فيـما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين فى آخر المصراع الأول. وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر.

(٣) هو من قصيدته فى رثاء محـمد بن حميد، وضمير «بعده» لـه، والبيضُ القواضب: السيوف القواطع، والوغى: الحـرب، والبواتر: القواطع، والبـتر: جمع أبتـر وهو المقطوع أو مقطوع الذنب، والمراد أنها مقطوعة الفائدة على الاستعارة؛ يعنى أنها كانت قواطع فى عهده؛ لحسن استعماله لها؛ فلما مات لم تجد مَنْ يُحسن استعمالها؛ فصارت مقطوعة الفائدة. وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى صدر المصراع الثانى، وهو من الاشتقاق أيضاً.

(٤) هما الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين، والمراد تواطؤهما على حرف واحد فى آخرهما.

(٥) ٢٢٨- المفتاح، وما ذكره تعريف بالمثال.

أضرب: مُطَرَّفٌ، وَمُتَوَازٍ، وترصيع.

* **السجع المطرَّف**: لأن الفاصلتين إن اختلفتا فى الوزن[1] فهو السجع المطرَّف[2] كقوله تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾ [نوح: ١٣-١٤].

* **الترصيع**: وإلاَّ فإنْ كان ما فى إحدى القرينتين[3] من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثلَ ما يقابله من الأخرى فى الوزن والتقفية فهو الترصيع؛ كقول الحريرى: «فهو يطبع الأسجاعَ بجواهر لفظه، ويقرع الأسماعَ بزواجر وعظه» وكقول أبى الفضل الهَمَذَانىِّ: «إنَّ بعد الكدَر صفواً، وبعد المطر صحواً». وقول أبى الفتح البُسْتىِّ: «ليكن إقدامُك توكلاً، وإحجامك تأمُّلا».

* **السجع المتوازى**: وإلا فهو السجع المتوازى؛ كقوله تعالى: ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ**﴾ [الغاشية: ١٣-١٤] وفى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إنى أدرأ بك فى نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم».

* **شروط حسن السجع**: وشرط حسن السجع اختلاف قرينتيه فى المعنى كما مر[4]، لا كقول ابن عَبَّادٍ فى مهزومين: «طاروا واَقينَ بظهورهم صدورهم،

---

(١) أى العَروضى لا الصرفى.

(٢) سمى بهذا لبلوغه طرف الحسن ونهايته بالنسبة إلى غيره.

(٣) هما الفقرتان سميتا بذلك لتقارنهما.

(٤) أى من الأمثلة، وقيل: إن هذا ليس بشرط؛ لأن السجعة الثانية تؤكد الأولى، والتأكيد عمدة البيان والكتابة، وقد وقع هذا فى القرآن، كقوله تعالى: الناس ١، ٢، ٣: ﴿قل أعوذ برب الناس، ملك الناس إله الناس﴾ لكن التأكيد له مقام يقتضيه، فلا يصح أن يكون تكرار المعنى لأجل السجع فقط، ويشترط فيه أيضاً أن تكون ألفاظه فى تركبها تابعة لمعناها لا عكسه، وأن يقع فيما يليق به من خطابةٍ ونحوها، لا كما قال الصاحب بن عباد للقاضى: «قم أيها القاضى بقم، قد عزلناك فقم». فقال القاضى: «والله ما عزلنى إلا هذه السجعة». وقد ورد أن النبى ﷺ قضى فى جنين امرأة ضربتها أخرى - فسقط ميتاً - بغرة، فقال رجل: «كيف نَدِى من لا شرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، ومثله دَمه يطلّ!؟». فقال ﷺ: «إياكم وسجع الكهان» وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع؛ فيتكلفونها فى موضع لا يليق بها.

وبأصلابهم نحورهم».

قيل: وأحسنُ السجع ما تساوت قرائنه[1] كقولــه تعالــى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨, ٢٩, ٣٠]. ثم ما طالت[2] قرينته الثـانية، كقوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢]، أو الثالثـة، كقوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[3] [الحـاقة: ٣٠-٣١] وقـول أبى الفـضل الميكالـى: له الأمـر المطـاع، والشـرف اليَفَاع، والعِـرْضُ المصون، والمـال المضاع. وقد اجتـمعا[4] فى قوله تعـالـى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١, ٢, ٣]. ولا يحـسن أن تُولَـى قَرِينَـةٌ قَرِينَةً أقصرَ منها كثيراً[5] لأن السمع إذا استوفى أمَـدَهُ مـن الأولـى لطولـهـا ثم جاءت الثانية أقصـر منها كثيراً يكون كالشىء المبتـور، ويبقى السامـع كمن يريد الانتهـاء إلى غايــة فيعثـر دونهـا، والذوق يشهد بذلك ويقضـى بصحته.

*** السجع القصير، والطويل، والمتوسط:**

ثم السجع إما قصير، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١-٢].

---

(١) أى فى عـدد الكلمات، وإن كـانت إحـدى الكلمـات أكثـر حـروفـا من كلمـة القـرينـة الأخرى.

(٢) لكن يجب أن يكون الطول غير فاحش بأن تكون الزيادة ثلثـاً فأقل، فإن كانت أكثر من ذلك كانت قـبيحـة، إلا إذا كانت بعد فـقرتين فـأكثر؛ لأن الأولـيـن يكونان حينئذ بمنـزلة فقـرة واحدة.

(٣) والفقرة الأولى فى الآية ﴿خذوه﴾ والثانية ﴿فـغلوه﴾ والثالثة ﴿ثم الجحيم صلوه﴾، ولا تؤثر الفاء فى مساواة الثانية للأولى فى كون كل منهما كلمة واحدة.

(٤) أى ما طالت قرينته الثانية وما طالت قرينته الثالثة.

(٥) بخلاف القصـر القليل كقوله تعالـى سورة الفيل ١، ٢: ﴿ألم تر كيف فعـل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم فى تضليل﴾.

أو طويل[1]: كقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٣، ٤٤].

أو متوسط: كقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ١، ٢].

ومن لطيف السجع قول البديع الهَمَذَانِيِّ من كتاب له إلى ابن فريغون[2]: «كتابي والبحر وإن لم أره، فقد سمعتُ خبره، والليث وإن لم أَلْقَه، فقد تصورت خَلْقهَ، والملك العادل وإن لم أكن لقيته، فقد لقيني صِيتُه، ومَن رأى مِن السيف أثره، فقد رأى أكْثره»[3].

* **سكون أعجاز الفواصل**[4]: واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، موقوفاً عليها؛ لأن الغرض أن يزاوَج بينها، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف، ألا ترى أنك لو وصلتَ قولهم «ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت» لم يكن بُدٌّ من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكمُ الإعراب، فيفوت الغرض من السجع، وإذا رأيتهم يُخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج في قولهم: «إني لآتيه بالغدايا والعشايا» أي بالغُدُوَات[5]، فما ظنك بهم في ذلك؟

---

(١) ذهب الباقلاني في «إعجاز القرآن» إلى أن السجع الطويل غير مرضي ولا محمود، وهذا خطأ؛ لوقوعه في القرآن، ولعله ممن لا يسمي ما في القرآن سجعاً، وسيأتي الخلاف في ذلك.

(٢) في رسائل بديع الزمان: «وله إلى الأمير ابن الحارث محمد مولى أمير المؤمنين».

(٣) لطف هذا السجع من جهة قصره واتفاق أسلوب فقراته في الشرطية.

(٤) هذا السكون واجب عند اختلاف الحركات الإعرابية، مستحسن عند اتفاقها.

(٥) لأن غدوة تجمع على غدوات لا على غدايا، فلا يقال «غدايا» إلا مع «عشايا» وهذا على أن غدايا جمع غدوة لا غديَّة، وإلا كان جمعاً صحيحاً وإن لم يكن معه «عشايا»، والأقرب حمل قولهم على هذا؛ لأنه لا يصح تكلف حلية لفظية إلى هذا الحد.

الخلاف فى إطلاق السجع فى القرآن والشعر:

وقيل: إنه لا يقال: «فى القرآن أسجاع» وإنما يقال «فواصل»[1]. وقيل: السجع غير مختص بالنثر، ومثاله من الشعر[2] قول أبى تمام:

تجلَّى بـه رُشْـدِى، وأَثْرَتْ بـه يَدِى   وفاضَ بِهِ ثِمْدِى، وأوْرَى به زِندِى[3]

وكذا قول الخنساء:

حامى الحقيقة، محمودُ الخليقة، مَهْـ   ـدىُّ الطريقة، نَفَّاعٌ وَضَرَّارُ[4]

وكذا قول الآخر:

ومكَارمٍ أوْلَيْتَها مُتَبَرِّعاً   وجرائمٍ ألغيْتَها مُتَوَرِّعا[5]

وهو[6] ظاهر التكلف[7]. وهذا القائل لا يشترط التقفيةَ فى العَروض

---

(١) الحق أن منع إطلاق ذلك عليه رعاية للأدب فقط؛ لأن السجع فى الأصل هديل الحمام ونحوه، وقيل: إنه لا شىء فى أن يقال فى القرآن أسجاع.

(٢) أكثره فى الشعر على ضربين: أن يجعل كل شطر فقرتين، لكل فقرة سجعة، وأن يجعل كل شطر فقرة كما فى البيت الثالث. ونحوُه مزدوجة أبى العتاهية:

حسبك مما تبتغيه القوتُ   ما أكثر القوتَ لمن يموتُ

الفقرُ فيما جاوز الكفافا   مَن اتَّقى اللهَ رجا وخافا

وقد يأتى على غير هذين الضربين كما فى بيت الخنساء.

(٣) هو من قصيدة له فى مدح نصر بن منصور، وقوله «تجلى» بمعنى ظهر، وقوله «أثرت» بمعنى اغتنت، والثمد: فى الأصل الماء القليل والمراد به المال القليل على سبيل الاستعارة، وقوله «أورى» بمعنى صار ذا ورى أى نار، والزند: العود الأعلى الذى يقتدح به النار، وهذا كناية عن الظفر بالمطلوب، والشاهد فى اتفاق فواصله فى الدال.

(٤) هو لتماضر بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء فى أخيها صخر، والحقيقة: ما يجب على الإنسان أن يحميه من عِرض ونحوه، والخليقة: السجية، والشاهد فى اتفاق فواصله فى القاف.

(٥) لا يعرف قائله. وقوله «أوليتها» بمعنى أعطيتها، والمتبرع: المعطى من غير طلب، وقوله «ألغيتها» بمعنى أبطلتها، والمتورع: الممتنع عن الانتقام، وفى رواية: «فمكارم».

(٦) أى السجع فى الشعر.

(٧) لأن الشعر فيه ضيق الوزن؛ فلا يليق أن يضاف إليه ضيقٌ آخر بالتزام السجع.

والضرب[١] كقوله:

وَزنـدُ نَدَى فَـــواضِلِـه وَرِىٌّ   وَرَنْدُ رُبَى فَـضَـائِـلِه نَضِيـرُ[٢]

* **التشطير**: ومن السجع على هذا القول[٣] ما يُسَمَّى التشطير، وهو أن يُجعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها[٤] كقول أبى تمام:

تَدْبيـرُ مــعـتـصمٍ، بالله مَـنْتَـقِمٌ   لله مَـرْتَغِب، فـى الله مُـرْتَقِبُ[٥]

* **التصريع**: ومنه ما يسمى التصريع، وهو جعل العَروض مُـقَفّاةً تقفية الضرب، كقول أبى فِراسٍ:

بأطراف الْمُـثَـقـفَـةِ العَـوَالِى   تَفَـرَّدْنَا بأوسـاط الْمَـعَـالِى[٦]

---

(١) العروض: الجزء الأخير من الشطر الأول في البيت، والضرب: الجزء الأخير من الشطر الثانى فى البيت.

(٢) هو لناصر بن عبد السيد المعروف بأبى الفتح المطرزى، والزند: العود الأعلى الذى يقتدح به النار، وإثباته للندى تخييل، والفواضل: العطايا، والورى: زند النار فمن يقدحه يظفر بمراده، والرند: نبات طيب الرائحة، والربى: جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض، والكلام مبنى على الاستعارة، والشاهد فى أن التقفية فى حشو البيت بين - فواضله وفضائله - لا فى العروض والضرب، ورواية «بغية الوعاة» للسيوطى:

وزند ندى فـواضـلـه ورى   ورند رُبَى خـواضـله نضـيـر
ودرٌّ خـلالـه أبـدًا ثـمـين   ودر نـوالـه أبـدا غـزيـر

والظاهر أن «خواضله» تحريف عن فضائله.

(٣) أى القول بأن السجع يأتى فى الشعر.

(٤) أى مسجوعاً سجعة مخالفة لأختها؛ بأن يكون كل شطر فقرتين تخالف الأوليَان منهما الأخْرَيَيْن فى التقفية.

(٥) هو من قصيدة له فى مدح المعتصم بن هارون الرشيد، وقوله «بالله» متعلق بمعتصم، وقوله «لله» متعلق بمنتقم، وقوله «فى الله» متعلق بمرتغب أى راغب فى ثوابه، والمرتقب: الخائف من عقابه، والشاهد فى تركب الشطر الأول من فقرتين متفقتين فى الميم، والشطر الثانى من فقرتين متفقتين فى الباء.

(٦) هو لأبى الحارث بن أبى العلاء المعروف بأبى فراس الحمدانى. والمثقفة: المقومة، والعوالى: الرماح بدل أو عطف بيان، والأوساط: جمع وسط الشىء وهو أفضل شىء فيه. والشاهد فى تقفية العروض والضرب فى اللام.

وهو مما استُحْسِنَ حتى إن أكثر الشعر صُرِّعَ البيت الأول منه[1]؛ ولذلك متى خالفت الْعَروضُ الضَّرْبَ فى الوزن جاز أن تُجعل مُوَازِنَةً له إذا كان البيت مُصَرَّعاً كقول امرىء القيس:

ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ الْبالِي   وَهَلْ يَنعَمَنْ مَنْ كان فى العُصرِ الْخَالِي[2]

أتى بعروض الطويل «مَفَاعِيلُنْ»، وذلك لا يصح إذا لم يكن البيت مصرعاً[3]، ولهذا خُطِّىء أبو الطيب فى قوله:

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ ومَنْطِقُهُ حُكْمٌ   وبَاطِنُهُ دِينٌ وظاهره ظَرْفُ[4]

*** الموازنة، والمماثلة:**

ومنه الموازنة، وهى أن تكون الفاصلتان[5] متساويتين فى الوزن دون التقفية، كقوله تعالى: ﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ⑮ وزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ⑯**﴾[6] [الغاشية: ١٥، ١٦].

فإن كان ما فى إحدى القرينتين من الألفاظ، أو أكثر ما فيها، مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن خُص باسم الْمُمَاثَلَة، كقوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ⑪⑦ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑪⑧**﴾ [الصافات: ١١٧، ١١٨].

وقول أبى تمام:

---

(١) كذلك يستحسن فى الانتقال فى القصائد من غرض إلى غرض؛ كالانتقال من النسيب إلى المدح.

(٢) قوله «عم» أمر من «وَعَمَ الديار» بمعنى حياها. وفى رواية: «ألا انْعَم»، والطلل: ما شخص من آثار الديار، والعُصُر: الدهر ضُمت صاده للوزن، والخالى: الماضى.

(٣) لأنه يجب قبضها بحذف الخامس الساكن، فتصير «مَفَاعلن».

(٤) هو من قصيدة له فى مدح أحمد بن الحسين القاضى. والحكم: بمعنى الحكمة، والظرف مصدر «ظَرُفَ» فهو ظريف أى كيس حسن الهيئة. والشاهد فى عدم قبضه عروض الطويل من غير تصريع، وقد اعتذر له من وجهين: أن هذا جاء عن العرب، وأنه الأصل.

(٥) يعنى بهما الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو المصراعين؛ لأنها تأتى فى النثر والشعر.

(٦) الفاصلتان فى الآيتين «مصفوفة ومبثوثة» والتقفية فى الأولى على الفاء وفى الثانية على الثاء، ولا ينظر إلى تاء التأنيث فيهما لأنها لا تعد من حروف القافية لإبدالها هاءً فى الوقف.

مـهَـا الـوحشِ إلا أنَّ هاتا أوانِسٌ قَنَـا الْخَـطِّ إلا أنّ تلـك ذوابلُ(١)

وقول البحترى:

فَأحْـجَمَ لَمَّا لم يجد فيكَ مَطْمـعاً وأقدَمَ لَمَّا لم يجـد عنك مَهْرَبَا(٢)

* **القلب**: ومنه القلب(٣)، كقـولك «أرض خضراء»، وقول عـماد الدين الكاتب للقاضى الـفاضل: «سِرْ فـلا كَبا بِكَ الفـرسُ». وجواب القـاضى: «دام عُلا العماد». وقول القاضى الأرّجَانىِّ:

مَـــــــوَدَّتُهُ تـدومُ لـكلِّ هَـوْلٍ وهَـلْ كُلٌّ مَـــــــوَدَّتُهُ تَـدُومُ(٤)

---

(١) سبق هذا البيت فى الكلام على الطباق من هذا الجزء، والشاهد فى تساوى الفاصلتين «أوانس وذوابل» في الوزن دون التقفية.

(٢) هو من قصيـدة له فى وصف مبارزة الفتح بن خـاقان للأسد. والضميـر فى قوله: «أحجم» للأسد الذى بارزه، والمطمع: محل الطمع، والمهرب: مـحل الهرب، يعنى أن الأسد أحجم عنه لأنه لم يجد فيه مطمعاً لقوته، فلمـا عرف أنه لا ينجو منه أقدم دهشاً إليه، والشاهد فى تساوى الفاصلتين «مطمعاً ومهرباً» فى الوزن دون التقفية.

(٣) هو أن يكون الكلام بحـيث لو عُكس كـان الحاصل من عكسـه هو ذلك الكلام بعـينه. ولا يخفى ما فيه من التكلف. وما جاء منه فى القرآن فهو غـير مقصود فيه، فلا يَرِد عليه ما يرد على من يتكلفه.

(٤) هو لأحمد بن مـحمد بن الحسين المعـروف بالقاضى الأرجانى. والهول: المخـافة من الأمر، والاسـتـفهـام فى قـوله «وهل كل...» للإنكار، والمـراد وصف صاحـبـه بالوفـاء من بين الأصحاب. وقبل البيت:

أُحبُّ المـرءَ ظاهـرهُ جـــمــــيل لصــــاحــبـــه، وباطـنُه سليم

هذا وما ذكره الخطيب كله فى قلب الحروف.

وقد يكون القلب فى الكلمات كقول الشاعر:

عَـدلوا فـــمـــا ظُلمتْ لهم دوَلٌ سَـعِـدُوا فـــمـــا زالت لهـم نعمُ
بذلوا فـــمـــا شـــحتْ لـهم شـيمٌ رُفـعـوا فـــمـــا زَلّت لهم قـدمُ

وهو مدح، فإذا قلبت كلماته كان ذماً، وهذا قلبه:

نعمٌ لـهم زالت فـــمـــا سـعـدُوا دول لهم ظلمتْ فـــمـــا عَـدلوا
قَـدمٌ لهم زلـت فـــمـــا رُفـعـوا شيمٌ لهـم شحتْ فمـــا بذلـــوا =

وفى التنزيل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وفيه: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدثر: ٣].

* **التشريع**: ومنه التشريع، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما(١) كقول الحريرى:

يا خاطبَ الدنيا الدَّنِيَّةِ إنَّها ... شَرَكُ الرَّدى وقرارةُ الأكْدَارِ(٢)

الأبيات. . .

= وقد يكون القلب فى المفرد، نحو «سلس وباب»، ولا يضر فى القلب مد المقصور ولا قصر الممدود، نحو «أرض خضراء»، ولا يضر فيه أيضاً تخفيف المشدد أو تشديد المخفف، نحو ﴿كلٌّ فى فلك﴾، وكذلك جعل الألف همزة أو الهمزة ألفاً أو تبديل بعض الحركات والسكنات.

(١) لا يخفى ما فى التشريع من التكلف، وإنما يقبل منه القليل الذى لا تكلف فيه، وقد يبنى البيت فيه على أكثر من قافيتين؛ كقول الحريرى من أول الكامل:

جُودى على المستهترِ الصَّبِّ الجوىّ ... وتَعطَّفى بوصاله وتَرحمى
ذا المبتلَى المتفكرِ القلبِ الشجى ... ثم اكشفِى عن حاله لا تَظلمى

فإنه يمكن أن يقال فيه من منهوك الرجز:

جودى على المستهتر ... ذا المبتلَى المتفكر

ويمكن أن يقال فيه من مشطور الرجز الأحذّ:

جودى على المستهتر الصب ... ذا المبتلى المتفكر القلب

ويمكن أن يقال فيه من مجزوء الرجز:

جُودى على المستهترِ الصَّـ ... ـبِ الجوى وتعطَّفى
ذا المبتلَى المتفكِّرِ الـ ... ـقلبِ الشجِى ثم اكشفى

ويمكن أن يقال فيه:

جُودى على المستهترِ الصَّبِّ الجوىّ ... وتَعطَّفى بوصاله
ذا المبتلَى المتفكِّرِ القلبِ الشجِى ... ثم اكشفِى عن حاله

(٢) هو من قصيدة للقاسم بن على المعروف بالحريرى فى المقامة الشعرية، وبعده:

دارٌ متى ما أضحكت فى يومها ... أبكت غدًا تبّاً لها من دار
غَاراتها لا تنقضى وأسِيرُها ... لا يُفْتدَى بجلائل الأخْطَارِ =

*** لزوم ما لا يلزم:**

ومنه لزوم ما لا يلزم، وهو أن يجىء قبل حرف الرَّوِىِّ وما فى معناه من الفاصلة ما ليس بلازم فى مذهب السجع[1] كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)﴾ [الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢]، وقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠)﴾ [الضحى: ٩، ١٠]، وقول الشاعر:

سأشكر عَمْراً إن تراخَتْ منِّيتى ... أيادِىَ لم تُمنَنْ وإنْ هىَ جَلَّتِ
فتًى غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه ... ولا مُظْهِرِ الشكوى إذا النعلُ زلَّتِ
رأى خُلَّتى من حيث يَخفَى مكانُها ... فكانت قَذَى عينيه حتى تَجَلَّتِ[2]

وقول الآخر:

يقولون: فى الْبستَانِ للعين لَذَّةٌ ... وفى الخَمْرِ والماء الذى غيرُ آسِنِ
إذا شئتَ أن تلقَى المحاسنَ كُلَّها ... ففى وجه مَنْ تَهْوَى جميعُ المَحَاسِنِ[3]

= والخاطب: الطالب، والدنية: الحقيرة، والردى: الهلاك، وقرارة الشىء: ما قر فيه وسكن، والشاهد فى أنه يمكن أن يُركب ذلك من مجزوء الكامل؛ فيقال:

يا خاطب الدنية ... إنها شرك الردى
دارٌ متى ما أضحكت ... فى يومها أبكت غدا
غاراتها لا تنقضى ... وأسيرها لا يفتدى

(١) إنما لم يقل «فى مذهب السجع أو القافية» كما هو مقتضى السياق؛ للإشارة إلى أن لزوم ما يلزم ضرب من السجع وإن وقع فى الشعر، ولا يخفى ما فى لزوم ما لا يلزم من التكلف، وما جاء منه فى القرآن فهو غير مقصود فيه؛ فلا يرد عليه ما يرد على من يتكلفه.

(٢) سبق البيتان الأولان فى الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول. والخلة: فى البيت الثالث الحاجة، والقذَى: الرمد، وقوله «تجلت» بمعنى انكشفت، والشاهد فى التزامه اللام المشدَّدة والفتحة قبلها فى الأبيات الثلاثة.

(٣) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى، وقوله «الذى غير آسن» تقديره: الذى هو غير آسن. فحذف فيه صدر الصلة، والآسن: المتغير، وقوله «تهوى» بمعنى تحب، والشاهد فى التزامه السين والألف قبلها فى البيتين. =

وقـد يكون ذلك فى غيـر الفاصلتين أيضـاً[١]؛ كقـول الحريرى: «وما اشْـتارَ العسلَ من اختار الكسل».

* **أصل الحسن فى القسم اللفظى:** وأصل الحسن فى جميـع ذلك - أعنى القسم اللفظى - كـما قـال الشيخ عـبد القـاهر[٢] هو أن تكـون الألفـاظ تـابعـة للمعانـى[٣]؛ فإن المعـانى إذا أُرْسِلَتْ على سجيـتها وتُركـتْ وما تريد طلبت لأنفسها الألفـاظ، ولم تكتَسِ إلا ما يليق بها؛ فإن كان خـلافَ ذلك كان كما قال أبو الطيب:

إذا لم تُشَاهـدْ غيرَ حُـسنِ شِيَـاتِهَا ... وأعضائها فَـالْحُسْنُ عنك مُغَيَّبُ[٤]

وقد يقع فى كـلام بعض المتأخـرين ما حَمَـل صَاحبَـهُ فَرْطُ شغـفـه بأمـور ترجـع إلى مـا له اسمٌ فى البديع، على أن ينسـى أنه يتكلـم لِيُفْـهِمَ، ويقـول

= هذا والتزام ما لا يلزم قـد يكون فى الحرف والحركة معاً فى الأمثلة المذكورة، وقد يكون فى الحرف وحده؛ كقـوله تعالى آية ١، ٢ القمر: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ① وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ②﴾، وقد يكون فى الحركة وحدها؛ كقول ابن الرومى:

لمـا تؤذن الدنيـا به من صـروفـهـا ... يكون بُـكاءُ الطفـل سـاعـة يولد

وإلا فـمـا يبكيـه منهـا وإنهـا ... لأوسع مما كـان فـيـه وأرغـد

(١) بأن يكون فى الكلمات التى قبلها؛ كما فى «اشتار واختار» فى قول الحريرى.

(٢) ١٥ - أسرار البلاغة.

(٣) بأن يراعى فيها أولاً مـا يقتضيه الحال ثم يأتى المحسن اللفظى بعـد هذا فيتم به الحسن، وإنما ذكر هذا هنا مع أنه سبق فى تعريف علم البديع؛ لينبـه على غلط بعض المتأخرين فيه، ومثل المحسن اللفظى فى هذا ما سبق من المحسن المعنوى، وإنما نبه عليه فى الأول فقط؛ لأن الغلط فى التعلق به أكثر من الثانى.

(٤) الضمير فى «شياتها» لخيل يصفها فى قوله قبله:

ومـا الخـيـلُ إلا كـالصـديق قـليلةٌ ... وإن كـثـرتْ فى عـين مَن لا يجـرِّبُ

والشيات: جمع شية وهى العلامة الظاهرة من لون ونحوه، يعنى أن حسنها ليس فى صورتها وحدها، وأن حسنها الكامل فى خصالها، وكذلك الألفاظ والمعانى التى ساق البيت من أجلها.

لِيُبِينَ، وَيُخَيَّلَ إليه أنه إذا جمع عدةً من أقسام البديع فى بيت؛ فلا ضير أن يقع مَا عَنَاهُ فى عمياء، وأن يُوقِعَ السامِعَ مِن طلبه فى خبط عَشْوَاءَ[1].

* * *

(١) من ذلك تكلف الجناس فى قول أبى تمام:

قَرَّتْ بقران عينُ الدين وانشترت ... بالأشترين عيونُ الشِّرك فاصطلما

وقران: علم، والأشتران: تثنية الأشتر علم أيضاً، وقوله «انشترت» مطاوع - شتر العين: قلب جفنها، و«شتر الشيء»: قطعه، وقوله «اصطلم» بمعنى استؤصل، والبيت - مع غثاثة لفظه وسوء تجنيسه - يؤخذ عليه أن انشتار العين لا يوجب الاصطلام.

تمرينات على المحسنات اللفظية

تمرين - ١

بين نوع المحسن اللفظى ووجه حسنه فيما يأتى:

(١) سَلْسِلْ خطوطك ما غَدَا مُتَسَلْسِلا شَــاطِى الجِـمَـامِ الزُّرْقِ بـالأغْـصَـان

واسْجَعْ بشعرك ما غَـدَا مُتَصَلْصِلا شَــادِى الْحَـمَـامِ الْـوُرْقِ بالألْحـان

(٢) هِلالٌ فى إضــاءته حَـيَـاءٌ شِــهَـابٌ فى سـمـاحتـه اتِّقَـادُ

(٣) لم يَقضِ من حقكم بعضَ الذى يَجِبُ قَلْبٌ مـتى مـا جـرى ذِكْـرَاكُـمُ يَجِبُ

(٤) أسْكـرَنى بالـلفظ والمُـقْلة الْــ ــكَحْــلاءِ والـوجنـة والْكَـاسِ

سَــاقٍ يُرِينـى قلبُــه قســوةً وكُلُّ ســاقٍ قلبــه قَــاسِى

تمرين - ٢

بين نوع الجناس فى الأمثلة الآتية:

(١) تَحَمَّلْتُ خـوفَ الْمَنِّ كُلَّ رَزِيئَة وَحَـمْلُ رزَايـا الدهر أحْلَى مِـنَ الْمَنِّ

(٢) سِتْرُ المحـبة يوم البين مُنْهَـتِكُ وَثَوْبُ صـبـرى من الأشْـواقِ مُنْتَـهِكُ

(٣) لَعَـينِى كلَّ يوم ألْفُ عَــبْـرَهْ تُصَـيِّـرُنى لأهل الشـوق عِـبْـرَهْ

(٤) كُنْ كيف شئتَ عن الهَوى لا أنْتَهى حـتى تَعُـودَ لِـىَ الحـيـاة وأنتَ هى

(٥) مِنْ بحـرِ جـودِكَ أغْـتَـرِفْ وَبِفَـيضِ عـلمـك أعْـتَـرِفْ

(٦) عَطَفَتْ كأمثال الْقِسِيِّ حَوَاجِبا فَـرَمتْ غَـدَاةَ الـبين قَلْبـاً وَاجِبـا

تمرين - ٣

بين نوع المحسن اللفظى ووجه حسنه فيما يأتى:

(١) تمنَّتْ سُلَيمَى أن أموتَ صبابةً — وأهونُ شىء عندنا ما تمنَّتِ

(٢) اسْلَمْ وَدُمْتَ على الحوادث مَا رَسَا — رُكْنَا ثَبِيرٍ أو هِضَابُ حِرَاءِ

وَنَلِ المرادَ مُمكَّناً منه علَى — رَغْم الدهور وَفُزْ بِطُول بقاءِ

(٣) ضَحِكْنَا وكان الضّحك منَّا سَفَاهَةً — وحُقَّ لِسُكان البسيطة أن يَبْكوا

تُحَطِّمُنا الأيامُ حتى كأنَّنَا — زجاجٌ ولَكنْ لا يُعَادُ لنا سَبْكُ

تمرين - ٤

لماذا حسن الجناس فى قول أبى الفتح؟

نَاظِرَاهُ فيما جَنَتْ نَاظِرَاهُ — أَوْ دَعَانِى أَمُتْ بِمَا أَوْدَعَانِى

ولم يحسن فى قول أبى تمام:

ذَهَبَتْ بمذهبه السماحةُ فَالْتَوَتْ — فيه الظُّنُونُ أمَذْهَبٌ أم مُذْهَبُ

تمرين - ٥

بيِّن نوع المحسِّن اللفظى فيما يأتى:

(١) كأن المدامَ وصوْبَ الغمام — وريحَ الخزامى ونشرَ القُطُرْ

يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها — إذا طربَ الطائرُ الْمُسْتَحِرْ

(٢) فنحن فى جذلٍ، والروم فى وَجَلٍ — والْبَرُّ فى شغلٍ، والبحر فى خَجَلِ

مُوفٍ على مُهَجٍ، فى يوم ذى رهَجٍ — كأنه أجلٌ يسعَى إلى أمَلِ

* * *

خاتمــة

فى فصلين يُلحَقان بالبديع

هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعُه وتحريرُه من أصول الفن الثالث، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنِّفين:

منها ما يتعين إهماله؛ لعدم دخوله فى فن البلاغة؛ نحو ما يرجع فى التحسين إلى الخط دون اللفظ، مع أنه لا يخلو من التكلف؛ ككون الكلمتين متماثلتين فى الخط، وكون الحروف منقوطةً أو غير منقوطة. ونحو ما لا أثر له فى التحسين، كما يُسَمَّى «الترديد»[1]. أو لعدم جَدوَاه؛ نحو ما يوجد فى كتب بعض المتأخرين مما هو دَاخِلٌ فيما ذكرناه، كما سماه: «الإيضاح»؛ فإنه فى الحقيقة راجع إلى الإطناب[2] أو خَلْطٌ فيه، كما سماه: «حسن البيان»[3].

ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة[4] وهو شيئان:

أحدهما: القول فى السرقات الشعرية وما يتصل بها.

والثانى: القول فى الابتداء والتخلص والانتهاء.

فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب...

---

(١) هو أن تعلق الكلمة بمعنى ثم تعلق بمعنى آخر فى مصراع أو مصراعين؛ كقول الشاعر:

هَوِينَنى وهويتُ الغانيات إلى أنْ شِبتُ فانصرفتْ عنهن آمالى

علق «هويننى وهويت» بالغانيات. ومثاله فى المصراعين:

يُريك فى الروعِ بدراً لاحَ فى غسق فى لَيث عِرِّيسةٍ فى صورة الرجل

(٢) فيكون من علم المعانى لا من علم البديع.

(٣) هو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة، والخلط فيه أنه من البيان لا البديع.

(٤) هى بيان حسن الأخذ وقبحه فى السرقات الشعرية، وبيان مواضع حسن الابتداء والتخلص والانتهاء وقبحها، وقيل: إن هذا ليس من علوم البلاغة، وإنما يختم الكلام فيها به لاتصاله بها وتوقفه عليها، والحق أن براعة الاستهلال وحسن التخلص وبراعة المقطع من صميم البديع لا من لواحقه؛ فالأولى قصر ما يلحق بالبديع على السرقات الشعرية.

الفصل الأول

السرقات الشعرية

اعلم أن اتفـاق القـائلَيْن إن كـان فى الغرض علـى العمـوم[١] - كالوصف بالشجاعة والسـخاء والبلادة والذكاء - فلا يُعدُّ سرقةً ولا استـعانةً ولا نحوهما؛ فإن هذه أمـور متقـررة فى النفوس، متـصورَّةٌ للعقـول، يشترك فـيها الفـصيح والأعجم، والشاعر والمُفْحَمُ.

وإن كـان فى وجه الدلالة على الغـرض[٢] وينقسم إلى أقـسام كثيـرة: منها التشبيه بما توجَدُ الصفة فيه[٣] على الوجه البليغ كما سبق[٤]، ومنها ذِكر هيئات تدل على الصـفة لاختـصاصـها بمن لـه الصفة؛ كـوصف الرجل حـال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر؛ كقوله:

كـأنّ دنانيـــراً على قَـسَـمَـاتِهمْ وإنْ كانَ قد شَفَّ الْـوجُوهَ لِقاءُ[٥]

وكذا وصْـفُ الجواد بالتـهلل عند ورود العفـاة والارتياح لرؤيتـهم، ووصف

---

(١) الغرض: هو المعنـى المقصود، ومـعنى كونه على العمـوم أنه يقصده كـل الناس؛ فلا بد من أمرين: أن يكون الاتفاق فى الغرض لا فى الدلالة عليه، وأن يكـون الغرض عاماً، فإذا كان الاتفاق فى الدلالة فهو ممـا يمكن أن يُدَّعى فيه السبق والزيادة كما سـيأتى، وإن كان الاتفاق فى غرض خاص فهو مما يمكن أن يدَّعى هذا فيه أيضاً.

(٢) جواب «إنْ» سيأتى فى قوله «فإن كان مما يشترك الخ»، وما قبله اعتراض. ووجه الدلالة على الغرض هو طريقها من تشبيه أو حقيقة أو مجاز أو كناية.

(٣) الصفة: هى الغرض السابق.

(٤) أى فى الكلام على التشبيه فى الجزء الثالث.

(٥) هو لمحـرز بن المكعبـر الضبى، والقـسمـات: الوجوه. وقـوله «شف» بمعنى غيَّـر؛ يعنى أن وجوههم تشرق فى الحرب، على حين تتغير وجوه غيرهم فيها لهولها.

البخيل بالعبوس وقلة البِشْر، مع سعة ذات اليد ومساعدَة الدهر.

فإن كان مما يشترك الناس فى معرفته لاستقراره فى العقول والعادات؛ كتشبيه الفتاة الحسنة الوَجْه بالشمس والبدر، والجواد بالغيث والبحر، والبليد البطىء بالحجر والحمار، والشجاع الماضى بالسيف والنار - فالاتفاق فيه كالاتفاق فى عموم الغرض.

وإن كان مما لا يُنال إلا بفكرٍ، ولا يصل إليه كل أحد[1]: فهذا الذى يجوز أن يُدَّعَى فيه الاختصاص والسبق، وأن يُقضَى بين القَائلَيْنِ فيه بالتفاضل، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر، وأن الثانى زاد على الأول أن نقص عنه. وهو ضربان:

أحدهما ما كان فى أصله خَاصيًّا غريباً، **والثانى** ما كان فى أصله عَامِّياً مُبتَذَلاً، لكن تُصُرِّف فيه بما أخرجه من كونه ظاهراً ساذجاً إلى خلاف ذلك[2]، وقد سبق ذكر أمثلتهما فى التشبيه والاستعارة[3].

إذا عرفتَ هذا فنقول:

الأخذ والسرقة نوعان: ظاهر، وغير ظاهر.

أقسام السرقة الظاهرة: النسخ والانتحال:

أما الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى كله؛ إما مع اللفظ كله، أو بعضه[4]، وإمّا وحده؛ فإن كان المأخوذ اللفظ كله من غير تغييرٍ لنظمه فهو مذموم؛ لأنه سرقة محضة، ويسمى نَسْخاً وانتِحَالا؛ كما حُكِىَ أن عبدالله بن الزُّبير دخل على معاوية، فأنشده:

---

(١) بأن كان مجازاً مخصوصاً أو كناية أو تشبيها على وجه لطيف.

(٢) فإذا لم يتصرف فيه بذلك لم يجزأن يدعى فيه السبق والزيادة كالاتفاق فى عموم الغرض.

(٣) عند الكلام عليهما فى الجزء الثالث.

(٤) مثل أخذ اللفظ مرادفه كما سيأتى.

إذا أنت لم تُنْصِفْ أخـاك وجـدتَهُ   على طَرَفِ الهِجْرانِ إن كانَ يَعْقِلُ(١)
ويركبُ حَدَّ السيف مِنْ أنْ تُضيمَهُ   إذا لم يكن عن شَفَرَةِ السيف مَزْحَلُ(٢)

فقال لـه معاوية «لقد شَـعَرْتَ بعدى يا أبا بكر». ولم يفارق عـبدالله المجلس حتى دخل مَعْنُ بن أوْسٍ الْمُزَنِيّ، فأنشد كلمته التى أولها:

لَعَـمْـرُكَ مـا أدرى وإنى لأوْجَلُ   عَلَى أيِّنا تَغْـدُو المنيَّـةُ أوَّلُ(٣)

حتى أتى عليها، وفيها ما أنشده عبدالله، فأقبل معاوية على عبدالله وقال له: «ألم تخبـرنى أنهمـا لك؟! «فقال: «المعـنى لى واللفظ له، وبعدُ فـهو أخى من الرضاعة، وأنا أحقُّ بشعره»(٤).

وقد رُوِىَ لأوس ولزهير فى قصيدتيهما(٥) هذا البيت:

إذا أنت لم تُعرِضْ عن الجهل والْخَنَا   أصَبْتَ حَليمًا أو أصابكَ جَاهِلُ(٦)

---

(١) قوله «لم تنصف» بمعنى لم تعدل معه وتوفه حقه، وطرف الهجران: جانبه، والإضافة بيانية.

(٢) المراد بحد السيف: ما يتحمله من الشدائد على سبيل الاستعارة، و«من» فى قوله «من أن تضيمه» للبدل أو للتعليل، والضيم: الظلم، وشفرة السيف: حده، والمراد به ما يتحمله من الشدائد أيضاً، والمزحل: المبعد.

(٣) لعمرك: قسم وهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره قسمى، وأوجل: أفعل تفضيل من الوجل وهو الخوف، وقوله «تغدو» بمعنى تصبح، أو بالعين المهملة من العدو، والجار والمجرور متعلق بأدرى، وما قبله اعتراض.

(٤) هذا اعتذار بارد وإن تظرَّف فيه.

(٥) يعنى قصيدة أوس بن حجر التى مطلعها:

أيا راكبـاً إمّـا عـرضتَ فـبلِّغن   يزيدَ بـن عـبـدِ الله مـا أنا قـائلُ

وقصيدة زهير بن أبى سُلمى التى مطلعها:

لسَـلْمَـى بشـرقىِّ القـنانِ مـنازلُ   ورَمْمٌ بصـحـراء اللُّبَـيْـينِ حـائلُ

(٦) قوله «لم تعرض» بمعنى لم تنصرف، والخنا: الفحش، والحليم: العاقل، والمراد «أصبت حليما بجهلك أو أصابك جاهل بجهله».

وقد رُوى للأُبَيْرِد الْيَرْبُوعِيِّ:

فَـتًى يَشْـتَـرى حُـسْنَ الـثناء بمَالِهِ ... إذا السَّنَةُ الشهباءُ أعْوَزَهَا الْقَطْرُ[1]

ولأبى نُواس:

فَـتًى يَشـتـرِى حُـسنَ الـثناء بماله ... ويـعـلـمُ أنَّ الـدَائـراتِ تَـدُوُرُ[2]

وقد روى لبعض المتقدمين يمدح معبداً:

أجـادَ طُوَيْسٌ والسُّـريَجِى بَعْـدَهَ ... وما قَـصَبَاتُ السّبقِ إلا لمَعْـبَدِ[3]

ولأبى تمام:

مَـحَـاسِنُ أصناف المُـغَنِّينَ جَـمَّـةٌ ... ومـا قَصَـبَاتُ السـبق إلا لمعبـدِ[4]

وحكى صاحب الأغانى فى أصوات معبد:

لهْـفِى على فتـيَةٍ ذَلَّ الزمـانُ لَهُمْ ... فـمـا يُصيـبـهمُ إلا بما شَـاءُوا[5]

---

(١) هو للأبيرد بن قيس بن المعذر من مرثية له فى أخيه مطلعها:

تَـطـاوَل ليـلـى لـم أنمـهُ تـقلـبـًا ... كـأنَّ فـراشى حـالَ من دونه الجـمـرُ

والشهبـاء: المجدبة، وقوله «أعوزها القطر» بمعنى احتـاجت إليه. والقطر: المطر، وهذا كناية عن انقطاعه فيها.

(٢) هو من قـصـيدة للحسن بن هانى المـعروف بأبى نـواس فى مدح الخـصـيب. والدائرات: الدواهى، وقوله «تدور» بمعنى تتقلب ويداولها الله بين الناس، وقبل البيت:

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخـصـيب ركـابُنا ... فـأىُّ فَـتَى بعـد الخـصـيبِ تَزورُ

(٣) لا يُعرف قـائله، وطويسُ: لقب عيـسى بن عبدالله، وقـد غنى فى عهد عـثمان بن عـفان، والسربجى: لقب عبيد الله بن سريج، وقد أخذ الغناءَ عَن طويس، ومعبد بن وهب غنى فى أول دولة بنى أميـة، وقصبات السـبق: هى التى تنصب فى حلبة السبـاق فمن سبق اقتلعـها وأخذها ليعرف أنه السابق، ويقال هذا فى الكناية عن الفوز والغلبة.

(٤) هو من قصيدة له فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى. وقبله:

فـمهـما تكن من وقـعة بَعْـدُ لا تَكن ... ســوَى حَـيَنٍ مما فــعلت مــرَدّدَ

(٥) لا يعرف قائله. واللهف التحسر، وقوله «ذلّ» بمعنى خضع، ورواية الأغانى «فما أصابهم». وقد غناه معبد للوليد بن يزيد، وبعده: =

وفى شعر أبى نُواس:

دَارَتْ على فـتيـةٍ ذلَّ الزمـانُ لهم ... فـمـا يُصـيـبـهم إلا بما شَـاءُوا[1]

وفى هذا المعنى ما كان التـغيير فيه بإبدال كلمة أو أكـثر بما يرادفها[2]؛ كقول امرىء القيس:

وُقوفـاً بها صَحْـبى عَلَىَّ مطيَّـهُمْ ... يقولون: لا تهلكْ أسًى وتَجَمَّلِ[3]

وقول طرفة:

وُقوفـاً بها صَحـبى علىَّ مطيَّـهم ... يقـولون: لا تهلكْ أسًى وتَجَلَّدِ[4]

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه:

= مـازالَ يـعـدو علـيـهم ريبُ دهرِهم ... حـتى تـفـانوا وريبُ الـدهر عـداءُ

أبكَى فـراقُـهمُ عـينى وأرَّقـهـا ... إنّ التـفـرقَ للأحـبـاب بَـكَّاءُ

(١) هو من خمرية للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس، مطلعها:

دَعْ عنك لـوْمى فـإن اللـومَ إغـراءُ ... وداونِى بـالتـى كـانت هـى الداءُ

والضمير فى قوله «دارت» للخمر، وقد كان المعنى فى البيت الأول يراد به التحسر والتحزن، فجعله أبو نواس فى موضع سرور ومجلس شرب خمر.

(٢) مثله ما كان التغيير فيه بالضد مع رعاية النظم والترتيب؛ كقول بعضهم فى الهجاء:

سـودُ الوجـوه لَئـيـمـةٌ أحسـابُهمْ ... فطسُ الأنوفِ من الـطراز الآخـر

فلم يفعل سوى أن غير ألفاظ بيت حسّان فى مدح آل جفنة:

بيضُ الوجـوهِ كـريـمـةٌ أحسـابهم ... شُـمُّ الأنـوف مـن الـطـراز الأول

وإنما يُذم التغيير بالمرادف أو بالمضاد إذا لم يكن فيه فائدة من حُسن سجع أو موازنة أو زيادة فصاحة أو سلامة للشعر.

(٣) قوله «وقوفا» مصدر أو جمع واقف حال من فاعل «نبك» فى قوله قبله:

قـفا نَبـك من ذكرى حـبيبٍ ومنزلِ ... بِسـقْط اللوَى بين الدخـولِ فحَـوْمَلِ

ومطيهم: مفعول به لوقوفاً لأنه متعد من الوقوف بمعنى الحبس لا من الوقوف. وقوله «على» بمعنى لأجلى، والأسى: شدة الحزن، وقوله« وتحمل» بالحاء أو بالجيم من التجمل وهو الصبر الجميل.

(٤) هو لطرفة بن العبد، وقوله «وتجلد» أمر من تجلد بمعنى تكلف الجلد وصبر. وقبله:

لِخَـولةَ أطلالٌ بـبـرقـةَ ثهـمـد ... تَلوحُ كـبـاقى الوشـمِ فى ظاهر اليـدِ

وما الناسُ بالناس الذين عَـهِدْتَهُمُ ولا الدارُ بالدارِ التى كنتَ تَعْلمُ[١]

وقول الفرزدق:

وما الناسُ بالناسِ الذين عَـهِدْتَهم ولا الدار بالدار التى كنتَ تَعْـرفُ

وكقول حاتم:

وَمَنْ يَبْتَدِعْ ما ليـس مِن خِيمِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَيغْلِبْهُ على النفس خِيمُها[٢]

وقول الأعور:

ومن يَقْترِفْ خُلْقاً سِوَى خلْق نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَيغلبه على النفس خِيمُهَا[٣]

*** الإغارة أو المسخ:**

وإن كان[٤] مع تغـييـرٍ لنظمـه، أو كـان المأخوذ بعض اللـفظ؛ سُمى إغـارةً ومسخاً.

١ - فإن كان الثانى أبلغ من الأول لاختصاصـه بفضيلة، كحسن السبك[٥]، أو الاختصار، أو الإيضاح، أو زيادة معنى: فهو ممدوح مقبول، كقول بشار:

مَن راقبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بِحـاجَتِهِ وفـاز بالطّيِّبـات الْفَـاتِكُ اللَّهِجُ[٦]

وقول سَلْمٍ الخاسر:

مَن راقبَ الـناسَ مـات غَـمًّـا وفـــاز بالـلَّذَّةِ الجَـســـورُ[٧]

---

(١) المراد بالناس ناس معـهودون له، فأل فـيه للعهد، وقـوله «عهدتهم» خطاب على الالتـفات بمعنى عرفتهم، وآل فى الدار للعهد أيضاً.

(٢) هو لحاتم الطائى، وقيل: إنه لمالك السلمى، وقوله «يبتدع» بمعـنى يخترع، والخيم: السجية، وقوله «يدعه» بمعنى يتركه.

(٣) هو لبشر بن منقذ المعروف بالأعور الشنى، وقوله «يقترف» بمعنى يكتسب، والخُلق: السجية.

(٤) أى أخذُ اللفظ كله.

(٥) بالخلو من التعقيد اللفظى والمعنوى ونحوهما.

(٦) هو لبشار بن بُرْد. وقـوله «راقب» بمعنى حاذر وخاف. والفاتك: الشجـاع القتّالُ، واللهج: الملازم لمطلوبه الحريص عليه من غير مبالاة.

(٧) هو لسلم بن عمرو المعروف بسلم الخاسر. والجسور: الجرئ.

فبيت سلم أجود سبكًا وأخصر[١]. وكقول الآخر:

خلَقْنا لهم فى كلِّ عَـينٍ وحَاجِبٍ　　بِسُمْرِ القنَا والبِيضِ عَيْناً وَحَاجِبًا[٢]

وقول ابن نُباتَةَ بعده:

خَلَقنا بأطـراف القنا فى ظهـورِهم　　عيونًا لها وَقْعُ السيوفِ حواجبُ[٣]

فبيتُ ابن نباتة أبلغ؛ لاختصاصه بزيادة معنى؛ وهو الإشارة إلى انهزامهم[٤]. ومن الناس من جعلهما متساويين[٥].

وإن كان الثانى دون الأول فى البلاغة فهو مذموم مردود؛ كقول أبى تمام:

هَيْـهَـاتَ لا يأتى الـزمـانُ بِمِـثْلهِ　　إنَّ الزَّمـــانَ بمـثله لَبَـــخِـــيلُ[٦]

وقول أبى الطيب:

---

(١) أما الاختـصار فظاهر، وأما أنه أجود سـبكا؛ فلأن الفتك فى بيت بشار زائد عـلى المقصود لتطلبه الجراءة فقط.

(٢) نسبه الخفاجى فى «ريحـانة الألبا» لأبى إسحاق إبراهيم الغزى، وجعله متـابعاً فيه لابن نباتة على عكس ما سيجئ بعده فى «الإيضاح». وقوله: خلقنا: بمعنى أوجدنا، والقنا: واحدة قناة وهى الرمح، والبيض: الـسيوف، وقد جـعل أثر الرمح عيناً لاسـتدارته، وأثر السيف فـوقه حاجبا لاستطالته على سبيل الاستعارة.

(٣) هو لعبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى. وتقدير الشطر الثانى: عيوناً وقع السيوف حواجب لها، والمراد أثر وقعها، وبعد البيت:

لقـــوا نبلنا مُـــرْدَ العـــوارضَ وانثنوا　　لأوجـهـــهم منهـا لِـحًى وشـواربُ

(٤) لأنه جعل ذلك فى ظهورهم، وهذا إلى إرجاعه العيون للرماح والحواجب للسيوف، وإجمالُ هذا فى البيت الأول، وقد يجاب عن هذا بأن الإجمال من مقاصد البلغاء.

(٥) لأن بيت ابن نباتة إذا أشـار إلى انهزامهم فالبيت الأول يشـير إلى أنهم شجعـان يعظم الفخر بالانتصار عليهم.

(٦) «هيهات» اسم فعل ماض بمعنى «بَعُدَ»، وفاعله محذوف تقديره «بعُد إتيان الزمان بمثله» بدليل ما بعده، أو «بعد نسيانى له» بدليل قوله قبله:

أنْسى أبـا نصـــرٍ نســـيتُ إذنْ يدِى　　مِنْ حـــيثُ ينتـصـــرُ الفـتـى ويُنِيل

أعْـدَى الزمانَ سـخاؤه فَـسخَـا به ولقـد يكونُ به الزمـانُ بَخِـيـلا[١]

فإنّ مصراع أبى تام أحســن سبكًا من مصراع أبى الطيب؛ لأن أبا الطيب أراد أن يقـول: كان الزمـان به بخيـلا، فعـدل عن الماضى إلى المضارع للـوزن، فإن قلتَ: المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه[٢] قلتُ: السخاء بالشيء هو بذله للغير، فإذا كان الزمان قد سخا به؛ فقـد بذله، فلم يبقَ فى تصريفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به[٣].

وإن كان مثله فـالخطب فيه أهون، وصاحب الثانى أبعـد من المذمَّة، والفضل لصاحب الأول؛ كقول بشار:

يا قومُ أذْنِي لبـعض الحيِّ عاشـقةٌ والأذْنُ تعشقُ قبل العـين أحيَانَا[٤]

وقول ابن الشّحنة المَوْصِلِيِّ:

وإنى امْـرُؤٌ أحـبـبـتـكم لمكارمٍ سمعتُ بها والأُذْنُ كالعين تَعْشَقُ[٥]

وكذا قول القاضى الأرَّجَانى:

لم يُبْـكِنِى إلا حَـدِيثُ فـراقكم لَمَّـا أسَـرَّ به إلىَّ مُـوَدِّعى

هو ذلـك الدُّرُّ الذى أوْدَعْـتُمُ فى مَسْمَـعِى ألْقَيْتُهُ مِـن مَدْمَعِى[٦]

---

(١) هو من قصيدة لـه فى مدح بدر بن عمار؛ قوله «أعدى» فعـل ماض من الإعداء وهو تجاوز الشيء من صاحبه إلى غيره، والسخاء: الجـود، يعنى أن الزمان كان بخيلا به عليه فلما أعداه سخاؤه جاد عليه به فأسعده بصحبته.

(٢) فيكون المضارع فى موضعه.

(٣) لا يخفى أن جود الزمان به لا يُخرجه عن تصرفه؛ للفرق فى هذا بين الجود به والجود بالمال.

(٤) هو لبشـار بن برد. وبعض الحى: كناية عن مـحبوبتـه، وإنما أسند العشق إلـى أذنه لأنه كان أعمى، والنفس قد تعشق بالسماع قبل الرؤية، بأن يسبق وصف ما يعشق رؤيته.

(٥) هو لعمـر بن محـمد المعروف بـابن الشحنة الموصلى، والشـاهد فى قوله: «والأذن كـالعين تعشق» لأنه مأخوذ من قول بشار، ولكنه مثله فى حسن السبك ونحوه.

(٦) هما لأحمـد بن محمد المعـروف بالقاضى الأرجانى، والمراد بمودعه من حدثـوه بفراقهم على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، والدر: اللؤلؤ استعـاره لحديثهم، وأخبر به عن ضميره ، ثم استعاره لدمعه.

وقولُ جارِ الله:

وقـــائـلةٍ: مـــا هذه الـدُّرَرُ التى تُسَاقطُها عيناكَ سِمْـطينِ سمْطَيْن
فقلت: هو الدُّرُّ الذى قد حَشا به أبو مُضَرٍ أذْنى تَسـاقَطَ مِن عَيْنى[١]

وكقول أبى تمام:

لَوْ حَـارَ مُـرْتَادُ المَـنيـةِ لم يَجِـدْ إلاَّ الفـراقَ عَلىَ النفوس دَليـلا[٢]

وقول أبى الطيب:

لَوْلاَ مُفَـارَقَةُ الأحباب مـا وجدَتْ لهـا المنايَـا إلى أرواحنا سُـبُـلا[٣]

واعلم أن من هذا الضـرب[٤] ما هو قـبيح جـداً، وهو ما يدل على السـرقة باتفاق الوزن والقافية أيضاً؛ كقول أبى تمام:

مُـقـيمُ الـظَّنِّ عندك والأمَـانى وإن قَلِقَتْ ركـابى فى البِـلاَدِ[٥]
ولا سـافــرتُ فى الآفــاقِ إلاَّ ومِنْ جَـدْوَاكَ راحـلتى وزادِى[٦]

---

(١) هما لمحـمود بن عمر الزمـخشرى المعـروف بجار الله، والسمط: هو الخيط مـا دام الخرز أو اللؤلؤ منتظما فيه، وأبو مضـر: هو محمود بن جرير الضبى أستاذ الزمخـشرى. والبيتان من قصيدة له فى رثائه، وقد ذكر ابن خلكان أن اسمه منصور، وهو خطأ.

(٢) قوله «حار» بمعنى ضلّ فى التـوصل إلى مراده، والمرتاد: الطالب، والدليل: الطريق منصوب على أنه مفعول أول ليجد، والمفعول الثانى محذوف تقديره له، يعنى أنه لا يجد له دليلا على النفوس إلا الفراق.

(٣) قوله «لها» جار ومجـرور مفعول ثان لوجدت، وسبلا: مفـعول أول، ويجوز أن يكون «لها» اسم جنس جمعى واحده لهاة فيكون فاعل «وجـدت»: «المنايا» مضاف إليه، واللهاة: اللحمة المطبقة فى أقصى سقف الحلق، والمراد بها الـفم من إطلاق اسم الجزء على الكل، وقد أثبتها للمنايا على سبيل التخييل.

(٤) هو ما كان الثانى فيه مثل الأول.

(٥) الخطاب لمدوحه أحمد بن أبى دؤاد. الأمانى: جمع أمنية وهى البغية، وقوله «قلقت» بمعنى اضطربت فى السفر، والركاب: الإبل، يعنى أن فكره لا يتجه إلا إليه.

(٦) الآفاق: النواحى جـمع أفق، والجدوى: العطية، والراحلة: القوى من الإبل عـلى الأحمال والأسفار.

وقول أبى الطيب:

وإنى عنك بعد غَدٍ لَغادى وقَلبى عن فِنائكَ غيرُ غادى[1]

مُحبُّكَ حيثُما اتّجَهَتْ ركابى وَضَيْفُكَ حيثُ كُنتُ مِن البلاد

* **الإلمام أو السلخ:**

وإن كان المأخوذ المعنى وحده سُمى إلْماماً وسَلْخاً، وهو ثلاثة أقسام كذلك[2]:

أولّها كقول البحترى:

تَصُدُّ حياءً أنْ تراكَ بأوْجُهِ أتى الذَّنْبَ عاصيها فَليمَ مُطِيعُها[3]

وقول أبى الطيب:

وجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهاءُ قوم وحَلّ بغير جارِمِهِ العذابُ[4]

فإن بيت أبى الطيب أحسن سبكا[5] وكأنه اقتبسه[6] من قوله تعالى: ﴿**أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا**﴾ [الأعراف: ١٥٥]. وقول الآخر:

ولست بنظَّارٍ إلى جانب الغِنى إذا كانتِ العلياءُ فى جانب الفقرِ[7]

---

(١) الخطاب لممدوحه على بن إبراهيم التنوخى. والغادى: المسافر فى الغداة وهى أول النهار، والفناء: الساحة أمام البيت.

(٢) أى كالإغارة والمسخ، وهى أن يكون الثانى أبلغ من الأول أو دونه أو مثله.

(٣) هو من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويذكر صلح بنى تغلب، وقوله «تصد» بمعنى تصرف وفاعله ضمير مستتر جوازاً يعود على تغلب، وقوله «حياء» مفعول لأجله، والخطاب فى «تراك» للمتوكل، وقوله «ليم» فعل مبنى للمجهول من اللوم وهو العذل.

(٤) الجرم: الذنب وهو معطوف على قوله قبله:

وكم ذنب مُوَلِّدُهُ دلالُ وكم بُعد مولده اقترابُ

وقوله «جره» بمعنى ارتكبه، والجارم: الكاسب.

(٥) لأنه وصف مرتكب الجرم بالسفاهة، ولم يصف من أوخذ به بالطاعة المنافية للمؤاخذة، وإنما يؤاخذ غير السفهاء بفعلهم لأنه لم يمنعهم منه.

(٦) وإنما لم يكن اقتباساً صرفاً للاختلاف بينهما.

(٧) سبق هو وبيت أبى تمام فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى.

وقول أبى تمام بعده:

يصدُّ عن الدنيا إذا عنَّ سُؤْدَدٌ ولَوْ بَرَزَتْ فى زىِّ عذراءَ ناهدِ

فبيتُ أبى تمام أخصَرُ وأبلغ؛ لأن قوله «ولو برزت فى زى عذراء ناهد» زيادةٌ حسنة[1]. وكقول أبى تمام:

هو الصُّنعُ إن يعجَلْ فخَيْرٌ وإن يَرِثْ فلَلرَّيثُ فى بعض المواضع أنْفَعُ[2]

وقول أبى الطيب:

ومِنَ الخيرِ بُطْءُ سَيْبِك عَنّى أسْرَعُ السُّحْبِ فى المسيرِ الجَهَامُ[3]

فبيت أبى الطيب أبلغ لاشتماله على زيادة بيان[4].

وثانيها كقول بعض الأعراب:

وريحُها أطيَبُ مِنْ طِيبِها والطيبُ فيه المِسْكُ وَالعَنْبَرُ[5]

وقول بشار:

---

(١) هذا علة لكونه أخصر وأبلغ؛ لأن كون ذلك زيادة يشير إلى أن الشطر الأول من بيت أبى تمام يفيد ما أفاده البيت الأولى بشطريه فيكون أخصر، وأما كونه أبلغ فلهذه الزيادة، ولقوله «عن الدنيا» بدل قول الأول: «ولست بنظار إلى جانب الغنى» لأن الصدّ عن الدنيا أبلغ من عدم النظر إليها.

(٢) «هو» ضمير الشأن، والصنع: بمعنى الإحسان مبتدأ خبره جملة الشرط، وجملة ذلك خبر ضمير الشأن، ويجوز أن يكون «هو» عائداً إلى حاضر فى الذهن، والصنع خبره، والشرط استئناف، وقوله «يرث» بمعنى يبطئ. والبيت من قصيدة له فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف.

(٣) هو من قصيدة له فى مدح على بن أحمد الخراسانى. والسيب: العطاء، والجهام: السحاب الذى لا ماء فيه أو الذى هراق ماءه.

(٤) وجهه أنه ضرب المثل بالسحاب، فكأنه دعوى بدليلها، بخلاف ما قبله.

(٥) لا يعرف قائله، ويعنى بقوله «وريحها» ريح فمها أو نحوه، والواو فى قوله «والطيب» للحال.

وإذا أَدْنَيْـتَ منــهـــــا بَصَـــــلاً   غَلَبَ المِسْكُ عَـلَى ريحِ البَـصَلِ(١)

وقول أشجع:

وعلى عـدُوِّك يا ابن عَمِّ مُـحَمَّـدٍ   رَصَـدانِ: ضَوءُ الصـبح والإظْلامُ
فـــإذا تَنَبَّـــهَ رُعْـــتَـــهُ وإذا هَدَا   سَلَّتْ عليـه سُـيوفَكَ الأحْـلامُ(٢)

وقول أبى الطيب:

يَرَى فى النومِ رُمْـــحَكَ فى كُـلاهُ   ويَخْـشَى أنْ يراهُ فـى السُّـهَـادِ(٣)

فقـصَّر بذكر «السهـاد» لأنه أراد اليقظة ليطابق بهـا النوم فأخطأ؛ إذ ليس كل يقظة سهاداً، وإنما السُّهادُ امتناع الكرَى فى الليل، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهداً. وكقول البحترى:

وإذا تألّقَ فى النَّدِىِّ كلامُـهُ المَصـْ   ـقُـولُ خِلْتَ لِسانَهُ من عَـضْبِـهِ(٤)

وقول أبى الطيب:

---

(١) هو لبشار بن برد، وإنما كان هذا دون ما قبله لأنه جعل الفضل فى الغلب على ريح البصل للمسك، لا لرائحتها، وهذا إلى ما فيه من قبح إدناء البصل منها. وقبل البيت:

إنما عَـظْمُ سلـيـــمَى حِــبَّـــتى   قَــصَبُ السُّكَّـر لا عَظْمُ الجَـــمَلْ

وهذا من شعره الضعيف.

(٢) هما لأشـجع بن عمرو السلمى فى مـدح هارون الرشيد، ورصـدان: رقيبان، وقـوله «تنبه» بمعنى تيقظ من نومـه، وقوله «رعته» بمعنى أفـزعته. وقوله «هدا» مـخفف (هدأ) بمعنى نام، وقوله «سلت» بمعنى شهرت، وفى البيت الأول توشيع، وفى الثانى لف ونشر مرتب.

(٣) هو من قصـيدة له فى مـدح على بن إبراهيم التنوخى، وضمـــير «يرى» للجبـــان فى قوله قبله:

وكـيفَ يَبـيتُ مــضطجـعًا جـبـانٌ   فــرشتَ لجنبـــه شـــوكَ القَـــتـــادِ

والكلية أو الكلوة: لحمة منتبرة لازقة بعظم الصلب عند الخاصرة.

(٤) هو من قصيدة له فى مدح الحسن بن وهب. وقوله «تألق» بمعنى لمع، وإثباته لكلامه تخييل، والندى: مجلس أشـراف القوم، المصقـول: المجلو وهو ترشيح لاسـتعارة السـيف لكلامه، والعضب: السيف القاطع. ولا يخفى ما فى التصريح بالتشبيه بعد الاستعارة من القبح.

كأن ألسُنَهُمْ فى النُّطْق قـد جُعِلتْ   عَلَى رِمَاحِهم فى الطَّعْنِ خُرْصَانَا[١]

فإن أبا الطيب فاته ما أفاده البحتـرى بلفظىْ «تألق» و«المصقول» من الاستعارة التخييلية[٢]. وكقول الخنساء:

ومـا بلغ المهْـدُون للناس مِـدْحَـةً   وإنْ أطنبوا إلاَّ وما فـيك أفْضَلُ[٣]

وقول أشجع:

ومـا ترك الُمـدَّاحُ فـيكَ مـقـالةً   ولا قال-إلاَّ دُونَ ما فيك- قائل[٤]

فإن بيت الخنساء أحـسن من بيت أشجع؛ لما فى مصراعه الثانى من التـعقيد، إذ تقديره: ولا قال قائل إلا دون ما فيك[٥].

وثالثها كقول الأعرابى:

ولم يَكُ أكـثـرَ الـفِـتْـيَـانِ مـالاً   ولكنْ كـان أرْحَـبَـهُمْ ذِرَاعـا[٦]

وقول أشجع:

---

(١) الخرصان: جمع خِرْص وهو سنان الرمح أو الرمح نفسه، والمراد هنا الأول؛ يعنى أن ألسنتهم عند النطق فى المضاء تشبه أسنة رماحهم عند الطعن، وضمير «السنتهم» يعود إلى بنى الحسن قوم ممدوحه سعيد بن عبدالله فى قوله قبل البيت:

جـزَى بنى الحـسن الحـسنَى فـإنهم   فى قـومهم مـثلهم فى الـغُرِّ عـدنانا

(٢) الحق أن «تألق» تخييل ، وأن «المصقول» ترشيح كما سبق.

(٣) هو لتماضـر بنت عمرو بن الشريد المعـروفة بالخنساء، وقولهـا «مدحة» مفـعول «المهدون» ، ومفعول «بلغ» هو المستثنى منه المحذوف أى: حالاً من الأحوال.

(٤) هو لأشجع بن عـمرو السلمى. ومعناه أن مُداحـه لم يتركوا مقالة فى مـدحه، ومع هذا لم يبلغوا ما يستحقه.

(٥) لا يخفى أن هذا لا يعـد تعقيـداً؛ لأنه لا يحصل بمثل تقديم المسـتثنى وحده، والمسـتثنى منه محذوف، والتقدير «ولا قال قائل قولاً إلا قولاً دون ما فيك».

(٦) هو لأبى زياد يزيد بن الحر الأعرابى فى مـدح العباس بن محمد، وقـيل: إنه لموسى شهوات فى عبدالله بـن جعفر بن أبى طالب، وقـوله «أرحبهم ذراعاً» بمعنى أوسـعهم،وهو كناية عن سخائه.

وليس بـأوْسَـعـهم فى الغِنَى ... ولكـنَّ مَـعْـروفَـهُ أَوْسَعُ[1]

وكذل قول بكر بن النَّطَّاح:

كأنكَ عند الكرِّ فى حَـوْمَةِ الْوغَى ... تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الذى مِنْ وَرائِك[2]

وقول أبى الطيب:

فكـأنهُ والطعـنُ من قُـدَّامِـهِ ... مُـتَـخَـوِّفٌ مِنْ خَلْفِـهِ أن يُطْعَنَا[3]

وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات:

والصبـرُ يُحْمَدُ فـى المواطن كلِّها ... إلاّ عليـك فَـإنهُ مَـذْمُـومُ[4]

وقول أبى تمام بعده:

وقد كان يُدْعَى لابِسُ الصبرِ حازِماً ... فأصبحَ يُدْعَى حازمًا حينَ يَجزَعُ[5]

*** أقسام السرقة غير الظاهرة:**

وأما غير الظاهر؛ فمنه أن يتشابه معنى الأول ومعنى الثانى[6]؛ كقول الطِّرِمَّاحِ بن حكيم الطَّائىِّ:

---

(١) هو لأشجع بـن عمرو السلمى، واسـم «ليس» على جعفـر بن يحيى فى قـوله: يروم الملوكُ مدى جعْفر ولا يصنعون كما يصْنَع.

وقيل: إن بيت الأعرابى أجود لدلالته على السخاء بطريق الكناية وهى أبلغ من الحقيقة.

(٢) الكر: الحمل على العدو فى الحرب، وحومـة الشىء: معظمه، والوغى: الحرب، والمراد أنه فى سرعة حمله مثل الفارِّ من ذلك الصف.

(٣) هو من قصيدةَ له فى مدح بدر بن عمار، وقبله:

نيطتْ حـمـائلـه بعـاتق مـحْـرَب ... مـا كـرَّ قَطُّ وهـل يكُرُّ ومـا انثنَى

والواو فى قوله «والـطعن» للحَال، وقوله «مـن خلفه» متـعلق بقوله «يطعن» يعنـى أنه لشدة إقدامه لا يلتفت خلفه.

(٤) هو لمحـمد بن عـبيـدة الله المعروف بالعـتبى فـى رثاء ابن له. والمواطن: جمع مـوطن وهو الموضع، وقوله «إلا عليك» تقديره إلا فى موطن يصبر فيه عليك.

(٥) الحازم: من يضع الأمور فى مواضعها، وقـد جعل من يجزع على من يرثيه حازماً لأنه وضع جزعه فى موضعه، وفى قوله «لابس الصبر» استعارة بالكناية.

(٦) قيده بعضـهم بأن يكون من غير نقل للمعنى إلى محل آخر، وبهـذا يباين القسم الذى بعده، ولكن الظاهر مما سيأتى أن الخطيب لا يقيده بهذا القيد، فيكون أعم مما بعده.

لقد زادني حُبّاً لنفسيَ أنني بَغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غير طَائلِ(١)

وقول أبي الطيب:

وإذا أتتكَ مَذَمَّتي من نَاقصٍ فهيَ الشهادةُ لي بأنِّيَ كاملُ(٢)

فإنّ ذم الناقص أبا الطيب كبغض مَن هو غير طائل الطرمَّاح، وشهادة ذم الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرماح لنفسه.

وكذلك قول أبي العلاء المعرِّي في مرثية:

وما كُلْفَةُ البدرِ المنيرِ قَديمَةٌ ولكنَّها في وجهه أَثَرُ اللَّطْمِ(٣)

وقول القَيسرانيِّ:

وأهْوَىالذي أهوَى له الْبَدْرُ ساجداً ألسْتَ ترَى في وجهه أثَرَ التُّربِ(٤)

وأوضحُ من ذلك قول جرير:

فلا يمْنَعْكَ مِن أرَبٍ لِحاهُمْ سَواءٌ ذو العمامةِ والْخِمَارِ(٥)

---

(١) البغيض: المكروه، وغير الطائل: الذي لا فائدة فيه.

(٢) مذمتي: من إضافة المصدر لمفعوله، وقد أورده قبله أبو تمام ومروان بن أبي حفصة في قولهما:

لقد آسفَ الأعداءَ فضلُ ابن يوسف وذو النقص في الدنيا بذيالفضلِ مُولَعُ

ما ضرّني حسدُ اللئامِ ولم يزلْ ذو الفضل يحسده ذَوُو التقصير

(٣) هو لأحمد بن عبدالله المعروف بأبي العلاء المعرى في رثاء أبي إبراهيم العلوى. والكلفة: حمرة يخالطها سواد، يعني أن كلفة البدر من لطمه خدَّه على من يرثيه لحزنه عليه. ورواية الديوان «أثر اللدم» واللدم: ضرب المرأة وجهها باليد كاللطم، ويقال أيضاً: لدمت النائحة صدرها وعضديها.

(٤) هو لأبي عبدالله محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني نسبة إلى قيسرية. وقوله «أهوى» مضارع بمعنى أحب، وقد أعاده ثانيا بمعنى سقط، وهو من الجناس التام، والترب: التراب، والمراد بأثره في وجه البدر: كلفته، والمراد بوجهه: ما يبدو لنا منه.

والشاهد في الشطر الثاني من هذا البيت مع الشطر الثاني من البيت الأول.

(٥) قبله:

=

وقول أبى الطيب:

ومَن فـي كَــــفِّــــهِ مـنهم قَـناةٌ ... كـمن فى كـفه منهـم خِضَـابُ(١)

ولا يغرَّك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً والآخر مديحاً أو هجاء أو افتخاراً أو غير ذلك(٢)؛ فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المُخْتَلَس لينظمه تحيَّل فى إخفائه، فَغيَّرَ لفظه وعدلَ به عن نوعه ووزنه وقافيته.

* **ومنه النقل**: وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله؛ كقول البحترى:

سُلِبُـوا وأَشْـرَقَتِ الدمـاءُ علَيـهمُ ... مُـحْـمَـرَّةً فكأنهـم لـم يُسْلَبُـوا(٣)

نقله أبو الطيب إلى السيف فقال:

يَبِسَ النَّجـيعُ عليـه وهْوَ مُـجَـرَّدٌ ... من غِـمْـدِهِ فكأنما هو مُـغْـمَـدُ(٤)

* المبالغة: ومنه: أن يكون معنى الثانى أشمل من معنى الأول؛ كقول جرير:

إذا غَــضِـبَتْ علـيك بنو تَمِــيمٍ ... وَجَـدْتَ الناسَ كُلَّـهُمُ غِـضَـابَا(٥)

وقول أبى نُواس:

= إذا مـا كـنتَ ملتمـسـاً نكـاحـاً ... فـلا تعـدلْ بجـمْـع بنى ضـرار

والأرب: الحاجة، واللحى: جمع لحية وهى شعر الخدين والذّقن، وذو العمامة: الرجل، وذات الخمار: المرأة، وفى قوله «ذو العمامة والخمار» تغليب، و هذا من أفحش الهجاء.

(١) هو من قصيدة له ذكر فيها ما أوقعه سيف الدولة ببنى كلاب. والقناة: الرمح، والخضاب: صبغ الحناء، والحق أن السرقة فى هذا ظاهرة؛ لأخذ أبى الطيب المعنى بنفسه من غير تصرف فيه، وتشابه المعنيين إنما يكون مع شيء من التغاير بينها.

(٢) هذا هو الذى يظهر منه أن الخطيب لا يقيد هذا القسم بما قيده بعضهم به فيما سبق، والأوْلى تقييده به ليباين ما بعده.

(٣) هو من قصيدة له فى مدح إسحاق بن إبراهيم يذكر فيها وقعته بالخُرَّمية. وقوله «سلبوا» بمعنى جردوا من ثيابهم،وقوله «أشرقت» بمعنى ظهرت أو لمعت.

(٤) النجيع: الدم المائل إلى سواد، والغمد: قراب السيف. وقبله:

وصُن الحـسـامَ ولا تُذله فـإنه ... يشكو يمـينك والجـمـاجمُ تـشـهـدُ

(٥) يعنى أنهم بمنزلة كل الناس، فإن غضبوا فكأن كل الناس قد غضبوا.

لَيسَ على الله بِمُستَنْكَرٍ   أن يَجمَعَ العَالَمَ فى وَاحِدِ[1]

* **ومنه القلب**: وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول، سُمِّى بذلك لقلب المعنى إلى نقيضه؛ كقول أبى الشيص:

أَجِدُ المَلامَةَ فى هواكِ لذيذةً   حُبّاً لذكرِكِ فَلْيلُمنى اللُّوَّمُ[2]

وقول أبى الطيب:

أأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فيه مَلامَةً   إنَّ الملامةَ فيه من أعْدائِه[3]

وكذا قول أبى الطيب أيضاً:

والجِرَاحاتُ عنده نغَماتٌ   سبقَتْ قبل سَيْبِهِ بسُؤالِ[4]

فإنه ناقض به قولَ أبى تمام:

ونَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاهُ أحْلَى   على أذُنَيْهِ من نَغَمِ السَّماعِ[5]

---

(١) هو للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس. ويعنى بالواحد هارون الرشيد الوارد فى قوله قبله:

قُولا لهارونَ إمامِ الهدى   عند احتفال المجلسِ الحاشد

ووجه كون بيت أبى نواس أشمل أن العالم فيه يشمل الإنس والجن والملائكة، ولكن يجوز أن يكون مراد جرير أن الناس تبعٌ لبنى تميم فى غضبهم لا أنهم كل الناس، وهذا معنى غير معنى بيت أبى نواس.

(٢) هو لمحمد بن رزين الخزاعى المعروف بأبى الشيص. واللوم: جمع لائم، وفى استحسانه ملامته فى هواها من أجل ذكرها حسن وطرافة، وهو فى هذا أرق من بيت أبى الطيب.

(٣) قبله:

القلب أعلم يا عذولُ بدائه   وأحقُّ منك بجفنه وبمائه

فومَن أُحبُّ لأعصينك فى الهوى   قسماً به وبحسنِه وبهائه

(٤) هو من قصيدة له فى مدح عبدالرحمن بن المبارك. والنغمات: جمع نغمة، ويقال «ناغمه»: كلمه كلاماً رقيقاً أو حسنا، والسيب: العطاء، يعنى أن نغمات السؤال تؤثر فى الممدوح وتؤذيه كالجراحات فيعطى من غير سؤال، وهذا من التشبيه المقلوب.

(٥) هو من قصيدة له فى مدح ابن أصرم، والمعتفى: الطالب، والجدوى: العطية، يريد بالسماع: ما يحسن سماعه كالعود ونحوه.

وقد تبعه البحترى فقال:

نَشْــوانُ يَطْرَبُ للسُّــؤال كــأنما ... غَنَّاهُ مــالكُ طَيِّئٍ أوْ مَـعْـبَـدُ[1]

ومنه: أن يؤخذَ بعضُ المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه، كقول الأفْوَه الأوْدِىِّ:

وتَـرَى الطيــرَ علـى آثَارِنـا ... رأْيَ عـيْنٍ ثِـقَـةً أنْ سَـتُـمـارُ[2]

وقول أبى تمام:

وقد ظُلِّلَتْ عُقْبانُ أعلامِهِ ضُحًى ... بِعُـقْـبـان طَيْـرٍ فى الدِّمَـاءِ نواَهِلِ

أقـامتْ مع الرَّاياتِ حـتى كـأنهـا ... من الجـيش إلاّ أنهـا لم تُقـاتِلِ[3]

فإن الأفوه أفاد بقوله «رأى عين» قُرْبَها؛ لأنها إذا بعدتْ تُخُيِّلت ولم تُرَ، وإنما يكون قربها توقعاً للْفَرِيسَة، وهذا يؤكـد المعنى المقصود، ثم قال «ثقةً أن ستمار» جعلها واثقةً بالميرة، وأمّا أبو تمام فلم يُلمّ بشىء من ذلك[4] لكن زاد على الأفوه قـوله: «إلا أنهَا لَم تقـاتِلِ»، ثم بقوله: «في الدمـاء نواهل»، ثم بإقـامتهـا مع الرايات حتى كـأنها من الجيش، وبذلك يـتمُّ حُسنُ قوله: «إلا أنهـا لم تقاتل»؛ وهذه الزيادات حَسَّنَتْ قوله، وإن كان قد ترك بعض ما أتى به الأفوه.

وهذه الأنواع[5] ونحوها أكثرها مقبولة، ومنهـا ما أخرجه حسن التصرف من

---

(١) هو من قـصيـدة له فى مدح أبى أيوب ابن أخت أبـى الوزير. والنشوان: السكران من شـدة الطرب، ومالك طيئ: هو مالك بن أبى السمح المغنى، ومعـبد: هو معبد بن وهب، وقيل: ابن قطنى مولى العاص بن وابصة المخزومى، وهو مغن أيضا.

(٢) هو لصلاءة بن عمرو المعروف بالأفوه الأودى، وقولـه «ثقة» حال أى واثقة أو مفعول لأجله، وقوله «ستمار» بمعنى ستطعم؛ يعنى أنها تتبعهم عند خروجهم للحرب واثقة بذلك.

(٣) هما من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ويذكـر وقعة الأفشين ببابك الخرمى. وعقبان الأعلام: جمع عقاب وهو الراية الضخـمة من إضافة العام للخاص؛ وعقبـان الطير: جمع عقاب وهو طائر مـعروف؛ وفى اللفظين جناس تام؛ والنـواهل: جمع ناهلة وهو اسم فـاعل من «نهل» بمعنى روى.

(٤) يردُّ على هذا أن قوله «أقامت مع الرايات» يفيد أيـضاً قربها منهم؛ فالحق أن الذى لم يلم به هو قوله «ثقة أن ستمار».

(٥) يعنى الأنواع الخمسة لغـير الظاهر؛ ونحوها هو غيرها مما يندرج فيه؛ والحق أنهـا مقبوله من جهة الأخذ؛ فإن اعتراها ردٌّ كان من جهة أخرى غيره.

سبيل الأخذ والاتباع، إلى حَيِّزِ الاختراع والابتداع، وكلما كان أشدَّ خفاءً كان أقربَ إلى القبول.

هذا كله[1] إذا عُلِمَ أن الثانى أخذ من الأول، وهذا لا يُعْلمُ إلا بأن يُعْلَمَ أنه كان يحفظ قولَ الأول حين نظم قوله، أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه؛ لجواز أن يكون الاتفاق من قَبيل تَوَارُد الخواطر، أى مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ والسرقة، كما يُحكَى عن ابن مَيَّادَةَ أنه أنشد لنفسه:

مُفِيدٌ ومِتْلافٌ إذا ما أَتَيْتَهُ تَهلَّل واهْتَزَّ اهتزازَ الْمُهنَّدِ[2]

فقيل له: أين يُذهب بك؟ هذا للْحُطيئة![3] فقال: «الآن علمتُ أنى شاعر؛ إذ وافقتُه على قوله ولم أسمعه».

ولهذا لا ينبغى لأحدٍ بَتُّ الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال، وإلا[4] فالذى ينبغى أن يقال: قال فلان كذا وقد سبقهُ إليه فلان فقال كذا؛ فيغتنم به فضيلة الصدق، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير.

ما يتصل بالسرقات الشعرية

ومما يتصل بهذا الفن القول فى الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحل، والتلميح.

* **أما الاقتباس:** فهو أن يُضَمَّنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه

---

(١) يشير إلى ما ذكر فى الأخذ بقسميه من ادعاء السبق، وأخذ الثانى من الأول، وكونه مقبولا أو مردوداً.

(٢) هو للرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة. والمفيد: الذى يعطى أمواله للناس، والمتلاف: الذى يتلف أمواله على نفسه، وقوله «تهلل» بمعنى: أشرق وجهه، والمهند: السيف المصنوع من حديد الهند.

(٣) هو من قصيدة له فى مدح بغيض بن عامر بن شماس مطلعها:

وآثرتُ إدلاجى على ليلِ حَرَّةٍ هضيم الحشا حسّانة المتجرِّدِ

(٤) أى وإن لم يعلم الحال.

منه(١) كقول الحريرى: «فلم يكن ﴿إلاَّ كَلَمْحِ الْبَصرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾(٢) حتى أنشدَ فأغرب». وقوله: ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾(٣)، و أميزُ صحيحَ القول من عليله».
وقول ابن نُبَاتةَ الخطيب: «فيأيُّها الْغَفَلَةُ المطرقون، أمَا أنتم بهذا الحديث مصدِّقون؟ ما لكم لا تشفقون؟ فوربِّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون»(٤). وقوله أيضاً من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة: «هنالك يُرْفَعُ الحجاب، ويوضع الكتاب، ويُجمعُ مَن وجب له الثواب، وحقَّ عليه العقاب، فيُضرَب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَلِه العذاب»(٥). وقول القاضى الفاضل وقد ذكر الإفْرَنْجَ: «وغضبوا زادهم الله غضباً، وأوقدوا ناراً للحرب جعلهم الله لها حطباً»(٦).
وكقول الحماسى:

إذا رُمْتُ عنها سَلْوَةً قال شافعٌ	من الحب: ميعاد السُّلُوِّ المَقَابرُ
ستَبْقَى لها فىمُضْمَرِ القلب والحَشا	سَريرَةُ وُدٍّ يوم تُبلَى السَّرائرُ(٧)

وقولِ أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى:

لآلِ فريغونَ فى الْمكرُمات	يَدٌ أوَّلاً واعتذارٌ أخيرا
إذا ما حلَلْتَ بمَغناهُمُ	رأيتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كبيرا(٨)

---

(١) بأن يكون خالياً من الإشعار بذلك، والإشعار به كأن يقال: قال الله تعالى كذا ونحوه.
(٢) مقتبس من النمل: ٧٧ .
(٣) مقتبس من يوسف: ٥٥ .
(٤) مقتبس من الذاريات: ٢٣ .
(٥) مقتبس من الحديد: ١٣ .
(٦) مقتبس من المائدة: ٦٤ .
(٧) هما للأحوص بن محمد الأنصارى، وقوله «رمت» بمعنى أردت، ومضمر القلب: مستوره، والحشا: ما انضمت عليه الضلوع، وقوله «تبلى» بمعنى تختبر أو تظهر، والسرائر: الخبايا، والشاهد فى قوله «يوم تبلى السرائر» فإنه مقتبس من الطارق ٨.
(٨) هما لأبى الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذانى، وقد سبق التعريف =

وقول الأبيوَرْدى:

وقـصائدٍ مِـثْل الرياض أَضَعـتُهـا فى بَاخلٍ ضَـاعـتْ به الأحْـسَـابُ
فـإذا تـناشـدَها الرُّوَاةُ وأبـصـروا المـمْـدُوحَ قالوا: سَـاحِرٌ كَـذّابُ[(١)]

وقول الآخر:

لا تُعـاشِرْ مـعـشراً ضَلُّوا الْهُـدَى فـسـواءٌ أقـبلُـوا أو أدْبَرُوا
بَدَتِ البـغـضـاءُ من أفـواههم والذى يُخْـفـونَ مـنهـا أكْـبَـرُ[(٢)]

وقوله:

خَلّةُ الـغـانيـات خَلّةُ سَـوءٍ فـاتقـوا الله يَا أولِى الألبـاب
وإذا مـا سـألـتـموهُنَّ شـيـئـا فـاسـألوهُنّ مِنْ وَراءِ حِـجَـابِ[(٣)]

= بآل فريغون فى الكلام على السجع القصير، واليد: مجاز عن الأثر الحسن، والمغنى: محل الإقامة، والشاهد فى آخر البيت الثانى؛ فإنه مقتبس من سورة الإنسان: ٢٠.

(١) هما لأبى المظفر محمد بن أحمد المعروف بالأبيوردى، والباخل: المانع الممسك، والأحساب: جمع حسب وهو شرف الأصل، والرواة: حفاظ الشعر ونقاده، وإنما يرمونه بالسحر؛ لأنه يصور الباطل حقاً كالساحر. والشاهد فى قوله «قالوا ساحر كذاب» فإنه مقتبس من سورة غافر: ٢٤.

(٢) هما لمحمد الشجاعى؛ وقوله «ضلوا الهدى» بمعنى لم يهتدوا إليها: وقوله «بدت» بمعنى ظهرت؛ والشاهد فى قوله «بدت البغضاء من أفواههم»؛ فإنه مقتبس من سورة آل عمران: الآية: ١١٨.

(٣) هما لأبى منصور عبدالرحمن بن سعيد. والخلة: الخصلة، والغانيات: النساء الحسان، والألباب: العقول الذكية. والشاهد فى قوله: ﴿فاتقوا الله يا أولى الألباب﴾ ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾. والأول مقتبس من سورة المائدة: ١٠٠، والثانى مقتبس من سورة الأحزاب: ٥٣.

وقول الآخر:

إن كَنْت أزْمَــعْتِ عـلى هجــرِنا ... مِن غَيْـرِ مَا جُـرْمٍ فَصَـبْرٌ جَـمِيلْ
وإن تَبَـــدَّلْـتِ بنا غَــــيْـــرَنَا ... فَـحَــسْبُنا الله ونِعْمَ الـوكـيلْ[1]

وكقول الحريرى: «وكـتمان الفقر زهادة، وانتظار الفرج بالصبـر عبادة»؛ فإن قوله «انتظار الفرج بالصبر عبادة» لفظ الحديث، وقـوله: «قلنا: شاهت الوجوه وقُبِّحَ اللُّكَعُ ومن يرجـوه». فإن قوله «شاهت الوجوه» لـفظ الحديث؛ فإنه روى أنه لَمَّا اشتدت الحـرب يوم حُنَيْنٍ أخذ النبى ﷺ كَفًّا من الحصـباء فرمى بها فى وجوه المشركين وقال «شاهت الوجوه» أى قبحت، واللكع قيل: هو اللئيم، وقال أبو عبيد: هو العبد. وكقول ابن عَبَّادٍ:

قــــالَ لى: إنّ رَقِـــيــــبى ... سَـــــيِّءُ الْـخُلُـقِ فَـــــدَارِه
قلــتُ: دَعْنِى ووَجْـــهُكَ الْجَـنَّـ ... ــة حُـــــــفَّــتْ بالمـكَـاره[2]

اقتبس من لفظ الحديث: «حُفَّتْ الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

والاقتباس منه ما لا يُنْقلُ فيـه اللفظ المُقْتَبَسُ عن معناه الأصلى إلى معنى آخر كما تقدم، ومنه ما هو بخلاف ذلك[3] كقول ابن الرومى:

لَئِــنْ أخْطأتُ فـى مَــدحِــيكَ ... مــــا أخـطأتَ فـى مَـنْعـى

---

(١) هما لأبى القاسم بن الحسن الكاتبى. وقـوله «أزمعت» بمعنى عزمت؛ والجرم: الذنب؛ وقوله «حسبنا» بمعنى كافينا. والوكيل: المفوض إليه فى الشـدائد وغيرها. والشاهد فى قوله «فصبر جميل»؛ «فحسبنا الله ونعم الوكيل» - والأول مقـتبس من سورة الرعد: ١٨؛ والثانى مقتبس من سورة آل عمران: ١٧٣.

(٢) هما للصاحب إسماعيل بن عباد؛ والضمـير فى «قال» للمحبوب؛ والرقيب: الحارس. وقوله «داره» بمعنى لاطفه. وقوله «حفت» بمعنى أحيطت.

(٣) أي ما ينقل فيه الـلفظ المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر، وبهـذا يكون مجازًا بطريق من طرقه المعروفة.

لقـــدْ أنزلْـتُ حـــاجـــاتى بِـوادٍ غَـــيْـــرِ ذِى زَرْعِ[1]

ولا بأس بتغيير يـسير لأجل الوزن أو غيره[2]؛ كقول بعض المغـاربة عند وفاة بعض أصحابه:

قـد كــان مــا خِـفْـتُ أن يكُونَا إنَّا إلـى الله رَاجِـــعُـــونَا[3]

وقول عمر الخيّام:

سَبــقْتُ العَـالَمينَ إلى المَـعـالى بصـــائـب فكرةٍ وَعلـوّ هِمّـــهْ[4]

وَلاَحَ بحكمـتـى نُور الهُـدَى فى لَيَـــالٍ للضَّـلالَة مُـــدْلَهِـــمَّـهْ[5]

يريد الجـــاهلون لـيُطفِـــئُـوهُ وَيَأبَـى الله إلا أن يُتِـــمَّـــه[6]

وكقول القاضى منصور الْهَرَوىّ الأزْدِى:

فلو كـانت الأخلاقُ تُحْـوَى وِرَاثَةً ولوْ كـانتْ الآرَاءُ لا تَتَـشَـعَّبُ[7]

---

(١) هما لعلى بن العبـاس المعروف بابن الرومى، وقيل: إنهما لإسماعـيل القراطيسى، وإنما خطّأ نفسه فى مدحه لأنه لا يستـحق المدح، ولم يخطئه فى منعه لأن مادح من لا يستحق المدح لا يسـتحق العطاء، والشـاهد فى أن المراد بالوادى هنا الجناب الـذى لا خيـر فيـه على سبـيل الاستعارة، وهو غير المراد منه فى سورة هود: ٣٧.

(٢) يعنى أن هذا لا يضر فى تسميته اقتباسًا، فإذا كثر التغيير كان من العقد الآتى.

(٣) هو للوزير أبى العـلاء بن أورق فى رثاء الرئيس أبى عبد الرحـمن محمـد بن طاهر، وظاهر كلام الخطيب أن البيت له، والحق أنه لأبى تمام فى رثاء ابنه، ولعل هذا الوزير استشهد به فى ذلك، وقوله «كـان» بمعنى وجد؛ فهى تامة، والشـاهد فى ذلك مقتـبس مع تغيير يسـير من سورة البقرة: ١٥٦.

(٤) العالمون: جمع عالم وهو اسم لذوى العلم أو لكل ما علم الله بن، وقد جمع جمعًا صحيحًا لما فيه من معنى الصفة وهى العلم.

(٥) المدلهمة: الشديدة السـواد وهو ترشيح لاستعارة ظلمة الليالى لخفـاء الضلالة، وذكر الضلالة معها غير حسن لأنه ينبىء عن التشبيه المنافى لدعوى الاستعارة.

(٦) الشاهد فى أن هذا مقتبس مع تغيير يسير من سورة التوبة: ٣٢.

(٧) قوله «تحوى» بمعنى تحرز وتملك، وقوله «تتشعب» بمعنى تتفرع وتختلف.

لأصبح كلُّ الناس قد ضمَّهُمْ هوًى	كما أنَّ كلَّ الناس قد ضمهم أبُ[1]
ولكنَّهـا الأقـدارُ كـلٌّ مُـيَسَّـرٌ	لِمـا هو مخلوقٌ له ومُقَـرَّبُ

اقتبس من لفظ الحديث: «اعملوا؛ كُلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِق له».

التضمين:

وأما التضمين فهو أن يُضَمَّنَ الشعر شيئًا من شعر الغير، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء[2]؛ كقول بعض المتأخرين (قيل هو ابن التلميذ الطبيب النصرانى):

كـانت بُلَهْنِيـةُ الشَّـبيبـةِ سكْرَةً	فصحوتُ واستبدلتُ سِيرَةَ مُجْمِلِ
وقـعـدتُ أنتظر الفَنَـاء كـراكبٍ	عَـرفَ المَحلَّ فبـات دون المنزلِ[3]

البيت الثانى لمسلم بن الوليد الأنصارى. وقول عبد القاهر بن طاهر التميمى:

إذا ضاقَ صـدرى وَخِفْتُ الْـعِدَى	تَمَـثَّلْـتُ بيـتًـا بحـالى يَـلِيقْ
فَـبِـالله أبْـلُغُ مَـا أرتجى	وبـالله أدفعُ مَـا لاَ أُطِيـقْ[4]

وقول ابن العميد:

وصَاحِبٍ كنتُ مـغبوطًا بِصُحبتِهِ	دَهْرًا فـغـادرنى فَـرْدًا بـلا سكَنِ
هَبَّتْ له ريـح إقـبَـالٍ فطـار بهـا	نحو السرور وَأَلْجَانِى إلـى الْحَزَنِ
كـأَنَّهُ كـان مَطْويًّا عـلى إحَنٍ	ولم يكن فى ضروب الشعر أنشَدَنِى[5]

---

(١) قوله «ضمهم» بمعنى جمعهم، والهوى: الميل.

(٢) بهذا التنبيه يتميز التضمين عن الأخذ والسرقة.

(٣) هما لأبى الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ. والبلهنية: رخاء العيش، والمجمل: المحسن فى عمله والمترفق، والفناء: الموت، ودون: بمعنى قريب.

(٤) البيت الأول لعبد القاهر بن طاهر المعروف بأبى منصور البغدادى وهو من كبار الشافعية، والبيت الثانى المضمَّن لا يُعرف قائله.

(٥) الأبيات الثلاثة لمحمد بن الحسين المعروف بابن العميد. والرواية الصحيحة «وصاحبا» لأنه =

إنّ الكرامَ إذا مـا أَسْـهَلوا ذكـروا   مَن كـان يألفهم فى المنزل الخَـشِنِ

البيت الأخير لأبى تمام[١]. وكقول الحريرى:

على أنِّى سـأنشِـدُ عند بَيْـعِى   أضَـاعُونِى وأىَّ فَـتًى أضَاعُـوا[٢]

المصراعُ الأخير: قيل: للعرْجى، وقيل: لأمية بن أبى الصلت. وتمام البيت:

لِيوْم كَرِيهةٍ وَسِدَادِ ثَغْر[٣]

ولا حاجة إلى تقديره لتمام المعنى بدونه - ومثله قول الآخر:

قـد قُلـتُ لَمَّا أطلـعتْ وَجَنَـاتُه   حَوْلَ الشَـقيقِ الْغـضِّ رَوْضَةَ آسِ

أعِـذَارَهُ السَّارى العَـجُـولَ تَرفُّقًـا   ما فى وقـوفك ساعـةً من بَاسِ[٤]

= معطوف على «زمانا» فى قوله قبله:

أشكو إلـيكَ زمـانا ظلَّ يـعـركنى   عَـرْكَ الأديم ومَن يعـدُو على الزمن

المغبوط: المسرور، والسكن: ما يسكن إليه ويستأنس به، والإقبال: قدوم الدنيا بالخير، وقوله «أجانى»: مـخفف أجانى، والإحن: جمع إحـنة وهى العداوة، وقد روى صاحب «مـعاهد التنصيص» هذه الأبيات للصاحب بن عباد.

(١) يعنى البيت الأخير، وقد نسبـه ابن خلكان لإبراهيم بن العباس الصولى، ولعله أخذه من أبى تمام.

(٢) هو للقاسم بن على المعروف بالحريرى على لسان غـلامه أبى زيد حين عرضه للبيع. و«أى»: اسم استفهام أريد به التعظيم مفعول مـقدم لأضاعوا، يعنى: أى فتى أضاعوا، أى كاملا من الفتيان.

(٣) اللام فى قوله «ليوم» بمعنى «فى» مـتعلقة بأضاعوا، والكريهة: الحرب، وسـداد الثغر: سدُّه على الأعداء بالخيل والرجال. والثغر: موضع المخافة من فروج البلدان.

(٤) هما لأبى العبـاس أحمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان، والوجنـات: جمع وجنة وهى ما ارتفع من الخـدين، والشقـيق: ورد أحمـر أريد به الخد على سـبيل الاسـتعـارة، والغض: الطرى، والآس: الريحـان والمراد به العذار على سـبيل الاسـتعـارة. والعذار: الشـعر الذى يحاذى الأذن، والسارى: السـائر بالليل، وصفه بذلك لاشتماله على مـثل سواده، والباس: الحرج مخفف بأس، وهو مبتدأ مؤخر مجرور بمن الزائدة.

المصراع الأخير لأبى تمام(١). وكقول الآخر:

كُنّا مــعًــا أمسِ فى بـؤسٍ نُكَابدُهُ ... والعينُ والقلب مِنَّا فى قذًى وأذَى

والآنَ أقــبلَتِ الدنيــا علـيك بما ... تَهْوَى فـلا تَنْسَنِى إن الْكِرامَ إذا(٢)

أشار إلى بيت أبى تمام(٣)، ولا بدّ من تقـدير البـاقى منه؛ لأن المعنى لا يتم بدونه.

وقد عُلِمَ بهذا أن تضمين ما دون البيت ضربان(٤).

وأحسن وجـوه التضـمين أن يزيد المُضَمَّنُ فى الفـرع عليه فى الأصل بنـكتة؛ كالتورية والتشبيه فى قول صاحب التحبير:

إذا الوهم أبْدَى لى لَمـاهَا وثَغْرَهَا ... تذكـرتُ مـا بـين العُـذَيب وبَارِقِ

ويُذكِـرُنى مِن قَــدِّها ومَـدامِـعى ... مَجَرَّ عَوَالينَـا ومَجْرَى السَّوَابِقِ(٥)

---

(١) هو من قوله فى مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم:

مــا فى وُقـوفكَ ســاعــةً مِنْ باسِ ... نَقــضى حُـقــوقَ الأرضِ والأدْراسِ

(٢) هما من قول بعض التـجار للأمير بدر الدين بيلبك الخازندار، وكان قـد أحضره إلى القاهرة فباعه فـيها، فارتفع أمره حتـى صار أميرًا، وقوله «نكابده» بمعنى «نقاسـيه»، والقذى: يرجع إلى العين، والأذى: إلى القلب، على اللف والنشر المرتب.

(٣) هو قوله:

إن الكرام إذا مــا أســهلوا ذكــروا ... مَن كـان يـألفـهم فى المنـزل الخـشن

(٤) ضرب لا يحتاج إلـى تقدير باقى البيت لأن المعنى لا يتم من غيره، كمـا فى قول الحريرى، وضرب يحتاج إلى تقديره لأن المعنى لا يتم إلا به، كما فى قول ذلك التاجر.

(٥) هما لابن أبى الإصبع عبد العظيم بن عبد الواحد المصرى صاحب «تحرير التحبير» فى البديع، والوهم: الخـيال، اللـمى: سمـرة الشـفتين، والثـغـر: مقـدم الأسنان، والعـذيب وبارق: موضعان، ولكنه أراد بالعذيب: الشفة تصغـير عذب، وبالبارق: الثغر لأنه يشبه البرق، وبما بينهما الريق، على سـبيل التورية، وفى ذلك لف ونشر مرتب، وفـاعل «يذكرنى» يعود إلى الوهم، والقد: القامـة، والتقدير: ويذكرنى من تبـختر قدها وجـريان مدامعى؛ لأن هذا هو الذى يشبه مـجرى العوالى أى جرها ومجـرى السوابق أى جريها، وهو تشبـيه ضمنى، وفى هذا لف ونشر مرتب أيضًا، والعوالى: الرماح، والسوابق: الخيل.

المصراعان الأخيران لأبى الطيب[1].

ولا يضر التغيير اليسير ليدخل فى معنى الكلام؛ كقول بعض المتأخرين فى يهودى به داء الثعلب:

أقول لمعشرٍ غَلِطُوا وغضُّوا ... منَ الشيخ الرشيد وأنكرُوهُ

هُو ابنُ جَلاَ وطَلاَّعُ الثَّنَايَا ... مَتَى يَضع العمامةَ تَعْرِفُوهُ[2]

البيت لسحيم بن وثيل، وأصله:

أنا ابن جلا وطَلاَّع الثنايا ... متى أضعُ العَمَامةَ تعرفونى[3]

تقسيم التضمين إلى استعانة، وإيداع، أو رفو:

وربَّمَا سُمى تضمين البيت فما زاد استعانةً، وتضمينُ المصراع فما دونه تارة إيداعًا وتارة رَفْوًا[4].

العقد:

وأما العقد فهو أن يُنْظَمَ نثر لا على طريق الاقتباس[5].

١ - **أما عقد القرآن فكقول** الشاعر:

---

(١) يعنى قوله:

تذكرتُ ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

والشاهد فى أن أبا الطيب يريد بالعذيب وبارق موضعين، فأراد بهما ابن أبى الإصبع ما سبق على سبيل التورية، ثم زاد عليه أيضًا تشبيه قدها ومدامعه بمجر العوالى ومجرى السوابق.

(٢) هما لضياء الدين موسى بن ملهم فى الرشيد عمر الفُوِّى. وقوله «غضوا» بمعنى أعرضوا، وقوله «جلا» صفة لمحذوف تقديره: شَعر جلا وانكشف؛ لأن داء الثعلب -وهو القراع- يسقط شعر الرأس، والمراد بالثنايا مقدم أسنانه لأنها كانت بارزة، والمراد بالعمامة عمامته التى يضعها على رأسه، وهذا خلاف المراد منهما فى بيت سحيم.

(٣) سبق هذا البيت فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثانى.

(٤) سبق أمثلة لكل منهما فى شواهد التضمين السابقة.

(٥) بأن يُغيَّر فيه تغيير كثير إذا كان قرآنًا أو حديثًا، أو يشار إلى أنه منهما؛ ليخالف بهذا طريق الاقتباس فيما، أما نظم غيرهما فهو عقد مطلقًا.

أنِلْني بالـذى اسـتـقـرضتَ خَطًّا وأشْـهِدْ مـعشـرًا قد شَـاهَدُوهُ[1]
فـــإنّ الله خَـــلاّقَ البَـــرَايا عَنَتْ لِجَــلالِ هيبتـــه الوُجـوهُ
يـقـــــول: إذا تَدَايـنْتُـمْ بِدَيْـنٍ إلى أجَلٍ مُـــسمًّى فـاكْـتــبوهُ

٢ - وأما **عقد الحديث**؛ فكما رُوى للشافعى رضى الله عنه:

عُـمْـدَةُ الخيـرِ عندنا كَـلِمـاتٌ أربَعٌ قَـالـهُنْ خـيــرُ البَـرِيَّهْ
اتَّقِ الشُّـبُـهاتِ، وَازْهَدْ، وَدَعْ مَـا ليس يَعْـنِيكَ، وَاعْـمَلَنْ بِـنِيَّـهْ[2]

عقد قولَه عليه السلام: «الحلالُ بَيِّن والحرامُ بَينٌ، وبينهما أمورٌ مشتبهاتٌ»،
وقوله عليه السلام: «ازْهَدْ فى الدنيا يحبَّك الله»،
وقوله عليه السلام: «مِن حُسنِ إسلام المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعنيه»،
وقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات».
وأما عقد غيرهما فكقول أبى الْعَتَاهَية:

مَـــا بَـالُ مَنْ أوَّلُـهَ نُطـفَـــةٌ وَجِـيِــفَـةٌ آخِـرُهُ يَفْـخَــرُ[3]

عقد قولَ على رضى الله عنه: «وما لابن آدم والفخرَ؛ وإنما أوله نطفة، وآخره جيفة!».

وقوله أيضًا:

---

(١) هى للحسين بن الحسن الواسانى الدمشقى، وقـوله «أنلنى» بمعنى أعطنى، وقوله استقرضت: بمعنى استـدنت، والبرايا: الخلائق جـمع برية، وقوله «عنت» بمعنى خضـعت. والشاهد فى عقده ذلك من سورة البقرة: ٢٨٢.

(٢) هما لأبى عبـد الله محمد بن إدريس الشافـعى. أو قيل: إنهما لأبى الحـسن طاهر بن معوذ الأشبيلى. والعمدة: مـا يعتمد الشىء ويقوم عليه، والشبهات: الموقـعة فى الاشتباه مما ليس بحرام بيِّن ولا حلال بين، وقوله «يعنيك» بمعنى يهمك.

(٣) هو لإسمـاعيل بن القاسم المعـروف بأبى العتاهيـة، والبال: الحال، والنطفـة: ماء الرجل أو المرأة، وقوله «يفخر» بمعنى يباهى بنفسه، حال من الموصول المضاف إليه.

كَـــفَى حُـــزنًـا بِدفْنكَ ثـم أنِّى   نفَــضتُ ترابَ قـبــرك عن يَدَيَّا
وكــانت فى حـيــاتِكَ لى عِظَاتٌ   وأنتَ اليـوم أوْعَظُ منك حَـيًّـا[(١)]

قيل: عقد قولَ بعض الحكماء فى الإسكندر لَمَّا مات: «كان الْمَلكُ أمس أنطقَ منه اليـوم، وهو اليوم أوعظَ منه أمس». وقـيل: هو قول الْمُـوبَذ لما مات قُـباذُ الملك.

وقول الآخر:

يا صاحبَ الْبَغْىَ إنّ البَغْىَ مَصْرعَةٌ   فَـارْبَعْ فَخَـيْـرُ فَعـالِ المرء أعْـدَلُهُ
فلو بغَى جَـبـلٌ يومًـا على جَـبَلٍ   لانْدَكَّ منه أعَــاليــه وَأسْــفَلهُ[(٢)]

عقد قول ابن عباس رضى الله عنهما: «لو بغى جبل على جَبَلٍ لَدُكَّ الباغى»

وقول الآخر:

الْبَسْ جَـديدكَ إنِّـى لابِسٌ خَلَقِى   ولا جَديدَ لمنْ لا يَلْبَـسُ الْخَلَقَا[(٢)]

عقد المَثَلَ: «لاجـديد لمن لا خَلَق له» قالته عائشــة رضى الله عنها وقد وَهبتْ مالاً كثيراً، ثم أمرت بثوب لها أن يُرقَعَ. يُضْرَبُ فى الحث على استصلاح المال.

● **الحَلُّ:**

وأما الحل فهـو أن يُنثَر نظمٌ، وشرط كونه مـقبولاً شيئـان: أحدهما أن يكون سبكه مختاراً لا يتقاصر عن سـبك أصله، والثانى أن يكون حَسن الموقع مستقراً فى محله غـير قَلِق[(٣)]، وذلك كقـول بعض المغاربة: «فـإنه لَمَّا قبحت فـعلاته،

---

(١) هما لأبى الـعتاهيــة أيضًا فى رثاء على بن ثابت، والبــاء فى قوله «بدفنك» زائـدة لأنه فاعل كفى، وما بعد «ثم» فى تأويل مصدر معطوف عليه.

(٢) لا يعرف قـائلهما، والبغى: الظلم، والمصـرعة: اسم مكان من «صرعـه» بمعنى طرحه على الأرض، وقوله «اربع». بمعنى توقف وانتظـر، والفعال: الفعل الحـسن، وقوله «اندك» بمعنى انهدم».

(٣) وهو لعدى بن زيد العبادى، والخلق: الثوب البالى يستوى فيه المفرد وغيره.

(٣) الفرق بينهما أن الأول يرجع إلى اللفظ بأن يكون سجعًا ذا فـقرات مستحسنة، والثانى يرجع إلى المعنى بأن يكون مطابقًا لما تجب مراعاته فى البلاغة.

وحنظلت نخـلاتـه، لم يزل سـوء الظن يقتاده، ويـصدِّق توهُّمه الذى يعـتاده»؛ حلَّ قول أبى الطيب:

إذا سَـاءَ فـعلُ المرء سـاءتْ ظُنُونُهُ وَصَـدَّقَ مـا يعـتـاده مِن توهُّمِ[١]

وكقول صـاحب «الوشى المرقوم فى حل المنظوم»[٢] يصف قلم كـاتب: «فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول، وَغَنَيَتْ به عـن الخيل والخَوَل، وقالت: أعلى الممالك ما يُبنى عى الأقلام لا على الأسَل». حلَّ قولَ أبى الطيب أيضًا:

* أعْلَى الممالكِ ما يُبنى على الأسَلِ[٣] *

وكقول بعض كتاب العصـر فى وصف السيف: «أورثه عشقُ الرقاب نحولاً، فبكى، والدمع مطرٌ تزيد به الخدودُ مُجولا». حل قول أبى الطيب أيضًا:

فى الخَـدِّ إن عَزَمَ الخَلـيطُ رَحِيـلاً مَطرٌ تزيد به الْخُـدُودُ مُـجُـولا[٤]

---

(١) قاله فى الشكوى من سيف الدولة، وسماعه لقول أعدائه، وبعده:

وعـادَى مُـحـبـيـه لقـول عـداته وأصـبح فى لـيلٍ من الشك مُـظلم

(٢) هو ابن الأثير صاحب كتاب «المثل السائر».

(٣) هو من قوله:

أعلى الممـالكَ مـا يُبـنى على الأسل والطعنُ عنـد مـحـبـيـهن كـالقـبل

والأسل: الرماح. والقبل: جمع قبلة؛ وهى اللثمة.

(٤) الخليط: المخالط من الأحبة، والمراد من المطر الدمع على سبيل الاستعارة. والمحول (بالحاء): الجدب استعـارة لشحوب الخد، (وبالجيم) مصدر «مـجل» إذا أصاب جلده نارٌ فتنقط، وهذا من حرارة الدمع.

هذا وليس فى القـرآن شىء من الحل خـلافًا لابن أبـى الإصبع فى زعـمـه أن قوله تعـالى: ﴿ **يعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ** ﴾ [سبأ: ١٣] حل لقول امرىء القيس:

وقـــــدور راســـــيـــــات وجـــــفـــــان كـــــالجـــــواب

والحق أن هذا لا تصح نسبته إلى امرىء القيس، وإنما هو مما نُحل بعد الإسلام له.

التلميح:

وأما التلميح فهو أن يُشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره[1].

فالأول كقول ابن المعتز:

أتُرَى الْجِيرةَ الذين تَدَاعوْا ... عند سَيْرِ الحبيب وَقْتَ الزَّوَالِ
عَلمُوا أنَّنِى مقيمٌ وقَلْبى ... رَاحِلٌ فيهمُ أمَامَ الْجِمَالِ
مِثلُ صَاعِ العزيز فى أرْحُلِ الْقَوْ ... مِ، ولا يعلمون ما فى الرِّحالِ[2]

وقول أبى تمام:

لحقْنَا بأُخْرَاهمْ وقد حَوَّمَ الهوَى ... قلوبًا عهدنا طيْرَها وهْى وُقَّعُ[3]

---

(١) أي ذكر واحد من القصة والشعر؛ ومثلهما الإشارة إلى حديث أو آية أو مَثل أو مسألة علمية، ومن ذلك قول الشاعر:

خذوا بدمى هذا الغزال فإنه ... رمانى بسهمَىْ مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه إننى أنا عبدُه ... ولم أر حرًا قط يُقتل بالعبد

وقول الآخر فى الإشارة إلى المثل:

مَنْ غاب عنكم نسيتموه ... وقلبه عندكم رهينه
أظنكم فى الوفاء ممن ... صحبته صحبة السفينه

(٢) هى لعبد الله بن المعتز، وقوله «تداعوا» بمعنى دعا بعضهم بعضا للسير معه، وصاع العزيز: صواعه وهى مشربة كان يسقى بها ثم جعلت صاعًا، والعزيز: عزيز مصر فى عهد يوسف، والأرحل والرحال: جمع رَحْل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج، أو ما يستصحبه المسافر من الأثاث، والقوم: إخوة يوسف، فال فيه للعهد، والشاهد فى إشارته بصاع العزيز إلى قصته المعروفة فى سورة يوسف: ٧٠.

(٣) ضمير أخراهم للأحبة الراحلين ، وقوله «حوم» بمعنى أدار، والمراد بطيرها ما يتخالج فيها من الخواطر، ووقع: جمع واقع يعنى أنها ساكنة غير متحركة، ومبنى ذلك كله على تشبيه القلوب بالطير على سبيل الاستعارة بالكناية، وإثبات التحويم لها تخييل وما عداه ترشيح.

فرُدَّتْ علينا الشَّمْسُ والليلُ رَاغمٌ بشمْسٍ لهم من جانب الْخِدْرِ تطلع[1]
نَضَا ضَوْءُها صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وَانْطَوَى لبَهْجَتها ثَوْبُ السماءِ الْمُجزَّعُ[2]
فَوَاللهِ ما أدرى أأحْلامُ نائمٍ أَلَّمتْ بنَا أم كان فى الرَّكْبِ يَوشَعُ[3]

أشار إلى قصة يوشع بن نُون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس؛ فإنه رُوِىَ أنه قاتل الجَبَّارينَ يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا اللهَ فَردّ له الشمسَ حتى فرغ من قتالهم.

والثانى كقول الحريرى: «وإنى والله لطالما تلقيتُ الشتاء بكافَاته، وأعددتُ له الأهَبَ قبل موافاته». أشار إلى قول ابن سُكَّرَةَ:

جاء الشِّتَاءُ وعندى من حوائجه سَبْعٌ إذا القَطْرُ عن حاجاتنا حُبِسا
كِنٌّ، وكِيسٌ، وكانُونٌ، وكاسُ طِلاً بعد الكَبَابِ، وكسٌ نَاعمٌ، وكِسَا[4]

وقوله أيضًا: «بتُّ بليلة نابغيَّة»، أومأ به إلى قول النابغة:

فَبتُّ كأنِّى سَاوَرَتْنى ضَئيلةٌ منَ الرُّقْش فى أنيابها السُّمُّ ناقعُ[5]

---

(١) الراغم: الذليل استعير لليل، والباء فى قوله «بشمس» للتجريد، والخدر: الهودج، جرد بذلك من الشمس شمسًا أخرى ظهرت من الخدر، وهذا يتضمن تشبيه محبوبته بالشمس.

(٢) قوله «نضا» بمعنى أذهب، والدجنة: الظلمة، وثوب السماء: ظلمتها على الاستعارة، وفى رواية: «ثوب الظلام»، والمجزع: كل ما فيه سواد وبياض.

(٣) قوله «ألمت» بمعنى نزلت. والركب: المسافرون.

(٤) هما لمحمد بن عبد الله المعروف بابن سكرة، والقطر: المطر. وقوله «حبس» بمعنى منع، والكنّ: البيت، والكيس: صرة الدراهم، وطلا: مقصور طلاء وهى الخمر، وكسا: مقصور كساء وهو الثوب. والشاهد فى ابتداء كل من السبع بالكاف وإشارة الحريرى إليها بذلك.

(٥) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبيانى، وقبله:

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه أتانى ودونى راكسٌ والضواجع

وقوله «ساورتنى» بمعنى أصابتنى، والضئيلة: الحية الدقيقة، والأفعى كلما كبرت صغر =

وقول غيره:

لَعَمْـرٌو مع الرَّمْضـاءِ والنَّارُ تَلْتظى أرَقُّ وأحفَى منك فى ساعة الكَرْبِ[1]

أشار إلى البيت المشهور:

المُسْتَجيـرُ بِعـمرٍو عنـد كُرْبَتِـه كالمستجيرِ من الرَّمْـضاءِ بالنَّارِ[2]

ومن التلميح ضربٌ يشبه اللُّغْزَ، كما رُوى أن تميميًا قال لشريك النُّمَيْرى: «ما فى الجوارح أحبُّ إلىَّ من البازى». فقال: «إذا كان يصيد القطَا». أشار التميمى إلى قول جرير[3]:

أنا البـازى المطـلُّ على نُمَـيْـرٍ أُتيحَ مِن السـماءِ لهـا انْصبـابا[4]

وأشار شريك إلى قول الطِّرمّاح:

تميمٌ بطُرْق اللُّـؤمِ أهدَى منَ القَطا ولو سلكتْ طُرْقَ المكارمِ ضَلَّتِ[5]

* * *

= جسمهـا، والرقش: جمع رقشاء وهى الحية المنقطة بسواد وبيـاض، والناقع: الشديد خبر عن السم، وقيل: الصواب نصبه.

(١) هو لأبى تمام من نسـيب له فى بعض قصائده، والرمـضاء: الأرض الحارة، وقـوله «تلتظى» بمعنى تتوقد، والأحفى: الأشفق.

(٢) فيه تلميح أيضًا إلى قصته الآتية.

(٣) ذكر السعد أن عمرًا هو جَساس بن مرة، والحق أنه عمرو بن الحارث، وكان جساس قد أردفه خلفه لما ركب ليلحق كليبًا، فلما طعنه وبه رمق قال له:

أغِـثنى يا جـسّـاس منكَ بِشـربةٍ تُعَـوِّدها فـضـلاً علىَّ وأنـعَمُ

فقال له جساس: «تجاوزتَ الأحص وشبيثـا»، ثم نزل عمرو فطعنه بسيفه، فلما علم أنه يريد الإجهـاز عليه قال: «المسـتجير بعـمرو.. البيت» وظاهر هذا أن البـيت لكليب، وفى بعض روايات القصة ما يفيد أنه لغيره، وأنه يلمح به إلى قصته كبيت أبى تمام.

(٤) البازى: طير من الصقور يتصيـد، والمطل: المشرف، وقوله «أتيح» بمعنى هُيِّى وقدر، وضمير «لها» لنمير.

(٥) هو للطرمـاح بن حكيم، والطرق: جمع طـريق، والقطا: واحده قطاة وهى طائر فى حـجم الحمـام، وقيل: إنه نوع من الحمـام، وقوله «ضلت» من ضل الطريق وضل عنه إذا لم يهـتد إليه، يعنى أنها لو أرادت سلوكها لم تهتد إليها.

تمرينات على السرقات الشعرية وما يتصل بها

تمرين -١

بين موضع الأخذ ونوعه وحكمه فى قول عمرو بن معديكرب:

والضّـــارِبين بكل أبيضَ مُـــرْهفٍ ... والطاعنـين مَـجـامعَ الأضْـــغَـانِ
قَـومٌ تَرى أرمـاحَـــهم يوم الْوَغَى ... مَـشْـغُـوفَـةً بِمَـواطِن الْكتـمـان

وقول مسلم بن الوليد وأبى تمام بعده:

لا يسـتطيع يَـزيدٌ من طَبـيـعَـتـه ... عن الْمُروءَة والمعـروف إحْـجَـامـا
تَعَـوَّدَ بَسْطَ الْكـفِّ حـتى لو انَّـهُ ... ثَنَاهَا لِـقَـبْضٍ لم تُـجِـبْـــهُ أنَامِلُهْ

تمرين -٢

من أي أقسام الأخذ غير الظاهر ما يأتى:

١- قول أبى العتاهية:

إنّمَـا الناسُ كـالـبَـهـائم فى الرِّزْ ... قِ سَـــوَاءٌ جَـهُـــولُهمْ والحَـكيمُ

مع قول أبى تمام بعده:

فلو كانت الأرزاقُ تُجرى على الحِجَى ... هَلَكْنَ إذَنْ من جَـهْلِهنّ البـهـائمُ

٢- قول مسلم بن الوليد:

يَعْـدُو عَـدُوُّكَ خـائفًـا فـإذا رأى ... أنْ قدْ قَدَرْتَ على العـقاب رَجَاكَا

مع قول أبى تمام بعده:

إذا سيفُه أضحَى على الْهَامِ حاكمًا ... غَدَا العَفوُ منه وَهْوَ فى السيف حَاكِم

تمرين -٣

ميز بين الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح فى الأمثلة الآتية:

١- قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذينَ اتَّخَذُوا من دُون اللَّه أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعنكَبُوت اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوت لَبَيْتُ الْعَنكَبُوت لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤١].

٢- أشكو الأقاربَ لا يغيب جَفَاهُم ... يبغِى أذَاىَ صغيرُهم وكبيرُهم
همْ يُعلنون لدى اللِّقَاء مَوَدَّتِى ... والله يعلم ما تُكِنُّ صدورهُمْ

٣- لَمْ أنس مَوْقِفَنَا بكاظِمَةٍ ... والْعَيْشُ مِثْلُ الدار مُسْوَدُّ
والدّمْع يُنشد فى مَسايله: ... هَلْ بالطُّلُول لِسَائلٍ رَدُّ

٤- قول إبراهيم بن العباس الصولى: «فأبدلوه آجالا من آمال»، مع قول مسلم ابن الوليد قبله:

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رهَجٍ ... كأنهُ أجَلٌ يسعى إلى أمَلِ

٥- قول أبى الطيب:

ولم أرَ فى عيوب الناس شيئًا ... كنقص القادرين على التّمامِ

مع قول أرسطو قبله: «أعْجَزُ العَجَزَةِ مَن قدرَ أن يزيل العجزَ عن نفسه فلم يفعل».

٦- قول أبى العلاء:

أَفِقْ إنما البدرُ المقنَّع رأسُهُ ... ضلالٌ وغَىٌّ مثل بدر المقنّعِ

٧- قول أبى نواس:

بِروحى غزالٌ كان للناس قِبلةً ... وقدزرتُ فى بعض الليالى مُصَلّاهُ
ويَقرأ فى المحراب والناسُ خَلفهُ ... ولا تقتلوا النفسَ التى حرَّمَ اللهُ
فقلتُ: تأمَّلْ ما تقولُ فإنَّها ... فعالُكَ يا مَنْ تَقتلُ الناسَ عَيناهُ

* * *

الفصل الثانى
مواضع التأنق فى الكلام

ينبغى للمتكلم أن يتأنق فى ثلاثة مواضع من كلامه؛ حتى تكون أعذب لفظًا، وأحسن سبكًا، وأصحَّ معنًى(١).

● **حسن الابتداء**: الأول الابتداء ؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه، وإن كان فى غاية الحسن.

فمن الابتداءات المختارة قول امرىء القيس:

* قفا نَبْك من ذكرى حبيبٍ ومنزل(٢) *

وقول النابغة:

كِلِينِى لِهَمٍّ يَا أمَيْمَةَ نَاصِبِ ... ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِىءِ الكواكِبِ(٣)

وقول أبى الطيب:

---

(١) عذوبة اللفظ بسلامته من التنافر ونحوه، وحسن سبكه بسلامته من التعقيد، وزيادة صحة المعنى بمطابقته لمقتضى الحال.

(٢) هو من قوله فى مطلع معلقته:

قِفا نبك مِن ذكرى حبيبٍ ومنزل ... بِسَقْط اللوَى بين الدَّخولِ فحَوْمَلِ

والسقط: منقطع الرمل حيث يدق، واللوى: الرمل المعوج الملتوى، والدخول وحومل: موضعان، وقد روى الأصمعى العطف بينهما بالواو لأن «بين» لا يقع إلا على اثنين فصاعدا، وعلى رواية الفاء يقدر: «أى ما بين أماكن الدخول فحومل». وإنما حسن هذا المطلع؛ لأنه وقف فيه واستوقف، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل، بلفظ مسبوك لا تعقيد فيه ولا تنافر.

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبيانى. وقوله: «كلينى» أمرٌ من وكل إليه كذا بمعنى سلمه إياه، والناصب: المتعب، وقد فُضِّل هذا المطلع على السابق وإن كان أقل منه معانى؛ بأن شطريه متناسبان وألفاظه متلائمة.

أتَظُنُّنِى مِنْ زَلَّةٍ أتَعَتَّبُ   قلبى أرَقُّ عليكَ مِمَّا تَحْسَبُ[1]

وقوله:

أرِيقُكِ أمْ ماءُ الغمامة أم خَمْرُ   بِفِىَّ بَرُودٌ وَهْوَ فى كبدى جَمْرُ[2]

وقوله:

فِراقٌ ومَن فارقتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ   وأَمٌّ ومنَ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ[3]

وقوله:

أتُراهَا لِكثْرةِ العُشَّاقِ   تَحْسَبُ الدمعَ خِلْقَةً فى المآقى[4]

وقول الآخر:

زَمُّوا الجِمالَ فَقُلْ للعاذلِ الْجانِى   لا عَاصِمَ اليوم مِنْ مِدْرار أجفَانى[5]

● قبح الابتداء:

وينبغى أن يُجتنب فى المديح ما يُتَطَيَّرُ به؛ فإنه قد يتفاءل به الممدوحُ أو بعضُ الحاضرين؛ كما رُوى أن ذا الرمَّة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية:

* ما بالُ عينك منها الماءُ ينسكب *[6]

---

(١) الزلة: الذنب، وقوله: «أتعتب» بمعنى ألوم، وقوله: «تحسب» بمعنى تظن، ينكر أن يلومه على ذنبه إليه بهجره ونحوه لرقة قلبه عليه.

(٢) هو لأبى الطيب أيضًا. والغمامة: السحاب، وبرود: صيغة مبالغة أى شديد البرد، والاستفهام فى البيت من باب تجاهل العارف للتدله فى الحب، وريقك وما عطف عليه خبر مبتدأ محذوف تقديره «هو» أى ما ذقته، وقوله: «بفى برود» مبتدأ وخبر.

(٣) هو لأبى الطيب أيضًا، وفراق خبر مبتدأ تقديره «حالى فراق»، والأم: القصد يعنى بذلك فراقه لسيف الدولة الحمدانى حين غضب عليه وقصدَه لكافور بمصر.

(٤) هو لأبى الطيب أيضًا، وقوله: «أتراها» بمعنى أتظنها، والاستفهام للتقرير، والخلقة: الفطرة، والمآقى: جمع موق أو مؤق وهو مجرى الدمع من العين أى طرفها مما يلى الأنف.

(٥) لا يعرف قائله، وقوله: «زموا الجمال» بمعنى شدوا الرحال عليها للسفر، والعاذل: اللائم فى حبهم، ومدرار الأجفان: دمعها الغزير السيلان.

(٦) هو من قول غيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة فى مطلع له: =

فقال هشام: «بل عينك».

ويقال: إن ابن مُقَاتِلٍ الضرير أنشد الدَّاعِي الْعَلوى قصيدته التى أولها:

* مَـوْعـدُ أحْـبَـابكَ بِـالفُـرْقَـة غَـدْ *[(١)]

فقال له الداعى: «بَلْ موعدُ أحبابك، ولك المثل السوءُ».

وروى أيضًا أنه دخل عليه فى يوم مهرجان وأنشد:

لا تَقلْ بُـشْـرَى ولـكِنْ بُشْــرَيَان غُـرَّةُ الدَّاعِي ويـومُ المِهْـرجَـانِ[(٢)]

فتطيّر به وقال: «أعمى يبتدىء بهذا المهـرجان!» وقيل: بطحه وضربه خمسين عَصًا، وقال: إصلاحُ أدبه أبلغ فى ثوابه.

وقيل: لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده إسحاق الموصلى:

يَا دَارُ غَــيَّـرَكِ الْبِـلَى ومَـحَــاكِ يَا لَيت شِـعْرِى مـا الذى أبْلاكِ[(٣)]

فتطيّر المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر.

ومَن أراد ذكر الديار والأطلال فى مديح فليقل مثل قول القُطامى:

* إنّا مُـحـيـوكَ فـاسلَمْ أيهـا الطللُ[(٤)] *

أو مثل قول أشجع السُّلَمىِّ:

= ما بال عـينك منها الماء ينسكب كـأنــه من كُلًـى مـفرية سَـرِبُ

والكلى: جـمع كليـة أو كلوة وهما كليـتـان فى الجسم لإفـراز البـول، والمفرية: المقطعـة، والسرب: السائل، وقيل: إنشاده كان لعبد الملك بن مروان.

(١) هو مطلع أرجوزة لنصر بن نصر الحلوانى، وكنيتـه ابن مقاتل كما هنا، لكن الذى فى «مروج الذهب» و«الصناعتين» أنها أبو المقاتل، وهو يمدح بها محمد بن زيد الحسينى الداعى صاحب طبرستان، والفرقة: اسم من الفراق وقيل: إنه اسم موضع ولكنه يوهم ذلك فتطير منه.

(٢) الغرة: بياض الجبهة، ويوم المهرجان: أول يوم من فصل الخريف، وهو من أعياد الفرس.

(٣) هو لإسـحاق بن إبراهيـم الموصلى، والبلى: مـصدر بَلِى الثـوب بمعنى رثّ. وقـوله «ليت شعرى» بمعنى ليت علمى جواب ما بعده من الاستفهام.

(٤) هو لعُمَير بن شُيَيْم المعروف بالقطامى فى مطلع له:

إنّا مَحيُّــوكَ فاسْلَمْ أيها الطـللُ وإن بليـتَ وإنْ طالت بك الطِّيَلُ

والطلل: الشاخص من الآثار، والطيل: مَدَى الدهر.

قَصـرٌ عليـه تَحِيَّـةٌ وَسَلامُ   خَلَعَتْ عليه جَمالَهَا الأيَّامُ[1]

● **براعة الاستهلال:**

وأحسنُ الابتداءات ما ناسب المقصودَ، ويسمى براعة الاستهلال[2]؛ كقول أبى تمام يهنىء المعتصم بالله بفتح عَمُّورِيَّة، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح فى ذلك الوقت:

السَّيفُ أصْدَقُ إنْباءً من الكُتُبِ   فى حَدِّهِ الْحَدُّ بين الْجِدِّ وَاللَّعِبِ[3]

بِيضُ الصفائح لا سُودُ الصحائف فى   مُتُونِهنَّ جِلاء الشَّكِ وَالرِّيَبِ[4]

وقول أبى محمد الخازن يهنئ ابن عَبَّادٍ بمولودٍ لبنته:

بُشْرَى فقد أنجز الإقْبَالُ ما وَعَدا   وكَوْكَبُ المجد فى أفْقِ العُلا صَعَدَا[5]

وقول الآخر:

أبْشِرْ فقد جاءَ ما تُرِيدُ   أبادَ أعْداءَكَ المُبِيدُ[6]

وكقول أبى الفرج السّاوى يرثى بعض الملوك من آل بُوَيْه - أظنه[7] فخر الدولة:

(١) هو مطلع قصيدة لأشجع بن عمرو السلمى فى مدح الرشيد، وقوله «خلعت» بمعنى طرحت. وفى رواية «ألقت».

(٢) هى أن يكون مطلع الكلام دالاً على غرض المتكلم من غير تصريح بل بإشارة لطيفة، والحقُّ أنها من المحسنات البديعية، ولهذا يذكرها فيها كثير من العلماء.

(٣) الإنباء مصدر «أنبأ» بمعنى أخبر، وحد السيف = مقطعه.

(٤) بيض الصفائح: السيوف، والصفائح: جمع صفيحة وهى وجه كل شىء ممدد عريض، وسود الصحائف: الكتب، والمتون: الظهور، وإنما نسب ذلك إليها لاعتماد حد السيف فى القطع عليها.

(٥) هو لعبد الله بن محمد المعروف بأبى محمد الخازن، والإقبال: قدوم الدنيا بالخير، والأفق: الناحية استعير للعلا، والمراد بكوكب المجد ذلك المولود على سبيل الاستعارة، وبصعوده: ظهوره، وإضافته للمجد على معنى اللام.

(٦) لا يعرف قائله. وقوله: «أباد» بمعنى أهلك، والمبيد: المهلك وهو الله تعالى، والجملة دعائية.

(٧) جاء فى «يتيمة الدهر» أنه فخر الدولة على القطع.

هيَ الدنيـا تـقـول بملءِ فـيـهـا: حَذَارِ حـذارِ مِنْ بطْشى وفَتْكى[١]

وكذا قول أبى الطيب يرثى أمَّ سيف الدولة:

نُعِـدُّ المَشْـرَفـيَّـةَ وَالعَـوَالى وتقـتـلنا المَنُونُ بـلا قِـتَـال[٢]

ونَرْتَبِـطُ السـوابقَ مُـقْـرَبَاتٍ فـما يُنْجِـينَ من خَبَبِ اللَّيَـالى[٣]

حسن التخلص: الثانى: التـخلص، ونعنى به الانتقـال مما شُبِّبَ[٤] الكلام به من تشبيبٍ أو غيره[٥] إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما[٦]؛ لأن السامع يكون مترقـبًا للانتقال من التـشبيب إلى المقصـود كيف يكون؛ فإذا كان حسـنًا متلائم الطرفين؛ حـرَّك من نشاط السامع، وأعـان على إصغائه إلى ما بعـده، وإن كان بخلاف ذلك؛ كان الأمر بالعكس.

فمن التخلصات المختارة قول أبى تمام:

يقول فى قُومسٍ قـومى وقد أخذتْ مِنَّا السُّرَى وخُطَا المهـريَّة القُـودِ[٧]

أمطْلَعَ الـشـمسِ تبـغـى أن تَؤُمَّ بِنَا فـقلتُ: كَلاَّ ولكن مطلعَ الجـودِ[٨]

---

(١) هى: ضمير القـصة، و«الدنيا» مبتدأ خبـره الجملة بعده، والجملة خبر ضمـير القصة، وملء الشيء: مـا يملؤه، وهذا كناية عن قولهـا ذلك جهـرةً بلا خفـاء، والبطش: الأخذ بصـولة وشدة، والفتك: مرادف له.

(٢) المشرفية: السيوف المصنوعة فى مشارف الشام، والعوالى: الرماح، والمنون: المنية.

(٣) السوابق: الخيل، والمقربات: المدناة من البيوت لفرط الحاجة إليها أو للضن بها فلا ترسل إلى المرعى، والخبب: ضرب من العدو لا يستفرغ الجهد؛ استعير لليالى.

(٤) أى ابتدىء، وأصل التشبيب ابتـداء القصيدة بذكر أمور الشباب، فاسـتعمل فى مطلق الابتداء على سبيل المجاز المرسل.

(٥) التشبيب: النسيب وغيره؛ كوصف الخمر ونحوه مما كانت القصيدة تبدأ به.

(٦) الحق أن حسن التخلص بهذه الملاءمة يكون من المحسنات البديعية كبراعة الاستهلال.

(٧) قومس: مـوضع متسـع بين خراسان وبلاد الجـبل، وقوله «أخذت» بمـعنى أثرت، والسرى: السير بالليل، والمهـرية: الإبل المنسوبة إلى مهرة، والقود: الطـويلة الظهور، والأعناق: جمع أقود.

(٨) قوله «تؤم» بمعنى تقصد، والشاهد فى أنه أحـسن التخلص؛ بأن انتقل من مطلع الشمس إلى الممدوح بعد أن جعله مطلع الجود، فكان فى الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن كلا منهـما مطلع لأمـر محـمود، والمراد بمطلع الجـود عبـد الله بن طاهر الذى مدحـه بهذه القصيدة.

وقول مسلم بن الوليد:

أَجِـدَّك مـــا تَدْرِينَ أنْ رُبَّ لَـيلَةٍ ... كـأن دُجَـاهَا مِنْ قُـرونكَ تُنْشَـرُ[1]

سَـهِـرتُ بهـا حـتى تَـجَلَّتْ بِغُـرَّةٍ ... كَغُـرَّةِ يحيـى حين يُذكَـرُ جَعْـفَرُ[2]

وقول أبى الطيب يمدح المغيث العَجْلىّ:

مَـرَّتْ بنَا بين تِربَيْـهـا فـقلت لهَـا ... : من أين جَالسَ هذا الشّادنُ العَرَبَا[3]

فاستضـحكتْ ثم قالت: كالمُغِيث يُرَى ... لَيْثَ الشَّرَى وَهْوَ من عِجْلٍ إذا انْتَسبَا[4]

وقوله أيضًا:

خَليلىَّ مـا لِى لا أرى غيرَ شَـاعرٍ ... فكَمْ منهُمُ الدَّعْوَى وَمنِّى القصائدُ[5]

فلا تَعـجَبَـا؛ إنّ السيـوفَ كثـيرةٌ ... ولكن سيف الدولةِ اليـومَ واحِدُ[6]

الاقتضاب: وقـد يَنْتـقلُ من الفن الذى شُـبِّبَ الكلام به إلى مـا لا يلائمـه،

---

(١) قوله: «أجدك» بكسر الجيم وفتحهـا ولا يقال إلا مضافًا، وهو منصوب على نزع الخافض أى أبجدك، فإذا كـسرت جيمه فهو اسـتحلاف بالحقيقـة، وإذا فتحت فهو اسـتحلاف بالبخت. والدجى: الظلمـة، والقرون: خُـصَل الشعـر، وقوله «تـنشر» بمعنى تبـسط وتمد، وهذا من التشبيه المقلوب.

(٢) قوله: «تجلت» بمعـنى ظهرت وانكشفت، والغـرة: بياض الجبـهة، والشاهد فـى تخلصه من النسيب بالانتـقال من غرة الصـبح إلى الممدوح بعد أن جـعل غرة الصبح كـغرته، فكان فى الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن كل غرة تشـبه الأخرى والبيتان من قصيدة له فى مدح جعفر بن يحيى البرمكى.

(٣) قوله «تربيـها» تثنية (ترْب) وهو الصـديق أو من وُلد معها، والشـادن: ولد الظبية؛ استـعاره لمحبوبته.

(٤) قوله: «كالمـغيث» خبر مبـتدأ محذوف وتقـديره أنا، والشرى: طريق فى جبل سلمى كـثيرة الأسد، وعجل: قبيلة المغيث، وفيه تورية؛ لأن معناه القريب: ولد البقرة، ولا يخفى أنها تورية باردة لا تليق بمقام المدح، والشاهد فى تخلصه من النسيب إلى المدح بذلك الاستفهام وجوابه.

(٥) المراد بالدعوى: ادعاء الشعر وهو فى الأصل مصدر «ادّعى الشىء» إذا زعم أنه له حقًا أو باطلاً.

(٦) المراد بسيف الدولة: ممدوحه ملك حلب، وفى ذلك تورية؛ لأن معناه القريب: السيف الذى يناضل عن الدولة به، والشاهد فى تخلصـه إلى المدح بجعل انفراده بالشعر كـانفراد الممدوح بكونه سيف الدولة.

ويُسَـمَّى ذلك« **الاقتضابُ**»، وهو مـذهـب العـرب الأُوَلِ ومَن يليـهم من المُخَضْرَمين[1]؛ كقول أبى تمام:

لو رأى اللهُ أن فى الشَّـيْب خـيْـرًا   جَاوَرَتْهُ الأبْرَارُ فى الْخُلد شِـيبا[2]

كلَّ يومٍ تُبـدى صُـروفُ اللَّيَـالِى   خُلُقًـا من أبى سـعـيد غـرِيبـا[3]

الاقتضاب القريب من التخلص: ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص[4] كقول القائل بعد حمد الله - أما بَعْدُ[5]؛ قيل: وهو[6] فصل الخطاب، وكقوله تعالى:

---

(١) المخضرمون: الذين قالوا الشعر فى الجاهلية والإسلام، ومن الاقتضاب قولهم فى التخلص: «دَعْ ذا أو عُدْ عن ذا» على أن منهم من كان يسلك مذهب التخلص كالمحدثين؛ ومن ذلك قول زهير:

إنَّ البخـيل مَلومٌ حيث كان ولَـ   ـكنَّ الجـوادَ على علاَّتـه هَرِمُ

كما أن من المحـدثين من يذهب فى الاقتضاب مذهبـهم؛ كأبى تمام فى قوله الآتى: «لو رأى الله. . .» البيتين.

وقد اختلف فى وقوع التـخلص فى القرآن؛ فقيل: لا يقع فيه لأنه يقع فى الـغالب متكلفًا، والقرآن لا تكلف فـيه، وقيل: إنه قد وقع فـيه؛ كقوله تعـالى فى أول سورة يوسف: ﴿**ألر، تلك آيَاتُ الكتاب المُبين، إنَّا أنْزَلْنَاهُ قرآنًا عَربيًّا لَعَلَّكُم تَعْقلونْ. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أحْسَنَ القصَص بمَا أوْحَيْنَا إلَيْكَ هذا القُـرآن وإنْ كُنْتَ منْ قَبْله لَمنَ الغَافلين، إذ قالَ يُوسُفُ لأبيه يا أبَت إنِّى رَأيتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكبًا وَالشَّمْسَ والقَمَرَ رَأيْتهُمْ لى سَاجدين**﴾.

فالسورة موضوعـة لقصة يوسف، وقد افتتحها بذكر القـرآن، ثم تخلص إليها هذا التخلص.

وقيل: إن الاقتضاب وقع فى القرآن أيضًا كمـا سيأتى؛ لأن التخلص ليس إلا محسنا بديعيا، فلا يلزم من حسنه فى الانتقال عدم صحة الاقتضاب، والقرآن لم يترك واديًا من أودية البلاغة إلا أخذ منه بنصيب.

(٢) الأبرار: المطيعون، والخلد: الجنة،والشيب: جمع أشيب بمعنى شائب.

(٣) صروف الليالى: حوادثها، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغرى، والشاهد فى انتقاله إلى المدح اقتضابا من غير تخلص.

(٤) فى أنه لا يخلو من شىء من المناسبة والملاءمة.

(٥) إنما كانت اقتضابًا لأن الانتقال فيها من الحمد أو نحوه إلى غيره من غير ملاءمة، وقد أشبهت التخلـصَ بسبب أنه لم يؤت بما بعـدها فجأة مـن غير قـصد إلى ربطه بما قـبله على نوع من الربط؛ لأنها بمعنى «مهما يكن من شىء بعد الحمـد أو نحوه فإنه كان كذا وكذا»، وهذا يفيد أن ما بعدها مرتبط بالحمد، أو نحوه على وجه اللزوم.

(٦) أى «أما بعـد»؛ لأنه يفصل بها بين ما قـبلها من حمـد الله ونحوه وما بعدها من المقـصود، ويعنى فصل الخطاب الوارد فى سورة ص: الآية ٢٠؛ فقد حمله عليه بعض المفسرين.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [ص: ٥٥] أى: الأمر هذا، أو هذا؛ كما ذُكر[١].

وقوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[٢] [ص: ٤٩]، ونحوه قول الكاتب: هذا باب، هذا فصل.

● **حُسْنُ الانتهاء**: الثالث الانتهاء؛ لأنه آخر مَا يَعيه السمع ويرتسم فى النفس؛ فإن كان مختارًا كما وصفنا[٣] جَبر ما عَسَاهُ وقع فيما قبله من التقصير، وإن كان غيرَ مختار كان بخلاف ذلك، وربما أنسى محاسنَ ما قبله.

فمن الانتهاءات المرضية قول أبى نُوَاس:

فَبَقِيتَ لِلعِلْمِ الذى تَهْدِى لَهُ ... وَتَقَاعَسَتْ عن يومك الأيَّامُ[٤]

وقوله:

وَإِنِّى جَدِيرٌ إذ بَلَغْتُكَ بِالْمُنَى ... وأنتَ بِمَا أَمَّلْتُ منك جَدِيرُ

فإنْ تُولِنى منكَ الجميلَ فأهلُهُ ... وإلاَّ فإنى عاذرٌ وشَكورُ[٥]

---

(١) يعنى أن هذا خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر، ووجه الربط فى ذلك أن الواو للحال؛ فتفيد مصاحبةَ ما بعدها لما قبلها برعاية اسم الإشارة المتضمن لمعنى عامل الحال وهو أشير، فالارتباط حاصل فى ذلك باسم الإشارة والواو معا.

(٢) وقيل: إن الاقتضاب المحض وقع فى القرآن؛ كقوله تعالى سورة القيامة: ٣-١٧:
﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.
فلا ارتباط بين قوله: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ...﴾ وما قبله، ولكن هذا لا ينافى دخوله فى الغرض المقصود من السورة؛ كما أن الاقتضاب فى القصيدة لا ينافى دخول ما بعده فى الغرض المقصود منها.

(٣) فى أول هذا الفصل.

(٤) هو للحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس من قصيدة له فى مدح المأمون، وقوله «تهدى» بمعنى تدل، وقوله: «تقاعست» بمعنى تأخرت، والمراد بيومه: يوم وفاته، والشاهد فى حسن الانتهاء فى البيت؛ باشتماله على ذلك الدعاء المؤذن بالانتهاء.

(٥) هما لأبى نواس أيضًا فى مدح الخصيب بن عبد الحميد المرادى، والجدير: المستحق، والمنى: ما يتمنى ويُطلب، وقوله: «تولنى» بمعنى تعطنى، وقوله: «فأهله» على تقدير فأنت أهله، وحسن الختام فى قوله «وإلا فإنى عاذر وشكور» فإن قبول العذر يقتضى انقطاع الكلام، =

وقول أبى تمام فى خاتمة قصيدة فتح عمُّورية:

إنْ كان بين صروف الدهر مِن رَحِمٍ ... موصولةٍ أو ذِمَامٍ غيـر مُقْتَضَبِ[١]

فبين أيامك اللاتى نُصِرْتَ بها ... وبين أيام بَدْرٍ أقربُ النَّسَبِ[٢]

أَبْقَتْ بَنِى الأصفرَ الْمِمْرَاضِ كاسْمِهِمُ ... صُفْرَ الوجوه وجَلَّت أَوجُهَ الْعَرَبِ[٣]

● **براعة المقطع**: وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام[٤] كقول الآخر:

بَقيتَ بقاءَ الدهر يا كَهفَ أهْلِهِ ... وَهذا دُعاءٌ لِلبَرِيَّةِ شَامِلُ[٥]

وقوله:

فلا حَطَّتْ لك الهيجاءُ سَرْجًا ... ولا ذاقت لك الدنيا فِرَاقَا[٦]

وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها؛ يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدَّم من الأصول[٧].

والله الموفق للخيرات.

= والمراد شكور لعطاياه الماضية أو لإصغائه إلى مديحه.

(١) صروف الدهر: حوادثه، والرحم: القرابة، والذمام: الحق، والمقتضب: المقطوع.

(٢) يعنى بأيام بدر: يوم غزوة بدر وما كان قبله وبعده من الأيام المتممة له.

(٣) بنو الأصفر: الروم، والممراض: صيغة مبالغة يعنى أن صفرته كانت لمرض لا خلقةً فيه، والعرب: تسمى الروم بنى الأصفر لبياضهم لما كان بين الشعوب من محاولة تنقيص بعضهم لبعض، وحسن الختام فى هذا البيت؛ لأنه يفيد نهاية الفتح فيؤذن بانتهاء الكلام.

(٤) بأن يكون لفظًا موضوعًا للدلالة على الانتهاء ولو فى مجرى العرف والعادة؛ كالدعاء والسلام، ويسمَّى الانتهاء الذى يؤذِن بذلك: براعةَ المقطع.

(٥) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعرى، أو لأبى الطيب، وقد ذكر صاحب «معاهد التنصيص» أنه لم يجده فى ديوانهما، والكهف فى الأصل: الغار فى الجبل، والمراد به الملجأ على سبيل الاستعارة، والبرية: الخلق، وإنما كان هذا دعاء شاملاً لهم؛ لأن بقاءه سبب لصلاح حالهم.

(٦) هو لأبى الطيب، والخطاب لسيف الدولة. والهيجاء: الحرب، والسرج: الرحل وقد غلب استعماله للخيل.

(٧) لأن فواتحها تدور بين تحميدات ونداءات يقصد منها إيقاظُ السامع لما يلقى إليه ونحو ذلك، وخواتمها تدور بين أدعية ووصايا ونحوها مما يحسن الانتهاء به؛ كقوله تعالى فى ختام سورة المؤمنون: ١١٨، ﴿**وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**﴾.

تمرينات على مواضع التأنق فى الكلام

تمرين [١]

بَيِّن المقصود من القصائد المجعول لها ما يأتى براعة استهلال:

١- المجْدُ عُـوفِىَ إذْ عُوفـيتَ وَالكَرمُ　　وزَالَ منك إلى أعـداِئك السَّـقَمُ

٢- أمَـا وَهَوَاهَا عِـذْرَةً وتَنَصُّـلا　　لقـد نقل الوَاشى إليـهـا وأمْحَـلاَ

٣- حُكْمُ المَنِـيَّـةِ فى الْبَـرِيَّةِ جَـارِى　　مـا هذِهِ الدنيـا بدار قَـرَارِ

تمرين [٢]

ميز بين الاقتضاب والتخلص فيما يأتى:

١- وبَدَا الصـبـاح كـأنَّ غُـرَّتَهُ　　وَجْـهُ الخليـفـة حـين يُمْـتَـدَحُ

٢- كـأنمـا قَـوْلُنَـا لِلْبـابِلىِّ أَدِرْ　　سُـلاَفَـةً قَـولُنا للْمَـزْيَدِىِّ هَب

٣- هذا وكَـمْ لى بـالْجُـنيـنَةِ سَكْرَةٌ　　أنا مِنْ بَقَـايا شَـرْبِها مَـخْـمُـورُ

٤- فَـدَعْ ذَا وَسَلِّ الهمَّ عنك بِجَسْـرَةٍ　　ذَمُـولٍ إذا صـام النَّـهـارُ وَهَجَّـرا

٥- لولا الرجـاءُ لَمُتُّ من ألمِ النوَى　　لكـنَّ قلبى بـالرجـاءِ مُـوكَّلُ

إنَّ الرَّعِـيَّـةَ لم تَزَلْ فى سـيـرةٍ　　عُـمَـرِيَّةٍ مُـذْ سَاسَـهـا المُتَـوَكِّلُ

تمرين [٣]

بين لِمَ كانت الانتهاءات الآتية براعة مقطع:

١- فـمـا مِن نَدًى إلا إلـيك مَـحَلُّهُ　　ولا رِفْـعَـةٍ إلا إليك تَسـيـرُ

٢- بَقِيتَ ولا أبقى لك الدَّهرُ كاشحًا　　فـإنك فى هـذا الزمـانِ فَـريدُ

٣- عليكَ سَـلامٌ نَشْـرُهُ كلـمـا بَدَا　　به يَتـغَـالى الطِّيبُ والْمِسْكُ يُخْـتَمُ

* * *

فهارس الكتاب

أولاً: فهرس الآيات القرآنية مرتبة على ترتيبها فى المصحف الشريف

ثانياً: فهارس الحديث الشريف والآثار

ثالثًا: الحكم والأمثال

رابعاً: فهرس القوافى الواردة فى الإيضاح، وبغية الإيضاح

القافيــة	القائـــل	ص	القافيــة	القائـــل	ص
شاهدِ	أبو تمام	١٠٦	النواظر	محمد بن رهيب	٧٦
واحدِ	أبو نواس	١١٢	يضيرُ	عبد الله بن محمد بن عيينة المهلبي	٨١
الحاشد	« «	١١٢	نور	« «	٨١
المهندِ	ابن ميادة (الرماح بن أبرد)	١١٤	بتر	أبو تمام	٨١
المتجرد	الحطيئة	١١٤	وضرار	الخنساء	٨٥
القَوَدِ	أبو تمام	١٣٥	نذري	نصيب بن رباح	٣٨
الجودِ	أبو تمام	١٣٥	يفخروا	أبو العتاهية	١٢٣
فؤادي	ابن فضالة القيرواني أو ابن الرومي	٦٣	نضيرُ	أبو الفتح المطرزي	٨٦
للأعادي	ابن فضالة القيرواني أو ابن الرومي	٦٣	غزير	«	٨٦
ودادي	ابن عجاج الحسن بن أحمد	٦٣	الأكدار	الحريري القاسم بن علي	٨٩
	(ذ)		من دار	« « «	٨٩
أذَى	أحد التجار	١٢١	الأخطار	« « «	٨٩
إذا	أحد التجار	١٢١	القطرُ	الأبيرد اليربوعي	٩٩
	(ر)		الجمر	« « «	٩٩
مدبرُ	أبو الطيب المتنبي	١٢	المتفكر	غير مذكور	٨٩
البدرُ	أسيد بن عنقاء الفزاري	١٤	تدورُ	أبو نواس	٩٩
جهر	« « «	١٤	تزور	« «	٩٩
الأوتارُ	البحتري	١٥	الآخر	غير مذكور	١٠١
الهجر	البحتري	٢٣	الجسورُ	سلم بن عمرو الخاسر	١٠١
الأعمارُ	أبو الطيب المتنبي	٢٤	الفقر	أبو تمام	١٠٥
قصار	أبو الطيب المتنبي	٢٤	العنبرُ	غير مذكور	١٠٦
خضرُ	أبو تمام	٨	جمرُ	أبو الطيب المتنبي	١٢٣
الأمر	أبو صخر الهذلي	٥	تنشرُ	مسلم بن الوليد	١٣٦
الذعر	« «	٥	ستمارُ	الأفوه الأودي صلاءة بن عمرو	١١٣
المقابرُ	عمر بن أبي ربيعة	٣٨	القابر	الأحوص الأنصاري	١١٥
غادرُ	غير مذكور	١٢	السرائرُ	الأحوص الأنصاري	١١٦
واترُ	محمد بن رهيب	٧٦	أدبروا	محمد الشجاعي	١١٦

فهرست الجزء الرابع

رقم الإيداع: ١٤٧٩٢ لسنة ١٩٩٩
الترقيم الدولى: I.S.B.N.: 977 - 241 - 295 - 0

أحدث إصدارات مكتبة الآداب

* **قواعد اللغة العربية:** للعلامة حفنى ناصف وآخرين.
* **جواهر البلاغة:** تأليف السيد أحمد الهاشمى تحقيق حسن نجار محمد.
* **الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة:** للجرجانى تحقيق الأستاذ الدكتور عبدالقادر حسين.
* **الإعراب الكامل لآيـات القرآن الكريم:** للأستاذ الدكتور عبـدالجواد الطيب صدر منه سبعة عشر كتابًا.
* **البلاغة العالية:** للأستاذ عبدالمتعال الصعيدى.
* **دراسة فى قواعد الإملاء:** للأستاذ الدكتور عبدالجواد الطيب.
* **الأدب المقارن والتراث الإسلامى:** أ.د. عبدالحكيم حسان.
* **موسوعة الأمثال القرآنية:** أ.د. محمد عبدالوهاب عبداللطيف.
* **التوجيه البلاغى للقراءات القرآنية:** د. أحمد سعد محمد.
* **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:** تحقيق للأستاذ عبدالمتعال الصعيدى.
* **الإعراب عن قواعد الإعراب:** لابن هشام الأنصارى.
* **موسوعة عصر سلاطين المماليك:** ٨ أجزاء - أ. د. محمود رزق سليم.
* **شذا العرف فى فن الصرف:** للأستاذ الشيخ أحمد الحملاوى.
* **شرح الأنموذج فى النحو:** للعلامة الزمخشرى تحقيق أ.د. حسنى عبدالجليل.
* **المصباح فى المعانى والبيان والبديع:** لابن الناظم تحقيق أ.د. حسنى عبدالجليل.
* **ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب:** للسيد أحمد الهاشمى تحقيق أ.د. حسنى عبدالجليل يوسف.
* **علم اللغة المقارن:** د. حازم على كمال الدين.
* **نحو اللغة العربية:** د. عادل خلف.